فتوح عبد المحسن الخترش

الكويت وجاراتها

هـ. ر. ب. ديكسون

سلام على الدنيا إذا لم يكن فيها
صديق صدوق صادق الوعد منصفا

منشورات ذات السلاسل



ه . ر . ب . ديكسون





للطباعة والنشر

الطبعة الأولى
١٩٦٤م

الطبعة الثانية
١٩٩٠م



(المؤلف الكولونيل هارولد ديكسون وزوجته فيوليت)
(في القصر الملكي بالرياض)

مقدمة الطبعة الثانية

وُلِدَ هارولد ديكسون في بيروت عام (١٨٨١ م) ، ودرس في مدارس دمشق ـ حيث كان والده قنصلاً لبريطانيا فيها ـ ، ثم سافر إلى (أوكسفورد) ملتحقاً بالكلية العسكرية ، وعند تخرّجه منها أحسَّ بأنّه يستطيع أنْ يؤدي دوره خارج حدود بلاده ؛ خدمةً للإمبراطورية البريطانية التي دأب أفراد أسرته على تقديم الولاء لها ؛ فالتحق بالقوات العسكرية البريطانية التي كانت تسيطر على بلاد الهند ، واستقرّ خمس سنوات هناك ، ثم هاجر إلى العراق فترةً من الزمن ، واستقرّ أخيراً وبالتحديد عام (١٩٢٩ م) في الكويت مع زوجته (فيوليت) . وكانت له صِلاتٌ مع أغلب رؤساء عشائر المنطقة ، وحكامها .

ونظراً للمهام التي أُنيطتْ به ، وبسبب رغبته الشخصية ، وميوله النفسية فقد سجَّل ملاحظاته فيما يتعلّق بالأوضاع السياسية للمنطقة بشكلٍ دقيق . كما كتب كتاباً خاصاً عن قبائل البدو يُعدُّ أثراً مُميزاً بين ما كُتِبَ في هـذا المجال ، وسمَّاه (عرب البادية) The Arab of desert وطبع ـ بالإنكليزية ـ مرات عديدة .

أمَّا كتابُهُ «الكويت وجاراتُها» فيُعدُّ من أهمِّ ، وأغنى ما كُتِبَ عن تاريخ هذه البلدة ، وما جاورها من مناطق سواءً في العراق ، أو السعودية ، أو عمان ، ـ فقد حَفِظَ في طياته سوادثاً لم تُدوَّن في أيِّ مصدرٍ من المصادر

الأخرى ، والسبب أنّ مؤلفهُ كان واحداً من صنّاع تاريخ هذه المنطقة ، والمخططين لمستقبلها .

وفعلاً ، فإنّ الحدود المصطنعة التي قُسّمت بين العراق ، والكويت ، والسعودية كانت من مخترعه ، وتنفيذه .

إنّ هذا الكتاب هو تاريخٌ حيٌّ يشرحُ ـ في جانب منه ـ تلك الخديعة التي وقع فيها حكّام هذه الدول ـ يومذاك ـ ، بسبب السذاجة البدوية التي عشّشتْ في عقولهم ، وتفكيرهم ؛ الأمر الذي يُمكّنُ القارئ أنْ يتبيّن بوضوح دور الحكّام (الأبناء) في عملية الحفاظ على هذا المخطط ، وعدم استطاعتهم الإفلات منه .

إنّ هارولد ديكسون ، وزوجته فيوليت سجّلا في هذا الكتاب مواضيع لم يُسجّلها أيّ مؤرخٍ آخر ـ فالكتاب مضافاً إلى أنّه في الصميم من أحداث السياسة الساخنة في تلك المنطقة ؛ فإنّه في صميم الأحداث التاريخية ، والاجتماعية أيضاً .

ومهما قيل في الكتاب من ثناءٍ فإنّه يبقى المُعبّر الوحيد عن جدليه ، وانفراده بحقائق أصبحتْ تاريخاً يُضافُ إلى تاريخ هذه المنطقة .

إنّ قراءة أحداث هذه المذكرات ـ بإمعان ـ سترشد القارئ العربيّ إلى أمورٍ في غاية الأهمية ، ولا شكّ أنّها ستعيد بناء تفكيره العقلي من جديد .



القسم الأول

الفصل الأول

إمارة عربية

« نجد البحرية »

في منطقة الخليج العربي البديعة ، وعلى شكل إسفين عميق غرز بين جنوب العراق والاحساء المقاطعة الشمالية الشرقية من المملكة العربية السعودية ، تقع امارة الكويت العربية الصغيرة المثرة . ومع انها دولة مستقلة فهي تتمتع بالحماية البريطانية .

ويسميها محبوها « نجد البحرية » . وليس ذلك فحسب مبناً لمدينة رواية أوجدها سادة وشعب نزحوا من أواسط الجزيرة العربية في أوائل القرن الثامن عشر ، وهي الآن تحتل منزلة رفيعة بين الدول العربية في ظل حاكمها المستنير الشيخ عبدالله السالم الصباح الذي ارتقى الى الامارة في كانون الثاني سنة ١٩٥٠ ، عندها بمعاهدات صداقة وتحالف وثيقة مع بريطانيا ، وهو استباط ضروري ، نظراً لأن تلك الدولة الصغيرة تملك أفضل الموانيء من الناحية الستراتيجية على الشاطىء العربي من الخليج العربي . ثم « اليست تجاور دولتين قويتين إلى الشمال والجنوب ، فضلاً عن شعب عنيد متعصب عبر الخليج يحلم دائماً باقامة امبراطورية عظيمة يكون الخليج العربي وبحرها الوسط ، الماس بينها ؟ ان ميناء الكويت المزهوق الذي يبلغ عمقه عشرين ميلاً وعرضه عشرة

أميال ، وثروتها النفطية الهائلة المدفونة تحت الأرض على بعد اثني عشر ميلاً من البحر ، هما اليوم قيد الانتظار ونقطة الخطر في نفس الوقت . وكل واحد يتمنى مغازلة ، حسناء طروادة ، الجديدة ، وقد جرت محاولات كثيرة في السابق ، ومحاولات كثيرة لا تزال تجري ، بعضها على طريقة انسان الكهوف ، وبعضها على طريقة اكثر ذكاء وليست أقل خطراً هي طريقة ، تقديم الهدايا ، . ومن الطبيعي ان يغار كل طامع من منافسيه . وهذا ما ساعد ، السيدة الحسناء ، الى درجة لا يستهان بها ، في ان تحافظ على بكارتها فترة طويلة من الزمن ، ومنتقذاً لا يأمل الحالمون ، من عشاق اكثر وقاحة والحاحاً .

تنحدر عائلة آل الصباح الارستقراطية النبيلة من بني عتوب – وهم من البدو الجلس – . وبنو عتوب من الدهامشة من قبيلة عمارات من عرب عنيزة الذين ينحدرون من أصل نبيل ويقطنون اليوم اجزاء من المملكة العربية السعودية والعراق وسورية .

بلغني صاحب السمو الشيخ عبدالله السالم في معرض حديثي معه في شهر تشرين الأول من السنة التي ارتقى فيها الى الامارة ، انه حوالي سنة ١٧١٠ م ، دفع جفاف متواصل طويل بآل الصباح الذين كانوا يتمتعون بالسيطرة على قبيلة عنيزة العظيمة كلها ، إلى النزوح من داخل نجد بحثاً عن مكان أيسر للعيش . ومعهم نزح آل خليفة وهم فخذ آخر من عمارات .

وقد توجه النازحون في البداية جنوباً الى وادي دوسر . ولكنهم وجدوا الاحوال هناك أسوأ مما هي عليه في نجد ، فعادوا وتقدموا الى زبارة في شبه جزيرة قطر على شاطيء الخليج الفارسي ، فصحبهم عدة عائلات نبيلة صغيرة ، من قبيلة عمارات ، منهم آل زايد المعروفين اليوم بآل غانم ، وآل صالح وآل شيلان . وتبين ان الأحوال في زبارة ليست أفضل ، فنزح الجميع مع قطعانهم وماشيتهم ببطء الى أن وصلوا بالنتيجة إلى مرتفع بعيد حيث وجدوا ماءً قريباً من اليابسة على عمق أقدام معدودة من السطح . وهذا هو المكان الذي تقع فيه مدينة الكويت حالياً .

وقد اشتق اسم بني عتوب ، كما يقول «مو» ، من التعبير الذي اطلق يوم النزوح وهو « عتبوا الى الشمال » . وليس عتوب اسماً لأي سبط حقيقي من أسباط عمارات القبائل المتفرعة من عنزة .

وخشي آل الصباح وآل خليفة الذين نصبوا خيامهم في خليج الكويت ، ان يعترض الاتراك ، الذين كانوا يدعون ملكية المكان وكانت لهم قوة كبيرة في البصرة ، على وجودهم هناك ويطردوهم الى حيث اتوا أو يفرضوا الضرائب عليهم .

وقرروا في مجلس عقده أهل الرأي بينهم ارسال مبعوث الى الباشا التركي في البصرة لكي يشرح له انهم مسترطنون فقراء نزحوا من نجد المجدبة الى الكويت طلباً للرزق ، وليست في نيتهم أذية أحد . والرجل الذي اختير للقيام بهذه المهمة يدعى صباح . وكان متقدماً في السن وله من دنياه الخبرة والحظ ، فنجح في مهمته .

واستطرد «مو» قائلاً ، ان آل نصار وهم العشيرة الحاكمة في بني كعب القبيلة العربية الارستقراطية التي تقطن عربستان في جنوب ايران ، شنوا حرباً على عبدالله ، ابن صباح ، وان الخوف من تكرر الغزوات حمل آل خليفة على العودة جنوباً الى زبارة ، ومن هناك انتقلوا الى البحرين التي غزوها وحكموها منذ ذلك الحين .

وحسب الروايات المحلية - التي يسقط «مو» قسماً منها - ان سبب هجوم آل نصار على الكويت هو ان شيخ بني كعب في ذلك الوقت أخذ يتودد الى مريم الابنة الجميلة للشيخ عبدالله الصباح ، فلما صدته أرسل اسطولاً لغزو الكويت .

وقبل ان يعود آل خليفة الى زبارة استحثوا نسيبهم وحليفهم عبدالله ان يضحي بمريم ليشتري بذلك سكوت بني كعب عنه . ولكن عبدالله اجابهم بعناد : ماذا ؟ أأعطي ابنتي الى هؤلاء الكلاب من بني كعب لأنقذ نفسي ؟ أبداً .. ان احداً من آل الصباح ، طالما هو حي ، لا يزوج ابنته الى غريب نسبه

موقع ذلك .

وهنالك قصة أخرى أيضاً لا يستحسنها حمو الشيخ عبدالله السالم ومن أنه عندما اشتد خطر غزو بني كعب ، وبعد أن تراجع آل خليفة الى الجنوب ، جمع عبدالله شيوخ عائلته جميعهم واستحلفهم على هيبة بيته أن يقفوا بثبات دفاعاً عن ابنته ومن شرف آل صباح ، فتعاهدوا وكذلك فعلوا بنو عتبة الى بني عتوب .

ويقال انه عندما اقترب الأسطول لمسعدر انتشت مريم الجمية فطوفت على مراكز الدفاع عن المدينة وتشجع البدو في خيامهم وهي ممتطية فرساً ومسلحة بعمارة وسيف ورمح .

ونذكر في مكان آخر من هذا الكتاب كيف أن ابن عم مريم ، سالم بن محمد الصباح ، ومعه جماعة من الشجعان تسللوا الى الأسطول المنتشر في عرض البحر الى جنوب من جزيرة بوبيان ، في صفوف القوى متخفين بشكل صيادي الأسماك ، وقتلوا الحراس الى آخر رجل ، وكبلوا بقية الملاحين الى الصواري ، وجاءوا بغنائمهم الى الكويت ، وقدموها الى مريم .

ومن هنا القول انه بعد هذا النصر الأولي الذي أهداه مريم بحماسها المتوقد ، سمي من يتطوع من الكويتيين ، وبعد نصيحة الشيخ عبدالله ، ليشنوا هجوماً زد وقوع سفينة في أسطول بني كعب ، فتوغلوا الى البحر واشتبكوا مع سفن بني كعب وانتظروها الى فجر يوم آخر ، واستمرت في ذلك هذه المعركة الشديدة بين بني كعب عاصفة شديدة شتتت شمل الأسطول ودمرت نصفه .

ومنذ ذلك الوقت حتى اليوم ، لم يسمح لأميرة من آل الصباح أن تتزوج رجلاً من خارج عائلتها ، حتى وإن كان من البيت السعودي الحاكم ، أو من شرفاء مكة ، أو من شيوخ آل السعدون النبلاء الذين يتوارثون المشيخة على المنتفق منذ قرون في العراق .

ولا تزال عبارات النخوة في الكويت الى اليوم : « انا اخو مريم » و « أولاد سالم » .

والكويت علم خاص بها أحمر اللون كتب في وسطه أفقياً بأحرف عربية بيضاء « الكويت » ، وكتبت على طرفيه القريب من السارية عمودياً عبارة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

الحاكم الحالي

ولد صاحب السمو الشيخ عبدالله السالم الصباح سنة ١٨٩٥ . وهو أقوى شخصيات عائلة آل الصباح وأبرزها . فهو واسع الثقافة ، ويتحدث بطلاقة ، ويتمتع بمعرفة كبيرة من الذكاء والالمام بالشؤون المالية عامة ، وباهتمام خاص بالأوضاع السياسية المختلفة التي تنشأ دائماً في أوروبا والشرق الأوسط .

ومع اعجابه الشديد بذلك الراحل عبدالعزيز ابن سعود ، لكنه لم يتمثل عليه أبداً من روائع التعامل السعودي البارعة .

ان اسماً من شيوخ الكويت لا يصل الى مركزه لأن والده كان شيخاً قبله . وبكلمات أخرى : ان المشيخة لا تنتقل من الأب الى الابن . وهذا أيضاً ينطبق على الحكم . فعندما توفي الشيخ سالم ابن مبارك الصباح في ٢٧ شباط سنة ١٩٢١ ، خلفه ابن أخيه الشيخ أحمد الجابر الصباح . وبدأ الشيخ عبدالله السالم الصباح بن الشيخ سالم ظلماً يدرس ويتعاون مع ابن عمه ، ويستجمع كثيراً من السلطة في يديه برضى الشيخ أحمد ويظهر طبيعته الكريمة السمحة .

وتوفي الشيخ أحمد الكبير ، كما يسمى اليوم ، بمرض القلب في ٢٩ كانون الثاني سنة ١٩٥٠ ، فحزن عليه الجميع . وخلفه على العرش ابن عمه الشيخ عبدالله السالم الذي اتبع كل الدلائل ابن أبيه سيرته في خطى سلفه . وبالفعل فقد اتخذ سلسلة اجراءات حكومية في حقل الخدمة العامة ، فشق الطرقات ، وبنى المدارس ، وشيد المباني العامة والمستشفيات والمخافر . وأهم من كل ذلك انشأ مصنعاً ضخماً لتكرير مياه البحر يستطيع ، عند انتهائه في سنة ١٩٥٥ ، ان يمد الكويت بحوالي أربعة ملايين غالون من مياه الشرب يومياً . وشكل أيضاً لجنة للتخطيط المدني وأمدها بالخبراء ، وأعطاها مراقبة على الخطة التي رسمتها لتحسين المدينة . وبالمال

الذي كتبته مارغريت كلارك والمنشور في مكان آخر من هذا الكتاب ، فيه الكثير من المعلومات عن التقدم الذي أحرزته الكويت بفضل استغلال ثروتها النفطية .

وفي حزيران سنة ١٩٥٢ م وعيد ميلاد جلالة الملكة، أسبغ على سمو الشيخ عبدالله السالم الصباح لقب K. C. M. G. الرفيع ، اعترافاً بخدماته الجليلة كحاكم .

حدود الدولة

كانت هذه الحدود في الماضي مصدراً لكثير من النزاع وملك الدعسمان . وسنروي قصتها كاملة في فصول أخرى . ويكفي هنا ان نذكر ان الحدود المتفق بها بين الكويت وجارتيها العراق والمملكة العربية السعودية - هي كما تبدو على الخريطة المنشورة في نهاية هذا الكتاب . وحسب التعابير الرسمية كما يأتي :

من النقطة التي تتصل فيها البلدان الثلاثة ، وهي ملتقى وادي العوجه بالوادي الواسع الطويل المعروف بالباطن في الغرب ، تتجه الحدود العراقية - الكويتية شمالاً على طول الباطن الى نقطة جنوب خط العرض في صفوان تماماً ، حيث تنعطف وتتجه شرقاً مارة جنوب آبار صفوان ، وجبل سنام ، وأم قصر ، الى ان تصل الى الشاطئ ، حيث يلتقي الرافدان خور زبير الى الشمال وخور عبدالله الى الجنوب الشرقي .

وتبدأ حدود الكويت مع نجد من نفس النقطة الغربية ، أي من ملتقى وادي العوجه بالباطن . ومن هناك تتجه في خط مستقيم ، تاركة آبار الرقعة لنجد (المملكة السعودية) الى التقاء خط العرض ٢٩ بقوس الدائرة الذي ينتهي في تل قرين جنوباً ، وتصل الى الشاطئ ، جنوب المرتفع المعروف باسم رأس القليعة .

والى جنوب من هذا الخط المنحني تتسع المنطقة المعروفة بمنطقة الكويت المحايدة . ويحدها من الغرب سلسلة مرتفعات تسمى الشق ، ويحدها البحر من الشرق ، ومن الجنوب خط متدرج من الشق ماراً بدبن العبد الى نقطة

على الساحل شمال رأس المشعاب . وتشترك في المنطقة المحايدة كل من الكويت ونجد والمملكة السعودية ، ولكل منهما حقوق متساوية فيها .

وتشمل دولة الكويت أيضاً جزر وربا ، وبوبيان ، ومسكان ، وفيلكا ، وعوهه ، وكبر ، وقاروه ، وام المرادم وغيرها من الجزر المتناثرة .

وتبلغ مساحة دولة الكويت ستة آلاف ميل مربع أي أقل من مساحة ويلز بحوالي ١٤٠٠ ميل مربع .

الجغرافية الطبيعية

تتألف الكويت في الغالب من سطح رملي صلب الى الشمال من خط يتجه من الكويت الى الرقة عبر الجهراء ، وتنحدر الأرض رملية جنوب هذا الخط . اما الى الغرب من خشق ، فإن الأرض في كل مكان حتى تبلغ الباطن ، رملية صلبة ومستوية .

إن أقدس العرفج في المنطقة — وهو نبات صحراوي تتغذى عليه الجمال — ينبت بمحاذاة شاطىء البحر الى مسافة ٤٠ ميلاً ، وينبت الثمام — نبات صحراوي آخر — الى الغرب من هذا المكان . والوادي الوحيد الواضح المعالم هو الشق الذي يقع قسم منه داخل حدود الكويت . وعلى الحدود الغربية يقع وادي الباطن . والمرتفعات الوحيدة التي تستحق الذكر هي : جال الزور ، وسلسلة تل على الجهة الشمالية من خليج الكويت ، وهناك تلال معزولة في الجنوب قليلة الأهمية كعلامات حدود ، منها مشرف وسرا في منطقة قرعه ، ووربات ووارا وقرين في اقليم عدان ، وشطب وجبل فوارس في منطقة الكويت الغاطسة . والى الجنوب من المنطقة المحايدة وراء الحدود المعترف بها ، تجدر ملاحظة هضبات الهيبيل وهضبة بدل وورية .

ولا توجد في أي مكان في الكويت مياه جارية او ينابيع ترتفع مياهها الى سطح الأرض ، ولا في أي مكان في المناطق المجاورة باستثناء عين العبد الواقعة في

اقليم مقطع في السلالة الهابطة ، والتي تحتوي على كبريتات الهيدروجين وتقدر بمعدل الف غالون في الدقيقة .

خليج الكويت

يبدأ ميناء الكويت من الزاوية الشمالية الغربية للخليج الفارسي ، ويمتد من الشرق إلى الغرب مسافة عشرين ميلاً . وهو من حيث الشكل أشبه شيء بهلال ممتد إلى الشمال وأحد طرفيه يتجه إلى الجنوب الغربي .

والخليج نفسه عبارة عن انسياح في الشاطىء العربي ينتهي في الشمال بالضفة الغربية خور صبية الذي تقع فيه جزيرة فيلكه . ويبلغ عرض مدخله ، بين رأس الأرض وضفة خور صبية الغربية ، أربعة أميال ، وهو منفرج إلى الجهة الجنوبية الغربية .

وفي الشاطىء الجنوبي لخليج الكويت توجد ثلاثة أخاديد مائية واحد في أقصى الشرق بين رأس الأرض ورأس العجوزة ، ضحل جداً بحيث أن دخول المراكب إليه خطير . ويعرف القسم الشرقي منه ببندر الشعب ، والقسم الغربي ببنيد القار . وهذا الأخير كان معروفاً لبنيد القار . والأخدود الأوسط بين رأس العجوزة ورأس عشيرج ، يقع مدينة الكويت من الناحية الشرقية ، ويضم جزيرة صغيرة مغطاة بالرمال والوحول من الوسط تعرف بعكاز أو الجزيرة ، وجزيرة قرين من طرف عكاز الجنوبي وجزيرة أم النمل الغربية من رأس عشيرج .

ويشكل الأخدود الثالث في أقصى الغرب والمسمى دوحة كاظمة ويقع بين رأس عشيرج ورأس كاظمة ، القسم الشمالي للخليج كله ، ويقع عند أقصاه قرية الجهراء .

إن الأرض المحيطة بالخليج واطئة باستثناء السلسلة الشمالية حيث يرتفع الرقعة تلال ذات الحدبة للشاطىء بين ١٥٠ و ٤٠٠ قدم . وهنالك رقعة موحلة من الأرض تمتد إلى مسافة قصيرة عبر الشاطىء من ناحية الخليج متدرجة ، ثم يجعل الانتقال بين البر والبحر من الشاطىء (السلسلة حيث) عندما تكون مياه البحر في

كاظمة، والبناء في معظم انحاء الخليج ذات الحالة مناسبة لارساء السفن . ويبلغ عمق الماء عند رأس الجزيرة ٩٠ قامة، ويتراوح بين ست وعشر قامات عند رأس العجوزة وينخفض الى ست قامات عند مدخل جون كاظمة . وهناك شعاب صخرية يغطيها الماء قرب قمتين ذات لدى اشد الخفية وتبعد ميلين ونصف الميل الى الشمال من المدينة . ويعتبر مرسى السفن الكبيرة العميق (الوجوه) يقدر صوبة . ويقع هذا المرسى داخل قشت الخفية ويبعد ميلاً ونصف الى الشمال من المدينة .

وعندما تهب الريح الشمالية يرتفع البحر ارتفاعاً ملحوظاً في القسم الجنوبي من الخليج ، ولكن هذا الارتفاع في كل حسبان لا يشكل خطراً على سفينة كبيرة .

وتوجد منارة في رأس العرض تعمل ضوؤها الكشافة طوال الليل . وهناك منارات ايضاً في رأس العجوزة وضوء أحمر على سطح القسم الأمامي من مبنى الوكالة البريطانية الذي شهد كاتب هذا الكتاب في اكماله سنة ١٩٣٥ .

مدينة الكويت

إن كلمة كويت هي تصغير لكلمة كوت ومعناها الحصن الصغير . ويقال انها تشير الى اولى من أول خاج وأول خيمة هذا الاسم الى الحصن الذي بنوه ... هم في قصورها عند قدومهم الى المكان .

وفي الكتب والسجلات الانكليزية القديمة يشار إلى الكويت عموماً باسم « قرين » وهو مأخوذ بدون شك من جزيرة قرين التي تبعد مسافة قصيرة عن المدينة الى الغرب .

وتبعد مدينة الكويت عن البصرة ٨٠ ميلاً جنوباً وعن ... شرقاً ، وتبعد حوالي ٢٨٠ ميلاً عن البحرين ، وهي تتجه الى الشمال الغربي وتقع على الشاطئ الجنوبي لخليج الكويت ، في مكان هو ثلث الطريق بين مدخل الخليج

في رأس العرض ونهايته في الجهراء .

وتقع مدينة الكويت على الشاطئ، حالياً، مسافة ثلاثة أميال ونصف الميل تقريباً . وقد اتسعت في السنوات القليلة الماضية اتساعاً ملحوظاً باتجاه رأس العجوزة حيث شيد أحد قصور سمو الشيخ . وهذا القصر شيده المرحوم جابر بن مبارك الصباح واخاه قصر الدسمان . ويستخدمه الحاكم الحالي كمجلس وكمقر للاستراحة .

ويبلغ العمق الأقصى للمدينة حوالي ميل وربع إلى مكان بالقرب من وسطها حيث تمتد الضاحية الصغيرة المسماة مرقاب وامتدت من هناك باتجاه الجنوب الغربي .

وإلى الغرب قصر الدسمان بقليل تقع الوكالة السياسية البريطانية الجديدة ومنزلان كبيران بالقرب منها يملك أحدهما شيخ أحمد كبير عائلة آل غانم، والآخر يملكه الشيخ عبدالله الجابر الصباح مدير التعليم في الكويت وحفيد الشيخ عبدالله حاكم الكويت من سنة ١٨٦٦ الى سنة ١٨٩٢ .

وعلى بعد ربع ميل تقريباً من مبنى الوكالة غرباً، تقع المساكن الخاصة بالمرضات . ووراء هذه المساكن يقع المستشفى الحالي المجهز بأحدث أدوات الجراحة وعيادات طب الأسنان والعيون وغرف الأشعة وجناح الأطفال وغيرها .

وعلى بعد ميل تقريباً من المستشفى الى الجنوب الغربي تقع الوكالة السياسية القديمة التي يشغلها حالياً الكاتب وعائلته .

ووراء مبنى الوكالة القديمة وعلى بعد نصف ميل تقريباً، يقع قصر نحوه في المدينة ومبنى الجمارك الواسع الحديث ومحطة شرطة الجمارك . وهنا تبدأ مداخل البازار الرئيسي وشارع الأعمدة الحديث الذي تقع عند نهايته من الجنوب والى الغرب من حي المرقاب السوق المكشوفة المعروفة بالصفاة .

وعلى مسافة قصيرة من مبنى الجمارك الى جهة البحر يصل المرء الى مكاتب شركة غراي ومكنزي المحدودة التي تقع وراءها المدرسة التي افتتحت حديثاً

وتعرف باسم مدرسة الأحمدية .

وفي الطرف الغربي من المدينة تقع مستشفيات ومساكن الإرسالية الأميركية العربية .

ان موقع المدينة على العموم ذو سطح مستو رملي ولكن الساحية الجنوبية الغربية منها تقع على أرض مرتفعة نوعاً فيها مسالك منحدرة لماء الشاطىء . اما شوارعها التي كانت في الأصل غير منتظمة وكثيرة التعطفات ، تحولت الآن (سنة ١٩٥٤) إلى شوارع حديثة عريضة مستقيمة .

والى جانب البزار الرئيسي وشارع الأحمدية ، فإن الشارع الأهم هو شارع الدسمان الذي يسير من قصر الشيخ في المدينة ومبنى الجمارك فيشكل مع البحر زاوية قائمة ، وهو يتجه من الصفاة الى الناحية الشمالية الشرقية من المدينة .

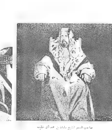
ان معظم المنازل في الكويت تتألف من طابق واحد ولكنها تبدو عالية نظراً لجدران العالية المبنية كحواجز على مدار السطوح . وهذه المنازل عموماً تبنى حول باحة مركزية واسعة ، وأفضل هذه المنازل هو المبني من الحجر المطلي بالجص وله بوابات على شكل قناطر . وتنتشر هـذه القناطر أيضاً في الطبقات العليا . أما نظام الصيانة فهو بدائي . ولكنه بإشراف اللجنة الجديدة المكلفة بتحسين المدينة وتطويرها فقد طرأت عليه تحسينات جلى .

وفي المدينة أكثر من اربعين مسجداً منها تسعة جوامع يصلي فيهـا الناس الجمعة ؛ وكلها بدون استثناء لها مآذن . ومن هذه المساجد : مسجد السوق وهو المسجد الرئيسي ويقع في الجهة الغربية من البزار الرئيسي ، ومسجد العدساني الذي يقع قرب مسجد السوق ، ومسجد هلال ومسجد فضالة في حي المرقاب ، ومسجد ابن منصف الذي يقع قليلاً الى شرق الوكالة القديمة ، ومسجد الشيخ الذي يدعى مسجد آل خليفة وهو ذو مئذنة جميلة رائعة ويقع على البحر قرب القصر ، ومسجد السيد ياسين ومسجد البدار ومسجد الساير في القسم الغربي من المدينة .

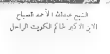
وهنالك مسجد عاشر هو مسجد الملا صالح الواقع على الطريق بين الصفاة وبوابة الجهراء ، سيحول الى جامع قريباً .



صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح
حاكم الكويت



صاحب السمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة
حاكم البحرين



الشيخ عبدالله الأحمد الصباح
الابن الأكبر لحاكم الكويت الراحل

كانت مدينة الكويت في الأصل مدينة مسورة . ويقال انه كانت لها سنة ١٨٢٤ سبع بوابات من جهة البر . ولكن رقعة المدينة توايدت أكثر من أربع مرات منذ ذلك الوقت ، وقليلون هم الأشخاص الذين يعرفون معالم البوابات القديمة اليوم .

وظلت الكويت مدينة مكشوفة غير محصنة عدة سنوات ، ولكنه في سنة ١٩٢٠ مباشرة بعد هزيمة الكويت في معركة حمض ، بنى المرحوم الشيخ سالم الصباح حاكم الكويت في ذلك الوقت سورا حول المدينة ليمنع هجمات الاخوان وهم فئة متحمسة من اواسط الجزيرة العربية . ويبلغ طول هذا السور أكثر من أربعة أميال ، ويمتد من رأس العجوزة حوالي ميلين ونصف الى الجنوب الغربي ثم ينحدر ميلا من الغرب الى الجنوب ثم من الغرب شمالا الى البحر ، ويمتد ربع ميل تقريباً الى ما بعد الارسالية الاميركية .

واليوم توجد في المدينة أربع بوابات هي : دروازة دسمان ، ودروازة البريعي المسماة اليوم دروازة الشعب التي تقود الى حولي ودمنة التي تبدل اسمها سنة ١٩٥٣ الى سالمية ، ودروازة نايف على الطريق الرئيسية الى الرياض ، ودروازة الجهراء التي تقود الى الجهراء .

وبالاضافة الى هذه البوابات الأربع المحمية بالابراج ، توجد قلعة على بعد كل ٢٠٠ يردة على طول السور . وتنتصب خارج السور بين دروازة نايف ودروازة الجهراء خيام كثيرة للبدو . وهناك حركة خروج ودخول مستمرة للجمال والقوافل عبر دروازة نايف . وتعرف هذه المنطقة بمنطقة شامية .

والى جنوب المدينة خارج السور تماماً يقع المطار الذي ينتظر ان تدخل عليه تحسينات كثيرة مع الوقت .

وعلى بعد حوالي ربع ميل الى الجنوب الغربي من دروازة الجهراء تقوم المقبرة المسيحية التي قدم أرضها للحكومة البريطانية عام ١٩١٣ المرحوم الشيخ مبارك الصباح جد الحاكم الحالي . وفي سنة ١٩٣٦ شيدت مقبرة جديدة مسورة داخل المدينة على حساب الحكومة البريطانية . وقد وهب الأرض الشيخ أحمد الجابر

الصباح الحاكم السابق وابن عم الحاكم الحالي .

ويظل الكلام عن مدينة الكويت ناقصاً إذا لم نذكر البناء الفخم الحديث قرب دروازة نايف والذي تشغله دائرة الأمن العام ، وكلية الصبيان التي كلفت مليون جنيه ، والكلية الصناعية ، ومستشفى الأمراض الصدرية ، وهذه المباني تقع على بعد ثلاثة أميال غربي المدينة . هذا فضلاً عن محطة الكهرباء الحديثة ، ومحطة البرق والهاتف، وعشرات المدارس للبنين والبنات بإشراف الشيخ النشيط عبدالله الجابر الصباح ومعاونه السيد عبدالعزيز حسين والسيد مقدادي وهو من أهالي بغداد . ويجب ان لا ننسى المستشفى العام الجديد الذي سيشيد قريباً بين كلية الصبيان ومستشفى الأمراض الصدرية ويتسع لمائة وخمسين سريراً . وكذلك مصنع تكرير الماء الذي اشرنا اليه آنفاً ، ومحطة التوليد الجبارة في صفه .

جهة البحر والملاحة

يبلغ طول الواجهة البحرية للمدينة لثلاثة اميال ونصف . ولتكون اكثر انشغالاً في أواسط شهر آب . وقد كتبت الملاحظات الآتية في مثل هذه الفترة من سنة ١٩٤٤ :

لا تزال الكويت اليوم مكاناً من العالم تقدم بالغ الأهمية لأي شخص يرغب في دراسة مختلف فنون الملاحة في الخليج الفارسي . وأكبر السفن هناك المسماة بوم ، ويملك تجار المدينة أكثر من ١٣٠ واحدة منها . وتقوم هذه السفن كل سنة برحلتين أو أكثر إلى الهند وفي بعض الأحيان الى زنجبار ونهر روفيجي . ولم تمض بعد عدة شهور على رحلاتها التي قامت بها في السنة الماضية ، بيد انها تعد الآن للقيام برحلات جديدة طويلة .

وعلى طول السيف (الميناء) تجد رؤية السفن على المصاطب (فلشه) امام جميع البيوت تقريباً . وفي هواء الصباح الدمث، يتعاقدون مع البحارة ويدفعون لهم النقود .

والأشرعة التي اخرجت من [illegible] وكأنها وحوش بحرية وهي تتأرجح عن الطريق محمولة على اكتاف خمسة عشر أو ستة عشر بحاراً . وقبل ان توضع هذه الأشرعة في امكنتها على ظهر السفينة ، تنشر لادخال اية تصليحات لازمة عليها .

ويظل المشهد مثيراً مشغولاً [illegible] إلى أن تقلع هذه السفن الى البصرة في اوائل كانون الأول ، تحمل التمور الى الهند .

وهنالك أنواع أصغر من الزوارق تدعى سنبوك وشوعي . وقد عادت هذه الزوارق من المغاصات التي كانت تصطاد عليها اللؤلؤ ، باكراً بسبب حلول شهر رمضان ، وهي الآن تقف على الشاطىء او داخل ارصفة الميناء [illegible] في انتظار [illegible] بداية [illegible] .

إن بين زوارق كثيرة هذه السنة نظراً لصعوبة الحصول على الأخشاب اللازمة من الهند بسبب الحرب . ولكنه في الأحوال العادية يشاهد المرء مئة زورق على المشاغل كل صيف . وإلى غرب المدينة خارج سور البلد [illegible] يعملون في بناء زوارق غريبة من خشب يستورد خصيصاً من أمريكا . ويشرف على هذا العمل الشهير باني زوارق في الكويت وهو الحاج أحمد الأصفر .

[illegible] وأولاده يرعون في بناء نماذج صغيرة من كل أنواع الزوارق الشراعية . وكثيرون من رجال الأسطول الملكي البريطاني وغيرهم من الزائرين حملوا معهم نماذج [illegible] وغيرها من زوارق صيد اللؤلؤ ، تذكاراً لزيارتهم . ومنذ حوالي تسعة اعوام حمل امير البريطاني معه واحداً من هذه النماذج الكاملة واهداه الى متحف العلوم في ساوث كنسنغتون .

أما موسم زوارق اللعب للأطفال فيأتي فيما بعد عندما يكون البندر خالياً مهجوراً باستثناء بعض سفن الصيد القديمة . وفي هذا الوقت يجد المرء أشياء كثيرة يتمتعون بها . وهنالك مواقع آمنة تسمى [illegible] وهي أماكن ملائمة [illegible] لكي يتعلموا فنون الملاحة . فعندما يصبح الولد قادراً على السباحة يعطى زورقاً صغيراً مصنوعاً من [illegible] بطول [illegible] فيه [illegible] أو يرفع عليه شراعاً

سفيراً عندما تهب نسمة خفيفة . وفيما بعد يعطى « سوري » حقيقي .

والشوري عبارة عن زورق صغير مصنوع من جسنجل مجوف ويحمل على ظهر زورق أكبر . وهو خفيف وسهل التداول يستخدمه الرجال الذين يراقبون المسقور (شباك من البردي تنصب للأسماك) ويذهبون للاستطلاع في الشباك المنصوبة في المياه المنخفضة . أما الذين يصطادون السمك بالقرب من الشاطىء يستخدمون زورقاً بدائياً يسمى « وارجيجة » وهو مصنوع من الجريد (سيقان من سعف النخل) المشدود بعضه ببعض بالقنب وهو حبل مصنوع من ألياف سعف النخل الآنف الذكر .

« والوارجيجة » حاد الطرفين ويمكن تجديفه بأي من الاتجاهين وله مجداف ... خفيف بعض الأحيان يطلق على عمود صغير يبرز طرفه السفلي في ثقب في وسط الزورق . وعندما تصطاد الأسماك تلقى في قعر الزورق حيث تعيش في الماء الذي يتسرب اليه إلى أن يعود الصياد الى الشاطىء مالئاً سلته بها .

المناخ والسكان

يشبه مناخ الكويت مناخ المراكز الأخرى على الخليج الفارسي ومناخ معظم ... الشرق . ففي الشتاء شديد البرودة وخصوصاً عندما تهب الرياح الشمالية . وقد وصلت درجة الحرارة في كانون الثاني سنة ١٩١٩ الى ٢٤ درجة فهرنهايت أي حوالي ٨ درجات مئوية تحت الصفر . وفي الصيف يلطف نسيم البحر حرارة الشمس ... الصحراء المحرقة في الليل . ... معدل درجات الحرارة القصوى ... شهر ١١٥ درجة فهرنهيت و ٣٥ درجة فهرنهايت أي ٤٤ درجة مئوية ودرجتان مئويتان . ... لا يزيد معدل تساقط الأمطار عن خمس بوصات .

وكان عدد سكان مدينة الكويت سنة ١٩٥٢ ما يزيد عن ١٦٠ ألف نسمة . وقد ارتفع هذا العدد في نهاية ١٩٥٣ الى ٢٥٠ ألف نسمة بسبب تدفق الأيدي العاملة الأجنبية . والأغلبية العظمى من السكان الداخليين من العرب من قبائل عتوب ، وعوازم ، ورشايدة ، وبني خالد ، ودواسر ، وعجمان ، وظفير ،

والظاهر . الى جانب الحسوية ، اي من عرب الأحساء ، والبحارنة من البحرين . اما الجالية الإيرانية التي تزايد عددها بصورة مفضحة في السنوات القليلة الماضية ، فيبلغ عدد أفرادها حوالي ٣٠ الف نسمة . ومن هؤلاء عدد قليل من التجار أما الغالبية العظمى فهي من العمال . وباستثناء الإيرانيين والبحارنة وبعض الحسوية الذين هم من الشيعة ، فإن مسلمي الكويت كلهم تقريباً من السنة . ويحج من سكان الكويت الى مكة سنوياً حوالي ٦٠٠ حاج فانظ يسافرون الى الأماكن المقدسة بطريق البر عادة .

أما العائلات الرئيسية في الكويت بحسب عدد الذكور فيها فهي كما يلي :

العائلة	عدد الرجال تقريباً
قناعات	٢٥٠٠
آل خالد	٢٠٠
آل زايد (آل غانم)	١٥٠
آل سيف (بما فيهم ابن رومي وآل شملان)	١٥٠
آل بدر	٥٠
آل جليل	٥٠
آل صالح	٥٠
آل صقر	٣٠

وقد اعطاني التفاصيل المدونة اعلاه عبد اللطيف رئيس عائلة آل جليل والشيخ عبدالله الجابر .

وتشتق كلمة زايد من زيادة ومعناها الكثرة للدلالة على ان اجداد العائلة كانوا يملكون اعداداً من الاغنام والجمال أكثر من غيرهم من العرب . ويرجع أصل جميع العائلات التي تشكل جماعة آل زايد في الكويت الى عنيزة . وكما ذكرنا سابقاً فقد قدموا الى الكويت من قطر مع آل الصباح وآل خليفة منذ قرنين ونصف من الزمان .

ويعرف آل زايد اليوم بآل غانم ومنهم الأشخاص التالية اسماؤهم :
شاهين بن محمد الغانم .
أحمد بن محمد الغانم (رئيس العائلة اليوم) .
ابراهيم بن محمد الغانم .
خليفة بن شاهين الغانم .
محمد الثنيان الغانم .
يوسف بن ابراهيم الغانم .
ابراهيم بن محمد الجبار الغانم .
عبد الوهاب بن خليفة الشاهين الغانم .
ويتصل بهم بصلات قربى كل من :
خالد الغانم الزايد .
عبد الوهاب بن عيسى قطامي الزايد .
عبد الوهاب بن عبد العزيز الزايد .

وكان حاكم الكويت السابق المرحوم الشيخ أحمد الجابر الصباح متزوجاً من حصة ابنة ابراهيم بن محمد الجبار الغانم وله منها عدة أولاد أشهرهم : عبـد الله الأحمد الجابر الصباح ، ومحمد الأحمد الجابر الصباح ، ومنيره وهي اليوم زوجـة الشيخ عبدالله الجابر الصباح .

الامكانيات العسكرية

يحتفظ حاكم الكويت بحرس خاص قوامه خمسون رجلا وبقوة نظامية يربو عددها على الألف . وقد قام بتدريب هذه القوة ضباط بريطانيون وفلسطينيون ومهمة هذه القوة المجهزة ببنادق من عيار ٣٠٣ر. حماية شخص الحاكم وحراسة المدينة وحماية منشآت شركة النفط في الاحمدي . هذا بالاضافة الى ١٨٠ حارساً تحتفظ بهم شركة النفط الانكلو – اميركية .

وفي حالة الحرب يمكن تجنيد حوالي ٢٠٠٠ رجـال آخر والحاقهم بالقوة

النظامية . ويستطيع الشيخ ان يجمع هذا العدد من الرجال من قبائـــل البدو الخاضعة لنفوذه . ويمكن ايضاً تجنيد ٣٠٠٠ رجـــل من السكان المستوطنين . ففي أيام معركة جهرة في تشرين الأول سنة ١٩٢٠ دعي جميع رجـــال مدينة الكويت القادرين جسمياً الى الخدمة العسكرية . ولعدة اسابيع بعد المعركة كان على كل دار في المدينة ان يقدم عدداً معيناً من رجال الحامية لحراسة سور المدينة في الليل .

وفي حالة طوارىء يملك الشيخ عتاداً حربياً يتألف من ٤٠٠٠ مسدس موزر وبندقية وبعضها مع وافر من الذخيرة . وفي سنة ١٩٣٣ اضاف الشيخ أحمد الجابر الى قواته المسلحة عشر سيارات مصفحة حديثة مثبتة في كل منها بندقية سريعة جديدة . وعزز قدمه سنة ١٩٥٣ باضافة ١٤ دبابة خفيفة ، ورشاشـــة ربع طن وسيارات خفيفة في كانون الثاني سنة ١٩٥٤ .

ويملك الشيخ عبدالله السالم أيضاً ٤٢ شاحنة شيفروليه صغيرة كل واحـــدة منهـــا مجهزة ببندقية من طراز « لويس » مثبتة على ركيزة مثقلة « الكوانتو » وشاحنة شيفروليه كبيرة على ظهرها مدفع رشاش من طراز « فيكرز » مثبت بالطريقة ذاتها . وإذا دعت الحاجة لنقل قوات بسرعة الى أية نقطة مهددة فإنه يستطيع بإشارة ان يحصل على ٢٠٠ شاحنة ثقيلة الاحجام من المدينة .

المواصلات

ان السفر في الكويت ليس سهلاً مع ان سطح الارض خـــال من العوائق الطبيعية . وعندما يخرج المرء من المدينة باي اتجاه فإنه لن يجد الا كمية قليلة من الكلأ ، وعليـــه ان يحمل معه زاده من الماء والطعام ، باستثناء خمس قرى رئيسية هي : الجهراء والفنطاس وأبو حليفة والفحيحيل والشعيبة . وبالنسبـــة للعلف فإن الأمر أسهل وبامكان المواشي من كل نوع ان تجد لنفسها ما تقتات به . اما الماء فهو نادر في كل مكان وخاصة الى الشمال والشمال الغربي من الجهراء، واختيار الطريق ووجهة السير يقررها موقع الآبار وحالتها .

ولسهولة السيارات في البلاد خططت طريق ممتازة بين الكويت والرياض تسلك الاتجاه التالي : الكويت – منقيش – شمرة – الدريش – الجانب الغربي من الشق – جاريه (أو قاريه) – عليه – نوبي – كنوا – الجانب الشرقي من رمس مقلدة مطلق رماح) – رماح – مرويب – بنيان – الرياض . وقرب كثيرا وفي وسط رمال عدادة تلتقي هذه الطريق بطريق الهفوف عاصمة الاحساء القاعدة الشرقية من المملكة العربية السعودية .

وتلبية لعمليات العسكرية ، فان جميع البلاد صالحة لسير المشاة السريعة وسيارات التجول ، باستثناء منطقة الكثب الرملية الواقعة جنوب غربي مدينة الكويت . ويتم إنشاء خمس طرقات رئيسية معبدة وقامت بوجبه خطط التنمية جديدة . هذه الطرقات هي : الكويت – صفوان – الجهراء – رقعي – الكويت – منقيش – الكويت – قرن مقصور (وهذه طريق محاذاة الشاطئ) – الكويت – نزل عن الحدود الجنوبية للمنطقة الحايدة .

النباتات والحيوانات

النباتات في الكويت نادرة الوجود وفي الشتاء يكتسي أرضها . والأشجار الوحيدة الموجودة هي النخيل والسدر (او ...) والأثل وحتى هذه لا تجدها الا في جوار القرى .

والأعشاب الموجودة خاصة في المناطق الشمالية والشرقية والجنوبية وفي تفتقر جيدا الجمال فيها : العرفج وهو عشب ذو طعم مالح التي المرعة يعرف عموما باسم حمض ، والعوسج وهو نبات شوكي ذو أوراق صغيرة وأزهار حمراء تشبه شرش .

ويكثر الحنظل ، وهو من فصيلة القرعيات ، في الصحراء الغربية . وتنمو أعشاب تعرف محليا باسم ثمام وشيدا جنوب خليج الكويت وفوق مساحة واسعة جنوب المدينة وراما . ويضم العشب المسمى تسي بكثرة الى غرب الشق .

ويأخذ البدو جمالهم كل عشرة أيام أو خمسة عشر يوما الى الأماكن التي يكثر

فيها حمض للرعي مدة اسبوع تقريباً . ويقول البدو ان المراعي في هذه الأعشاب مفيدة للجمال وتجعلها بصحة جيدة .

وفيما يلي قائمة بأسماء أنواع الحمض المختلفة في شرقي الجزيرة العربية :
عثروم ، ضمران ، جقراف ، العجاوة ، حمض (حنظل) ، هرم ، رمعض ، شيرد ، شنان ، سويد .

الجمل لا يأكل الحنظل ولكن الأغنام تحبه وتسمن عليه . ومن الغريب انه يؤثر على الأغنام بحيث انها لا تحتاج الماء حتى في اشد الأيام قيظاً . ويعرف الرعاة هذه الحقيقة ولذلك يسوقون أغنامهم الى حيث يوجد هذا العشب عندما يتأخر هطول الأمطار او عندما يتعذر عليهم ايجاد الماء .

وتجدر الإشارة هنا الى ان آل مرة وهم قبيلة ارستقراطية في جنوب المملكة السعودية يستخدمون كلمة نزايع لوصف الأماكن التي تنمو فيها عدة أنواع من الحمض مع بعضها .

وتتركز الزراعة في الكويت في جوار جهرة وسنتطرق إلى ذلك عندما نتحدث عن جهرة في الفصل القادم .

الطيور نادرة في الكويت إلا في مواسم الهجرة . ففي الشتاء تكثر الحباري والقطا . وفي اواخر الخريف وأواخر الربيع بالإمكان ان تصبح الكويت مركزاً ملائماً لدراسة هجرة الطيور التي تنتقل من المناطق الاستوائية الى اوروبا وشمال آسيا الشرقي . ويبدو ان الكويت تقع على خط هجرة هذه الطيور .

ومن الحيوانات البرية في الكويت الأرنب والثعلب وثلاثة انواع من الغزلان هي : الأدمي والعفري والريم .

فالأدمي ، خلافاً للعفري ، ليست له بقع بيضاء تحت العين . ولون رأسه بني مائل الى الحمرة وجسده بني فاتح . وله ، كالعفري ، بقعة سوداء تعرف بالحرقة فوق الأنف . والعفري هو اصغر الغزلان وأكثرها انتشاراً في شمال شرق الجزيرة العربية . ويمكن تمييزه بالبقعة السوداء فوق الأنف وبالخطوط البيضاء على الوجنتين من العين نزولاً . وله ايضاً شامات من الشعر الأسود تحت

الركبتين الأماميتين .

ويمكن تمييز الريم بالخد الأبيض على جانبي الخط البني في الوسط . ويشبه بذلك العفري . ولكن الخط الأبيض في الريم أعرض منه في العفري ويرتفع ويمتد الى ما وراء العين . وحوالي العين وتحتها توجد عدة علامات سوداء وبنية قاتمة . وللريم « كالعفري والعفمي » بقعة سوداء في وسط الرأس فوق الأنف . ولون جسده بني فاتح جداً ويبدو عن بعد كأنه أبيض .

ويشكك بعض المطلعين وجود الفهد في الجزيرة العربية ولكن واحداً منهما قتل صدفة في ١٥ آذار سنة ١٩٥٠ على بعد ٧٠ ميلاً غربي بدنة وهي محطة لضخ البترول التابعة لخط التابلاين الممتد من أبقيق الى البحر المتوسط . حدث ذلك عندما كان ترتي فالنتاين وهو مهندس يعمل مع التابلاين متوجهاً الى محل في سيارته فهاجم الفهد على السيارة فقتله .

ولقد تسنى لي رؤية جلد ذلك الفهد ويبلغ طوله ستة اقدام واربع بوصات وكان في حالة سليمة . وهو ابيض اللون وفيه بقع سوداء في كل مكان باستثناء أسفل البطن . اما اقدامه ومخالبه فهي اقرب الى اقدام كلب كبير منهـا الى أقدام ومخالب القط او الصقور « وله سالفان بارزان . وقد اكد متحف التاريخ الطبيعي في بريطانيا عندما ارسلت لهم الصورة والأوصاف ان الحيوان هو فهد .

ويوجد كثير من الأفاعي في منطقة الكويت الساحلية الجنوبية . ولكن معظم هذه الأفاعي غير سامة .

وقد وصف لي صديقي صالح المري مرافق الشيخ عبدالله المبارك الصباح مدير الأمن العام وقائد قوات الكويت المسلحة ، يوم ٨ ايار سنة ١٩٤٨ ، الأفعى الرهيبة المسماة حام وهي كوبرا سوداء يعرفها أهل الأحساء باسم عبد . وقال ان طولها يبلغ خمسة أقدام وانصف بيطء وهي سامة جداً وعندما يقتلها البدو يطلقون عليها النار من بعيد . وقال صالح ان تلك الأفعى تسير غالباً في الليل وتحدث صوتاً كصوت جدي صغير . وإذا اقترب منها أحد تهاجمه . وحدثني صالح ايضاً انه شاهد أثر سير هذه الأفعى قرب أم قصر .

... من الأمام فهو ... وهنالك عدة أنواع أخرى تعرف جميعها باسم دبى .

ويأتي الجراد الكويت كل سنة تقريباً بأسراب مختلفة الحجم حسب كمية هطول الأمطار ، فكلما كان هطول الأمطار شديداً في الشتاء كثر الجراد كثيراً في الربيع . وقد كتبت في ... سنة ١٩٥٤ : انهم ... وزوارهم ... .

ان أعظم ما كتب في وصف غزو الجراد هو ما ورد في الاصحاح الأول والثاني من سفر يوئيل في التوراة وبه انهي الفصل الأول من هذا الكتاب :

أمة قوية غزت أرضي ، لا عد لها ولا حصر ، انيابها كأنياب الأسد ، تركت كرومي خربة ونزعت قشور شجرة التين في بستاني فطرحتها جانباً عارية أغصانها بيضاء كضحايا الموت . أتلفت الحقل وتركته حزيناً ... القمح الذي ضاع . لقد ... وفسد الزيت ... كيف ... المواشي هكذا ... لأنها فقدت المرعى .. والأغنام بائسة محرومة .

يوم مظلم قاتم .. يوم غائم شديد الظلمة .. وعنده ... على الجبال : شعب عظيم قوي كالنار يلتهم كل شيء ... ومظهرهم كمظهر الخيول ... يقفزون كأصوات العربات ... يتسلقون الجدران كرجال الحرب .. يسيرون كل واحد منهم في طريقه ولا يتركون صفوفهم .. ... في المدينة .. يتسلقون الجدران والمنازل .. يدخلون من النوافذ كاللصوص .. تتزلزل الأرض أمامهم وترتعد السماء .. الشمس والقمر يحتجبان وأشعة النجوم ... .

الفصل الثاني

المناطق والقرى حول الكويت وشرق الجزيرة العربية

العدان

العدان منطقة محاطة بمنطقة تقرعة من الشمال والكبد من الغرب والصبيح من الجنوب. وتبدأ من نقطة تبعد ١٦ ميلاً الى الجنوب من مدينة الكويت وراء ملح الواقعة في منطقة تقرعة مباشرة. وتمتد منطقة العدان ٢٥ ميلاً جنوباً نحو تلة قرين التي تشكل حدودها وحدود منطقة الكويت، مع منطقة الملح.

وتقع على زاويتي عدان الشمالية الغربية والجنوبية الغربية تسمة الدبدبيات وأبو سبحية على التوالي. ويظهر ان عرض المنطقة من البحر الى الداخل يتراوح بين عشرة أميال وعشرين ميلاً. ومقابل البحر تمتد عدان الى الشمال اعتباراً من مقوع وتضم القرى التالية: فناطيس، فنطاس، ابو حليفة، فحيحيل، وشعيبه. وهذه القرى مجتمعة تعرف باسم القصور. والى الجهة الشرقية من عدان توجد سلسلة مرتفعة تشرف على البحر اسمها ظهر محدان حيث تقع مدينة النفط الجديدة الأحمدي. وهناك توجد الخزانات التي يضخ فيها النفط من آبار مقوى وبرقان قبل ان ينحدر، بفعل الجاذبية، في الأنابيب الى ميناء الأحمدي.

وفي عدان توجد الانقاض الوحيدة ذات القيمة الأثرية في الكويت. وهذه الآثار عبارة عن نواويس وجدت في تلة تعرف باسم خزنه وتبعد ستة أميال الى

الشرق من هذا الوادي .

والقبور الموجودة هناك تتجه من الشرق إلى الغرب [illegible] فهي ليست قبوراً إسلامية قطعاً. وتتألف هذه القبور مساحة مرتفعة من الأرض تقدر حوالي ٥٠٠ قدم مربعة، وهي [illegible] مشتركة من الأرض وطول الواحد منها خمسة أقدام وعرضه [illegible] وتغطى بصفائح ويبلغ عمقه قدمين [illegible] حوالي أربع وحدات . وقد دفنت هذه النواويس في الأرض على عمق أربعة أقدام ووضعت فوقها أعداد كبيرة من الحجارة المختلفة الأشكال يبلغ حجم الواحد منها قدمين مكعبين . ولا توجد أية كتابة على هذه النواويس . ولكنه عثر على قطعة نقود نحاسية قرب المكان يبدو أنها فارسية مسكوكة في بغداد ويعود تاريخها إلى القرن السابع عشر أو الثامن عشر بعد الميلاد .

ويمكن معرفة مدى وطبيعة منطقة عمان من معرفة القرى والآبار والمعالم الطبيعية التالية :

أبو حليفة : وهي قرية ساحلية تقع على بعد ٢١ ميلاً جنوب الجنوب الشرقي لمدينة الكويت . وتتألف من ١٦٠ بيتاً ويسكنها عرب من أصول مختلفة . وفي القرية حوالي ألف شجرة نخيل مثمرة وثلاثون بئراً فيها مياه صالحة [illegible] من آبار تستخدم للري . ويزرع فيها الشعير والبطيخ وبعض الخضار . ويقوم فيها عدد من أشجار السدر . وهي قرية من قرى القيظ يؤمها أهل المدينة في فصول معينة من السنة . ويصلها بمدينة الكويت قريباً طريق عربات حديث . وفي ٢١ أيار سنة ١٩٣٧ اكتشف السيد لاتيمر الذي كان يعمل لشركة نفط الكويت [illegible] من الأصوات [illegible] على مسافة ثلاثة أميال إلى الجنوب الغربي من قرية أبو حليفة .

عريفجان : وهي آبار ذات مياه جيدة تبعد خمسة أميال إلى الغرب من قليعة العبد على الشاطئ .

عوهجيه : وهي آبار ذات مياه مالحة للغنم يبلغ عمقها اثني عشر قدماً وتبعد ثلاثة أميال إلى الشمال الشرقي من صبيحيه .

برقان : وهي سلسلة تلال ارتفاعها مئة قدم وتضم فجوة الحرق من ترسبات القار، وتبعد هذه التلال عن مدينة الكويت ٢٥ ميلاً الى الجنوب وتبعد ١٣ ميلاً عن الساحل . وتقع تلال برقان وسط حقول النفط الرئيسية التابعة لشركة نفط الكويت . والتنقيب عن النفط سائر مستمر لذلك فإن عدد الآبار يختلف من دورة لأخرى . وفي الوقت الذي كتب فيه هذا الكتاب كانت هنالك ١٥٠ بئراً بما في ذلك آبار مقوع ، وكانت هنالك ثلاث أخرى يجري العمل بها . وفي سنة ١٩٣٨ اكتشف الكاتب في تلال برقان عدة أدوات صوانية من نوع رأس السهم وأدوات الحفر ، وقد أرسلت هذه الأدوات الى متحف لندن حيث حكم عليها الخبراء بأنها من العصر الحجري المتأخر .

دشته : وهي عبارة عن سهل رملي منبسط ومستو يمتد جنوباً عدة أميال على طول الشاطئ من قليبة الفنطاس ويمتد الى بعد ثلاثة أميال الى الداخل . وهنالك في دشته توجد مجموعات من الطرفاء وهي شجيرات صغيرة لها أزهار وردية اللون . وعلى بعد خمسة أميال من قليبة الفنطاس وثلاثة أرباع الميل من الشاطئ يوجد كثيب من الرمل الأبيض يعرف باسم نبعة دشته .

دسمه : وهي آبار مياه مالحة تقع في جنوب خمسة أميال الى الغرب من شعيبة .

فحيحيل : وهي احدى قرى الصدور على البحر ، وتبعد ٢٤ ميلاً ونصف الميل الى جنوب الجنوب الشرقي من مدينة الكويت . وفيها مسجدين وحوالي ٢٥٠ بيت وفيها ٣٠ بئراً من المياه الصالحة على عمق ١٨ قدماً . وفي القرية حوالي ٢٠٠ شجرة نخيل ، ويزرع فيها بعض القمح والشعير والبطيخ الذي يروى من الآبار . ويتألف سكان القرية الذين ينتمون الى قبائل عربية متعددة عدة قطعات من بحر وناخر . وقد بدأت القرية تزدهر لأن أهاليها المينة بالمستوى الاجتماعي في الدول معينة من الثمنية والأبار قريبة من ميناء الأحمدي .

فنطاس : وهي قرية أخرى من قرى الصدور على البحر وتبعد ١٦ ميلاً الى جنوب الجنوب الشرقي من مدينة الكويت ، وفيها ١٢٠ بيتاً مثلاً من العرب

الذين ينتمون الى قبائل مختلفة كما في الكويت وفحيحيل . وفي القرية حوالي ٣٠ بئراً بعضها ذو مياه مالحة وبعضها الآخر ذو مياه عذبة على عمق ٢٠ قدماً . ويبلغ اتساع فوهة البئر ٢٠ قدماً من كل جانب مما يمكن من السكن ان تعمل لسحب الماء منها ثلاث فرق من العبيد في وقت واحد .

والزراعة في فنطاس أغنى منها في جيرانها مع ان الارض المزروعة في فنطاس أقل مساحة . ويزرع أهالي القرية الشعير والعدس والبطيخ والفجل والبصل . ويوجد فيها ٦٠٠ شجرة نخيل وبعض أشجار السدر والمشمش ، وينتظر الازدهار هذه القرية ايضاً عند اكمال الطريق المزفت الذي يصل القصور بمدينة الكويت .

فنطاس : وهي قرية أخرى من قرى القصور على البحر وتبعد ثلاثة أميال الى الجنوب من رأس الأرض . وفيها ست أو سبع آبار على عمق ١٢ قدماً .

حنيطيل : وهي مجموعة آبار على الشاطىء تبعد ميلين الى الشمال من فنطاس . وعدد هذه الآبار كبير ولكن اثنين منها فقط تحتوي على الماء على عمق ١٨ قدماً .

جميدان : وهي أرض منخفضة طولها ميل وعرضها ميل وتبعد ميلاً واحداً عن برقان الى الشمال ، تشكلها قنية العرايم . فيها عدة آبار ماء حولها بعض أشجار النخيل والسدر . وقد عثرت شركة نفط العراق اول ما عثرت على النفط بالقرب من شجرة سدر منفردة بجوار آبار جميدان . وكان ذلك سنة ١٩٣٧ بعد محاولات يائسة للعثور على النفط في جبرا شمال خليج الكويت .

القيعة : وهي آبار مياهها جيدة تكسها قنية الرحية ، عمقها ٢٠ قدماً وتقع على بعد ٢٥ ميلاً الى جنوب شرق مدينة الكويت على الطريق بين برقان ووفرة .

مشيقة : وهي تسع آبار مياهها صالحة للشرب عمقها ٢١ قدماً . وتقع هذه الآبار على الساحل بين فنطاس وحنيطيل .

مزارع : وهي أرض مزروعة تبعد بضعة أميال وفيها آبار قليلة العمق ، وتقع على بعد ثلاثة أميال الى شمال غرب القيعة .

ميناء الأحمدي : وهو المرفأ الكبير الذي تستخدمه شركة نفط الكويت

لتصدير النفط الخام . وهناك تقوم مدينة حديثة رائعة ومدفة النفط . ان أرصفة النقل والتجهيزات الموجودة في ميناء الأحمدي تعتبر أحسن وأحدث ما في العالم . وتقوم هناك ايضاً منارة عظيمة يبلغ مداها ٢٠ ميلاً . ويستطيع الميناء ان يتسع لتحميل ١٤ ناقلة في وقت واحد ، كما ان هنالك ثلاثة أنابيب غواصة الى السفن من الرصيف الرئيسي . ويصدر الميناء حالياً ٨٠٠ الف برميل يومياً وينتظر أن يصل هذا الرقم إلى المليون قريباً . ان ميناء الأحمدي يتزايد في الحجم والأهمية كل شهر فيما تستمر التنمية الحيالية .

مشاش حيينان : وهي آبار تحت قرب مينة جارية على عمق ١٨ قدماً وتقع قرب المزارع مباشرة .

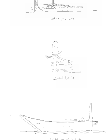
معيدتيلى : وهي مجموعة من ثلاث تلال واطئة تحتوي على الكبريت الذي تفوح منه رائحة قوية . وهناك مركز لحقل الجديد للنفط الذي تملكه شركة نفط الكويت . والتع معيقبات على بعد أربعة أميال إلى الغرب من حجري في منطقة قرعة .

قليعة العبيد : وهي مرتفع صخري ذال متبسط السطح على الساحل يحتضن خليجاً صغيراً يتخذه صيادو اللؤلؤ ملجأ لهم في الطقس العاصف . ويقع هذا المرتفع على بعد خمسة أميال إلى الغرب من رأس القليعة . وعلى بعد عشرة أميال الى الجنوب الشرقي من شعيبة . وليس في هذا المكان ماء . ويقال ان جماعة من شعيبة الذين استولت عليه وهاجمت عنه منذ سنوات خلت .

رأس القليعة : وهو رأس بارز داخل في البحر ليس فيه ماء ويقع على بعد ١٥ ميلاً إلى الجنوب الشرقي من شعيبة .

ملوي : وهي عبارة عن مئة بئر منتشرة بجوار قليط من الجهة الشمالية الشرقية . وهذه الآبار فيها مياه صالحة على عمق ١٨ قدماً ولكنه ليست حرقة وزراعة .

شعيبه : وهي آخر قرية ساحلية الى اقصى الجنوب في منطقة عدان وهي ايضاً من قرى القصور . وتقع هذه القرية على بعد ٢٧ ميلاً الى الجنوب الجنوب الغربي من

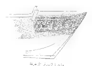


بدن من مسقط

بقارة من الساحل الجنوبي



زورق من جزائر الفلبين



مؤخرة الزورق المزخرفة

مدينة الكويت وفيها ١٠٠ منزل يسكنها أصحابها بصورة مؤقتة ، وعدد من المنازل الصغيرة [illegible] وحوله ، تسكن من وقت الى آخر ، وفيها أيضاً آثار قلعة كانت في يوم من الأيام المصيف المفضل لدى الشيخ جابر بن مبارك الصباح . وفي القرية عشر آبار تحتوي على مياه صالحة للشرب على عمق ١٥ قدماً ، وهناك أيضاً حوالي ١٥٠ شجرة نخيل وبعض أشجار السدر وقليل من زراعة القمح والشعير . ويملك سكان القرية مركباً أو مركبين . ان قرية شعيبة مخصصة في التوسع والازدهار وهي تقع مباشرة الى جنوب المدينة الحديثة على ميناء الأحمدي .

طويل : وهي مجموعة من اثنتي عشرة بئراً مياهها عذبة وعمقها حوالي ٤٠ قدماً وتقع على بعد ستة أميال الى الغرب من وفرا .

أم القبان : وهي ثلاث آبار عمق ١٨ قدماً وفيها مياه صالحة للشرب . وتوجد الى الشرق ثلاثة أميال الى الجنوب من شعيبة وتقع بجانب ميناء عبدالله وهو الميناء التي تستخدمه لشحن النفط شركة النفط الأمريكية المستقلة .

أم قصبة : وهي مجموعة آبار صغيرة مياهها مالحة تقع بالقرب من الساحل على بعد خمسة أميال الى الجنوب من شعيبة .

أم صفق : وهي آبار ذات مياه صالحة على عمق ١٥ قدماً . تقع على بعد ميلين من أبيض الى الشمال الشرقي ، ويشتهر هذا المكان بزراعة البطيخ .

عقيلة : وهي آبار قرب الساحل تبعد عدة أميال عن شعيبة جنوباً وتسمى أيضاً ام العوسج نظراً لكثرة ما ينبت حولها من العوسج .

وفرا : وهي قمة عالية من الحجر الأسود ، يبلغ ارتفاعها ٢٠٠ قدم . شبه برجية مخروطية الشكل . وتقع وفرا على بعد سبعة أميال الى الشمال الغربي من برقان .

البحرين

البحرين اسم يطلق على مجموعة الجزر الواقعة في الخليج بين ساحل الاحساء

في المملكة العربية السعودية من جهة الغرب ، وبين شبه جزيرة قطر من جهة الشرق . وأكبر هذه الجزر الجزيرة التي كانت تدعى سابقاً آوال (١) وعاصمة البحرين المنامة ، ويبلغ طول هذه الجزيرة ٣٠ ميلاً وعرضها عشرة أميال ، ... التي تمتد ثلاثة أميال على طول شاطئ الجزيرة الشمالي . ومعظم سكان الجزيرة عرب ... من الشيعة . والصناعة الرئيسية فيها صيد اللؤلؤ وقد اكتشف النفط هناك سنة ١٩٣٢ .

والبحرين مشيخة مستقلة تحكمها عائلة آل خليفة ، وترتبط مع بريطانيا بمعاهدات وثيقة . وتمثل الحكومة البريطانية في البحرين وكيل سياسي يعمل تحت إشراف المقيم السياسي في الخليج الفارسي الذي كان يتخذ مقره الدائم في بوشهر (٢) على الشاطئ الشرقي في الخليج ولكنه مقيم في البحرين الآن . وتعتبر المنامة محطة رئيسية للأسطول الملكي البريطاني في الخليج الفارسي . وتتخذ شركة الخطوط الجوية البريطانية من البحرين محطة رئيسية للتموين لأنها تقع في طريق خطها الممتد إلى الهند و ... والشرق الأقصى . ويقع المطار في جزيرة ... شرق ... مباشرة وتتصل بها بطريق مرتفع .

وفي سهل صحراوي في القسم الشمالي من الجزيرة الرئيسية توجد ... آلاف من القبور قديمة العهد ولا يعرف أصلها بالضبط ولكنها تعتبر أكبر مقبرة في العالم ... قبور الفينيقيين ... الثاني قبل الميلاد ... في ... الكتابة ... في ... العراق ...

الباطن

الباطن هو القسم الأدنى المنخفض من ... وادي الرمة (٣) العظيم الذي يقع ... الوسطى ومعظمها في المملكة العربية السعودية . ويقول بعض المراجع أن الاسم أطلق على الوادي ... من قسم (٤) ... ولكن الناس درجوا على تسمية القسم ... في ... الرمة ... باسم وادي ... وحرا ... الأسم ...

بوبيان .

ويمكن القول ان الماء يوجد في كل مساحة ٥٥ ميلاً مربعاً تقريباً حتى تنتهي ، ويستخرج من ركية في نقعي [illegible] وعلى عمق ثلاثة أمتار في منطقة مرتفعة ، وتقع في منطقة ٣٥ ميلاً عن البصرة حيث يتقي .

وليس هناك [illegible] الخليج ، ويختلف عرضه من أربعة اميال الى عشرة اميال ، وعدد [illegible] في وقت يصبح عريضاً جداً وقليل العمق ، ويبلغ عرض [illegible] في حفر على ثلاثة امتار ولكن أقل من ذلك بكثير في أماكن أخرى ، ويصبح على بعد مسافة قليلة من [illegible] من سطح الارض ، ولا يوجد في [illegible] شيئاً ، ويمكن [illegible] مغطى بطبقة من الترسبات الخفيفة ، التي تكون [illegible] تدريجياً من الاسفل ، وتثبت على هذه الطبقة مجموعات من الاشجار والشجيرات التي [illegible] وغير طوال ، [illegible] من البصرة والكويت في [illegible] في بعض [illegible] ، ويمتاز طريق الكويت [illegible] في [illegible] .

هضبة الهجل

وهذه هضبة من التلال الرملية في منطقة تختلف عن ملكيتها ، وتقع بين الكويت وبين دوحة بلبول في الاحساء ، وهذه المنطقة هي الآن في المملكة العربية السعودية ، وتكون الكويت حدها [illegible] ، وتتجه هذه السلسلة من الشرق الى الغرب ، [illegible] في منطقة [illegible] وكاز [illegible] في [illegible] ، ويبلغ طول [illegible] ٣٠ ميلاً ، وتضم هضبة الكويت ، [illegible] الكويت لا تعرف [illegible] ، وتمتد الى مناطق [illegible] ، وتلتقي عند نهاية السلسلة من الغرب ، والى الجنوب منها توجد الاماكن التالية :

جاريه عليا : وهي ابار عذبة الماء عمقها ١٤ قدماً ، وتبعد ٣٠ ميلاً الى الشمال الشرقي من [illegible] ، وفي سنة ١٩٢٠ بنيت هناك قرية ، [illegible] سلف [illegible] الى [illegible] من الدوشان وهم العائلة الحاكمة في [illegible] ، ويستخدمها [illegible]

ابيه كثير [illegible] .

وفي القرية [illegible] مسجد ومدرسة [illegible] يسكنون في قلعة كبيرة فيها حامية [illegible] من ٢٠٠ رجل [illegible] .

جزيرة [illegible] : وهي [illegible] مياه عذبة على عمق ٢٠ قدماً [illegible] من جزيرة [illegible] الى الجنوب الشرقي [illegible] من [illegible] .

[illegible] في [illegible] على عمق ١٨ قدماً [illegible] من جزيرة [illegible] ٤٥ ميلاً شرقاً [illegible] [illegible] .

[illegible]

[illegible] واسعة [illegible] في الشمال [illegible] في [illegible] من جنوب [illegible] قليلاً الى [illegible] مدينة الكويت [illegible] ١٠٠ ميل [illegible] ٤٥ ميلاً [illegible] مدينة الكويت [illegible] .

[illegible] في [illegible] في [illegible] في الكويت [illegible] .

جزيرة [illegible]

[illegible] التجارة [illegible] ولا يشغل السكان [illegible]

الجزيرة سبعة أميال وأقصى عرض لها ثلاثة أميال ، وتقع على الجهة الشمالية من مدخل خليج الكويت ، والجهة الغربية منها وهي الأقرب إلى مدينة الكويت تبعد حوالي عشرة أميال إلى شرق الشمال الشرقي من رأس العرض ويبعد طرفها الشمالي حوالي سبعة أميال إلى الجنوب الشرقي من مصب خور صبية .

والجزيرة من حيث الشكل كالمثلث رأسه إلى جنوب الشرقي وقاعدته إلى الشمال الغربي ، وهي منخفضة إجمالاً ولكن أعلى نقطة فيها مرتفع علوه ٣٠ قدماً يقوم في أقصى الجهة الغربية من الجزيرة على أرض رملية موحلة فيها أماكن صخرية ، تدعى ضروب وتقع من مدخل خور صبية باتجاه جنوب الشرقي .

وهنالك جزيرتان صغيرتان بجانب فيلكه ١٨ : عوهه وهي جزيرة رملية تبعد ثلاثة أميال عن الطرف الجنوبي الشرقي لفيلكه حيث تكثر ضروب ، وجزيرة مشجان الرملية الواطئة التي تبعد ميلين عن فيلكه باتجاه خور صبية .

وتختلف التقديرات حول سكان جزيرة فيلكه ولكنه يبدو انه عددهم لا يتجاوز ١٥٠٠ شخص ، والمدينة او القرية الرئيسية فيها تدعى زور وتقع على الشاطئ الشمالي الغربي للجزيرة بمواجهة مشجان .

والمكان الآخر المأهول في الجزيرة هو قرينية على الشاطئ الشمالي وتبعد عن زور ثلاثة اميال إلى شمال الشرقي ، ويملك الشيخ محمد الجابر الصباح منزلاً هنالك يحل فيه أفراد عائلته وقتاً قصيراً ، وكان وعد الشيخ محمد الجابر سابقاً للجزيرة من قبل أخيه لتحكيم مع بعضه ويدفع له رضاه شيخ الكويت .

ان حوالي ثلث الأراضي المزروعة في الجزيرة معفي من الضرائب اما اصحاب الأراضي الباقية فيدفعون الزكاة إلى شيخ الكويت بمعدل عشر الانتاج الاجمالي ، وإلى جانب ذلك يأخذ منهم كل تمر الجزيرة بما في ذلك تمر الأراضي المعفية باستثناء كمية صغيرة يسمح للسكان الاحتفاظ بها كعلف لماشيتهم .

ولا يسمح لتجار الكويت الاثرياء ولا للاجانب بالاقامة في فيلكه على اساس انهم قد يظلمون السكان الأصليين .

ان اغلبية أهالي زور يعملون في صيد الاسماك وعدد قليل منهم يعمل في

صيد اللؤلؤ . وينتسب هؤلاء السكان الى أصول مختلفة ويظن ان معظمهم اتوا من جزيرة خارك بالقرب من الشاطىء الإيراني ، وان بعضهم اتوا من القصار قرب مصب شط العرب ، ومن منطقة دشتيان في إيران ، وحتى من عمان . وهم قوم مهذبون وأصواتهم لا بأس ولكنهم مبالغون بأخذهم بالخرافات . وكانت الحوطة في الماضي مزرية بائسة ولكن الأمور اليوم في عهد سمو الشيخ عبدالله السالم تبدلت نحو الأفضل . فقد ظهر مؤشراً بإنشاء مدرسة ومسجد ومستشفى في زور وأنشئت بلدية نشيطة .

وتوجد مياه صالحة كثيرة في انحاء مختلفة من الجزيرة وعلى عمق ستة أقدام فقط . وهذه المياه افضل من مياه الآبار في ضواحي مدينة الكويت ، ويلاحظ انها اقل ملوحة قرب الشاطىء منها في الداخل .

وموارد جزيرة فيلكه هي صيد الأسماك والزراعة على نطاق متواضع . وتلك زوارق ٥٠ او ٦٠ زورقاً لصيد هي على العموم أصغر من تلك الموجودة في مدينة الكويت ، و ٢٠ أو ٣٠ من الطوارق وهي زوارق صغيرة لحمل الى ظهر زوارق أكبر .

وبعد ان يقتطع البحارة ما أكلوه ، يقسم الصيد إلى حصص متساوية تذهب إحداها إلى شيخ الجزيرة وأخرى إلى صاحب الزورق وواحدة إلى القبطان ثم واحدة لكل من البحارة .

وعندما يكون موسم الأمطار جيداً تكون المحصول من القمح والشعير جيداً . ويقال انه يزرع في الجزيرة سنوياً حوالي عشرة آلاف رطل من القمح ، وان المحصول الاجمالي من الحبوب يبلغ ٥٠ طناً . وبعد ان تؤخذ الضرائب يقسم الباقي بين الزارع من جهة وصاحب البذار ومواشي الملاحة والعلف من جهة أخرى . يبدأ الزرع في تشرين الأول ويبدأ الحصاد في نيسان . ويزرع اهالي الجزيرة ايضاً البطيخ والعدس وخضار عادية كالبصل والجزر والفجل .

وفي زيارة قامت بها زوجتي للجزيرة سنة ١٩٤٦ وجدت ان هناك أشجار نخيل فتية في زور وقريتيه وكلها مثمرة . ووجدت كذلك أشجار التين والتكينا

وأيهم [illegible] وهذا النوع من [illegible] لا توجد [illegible] في قرنها . ولكن أكثر [illegible] ظهوره [illegible] نحو [illegible] المغربية من جزيرة ، ليست [illegible] [illegible] .

[illegible] في ملكه [illegible] تلك التي تنمو في [illegible] . ومنها [illegible] [illegible] الأول [illegible] في [illegible] . وهناك أيضاً عدة شجيرات من الورد جوري ، والصنوبر [illegible] [illegible] وهي [illegible] كثيرة حيث [illegible] من [illegible] التي [illegible] في بعض الأماكن في [illegible] من [illegible] .

ويوجد في جزيرة [illegible] أو [illegible] [illegible] [illegible] . [illegible] [illegible] [illegible] . ومن [illegible] [illegible] في [illegible] الجنوبي الشرقي على بعد حوالي ميلين ونصف الميل من طرف [illegible] ، [illegible] ونصف في [illegible] الشرقي من [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .

[illegible] [illegible] ٦٠ أو ٧٠ [illegible] من قبور الأوليـاء الذين [illegible] [illegible] [illegible] الجزيرة [illegible] ، وفي مسافة ميل حوالي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من قرب [illegible] .

[illegible] [illegible] من جزيرة [illegible] [illegible] من الكبريت [illegible] [illegible] [illegible] .

[illegible] [illegible] الذكرى [illegible] [illegible] [illegible] في تلك [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] .
[illegible] [illegible] [illegible] وهو [illegible] محمد [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بعد [illegible] .

[illegible] وعلى بعد ثلاثة أرباع الميل إلى الشمال الشرقي من [illegible] ، هنالك مزار [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] حول ما إذا كان الخضر نبياً

أو لا ؟ حتى أن بعضهم ينكر وجوده أصلاً . ويقول بعض العلماء أن الخضر ما هو إلا النبي الياس الذي يعتقد أنه كان حياً زمن ابراهيم ورافق موسى وأنه لا يزال حياً حتى [illegible] هذه الحياة .

ومن الروايات المحلية التي تروى في الجزيرة أن الخضر انتقل من صخرة في المكان الذي تقع عليه [illegible] الارسالية الأميركية الى مكان آخر في جزيرة واحدة ، ويقال إن آثار قدمه والمكان الذي غرز فيه عصاه لا يزالان مطبوعين الى الآن [illegible] قرب الشاطئ .

ولقد وجدت زوجتي في الخضر هناك ثلاثة آثار أقدام : [illegible] وثلاثة آثار لقدم انسان عادية وواحدة لرجل منتعل ، ووجدت آثار لأقدام [illegible] . والى جانب ذلك وجدت [illegible] آثار كأنها لحيوانات ما قبل التاريخ . فثلاثة منها [illegible] الواحدة ١٢ بوصة ويبلغ طولها [illegible] ١٦ بوصة . وهنالك ايضاً آثار [illegible] كبيرة يبلغ طول الواحدة منها [illegible] ١٨ بوصة [illegible] .

وتعتقد زوجتي أن هذه الصخور كانت جزءاً من أرض طينية [illegible] في وقت من الأوقات ثم [illegible] آثار أقدام الإنسان والحيوان [illegible] مع [illegible] .

وفي دائرة قرب هذه الآثار توجد قبور [illegible] بين [illegible] .

[illegible] من سكان الجزيرة بمناسبة الأعياد [illegible] الخضر [illegible] في جزيرة [illegible] يوم جمعة [illegible] أطفالاً [illegible] الى مقام الخضر في [illegible] . وغالباً ما تذهب [illegible] . [illegible] حكام البحرين [illegible] هذه الأساطير [illegible] .

ويقول سكان الجزيرة انهم يؤمنون بوجود شيطان كبير يدعى بوعيرة الذي يقال [illegible] الجزيرة [illegible] بينها وبين [illegible] من الاحمر [illegible] الى الافاق ويخرقه .

ويؤمن الكويتيون [illegible] الذي يعطونه [illegible] [illegible] وتشبه [illegible] [illegible] ويحاول هؤلاء ان [illegible] موجود في مدينة الكويت ايضا .

وهناك قصة [illegible] آثار حصن في قرية ونوت حجر [illegible] في وسط الجزيرة [illegible] [illegible] في وقت من الاوقات [illegible] يشعرون من [illegible] الكويت [illegible] [illegible] الاولية [illegible] [illegible] الجزيرة [illegible]

الخليج الباطن

وهو مكان [illegible] يوجد فيه مجموعة من الآثار في قسم الباطن من وادي الرمة [illegible] من المملكة العربية السعودية ويقع على بعد حوالي مئة وستين ميلا [illegible] الغرب [illegible] من مدينة الكويت . [illegible] الآثار [illegible] [illegible] [illegible] منها [illegible] [illegible] الآثار منتشرة [illegible]

[illegible] [illegible] الآثار [illegible] [illegible] [illegible] قدما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الآثار .

ويعود تاريخ آبار الحفر الى زمن قديم جداً وربما كانت تقع على خط التجارة الرئيسي بين مدينة جرة القديمة (عقير اليوم) وفلسطين. وليست لدى البدو القاطنين هناك فكرة عن تاريخ الآبار أو حافريها ولكنهم يقولون انها تعود الى أيام الجهل أي الجاهلية قبل الاسلام.

وفي هذه الأيام تدعي عائلة بن ربيع من قبيلة مطير ملكية الآبار مع ان قبائل أخرى تستخدمها في بعض الاحيان. ولو ان مياهها أكثر ملاحة لكانت قصد أكثر مما هي اليوم.

والحفر من المراحل المعترف بها في الطريق بين الكويت والبصرة وبين قسم ونجد أمير وفيها حامية من ثلاثة رجال وقلعة كبيرة حراء البناء بنيت عــام ١٩٣٦ - وفيها اليوم أيضاً مدرسة ومسجد ومحطة لاسلكي.

وفي الحفر يلتقي تجويفان بالباطن واحدهما من الشمال والآخر من الجنوب. ويدعى الأول فليج الشمالية ويسير نحو سلسلة آبار تتجه شمالاً الى طوال الثنائي وأوله هذه الآبار يدعى الماليبه. أما التجويف الثاني فيدعى فليج الجنوبية وهو أيضاً يسير نحو سلسلة آبار تتجه الى الجنوب الغربي وتدعى طوال المطير. وأول هذه الآبار يدعى صفا في صفا. والقبوم لم أنابيب التابلاين جنوب الحفر تماماً ، ومحطة الضخ رقم ٣ تبعد فقط ٤٥ ميلاً الى الجنوب الشرقي عن الحفر في قلب منطقة قيصومه.

⑧ الجراع

وهي جزء من منطقة الحبسة يفصلها البحر من الشرق ومنطقة الصمان من الشمال ومنطقة الشق من الغرب ويشكل جدول الدفع حدها الجنوبي ويفصلها عن سهل لبيبه.

ويبعد وسط منطقة الجراع حوالي ٦٠ ميلاً جنوباً غرباً عن مدينة الكويت. والجراع عبارة عن سهل كبير بدون أشجار ولكنه لا يخلو من الأعشاب التي تتغذى عليها الجمال. وتربته جامدة قاتمة اللون وخالية من الحصى. وفي طرفه

الشرقي قرب جدول مقطع توجد أرض سبخة وهي عبارة عن مستنقع كثير الملوحة .

وتضم الجزائر الأماكن التالية :

أقريوات : وهي آبار على مرأى من البحر قرب حدود الجزائر الشمالية ويبلغ عمقها ١٣ قدماً وتختلف نوعية المياه فيها باختلاف كمية هطول الأمطار .

أطارش : وهي آبار مياهها مالحة عمقها ١٢ قدماً تقع الى غرب وقليلاً الى شمال أصيلة .

منطقة الأشحري : وهي آبار فيها مياه جيدة على عمق تسعة أقدام وتبعد مسافة قصيرة الى الجنوب عن رافعية .

مراته : وهي تلة طوبية الشكل وآبار تقع عند منتصف حدود الجزائر الغربية على بعد ٢٠ أو ٢٥ ميلاً غرباً شمالاً من مصب جدول مقطع و ١٠ أو ١٥ ميلاً الى الجنوب الشرقي من وفره . ويبلغ عمق الآبار تسعة أقدام ولكن مياهها ليست جيدة .

قمع : وهي آبار فيها مياه ذات نوعية سيئة على عمق ١٢ قدماً . وهي قريبة من شاطئ البحر وتبعد ميلين فقط عن قريات جلوم .

والقحيه : وهي آبار فيها مياه لا بأس بها على عمق ١٢ قدماً وتبعد حوالي عشرة أميال غرب الجنوب الغربي من مصب جدول المقطع .

رغوه : وهي آبار ذات مياه مالحة على عمق ستة أقدام وتبعد خمسة أميال الى الشمال الغربي من رافعية .

روحيه : وهي تلة مرتفعة تبعد خمسة أميال الى الغرب من وفره .

شقاف : وهي آبار فيها مياه لا بأس بها على عمق ١٢ قدماً وتبعد سبعة أميال الى جنوب الجنوب الشرقي من وفره وتبعد نفس المسافة الى الغرب من مراته . وبجوارها يقع تل مرتفع مخروطي الشكل .

طيب اسم : وهي آبار تقع على مسافة قليلة الى الداخل من قمع ومياهها بين المتوسطة والجيدة .

امسيله : وهي آبار مياهها جيدة على عمق ١٢ قدماً وتبعد حوالي أربعة أميال الى الغرب مع انحراف قليل الى الشمال من رافية .

وفره : وهي مكان معروف تضرب فيه قبيلة آل عوازم خيامها وتبعد اكثر من ٦٠ ميلاً الى الجنوب من مدينة الكويت . وفيها آبار عديدة عمقها ١٢ قدماً ومياهها من وعية وسط .

والذين يشكلون أم جنيب وهي منطقة صغيرة إلى غرب الفراع ؛ يلحقون بها فلة ومجيه وابار شقاف ووفره .

جهراء

تكتب وتلفظ عادة جهاره وهي قرية زراعية كويتية تقع على أقدام خليج الكويت على بعد ميلين الى الداخل وترتفع أربعين قدماً فوق سطح البحر وتبعد عن مدينة الكويت ٢٠ ميلاً ، وهي المركز الزراعي الرئيسي في الكويت وأكثر الاماكن لمة البهجة بنظر البدو . هواؤها جاف ومناخها صحي ومياه الشرب فيها ممتازة من الجهة الغربية .

تقع القرية في سهل وهي مكشوف تنتشر فيه الاعشاب يبعد ثلاثة أميال وبعضه الى الجنوب الشرقي من الفجوة المرتفعة يمر مطلع في تلال الزور والتي تسير فيها السيارات وترافق الجمال في الطريق المباشر من الكويت الى البصرة .

والى جهة الغرب والجنوب الغربي ترتفع الصحراء تدريجياً عن القرية ، وعلى بعد ميل الى الشمال منها يقع سهل يدعى مرياية يخيم فيه البدو في الصيف وينتم آبار ماء عمقها ١٢ قدماً .

وتقع جهراء داخل مدى نيران المدفعية في تلال زور ولكنه بسبب ضحالة المياه على شواطيء خليج الكويت ؛ يتعذر مسافتها بفتح النار من البحر .

ويملك شيخ الكويت هناك مسكناً يدعى قصر الأحمر وهي كذلك لأن جدرانه حمراء اللون . ويمد القصر أكثر من نصف ميل عـــن القرية الى جهة الجنوب الشرقي خارج المنطقة الزراعية وتفصل عـــن القرب بستان من بساتين

القرية طريق قصد . ويبلغ طوله ٨٠ ياردة وعرضه ٨٠ وفيه برج على الزوايا الأربع وفوق المدخل الرئيسي الذي في وسط الشمال الشرقي . وتبلغ سماكة جدرانه من الأعلى قدمين وثلاثة، وتقريباً ترتفع الأبراج فوقها بمسافة ثمانية أقدام .

وجدران القصر وأبراجه مثقبة بالثقوب خصيصة لاطلاق النار ولكن تلك الثقوب صغيرة وغير منتظمة بحيث أن مدى اطلاق النار منها قصير محدود . ولا توجد في القلعة بئر ذات مياه صالحة للشرب مما أدى الى وقوع كارثة اثناء الحصار سنة ١٩٢٠ . وفي تلك الاثناء كان حول القصر سور طيني يصل الى مسافة لا تحد من متوازي وراءه وكان لم تبدأ بعد خطة بناء منطقة رمضان . وقد تهدم هذا السور منذ ذلك الوقت .

وفي القصر اسطبلات تكفي لايواء مئة حصان وهي تستخدم اليوم للاحتفاظ بالخيول الأصيلة التي يملكها سمو الحاكم .

وبعد معركة عام ١٩٢٠ أخليت القرية من السكان تماماً لمدة أسابيع وعندما عاد سكان اليها بني حولها سور جديد وهدمت بعض المنازل التي تقع وراء السور معدلاً في شكل القرية . وهي تبدو اليوم مستطيلة الشكل تقريباً طولها حوالي ميل وربع وعرضها خمسية . ويتجه الخطان الطويلان منها الى الجنوب الغربي والشمال الشرقي .

وفي هذه كان الشيخ سالم بن مبارك الصباح ينوي بناء قلعة صغيرة يسمي الجهراء ورأس الخليج وكانت غاية مكونه الأولى في الخليج ثم تمرنت الجهراء خصوصاً للمرور بسهل قدوم الامدادات من الكويت عن طريق البحر . وقد صرف النظر عن هذه الفكرة اليوم نظراً لاستتباب السلام بين الكويت والمملكة العربية السعودية .

وأغلبية السكان المقيمين في الجهراء هم مزارعون يحرثون ويزرعون الأرض من يملكها من الشيوخ وتجار الكويت وأقرب منطقة للنخيل في البصرة . ومنازل القرية التي يبلغ عددها حوالي ١٩٠ منزلاً مبنية من الطين وتضم حوالي ألف نسمة . وتكثر مخيمات البدو خارج جدران القرية في الصيف وتشاهد بعض الخيام

يجاورها في الشتاء .

إن محصول الخضراوات من البصل والفول بين محدوده وتكاثر فيه كثير من الغنم و[illegible] وفيها عدد من الأشجار يكفي لسد حاجات السكان من الحليب . ووسائل النقل الحديثة فيها تتألف من حوالي [illegible] حمار ونكيه ولا[illegible] المنطقة الجبل من البيع . ولا ذكرنا [illegible] الأساس مراكز زراعي [illegible] أراضي المزروعة تقريباً تنحصر هناك .

وليس هناك مقياس ثابت لنسبة المحاصيل بين صاحب الأرض والمزارعين . والمحاصيل الرئيسية هي القمح والشعير والعدس . وتنتج الجزيرة من الشعير ضعفي ما تنتجه من القمح ويبلغ ذلك الانتاج في سنة إقبال أكثر من ٥٠٠ طن . ويزرع القمح ، الذي يسمى حنطة أو حنيه في أوائل ايلول ويحصد مع الشعير في أوائل آذار . ويقطع جزء من الزرع وهو أخضر ، كما في الشتاء ليقدم علفاً للمواشي ويسمى قصيل . وأحياناً يقطع الشعير مرتين لهذا الغرض قبل ان ينضج ، ولكن القمح نادراً ما يعامل بهذه الطريقة إلا في سني الاقبال . والحقل الذي يزرع هناك أو بقية مخدرة (?) ويزرع نفس الأرض لأربع سنوات متتالية تترك الأرض بعدها بور لمدة سنة واحدة .

ومن المحاصيل الأخرى في الجزيرة البطيخ الأصفر والبطيخ الأحمر ويسمى رقي . وهذه المحاصيل تزرع مرة في السنة وتنضج في أواخر تشرين الأول ويستمر موسمها شهراً كاملاً . والتكيت (?) التي تزرع قليلة بحيث انها لا تكفي لتصديرها الى مدينة الكويت . ولكن الذرة يبدأ في كانون الأول ويستمر مدة ثلاثة أشهر وهو يصدر الى الكويت . وتنضج الباقلا في شباط ولا يزرع منها إلا ما يكفي لسد حاجات القرية . ويبدأ موسم البصل في نهاية كانون الأول ويستمر حتى الربيع . ويبدأ الفجل ، ويدعى رويد ، في وقت مبكر من السنة ويستمر الى ما بعد موسم البصل . ويزرع [illegible] من جديد كل سنة ويعطي ١٦ موسماً في الفصل الواحد . وهنالك مواسم قصيرة [illegible] والرشاد . أما الباذنجان الذي يدعى في الهند برنجال وفي الجزيرة العربية بتنجان ، والبامية ،

والبندورة ، تأتي في وقت مبكر من السنة ولا تدوم طويلاً ولكنها تصدر الى مدينة الكويت .

وتوجد في جهره حوالي ٢٠٠٠ شجرة نخيل تعطي سنوياً حوالي ٢٥٠٠ طن من التمر يؤكل معظمها وهو رطب . ويعتبر بستان السيد خلف وهو أحد أقارب عائلة النقيب في البصرة ، أكبر بساتين النخيل في القرية . وفيما عدا ذلك لا توجد أشجار أخرى باستثناء بعض شجيرات اللبر .

ويصدر الى الكويت سنوياً من جهره حوالي ٣٠ طناً من الحبوب فقط . ويمكن توسيع نطاق الزراعة في القرية الى حد كبير فيما لو استثمرت فيها وسائل كافية .

وكل الحاصلات التي ذكرناها تعيش على الري وتزرع في مصاطب ضمن جدران واطئة من الطين . وكان ارتفاع هذه الجدران في السابق يبلغ ثمانية أو تسعة أقدام ولكنها خفضت بعد حركة جهرة عام ١٩٢٠ كجزء من تخطيط الدفاع عن السكان .

وهنالك بديل اقتصادي لهذه الجدران وهو ما يسمى خده وهو عبارة عن خندق عمقه قدمان وعرضه قدمان وعلى جانبيه حافة رملية يبلغ ارتفاعها قدم واحد . وتقع غالبية البساتين في الجهة الجنوبية الشرقية من القرية بينها وبين قصر الأحمر . ويعتمد قسم ضئيل من زراعة القمح والشعير على مياه المطر ولكن ذلك لا يقارن بالمساحات التي تروى بمياه الآبار .

ويبلغ عدد آبار الري ١٩ بئراً معدل عمقها ٣٠ قدماً . وترفع مياهها ، وهي مالحة قليلاً ، بواسطة قرب جلدية تجرها الحمير ، وبواسطة مضخات ميكانيكية . وتدعى رافعة الماء عرجية والقناة التي تجري فيها الماء تدعى ساقية . وأحياناً تجمع المياه في برك مرتفعة لكي يسهل جريانها الى الأراضي المزروعة . وهنالك أيضاً ما يدعى شرب وهي عبارة عن قطعة أرض منخفضة تجمع فيها مياه الري قبل اطلاقها الى مستوى أكثر انحداراً .

وتدعى المزروعات التي تزرع في وقت متأخر مسيف . أما أنواع الأراضي

الزراعية الرئيسية في : صبرا وهي أرض ذات تربة خصبة ، ودمنة الأراضي الواقعة على حافة جبرا وهي ميسيلة الأمطار المتجمعة ، وحزام وهي أرض صخرية ، وسبخة وهي مستنقعات كثيرة الملوحة وغير منتجة .

ان اكثر الأدوات الزراعية شيوعاً هي محراث بدائي بمقبض انفاتة ومجرفة حديدية قصيرة اليد لتعمق سخين وتستخدم في شق الأقنية وتصحيحها وإغلاقها ، والمسحاة التي تستخدم لتسوية الأرض . والجبال عبارة عن هراوة يمثل طرفيها الراقي رداء الشمس يشد ليحفظ تجميع الماء ويمنعها من التفرق . وتستخدم أيضاً كمنجل في المناطق المزروعة لابعاد الطيور .

ولشيخ الكويت وكيل يتم باستثنائه ويكون بمثابة أمير او ممثل خاص له ، ويكون أحد من شيوخ العائلة مقيماً هناك . ويمتلك الشيخ في الجهراء مهماً وقفة في أراضيه ليس فقط لمواردها الزراعية ، ولكن النفوذ الكبير الذي يتمتع به مالكها والسيطرة التي تعطيه اياها على عدد كبير من البدو يخيمون بجواره في الصيف . وهي فضلاً عن ذلك تسيطر على طريق البصرة .

وهنالك أماكن تحمل اسماء ولكنها ليست تتبع أياً من التقسيمات المعترف بها في الكويت وهذه الاماكن هي :

كر الطراف ، وهو عبارة عن مرتفعات متباعدة قليلاً وكأن ما بينها مجاري ماء جافة عميقة . ويبعد هذا المكان حوالي عشرة أميال الى غرب الجنوب الغربي من الجهراء ويشكل الطرف الغربي لتلال زور .

قرينة : وهي تلة طويلة معزولة ومنفردة تبعد ١٢ ميلاً الى غرب الجنوب الغربي من جهره .

خبرة البحل: وهي بركة طبيعية تبعد أربعة أميال عن جهره الى جهة الجنوب الغربي ، وتتلقى المياه التي تنحدر من الصحراء باتجاه الجهراء . وفي المواسم المناسبة تزرع فيها بعض المحاصيل المتفرقة من القمح والشعير .

حد السعادة ، وهي سلسلة عالية من المرتفعات تمتد من الشمال الى الجنوب وتبدو بيضاء اللون عن بعد وتقع الى جنوب طريق الجهراء — رقيع وتبعد ٢٥



جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود
ملك المملكة العربية السعودية الراحل



جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود
الملك الحالي للمملكة العربية السعودية

ميلا تقريباً عن الجهراء ، وهي أشبه ما تكون بالسلسلة المتلاحقة كلها في ارتفاع ، وفي نقطة من الخط الساحلي بين جيوه وموضع يبعد ٢٠ ميلاً عن الجهراء غرباً تقع تلال كاسية بيضاء تدعى « قبلوت » أو « قبيلة » .

وربحية : وهي تلة يبلغ ارتفاعها ٤٠٠ قدم وتبعد عشرة أميال الى جنوب الجنوب الغربي من الجهراء .

قليب الجويسري : وهي مركز لتجمع مياه معروف يبعد ستة أميال شمال غربي من أطراف ؛ وتتحول في أيام الشتاء الى بركة كبيرة .

ام التوينيج : وهي سهل مرتفع على شكل سلسلة طويلة منحنية بين اطرافه وقريبه ويتجه الى الجنوب الشرقي ثم الى الشرق من قريبه ؟ ويوجد في هذا السهل واحدة او اثنتان من الحباري أي البرك الصغيرة في الشتاء وبقايا مساكن .

أم روس : وهي تل ذات ثلاثة رؤوس تشكل علامة فارقة على بعد ١٥ ميلا الى جنوب الجنوب الغربي من الجهراء .

الكبد

مكان يبعد حوالي ٣٠ ميلاً الى الجنوب الغربي من مدينة الكويت بين منطقة قرعه في الشمال ومنطقة الشق في الغرب ، وتتألف تلال الكبد من حزام من الاراضي المرتفعة تمتد من الشرق الى الغرب على مسافة عشرة أميال .

والى جنوب الكبد مباشرة تقع سلسلة مرتفعات موازية تدعى كبيده توجد الى شرقيها آبار قداي جافة وعبدلية . وهذه الآبار لدى شركة نفط الكويت ذلك اليوم . والى الشرق من هذه الآبار يقع رجم الجهثان وهي مكان عج الدمو .
والى بعد ٢٠ ميلا الى الجنوب من رجم الجهثان تقع قوارس في منطقة الكويت المحايدة وهي عبارة عن سهول صغيرة تنتشر فيه التلال الصخرية الصغيرة وهو اليوم مركز شركة النفط الأمريكية المستقلة ، وهنالك خمسة تلال صغيرة في طرف كبيده الغربي تدعى مثلاثي وهي بيضاء بلون الثلج وقريبة من طريق السيارات بين الكويت والرياض تقع الى الجهة الجنوبية الغربية من حدود دولة الكويت .

الى أقصى الحدود في خليج الكويت الى الغرب من رأس عشيرج يعرف بدوحة كاظمة . والنقطة التي تحدثنا من جهته الشمالية تعرف برأس الكاظمة .

ويخف عمق الماء فيه تدريجياً من مدخله الذي يبلغ عرضه اربعة أميال وعمقه ست قامات في وسط القنال ، الى رأسه الذي يبعد تسعة اميال غرباً جنوبياً عن رأس عشيرج وميلين عن قرية جهرة . وهناك مرسى يتجه من الريح الشمالية يتسع لعدد كبير من السفن التي يبلغ عمق غاطسها ١٤ قدماً . ولا توجد مياه عميقة على الشاطىء لذلك فإن حمولة السفن تفرغ بواسطة الزوارق او على رصيف طويل يمتد الى داخل البحر .

ورأس الكاظمة عبارة عن مستنقع منخفض يمتد نحو نصف ميل جنوبياً الى داخل الاخدود ويمتد ثلاثة أميال من رأسه . وهو لا يرتفع عن سطح البحر ولكنه تحميه ضفة رملية طبيعية من جهة مياه البحر المرتفعة .

وخلال الحرب العالمية الأولى كانت تزور مرسى كاظمة مستشفيات عائمة تنقل جرحى الحرب من سفن صغيرة تستطيع عبور شط العرب . وكانت هذه المستشفيات العائمة تنقل الجرحى بدورها الى الهند . وكانت سفن أخرى تزور ميناء الكويت محملة بمرضى في دور النقاهة .

ومما يجدر ذكره ان المحطة النهائية لخط سكة حديد برلين - بغداد - البصرة التي دار كثير من اللغط قبيل الحرب الأولى ، كانت ستبنى في رأس كاظمة ، لأن الألمان كانوا يدركون في ذلك الوقت ان البصرة كميناء لن تكون ذات فائدة نظراً للتكاليف المتواصلة الناتجة عن استمرار جرف الأتربة من شط العرب . ولهذا تحركت أعين الألمان والأتراك الى خليج الكويت الميناء الطبيعي للعراق . وهذا ما حدا بالأتراك سنة ١٩١٢ الى الضغط على شيخ الكويت في ذلك الوقت الشيخ مبارك الصباح لحمله على القبول .

وبما ان التاريخ يعيد نفسه أحياناً فإنه قد يأتي يوم يحاول فيه العراق من جديد ، كما فعل الأتراك ، ضم الكويت اليه لجعله محطة لسكة حديد تصل البحر

بالداخل وبالمدن مثل بغداد — الموصل بشبكة طرق وبإنشاء الجسر المقترح عبر البوملوي [illegible] ذلك قد يحدث [illegible] التسرع [illegible] . وهنالك [illegible] بعض الأشخاص يفكرون بهذا الأمر ومنهم السير جون وارد مدير ميناء البصرة.

وقد عرضت شركة نفط الكويت [illegible] كاظمة [illegible] سنة ١٩٣٦ [illegible] حفرت [illegible] بئر [illegible] في بحرة الى الجهة الشمالية من خليج الكويت .

الجليب

وهي [illegible] تقع في المنطقة [illegible] في جنوب [illegible] غربية [illegible] ومن الشرق سهول [illegible] ويمكن اعتباره جزءاً من منطقة [illegible] ويحدها من الجنوب جبين [illegible] الذي يقع جزء منه في المنطقة [illegible] والجزء الآخر في المملكة العربية السعودية . وفي الوسط [illegible] مرتفعة [illegible] بشكل تعرف باسم جبل [illegible] .

المقطع

وهو جدول [illegible] يقع في القسم الجنوبي من المملكة [illegible] الكويت [illegible] بين منطقة [illegible] في الشمال [illegible] في الجنوب ، وينبع [illegible] على بعد [illegible] ميلاً من [illegible] ويصب في البحر [illegible] رأس [illegible] . ويبلغ عرض مجرى [illegible] بين ١٠ و ١٢ قدماً ويبلغ عمقه قدماً واحداً ، وعندما تكون مياهه مرتفعة تستطيع زوارق صغيرة أن تسير فيه مسافة قصيرة . ويسمى [illegible] ويسمى الجدول حيناً المقاطع وهي جمع مقطع .

لقد زرت [illegible] سنة ١٩٣٤ [illegible] الثانية وفي سنة ١٩٤٣ [illegible] فوجدت ان [illegible] من الماء تتدفق منها في الدقيقة الواحدة . وهي عبارة عن [illegible] على شكل [illegible] يبلغ قطره ٥٠ قدماً . ان رائحة مياه [illegible] كريهة نظراً لكثرة الكبريت فيها ولكنها نقية وقليلة العمق . ويقول البدو ان

من الخطر التحول إلى وسط العين لأن رمالها تتحرك بسرعة . وهنالك خرافة تقول ان رأس زنجي (عبد) يظهر وسط العين بعد مدة ومدة . وربما كانت مرد ذلك إلى كتلة الوحول السوداء التي تقذفها الماء من وقت إلى وقت في مركز النبع ، وقد شاهدت بنفسي هذه الظاهرة . ويعتقد البدو ان الأرواح تسكن المكان ولذلك يتجنبونه ويقول ان زنجيا فيه يشر ونصفه جن يعيش في النبع وانه يشاهد مستلقياً في الشمس احياناً على شاطئ النبع . وهذا الزنجي يأمر كل مسافر متشرد بنجيزة ان يقترب من عين النبع .

ومفطح هو اسم جزيرة أيضاً تابعة لدولة الكويت بالقرب من شاطئها فيبلغ [illegible] ميلاً وعرضها ليس [illegible] من حد [illegible] . ويبلغ طرفها ميلان من الشرق الشرقي الى الجنوب الغربي وفيها [illegible] بارتفاع ارتفاعها بين ٢٠ و ٥٠ قدماً وذلك في طرفها الشرقي . ولا توجد بين الجزيرة والبر قناة صالحة للملاحة وعندما يقع مد في الربيع تعبرها المياه الى حد بعيد .

قريـــه

وهي ارض رملية مجدبة يحدها من الشمال خليج الكويت ومن الشرق البحر ومن الجنوب [illegible] ومن الجنوب منطقة [illegible] ومن الغرب المكيد . وتقع قريه الى جانب مدينة الكويت [illegible] .

بهته ، وهي ارض منخفضة الى الساحل وتبعد مسافة ميلين ونصف الميل الى الجنوب الغربي من راس [illegible] .

شعيرية ، وهي آثار تبعد ستة اميال الى الجنوب الغربي فالجنوب من مدينة الكويت على طريق [illegible] الرئيسية . وبينما هذه الآثار ليست ضخمة ويقول بعض القائلين انها لا تقع في منطقة قريه .

فنطاس ، وهي قرية كبيرة قديمة العمران تقع على قاعـــدة شبه جزيرة رأس العرض في منطقة رملية وتبعد ٢٠٠ ياردة فقط عن البحر وثمانية أميال الى الجنوب الجنوب الشرقي من مدينة الكويت . وفيها مسجد و ٣٠٠ منزل ومدرسة

ويسمى أيضاً بالبرج الشرقي. وقريباً منها أيضاً عدة آثار [illegible] قائد المعركة. والقرية الآن تتمتع بجو طيب [illegible] من [illegible] مدينة الكويت [illegible] صخرية حديثة [illegible] ومنارة [illegible] [illegible] سنة ١٩٥٣.

حولي: وهي قرية كبيرة على بعد أربعة أميال من الجنوب الشرقي من مدينة الكويت، وفيها مدرسة ومستوصف وحوالي ٥٠٠٠ نسمة وشبكة تلفون. وسكانها [illegible] يشتغلون في [illegible] العربية المختلفة في [illegible] مدينة الكويت، وكثير يعملون في زراعة الخضار كالبطيخ والقثاء [illegible] في أسواق الكويت. وهنالك عدة آبار تستخدم مياهها في ري المزارع والبساتين. وفي جنوب القرية يقع قصر بيان الذي كان مقر [illegible] الكويت السابق. والقصر الذي أصبح اليوم [illegible] علماً [illegible] ومسجداً [illegible] للضيوف [illegible] ويقع على ظهر [illegible] تشرف على القرية. ويملك الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح [illegible] الراحل قصراً في حولي. وكذلك [illegible] الكويت [illegible] مدينة الكويت فقد [illegible] حولي التي [illegible] حيوياً.

فليج: وهي [illegible] على بعد ١٥ ميلاً إلى الجنوب من مدينة الكويت [illegible] من [illegible] وينبع [illegible] الآبار [illegible] في [illegible] قدماً [illegible] وكانت أراضيها [illegible] في السابق ولها [illegible].

مقوع: [illegible] ميلاً [illegible] نفط الكويت [illegible] وفيه [illegible] الرئيسي [illegible] التدريب. وهناك أيضاً عدة آبار [illegible] تحتوي على مياه صالحة.

مشرف: وهي [illegible] جميلة [illegible] قصر حديث [illegible] الشيخ عبد الله المبارك الصباح قائد جيش الكويت. ويبعد المشرف ميلين عن قصر [illegible] جنوباً.

قصر السرة ، وهو أحد الرقباء الشيخ عبدالله الجابر الصباح مصدر الخط النام ، ويبعد القصر ثمانية أميال الى جنوب الجنوب الشرقي من مدينة الكويت .

قليبيه : وهي ستة آبار تقع بعد عشرة أميال الى الجنوب الشرقي من مدينة الكويت وعلى بعد ميلين ونصف الميل عن الساحل . وفيها مياه جيدة على عمق ٢٧ قدماً لكنها لا توجد حولها زراعة .

رأس كيلان : وهي مجموعة آبار في الجهة الجنوبية من رأس شعرى وحولها عدد من أكواخ الصيادين .

رميثيه : وهي قرية صغيرة مأهولة تبعد ستة أميال الى الجنوب الشرقي من مدينة الكويت .

سانيه : (راجع دمنه) .

شعب : وهو قصر أبيض كبير على الشاطىء يقوم في مكان هو نصف المسافة بين رأس المعوزه ورأس العرفق ، وهناك يقيم صاحب السمو الشيخ عبدالله السالم الصباح حاكم الكويت .

صليبيخات : وهي تلال رملية بيضاء مرتفعة تبعد ستة أميال الى الجنوب الشرقي من مدينة الكويت على الطريق الى جهره . وبجوارها تقع محطة الكرنتينا الجديدة التي أنشئت سنة ١٩٥٢ واستخدمت مؤقتاً سنة ١٩٥٣ كمشفى للأمراض الصدرية عند النساء . وهناك أيضاً تقوم حالياً ضاحية حديثة للاوروبيين .

صليبيه : وهي أربع آبار جيدة الماء على بعد ميلين الى الجنوب من شداديه ، حفرتها شركة نفط الكويت لسد حاجات مدينة الكويت وحاجات البدو وأغنامهم وجمالهم . ومياه هذه الآبار مالحة قليلاً ولكنها تصبح صالحة للشرب والاستعمال عندما تخلط بنسبتين بالمئة من المياه المقطرة .

عديليه : وهي أرض عريضة منخفضة قليلة العمق فيها ست آبار على بعد ثلاثة أميال من مدينة الكويت جنوباً . وعندما تهطل فيها أمطار الخريف تنجح فيها زراعة القمح جداً .

وأمام العمورية وراس شريش أيضاً من الأماكن الصالحة لسفينة قرصة .

قصر المشرف

ويقع في الأمام [illegible] يحد [illegible] جنوب جنوب شرقي الكويت ويضم [illegible] حربية في البادية ، وقد بناه الشيخ مبارك الصباح سنة ١٩٠٠ وكان يأوي إليه أحياناً . وفي السنوات الثلاث الماضية أدخل إليه عدة تحسينات [illegible] يحيط بحديقته بدون حساب [illegible] من [illegible] في الجزيرة العربية [illegible] غرف الاستقبال فخمة وقاعات [illegible] يجري في حفلة واحدة . وقد [illegible] وبنيت هذه الغرف [illegible] بالسقوف جميلة ونحتت [illegible] الزخرفة .

ويزود القصر جزئياً بمياه صالحة ووافرة من آبار يتراوح عمقها بين ٦٠ و ٧٠ قدماً . وعلى مرتفعات [illegible] التي تمتد ١٢ ميلاً إلى الجنوب وقليلاً إلى الشرق من قصر المشرف [illegible] توجد آبار قليلة [illegible] التي [illegible] ذات مياه عذبة [illegible] وتعد هذه الآبار أيضاً جيدة .

ويمضي الشيخ جابر الشيخ مبارك الصباح معظم أيام السنة في قصر المشرف .

قرين

وهي اسم جزيرة صغيرة في جنوب الكويت و [illegible] كبيرة [illegible] في [illegible] في الوقت ذاته .

وتدعى جزيرة أيضاً بجزيرة الشويخ وهي تبعد عن الشاطئ [illegible] ميلاً ونصف ميل في [illegible] أربعة أميال عن مدينة الكويت غرباً . وفي طرفيها الشرقي [illegible] يبلغ عمقه ٢٢ قدماً . وإلى الجنوب الشرقي من الجزيرة بينها وبين شاطئ الكويت حوض يدعى بندر الشويخ [illegible] الزوارق لتحتمي فيه من كل الرياح . ويبلغ عمق الماء في هذا الحوض ثلاث أو أربع قامات .

ويتصل بندر الشويخ بخليج الكويت بطريق طويل ضيق لا يزيد عمق الماء في مسافة منه تبلغ ٤٠٠٠ ياردة عن ١٢ أو ١٣ قدماً عندما ينخفض الماء في الربيع. ويبدو أن هذا المضائق هو من المضايق التي لا يمكن اجتيازها بسهولة . ولكي يتاح لسفن الكويت المرور في المضائق تجري حالياً جرف الرمال منها (هذا الكلام سنة ١٩٤٣) وربما اتخذ الاسم الانكليزي القديم لكاظمة وهو : القرين - من اسم هذه الجزيرة .

أما قة قرين فتقع في أقصى جنوب دولة الكويت عن حدودها المنطقة المحايدة وتبعد عن مدينة الكويت ما يزيد عن ٤٠ ميلا جنوباً وحوالي ١٤ ميلا عن شاطيء البحر . وهذا الاسم يشمل عدداً من الآبار ومنخفضاً يعرف بخور القرين يقع في جنوب شرق تل بينه وبين البحر .

وتظهر في هذا المنخفض التي تمتد ستة أميال في كل اتجاه أعشاب وشجيرات كثيرة . ومع أنه يمثل أي مدخل بحري ، فانه يبدو انه ليس له اتصال بالبحر . وتتجمع فيه مياه الأمطار في فصل الشتاء وتشكل مستنقعاً مالحاً قرب آبار قرين . وتقول بعض المصادر ان تسمية قرين فقط وليست الآبار هي التي تقع ضمن اراضي دولة الكويت .

الصبور

وهذا الاسم يطلق على مجموعة من القرى هي : أم حنظلة ، والجديل ، والمطلاع ، والقاطيمي ، والشعيبة . وقد سبق الكلام عنها في معرض الحديث عن منطقة العدان .

الرقبة

وهو الاسم الذي يطلق على مجموعة من الآبار في القصة الشرقية من الباطن في مكان يبعد عن مدينة الكويت مسافة ١٠٠ أميال في خط مستقيم الى الغرب

فالجنوب الغربي . وهذه الآبار أعلى نسبياً من قعر الباطن وهي لا تمتلئ بالمياه إلا إذا كثرت الأمطار فتستمر مياهها طوال الصيف .

والآبار القديمة تقع بين الصخور وتتصل بممرات جوفية ولكن تسرب المياه فيها بطيء، ولذلك يتعذر وجود كميات كبيرة من الماء في كل الآبار في وقت واحد .

وترقيع تابعة للمملكة العربية السعودية وفيها مركز سعودي للشرطة .

(٧)

السلو

وهي منطقة على الساحل في الزاوية الشمالية الشرقية من منطقة الفاصلة بين منطقتي الفدان والخراب . ويحدها من الشمال قرين ورأس القليعة ومن الجنوب تلا الشعث ورأس الشحن .

الشق

وهو واد طويل قليل العمق يمتد مسافة ميل من الشمال الى الجنوب ويبلغ معدل عرضه عشرة أميال . وتقع الأربعون ميلاً الشمالية منه داخل حدود دولة الكويت . وينتهي هذا الوادي من الشمال على بعد ٢٠ ميلاً الى الشمال الشرقي من جهره ، ومن الجنوب نجم ر وربعه . ويحده من الشرق منطقتا الكبد والدبدبة في الكويت ، ومن الجنوب السكر والحزاير والسدي ، ومن الغرب منطقتا دبدبه وقرعه . والقرب منه اسمين من جهة زاويته الجنوبية الغربية .

وليس في الشق مكان ثابتون ولكنه ينتج معظم الأعشاب والأحطاب التي تستعمل لوقود وقيح في مدينة الكويت . وفي جهته الشمالية يفصل بين الأماكن التي ينمو فيها الحمض في الغرب والأماكن التي ينمو فيها العرفج إلى الشرق .

ويضم الوادي حيث يمشي بطريق الكويت — رقيع على بعد ٤٠ ميلاً الى الغرب فالجنوب الغربي من مدينة الكويت ، تجمعا للماء في مواسم هطول المطر

بدعى خبرة الشرق . ويضم كذلك مجمعاً آخر اقام على طريق الرياض وعلى بعد ٤٥ ميلاً الى الجنوب الغربي من مدينة الكويت يدعى خبرة القريش او خبرة جليد . وتقع خبرة الشرق داخل أراضي الكويت اسمها خبرة الدويش فتقع خارجها .

(٤)

الشقاق

وهي منطقة تقع بين الباطن والكويت شمال غربي الجهراء . والى جنوبها مباشرة تقع منطقة كبيرة تدعى الديبه .

وقد اطلق عليها هذا الاسم نظراً لوجود عدة الشقاقات او الفلقات فيها يتد بعضها بالجنوب الشمال الشرقي كشقة أم رويسات ، وشقة الجليب ، وشقة الثويجه التي يقع معظمها داخل حدود الكويت . ويمتد بعضها الآخر باتجاه الجنوب الغربي كشقة الشيح ، بينما تمتد شقة الرابية شمالاً الى الباطن .

والشقاق ارض جدبة اعشابها قليلة وليس عليها مكان مأهول .

(٥)

السفي

وهو سهل فسيح يضم المنطقة المتنازع عليها بين الكويت والمملكة العربية السعودية والتي سبق ذكرها . ويقع صفحة السهل الى اقصى الجنوب على البحر وتحده من الشمال منطقة الجزائر في المنطقة المحايدة حيث يشقه جدول المقطع ويصل غرباً الى الطرف الشرقي من خليط الفيجل وقف التوريه . ويضم في جهته الشمالية حوض الديبه . ويبلغ طول السهل من الشمال الغربي الى جنوب الجنوب الشرقي حوالي ٦٠ ميلاً . اما ارضه فرملية سوداء مستوية ولا توجد فيه اشجار ولكنه تنبت فيه اعشاب تتغذى عليها الجمال كالرمث والحنظل والعرفج والثام . وفيما يلي بعض تقاسيمه الداخلية الرئيسية :

عرفجيه : وهي آبار عمقها ١٠ قدماً تبعد ثمانية أميال عن جبل عوده غرباً ،

ومياهها صالحة للشرب .

ثرق : وهي آبار عذبة ، ٣٠ قدماً مياهها غزيرة وغير صالحة للشرب . وتبعد عن الآبار ٣٥ ميلاً إلى الشمال الشرقي من الحديد ، و ١٨ ميلاً إلى الجنوب والجنوب الشرقي من قبة وآبار مراشــة في منطقة العرق ، وحوالي ٢٠ ميلاً عن السبعي . وتقع على الحدود الجنوبية للمنطقة المحايدة .

بعل : وهي قصبة يبلغ طول قطرها ستة أميال وتقع في الزاوية الجنوبية الغربية من المنطقة . وغالباً ما يأتي البدو إلى هــذه البقعة للتموين من الفيد التي تبعد عنها ستة أميال ونصف الميل إلى جهة الشمال الشرقي .

حفن : وهي آبار قليل مياهها إلى الحرسة . وعمقها ١٢ قدماً وتبعد ٢٥ ميلاً في الشمال الغربي من قبة شميريه . وقد شيد هنا الكويت جزءاً منيعاً [illegible] في أيام حكم الشيخ سالم .

تقي أو تقي : وهي آبار مياهها صالحة للشرب تبعد ستة أميال جنوباً عن شيرة وستة أميال في الشمال الشرقي من بعل .

نقيرة : وهي آبار ذات مياه عذبة على عمق ١٣ قدماً وتبعد سبعة أميال ونصف الميل إلى الجنوب الشرقي فالجنوب من حفن .

شقاني : وهي آبار مياه بعضها صالح للشرب ومياه البعض الآخر غير صالحة ، ويبلغ عمق عدد الآبار ستة أقدام فقط وهي تبعد ستة أميال عن [illegible] غرباً .

قدوية : وهي آبار ذات مياه عذبة على عمق ١٢ قدمـــاً وتبعد ١٣ ميلاً إلى الجنوب الشرقي من وفرة .

وأهم الأماكن الساحليــة لمنطقة السدي هي من الشمال إلى الجنوب : رأس الخفجي ، خور الشعاب أو رأس الشعاب ، جزيرة القطع ، ودوحة الحريس ، رأس الشخيب ، ودوحة بلبول ، وجبل [illegible] .

(٤)

الصمان

وهي منطقة كبيرة جداً في المملكة العربية السعودية يقع القسم الشمالي في

المنطقة التي تدعي الكويت ملكيتها . وتقع منطقة الصمان بين صحراء الدهناء في الغرب وبين الدبدبة والشق وتلال أبو ظهير وتلال الطف في الاحساء في الشرق.

وتمتد منطقة الصمان من خط العرض الذي يقع عليه حفر الباطن في الشمال الى طريق الرياض الهفوف جنوباً وربما أبعد من ذلك . ويبلغ طولها من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ٢٥٠ ميلاً الى الآن .

ويشطرها الى نصفين طريق الكويت الرياض ويبلغ عرضها عند هذه النقطة ٩٠ ميلا . ويتقلص هذا العرض تدريجيا إلى ٣٠ ميلا وذلك في المكان الذي تلتقي فيه بطريق الرياض الهفوف .

وعندما يدخل المرء إلى منطقة الصمان من ناحية الكويت على طريق الرياض فانه يجد في البداية منطقة تختلط فيها الركامات الصخرية بالكثبان الرملية المنخفضة التي تتدرج بينها وديان قليلة العمق تنبت فيها في فصل الربيع الاعشاب البرية والشجيرات الصحراوية .

وكلما توغل المرء في المنطقة وجد ان هذه التلال تتداخل اكثر فأكثر الى ان تخرج إلى أرض مكشوفة . ووديان المنطقة عريضة مستوية البطن وتتجه من الشمال إلى الجنوب. أما التلال فهي واطئة وأكثر انتظاماً من الوديان تلتف حول قواعدها في اغلب الأحيان الحزمة القرميدية اللون. وعندما تكون التلال قرطية الشكل يطلق الاهالي القرميدي على قمتها .

ويلي ذلك أرض واحدة تشبهها الشكلية أخرى من الوديان ولكنها العضف من سابقتها . وعندما يقترب المرء الى مسافة ٣٠ ميلاً من حدود الصمان الغربية يجد ارضاً متشققة تنمو فيها خصل من الأعشاب والشجيرات البرية وتتقطع تدريجياً الى سهول متموجة تكثر فيها الأحجار الرملية ، وتنتهي فجأة عند حدود الدهناء الرملية الحمراء .

وتبرز في الصمان من طريق الرياض الهفوف شرقاً صخور عالية وآكام كالهضاب يتراوح ارتفاعها بين ٥٥ و ١٠٠ قدم . وبمحاذاة ذلك في القسم الأوسط تنبسط سهول واسعة الى الافق تنتشر فيها الحصى والأحجار الصغيرة وليست فيها أية

وورود والعشاب تتغذى عليها الجمال .

وعندما يهطل الأمطار بكثرة يتحسن نمو الأعشاب الأكثر من غيرهن في مواقع جيدة أفضل من تلك الموجودة في الدبدبة ، ويكثر فيها الحيض الذي يقال ان الأرانب تتغذى على الأعشاب .

وفي الربيع تنمو بعض الأزهار البرية ، ويوجد هنالك بعض شجيرات سدر التي تنمو في قيعة منها التي تشكل غالبية العرب الذين يقطنون السهل . وفي الناحية الجنوبية يطلق بعض قيعة عجيبان بالاشتراك مع عشب ، وتوجد ... أحيانا عرب من بني ... ، وتشمل الآثار في المنطقة هي الوفرة والطيب وقرعة والحفر وجبرية الحنيز وجبرية مسلل .

أم الخلان

وهي أرض منخفضة مرتفعة تقع بين منطقة ... في الشرق وبين منطقة الشقاق في الغرب ، في الزاوية الشمالية الغربية من أراضي دولة الكويت المحايدة ، ويبلغ عمق ... أميال وتمتد ... ميلاً الى الشمال الغربي من الجهرة .

أم جنيب

وهو تعبير عام يطلق على المناطق التالية مجتمعة :

قرعه ، المكيد ، الفدات ، عصم ، الجرام وكلها في المنطقة المحايدة ، وآخره الشمالي من السدي في جنوب المنطقة المتنازع عليها بين السعودية والكويت .

ويحد أم جنيب من الشرق البحر ومن الشمال خليج الكويت ومن ... ظهر الدبجل . وهذا هو المعنى المتعارف عليه عموماً لكلمة . ولكن بعضهم يقول ان أم جنيب هي منطقة صغيرة منخفضة أعلى من الجرام والحبيبه وتقع ... وجنوبه ... .

الوفرة

وهي مكان معروف في المنطقة تنمو فيه البئر ... . وتبعد عن مدينة

الكويت ١٤٠ ميلا الى الجنوب الغربي كما يظهر من الخريطة . وهي محط رئيسي للقوافل عندما تنتقل من الساحل الى الداخل .

وتوجد فيها أكثر من ١٠٠ بئر تقع كلها في مساحة لا تتعدى ٤٠٠ ياردة مربعة ، ولكن عدداً قليلاً من هذه الآبار يصلح للاستعمال . وهذه الآبار غائرة في أرض ذات صخور رملية على عمق يتراوح بين ٢٤ و٢٨ قدماً ، وهي قديمة العهد ويرى المرء على بعضها ندوباً عميقة بفعل احتكاك الحبال التي يستخدمها البدو لادلاء الدلاء خلال الطبقات الصخرية . ومياه هذه الآبار تميل الى الملوحة وهي أقل جودة من المياه الموجودة في حفر الباطن إلى الشرق والى غرب الجنوب الغربي على الشوافي ، والتي يقصدها اليوم المسافرون من الكويت الى الرياض متنقلين على ورية .

ورية

وهي حسبة صغيرة بين السرر والصمان وتمتد مسافة ٢٨ ميلا من الوبره باتجاه الشمال الغربي . وسطح وريه غير منتظم اذ ان أرضها مشققة تنتشر فيها الحصى وتنتشر فيها مرتفعات من التراب والاحجار الرملية .

وفي جهتها الغربية توجد ثلاثة او أربعة مرتفعات تسمى مروط .

ياه (او لياه)

تقع هذه المنطقة الصغيرة على بعد ١٨ ميلا الى الشمال الشمال الشرقي من جهره وهي تشكل الطرف الشرقي من السلسلة الواطئة المعروفة بحسي الياه التي تمتد من ياه غرباً ثم تنعطف إلى الجنوب الغربي نحو الزاوية الجنوبية الغربية من دولة الكويت . ويبلغ الطول الاجمالي لهذه السلسلة حوالي ٣٥ ميلا .

أما الأماكن الأخرى في شرق الجزيرة العربية التي سنخصها بالذكر في فصول أخرى من هذا الكتاب فهي :

هي أرض ابراهيم وماحية المقاطعة الشرقية من المملكة العربية السعودية . وقد زرتها عدة مرات وجمعت روايات غريبة غير مدونة من البدو في جوارها ؛ روايات يبدو أنها دائماً بتعريف وتأويل وتشويه . . . مرات عديدة .

ولا إيمان بالتصوير ... هناك تنقص بطريقة أو بأخرى ... الشاذات ... على شكل ... المعروفة بجبل قاره والتي تقع وسط الواحة القبلية المحيطة بمدينة الهفوف والتي يبلغ طولها ١٥ ميلاً .

وعندما كنت أسير حول ... هذه الرمال الرملية ... الأحمر ... تذكرت صورة شاهدتها لصحراء ... الأمريكية . لأن كل ما حول جبل قاره من وديان متحدرة وفجوات وخاصة تلك ... من الأعمدة الضخمة الراسخة ... منتصبة ... كأنها ... عملاقة تمثل ... أما في ... هناك ... في منتهى الروعة ... يحبس الأنفاس .

وفي ... الخارجية من ... وعلى ... من الأعمدة ... ومشقوق ... يقع كهف ابراهيم . وقد ... لاستكشاف الكهف ... والعثور ... وقد ... من ... الذي ... الشخص الذي يدخل يفقد فيه ... أو ... عن المدخل ويضع علامات على الطريق التي يسلكها لكي يضمن عودته سالماً .

والانطباع الذي يتركه كهف ابراهيم في ... هو عدد لا يحصى من الممرات والكهوف الداخلية الضخمة يشبه الواحد منها كاتدرائية كبيرة ؛ والقاعات الصغيرة ؛ وعدد كبير من الشعبات الجانبية المتفرعة من الممر الرئيسي تشكل شبكة مدهشة ومتينة في جوف الأرض .

وهذا الكهف ... شديد البرودة ... ضوء ... بحيث أن ... في الأحساء الأمير سعود بن عبدالله الجلوي ... حول ... مغاوره

القرية من الداخل أن يجلس له ويخدمه . فيدخل الصبي في المدينة في حرارة الصيف الشديدة يدور إليه ليستريح ولا يخرج منه إلا بعد الغروب الصلاة .

وإذا ظهرت أهمية المكان فإن أهل الأحساء وخاصة سكان الواحة منهم يتناقلون لاطلاعك على رواية يتوارثونها تناقلوها عبر العصور عن شرائهم ورواتهم وهي أنه منذ قرون طويلة أقام إبراهيم خليل الله في تلك الواحة . ويعود تاريخ الرواية إلى زمان طويل قبل أن يأتي ذكر إبراهيم في التوراة بأنه نشأ في أور الكلدانيين في العراق الأسفل في بلاد ما بين النهرين (العراق اليوم) .

وتقول الرواية إن إبراهيم عاش حياة الرعاة مع قبيلته وكان شيخاً عظيماً يملك آلاف الأغنام والجمال . ومع قدوم الصيف وحرارته اللاهبة اعتاد إبراهيم أن يسوق قطعانه وقطعان أقربائه عند الظهر إلى الكهف الكبير في جبل قارة ويبقى هناك إلى أن يحل المساء بجوه البارد فيخرج قطعانه ويسير بها إلى المراعي في الجوار وهي ترعى على الطريق .

وحدث بعد سنوات من العيش الرغيد أن دب الخلاف بين إبراهيم وبين ابن عمه وهو رجل حاد الطبع . ويبدو أن الخلاف وقع على الماء فما كان من ابن عم إبراهيم إلا أن ضرب اثنتين من أغنام ابن عمه على رأسها بهراوة ضخمة وهي تشرب ثم ذبحها . وتلت هذا الحادث حوادث أخرى فصار من جراء ذلك شقاق في القبيلة . فاقترح إبراهيم أن يرحل أحدهما عن الواحة على أن يتم ذلك بالقرعة .. وخسر إبراهيم فجمع حاشيته وشعبه والأعداد الكبيرة من الأغنام والجمال التي يملكها .. واتجه بها إلى الشمال . وهناك في أور الكلدانيين بدأت قصته كما وردت في العهد القديم

ويقول البدو اليوم : إنها يد الله رعته وسارت به إلى خيره .. لأن الله كان يخبئ لإبراهيم ولنسله قدراً عظيماً .. وقضى الله بذلك .

إنها رواية رائعة كما يرويها أهل الطرف بتناقلها بأسلوب أخاذ .. ومن يقول إن هذه الرواية تخلو من بعض الحقيقة ؟

الدهناء وواحة جبرين

على بعد ١٥٠ ميلاً الى الجنوب الشرقي من الهفوف ومثله الى الجنوب الشرقي من الرياض ، تقع واحة جبرين الغامضة .

وقد اعطاني مصدر موثوق ومشهود وهو توم بارجر الخبير في تطورات قرب الظهران حيث يوجد المركز الرئيسي لشركة النفط العربية الأمريكية (أرامكو) بعض الحقائق الهامة فيما يتعلق بحزم الدهناء الرملي المحيط بجبرين الداخلية :

١ — ان رمال الدهناء في الشرق والشمال من نجد الداخلية تتحرك تدريجيا الى الجنوب نحو منطقة الرمال الصحراوية الواسعة التي تعرف أحياناً بالربع أو الربع الخالي . وقد ثبت بما لا يقبل الشك أن هذه الحركة ليست من جنوب الى الشمال كما كانت تدعي بعض المصادر في الماضي .

٢ — يوجد في ناحية جبرين كثير من المرتفعات الاصطناعية من النوع الموجود في البحرين والظهران وأماكن أخرى . وقد عثر على مدى طريق قديمة تتجه كما كانت تمضي جبرين مع ليلى ووادي الدواسر الى غربها ، ويستدله من ذلك ان طريقاً تجارية هامة كانت في قديم الزمان شمالاً من حضرموت ، بلاد الى عمان حيث تنقسم الطريق إلى فرعين واحـد يقود الى « جرّا » (عقير اليوم) على الخليج الفارسي عبر ليلى وجبرين والدلوف ، والفرع الآخر يتجه شمالاً إلى مصر بمحاذاة البحر الأحمر .

٣ — ان الأحواض والبرك الصخرية في جبرين ليست كما يظن المرء بأنها حفرة تغذيها الينابيع بطبيعة ، ولكنها في الحقيقة برك اصطناعية قاموا القدماء الذين ارادوا الحصول على الماء للري او لأشياء اخرى فحفروا ساحة كبيرة للحصول على مياه جوفية . وربما كانت هذه المياه تتصل تحت الأرض بمياه الخرج . لأنه في قعر كل بركة ثقوب عميقة حفرت في الصخور الصلبة إلى عمق ١٥٠ قدماً او اكثر الى حيث تتصل بمياه دافقة .

ويقول توم بارجر بان جيولوجيي ارامكو ومهندسيها ، اثباتاً لذلك عندما ضخوا مياه احدى هذه البرك في جبرين حتى جفت واخذوا حفر الثقوب العميقة

التي تمد الحركة بالماء . أمـــا جوانب هذه الثقوب التي يبلغ قطرها قدمين ونصف فقد حفرت بطريقة مدهشة تشير الى وجود حضارة ذكية .

٤ — ويظن بارجر أن حضارة قديمة أتت من مأرب في اليمن وأوجدت مستعمرات في الخرج أولاً ثم في ليلى وبعدهـا في جبرين والظفرة ونجع وواحة الطيف . ويذكر انه عثر على عدة قنوات قديمة عديمة النفع الآن قنية من برك لا تزال قائمة في ليلى ، مما يدل على أن المكان كانت فيه في يوم من الأيام زراعة مزدهرة .

ويتحدث بارجر أيضاً عن قلعتين متهدمتين في شمـــال وجنوب صرار في وسط الاحساء مباشرة ، وعن مدافن فوقها أتربة مرتفعة حول صرار تنتسب الى ... وإحدى هاتين القلعتين تقوم على رأس تلة وفيهـــا بئر مليئة الآن ، حفرت على عمق ٣٠٠ قدم للوصول الى المـــاء . كل ذلك يدل دلالة قـــاطعة على وجود حضارة قديمة .

وظني ان الهفوف ليست إلا « جرها » القديمة وليس جبل قارا إلا امتـــداد للاسم القديم . واظن ايضاً ان ميناء خليج العقير قـــد يكون هو الميناء القديم بالنسبة « لجرها » كما هو ميناء يبرين بالنسبة الى الهفوف .

وقد قـــام توم بارجر بصحبة المرحوم شتاينيكه كبير الجيولوجيين في شركة ارامكو بعدة رحلات مدهشة بالسيارة الى قلب الربع الخـــالي والى أقصى أطراف وادي دواسر . ولم يكشف النقاب بعد عن وقائع هـــذه الرحلات ولا عن مجموعات الصور المدهشة والخرائط التي أخذت هناك .

الفصل الثالث

قبائل وعائلات الجزيرة العربية

البدو والحضر

العرب قسمان : بدو وحضر .

فالبدو هم قوم رحل يعيشون في الصحراء ويقطنون الخيام السوداء المصنوعة من شعر الماعز أو صوف الغنم . والحضر هم سكان المدن والقرى ويعيشون في منازل ثابتة من الحجر أو الطين ويسمى الفرد من أهل البادية بدوي ، ويسمى ساكن المدينة حضري .

وبين أهل البادية وأهل المدن جماعة تدعى عربدار وهم نصف رحل يقيمون في جوار المدن في الصيف ويتنقلون عنها في فصل الشتاء . وينطبق هذا الاسم – عربدار – بصورة خاصة على دولة الكويت .

ان أهل البادية الحقيقيين لا يقطنون سوى الخيام . اما الرعاة في صحراء فيسمون شوية أو شواوي في العراق . وفي الكويت والعربية السعودية فيسمون حضري ، وهم في معظمهم يرعون الأغنام ، في المناطق [illegible] جنوب العراق . والقبائل الأخرى كثير والسوائر [illegible] جماعة خاصة من الرعاة .

وهنالك أيضاً [illegible] الذين يقيمون وازدياده على ضفاف نهري دجلة

والقرى ، وقسمنا (٨) عائلة من القداري لكل قبيلة شريفة جماعة منهم .
وهؤلاء موجودون في الكويت ونجد وليس في العراق .

وأما عبارة الحقيقية فهم عرب خلص ، عرب عاربة ، ينحدرون من نسل يعرب أو العرب . وفي نظرهم أن شيوخهم من عرب هم مستعربة ، أي أصبحوا عربية ، وينحدرون من عدنان(١) من نسل اسماعيل وأمه هاجر . والعرب العاربة والعرب المستعربة كلاهما ينقسمان الى قبائل شريفة ارستقراطية أصيلة ذات دم نقي ، وقبائل أدنى منها مرتبة وضيعة [illegible] تختلف حسب هذه التقسيم .

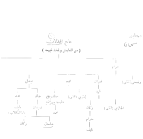
وأشهر القبائل الشريفة في الجزيرة العربية هي : عنيزة ، وشمر ، وحرب ، ومطير ، والعجمان ، والظفير ، وبني خالد ، وبني هاجر ، وآل مرة ، وقحطان ، وعتيبة ، والدواسر ، والسهول ، والمناصير ، وبني ياس ، وسبيع ، والعوامر ، وبني تميم ، والزعب (مع عدوان) ، وبني ليث التي لم تتجه كتيبة واحدة للبدو .

ويأتي في طليعة القبائل او الجماعات الأخرى : العوازم ، والرشايدة ، وهتيم(٢) ، والصلبة ، وعقيل .

عجمان

وهي قبيلة من الأشراف في شمال شرقي الجزيرة العربية تدين بالولاء للملك سعود بن عبدالعزيز المذكور ملك المملكة العربية السعودية . ولكن قبيلة عجمان [illegible] الأخرى لا [illegible] هذا الاعتبار . وهم [illegible] مع [illegible] الذين يدعون الانتماء الى سلف واحد وهو يام . وأول شيوخهم مقاماً هم الفلاح(٣) [illegible] من [illegible] يدعى نعيمه . ومن هذه الأفخاذ :

الوبه — الشيخ بن ومناع
العمار — الشيخ [illegible]


فلاح
ركان
فلاح
فلاح
الجازي (الثاني)
ركان
مشعان
ركان
حرام
نايف



الحرايش — الشيخ ابن عتران
الدهي — الشيخ عبيد اللقم
شمدان — الشيخ ابن صباح
هلالان — الشيخ ابن زمنيس
الحويط — الشيخ حمد بن ركان الكراد
المريض — الشيخ ركان ابن ضيدان الحثلان
الملا — الشيخ ابن دبلان
العفير — الشيخ محمد العفين
الصدارة — الشيخ ابن مشيخير
الشلوي — الأمير مدعي ابن حجرف (يعني باولاد الكويت).

اما شجرة النسب لحثلان المنشورة في الصفحة السابقة فقد خلط الأسماء المنشورة في هذه الصفحات.

عندما قتل ضيدان ابن خـــالد الحثلان سنة ١٩٢٨ أصبح ابنه ركان شيخ العجمان الشيخ الأعلى في القبيلة ولكن بن سويد عن خاله ابن محمد الحراء الحثلان في مكانه. وكان خاله هذا الملقب «بذيب شبهان» ذا حظوة عند ابن سعود ويتمتع بمركز مرموق في مجالسه.

وتشتهر قبيلة عجمان منذ زمن طويل بجمال بنات الشعر، وقد زوجت أكثر من بين وقت وآخر الى أسر البيت الملكي السعودي، والى حكام الكويت والبحرين وشيوخ عائلات شمر، الى جانب شيوخ القبيلة نفسها. وقد اشتهرت منهن في الآونة الاخيرة اربع جميلات من عريب الصدف اللتي يحملن نفس الاسم «الجازي» اضفن على القبيلة شهرة فائقة وسمعة حسنة.

وتستطيع الطلبين جيداً في الجمال والسحر وقوة الشخصية الجازي بنت محمد الحراء الحثلان. فهي اليوم، وان لم تكن حسية كما كانت في السابق، تتمتع بمنزلة عالية في تقرب قومها، وتدير شؤون خباء زوجها الحالي الشيخ ركان ابن ضيدان الحثلان الذي يعتبره العجمان رئيسه.

وقيل ان تخرج هذه الملكة بين حبـــالات القبائل من زوجها الحالي كانت متزوجة من الأشخاص التالية أسماؤهم :

صاحب الجلالة المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود (بن سعود)

المرحوم الأمير محمد آل سعود شقيق الملك عبد العزيز

الأمير سعود العرافة آل سعود صهر الملك عبد العزيز

الشيخ بندر الدويش رئيس عائلة مطير

الرس والشيخ [illegible] وهو عضو بارز في قبيلة قحطان ويتميز بشراسة سياسية الى [illegible] كل من مطير .

اما زوجها الحالي عبد الله [illegible] ثلاث مرات [illegible] كل مرة كان يقتنع بزوجته في ذلك [illegible] من [illegible] ان يستطيع ان يتقرب من [illegible] هو الشيخ خالد بن محمد الخريم القحطاني .

ام [illegible] الذي [illegible] بن محمد [illegible] القحطاني [illegible] .

[illegible] بن محمد [illegible] سنة ١٩٣٤ [illegible] .

[illegible] وقد تزوجت الشيخ [illegible] توفيت منذ خمسة عشرة سنوات .

[illegible] الشيخ [illegible] القحطاني .

[illegible] بنت [illegible] القحطاني [illegible] والدة محمد [illegible] آل سعود الذي تزوج [illegible] الملك عبد العزيز الشهيرة .

وقد المرحوم الشيخ أحمد [illegible] في سنة ١٩٣٢ [illegible] يتكلمون اصلي لغة عربية بين قبائل الجزيرة العربية ، وربما كان كلامهم ولفظهم شبيها بما كان يتكلمه عرب الجزيرة قبل الاسلام ، وقال [illegible]

تعابير والفاظاً تختلف كلياً عن تلك التي تستعملها القبائل في الماكن أخرى .

وخلافاً للقبائل الأخرى ، فان العجمان مولعون بإطلاق الألقاب على أبنائهم، وتظل هذه الألقاب ملاحقة لهم طوال حياتهم . وقد قدمنا مثلين على ذلك وهما : خالد « قيب سولا » وليف « ابو الكلاب » . ومنهم ايضاً منصور « خير تليب » ومسعود « ابو الشرين » وهذا اللقب هو لقب الملك الحالي سعود ابن عبد العزيز . وعندما نراد فتـاة العجمان لقطع من اذنها قطعة صغيرة تأكلها الأم ، وتلقب هذه « بجدع » .

وصرخات الحرب عند العجمان هي : « مقرس الحديد » ولا ان الحجر ، لو ما تلمنا ما حدن خلا سكني الدوه » .

عنزة

هي أكبر قبيلة بين القبائل العربية تقطن نجد والعراق وسورية ، ويبلغ عدد الذكور فيها ٣٠،٠٠٠ تقريباً وعدد جمالها حوالي المليون. وتنقسم هذه القبيلة الى عدة أقسام نذكر منها ما يلي :

عمارات : كان شيخها الأعلى المرحوم فهد بك الهذال . وقد خلفه بعد موته ابنه مهروط الهذال . (وينتسب آل الصباح العائلة الحاكمة في الكويت الى عمارات عبيد التافشاة) وكذلك آل خليفة حكام البحرين . ويدعي مهروط انـه الرئيس الأعلى لهاتين العائلتين وقد صرح بذلك اثناء زيارة صاحب السمو الشيخ عبدالله الصباح الأخيرة الى بغداد . وعندما اخبرني عنه بذلك قـال وهـو يبتسم : « قال مهروط ذلك بصورة جدية » .

ومن العائلات المرموقة في عمارات من الذين يسكنون الكويت آل صالح (رئيسهم الملا صالح) ، وآل شملان (رئيسهم محمد الشملان) ، وآل غانم وآل زايد سابقاً (رئيسهم الحاج أحمد الغانم) . وقـد ذكرنا سابقاً عدداً من أفراد هذه العائلة . أما الشيخ الحالي للأحسنة في عمارات فهو ابن هذلاء .

فدعان : شيخها الحالي ابن مجيد

الرولا والشيخ الأعلى لهذه الجماعة الشهيرة في جوار دمشق هو نواف ابن نوري الشعلان. وهناك شق من هذه الجماعة يدعى المساليخ يدين بولاء لسورية. وينحدر الملك ابن سعود من المساليخ. ويدعى المحلف والشعلان اللذان يعتبران أنفسهما ويعتبرهما الجميع قبيلة ممتازة كهذه انها أعلى منزلة من ابن سعود وابنه الملك الحالي.

شيخ: يقول كارل رسوان مؤلف كتاب «الخيام السوداء في الجزيرة العربية» ان فهد الهذال شيخ العمارات الحالي ينحدر مباشرة من الشيخ مجول المصراب زوج الليدي دغبي الشهيرة وهي الليدي اللينبورو سابقاً.

لا يزال الكثير من عرب المصر يذكرون بالتقدير والاحترام «الست المغناء» ليدي دغبي. وفي أواخر أيامها سكنت مع زوجها الشيخ مجول المصراب في بيت كبير بدمشق بجانب البيت الذي كان والدي يسكنه في ذلك الوقت. وتقول الآنسة أرمي التي ألفت كتاباً عنها انها ماتت هناك في آب سنة ١٨٨١. ولكن الأقرب إلى الصواب انها ماتت سنة ١٨٨٣ لأنني ولدت في بيروت سنة ١٨٨١ وعندما انتقلنا إلى دمشق بعد ذلك كانت أمي تأخذني اليها مرتين أو ثلاث مرات في الاسبوع. وقد دفنت في مقبرة الأرمن خارج باب الشرقي في دمشق وكتب اسمها على القبر «ميدان مصراب». وقليلون هم الأشخاص الذين يعرفون هذه الحقيقة.

ويقول رسوان ان المصراب لا يزالون أنقى القبائل العربية دماً.

وكدعلي: وهم قسم هام من قبيلة عنزة يعيشون في الجهة الغربية، ويعرف حالة شيوخهم بالسعيد.

عقيل

وهم جماعة يتعاطون تجارة الجمال ومراكزهم الرئيسية في دمشق وبغداد. وهؤلاء أبو قبيلة من البدو لأنهم أقرب الى الحضر، وتنتمي عائلاتهم الرئيسية اليهم من الأشراف.

عوامر

وهم قبيلة مرسية في جنوب شرقي الجزيرة العربية ويعدون انهم من الأشراف .

عوازم

وهم قبيلة كبيرة من غير الاشراف في شمال شرقي الجزيرة العربية .

بني هاجر

وهم قبيلة من الاشراف في وادي الدواسر الى جنوب الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية ولكن بعضهم الآن يسكن في قطر والكويت والظهران ، وشيخهم الأعلى هو شافي ابن شافي .

آل كعب

وهي قبيلة من الاشراف تسكن عربستان في ايران ولكنها لا تعد من قبائل الجزيرة العربية وسنذكرها هنا لمجرد مشابهة الموضوع . وبنو كعب هم الذين هددوا الكويت في أيام مريم ووالدها عبدالله الصباح ، وقالت بإبادة آل نصار العائلة الحاكمة فيهم .

وفي الحديث الذي اشترت اليه في الفصل الأول الذي حصر الشيخ عبدالله السالم ان آل نصار عائلة عربية أصيلة تتصل بنسب مسبيع في الاحساء ووسط الجزيرة العربية ، وقال أيضاً ان القبائل على الشاطئ الفارسي الى الشمال والجنوب من بوشهر ، كانت جميعها من أصول عربية نقية ثم أقساماً من عجمان ومطير وسبيع ، ولكن قبائل الجزيرة العربية لا تزوج بناتها لهؤلاء لأنهم تزوجوا واختلطوا بالاعاجم .

بني خالد

وهي قبيلة كبيرة من الاشراف في الاحساء . وقد اشتهرت هذه القبيلة في

التاريخ العربي ، وقبيلة آل كرفيه هم آل عرابي .

بني صخر

وهي قبيلة من الاشراف في الاردن .

بني تميم

وهي قبيلة عريقة من الاشراف في الجزيرة العربية تتمثل في ... في قطر .
وحكام قطر الحاليين هم من بني تميم .

(٤)
بني هاجر

وهي قبيلة من الاشراف تقطن في الجزيرة على حدود قطر المنطقة الشرقية .
وهم من ... آل عجمان وآل مرة .

بني ياس

وهي قبيلة من الاشراف في امارة ابوظبي وشرق قطر على الخليج الفارسي .

(٣)
بلي

قبيلة في شمال الحجاز قائدها ابن رفادة .

الدواسر

قبيلة من الأشراف في وادي الدواسر جنوب الرياض .

حرب

قبيلة من الأشراف في نجد الحجاز التي كانت فيها ... قرون .

حميرة

قبيلة من الزراع في عفوف .

حجيم

قبيلة قوية من غير الأشراف في شمال الحجاز .

آل خليفة

وهم حكام البحرين ويتحدرون مع آل الصباح في الكويت من قبيلة عنزة المتفرعة من عنيزة . ومع أنه كانت لآل خليفة علاقات مستمرة مع البريطانيين منذ سنة ١٨٠٥ وعقدوا معهم في معاهدة سنة ١٨٢٠ ، إلا انهم لم يوقعوا مع البريطانيين اتفاقات رسمية كتلك المعقودة مع امارات الا في سنة ١٨٦٧ في زمن الشيخ عيسى بن علي آل خليفة . والشيخ عيسى مدين للبريطانيين بتوليه الحكم لأنهم نصروه ضد فرع آخر من العائلة الذي كان طامعاً في الاستيلاء على الحكم في الجزيرة .

وقد حكم الشيخ عيسى حتى سنة ١٩٢٣ حين عزله الوكيل البريطاني في البحرين الذي كان يأتمر بأمر حكومة الهند وعين ابنه حمد خلفاً له على العرش . وظل الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة في الحكم حتى وفاته في سنة ١٩٤٢ وخلفه ابنه الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة وهو من اكثر الحكام في الجزيرة العربية حنكة ويتمتع بحب واحترام الشعب . ولا زالت البحرين حتى اليوم ترتبط بأوثق المعاهدات مع الحكومة البريطانية .

مناصير

قبيلة من الأشراف في عمان .

آل مرة

قبيلة قوية في وسط وجنوب شرقي الجزيرة العربية لم تعرف كثيراً مع انه

كتب عنها الكثير . فقد كتب عنهم برترام توماس ، وبول هاريسون في كتابه « العرب في دارهم » وسنت جون فلبي في كتابه « الربع الخالي » ، وكلهم أشاروا إلى البيئة القاسية التي يعيش فيها هذه القبيلة ، وإلى رقصاتها الشعبية ، وشراستها ، وقوة بأس أفرادها ، وشدة مراسهم . ومع هذا فلن يكون هنالك ضير من إعادة بعض المعلومات التي سبق أن أخذتها عنهم من رجال وشباب آل مرة الذين صادفتهم في بعض الأحيان . وسأبقي على ذكر عدد من القصص والروايات في فصل آخر من الكتاب ، وسينحصر حديثنا هنا بتلك التفاصيل المتعلقة بطريقة حياتهم وعاداتهم وتاريخهم .

انهم قوم أشداء معتدون بأنفسهم اشتهروا بولائهم لمن هم على رأي : أي لكل من أكلهم وأكلوا من أكله ، لو أن قدموا له الطاعة والخضوع ، أو أعطوا عهده وقطعوا له عهداً . وهذا ما يفسر تمسكهم بعبد العزيز آل سعود وتعلقهم بالملك خالد . ويقدرون ان قبائلهم يبلغ عددها عشرة آلاف . ومع انه قد يكون في هذا الرقم بعض المبالغة إلا أن عددهم أكثر من التقديرات السابقة . ومع أنهم من الأشراف فانهم لا يتزوجون ولا يزوجون إلا من الأشراف . وهم يعتبرون قبيلة عجمان القوية التي تعيش ابعد منهم في الشمال . ويعيد آل مرة الأصل إلى ابن مرة هو ابن عم حمد الشجان . واسمهم أيضاً أحفاد مرة وهي العطابة شهيرة .

وديرة آل مرة التي يسكنونها هي أواسط الربع الخالي ، ومنطقة الشمالية والشرقية منه . وهم ينظرون إلى واحة جبرين بأنها ملكهم الخاص يقيمون فيها في الصيف . ولكن قادتهم ، بسبب وجود ملاريا في جبرين ، بدأوا مؤخراً يفضلون الانتقال إلى المنطقة على بعد ١٨٠ ميلاً إلى الشمال الشرقي من جبرين ، ويضربون خيامهم في يبرين وهي منطقة خاصة بالبدو خارج المدينة . وهذا المكان الجديد يسهل عليهم التزود بالطعام كما يساعدهم على الاتصال المباشر بيني الملك سعود .

ومنذ عدة سنوات انخرط رجال من آل مرة ان هنالك واحة أخرى أجمل من جبرين يجيدون زيارتها والاشتراك فيها مع أصدقائهم من الأشراف مثل آل مر

ومكتنفيه دون يأس ، ويقول إن فيها ينابيع غزيرة وأشجار نخل كثيرة ، وإن قوماً من أسودين من الجبل من الشمال الغربي من الجبرين ومثل هذه المسافة إلى الجنوب فالغرب من أم الحي ، وإن أهم هذه الواحة تدعى ... .

وإنه أيد هذا الاسم مرجحاً أن ان تعرف به بأنه يوجد وهي واحة أو مجموعة من الواحات في داخل ... . وقد زارها فريق من موظفي شركة أرامكو في إحدى حملات الاستكشافية الدقيقة الممتدة قبل الحرب العالمية الثانية ؛ وكان دليلهم في تلك الرحلة صديقي المشهور عيسى بن ... وهو من آل عجمان ، وزوجته هي أخت محمد بن ناصر رئيس حرس شركة نفط الكويت في منطقة برقان .

وفي سنة ١٩٤٣ التقيت أنا وزوجتي لحسن الحظ بعضو بارز من آل مرة اسمه محمد بن سالم دواس المري وهو من أفخاذ عشيرة ... من ... . وقد حضر محمد إلى الكويت بأمر من وزير مالية ابن سعود الذي طلب منه اختيار مرافق يتقن اللغة ، لأنه أرسل مدير شركة هوبز في الكويت ، وقد رافق محمد بن سالم هذا بصحبة ... كان مضيفاً ، وبقي عدة أيام في الكويت وتحول عدة مرة طوال ... وزارنا بعد ذلك عدة مرات . وقد حدثنا عنه قصصاً وروايات هامة منها ما هو حقيقي ومنها ما هو محض الخيال .

ومن بين الأشياء التي رواها الأمور التالية :

١ – أن سرقة الحرب عند آل مرة هي « أولاد الشيوخ » .

٢ – إن آل مرة يتعاونون دائماً وفي كل الظروف للعجمة العجمان لأنهم من أصل واحد . فإذا تعرض العجمان لهجوم لما عليهم إلا بطلب من الجانبين حولاً حول هذه حقيقة حوادث وتندمج بهم جميع آل مرة لنجدتهم . ويقول محمد ابن سالم أن هذا التعاون في الحرب ضروري ولكن لا يعني أن آل مرة وآل عجمان ليست لهم خلافاتهم الخاصة ونزاعاتهم الداخلية .

٣ – وقد وصف لي بالتفصيل كيف تحدث الرمال في أعماق الصحراء أصواتاً غريبة وأعطاني تفسيراً معقولاً لهذه الظاهرة . فقال إنه عندما تهب الرياح تتكون

سلاسل متموجة من الترانات الرملية على منحدرات الكثبان . وعندما تأتي رياح قوية تؤثر في هذه التموجات فتحدث صوتاً أشبه بصوت طائرة في الفضاء . ويروي رجال القبائل المعمرين من آل مرة ان هذا هو صوت الجن في الربع الخالي وان ذلك أحياناً يصيب الانسان بمس من الجنون . ويقول محمد ان الجن هناك لها اعين مشقوقة من الأعلى الى الأسفل وليس أفقياً كما في الانسان ، وان جدة القبيلة كانت جنية والطبع لها مثل هاتين الجنيتين .

٤ – ان آل مرة يصبرون التصبر على البقاء دون ماء . ومع ان محمد بن هادي كان في الكويت على بعد ... ميل من ديرته فانه لا يذوق طعم الماء شيئاً سنة كاملة الا في القهوة . والشرب المفضل عنده هو حليب الابل .

٥ – ان طريقتهم في الحرب هي نفسها : استدراج العدو الى الداخل والابتعاد من الربع الخالي والقضاء عليه .

٦ – ان اعظم شرف يسبغه المري على ضيفه هو ان يذبح له جملاً صغيراً ويغذيه بحليب أمه .

٧ – ليس كل آل مرة من مقاتلي الأبار المعتادين . ويحارب بعضهم القبائل الاجنبية لتلقف الشهور .

٨ – عندما يصبح المري صديقاً يبقى صديقاً الى الأبد .

وأخبرني محمد القصة التالية عن أصل آل مرة :

منذ عدة مئات من السنين وقبل زمن ابراهيم حين لم تكن هناك دولة ... يتعود الناس على الغزو والقطاعة ، كان يعيش في جنوبي الجزيرة العربية فارس شهير يدعى علي بن مرة أخو جد قبيلة عجمان . (هنالك من يقول ان عجمان ينحدر من مرة وان علي ابن مرة) .

وذات يوم من أيام الربيع كان علي بن مرة حزيناً لأن الجرب تفشى في جماله الاربعين فلم يبق منها على قيد الحياة إلا أربعة كانت مريضة للتأ . فلم يطق علي ان يرى هذا المنظر المؤسف فحمل نفسه بائساً وتوجه الى الربع الخالي . وهناك وفي مكان منفرد وقع نظره على فتاة حسناء تصارع من أجل حياتها مع ثعلب

كبير ، فرح ان لحمته وقع في قبضة الذئب ، وشكرته الفتاة على جميله وسألته ان يطلب اي شيء فتمنحه اياه . فاعرب لها عن رغبته في الزواج منها ، فاجابته ان ذلك غير ممكن ما لم تحصل على موافقة والدها واخوتها الذين يعيشون مع شعبها من الجن في بطن الارض .

وهنا تأكد علي بن مره ان تلك الفتاة ليست انسانا عاديا بل هي من الجن .

ثم وجدته لا يزال مترددا سألته عن رغبته فأخبرها قصته وانسه تراه امام الاربعة الباقية ورماه الثالثة في يعلق ان يراها قوت أمامه فيجرح .

... لذلك معي (قالت) ... ... كيف يداوي جمالك ويمكنك ايضا ان تطلب منه يدي .

وبعد ذلك طلبت من علي بن مره ان يغمض عينيه وشعت على ... ... واعطت الشعرة فاتقته كيف تعظم في بطن الارض تحتويها انزلا فيه ... السفلي تقابله شعب الجن .

وعندما ازاحت يديها عن عينيه دهش علي بن مره عندما وجد بلادا جميلة امام ناظريه ينساب فيها الماء من كل جانب وتسمع فيها الاغاني والازهار في كل مكان . ورأى ايضا ان عيون الفتاة ... مشتوقتين من الاهل الى الاشغال بعد ان كانت فوق الارض كبريق القمر . ولكن ... شيئا من ... .

والتقت الجنية علي بن مره الى والدها واخبرته بالقصة كاملة ، كيف انقذها علي من الذئب وكيف ... على جماله ثوب وراء المثل وانه يرغب في الزواج منها وانها ابدت استعدادها لذلك بشرط ان يعطي موافقته . فوافق الاب واولاده في الحال على زواجها من علي وابدى جميع الجن في المكان اعجابهم وا... لعلي لانه انقذ اميرتهم من الذئب . وتبين علي ان هذه الفتاة هي ابنة شيخ الجن .

وقد وضع الجن شرطا واحدا على علي بن مره وهو انه لن يسمي بعد ذلك باسم الله بل باسم الجن ، وانه لا يقوم بأي نوع من العبادة والصلاة باسم الله بل

باسم الجن ، والشرط انه اذا فعل ذلك فان اموراً رهيبة ستحدث له .

ثم وافق علي بن مرة وقدمت الجنية على هذه الشروط . فاحتفلوا بزفاف بفرح عظيم وقدموا للفتاة مهراً غالياً .

وعاش علي مع الجن بعد الزفاف سبعة أيام وجد فيها ان الجن يعيشون كالبشر في حياتهم وعاداتهم وملابسهم وطعامهم سوى . . . وادرك [illegible] ان الجن خلق مخلوقة من الاعلى في الأطفال وأن طعامهم [illegible] .

وبعد سبعة أيام طلب الجن ان يصطحب عروسه ويخرج في [illegible] وبعد وداع أهلها وأصدقائها [illegible] الجنية يديها على عيني زوجها ، فإذا به في فوق الأرض من المكان الذي انحدر منه . وسر علي سروراً لا حد له [illegible] وراح يحدث [illegible] وحلا تتنزه بالمدينة . وعندما تساءل زوجته لشكرها وجد ان عينيها [illegible] يتغير رأيه ، فسمعت كثيراً من النسوة والكثير أجمل نساء الأرض ، [illegible] ان هذه الحالي هي هدية من [illegible] الزفاف .

وقاد علي زوجته ورحلته في عمران حيث تعيش أمه مع [illegible] من أقرب بيته [illegible] . وعاش عشر سنوات مع زوجته الجنية التي أنجبت له ثلاثة [illegible] .

ومرت الأيام واصبح عمر ابنائه سبع سنوات كانت أمهم على [illegible] فتمسح [illegible] . وفي يوم من الأيام خرج في رحلة طويلة [illegible] في [illegible] التي [illegible] واستغرقت رحلته عدة أيام عاد بعدها [illegible] . ولم تر زوجته [illegible] لانها كانت قد ظهرها في المكان الذي [illegible] ورائها [illegible] وكانت هي تجلس [illegible] شعرها الذي [illegible] . ولم يكن [illegible] يمر [illegible] ثلاث [illegible] وراسه [illegible] . . .

عندئذ ابرقت السماء وارعدت وانشقت الأرض وابتلعت زوجته وجميع وكل مقتنياته . [illegible] على نفسه [illegible] بقوة حتى لا تختفي مع أمها .

وكبرت الفتاة وتزوجت أحد اقرباء [illegible] . وهذه الفتاة هي جدة [illegible]

الذين يبلغ عددهم اليوم أكثر من ٢٠ ألف نسمة .

هذه هي القصة التي أخبرني بها محمد بن سالم ابن درافم المري .

ولقد سمعت أحدا آل مرة عن اسمه يقرن اسمه باسم أبيه كأن يقول « الاعجي ابن نوره » . وقال لي عدد من الأشخاص الذين بحثت معهم هذا الموضوع إن سبب ذلك يرتقي فلا يمكن واحدهم نفسه بأبيه أحد افراده بسبب الثارات الكثيرة في تلك المنطقة .

ولكن الشعب في البلاد دون ان آل مرة يقدرون تلك قوما يحدهم الجنية .

ويشتهر آل مرة كما ذكرت سابقا بقدرتهم على اقتفاء الأثر . وكثيرة هي القصص التي يروونها عن هذه الموهبة الخارقة . وهم يفتخرون بذلك ويتحدثون عنه دائما . ويبلغ تدربهم في الاستدلال الى حد يستطيعون فيه معرفة ان من هذا الشخص أو ذاك الجمل دون ان يروه ولكن بمجرد التطلع الى آثار قدمه . ويدعون ان هذه معرفة موروثة من الجن والأرواح التي تسكن باطن الارض .

وفيما يلي أفخاذ قبيلة آل مرة :

آل **بحيح** : شيخهم العصل وينقسمون الى قسمين آل عمره وآل شاجت .

الفهايده : شيخهم ابن شريم وينقسمون ايضا إلى قسمين آل بريد وآل دويه .

آل جابر : شيخهم حاتر المراضف المعروف براعي جبرين إشارة الى ملكيته لواحة جبرين .

آل مهته : شيخهم طالب الهتا .

آل **نقدان** : شيخهم الأعلى فيصل ابن نقدان من فرع آل عضبه الذي ينتمي اليه صديقنا محمد بن سالم ابن درافم المري الذي أعطاني كل هذه المعلومات ومنها فيها أسماء الشيوخ التي ورد ذكرهم في هذه الفقرات . أما الفروع الأخرى من نقدان فهي : آل غفران وآل غيالي وآل جرابعه .

وقد حالفنا الحظ اذ وزرنا والتقينا بالشيخ محمد ابن صالح ام ليسل شيخ آل غفران عندما قدم مع ابنه نزا للشراء بعض الحاجيات من الكويت . وقد قمنا نحن بزيارتهم في خيام آل عيسان من الشقية خارج الكويت وعي مكان

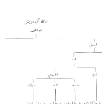
يجيء فيه النمر في الصيف ، ولم يكن لدى الشيخ محمد وابنته خيمة بالمعنى الصحيح لأنهما مسافران بل كانا يقيمان في مكان مكشوف وحوائجهما وماشيتهما في [illegible] حولهم . وفي اليوم التالي جاءت ابنته لتزورنا في المنزل وأظهرت لنا الفتاة رقة [illegible] كبيرين . وقالت انها لأول مرة ترى امرأة انكليزية او رجلاً انكليزياً ويبدو عليها بعض القلق لوجودها داخل منزل [illegible] ، كما قالت [illegible] من ان ينهار عليها السقف ويسحقها . ولم تشاهد مدينة إلا مرة في حياتها وهي الهفوف والكويت لم تدخلها . وقد سررنا بالحديث معها . وهذه الفتاة تبلغ من العمر ٢٢ عاماً بسيطة دقة الابتسامة كثيرة الفضول ولكنها أقل حصافة من غيرها من بنات [illegible] أو عمومتها . وقالت انها ترغب في البقاء معنا دائماً .

وكان الشيخ أيضاً رائعاً ويتكلم كالعادة لغة عربية جيدة يسهل فهمها أكثر من لغة العجمان و قبائل الشمالية . وفي البحث عن الأنساب وخاصة فيما يتعلق بمطير قبيلة آل مرة ذكر لي [illegible] أسماء [illegible] من أجداده حسب التسلسل – أي الى حوالي القرن الثاني عشر – وقال انه [illegible] البقية . ووافق الشيخ محمد ان الجد الأول لقبيلة آل مرة هو [illegible] من مرة [illegible] وأعرب عن اعتقاده أيضاً ان آل عجمان لا ينحدرون من [illegible] .

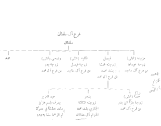
مطير

من قبيلة مطير من ابرز قبائل الجزيرة العربية [illegible] . وتنقسم هذه القبيلة الى ثلاثة أقسام : آل [illegible] ، وآل علوة وآل بريج . ويمتد [illegible] من الكويت في الشمال الى [illegible] في الجنوب ويلازمون الجانب الشرقي من الدهناء [illegible] . وكانت مرابعهم دائماً في الأماكن المجاورة للكويت . [illegible] بقوة الخيل والجمال . وقد اشتهروا في الحروب [illegible] مقتبسة من قواعد بدوية .

١ وطبان



عائلة آل دويش
دويش
فيصل
عبدالله
محمد
شايع
سلطان
ماجد
فرع آل سلطان
فرع آل محمد
فرع آل ماجد
فرع آل الشايع وآل فهد
فرع آل وطبان



فرع آل سلطان
سلطان
مزونه (انثى)
زوجة عبدالله
من فرع آل ماجد
فيصل
زوجته حمشا
بنت محمد
من فرع آل محمد
غاليه (انثى)
زوجة فيصل
من فرع آل ماجد
وضحى (انثى)
زوجة بدر
من فرع آل محمد
محمد
بندر
حمشا (انثى)
زوجة عزاً ابن بدر
من فرع آل محمد
بندر
زوجته الثالثة
الجازي بنت محمد
الفرام آل جدلان
عبد العزيز
يعرف باسم عزيز
مات عطشا في معركة
ام الرضما سنة ١٩٢٩

وينقسم الدوشان الى عدة أقسام ولكنها كلهـــا فروع من عائلة الدويش .
وهذه الاقسام مع رؤسائها هي كما يلي :

آل عماش — محمد ابن عماش آل دويش .
آل سلطان — بندر ابن فيصل بن سلطان آل دويش .
آل محمد — محمد ابن بندر آل دويش .
آل ماجد — عبد العزيز ابن عبدالله الماجد آل دويش .
آل شقير — ترحيب بن بندر الشقير آل دويش .
آل فهيد — ماجد الفهيد آل دويش .
آل وثيان — احمد ابن بندر الوثيان آل دويش.

وعلى الصفحة ٨٦ يرى القارىء النسب المشترك لهذه الفروع .

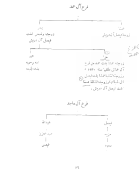
وشيخ الدوشان الاعلى وشيخ جميع مطير هو اليوم بندر ابن فيصل ابن سلطان آل دويش وهو ابن فيصل آل دويش الشهير . وهؤلاء من فرع آل سلطان، كما يبدو على الصفحة ٨٧ . وقد تزاوج آل دويش مع عائلة آل جميعه .

أما فيما يتعلق بالفروع الأخرى فيظهر ذلك من الانساب الواردة في هـــذه الصفحة والصفحات التالية والتي حذفت منها الاسماء التي لا علاقة لهــا بالبحث وهذه الانساب ذات فائدة للالمام بالاحداث التي سنسجلها .

فرع آل عماش

فهيمه
زوجة عبد العزيز ابن عبدالله
من فرع آل ماجد

حصّا
زوجة هزا ابن بندر من فرع
آل محمد ثم زوجة مسعود
ابن مزيد من فرع آل ماجد



فرع آل محمد
بندر
زوجته وشحى اخت
فيصل آل دويش
محمد
امه وضحيه
بنت جليدمه
زوجته عمشا بنت محمد من فرع
آل خالد طلقها سنة ١٩٣٠
وزوجته الثانية عمشا بنت
آل شبلان وزوجته الثالثة هيا
بنت فيصل آل دويش .
فرع آل ماجد
فيصل
عبد الله
عبد العزيز
قيمس
مزيد
سعود

فرعا آل شقير وآل فهد

ناصر ← الحبيب

فهد الاستير (١) — فرع آل فهد ← ماجد ← مطلق ، عقب (٢) ، تركي

ذياب ← عبد العزيز ← شقير

فرع آل وثبان

وثبان

وبدان ← غراب

ناصر ← محمد

أما الجماعة الثانية من مثير آل عاره فينقسمون الى الفروع التالية :

آل مواهه

شيخهم الأعلى ينحدر من آل مويش ويتفرع عنه آل رخمان (شيخهم ابن جريان) .

آل سحيه

شيخهم الأخير جبران الفلو ويتفرع عنهم آل بن بشعون الذين ينتمون في الأصل من بني عبدالله . وان جبرين هو شيخ الجلاعيد مع من ينضم يسمون لا غيره أحق منه بالزعامة .

آل جبلان

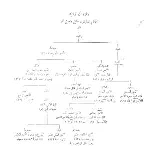
شيخهم الأخير سعود ابن لامي ويتفرع عنهم آل شايع و آل يحيى ، وكان شيخهم فيصل آل شبلان أحد زعماء ثورة الاخوان على ابن سعود سنة ١٩٢٩ - ١٩٣٠ ، وبعد موته أصبح ابن أخيه القدر سعيد شيخاً على خيبر .

أما الجماعة الثالثة من مطير ، آل بريه ، فتتفرع عنهم ثلاثة فروع : أولاد واصل ، شيخهم ابن عشران ، و أولاد علي ، وبنو جبالة .

ويشغل أولاد وأصل بنفس الأرض مع القبيلة مطير ، ولكن أولاد علي يقطنون إلى الجنوب والغرب من حزام الدهناء الرملي وخاصة في قسيم ونجد الحجاز بينما ينحصر بنو عبد الله في داخل نجد .

ومن فروع أولاد واصل : آل ديهين وشيخهم الأخير ابن السارق ، وآل برزان وشيخهم الأخير ابن شوريات . وقد اشتهرت هذه العائلة المرموقة بمشاكل كثيرة في أيامها . وتمتد قبائل شمال شرق الجزيرة العربية الى الجمع هؤلاء الكنب هو كأس من دم برزان ولذلك فان افراد هذا الفرع من مطير مطاردون من أولئك الذين عضهم الكلاب المسعورة والذئاب . ومن الفروع المعروفة ايضاً آل شمران وشيخهم ابن شيمس ، وآل مسامح وشيخهم سلطان بن يوسف . وهنالك فرع من بني عبدالله يدعون آل ميمون فيهم عدة اشخاص يدعون الشيخة .

وهنالك عدد من القبائل غير الشريفة في مطير هي الرشايده وشيخهم التري ابن سبيل الذي توفي سنة ١٩٥٤ وأولاد عنهم آل مرشان ، ثم يعيشان بأولاد الكويت .



سلالة آل الرشيد
الحكام السابقون لحائل وجبل شمر
علي
رشيد
عبدالله
عبيد
حمود
طلال
متعب
الأمير الثالث
محمد (الكبير)
الأمير الخامس
عبدالعزيز
الأمير السادس
سلطان
الأمير السابع
سعود
الأمير التاسع
بندر
الأمير الرابع
متعب
محمد
عبدالله
الأمير الحادي عشر

أهل نجران

هكذا يسمى سكان مقاطعة نجران في جنوب غرب الجزيرة العربية . وقد كانوا في السابق تحت حكم امام اليمن ولكنهم اليوم تابعون للملك سعود عاهل المملكة السعودية .

قحطان

وهي قبيلة من الأعراب في جنوب غرب الجزيرة العربية تنحدر منها عن طريق آل شمر عائلة آل رشيد الملكية التي كانت تحكم حايل وجبل شمر، وتتفرع عائلة جزيرة ايضاً من قحطان . وقد سكن هؤلاء منذ وقت طويل مع الدوشان (من مطير) وتزاوجوا معهم وزعيمهم اليوم هو محمد ابن مطلق الجبعه .

قواسم

قبيلة من الأشراف على سواحل عمان .

آل وشايده

وهم قبيلة من غير الأشراف في مشيخة يعيشون بولاء لشيخ الكويت . ومنهم كثيرون يعملون في تدريب الصقور او تربية الصيد الخاصة بالبلاط الملكي . بينما يعمل قسم آخر منهم في تربية . ويتفرع الرشايده الى ٥ فروع وهم متحدرون مع أولاد عمهم آل هرشان .

آل رشيد

وهم الحكام السابقون في حايل وجبل شمر وينحدرون من فرع آل جعفر المنحدر من آل عبده من قبيلة شمر . وقبل نشوء أميرهم الأول عبدالله ابن رشيد كانت عائلة ابن علي — من فرع آل جعفر ايضاً — هي الحاكمة في حايل باسم آل سعود الذين كانوا يسيطرون على وسط الجزيرة العربية . واليوم فان محمد آل

رشيد الأمير الثاني عشر رهينة في بلاط الملك سعود .

آل رشيد

قبيلة صغيرة في جنوب الجزيرة العربية لا علاقة لها بآل رشيد في حائل .

آل صباح

لقد أتينا على التفاصيل التي يتعلق بأصل هذه العائلة الحاكمة في الكويت اليوم في الفصل الأول من الكتاب . وسنلحق في آخر الكتاب شجرة نسب هذه العائلة لاطلاع القارىء وقد حذفت منها الأسماء التي لا علاقة لها بالبحث .

سهول

قبيلة من الاشراف تتصل بقبيلة سبيع وديارها في الاحساء ووسط الجزيرة العربية .

سيار

قبيلة تسكن داخل حضرموت في جنوب الجزيرة العربية . وقد أخبرني صديقي محمد ابن سالم ابن درام المري أن قبيلة سيار من أسوأ القبائل في نجد ولكنهم يخافون من آل مره .

آل سعود

حكام المملكة العربية السعودية وكانوا في القرن الخامس عشر امراء ضرعيه خاصة نجد القديمة . وهم ينسبون إلى قبيلة المساليخ في عنيزه التي هي نفسها فرع من ولد علي في عرب الجد ويتحدرون من اسماعيل بن عدنان . وبناء على ما يقوله آل سعود فانهم يتحدرون من بني بكر وائل عن طريق ربيعه ملك نجد والاحساء وعمان في القرن الخامس عشر . وسننشر شجرة نسبهم في

المؤتمر الكتابي للاستطلاع الناري . وقد توفي الملك عبد العزيز آل سعود في ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٥٣ فخلفه ابنه الأكبر سعود ، واختار ابنه الثاني فيصل ولياً للعهد ورئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع .

سبيع

قبيلة من الاشراف في الاحساء ووسط الجزيرة العربية ، راجع بني كعب .

شمر

قبيلة من الاشراف في حائل البدوي من وسط الجزيرة العربية حـول جبلي رجبل شمر ويدينة البوم ولاء للملك السعودية . وهم ثلاثة فروع : آل عبده ، وآل أسلم ، وآل سنجاره . وينحدر بيت آل رشيد الملكي من آل عبده من قحطان . وفروع آل شمر الثلاثة ينحدرون من قحطان ولكن الشيخ عبد الله بن علي وهو الشيخ الأعلى في آل رغيب اخبرني ان آل عبده فقط يحق لهم التفاخر بهذا الانتساب .

آل سديري

عائلة مرموقة في نجد . وستذكر تـأثيرها على ادارة المملكة السعودية في شجرة نسبهم في الصفحة الثانية .

صلبة

مرشدون وصيادون مهرة ولكنهم يقـال عنهم انهم ينحدرون من بقايا الصليبيين . ويحتقرهم البـدو في الصحراء كثيراً . وهم أقرب الى مجتمع منهم الى قبيلة وهم يقيمون مجموعات سكانية ثابتـة خارج أسوار المدن، كالكويت وزبير . ونساؤهم لا يتقنعن ولا يضعن القناع على الجزء الأسفل من الوجه .



* امير الجنود هو قائد فرقة الهجانة المتمركزة في سكاكه قرب الاردن لحماية خط انابيب التابلاين الممتدة من الاحساء الى صيدا في لبنان .

قبيلة من الاشراف في طرف شرقي من وسط الجزيرة العربية . وتمتد هذه القبيلة إلى فرعين : آل حميد وآل روقه . وكانت قبيلة عتيبة في وقت من الأوقات فرعاً ثورياً من عتيبه .

آل زعب (وعدوان)

قبيلة حضرية من الاشراف ليس لها موطن محدد وهي شبيهة بقبيلة حضرية أخرى تدعى عدوان . وهاتان القبيلتان دائماً يرحلان معاً ويقيمان معاً . ويعترف الشيخ شبيقان بن عقيد من كبار شيوخ آل زعب في الاحساء بن عدوان ، وهي قسم لأقسام شائعة اليوم . كانت قبيلة عظيمة في زمن الرسول ﷺ وكانوا يستقبلون لجنيد ابن خيال عدا عن اضافة ، وهي قبيلة من اشراف العرب المشهورة ومن نسل اسماعيل .

اما اليوم فان آل زعب منتشرون في كل مكان ويستطيع المرء ان يجد منهم ٢٠ او ٣٠ خيمة بين كل قبيلة تقريباً في الجزيرة العربية . وهم لا يستطيعون الاتحاد لأن لعنة الرسول حلت عليهم بسبب ضبط أحدهم وهو يسرق [illegible] الرسول .

ومشهورة [illegible] آل زعب بين بني خالد وقد روي في الشيخ [illegible] قديماً يقول : لا تتزوج امرأة من زعب ولا تركب جملاً عرجاً ، فالاول تنسد بيتك والثانية [illegible] .

القسم الثاني

لا يقدم القوم الا خيارها



الفصل الرابع

نشوء وانهيار الوهابية*
١٧٤٢-١٨٩٣

في حوالي نهاية القرن السابع عشر ، انقسمت نجد والجزيرة العربية عموماً ، باستثناء عمان واليمن والحجاز ، الى مقاطعات ومدن مستقلة يحكم كل واحدة منها أمير زعيم ، تقابل جماعة البدو . أما الدين فقد نسي ، إلا باشكاله البدائية ، بين أهل المدن وانتهى من الوجود عملياً بين رجال القبائل .

ويقول وليام بلغريف في أحد كتبه عن الجزيرة العربية : ولا تزال الطقوس الدينية والخرافات المتصلة بالشمس والقمر ، كعبادة الشمس والقمر والنجوم ، كما كان الحال قبل الاسلام ، تجد من يقدسها ، بينما صبح الطاووس ومراسم الزواج المقدسة شيئاً منسياً .

وفي سنة ١٦٩١ ولد في مدينة عيينة في جنوب العريض احدى مقاطعات نجد ، شخص يسمى محمد ابن عبد الوهاب . وكان والده من قبيلة تميم التي كانت بلدوها بيت ابن علي وسيطرت على كل جبل شمر في ذلك الوقت .

وعندما بلغ محمد سن الرشد بدأ يتعاطى التجارة كما يفعل معظم شبان نجد

الى الجيرة ، وكانت رحلته التجارية الأولى الى البصرة فبغداد . وبالنتيجة الى دمشق حيث التقى بعدد من علماء الدين المتزمتين وكانوا من السنة وبعضهم يدين ، مثله ، بالمذهب الحنبلي وبعضهم الآخر بالمذهب الشافعي .

وكان هؤلاء العلماء يعارضون المبتكرين غير الملتزمين في الشيعة ، ويعارضون الطرقات التي يمارسها الدراويش وما شابه ذلك ، ويعارضون كل ما أدخله الفرس والأتراك من المبتكرات الى الشرق العربي .

[ويقال ان محمد ابن عبد الوهاب زار البصرة في العقد قبل ان يتوجه الى البصرة ، وهناك التقى برئيس الجماعة التي تميل الى الحرب والقتال ، الشيخ . ولكن هذه الرواية مشكوك بصحتها .]

بعد ان أكمل محمد ابن عبد الوهاب دروساً في الشرع بدمشق ، حج الى مكة والمدينة وعاد بعد ذلك الى موطنه نجد حيث تزوج واستقر في قرية حريملا قرب شارع عاصمة نجد في ذلك الوقت ، وهناك وقف حياته لتعاليمه . ومظاهر هذه التعاليم الاساسية هي :

١ — اعادة تركيز المعتقدات المحمدية كما وردت في القرآن ورفض كل ما عدا ذلك من المعتقدات والتقاليد التي قبلتها السنة .

٢ — عدم الاعتراف بأي سلطة روحية للمذهبيين ، أو أي خليفة آخر ، وبأي احترام خاص يتوجب اداؤه لاشراف مكة (السادة الذين يتحدرون من الرسول) ، أو القديسين والاولياء ، أو الدراويش وغيرهم من الاشخاص .

٣ — اعادة الانضباط في قضايا الصلاة والصوم والحج .

٤ — تحريم الخمر ، والتبغ ، والعاب القمار ، والسحر ، ولبس الذهب والفضة ، واقامة احجار تذكارية على قبور الأموات .

وكان محمد ابن عبد الوهاب يتمتع بحيوية جسدية وفكرية ، وساعدته تجربته في دمشق ، كما قال بلغريف ، على جمع آرائه وترتيبها وتحديدها بوضوح . وقد كانت قبل ذلك في ذهنه بصورة مشوشة غير منتظمة . فقد تعلم أن يميز بين عناصر الاسلام الأساسية وبين ما طرأ عليها من بدع حديثة . وأخيراً وجد

زمنه بنت الفكرة الأولية لقصة انطلاق الرسول وصحبه في الحجاز قبل اثنى عشر قرناً .

وفي سنة ١٧٤٢ لجأ محمد بن عبد الوهاب في اقناع وتحويل محمد بن سعود حاكم الدرعية ، وكان محمد ابن سعود ينتمي الى قبيلة المصاليخ من عنزة ، فلما اعتنق افكار محمد بن عبد الوهاب ، تبعه الكثيرون من سكان ضواحيه والمدن المجاورة فأصبح رأس هذه الديانة المستصلحة ، وكما يسميها «الوهابيون» ، رأس الاسلام كله .

وبفضل توجيهات خاصة من محمد بن عبد الوهاب ، والروح الجديدة المعارضة من الشعائر الجديدة ، استطاع محمد ابن سعود ان يبسط سلطانه على كل العريض ثم على القسم الأكبر من نجد ، فأصبح بذلك سنة ١٧٦٥ أول أمير وهابي في تلك المنطقة . وكان اشد خصومه أهل الرياض الذين صمدوا طويلا بقيادة الشيخ محمد ابن دواس مستنجدين ابن عريعر العائلة الحاكمة في قبيلة بني خالد الشريفة . وهؤلاء أي بني خالد يشبهون الى حد كبير آل السعدون في المنتفق بالعراق ، انهم يملكون منطقتي الاحساء والقطيف ، ومع انهم انجدوا على دفع الجزية ، فقد كانوا دائماً على عداء مع آل سعود ولا يزالون كذلك حتى اليوم .

وكان من اشد خصوم الوهابية ثنيان ابن سعود شقيق الأمير محمد الذي لا يزال نسله ينتمي الى معارضي الوهابية في العريض . ولكنه تجدر الاشارة هنا الى ان احمد ابن ثنيان رئيس هذا الفرع المعارض من آل سعود ، قام سنة ١٩١٩ بزيارة لندن مع فيصل ابن عبد العزيز آل سعود وظل الى يوم موته من أشد مؤيدي هذا الحاكم .

توفي محمد ابن سعود سنة ١٧٦٥ وخلفه ابنه عبد العزيز . اما محمد ابن عبد الوهاب فقد عاش عمراً طويلاً وتوفي سنة ١٧٨٧ .

علي باشا يهاجم الاحساء

وكان الأمير الثاني لنجد رجلاً قوياً طموحاً . فبعد أن أخضع نجد والاحساء

أخذ يتوسع بقوة السلاح شمالاً حتى البصرة والأراضي العراقية التي كانت تضم ثلاث ولايات عثمانيـة هي بغداد والبصرة والموصل وكانت تشكل جزءاً من الأمبراطورية العثمانية .

وقد أفزعت ضربات عبدالعزيز على تلال سنجار قرب الموصل في شمال العراق الحكومة العثمانية بحيث انها جردت عليه حملة سنة ١٧٩٨ بقيادة علي باشا . وكانت هذه القوة التي سارت من بغداد الى الاحساء تضم اربعة أو خمسة آلاف من المشاة تدعمهم المدفعية ومفارز كبيرة من البدو الذين تم جمعهم من المنتفق والظفير والقبائل الأخرى المعادية للوهابية . واستطاعت هذه القوة التي شقت طريقها على الساحل ان تخضع القسم الأكبر من الاحساء ولكنها فشلت في احتلال العاصمة الحصينة « الهفوف » .

وعندما اضطر علي باشا الى التراجع شمالاً اصطدم بقوات سعود ابن عبدالعزيز آل سعود (ابن الأمير) الذي كان مركزه قرب « ثاج » ولم يكن هناك بد من وقوع معركة حاسمة بينهما ولكن وساطة البدو القاطنين هناك نجحت في تجنب وقوع المعركة شرط ان يسمح لقوات علي باشا ان تعود الى البصرة دون ان يتعرض لها أحد . ونتيجة لذلك عاد سعود فاستولى على الاحساء واقال الفقراء بأسرهم الذين خضعوا للأتراك .

وأسهم هذا الحادث اسهاماً كبيراً في انتشار الوهابية وامتدادها وانهالت على الأمير عروض الخضوع والولاء من كل جانب . ووجه الأمير عبدالعزيز الى الحكومة ان يصالح بغداد فأرسل هدايا ثمينة وقطيعاً من الخيول الأصيلة كهدية لاسترضاء الوالي سليمان باشا .

ويظهر ان الأمير كان رجلاً محباً للسلام متواضعاً بسيط الطبع والعادات وتقياً أشد الاخلاص . ولكن ابنه سعود كان محارباً وهو الذي دفع بالوهابية الى التوسع والانتشار . ولجدير بالملاحظة هنا كيف ان طباع هذا الأمير وابنه تنعكس تماماً في الأمير عبدالرحمن وابنه الملك عبدالعزيز آل سعود والد الملك الحالي .

وأصبحت الوهابية دولة لها حكومة ثابتة وإدارة مركزية ونظام للضرائب بدلاً من الجزية وجيش على أهبة الاستعداد بقيادة سعود .

وكانت هنالك ، في الوقت الحاضر ، معارضة شديدة للدعوة في الصحراء ، حيث يتمسك البدو بتقاليدهم واستقلالهم ، وراء تلك المعارضة ضراعة الانضباط الديني الصارم الذي فرض عليهم .

شمر وجبل شمر حيث تتركز عداوة البداوة ، لم تقبلا المعتقدات الوهابية بل بقيت قبائل الاحساء بالاكراه ، لأن سكانها شعب عامل ترعرع بالنفوذ وبلاد فارس علاقات تجارية . ويبدو أن جنوب نجد وحده هو الذي أقبل على الوهابية بتعصب ، وكان هذا الشعب قوة للوهابية وسبباً في انتشارها .

وفي سنة ١٧٩٩ حج سعود إلى مكة لأول مرة على رأس أربعة آلاف من الدعاة المسلمين . وقد تكرر هذا العمل سنة ١٨٠٠ . وحتى وقت قريب كان طريق الحج من بغداد والبحرين إلى مكة عبر نجد ممنوعاً على الشيعة الذين ينظر إليهم الوهابيون بأنهم كفرة لممارستهم البدع . وقد أثار ذلك شعور العداء للوهابية في العراق وفي نواحي الخليج الذين سكانها هم من الشيعة بحيث أن إيرانياً من كربلاء أقدم على اغتيال عبد العزيز . ويقول الكولونيل روس مقيم البوشهر في بوشهر في ذلك الوقت أن هذا الحادث وقع سنة ١٨٠٣ . ولكن آل سعود يقولون أنه حدث سنة ١٨٠٠ ، وهذا التاريخ أكثر انطباقاً مع الواقع . ومثلاً على ذلك ، حيث حدث سنة ١٨٠١ من غارة بقيادة سعود على كربلاء ضباط سعود . وفي نفس السنة زحف سعود نفسه على رأس عشرين ألف رجل إلى الفرات في ٢٦ نيسان وهاجم كربلاء ، وأعمل السيف في رقاب كل الذكور من سكانها ونهب قبر الحسين وعاد محملاً بالغنائم .

وكان لمزج هذه الهجوم ، باسم الإصلاح الديني ، على مدينة تحتضن ضريح السلطان ، صدىً للرعب والدهشة في جميع أنحاء العالم الإسلامي .

وقد فرضت الجزية على جزر البحرين سنة ١٨٠٢ ، وانتشرت الوهابية على طول الساحل الشرقي إلى الباطنة من خليج عمان . واعتنقت عدة قبائل عمانية

المذهب الوهابي ودفعت الزكاة للأمير سعود ، وبعض تلك القبائل وعلى رأسها شمر وآل خليفة لا تزال على المذهب الوهابي الى اليوم .

وفي سنة ١٨٠٣ نشأ خلاف مع غالب شريف مكة ، فزحف سعود الى الحجاز على رأس جيش قوي واحتل الطائف ودخل مكة واستولى على أموال غالب وعين مكانه شريفاً على مكة من اتباعه . ولم يشهر سعود في تلك الحملة يظهر العدو بل يظهر الحجاج ومنع جنوده من السلب والنهب والاعتداء .

والحادث الوحيد الذي حدث به وقبل بالمدينة هو تحطيم بعض القبور الكبيرة في المدينة بحجة انهم قد أفسدوا قالوا : لم تعد هنالك أصنام في هذه المدينة المنادرة .

وأمر سعود بمصادرة الخمارات وحطم أدوات شرب التبغ ومساكن أولئك الذين يبيعون الحشيش والتبغ ، وأماكن الدعارة . وعاد بعد ذلك الى نجد حيث قضى الشتاء في وسط الجزيرة العربية بلا إزالة المدينة المنورة .

ويمكن اعتبار هذه المرحلة ذروة سيطرة الوهابية . فقد عم النظام وحكم القانون الجزيرة العربية باشراف حكومة مركزية . وخضعت حدوده الى شارعه وهد سعود ، وشدد الرقابة بحماية الارواح والممتلكات والتجارة في جميع أنحاء اماراته . وقد استمرت هذه الحال عدة سنوات .

بدء العلاقات البريطانية ـــ الكويتية

بدأت العلاقات بين بريطانيا والكويت سنة ١٧٧٥ أيام حكم الشيخ عبدالله ال صباح عندما كان الايرانيون يحاصرون البصرة ، فاضطر البريطانيون الى ارسال بريد الصحراء من الخليج الفارسي الى حلب من الكويت . واستمر هذا الوضع حتى سنة ١٧٧٩ .

وفي سنة ١٨٠٥ طلب الشيخ عبدالله وسائر وزرائه الدولة الحديثة التي انشأها آل خليفة على الشاطىء الغربي لشبه جزيرة قطر عندما تركوا الكويت حماية بريطانية ضد تحكم طمعاً بالوهابيين في البحرين في حالة

انقطاع وتردي العلاقات بينهم وبين الوهابيين الذين كانوا يدفعونهم والذين قد يحرضونهم على القيام بعمليات تعرقل التجارة البريطانية . ولكن هذه المقترحات لم تلاق ترحيبا .

وفي سنة ١٨٠٧ جرد سعود حملة ثانية على الفرات وحاصر مدينة النجف الاشرف المشهورة ولكنه فشل في دخولها فانسحب الى التراجع . وبعد سنتين من هذه الحملة جهز جيشا قوامه ٣٠ الف رجل ليهاجم به بغداد ولكنه صرف النظر عن هذه الخطة عندما وقعت اضطرابات في داخل نجد . وبدلا من ذلك زحف الى الحج في مكة وعاد بطريق المدينة التي ضمها الى امبراطوريته .

وظلت قوات الوهابيين تحرز تقدما في عمان . ويظهر ان امير عرف في الشد لاقتراف اعمال القرصنة التي ارتكبت في المحيط الهندي . وهذا ما دفع البريطانيين للاتفاق مع سلطان مسقط ، الى تجهيز حملة ضد سكان قبيلتي رأس الخيمة والقواسم على مدخل الخليج الفارسي . وقد عرض على الشيخ عبدالله حاكم الكويت الاشتراك في هذه الحملة لكنه رفض . ونجحت حملة وكانت من نتائجها الزام القواسم بمعاهدة تفرض عليهم احترام العلم البريطاني وممتلكات البريطانيين ومساعدة السفن البريطانية التي ترسو على شواطئهم .

وقد نقض هؤلاء الاتفاقية عدة مرات مما اضطر البريطانيين الى تجريد حملة عليهم سنة ١٨١٩ ادت الى هزيمة رأس الخيمة والى عقد سلسلة معاهدات جديدة مع القواسم وقبائل الساحل المهادن . وظلت هذه المعاهدات سارية الى اليوم .

ولم تكن هذه العمليات البريطانية من عند الوهابيين ، فتقدموا في السنة التالية الى مطرح على بعد عدة اميال من مسقط ومنها الى البحرين فاحتلوها وتوغلوا عليها حاكما عسكريا يدعى ابن العفيصان . ولا تزال القلعة حتى بناها قائمة الى اليوم ويستخدمها حاكم البحرين سلمان آل خليفة الحاكم الحالي مقرا رئيسيا للشرطة .

وبعد ذلك هاجم سعود العراق وفي سنة ١٨١١ وصل ابنه عبدالله في حملته الى ضواحي بغداد ، بينما هاجم قائده ابو نقطه ، وهو بالاصل عبسي ، سوريا

وغرض الفدية على دمشق . وقد أنقذت المدينة بفضل التحالف بين الشمال تحت قيادة ابن شعلان شيخ فرع الروله من قبيلة عنيزه الذي هزم ثم نفطه على الماضي بما دفع جيوش الوهابيين الى التراجع مرة ثانية الى نجد .

الاجراءات التركية ضد نجد

وبالرغم من ذلك كان من المحتمل أن تمتد امبراطورية ... استانبول الى البحر المتوسط ويشتمل مذهب محمد بن عبد الوهاب الشعب العربي كله ، فالمذهب المشتق عن الدين الاسلامي الحنيف .

وقد ظهر الاتراك لأول مرة في الجزيرة العربية سنة ١٥٢٩ بعد ... فرغ السلطان سليم الاول من غزو مصر وانتخب الخلافة من العباسيين واحتل مكة والمدينة وضم اليمن الى ممتلكاتــه . ولكن الاتراك لم يستطيعوا في وقت من الاوقات احتلال كافة تلك الأراضي من الجزيرة العربية الواقعة وراء المناطق المحيطة بالبحر الأحمر مباشرة . وفي القرن الذي شهدتم الحركات الوطنية ... من هناك لم تتعد سيطرتهم على الجزيرة العربية طرق الحج من دمشق والقاهرة .

ولم يكتف رجال سلطان محمود الثاني عن تذكيرهم ... الجدد من البيت العثماني الخلافة ... الى تكن على سيطرتهم على المدينتين المقدستين مكة والمدينة . ونتيجة لهذه على استعادة هاتين المدينتين بالقوة ، عقد السلطان العزم أخيراً على اتخاذ اجراءات خطيرة ضد نجد . ويمكن مقارنة الأوضاع والمصالح المعقدة التي نشأت في أوروبا خلال السنوات التي سبقت ذلك هي التي أخرجت الحملة مثل هذه الاجراء الحاسم .

وعمــا ساعد الوهابيين على تحقيق نجاحاتهم لجزيرة نابليون ... مصر وما تبعها من التفكك في ممتلكات الامبراطورية التركية . وعندما آل الحكم في مصر الى أيدي عامل قوي هو محمد علي باشا ، أنشد السلطان على واجب معاقبــة آل سعود .

وكان غياب جيوش سعود وانشغالها في الشمال ... القرصنة الذهبية أمام الجيش

المصري . فقد أرسل محمد علي باشا جيشاً قوامه ثمانية آلاف رجل الى الحجاز بقيادة ابنه طوسون باشا .

واحتل الجيش المصري مكة بدون مقاومة . ولكنه عندما توغل في الداخل التقى بجيش عبدالله آل سعود الذي هزم جيش طوسون في الصحراء وأفنى نصفه . ولم يجد القائد المصري بداً من أن يتراجع الى مكة وتحصينها بانتظار الامدادات من مصر .

وغضب محمد علي باشا لفشل ابنه فذهب بنفسه الى مكة سنة ١٨١٣ وقبض المصريون على شريف مكة لاعتقاده بأنه يساند الوهابيين وارسله رهينة إلى القاهرة . وفي ربيع سنة ١٨١٤ كلف طوسون باشا ثانية بقيادة حملة على نجد . فقابله الوهابيون بين الطائف وتربة وهزموه مرة ثانية .

وبينما كانت الاستعدادات تجري لتجهيز حملة جديدة توفي الأمير الوهابي الكبير سعود ابن عبد العزيز آل سعود في نيسان من تلك السنة . وعاهد الوهابيون ابنه عبدالله خلفاً له دون معارضة .

وفي كانون الثاني سنة ١٨١٥ – السنة التي وقعت فيها معركة واترلو – انزل طوسون باشا بالجيش الوهابي أول هزيمة خطيرة . واقتحم القائد المصري الخرمة وتابع انتصاره فاحتل المدينة المنورة وتقدم الى قلب القاعدة الشمالية من نجد حيث استولى على عاصمتها الرس وبدأ يعد العدة من هناك لقيام بحملة جديدة .

وتراجع عبدالله آل سعود الى مدينة عنيزة . ومن هناك طلب فتح مفاوضات مع المصريين انتهت بخضوعه لطوسون باشا . وقد أثار ذلك دهشة الكثيرين لأن عبدالله كان لا يزال يملك جيشاً قوياً يستطيع المقاومة . وربما كان السبب في استسلامه انه شعر بأن مركزه في نجد مزعزع . فالمعروف عن أهل البادية انهم يخافون وان قاعدتهم التي لا تتغير هي اتباع الرجل القوي ولذلك خضعوا لحكم الوهابيين دون ان يتناولوا به على ارادتهم . وبعد ذلك انضم الكثيرون منهم إلى صفوف الاتراك بينما فقد سكان المدن من أهل نجد على اثر هزيمة سيدهم كل ثقة بامكانية الانتصار من جديد .

ومهما كان الأمر فقد قبل ابن سعود ان يتقيد بالشروط التالية :

١ – ان يعترف بالسلطان العثماني سيداً .

٢ – ان يقدم رهائن ضماناً لتصرفاته في المستقبل وان يكون هو مستعداً للمثول بنفسه في الآستانة اذا استدعي .

٣ – ان يسلم عاصمته الدرعية الى حاكم يعينه السلطان .

٤ – ان يعيد الجوهرات التي سلبت من المدينة المنورة اثناء زيارة والده لها سنة ١٨٠٩ .

وبموجب هذه الشروط عقد الصلح بين عبدالله وطوسون باشا . واعطى عبدالله الرهائن المطلوبة لكنه لم يسلم عاصمته الدرعية بل على العكس استعد للحصار . ولم ينقض محمد علي اتفاقية الصلح عندما علم ان عبدالله يرفض ان يذهب إلى مصر .

واستدعي طوسون إلى مصر وعين اخوه البالغ من العمر ٢٦ عاماً في ذلك الوقت قائداً للجيش في الجزيرة العربية مكانه . وتروى قصة طريفة فيما يتعلق بذلك .

يقال ان محمد علي عندما يئس من قدرة ابنه طوسون على الوصول إلى قلب نجد وتحطيم قوة الوهابيين إلى الأبد ، عقد اجتماعاً لهذا الغرض في منزله بالقاهرة . وأخذ القادة العسكريون في هذا الاجتماع يتحدثون عن الغزو والحملة ويتباحثون بتبسيط امكانية النجاح كل واحد منهم يريد ان يكون هو قائد الحملة . وعندئذ طلب محمد علي بساطاً وتفاحة فاحضرا له . وبسط محمد علي البساط على الأرض ووضع التفاحة في وسطه .

وقال محمد علي لقادته : والآن أيها السادة ان غزو نجد من الصعوبة بحيث انه يشبه هذه التفاحة وسط هذا البساط . فالرجل الذي يستطيع ان يمسك بالتفاحة دون ان يخطو خطوة واحدة على البساط هو الرجل الجدير بغزو نجد .

وتروي القصة كيف ان القادة عجزوا واحداً بعد الآخر في الامساك بالتفاحة محتجين على غرابة الامتحان . وعندئذ نهض الشاب ابراهيم وطلب ان

يجرب حظه . ورغب محمد علي ان يرى كيف سيحل ابنه (أو ابنه بالتبني) ابراهيم المسألة التي بدت مستعصية الحل على القادة العسكريين ، فوافق . وهكذا امسك ابراهيم بطرف البساط وأخذ يلفه بيده بهدوء الى ان اصبحت التفاحة في متناول يده فامسك بها ، وسر محمد علي بذلك انه سرور كبير أجيث انه عينه على الفور قائداً لجيوشه .

وغادر ابراهيم باشا مصر على رأس قوة كبيرة في بداية سنة ١٨١٦ وتقدم الى مواقع القتال . وكانت أول معركة بينه وبين النجديين في موّيه حيث هاجم عبد الله آل سعود الجيش المصري الذي انزل به هزيمة شديدة ، فقدم ابراهيم باشا على اثرها على قتل جميع الأسرى .

وتقدم ابراهيم باشا على رأس أربعة آلاف من المشاة وألف وخمسمائة من الخيالة الى جانب قوات من القبائل العربية الصديقة كبني خالد وعتيبة ومطير وسهول وسبيع ، الى مدينة رأس التي كان قد احتلها طوسون بعد ما قتله ابنها الوهابيون ووضعو فيها حامية .

وواجه ابراهيم باشا وضعاً سيئاً وخطيراً أمام المدينة ، فحاصرها الى ان سقطت بعد ثلاثة اشهر ونصف فقد خلالها ثلاثة آلاف رجل ، قتل من الحصار وقبل المدينة مع الوهابيين .

وبالرغم من ذلك ، اوهم ابراهيم باشا سكان المدينة بانهم لا يزالون محاصرين وتقدم خفية بإتجاه الشرق نحو مدينة عنيزة فقاتلها الأمير عبد الله منها منسحباً الى مدينة بريده . وبعد ستة ايام من القصف المتواصل انهارت قلاع عنيزه واستسلمت وتخضعت منطقة القصيم كلها عن الأثر لابراهيم باشا . وتراجع عبد الله الى شقرا ناحية مالطعة وثم واستسلمت ابراهيم بريده وتوقف فيها شهرين لتعزيز الجيش وامداده .

وكانت سياسة ابراهيم باشا خلال هذه الفترة خطب ود النجديين السوالين الوهابيين . وتم تعرب عن ذلك قصة البساط فبدأ يلف البساط نحو تقصرفته البريئة مكشوفة بحيث نال اعجابهم . فاصدر اوامر مشددة ضد سيئه

عادل ... فكان قسم ... منازلهم . وكان يدفع ثمن مؤن الجيش نقداً وبسخاء .
وعلى الطريقة العربية ، أقام ابراهيم باشا عدلاً ... لكي يسمع ... ديما ان يخرج ... فكان يقدم الهدايا للكبار والصغار كل حسب منزلته .
بذلك استطاع ان يستميل اليه اولئك الذين ظلوا مخلصين لآل سعود .

وبين أولئك الذين كسبهم ابراهيم باشا الى صفه ، [illegible] آل درويش الشيخ الأصلي في [illegible] في ذلك الوقت الذي كان يضمر حقداً مزمناً لآل سعود فكان من السهل [illegible] بالانضمام الى ابراهيم باشا مع وعده [illegible] [illegible] . ولم يكن في نية الباشا تنفيذ ذلك الوعد . ويقال ان آل سعود قدموا [illegible] على قتل [illegible] ، [illegible] ذلك [illegible] وعائلة آل سعود .

وبعد ان تلقى ابراهيم باشا في بريدة امدادات من الرجال والبنادق والمؤن والذخيرة ، تابع زحفه الى شقرا على رأس قوة نظامية تتألف من اربعة آلاف وخمسمائة رجل من الأتراك والألبانيين والمصريين بالاضافة الى [illegible] عربية . ورافق الجيش عشرة آلاف جمل كان كل اثنين من [illegible] يكونان [illegible] منها . وفي هذه الاثناء عمد عبد الله آل سعود الى [illegible] [illegible] البلاد وراءه خراباً بعد ان أرسل [illegible] وماشيته الى الاحساء .

حدث ذلك في اواخر شهر كانون الأول سنة ١٨١٧ . وفي الشهر التالي ظهرت قوات ابراهيم باشا امام شقرا التي [illegible] يقترب منها باشراف مهندس فرنسي يدعى [illegible] . واستسلمت شقرا في ٢٢ كانون الثاني بعد [illegible] افراد حاميتها ولكنهم [illegible] من ملاحمهم على ان يتعهدوا بأن لا يقاتلوا ثانية ضد القوات المصرية - التركية . وبعد عدة أشهر عندما سقطت [illegible] أمر ابراهيم باشا بتهديم جميع أسوار وتحصينات شقرا .

وبدأ عبد الله آل سعود يحصن مدينة [illegible] ويعدها للدفاع . وقبل أن يتبعه ابراهيم باشا اليها وجد انه من الأفضل ان يعرج عن الطريقة المباشرة وذلك لكي يحتل مدينة الضرما في طريقه . ولقي ابراهيم هناك مقاومة شديدة

مما أفقده عدداً كبيراً من رجاله . وانتقاماً لذلك أعمل السيف في رقاب سكانها من الذكور تاركاً نساءها تحت رحمة الجنود الأتراك القساة بعد أن دمرت المدينة ونهبت .

وبسبب الأمطار لم يستطع ابراهيم باشا أن يصل قبل آذار إلى الدرعية التي حاصرها في نيسان بقوة مؤلفة من خمسة آلاف وخمسماية رجل من المشاة والخيالة واثني عشر مدفعاً . وبعد ذلك بوقت قصير وصلت مؤن من المدينة والبصرة إلى المعسكر التركي .

ومضت مدة من عمليات الحصار لم تلاق القوات المصرية - التركية خلالها أي نجاح . وفي أواخر شهر أيار حدث انفجار التهم ذخيرة ابراهيم باشا الاحتياطية الأمر الذي أوقعه في مأزق حرج ، ولم يكن ينقذ الجيش من الكارثة سوى شجاعة ابراهيم باشا التي لا تقهر ، وكان الجنود يعانون من الأمراض كالزحار والحمى والرمد . وفكر عبدالله أن يخرج بجنوده ويهاجم القوات المصرية في خنادقها لكن المصريين ردوا هجومه وأفقدوه الفرصة . وبعد ذلك بوقت قصير وصلت إلى المعسكر التركي قوافل جديدة محملة بالمؤن والذخائر كما أن نجدات عسكرية من المشاة والخيالة . وفوق ذلك وصلت أمدادات جديدة بقيادة خليل باشا قادماً من مصر على رأس فرقة من ثلاثة آلاف رجل .

وفي أوائل ايلول رفع عبدالله آل سعود الأعلام طالباً هدنة لكي يتمكن من الاجتماع بابراهيم باشا . فوافق الباشا على ذلك واستقبل الأمير الوهابي بالترحاب وأبلغه أن الشرط الأول الذي لا مفر منه لعقد الصلح هو ذهابه شخصياً إلى القاهرة .

اطلب عبدالله آل سعود مهلة عشرين ساعة ليفكر بالأمر فأمهله إبراهيم . وبعد انتهاء المهلة عاد عبدالله إلى معسكر ابراهيم ليبلغه موافقته على الشروط التي فرضها بشرط أن يضمن له حياته . ويقال أن ابراهيم أجاب بأنه ليست لديه سلطة تلزم السلطان ومحمد علي ولكنه يعتقد أنهما أكرم من أن يبخلا عليه بمثل هذا الطلب . ويعتقد عرب نجد إلى اليوم أن ابراهيم باشا أعطى عبدالله

وبذا انتهت تلك الرحلة بأي ثمن .

ووصل عبدالله إلى الرياض بعد أن نجا بحياته وأقام ثلاثة أشهر حتى إلى مقتله .

وسجن الأمير عبدالله أمير و أخذ قبراً إلى مكة بمرة تحت حراسة مشددة ، وعندما وصل استانبول حكم عليه بالموت ومثله إلى الآستانة من أمطاطات شديدة بما تم عنه ، ولم يكن السلطان محمود ذا طبيعة سمحة ، فقطعت عنقه آل سعود الأمير الرابع في نجد أمام الملأ في شوارع المدينة وأمام جامعها ، وأبقاه في الأسر في الساحات العامة .

وهكذا انتهت الرحلة الأولى من حكم آل سعود في نجد .

نجد مقاطعة مصرية

وخلال السنوات الثلاث والعشرين التي تلت تدمير الدرعية ، ظلت نجد مقاطعة مصرية ، أحياناً تحتلها جنود مصريون وأحياناً تدعي الجزية ، وأصبح مشاري ، الأمير الحاضر ، لشقيق عبدالله أميراً على نجد في ظل الحكم المصري .

وعندما غير ابراهيم باشا لأول مرة في نجد ، كتب عنف الناس بالتشيه بالمقلة ورجولته وشراسته ، وخاصة في جبل شمر والقصيم والاحساء ، حيث السياسة الناس على أنه مقدام من أمير الوهابي لا كمحتل أجنبي .

ولم يبق لأواسط الجزيرة العربية أن شاهدت جيشاً تركياً من قبل ، ولم يكن عرب الداخل ليصبروا طويلاً على الأتراك والمصريين وشهودهم ، ... فبعد مغادرة ابراهيم باشا بقليل استبدل الجنود الأتراك والألبانيون بشراستهم السكان ، وحدثت أول مذبحة سنة ١٨٢٢ عندما انقض السكان على الحامية التركية في الرياض عاصمة نجد الجديدة (لأن الدرعية لم تبن من جديد) . وتبعت تلك المذبحة انتفاضة ناجحة قام بها العرب سنة ١٨٢٣ و ١٨٢٤ بقيادة تركي بن عبدالله آل سعود ابن عم الأمير مشاري الذي أعاد سيادة العائلة في العريض ، واستلم تركي الرياض وطرد منها القوات المصرية الباقية في نجد

فاعترفت به أغلبية قبائل وسط الجزيرة العربية أميراً عليها بدلاً من ابن عمه ، لتزعمه الحركة الشعبية ضد الاحتلال الأجنبي .

وظل تركي عشر سنوات (من ١٨٢٤ الى ١٨٣٤) يستجمع قواه في العمل والاحساء وحتى في عمان وعلى طول الشاطئ العربي من الخليج الفارسي الى رأس الحد ، وكلها اعترفت به وقدمت له خضوعها ودفعت الجزية . وفضل هو بدوره نفس الشيء بالنسبة للحكومة المصرية التي واصلت تصرفاتها في الجزيرة العربية .

وفي سنة ١٨٣٤ اغتاله مشاري بن خالد الذي قتل في الحين من يد فيصل ابن تركي . وقاتل تركي هو ابن خالد بن سعود آل سعود شقيق الامير الخامس مشاري ، واحد المقاتلين بالعراق .

واعترف بفيصل أميراً خلفاً لابيه .

فيصل الكبير

وفي السنة التي تلت ارتقاءه ... الذي اصبح يعترف بالعثمانيين ... ان يرفض ان يدفع الجزية للمصريين . فأرسل محمد علي باشا قوة بقيادة خورشيد ليرغمه وينصب خالداً على العرش مكانه . وعندما اقتربت قوات خورشيد هرب فيصل الى الاحساء .

وانتصب خالد على العرش بتأييد قسم من أهل نجد وبمساندة خورشيد باشا الذي خلف ... في القيادة المصرية . ولكن القائد المصري لم يلبث ان رفع خالد ... وأعاد تأسيس الحكم المصري في ... . فاعتقل فيصل وأرسل سجيناً الى القاهرة .

ولم يدم الاحتلال المصري الثاني لنجد أكثر من سنتين انسحبت بعدها معظم القوات وترك خالد آل سعود والياً باسم الحكومة التركية .

وفي سنة ١٨٤٢ تزعم عبدالله بن ثنيان آل سعود ثورة ضد خالد وطرده من الرياض مع ما تبقى من القوات المصرية . وظل عبدالله حاكماً على نجد الى السنة

الثانية عندما هرب فيصل من سجنه في القاهرة وظهر في الرياض فاعترف به الجميع أميراً بعد [illegible] .

ومنذ ذلك الوقت وحتى نهاية حكم فيصل الطويل الذي امتد [illegible] سنة لم تفرض الحكومة المصرية أو الحكومة التركية أي سلطة على نجد . وفي ايامه استعيدت جميع المناطق التي كانت تشكل الامبراطورية الوهابية ، وجبل شمر [illegible] حاكمه ابن [illegible] [illegible] انضم ثانية الى الدولة الوهابية . فقد نصّب عبد الله بن رشيد [illegible] نفسه في حائل أميراً على كل شمر بمساعدة فيصل [illegible] جزية معينة ، ولم تتمكن قوات فيصل [illegible] [illegible] من الاحكام .

وفي آخر سني حياته [illegible] فيصل [illegible] الدولة [illegible] [illegible] فيصل [illegible] .

وبعد وفاة فيصل سنة ١٨٦٥ [illegible] الدولة الوهابية [illegible] قوتها السابقة في عهده .

وكان عبد الله الامير [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] سعود [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فريق : عبد الله على رأس [illegible] في الرياض ، وسعود على رأس أهل البادية في الصحراء . أما [illegible] الثالث محمد [illegible] عبد الله . [illegible] عبد الله وسعود [illegible] فيصل [illegible] [illegible] في العراق [illegible] .

ومن الطبيعي في مثل هذه الحالات ان يتصادم الشقيقان . ففي سنة ١٨٧١ [illegible] سعود [illegible] عبد الله الى الهرب من الرياض [illegible] أميراً [illegible] [illegible] . [illegible] منطقتين مستقلتين [illegible] الاحساء [illegible]

لدفع الجزية .

رجع عبدالله عدداً من أتباعه وشق طريقه إلى نجد حيث كان منصب ابن سعود آل رشيد الأمير الثالث في شمر هو شاكر لهنالك فأحسن وفادته . ومن [illegible] اتصل عبدالله بمحمد باشا حاكم العراق العام في بغداد .

الاحتلال التركي الثاني

وقبل أن نستمر في تقصي المرحلة الأخيرة من الانقلاب التركي للجزيرة العربية يجب أن نذكر لمحة مقتضبة عن تطورات سلاطين بني عثمان في الجزيرة العربية .

إن حملة إبراهيم باشا سنة ١٨١٨ لم تكن تأكيداً على السيادة [illegible] شخصياً وردا على [illegible] . وهدف [illegible] التحرك الوهابي [illegible] عدم الاستقلال [illegible] من مشكلات الامبراطورية . [illegible] كان سلاطين [illegible] يشغلون بأوطانهم في أوروبا بحيث [illegible] الحروب والتوسع في آسيا ، وكانوا من الناحية العسكرية أضعف من أن يخوضوا حروباً ليست ضرورية .

ولكن في نهاية حرب القرم سنة ١٨٥٦ [illegible] الأتراك تنظيم جيشهم وتجهيزه بأحدث الأسلحة [illegible] التنظيمات [illegible] .

ووجه السلطان عبدالعزيز الذي حكم تركيا من سنة ١٨٦١ إلى سنة ١٨٧٦ [illegible] قوة [illegible] لإخضاع المناطق [illegible] من الامبراطورية التي [illegible] عن حكمه [illegible] الأصيل [illegible] إخضاع [illegible] على حدودها .

وبدأ بإعادة إخضاع سورية وكردستان لسلطانه [illegible] ووادي الفرات [illegible] بصورة [illegible] منذ [illegible] ١٣٣٩ – ١٤٠٥ [illegible] الامبراطورية التركي [illegible] التقرب والتجنيب .

وبعد شق قناة السويس أصبحت الجزيرة العربية التي لم يكن يمكن الوصول إليها إلا من البر، في متناول القسطنطينية (الآستانة) من جهة البحر.

وهذا الاحساس بالقوة المتزايدة وبوجود جيش منظم مجهز، أعاد الى ذاكرة الحكومة العثمانية أحلام الفتح والتوسع. وتذكر السلطان عبد العزيز أنه وريث الخلافة العربية الأمر الذي بنى عليه ادعاءه بملكية الجزيرة العربية. فضاعف عدد حامياته في مكة والحجاز، وسيّر حملة الى اليمن، وعين مدحت باشا الرجل الشديد الطموح حاكماً عاماً في بغداد وأطلق يده في بسط نفوذ السلطان بأي اتجاه يراه مناسباً.

وحين طلب عبدالله آل سعود مساعدة مدحت باشا فاستجاب له، وأصدر قراراً بوضع نجد كلها تحت راية السلطان وتعيين عبدالله آل سعود قائمقاماً عليها. وأعلن أيضاً أن قوة تركية ستُرسل الى هناك لإعادة الأمن والنظام وتثبيت سلطة القائمقام الجديد ضد أخيه المتمرد.

وبالرغم من معارضة حكومة الهند التي كانت دائماً تلح على وجوب حفظ السلام في منطقة الخليج الفارسي، الأمر الذي وافق عليه جميع زعماء القبائل العربية في الخليج بما في ذلك أهل الاحساء والحكومة البريطانية، فقد أرسل مدحت باشا حملة بطريق البحر من البصرة الى الاحساء قوامها خمسة آلاف جندي نظامي بقيادة [illegible] ذلك، ووصلت الحملة الى القطيف في حزيران سنة ١٨٧١.

وفي هذه الأثناء عاد عبدالله آل سعود الى نجد وجمع أنصاره، وبالاتفاق مع قبيلة قحطان هاجم شقيقه سعود من الغرب، وهزم عبدالله في هذه الموقعة فالتجأ الى المعسكر التركي.

ووقع انقسام في الرياض بما اضطر سعود الى [illegible] عبدالله ابن تركي آل سعود عمّ الأمير السادس [illegible] وأجبر على الالتجاء الى قطر.

واحتل الأتراك ساحل الاحساء كله ومدينة الهفوف والتمسوا بعبدالله ابن تركي الذي عين مديراً للرياض بانتظار وصول عبدالله ابن فيصل.

وقبل نهاية السنة أعلن مدحت باشا بناء على عريضة قدمها أهل نجد الى

السلطان ، فإن عائلة آل سعود ستخلع من الحكم وسيعين مكانها حاكم تركي .

وعين حافظ باشا متصرفاً على نجد . وعندما وجد عبدالله نفسه في هذا الوضع هرب من المعسكر التركي الى الرياض .

وبعث رؤوف باشا الذي خلف مدحت باشا في بغداد بمفوض سعود سنة ١٨٧٢ يحثه على إرسال شقيقه الأمير عبدالرحمن بن فيصل آل سعود الى بغداد ليحتفظ به رهينة . وفي السنة ذاتها عاد سعود الى الرياض وطرد شقيقه عبدالله منها مرة ثانية . وتراجع عبدالله الى الكويت تاركاً سعود سيداً في الرياض .

وسحبت القوات التركية من الأحساء سنة ١٨٧٣ ، بعد أن عين بزي ابن عريعر الخالد شيخ قبيلة بني خالد المتوارثة بعد أن انتزعها آل سعود ، حاكماً على المقاطعة التركية معه ضابطة في حامية صغيرة من الشرطة .

وفي سنة ١٨٧٤ أطلق سراح عبدالرحمن آل سعود من سجنه في بغداد فعاد الى الأحساء واشعل الثورة . وانضمت اليه قبائل آل مرة والعجمان وبني هاجر فسار بهؤلاء الى الهفوف حيث حاصر بزي والحامية التركية التي فيها في قصر خزام . عندئذ أرسل الوالي التركي في بغداد فيلقاً تقدم بطريق البصرة بقيادة ناصر باشا آل سعدون والي البصرة وشيخ الأمير في المنتفق وقوة كبيرة من عرب المنتفق اتجهت الى الهفوف براً .

وما ان علم عبدالرحمن بقدوم ناصر باشا تراجع الى الرياض . وتوجه ناصر الى الهفوف لفك الحصار عن الحامية المتمركزة في إحدى القلاع وترك جنوده يعيثون في المدينة نهباً وتخريباً . وظهر الجنود الأتراك وسيطر عليهم الى ارتكاب المجازر والاضطهاد في سكان المدينة الى أن اضطر ضباط الأتراك الى نصر الذين أجليهم ان اجراءات مشددة يجب ان تتخذ فوراً .

وبعد هذا الحادث بقليل توفي سعود في الرياض ويقال إنه مات مسموماً . وفي سنة ١٨٧٥ عاد عبدالله الى نجد حيث وجد الحكم في يد شقيقه الأمير عبدالرحمن . وبعد نزاع بين الأخوين توصلا الى اتفاق يكون عبدالله بموجبه أمير

ويصبح عبدالرحمن الوزير الأول .

وفي سنة ١٨٧٣ اصبح مدحت باشا الوزير الأكبر في شباب العالي وكانت له اليد الطولى في عزل السلطان عبد العزيز في ٣٠ أيار سنـــة ١٨٧٦ . وبعد ذلك بخمسة أيام انتحر عبد العزيز بأن شق ذراعيه بالمقص . وخلفه في ٣١ آب من السنة نفسها السلطان مراد الخامس الذي أعلن انه مجنون فخلفه في اليوم التالي شقيقه السلطان عبد الحميد الثاني .

والمهم عبد الرحمن آل سعود الذي ولد حوالي سنة ١٨٨٠ (التاريخ الصحيح غير مؤكد) ابناء عبد العزيز واسمه الكامل عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود ، الذي أصبح يعرف في الإنكليزية بالملك ابن سعود والد الملك الحالي .

وفي سنة ١٨٨١ اتهم السلطان عبد الحميد الثـــاني وزيره مدحت باشا بقتل السلطان عبد العزيز ، فقدمه للمحاكمة وصدر عليه الحكم بالاعدام في ٢٨ حزيران . وبعد تدخل بريطانيا والدول الاوروبية نقض حكم الاعدام ، ونفي مدحت باشا الى الطائف قرب مكة حيث ظل سجيناً الى ان توفي بحادث عنف في السادس من نيسان سنة ١٨٨٣ .

آل رشيد يسيطرون على الجزيرة

كان عبدالله ابن فيصل آل سعود اميراً على نجد بالاسم فقط . وسلطته لم تتعد حدود اسوار الرياض او منطقة العريض على أبعد حد . وتوفي في الرياض في اواخر شهر تشرين الثاني سنة ١٨٨٩ . وبعد ذلك بسنتين استولى عبدالرحمن على العاصمة فحاصره فيها محمد آل رشيد . وبعد اربعين يوماً ارسل عبد الرحمن ابناءه الأصغر محمد ابن فيصل آل سعود ليفاوض ابن رشيد حصول شروط الاستسلام .

وأرسل عبد الرحمن واولاده الاربعة وبقية أفراد عائلته الى المنفى في البحرين . في سنة ١٨٩٣ طلب من الشيخ محمد الصباح ان يسمح له بالانتقال الى الكويت

قبل . وانتقل الامير السعودي مع عائلته الى الكويت . اما شقيقه محمد الذي لم يعمر كثيراً إلا كرسط في الخلافات العائلية وفي الصراع مع آل رشيد فقد توفي سنة ١٨٩٤ دون ان يمثل ذلك .

وقد كتبت الليدي آن بلانت التي رافقت زوجها في رحلاتها بآسيا وافريقيا تقول :

يمكن بكل تأكيد القول ان سلطة آل سعود في الجزيرة العربية قد انتقلت الى آل رشيد في حايل . ان كل شخص يفكر تفكيراً وطنياً حقيقياً ويشعر شعوراً صادقاً التف حول محمد آل رشيد امير حايل وجبل شمر العظيم .

ان ذلك عائلة آل سعود اصبحوا مجرد دمى وأدوات فما الحكام الرشيديون فقد اصبحوا رمزاً للمسؤولية في غالبية المشرقيين في قصيم وسدير والعريض ووشم .



قصص وروايات جدي

كان جدي الأكبر جون ديكسون طبيباً جراحاً في البحرية الملكية وشهد مع نلسون معركتي كوبنهاغن وترافلغار . وبعد الحروب النابليونية أقام في طرابلس حيث أصبح كبير الأطباء في مقر السلك القنصلي هناك . منصب القنصل في طرابلس كان وراثياً . وتزوج من إليزابيث الابنة الوحيدة للسير وارينغتون والد [illegible] الثلاث الساحليات في الكتاب .

وقد ولد جدي إدوارد ديكسون في طرابلس ، بربري ، في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٨١٥ . وبعد سلسلة من المغامرات قضى حوالي ٤٠ سنة في القسطنطينية حيث حاز منصباً مرموقاً في الفرقة الطبية في الجيش التركي وقضى القسم الأكبر من هذه السنوات طبيب السفارة البريطانية هناك . وخلال تلك الفترة كان أيضاً الطبيب الخاص لثلاثة من السلاطين هم : عبد المجيد ، وعبد العزيز ، ومراد الخامس . وانتهى كرئيس لأطباء السفارة البريطانية ، وكرئيس اللجنة الدولية للأطباء التي كان مركزها في العاصمة التركية . وظل في هذا المنصب الى ان تقاعد وخلد الى الراحة في القسطنطينية .

وتزوج جدي ثلاث مرات . كانت زوجته الأولى لويزا بيت بدي وارنغتون وهي جدتي . ولدت في طرابلس وتوفيت هناك . وكان والدها الكولونيل هانمر

ويقضون قسطاً هاماً في طرابلس لعدة سنوات . وهو ينحدر من سلالة تريفور تيودور المعروف بالأورد [illegible] تورد سليل عائلة تيودور المالكة .

لقد ذكرت كل ذلك للاشارة إلى ان تاريخ أحد من يمت بصلة إلى شمال افريقيا ، إلى الغرب والاتراك ، قد ترك اثراً في حياة والدي وفي سياقي انا .

وقضى والدي معظم حياته في الخدمة القنصلية في الشرق وخاصة في سورية التي كانت تشمل لبنان وفلسطين في ذلك الوقت .

اما انا فقد ولدت في بيروت في [illegible] من شباط سنة ١٨٨١ وقضيت أيام صباي في دمشق والقدس حيث كان والدي يخبرنا عن مغامرات جدي والاحداث التي مرت في حياته .

ولم أقابل جدي إلا مرة واحدة وكان ذلك سنة ١٨٩٩ عندما كان والدي قنصلاً عاماً لبريطانيا في القدس التي كان يحتلها الاتراك . وعندما انهيت دروسي في كلية [illegible] دوارد [illegible] ذهبت في رحلة إلى القدس برفقة ابنة خالتي [illegible] ماتي ، التي شاهدت والدي ووالدتي قبل ان [illegible] دخلت كلية والدي في [illegible] ، وقد اهدى جدي رحلة هامة في مشاهدة [illegible] . فقد [illegible] عن ان [illegible] إلى [illegible] ومن هناك [illegible] إلى القسطنطينية ثم إلى [illegible] . [illegible] امر ترتيب الرحلة التي كنت ارافقها بشوق بالغ . وصرت انتظر [illegible] جدي [illegible] الشهير الذي طالما سمعت عن مغامراته . ومن [illegible] انه لم يكتب قصة حياته .

ووصلنا [illegible] إلى القسطنطينية حيث [illegible] جدي [illegible] في منزله في [illegible] . وكان المنزل قديماً ولكنه فخم الأثاث . وكان جدي [illegible] الشعر [illegible] . وقد رحبت بنا زوجته الثالثة وهي سيدة يونانية [illegible] ابرز [illegible] الثلاثين من العمر . ولم تكن تعرف من الانكليزية إلا القليل [illegible] كانت التركية هي لغة المنزل .

وكان [illegible] غازي باشا الذي [illegible] عن قلعة [illegible] الحرب التركية ـ الروسية [illegible] ، صديقاً حميماً لجدي ، وقد [illegible]

باشا الغازي مراراً معنا خلال الاسبوع الذي قضيته في القسطنطينية . ولقد كان اعجابي شديداً بالباشا المسن عندما كان يتحدث لجدي وينقل جدي الحديث الي مترجماً . وعلمت ايضاً ان جدي اشترك في ذلك الحصار وشهد تسليم عثمان باشا للقيصر نقولا الاول قيصر روسيا . ولكن بما انه كان طبيباً للسفارة البريطانية سنة ١٨٧٦ عندما اقدم السلطان عبد العزيز على الانتحار فمن الصعب تصديق هذه الرواية ما لم تكن السفارة البريطانية قد امرته بمرافقة جيش عثمان الى بلفنا . ولكنه من المؤكد ان صداقته مع عثمان نشأت في ذلك الوقت .

وسواء كان سافر الى بلفنا ام لا فان وصفه لما كان مدهشاً . اعلنت روسيا الحرب على تركيا في ٢٤ نيسان سنة ١٨٧٧ . وقد وضع عثمان الغازي باشا نفسه على رأس جيش قوامه ثلاثون الف رجل في قرية بلفنا التي تقع على خط مواصلات الجيش الروسي عبر رومانيا في تقدمه نحو القسطنطينية الامر الذي جعل من المستحيل على القيصر نقولا ان يتابع سيره ما لم يزل هذا التهديد التركي . وظل عثمان يرد الهجوم تلو الهجوم طوال اربعة أشهر ضد جيش يفوق جيشه بكثير ، مما اعطى فرنسا وبريطانيا الوقت الكافي لنجدة الاتراك . وروى لي جدي كيف ان عثمان قام بمحاولة اخيرة لشق الحصار والخروج من طوق الاعداء ، وكيف استسلم في النهاية بتاريخ ١٠ كانون الأول سنة ١٨٧٧ . ومع انه كان مصاباً بجرح بالغ فقد استقبله القيصر نقولا شخصياً الذي رحب به واعاد اليه سيفه قائلا : لقد دافعت عن مواقعك دفاعاً بطولياً رائعة وها أنا أعيد اليك سيف رجل شجاع .

وسررت كثيراً بما سمعت من أن الروس سمحوا لجدي ان يعتني بالجرحى الكثيرين بعد الاستسلام .

وقال عثمان باشا : تلك هي الأيام التي كان فيها الجنود الأتراك وخاصة الضباط منهم من النوع الجيد . اما اليوم فانهم يذهبون الى برلين بالعشرات لدراسة الشؤون العسكرية ولكننا هل نجدهم رجالا ؟ إني اتجرأ على الاجابة

والتقي . انهم يتعاطون المسكر والقمار وحياة الفجور . لقد فقدوا روح الزمالة الندية بين الضباط والجنود كما فقدوا روح الانضباط التي تميز بهـــا الجندي المثالي في السابق .

وهكذا تبين لي انـــه حتى في أيام جدي كانت هنالك انتقادات لمحاولات إدخال الأساليب الغربية إلى روح الشباب الشرقي .

وكل مساء من ذلك الأسبوع الذي قضيته في ضاحية تفركية كان جدي يتحفنا بتلك القصص والذكريات والمغامرات . وقال انه لم يكتب قصة حياته لأنه لم يكن لديه الوقت الكافي . لذلك كنا متلهفين لإلتقاط تلك الحكايات على مسامعي على أمل ان أدونها اعتقاداً منه بأنه لن يرافق نبأه قبل موته .

وأنبأني انه بعد نيله شهادة الطب من لندن واقتباسه سلوك الفكرة بأن يكتب بحثاً عن الرق في افريقيا . وكيف كان العبيد يجلبون من داخل القارة ويباعون في أسواق تركيا ومصر وشمال افريقيـــا وآسيا الصغرى والجزيرة العربية . كان يريد ان يشتهر ويصنع لنفسه اسماً كبيراً في وقت كان العالم الغربي يستنكر سريعاً على بشاعة تجارة العبيد ، وكانت فكرة عتق العبيد تملأ الأجواء . ولذلك فقد عاد الى طرابلس بعد تخرجـــه بقصد الحصول على معلومات حول الموضوع من مصادرها رأساً .

ولكي ينال ذلك انضم الى قافلة من تجار العبيد وعبر معهم الصحراء الكبرى التي لم تكن معروفة لدى الأوروبيين في ذلك الوقت . وبعد عـــدة شهور من الصعوبات والحرارة لا تطاق والعواصف الرملية الشديدة ، وصل جدي مع قافلة تجار العبيد الى بحيرة تشاد في اقاصي نيجيريا . واعتقد ان اسمه ورد في أرشيف وزارة المستعمرات على انه قام بهذه الرحلة الشاقة ، وانه التقى ببعض الرحالين البريطانيين على حدود البحيرة . ولكنني لست متأكداً من ذلك .

ومن بحيرة تشاد رافق جماعة اخرى من تجار العبيد الذين توغلوا في رحلاتهم جنوباً إلى الكونغو وبلاد الأقزام . وأخيراً ، وبعـــد ثلاث سنوات من السفر المتواصل عاد إلى شواطئ الخليج المندي وشاهد في طريقـــه شلالات ومبيزي

العثمانية، وبذلك [illegible] إلى فرقة ثالثة من [illegible] [illegible]
وقال انه قطع القسم الأخير من رحلته إلى [illegible] [illegible] [illegible]
الأسوار [illegible].

وأبلغني باولو: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
مئات من [illegible] [illegible] التي [illegible] [illegible] وقد [illegible]
[illegible] من الأكثر [illegible] إلى طرابلس.

[illegible] ذلك عدة شهور قبل أن [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] هذه [illegible].

ويقول صموي [illegible] [illegible] [illegible]
وذلك لعدة أسباب أهمها [illegible] [illegible] في الشرق [illegible]
وتركيا [illegible] إلى مصر وطرابلس.

[illegible] مصر [illegible] وأعلن محمد علي [illegible] استقلاله [illegible]
[illegible] [illegible] السلطان محمود الثاني [illegible]
[illegible] إلى القسطنطينية [illegible] إلى الفرقة [illegible] في الجيش التركي، [illegible]
[illegible] سنة ١٨٣٩ [illegible]
[illegible] القسطنطينية، وكان من [illegible]
[illegible] الثاني [illegible] مولتكه.

وبضربات ماهرة استطاع ابراهيم باشا أن يحتل [illegible] وسورية
وأخذ يستجمع قوته في حلب [illegible] التركي في [illegible]
بالقرب من الفرات على بعد ٧٠ ميلاً إلى الشمال الشرقي من حلب.

وحسب ما [illegible] أن [illegible] لم يكن [illegible] [illegible]
يؤمن بالتنجيم [illegible] الأخرى، فأخذ يقوم بمناورات ومناورات [illegible]
أو وقت [illegible] [illegible] حسب [illegible] [illegible]
وقد أثار ذلك [illegible] والضباط الذين كانوا يعملون تحت امرته بحيث انهم توقعوا
حدوث كارثة منذ البداية.

وجاءت النهاية مريعة ، فبعد سلسلة من المناورات البارعة التي قام بها ابراهيم بك الذي كان عدد جيشه نصف عدد الجيش التركي ، سدد الجيش المصري ضربة ساحقة للجيش التركي وهزمه هزيمة نكراء في ٢٤ حزيران . ويدون جدي أن الذعر الذي حل بالجيش التركي لا يوصف اذ لم يعد من المستطاع تجميع الصفوف وتشكيل جبهة ثانية ، لأن الجيش لاذ بالفرار طلباً للنجاة .

وهرب جدي من الميدان مع فون مولتكه ولجأ الى قرية أرمنية . وأصيب فون مولتكه بحمى التيفوئيد فتولى جدي العناية به مدة طويلة حتى تماثل للشفاء . وفي سنة ١٨٧٠ – ١٨٧١ قاد الجيش الألماني الذي احتل فرنسا .

وفي رسالة الى شقيقه أشار فون مولتكه الى الطبيب الاسكتلندي الذي انقذ حياته . ولا زلت أذكر كيف كان جدي يبتسم وهو يقول : ماذا كان يعطي الفرنسيون لو تركت فون مولتكه يموت بعيداً في أرمينيا التركية ؟

وتوفي السلطان محمود بعيد هذه المعركة بستة أيام فخلفه عبد المجيد . وكانت الحالة تعيسة مزرية بحيث ان السلطان الجديد استنجد بفرنسا وبريطانيا وروسيا لانقاذه من مصر . وقد استجابت فرنسا وبريطانيا بسرعة لنداء السلطان فأنزلتا قواتهما في بيروت ودمشق وارغمتا رجال ابراهيم باشا . وقطعت القوات البريطانية والفرنسية خطوط مواصلات ابراهيم فقبل الشروط التي عرضت عليه وتراجع جنوباً الى لبنان الذي ظل في حوزته مدة من الزمن .

تلك كانت الأيام الشهيرة لجدي حيث صار مشاهيرها تتالية خليفة بيت [illegible] الذي آوت في حقله بحوزت قرب بيت الدين عدداً من مئات الجنود الأتراك والألبانيين الذين لاذوا بالفرار بعد المعارك المتفرقة في سورية ولبنان ، بل وغيرهم من كل المتحمسين لابراهيم باشا .

وقد وصف جدي بالتفصيل انتحار السلطان عبد العزيز في سنة ١٨٧٦ ، كما وصف محاكمة مدحت باشا سنة ١٨٨١ الذي اتهمه عبد الحميد وزراء بقتل السلطان عبد العزيز . وكان جدي واحداً من سبعة عشر طبيباً الذين استدعوا لوضع تقرير عن وفاة السلطان عبد العزيز .

وسأنقل فيما يلي مقطعاً من كتاب « حياة مدحت باشا » بقلم ابنه علي حيدر مدحت :

وأعطيت الأوامر لافتتاح فرقة [illegible] فرجعوا [illegible] بكل من القضاة الذين [illegible] في [illegible] . ومن الواضح [illegible] الحرجين المحيطة والسقة [illegible] . وأكد الأطباء الذين استدعوا ان السلطان فقد الحياة بسبب [illegible] . ولكن الوزراء [illegible] تلك الأثناء قاموا [illegible] الجسم من قبل جميع الأطباء الموجودين في القسطنطينية . وقد جيء بتسعة عشر طبيباً من مختلف الجنسيات ، يعدون من أشهر الأطباء في المدينة وفي سفارات الدول الكبرى ، وقد وقع هؤلاء الأطباء [illegible] تقريراً يقولون فيه إن الموت ناتج عن الانتحار بدون أدنى شك ...

وعندما طلب تقرير عن حالة السلطان مراد العقلية كان [illegible] أطباء استدعوا للعائلة أربعة منهم [illegible] والنمسا .

وبعد الفحص أعرب هؤلاء الأطباء عن اعتقادهم بأنه بالرغم من أن السلطان مراداً يستطيع الشفاء بعد فترة طويلة من الزمن ، بعكس ما كان متوقعاً ، إلا أن قواه العقلية لن تعود إلى حالتها الطبيعية .

وفي الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف ليل ٧ نيسان ١٨٨٣ قتل مدحت باشا مع صديقه ورفيقه بالسجن في الطائف . خنقاً وهما في فراشيهما بناء على أوامر مباشرة من السلطان عبد الحميد خليفة السلطان مراد [illegible] من الفرقة الثالثة التي تولى العملية بنفسه .

والغريب [illegible] أنه منذ ذلك الحين لم يعد يتعاطى [illegible] مع السلطان عبد الحميد لأنه رجل سيء ويزداد سوءاً ، وقبل ذلك كان جدي دائماً باستمرار طبيب السلاطين الخاص ، وفي عدة مناسبات كان يعود مدحت باشا [illegible] وكان من أعز أصدقائه .

هذه بعض القصص التي سمعتها من جدتي ودونتها في وقتها ، وقد توفيت في ٢٧ آذار في السنة التالية .

الفصل السادس

نجد والكويت[٢]

١٨٩٦ - ١٩١٧

مبارك على عرش الكويت

قبل عبدالله بن صباح آل صباح شيخ الكويت من سنة ١٨٦٦ حتى وفاته سنة ١٨٩٢ ، من الأتراك لقب قائمقام . وخلفه أخوه محمد وكان ضعيفاً غير راغب في ممارسة الأمور فسلم شؤون الحكم في مملكته الى رجل عراقي ذكي يدعى يوسف ابن عبدالله الابراهيم من الدورة على بعد مسافة قصيرة من عبادان على الضفة اليمنى لشط العرب .

وكان يوسف رجلاً ثرياً موالياً للأتراك يقبض منهم راتباً بدون شك على أمل ان يأتي يوم يخلع فيه آل الصباح ويضع نفسه وعائلته في مكانهم . ولم يكن جراح شقيق محمد افضل من أخيه بشيء بل كان أكثر منه تقاعساً . ولكن شقيقهما الأصغر (من والدهم فقط) كان ذكياً نشيطاً يحب بلاده حتى العبادة وآلمه ان يراها تسير الى خرابها .

وتحمل مبارك كل تلك الأوضاع حتى سنة ١٨٩٦ ، ففي شهر أيار من تلك السنة ذبح شقيقيه ونصب نفسه على العرش . وهرب يوسف الذي كان يدعي بـ

الانقلاب كان موجهاً ضده شخصياً ، الى البصرة بطريق البحر وهناك بدأ يحيك الدسائس ضد مبارك بالاتفاق مع الأتراك .

وكان موقف الاتراك تجاه مبارك حيادياً في البداية . ولكنهم في سنة ١٨٩٧ وبناء على نصيحة يوسف الابراهيم عينوا مبارك قائماماً على الكويت . ولم تنطل الخدعة على مبارك لأنه علم انه خطوة للسيطرة على بلاده .

وفي شهر شباط أرسل الأتراك موظفاً صحياً من قبلهم الى الكويت . عندئذ طلب مبارك مقابلة المقيم البريطاني في الخليج الفارسي او من ينوب عنه . ووصل أحد مساعدي المقيم البريطاني الى الكويت ، فأبلغه مبارك انه ورعيته يرغبون في وضع انفسهم تحت الحماية البريطانية تجنباً لاغتصاب الأتراك لبلادهم . ولم توافق الحكومة البريطانية على هذا الطلب ، فأعاد مبارك الكرة في السنة التالية ورفض البريطانيون من جديد .

وفي كانون الثاني سنة ١٨٩٩ وقع مبارك اتفاقية مع الحكومة البريطانية تعهد فيها وخلفاؤه ان لا يتنازلوا ملكية اي جزء من اراضيهم بدون موافقة الحكومة البريطانية التي ستأخذ على عاتقها ، مقابل ذلك ، حمايتهم وتأييدهم وحفظ مراكزهم طالما هم متقيدون بالاتفاقية .

وفي أيار من تلك السنة انشأ الشيخ مبارك نظاماً دائماً للجمارك وبدأ يتقاضى رسوماً ادوية منظومة قدرها خمسة بالمئة على جميع البضائع المستوردة بما فيها تلك القادمة من الموانيء التركية . وعندما أرسل الأتراك أحد مديري الجمارك ومعه خمسة جنود ليتسلم ادارة ميناء الكويت ، رفض الشيخ مبارك ان يستقبلهم فعادوا الى البصرة . وفي أيار سنة ١٩٠٠ وافق الشيخ مبارك على منع استيراد او تصدير السلاح والعتاد لمرافئه . وكل سفينة كان يشك بأنها تحمل سلاحاً كانت تفتش ويصادر السلاح الذي يحمله اذا وجد .

وكان عبد الرحمن ابن فيصل آل سعود واولاده الأربعة لا يزالون في المنفى في الكويت في ذلك الوقت . وسعود الفضل الى الشيخ مبارك في تدريب عبد العزيز آل سعود ورقي عينه نحو الانتقام .

وفي خريف عام ١٩٠٠ سار مبارك شوطاً بعيداً في تحقيق مصالح آل سعود بأن قام بغزوة مفاجئة الى قلب الجزيرة العربية حيث كان عبدالعزيز آل رشيد الأمير السادس في حايل ، سيداً . وفي أوائل سنة ١٩٠١ اشتبك مع قوات آل رشيد في موقعة صريف قرب بريده . وهزم مبارك في تلك الموقعة وقتل الثلث من افراد اسرته بما شقيقه الأصغر حمود ابن صباح آل صباح ، وابن حمود الأكبر صباح .

وكان الوضع الذي نجم عن هذه الموقعة خطيراً بحيث ان مبارك أسرع مرة أخرى للاتصال بالمقيم البريطاني في الخليج الفارسي وطلب منه ان يبلغ الحكومة البريطانية رغبته في جعل الكويت محمية دائمة بأسرع وقت ممكن . ولكن طلبه رفض من جديد .

ابن سعود يحتل الرياض

ورغم سنة ١٩٠٠ سادت أعاد عائلة آل سعود الى الحكم في نجد والجزيرة العربية . وكان الشاب عبد العزيز آل سعود وهو يحسه في العشرين من عمره ، راغباً في إنشاء مملكة بمساعدة الشيخ مبارك ، فتوجه الى نجد مع ٤٠ رجلاً فقط من اتباعه بينهم شقيقه الاصغر محمد واولاد عمه عبد العزيز ابن جلوي آل سعود وعبد العزيز ابن مُسَعد آل سعود .

واستطاع عبد العزيز آل سعود ان يتجنب بنجاح قوة آل رشيد بسلك الطرق المخالفة في الباطن على بعد ٣٠٠ ميل الى الغرب من الكويت . ووصل عبد العزيز الى الرياض مع رجاله سراً واختبأ بين بساتين النخيل لمدة يومين .

اما قصة استيلاء عبد العزيز على القلعة المطلية وسط المدينة فتبدو وكأنها من الاساطير ، بما يدل على قوة شخصية هذا الرجل الخارق .

واكتشف عبد العزيز الذي تخفيه بين أشجار النخيل ان لعجلان حاكم الرياض زوجة يسكنها منزلاً على بعد ٥٠ يارده من القلعة عبر ساحة مكشوفة ، وكان يزورها كل يوم لمدة نصف ساعة بعد صلاة الصبح .

ويبدو ان تأكد من ذلك دخل عبد العزيز بجنوده الى حائط قريبة من شماخ مع ٣٠ رجلاً تاركاً بقية رجاله الاربعين بين نخلات ذكرها قبل أن كل شيء ميسور هي ما يراد إذا هم لزموا الصبر والتثبت بانتظار الفجر .

[مذ ذلك الحادث تلك عبد العزيز بنفسه في تشرين الأول سنة ١٩٠٢ . ولم يكن هناك في ذلك الوقت من الرجال الذين قاموا بهذه الغزوة سوى اللك عبد العزيز والبنه محمد وعبد العزيز بن مسعود ورجل حسن من قبيلة عجمان]

وبحسب ما ذكره تاريخ عجلان الحاكم من الشمة متوجها الى منزل زوجته . فانقض عبد العزيز الى ان وصل الى منتصف الساحة بين القصبة والمنزل فهجم عليه مع رجاله الثلاثة والعشرين . وبدلاً من ان يبقى واقفاً في مكانه هرب عجلان عائداً الى الشمة يسرع آمراً بفتح البوابة الخارجية له . ورماه عبد الله بن جلوي بحربة صوبها ثم تحطمها وتلكه اخطأه . واخترقت الحربة خشب البوابة وانكسرت ولا يزال هناك شطرها حتى اليوم .

وقفلت البوابة الحديدية التي لم يكن وقتاها موضوعين رعاوهم عن الارض قدمين وتعلقت قدما بالحاجز لعجلان للدخول في الثلمة وتجاوبه كذلك . واستل عبد الله بن جلوي عجلان من رجله واوقعه أرضاً داخل البوابة وقتله . وكان عبد العزيز يتبعهم فضرب رأس عجلان بيده وصرخ بأعلى صوته : من مشكو الى سيدي ? هذا هو عبد العزيز بيكم .

وظل رجال عبد العزيز يحرسون البوابة بينما هو متابع القصبة الى الاستسلام ، فاستسلمت وتبعها أهل الرياض . ولم يشغل عبد العزيز في تعزيز دفع المدينة . وصعد صوت ذرات ابن رشيد امام المدينة بعد يومين ووجدتها منيعة فتفرقت الى الاصحاب فظل عبد العزيز يطاردها حتى قسيم .

وانتشرت هذه الاخبار في نجد كلها في اسابيع فاسرع الجميع الى اعلان ولائه لال سعود . وتنحى عبد الرحمن وكان في ذلك الوقت رجلاً مسناً وقبل بابنه عبد العزيز أميراً .

واشترك أحد شهر الرجال الثلاثة والعشرين الذين احتلوا الثلمة ، في ذلك

سنة ١٩٣٥ بقوله :

آه يا أم سعود* فلقد كانت لك عصبية أجدر بالانسان أن يشهدها ولو عمر حياته . انني لا أزال أرى أمام ناظري ابن سعود وهو يتهيأ للخروج من منزل زوجة عجلان في النصف الأخير من الساعة . كان هادئاً بارد الاعصاب فرمى عقاله وربط كوفيتـــه فوق رأسه وحول عنقه ثم طوى دشداشته وربطها في مؤخرة رقبته ومعصمه .

* [انني أكني بأم سعود لأن ابني سميته سعود عند ولادته بناء على طلب الملك عبد العزيز وتدعى زوجتي أيضاً أم سعود]

توثيق الروابط بين بريطانيا والكويت

وفي كانون الأول سنة ١٩٠١ وصلت الى الكويت بارجة تركية « زحاف » ، وسلمت الشيخ مبارك انذاراً مطالبة منه اما أن يقبل بنزول فرقـــة عسكرية تركية في الكويت ، او أن يغادر عاصمته ويتقاعد في القسطنطينية . فأعطى مبارك جواباً مبهماً ، فانسحبت على اثره البارجة التركية .

وحوالي نهاية الشهر نفسه كان هنالك من الأسباب ما يدعو الى الاعتقاد بأن مساعي الخصم السابق يوسف بن عبدالله آل ابراهيم أوشكت أن تؤتي أكلها . لأن كل الدلائل كانت تشير الى أن هجوماً من البر على الكويت كان يدبر وتشترك فيه قوة تركية من البصرة مع رجال قبائل شمر التابعين لعبد العزيز آل رشيد من حائل .

وأبدت القوات البحرية البريطانية في الخليج الفارسي على الفور استعدادها للاشتراك في الدفاع عن الكويت ، الأمر الذي أجبر ابن رشيد على التخلي عن خطته والانسحاب الى مراتعه في الصحراء . ولم يكن الأتراك راغبين في القتال وحدهم فتراجعوا الى البصرة .

وكان أخطر هجوم مباشر يتعرض إليه مبارك هو ذلك الذي جرى في خريف عام ١٩٠٢ . ويقال ان الذي وضع الخطة هو يوسف بن عبدالله آل ابراهيم .

وكان الرد ... [illegible] ... الكويت ... [illegible] ... صغير ...
[illegible] ... فقد عمد إلى مبارك ... [illegible]
[illegible] ... من قبيلة ... [illegible] ... في الحرب في المنطقة على
[illegible] ... البريطانية ... [illegible] ... من الكويت ...
[illegible] ... الكويت ... [illegible] ...

وبدأ مبعوث من ابن ... [illegible] ... في البداية . ولكن في الخامس من كانون الأول اكتشف أن رجالاً مسلحين يزاولون في رأس المحدود شرقي الكويت . وقامت السفن الحربية البريطانية بطاردة سفينتين تحملان ١٥٠ مسلحاً واشتبكت معهم في قتال عنيف تمكنت بعده من الاستيلاء عليها ... محملتين بالأسلحة والذخائر ... [illegible] ... أخرى ... [illegible] ... من النجاة .

وهكذا ... [illegible] ... في لا شيء ... [illegible] ... من قبل في ... [illegible] ...

وتركز النفوذ البريطاني في الكويت على اثر الزيارة التي قام بها اللورد كيرزون حاكم الهند للكويت في تشرين الثاني سنة ١٩٠٣ فتوطدت بذلك العلاقات الودية بين الشيخ مبارك والحكومة البريطانية . وتم تعيين أول معتمد سياسي بريطاني في الكويت في حزيران سنة ١٩٠٤ وتسلم ... منصبه في شهر آب من السنة نفسها .

ووافق مبارك في سنة ١٩٠٧ أن يعطي الحكومة البريطانية قطعة ارض تبعد ميلين عن مدينة الكويت غرباً ... بندر الشويخ ... بعقد ايجار مستمر لقاء ٦٠ الف روبية سنوياً .

وأراد البريطانيون تلك الأرض لتكون مرسى ... ومن المشكوك فيه أن تكون تلك الخطوة ... [illegible] ... سكة حديد برلين – بغداد ... الذي كان سيمتد إلى البصرة والكويت عندما تنتهي ... ولكن مما لا شك فيه أن تحصين الأرض المؤجرة وتحويل بندر الشويخ إلى قاعدة حربية

بريطانيا او عطلة التموين ، كان سيجيء شمان المستعمدة إلى رأس كاظمة حيث كان من المقرر اقامة محطة سكة الحديد الى الجهة الشمالية من الكويت ، ضمن مدى نيران المدفعية البريطانية .

وفي نفس الوقت اكدت الحكومة البريطانية للشيخ مبارك انها تعترف بملكيته للكويت بحدودها الحاضرة له ولورثته من بعده ، وان كل التدابير التي يتخذها كفرض الجمارك وغيرها تبقى في يده وفي ايدي ورثته من بعده ، وان الحكومة البريطانية لن تتقاضى رسوماً جمركية في المنطقة المؤجرة او في غيرها من الأراضي التي قد تستأجرها منه أو من ورثته . وكان للحكومة البريطانية الحق في ان تفسخ عقد الإيجار في أي وقت تشاء ، وقد فعلت ذلك سنة ١٩٢٢ عندما مات الخطر التركي - الألماني موتاً طبيعياً . واذا ما اعاد التاريخ نفسه ، كما يفعل احياناً ، فان بريطانيا ستذكر دون ريب الاخطار مسبقة وستتخذ اجراءات وقائية بالاتفاق مع حكومة الكويت .

احتلال قصيم

وبعد ان ضمن ابن سعود اعتراف جميع مقاطعات نجد الجنوبية به ، زحف سنة ١٩٠٤ الى قصيم . ومع ان قوة تركية بقيادة احمد فيضي باشا ، ارسلت لمساعدة ابن رشيد ، اضطرته الى التراجع مؤقتاً ، لكنه استطاع ان يكمل مهمته بنجاح سنة ١٩٠٦ بعد ان اضطر احمد فيضي الى التراجع الى المدينة . وقد عين ابن سعود شقيقه الامير سعد حاكماً في قصيم .

وقتل الامير عبد العزيز آل رشيد صدفة في نيسان سنة ١٩٠٦ عندما التقى بجيش ابن سعود ، فخلفه ابنه الاكبر متعب . وتتضح حالة الفوضى التي سادت في حايل على أثر هذه الحادثة من شجرة العائلة التي نشرناها في مكان سابق من هذا الكتاب .

وفي سنة ١٩٠٨ ارسى محمد سعود قواعد دعائم حكمه في حايل وظل يحكمها حتى سنة ١٩٢٠ حين اغتاله عبدالله ابن طلال آل رشيد .

وفي سنة ١٩١٠ واجه ابن سعود أخطاراً خارجية وداخلية . فقد قام أنصار سعود المعروفون بآل عرفة بين بدو العجمان بثورة في الخرج وحريق . وفي نفس الوقت قام عبدالله ابن حسين شريف مكة في قبيلة واحدة بغارة حاولت فيها عتيبة التي ادعى ان ابن سعود انتهكها .

وكان ابن سعود ... ان سعود العجمان ، ولكنه عندما وجد ان سعود آل رشيد الذي اعتمد عليه ليشاركه ... تراجع الى الحجاز . وتمكن بعد ذلك الاتفاق وصلحاً مع سعود بن رشيد هذا الاخير مضطراً الى ... مكة اربعة آلاف ... ان تنسحب ...

وعاد ابن سعود الى ... الشريف ولكنه تمكن بها فور لحجة ال عبدالله ... في وقت كانت ثورة ... جنوب نجد . وما ... لقبول .

وبعد مغادرة ... ابن سعود كي ... الى الخرج وحريق . فالتف الثورة هناك بسرعة ... من مدينة الى مدينة في نجد حيث ... أحد . وصب ابن سعود ... غضبه ... على عتبته لأنهم ... عبدالله ... جبهة ... الثوار الذين كان يطاردهم .

وبعد ذلك فرض ابن سعود الجزية على قبيلة ... بالخضوع والاكراه ... وهكذا ... حملة ... وضع قوة عسكرية في ... الشمالية ... على ... في جبل ... حيث لا تزال حتى اليوم .

كلز سرتيل

وبعد ان تخرجت من كلية ... في جامعة ... عينت في الفرقة الاولى في ايرلنده سنة ١٩٠٣ ، وبعد سنة نقلت الى الفرقة الثانية في الهند . وفي سنة ١٩٠٨ التحقت بالجيش الهندي .

وفي سنة ١٩١١ حصلت على اجازة ستة أشهر قررت ان اقضي نصفها في انكلترا والنصف الثاني مع امي وشقيقتي في القدس حيث ظلوا يقيمون بعد وفاة والدي سنة ١٩٠٦ ، وقد دفن والدي في المقبرة الانكليزية على جبل صهيون .

وتقدمة وصلت من شد في طريقي إلى انكلترا في أواسط نيسان سنة ١٩٤٦ وحدث أمامي بلية من وافدي كثيرة فيها من القطع وحلق في بور سعيد وعود إلى القدس ، لأن أموراً غريبة وقالة الأهمية تحدث هناك قد يكون لنا أيضاً أثر في حياتنا وحياة شقيقي .

وعدت حسب رغبة والدي . فلما وصلت إلى بور سعيد استقليت زورقاً مصرياً إلى يافا ومن هناك توجهت بالقطار إلى القدس . ووجدت العائلة تعيش ركزا بسكنون في منزل كان يشغله الأسقف الانجليكاني في القدس ويقع خارج مبنى للتقية مروسية التي لا أزال أذكرها منذ طفولتي قبل أن أذهب إلى المدرسة في انكلترا .

وكانت مدينة القدس في حالة اضطراب وهيجان . فقد أقيمت المتاريس في جميع شوارع الجانبية . وكان الجنود الانكليز في دوريات دائمة داخل المدينة القديمة بينما كانت الاستحكامات الرئيسية ليل نهار خارج أسوار المدينة التي بدت وكأنها في حالة حصار .

ولم يمض في الوقت لأعرف كل شيء لأن والدي كان له أصدقاء كثيرون يرشدون لي خلاصة عن ما يجري . ومن بين هؤلاء راغب النكيزي ، وكاهن يدني كان يعلم شقيقي البريطانية ، واحد رجال الدين المشين في كنيسة المسيح ومستقر كاتدرائية القديس جورج ، والعاملين معه وعائلته . والحنين وليس آخر البيت الحي لشركة توماس كوك وأولاده الذي شغل أمي وشقيقي برعايته وعطفه في السنوات العصيبة التي تلت وفاة والدي .

وأخبرني هؤلاء جميعهم أن السبب في كل هذه الأحداث هو الضابط د . ب . الذي لن أذكر اسمه لئلا يحدث ذلك بعض الأسى بالرغم من مرور زمن طويل على الحدث .

وقد عرض هذا الضابط مع اثنين من الفارين البريطانيين حياتهم وأموالهم على أيدي فلسطيني يدعى الدكتور والد جوفيليوس ومساعده المهندس السويدي المدعو ميلاندر . وكان جوفيليوس وميلاندر يعتقدان أنهما اكتشفا رموزاً سرية

في دار حزقيال في موقع ... التي دفنت كنيسة ... في قسطنطينة في ... سنة ٧٥ قبل الميلاد، وغيرها من الرموز التي ... توضح طريقة ... .

و ... مكان ... الملكية ... ... داود وسليمان ... عليهما ... ويقال ان ... ... وسيف ... والواح الشريعة وثلاثة آلاف ... ذهبية وغيرها ... ما قيمته ٥٠ مليون جنيه .

وظل الباحثون من الانكليز يحفرون طوال سنتي ١٩٠٩ و ١٩١٠ دون ان يفتشوا الأنفاق ... كانت كلها خارج اسوار المدينة . والذين كانوا يعرفون ما يفعله هؤلاء كانوا يرون ... بعيدة ... لم يستطيعوا القرب به بسبب المراقبة التركية الشديدة .

... هؤلاء المغامرون ... ان ... مكان ... والسطو على مسجد عمر وهو مكان مقدس عند المسلمين والمسيحيين واليهود على السواء. وعندما ضبط هؤلاء يحفرون نفقاً قديماً تحت قبة الصخرة ... كانت تحدث ثورة دينية يذهب ضحيتها المسيحيون واليهود وخاصة رجال والقناصل الانكليز لولا تدخل الاتراك وارسالهم قوة كبيرة للمحافظة على الأمن والنظام في القدس لا سيما وان ذلك صادف ... الفصح ... وقت واحد .

وقد هرب ... الى ... واستقلوا ... .

وبعد أن قضيت شهراً في القدس غادرتها ... في انكلترا .

الارسالية الأميركية — العربية

انشأت الارسالية الاميركية — العربية فرعاً لها في الكويت سنة ١٩٠٩ . والوصف الذي سأدرجه ادناه يعود الفضل فيه إلى الدكتورة ... كالفرلي التي تعيش ... في ... بولاية كونكتيكت الأميركية، وإلى

نشرتي مجلة الاتحاد الطبي النسائي الأميركي التي نشرت مقالة السيدة كالفرلي أيضا في آب سنة ١٩٥٠ .

وقد كتبت السيدة كالفرلي تقول : كم اتذكر الكويت بوضوح وقد رأيتها لأول مرة سنة ١٩١٢ . لقد رأيتها من مباخرة (أي نقلتنا في رحلة استغرقت يومين من بسمرين شمالاً من شاطىء جزيرة العربية الشرقي من الخليج الفارسي . وكنا ثلاثة مبشرين : الدكتور بول هاريسون وزوجي وأنا . وبعد أن قضينا باستعداد السنة الثانية في اللغة العربية عينا في المركز الجديد للإرسالية العربية . ووقفت أجول بنظري من على ظهر السفينة إلى أول بقعة أرض .. فرأيتها .

وفي الأفق ظهرت مدينة في الصحراء متألقة وطافية بلون الرمال . وفوقها كانت السماء زرقاء صافية . وتحتها كانت مياه الخليج الفارسي الزرقاء تحتضن السفن الشراعية . وعلى الشاطىء ترسو مجموعة من الزوارق تنتظر موسم صيد اللؤلؤ صناعة البلاد الرئيسية في ذلك الوقت . وفي كل تلك المسافة لم تكن هنالك شجرة أو بقعة خضراء . ومع ذلك فسكان الكويت لها جمالها الخاص . جمال الرمال والسماء والبحر – في تلك المدينة الصحراوية كنا سنعمل ونعيش لمدة سنوات مقبلة .

ونزلنا إلى الشاطىء ورحنا نمشي في طرق غير معبدة . كنا نجد جانبا حتى تمر الجمال والحمير حاملة قربا جلدية مليئة بماء الشرب لأن مياه المدينة مالح لا يشرب . والنساء البدويات محافظات على كن محجبات من أعلى الرأس حتى أخمص القدم بالسواد . والرجال كانوا يلبسون الأثواب الطويلة تمشي رؤوسهم كوفيات مشدودة وكأنهم صور الشيوخ الأجلاء في العهد القديم .

باب بني مرصد في جدار متواصل من الطين كان هو مدخل البيت الذي سنقيم فيه ونستخدمه كمستشفى . وككل البيوت العربية لم تكن له نوافذ خارجية . وكانت غرفه تنفتح على صحنين . والحجرة الأكبر ليكون مقر عمل الدكتور هاريسون والغرفة الثانية الباقية احتفظنا بها كغرفة نوم خاصة بنا جميعاً .

أما الباحة الصغرى فقد استخدمت كعيادة للنساء . وقسمنا إحدى الغرف

يمتاز من الدور الثاني قسم مكتبة لطبيب والقسم الآخر غرف خاصة [illegible] .
وغرف المرضى [illegible] لتبيت [illegible] الدكتور [illegible] فيها [illegible] فيها
أسرة [illegible] معدودة [illegible] الأرض .

ويكن في [illegible] مدارس [illegible] قابلات
ويحاولون [illegible] وكان [illegible] رجال وتضعن ويراون
[illegible] الأعشاب والعقاقير الأخرى . وفي [illegible] لتقسيم الأمراض إلى أربع
فئات : [illegible] حسب النظام الأفريقي القديم . ولكن
من [illegible] الأعشاب [illegible] تحت رحمتهم .

وقد حدث [illegible] أخيراً من الأخريات ولكنهن جميعاً كن
[illegible] الأدوية التي [illegible] من ان تكون [illegible] .

وكانت الدولة [illegible] في حقيبة ولكنني [illegible]
[illegible] امرأة [illegible] المستشفى .

[illegible] تسير تدريجياً . [illegible]
العمليات التي [illegible] الكلوروفورم والبنج الموضعي معروفة وشائعة .
وقد استفادت [illegible] الامرأة [illegible] بعملية لتصحيح [illegible]
[illegible] من استعمال الأشعة [illegible] . ولكن [illegible] العملية
هي [illegible] التي كانت تشكو من كرة [illegible] في بطنها [illegible] . فجاءت
[illegible] ان تجمع في آلام ؟

وكانت [illegible] أدوات جراحية كاملة . [illegible] اجتماعاً للتشاور
بغياب المريض . وكان مساعداي أم موظف سوري في الإرسالية [illegible] .
وقد تعلمت الأم [illegible] الكلوروفورم والبنج بواسطة التنفس . أما أنا
والقابلة فكنا [illegible] بالمشرط ثم [illegible] .

وقد [illegible] ان لا [illegible] الأدوات إلا بأمر
مني . وفي اليوم التالي جلس زوج فلانة خارج الباب ليتأكد ان أحداً من الرجال

لن يدخل الغرفة سوى وجه زوجته . وعندما انتهت العملية بنجاح انتشرت الأخبار في طول المدينة وعرضها . وتضخمت الأخبار حتى ان امرأة قالت : ماذا تصنع هذه الطبيبة الانكليزية افتتحت بطن فلانة واخرجت منه امعاءها التي تغسلها في البحر واعادتها الى مكانها .

وسنعود في أماكن أخرى من هذا الكتاب الى نقل بعض فقرات من مقالة السيدة كالفرلي . والآن في الوقت الحاضر بتسجيل الملاحظات القصيرة التالية عن الأمراض :

الجذام (البرص) : هذا المرض لا وجود له تقريبا في الجزيرة العربية . وفي الكويت توجد حالة او حالات معدودات . ولكنه كثير الانتشار في العراق حيث توجد مستعمرة للجذام ومستشفى في العمارة على نهر دجلة كانت حتى وقت قصير تديره الارسالية الاميركية .

الدرقة : وهذا المرض شائع بين المسنين من البدو وعلاجه الوحيد عملية بدون الخبز الساخن . ولكن هناك طريقة تعطي نتائج أفضل فاذا اخذت مرارة نعامة لأول مرة ووضعت على ظهر المريض بشكل لطخة فانه يشفى لا سيما اذا ما اجري هذا العلاج لمدة ثلاثة أيام متتالية . ففي تموز سنة ١٩٤٠ اجري في هذا العلاج وانجح تقريبا .

الفالج : علاجه الوحيد هو الطبيب . ويقدر تفسير ذلك . ويمنع تقديمه من الاقارب من المريض .

حدود الدولة

ان مسألة وضع شيخ الكويت وحدوده كانت موضع مفاوضات بين الحكومة البريطانية والباب العالي سنة ١٩١٣ . ونتيجة لتلك المفاوضات وقعت اتفاقية بين الجانبين في ٢٩ تموز سنة ١٩١٣ لكنها لم تصدق .

وبموجب هذه الاتفاقية اعترف باستقلال شيخ الكويت فوق مساحة من الأرض تشكل حدودها نصف دائرة مركزها مدينة الكويت ، ونهاية شمالها من الشمال حيث يلتقي خور زبير بخور عبدالله ، ونهايته من الجنوب قرب ،

هذا بالاضافة إلى جزر وربه ، وبوبيان ، ومسكان ، وايلكه ، وعوهه ، وكبر ، وقاروه ، ومقطع ، وام المرادم ، وغيرها من الجزر الصغيرة الاخرى المجاورة .

وعرف الشيخ الكويتي بأنه سيد القبائل هناك وله الحق في فرض جزية على منطقة واسعة تبدأ حدودها من ضفة خور الزبير الجنوبية حيث بالتالي تنحدر شمالاً ، مروراً بجنوب أم قصر ، وصفوان وجبل سنام فالى وادي الباطن .

ومن هناك تنعطف الى الجنوب الغربي وتتبع وادي الباطن إلى آبار حفر الباطن حيث تنعطف إلى الجنوب الشرقي تضم آبار الصافي وقرعة والحفر ووبره وقريه ونطع ، وتتجه نحو البحر عند جبل منيفه .

ونشبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ قبل تصديق هذه الاتفاقية .

ثورة الاخوان

جابهت الجزيرة العربية بين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩٣١ حركة دينية عرفت بحركة الاخوان قال عنها بعضهم انها غضبة وهابية جديدة . وقد كتب وحاضر عن هذه الحركة مشاهير الكتاب في الجزيرة العربية مثل فيلبي وزوار وفؤاد حمزه وأمين الريحاني وحافظ وهبه وغيرهم .

والاحداث المتعلقة بهذه الحركة وخاصة ثورة الاخوان سنة ١٩٢٩ - ١٩٣٠ والتحاربهم الهوجاء كانت بالنسبة لي ذات أهمية بالغة لأني عشت على حدود الوهابيين عدة سنوات بدون انقطاع إلا لفترة قصيرة ، وقد شاهدت كل فصل من فصول هذه المأساة مستنبطاً كثيراً من المراقبة والمعلومات الخاصة من أبطال هذه الأحداث أمثال عبد العزيز آل سعود ، ومن كثيرين من قادة الاخوان بعد ان اصبحوا زواراً مترددين على مسكني ، وبذلك استطعت ان أجمع معلومات مفصلة وخاصة فيما يتعلق بالثورة . ولا يمكن ان انسى ان اذكر مساعدة زوجات قادة الاخوان اللواتي أعطين لي ولزوجتي بثقتهن وصداقتهن .

وبالرغم من ان الكثير قد كتب عن قسوة الاخوان وفظاظتهم ، ولكن رأيي هو أن ذلك مبالغ فيه بقصد لكي يتلاءم مع الغايات السياسية في ذلك

الوقت .

ولا اخفي انني كنت معجباً بالاخوان، وربما كان ذلك تحيزاً مني لأنني كنت صديق عدد كبير منهم ، او قل هو جانب عجيب عند هؤلاء الرجال الحالمين الذين يؤمنون بصدق بإله واحد ، او لأنهم كانوا يدعون جاهدا لتخليص الديانة من الشوائب الكثيرة التي التصقت بها .

واعترف انني عندما اتعرف على احد من الاخوان لم اكن لأجد فرقاً بينه وبين اي بدوي طيب في اي مكان آخر . انهم كغيرهم مولعون بلسانهم والفاظهم وجمالهم وخيولهم . ونساؤهم ، كغيرهن من النساء العربيات ، ذوات أخلاق طيبة .

ويمكن القول بصورة عامة ان « الاخوانية » هي احياء للوهابية . ولم تكن بأي حال من الأحوال هرطقة ولكنها حركة جمالية قامت بين مسلمي نجد وتهدف الى احياء المذهب السني الشافعي كما علمه الامام احمد الحنبلي (٧٨٠ — ٨٥٥) .

وقد بدأ هذه الحركة العالم المتدين الشيخ عبد الكريم المغربي الذي كان المعلم الأكبر للمرحوم فالح باشا السعدون شيخ المنتفق . واصبح بعد ذلك معلماً لابن باشا السعدون والد ابراهيم بك السعدون .

وعندما قتل الشيخ عبدالكريم بخدمة مزعل باشا غادر العراق الى نجد حيث أعلن نفسه كمعلم ومصلح ديني في مدينة ارطاوية التي كانت وكراً صغيراً للوهابية .

ويحكى انه في سنة ١٨٩٦ ذهب مزعل باشا الى الحج في مكة وقرر العودة الى العراق من طريق نجد لكي يتسنى له رؤية معلمه القديم الشيخ عبدالكريم . ولكن الشيخ عبد الكريم رفض ان يحسن استقباله كما كان يتوقع طرده وشتمه واتهمه بانه كافر ومشرك .

ومن بين قادة الاخوان الآخرين : عبدالله بن عبداللطيف بن عبد الوهاب ، قاضي الرياض وسليل مؤسس الوهابية ، والشيخ عيسى قاضي الاحساء .

انه من الصعب تحديد الوقت الذي نشأت فيه الحركة بالضبط . ولكن من

المؤكد ان كلمة اخوان بمدلولها الجديد لم تعرف قبل سنة ١٩١٣ . ومن المؤكد أيضاً ان الحركة لم تلعب اي دور في استعادة عبد العزيز آل سعود لنجد سنة ١٩٠١ . كذلك لم يكن لابن سعود اي علاقة بنشأة الحركة . ولكن الحركة اول ما استرعت انتباه عبد العزيز ، بعد ان استعاد الاحساء من الاتراك .

ولم تظهر حركة الاخوان الى العلن في نجد قبل سنة ١٩١٤ . فبينما ظل أهل المدن وهابيين متعصبين ، انضم جميع أهل القرى والبدو الى الاخوان .

وفي اوائل سنة ١٩١٤ احتل ابن سعود منطقة الاحساء التي كان يطمع بها لأنها كانت تابعة لنجد في السابق ، ومن جهة اخرى طمعاً في مدخولها الذي اصبح ابن سعود بحاجة متزايدة اليه .

وانتهز ابن سعود فرصة انشغال تركيا بحرب البلقان وحالة الانحلال الداخلي والخارجي التي كانت فيها ، [illegible] الى الهفوف ، فقام بهجوم في الليل على رأس [illegible] رجل يركبون جمالاً مسرعة من الرياض الى الهفوف فدك الاسوار الخارجية للحصن الذي يقع في الجهة الشمالية من المدينة ولجأت الحامية التركية [illegible] على الاستسلام . وبعد مشادة [illegible] سمح للحاكم التركي وحاميته ان يخرجوا من المدينة مسرورين مكرمين [illegible] ومن هناك ذهب بعضهم الى البصرة وبعضهم الآخر الى قطر .

الكويت تنضم الى الحلفاء

وعندما نشبت الحرب بين تركيا والحلفاء سنة ١٩١٤ انضم مبارك الصباح الى الحلفاء اولاً معرضاً نفسه للخطر لأن القوات البريطانية لم تكن قد وصلت بعد الى العراق . وكلف الشيخ مبارك منذ البداية باحتلال المواقع العسكرية التركية في صفوان وام قصر وتلك الواقعة في الجهة الشمالية من جزيرة بوبيان ، وكان هدفه ان يمنع الهجرة من جهة البر واحتلالها اذا امكنه ذلك بشرط المحافظة على ارواح وممتلكات الرعايا الأجانب .

ومع انه لم يوفق في احتلال البصرة ، لكن وجوده على رأس قوة كبيرة من البدو في الداخل سوى انظار الاتراك عن ابلغرال "تورنز بارنت" وجيشه الذي نزل على شط العرب في الجهة المقابلة لعبادان وزحف إلى البصرة عن طريق الضفة اليمنى .

ومكافأة له على جهوده العسكرية وعلى دخوله الحرب الى جانب الحلفاء ، فقد اعطت الحكومة البريطانية الشيخ مبارك وعداً خطياً تضمن الأمور التالية في حالة خروج الحلفاء من الحرب منتصرين :

١ - ان تعفى بساتينه الخمسة على شط العرب من الضرائب .

٢ - تثبيت ملكيته لتلك البساتين (لأن الأتراك حاولوا نزعها منه) .

٣ - تضمن الحكومة البريطانية في كل الأوقات بقاء الشيخ مبارك وورثته وخلفائه شيوخاً على الكويت .

ومنذ اللحظة التي احتلت فيها القوات البريطانية العراق حتى انتهاء الانتداب البريطاني على العراق ، ظلت الحكومة البريطانية محافظة على تعهداتها والتزاماتها تجاه شيخ الكويت . ولكن بعد ان نال العراق استقلاله رفضت الحكومة العراقية التقيد بالوعود التي قطعتها الحكومة البريطانية لشيخ الكويت ، بل فرضت على بساتين الشيخ مبارك على شط العرب مزيداً من الضرائب ، وتحدت ملكيته لبساتين النخيل تلك امام المحاكم ، واطلقت العنان لدعاية يفهم منها انها تعمل على ضم الكويت إلى العراق .

وبالرغم من ان بريطانيا منحت العراق استقلاله وانها ترتبط به بمعاهدة ومعاهدات ، فان الحكومة العراقية كانت تتصرف تصرفاً معادياً تجاه الكويت لا لتحرج بريطانيا فحسب بل لتفقدها ايضاً نفوذها في جميع انحاء الشرق الأوسط وخاصة منطقة الخليج الفارسي .

ولكن الحكومة البريطانية قررت ، حفاظاً على اسمها وسمعتها ، ان تلتزم بوعودها تجاه الكويت مهما كلفها ذلك .

ابن سعود يؤيد بريطانيا

وكان ممثل بريطانيا في الكويت سنة ١٩١٤ الكابتن شكسبير . وفي تشرين الثاني بينما كانت القوات البريطانية لا تزال في سيهان تجاه المحمرة ، قدم الكابتن شكسبير بزورق السير بيرسي كوكس (المقيم البريطاني في الخليج الفارسي) والسير كرنس بزيت في مقر القيادة ، وتلقى منهما الاوامر بالسفر الى نجد طلباً لمساعدة ابن سعود ضد الاتراك .

وفي تلك الاثناء كان من المقرر ان يزور اللورد هاردينج نائب الملك في الهند الكويت بعد ان زار البصرة وتفقد القوات البريطانية هناك . وحاول الشيخ مبارك ان يثني شكسبير عن عزمه على السفر الى الرياض الى ما بعد زيارة اللورد هاردينج فرفض شكسبير وتوجه الى الرياض قبل وصول حاكم الهند .

ووعد ابن سعود ان يقدم مساعدات فعالة وجهز نفسه للدخول في عمليات عسكرية ضد ابن رشيد الذي دخل الحرب الى جانب الاتراك . والتقت قوات الطرفين في كانون الثاني سنة ١٩١٥ في جراب (وتعرف احياناً بجراب) في نجد . وكان من المفروض ان يربح ابن سعود المعركة ولكن قبيلة العجمان التي كانت تشكل ميسرة جيشه تركت الميدان ولم تقاتل ، فانسحب ابن سعود من المعركة وقتل الكابتن شكسبير وهو يساعد على حشو مدفع نجدي .

وكان الشيخ مبارك قد سعى كثيراً من قبل ليجمع بين ابن سعود وبين اللورد هاردينج فلما حدثت هذه ثم ثمة كان يقول مخاطباً ابن سعود : لقد قلت لك ذلك فلم تسمع نصيحتي ، ولم تقابل حاكم الهند ولكنك خسرت المعركة والفقدان الفهم السياسي .

وتخلت الحكومة البريطانية عن فكرة التعاون مع ابن سعود في تلك الفترة ولكنها ظلت تحتفظ بعلاقة صداقة معه .

وفي صيف سنة ١٩١٤ ارسل الشريف حسين في مكة ابنه عبدالله الذي اصبح فيما بعد ملكاً على شرقي الاردن على رأس قوة لا بأس بها ليقوم ، في

الظاهر ، نجاح الصلح بين ابن سعود وابن رشيد وفي الوقت نفسه ليلزم بتنفيذ اتفاقية سنة ١٩١٠ وخاصة الجانب المالي منها . وصيغت اتفاقية الصلح لم تنفذ وعاد عبدالله تاركاً وراءه شهرة بالفراسة .

وفاة الشيخ مبارك

وحدث ان قامت قبيلة عجمان بثورة في الاحساء في شهر تشرين الثاني ، وعجز ابن سعود عن اخمادها ووجد نفسه محاصراً ومطوقاً في مدينة الهفوف . وقد اظهر الشيخ مبارك اخلاصه والتزامه بابن سعود بأن أرسل جيشاً لنصرته . ونجحت القوة الكويتية في مهمتها . وقد كان بينها الشـاـبان أصبحا حكاماً على الكويت هما : الشيخ سالم الابن الثاني للشيخ مبارك ، والشيخ أحمد حفيد الشيخ مبارك .

وبعد ان تمكنت القوة الكويتية من رفع الحصار تعاونت مع قوات ابن سعود لضرب تجمعات قبيلة عجمان في معركة رضا قرب القطيف .

وبعد اذ اعطت القوة الكويتية للمهزومين من عجمان حق اللجوء والحماية عادت الى الكويت . وقد أغضبت هذه المبادرة ابن سعود ولم تناسب طموحه ومزاجه الحربي فبدأت بينه وبين الشيخ سالم سلسلة من الثارات والخصومات طويلة .

وكان جيش الكويت المنتصر على بعد عدة اميال من العاصمة عندما بلغه نبأ وفاة الشيخ مبارك وارتقاء ابنه الأكبر جابر الى العرش .

وقد بعث اللورد هاردينج حاكم الهند الذي كان قد زار الكويت في شباط من السنة السابقة ، برسالة الى الشيخ جابر يهنئه فيها بارتقائه مؤكداً تأييد الحكومة البريطانية له كما كانت تؤيد والده طالما حافظ هو من جهته على الاتفاقات المعقودة مع الحكومة البريطانية .

ان الشيخ مبارك في الواقع هو الذي رفع الكويت من مكان قليل الأهمية الى مكان مزدهر مرموق . واصبحت الكويت خلال ايام حكمه ، بنظر العربي ،

من المكان المنشود للعيش وبذلك تضاعف عدد سكان المدينة .

اما الشيخ جابر فقد كان شاباً لطيفاً مهذباً كسبه لطفه وتهذيبه شعبية كبيرة خلال حكمه القصير الذي لم يدم لاكثر من سنة .

قائد للاخوان

وفي اواخر سنة ١٩١٥ او اوائل سنة ١٩١٦ وجد ابن سعود ان اليد الطولى في شؤون نجد أصبحت للاخوان بما وضعه أمامه حلين : اما ان يكون حاكماً زمنياً فيجابه الاخوان ويسحقهم ، واما ان يصبح الرئيس الروحي لهذه الرهبنية الجديدة .

وربما كان ابن سعود قد فكر في البداية في استغلال هذه الحركة لتدعيم مركزه ، ولكنه اضطر في نهاية الأمر ان يقبل قيامها ويصبح قائدها لئلا يفلت الزمام من يده .

ويقول بعضهم انه على أثر انتهاج ابن سعود هذا الخط تلقى تحذيراً خطيراً من عبدالله ابن جلوي آل سعود امير الاحساء بأن يتخلى عن هذه الحركة التي شبهها بالنار التي تلتهب كل شيء .

ولكن مما لا شك فيه ان ابن سعود بذلك قد زاد من قوته كثيراً لأنه صهر جميع العناصر المتناحرة المعادية لبعضها البعض في نجد منذ أقدم الأزمان .

وبعد ان تبنى ابن سعود الحركة الجديدة وجد انه من الضروري تنظيم افرادها وضبطهم ، لأنه كان يخشى قيامهم بهجمات دموية مسعورة باتجاه الحجاز والعراق . وتبعاً لذلك أصدر امره المشهور سنة ١٩١٦ الذي يقضي بانخراط جميع القبائل العربية « شاؤوا ام ابوا » في صفوف حركة الاخوان ، وان يدفعوا له الزكاة بصفته امامهم الشرعي . وإذا لم يفعلوا فإنه سيهاجمهم ويخضعهم بالقوة .

أما طريقة اخضاع القبيلة التي لم تكن راغبة في دخول الحركة فكانت كما يلي : يستدعي ابن سعود شيخ القبيلة ويبلغه بعبارات جافية انه وقبيلته لا يدينون بأي دين وانهم جهلة . ويأمر شيخ القبيلة بحضور الدراسات في مدرسة العلماء الملحقة

يسجد "الرئيس الكبير" وهذا الذي يجري تلقينه مبادىء الدين ونشره . ولم تكن تلك التعاليم ، باستثناء عامل الاكراه ، فيما ، تختلف بشيء عن الوهابية .

وكان يطلب من كل أخ ان يتقيد قبل كل شيء ، بأمرين اساسيين : اولاً ، عبادة الله واحد ، وثانياً الأخوة بين جميع المؤمنين الصادقين .

ويتضمن الأمر الأول :

١ – الايمان بعدم انقسامية الله .
٢ – اعطاء الزكاة .
٣ – الصوم في رمضان .
٤ – الصلاة خمس مرات في اليوم .
٥ – الحج الى مكة .

ويتضمن الأمر الثاني :

١ – حب الوطن .
٢ – إطاعة الامام (ابن سعود) طاعة عمياء .
٣ – ان يساعد الأخ أخاه في الضيقات المالية وغيرها .

وعلى المؤمن ان يقول دائماً « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . ولكنه يمنع منعاً باتاً من التفكير بمحمد او ذكر اسمه كوسيط مع الله . الله هو القهار وما محمد إلا رجل أعطي لوصيات الله للمؤمنين . اما وقد توفي وانتهى فإنه لم تعد له اهمية خاصة إلا ان يذكر اسمه بالاجلال والاكبار وان تبقى ذكراه حية في الأذهان من قبيل عرفان الجميل .

اما ان يقرن المرء اي اسم مع اسم الله فتلك خطيئة لا تغتفر يعتبر مقترفها مشركاً كافراً تحل ممتلكاته وحياته ونساؤه . والنذر ايضاً يعتبر خطيئة مميتة . وهذه العادة منتشرة كثيراً بين الشيعة ولا يقدم النذور إلا فئة من السنة – فواجب الاخوان ، اذن ، تحطيم هذه الاشياء أينما وجدت .

ويعتبر تدخين السجاير والحشيش والافيون وغيرها من الخطايا الكبيرة . وفي اول ايام الحركة كان اذا رأى أخ رجلاً يدخن فإنه يهاجمه وربما قتله .

والتدخين في مملكة ابن سعود ممنوع رسمياً ، حتى اليوم ، باستثناء الأحساء حيث يسمح للشيعة بالتدخين في الأماكن العامة . ومن المحرمات أيضاً شرب الكحول ولبس الزينات الفضية والذهبية ، وقص الشاربين واللحية إلا ما قطع ، والزمور ، والقمار ، والتصوير ، والتنجيم ، وأعمال السحر .

وتفرض الزكاة بأن يدفع كل شخص جزءاً من أربعين من جميع ممتلكاته للإمام . وبحسب القواعد الواردة في القرآن الكريم يوزع الإمام المال الذي يتلقاه في ثمانية اتجاهات : على الفقراء ، والمحتاجين ، والمدينين ، والأسرى ، والمسافرين ، والذين يجمعون الزكاة ويقسمونها ، والراغبين في نشر كلمة الحق ، وفي سبيل الله .

وإذا فقد أحد الإخوان ماشيته ومتاعه بسبب حادثة في الحرب أو المرض أو لسبب ما ، فإن عليه أن [illegible] صاحب [illegible] ، أما جمع [illegible] فمن الضروري له ليقف على قدميه من جديد ، أو [illegible] ما ترتب عليه من ديون .

هذه هي معتقدات الإخوان .

وبينما يكون شيخ القبيلة في الرياض [illegible] ، يتوجه إليه عشر عالماً من العلماء بإشراف أحد قادة الإخوان المتزمتين كفيصل آل دويش الشيخ الأعلى في مطير(١) في [illegible] نفسياً . وهؤلاء العلماء المتجولون يفقهونه في أمور الدين . ومن المسائل التي يوضحها هؤلاء العلماء في أذهان القبائل أن الإخوان فقط هم المسلمون الحقيقيون وأن بقية المسلمين كفرة وهراطقة . فكانوا يعلمون الطقوس الدينية ويزعمون أنهم [illegible] كل شيء عن الإسلام في بساطته الأصلية كما نشره محمد .

وكانوا يدرسون فكرة مدهشة في عقول الناس هي أن ابن سعود شيء سيصبح في المستقبل [illegible] وقائداً روحياً وشيخاً في وقت واحد . ومعتقداً كانوا يشيرون [illegible] في [illegible] ، وكانوا يعلمون الشيعيين أنهم أصبحوا أعضاء في الحركة الجديدة ولذلك ينطبق عليهم اسم الإخوان .

وكان [illegible] يسيرون [illegible] أن الأعضاء الجدد يجب [illegible] لعقيدتهم ودروسهم

بالكرفية فقط بدلاً من العقال ، وأن يلتزموا البساطة في العيش والملبس ولذلك كان معظم الاخوان يبـــدون بمظاهر التقشف . وليس من المفروض ان يرد الأخ السلام إلا للأخ . فاذا ما صادفت جماعة من الاخوان في شوارع المدينة رجـــلاً أوروبياً او عربياً من العراق او من سواحل الخليج المحمية؟ فالمفروض فيهم ان يقفوا ويحجبوا بأيديهم لئلا يدنسهم منظر الغرباء .

لقد لاحظت هذه العادات عندما كنت في الاحساء سنة ١٩٢٠ ثم سنة ١٩٢٢ . وكان رفاقي في الرحلة منفيين من الكويت والبحرين وكانوا يلاقون العداء من كل واحد من الاخوان يصادفونه في الصحراء وفي الهفوف ولكنني لم اسمع جواباً إلا مرة واحدة حين قلت لاحدهم (عليكم السلام) . وفي عــدة مناسبات كان الناس في الهفوف سنة ١٩٢٠ يغطون وجوههم عندما يقتربون مني . وحدث مرة انه عندما دعاني ابن جلوي ابن سعود نفسه ، فتقدمت نحو جماعة من الاخوان مقبلاً واحدة وتحرسوا من الجلوس وهم يغطون وجوههم السلام ... وكانوا يتمتمون بصوت لعنات على من كنت ضيفاً على امامهم .

ويقضي نظام شيخ القبيلة انه تلقى علوماً وتوجيهات دينية كافية يمضي بيتاً في الرياض — مدرسة إذ كانت قرية — ويمضي اثناءه في حـــوار الامام . وهذه الطريقة ربما كانت من اساليب السيطرة على القبائل . فـــاذا اراد ابن سعود في اي وقت الرهائن ... قوات الاخوان فاعليه إلا ان يبلغ حرمه الخاص والشيوخ ليضمن ... في ظروف ازمة أي تقلب للبلاد او حركة قتال .

ولم يكن الشيخ يستطيع مغادرة الرياض والعودة إلى قبيلته إلا بـــإذن من الامام . ولم يكن ذلك يمنح في غالب الأحيان .

وكانت تعلق أهمية بالغة على أداء الصلاة الخمــس اوقاتها بدقة . ... من مخالفات الاخوان ... الزمان للصلاة وشدتهم ممارسة العادة في خط طويل جداً للاستعراض . وكان تأثير ذلك في النفوس عظيماً . وعندما يحين موعد الصلاة يصرخ أصحابه : ... يا متكاسلي .. الى الصلاة . فيتجمع

عدد من الاشخاص ويعينون قائداً لهم ، ويصفون بنادقهم براس الراحـــة إلى قدم الأخرى أو حيث منتظر ، وتنقل الصلاة عن الطريقة العسكرية النظامية .

ولقد شاهدت حرس ابن سعود اكثر من مرة وعددهم حوالي ثلاثمائة شخص يتجمعون لاداء الصلاة وقد دهشني فيهم الدقة العسكرية في حركاتهم . ولم يبد لابن سعود او لأي من الاخوان ادنى اعتراض على تصوير هـــذه التجمعات . واظن انهم كانوا يفتخرون بهذا النظام الذي فرضوا على انفسهم بحيث انهم يعتبرونه صورة دعاية جيدة لهم .

وكان اجبار الناس في الدخول في الحركة من مقومات الايمان عند الاخوان في الايام الأولى لحركتهم . وقد اثرت اساليبهم بمخاوف الناس في الحجاز والبلدان المجاورة .

ومن الثابت انه عندما وجدوا طريقهم إلى الملوك لأول مرة أخــذوا يضربون ضربة موجعة كل امرأة يجدونها تسير في الشارع ، ويطلقون النار ببرودة دم على عدد من الأشخاص لا ذنب لهم إلا أنهم يدخنون التبغ . وقـــد اضطر ابن سعود وعبد الله بن جلوي الى التسامح والعفو عن الذين اخذهم التعصب ، قبل ان استطاعا كبح جماح الآخرين واعادتهم الى رشدهم .

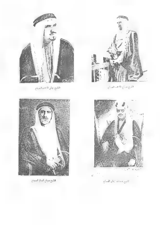
وغني عن القول ان الأمر الذي اصدره ابن سعود سنة ١٩٢٦ اثار كثيراً من النزاع مع القبائل وخاصة قبيلة عجمان في الاحساء . ويمكن القول حقيقة وبكل امانة ان ابن سعود شغل طيلة سنة ١٩٢٦ وسنة ١٩٢٧ في سلسلة طويلـــة من الحروب مع القبائل التي لم تكن متحمسة للاخوان . ولم يكن يستطيع زيـارة الرياض للراحة إلا نادراً .

الحسين ملك الحجاز

اعلن الحسين شريف مكة استقلال الجزيرة العربية وانضم إلى الحلفـاء في تموز سنة ١٩١٦ بعد ان ازاح عن كاهله الحكم التركي . وفي الشهر نفسه احتـــل الحسين ينبع ميناء المدينة المنورة ، وفي شهر تشرين الأول اعلن نفسه ملكاً على

البلاد العربية . ولم يكن ذلك مقبولاً لدى الذين اعترفوا به ملكاً على الحجاز فقط .

وتطلع ابن سعود إلى هذه التطورات بقلق متزايد ولكنه لم يقم بأي عمل فوري ضد الحسين او ضد آل رشيد اعداء بيته التقليديين .



الشيخ صباح الأحمد الصباح

الشيخ جابر الأحمد الصباح

الشيخ عبدالله السالم الصباح

الشيخ صباح السالم الصباح

الفصل السابع

سوق الشيوخ

١٩١٥ - ١٩١٦

سادرك الجزيرة العربية ثانية وتلقت اتباعها الى العراق حيث قضيت خمسة سنوات في الخدمة تحت قيادة السير بيرسي كوكس الذي كان في ذلك الوقت رئيساً للدائرة السياسية في جنوب العراق .

وسأبدأ ببعض الملاحظات عن السكان العرب على الفرات الأسفل وخاصة في سوق الشيوخ والناصرية حيث عملت في البداية .

بني أسد

قبيلة قوية من غير المنتفق تعيش في مستنقعات جنوب العراق . وشيخ هذه القبيلة هو سالم الخيون ومقره الرئيسي في شبيش .

ضافر

وهي قبيلة صحراوية شريطة تقطن بين السماوة والزبير بجنوب الفرات . ولها فروع كثيرة متعددة منها بني حسين وآل عرايف . ويشتق اسم القبيلة من ضفر اي خصلة الشعر اشارة إلى ان القبيلة نمت وتأسست من وحدات صغيرة في الصحراء .

وقد اشتهرت قبيلة الضافر بين قبائل الصحراء بالطريقة التي تدافع فيها

وتحمي بالمستوى الذي يحتاج في الطيب من اي قبيلة كانوا ، حتى اذا اضطرها ذلك الى محاربة ... او جهات التي تنتمي اليها .

وقد أمر أحد شيوخ ... مرة ... ابنه ... لأنه قتل ... في حي ... لا ... .

والشيخة في هذه القبيلة الآن معقودة . وشيخهم الأعلى حاليا عجيمي الصويت .

المنتفق

وهو اسم يطلق على اتحاد القبائل العراقية التي تقطن في منطقة القسم الجنوبي من نهر الفرات في ... (٣) وشطرا ، وقلعة سكر ، والناصرية ، ومدينة سوق الشيوخ . وهنالك ثلاثة أقسام رئيسية لا توحّدها رابطة إلا فروع المشاركة السلطة عائلة السعدون . وهذه الأقسام التي ليست قبائل بل مجرد تجمعات هي : أجود ، وبني مالك ، وبني سعيد .

وبني سعيد هم ... أصغر والأحقر ... ويقطنون منطقة الصحراوية بين دجلة وبالقرب من مدينة ... وبين شط الحي في شطرا .

أما أجود فهم أغلبهم ... ويسكنون ... وهو الاسم الذي يطلق على المنطقة الزراعية الواقعة على ضفتي شط الحي ويسكنون أيضاً على ضفتي الفرات فوق الناصرية وتحتها . وهم بين مزارعين مقيمين وبين أصحاب ماشية رحل . والمشيخة فيهم حالياً في عائلة الشايع (٤) وشيخهم الأعلى اليوم هو فيصل الزامل ال الشايع (٥) .

أما القبائل الرئيسية التي يضمها قسم أجود فهي :

العبوده : قبيلة زراعية قوية في منطقة الغراف بالقرب من مدينة شطرا . وشيخها هو ... السيد .

الأزيرج : قبيلة زراعية في المنطقة بين شطرا والناصرية شيخها محمد القطا السوري .

الغزّي : قبيلة زراعية قوية على الضفة اليمنى للفرات بين بشا والناصرية. وشيخها اليوم احمد الحبيّب . ويتفرع منها آل غليظ .

الحمونه : قبيلة من السيّاد المزارعين بين شطرا والناصرية وشيوخها هم : السيد حمود بن عبد الحسين والسيد محمد بن عبد الحسين .

الحسينات : قبيلة زراعية على الضفة اليمنى للفرات قبالة الناصرية وشيخها عجيل الخضيري .

الابراهيم : قبيلة زراعية في شرق آل حمونه وشيوخها بلهول الشايه وجبار الطشر .

الخفاجه : قبيلة زراعية قريبة في منطقة الغراف بين شطرا والناصرية وشيخها شعبان الدلي .

الهـايشه : قبيلة زراعية صغيرة على الضفة اليمنى للفرات قبالة الناصرية وشيخها قحطان العجيل الشويّد .

أما القسم الثالث من المنتفق اي بني مالك فهم في الأصل من المعدان (اسم يطلق على ساكني المستنقعات والأهوار في العراق) ويعيشون في الدلتا التي يشكلها نهر الفرات عندما يدخل بحيرة حمار . وتعتبر قبيلة البوصالح وشيوخها زعيمة قبائل بني مالك .

وقبائل بني مالك الرئيسية هي :

العساكره : قبيلة زراعية في منطقة سوق الشيوخ على الضفة اليسرى من الفرات ، شيخها سعرو المرهي .

الحسكام : قبيلة زراعية على جانبي المجرى الرئيسي للفرات بالقرب من سوق الشيوخ . وهي قبيلة قوية كانت مصدر قلق للأتراك في الأيام الغابرة . وكان لها في يوم من الأيام اربعة شيوخ رؤساء هم : محيي مزبان ، وقاصد الشناحي ، وفرهود الفندي ، ومحيي ناصر الجبايل الذي سيروي قصته فيما بعد . والشيخ الأعلى على الضفة اليمنى من الفرات اليوم هو مزهر القاصد الناحي ، وعلى

الشفة اليسرى فرهود الفندي .

ويتفرع من قبيلة الحكام فئة تدعى البوحميدي .

الحسن : قبيلة في أهوار منطقة الدلتا من سوق الشيوخ وشيخها الأعلى اليوم هو حموده بن مزعل البشاره . اما ذلك القسم من قبيلة الحسن الذين يعيشون على الضفة اليمنى من النهر فان شيخهم هو مزيج الفيصل ثامر ولكنه يخضع لحموده بن مزعل البشاره .

الجوير : قبيلة في الأهوار قرب بحيرة الحمار وشيخها سالم الوزان .

بني خيقان : قبيلة في أهوار منطقة الدلتا من سوق الشيوخ . شيخها اليوم هو حاجي تدويد المنشد شقيق المرحوم فرهود المنشد .

النواشي : قبيلة في الاهوار قرب سوق الشيوخ .

البو صالح : قبيلة قوية إلى شمال بحيرة الحمار قسم من أفرادها مزارعون وقسم من سكان الأهوار . والشيخ الأعلى في هذه القبيلة الزعيمة في بني مالك كان بدر الرميض ، اما اليوم فهو محسن الرميض . ويتفرع من هذه القبيلة آل سليمان وشيخهم الحد السرالله .

الشدود : قبيلة صغيرة في منطقة سوق الشيوخ على الضفة اليسرى من الفرات .

البوشامه : قبيلة في الاهوار شمال بحيرة الحمار .

وهنالك مجموعة قوية من قبائل الرعاة المهاجرين تشكل جزءاً من اتحاد المنتفق . وينتقل هؤلاء في الشتاء والربيع الى الكويت وحدود العراق الجنوبية مع المملكة العربية السعودية . والقبائل الرئيسية في هذه المجموعة هي الآتية : (سنشير إلى القبائل التي تدعي بانها من اصول شريفة بعلامة « × ») .

الشباره	. . . .	بني مالك
السوبان (×)	. . . .	أجود
البدور (×)	. . . .	أجود
الشليط (الغزي)	. . . .	أجود

الفضائل (×)	. . . .	بني مالك
الجيمان	. . . .	بني مالك
الجوابرن (×)	. . . .	بني مالك
الرفيعات (×)	. . . .	أجود
الشريفات	. . . .	أجود
الزياد	. . . .	من قبائل السراوه
الزوية (×)	. . . .	اصلها من شمر
الزهيريه	. . . .	من قبائل الزبير

وتقع جميع قبائل العراق تحت ثلاثة اسماء عامة هي :

١ — اهل الجزيرة : وهم القبائل التي تسكن المنطقة الواقعة بين دجلة والفرات من الموصل الى الخليج الفارسي .

٢ — اهل الشاميه : اسم عام يطلق على قبائل منطقة سوق الشيوخ التي تقطن على الضفة اليمنى من الفرات بين الناصرية وسوق الشيوخ .

٣ — الجزء : اسم عام يطلق على قبائل منطقة سوق الشيوخ التي تسكن على الضفة اليمنى من الفرات بين سوق الشيوخ وبحيرة الحمار .

وتجدر الاشارة هنا الى ان جميع نساء قبائل المنتفق سافرات ووجوههن وأذرعهن وأقدامهن مزينة بنماذج متعددة من الوشم .

عائلة السعدون

ان تاريخ اتحاد المنتفق جزء لا يتجزأ من تاريخ عائلة السعدون التي تدعي انها تنحدر من سلالة الرسول ولذلك فهم ينتسبون الى شرفاء مكة وقد هاجروا من الحجاز الى بلاد ما بين النهرين في أوائل القرن السادس عشر .

وفي ظل عائلة السعدون حافظ اتحاد المنتفق على استقلاله من الأتراك حتى سنة ١٨٦٣ عندما حاول والي بغداد ان يحطم قوة القبائل بأن اقتطع اراضي معينة من المنتفق وعين كبير آل السعدون قائمقاماً ذا صلاحيات محدودة لم تتعد

سوق الشيوخ .

وقد ثار الشيخ الأعلى في ذلك الوقت وهو منصور بك السعدون ضد هـــذه الإجراءات وحاول ان يثير انتفاضة عربية عامة ضد الأتراك ، مما اضطر الوالي ان يتخلى عن سياسته الجديدة . ويقول المقيم البريطاني في بغداد انـــه لو كانت للأتراك القدرة على تنفيذ سياستهم لكانت جميع قبائل المنتفق والتوم لانهم كانوا يقاسون كثيراً من الظلم على أيدي رؤسائهم .

وفي سنة ١٨٦٤ و ١٨٦٥ كان منصور بـك وشيخ آخر هو فهد السعدون لا يزالان في حالة ثورة مقنعة ضد الأتراك . وأخيراً لجأ منصور بك الى المنافق بينما اعطيت المشيخة لأخيه ناصر سنة ١٨٦٦ لأنه زايد على الشيخ فهد .

وقد نال الشيخ ناصر حظوة خاصة عند الأتراك ويبدو انه وقع تحت تأثير مدحت باشا الذي استدرجه سنة ١٨٧١ الى التخلي عن الموقف الذي اتخـــذه شقيقه مع الشيخ فهد ، والى القبول بامتداد النفوذ العثماني الى قبائل المنتفق .

وبتلك الخطوة يبدو ان الشيخ ناصر الذي أوجد الناصرية قد خان المنتفق الى الأتراك .

وحاول الأتراك إقامة موطئ ثابت لهم هناك فرشوا آل السعدون والتوم يقبلون التحول الجديـــد ، وان ينتقلوا من رؤساء يتقاسمون الجزية الى ملاك للأرض . وبذلك فقدت القبائل ملكيتها للأرض وأصبح أفرادها مزارعـــين بالقسم ، وقسمت أراضي الناصرية وسوق الشيوخ بين آل السعدون والبـــاب العالي .

وفي سنة ١٨٧٢ استخدم الأتراك الشيخ ناصر كوطن لهم بين جاماتــــه في الاحساء والقصيف المنطقتين اللتين كان الأتراك قد احتلاهما في ذلــك الوقت . وكمكافأة له على خدماته عين والياً على ولاية البصرة التي انشئت سنة ١٨٧٥ ومنح لقب باشا . وعندما توفي ناصر باشا بعد ان جمع بين حاكمية البصرة وبين . ثالثة المنتفق ، نقله الأتراك الى القسطنطينية سنة ١٨٧٧ .

وفي سنة ١٨٨١ وبينما كان ناصر باشا لا يزال في السجن ، قامت جميع قبائل

المنتفق بثورة ضد الاتراك. ويبدو ان أسباب تلك الثورة تعود الى تصادم القبائل مع الجنود الاتراك الذين تركزوا في معسكرات انشأوها في الناصرية ، والى محاولة الاتراك تنفيذ خططهم الجديدة وحمل رجال القبائل على دفع الضرائب لهم ولآل السعدون . ولم يتمكن الاتراك من اخماد تلك الثورة فاضطروا الى التخلي عن جمع الضرائب والى اعطاء مزيد من السلطات الى فالح باشا الابن الاكبر لناصر باشا الذي استأنف الى حد ما سياسة والده الموالية للعثمانيين .

وفي تلك الاثناء أصبح المنتفق موزع الولاء بين فالح باشا وسعدون باشا ابن الشيخ منصور . وكان ينظر الى سعدون بأنه مثل البادي والقبلية القديمة .

فالحدر فالح كثيرا يقطنون المنطقة ما بين دجلة والفرات ، بينما الجماعات القبلية الموالية لسعدون باشا كانت تقطن الضفة اليمنى من الفرات .

وعندما توفي فالح باشا في سنة ١٩٠٨ اصبح سعدون باشا سيداً على المنتفق كله . وبدأ سعدون بذلك عهداً من الطغيان والاستبداد في المنتفق فقتل عدداً من صغار الشيوخ وأخذ ينشر حالة من التهديد والوعيد والقسر، وفي سنة ١٩١١ ضجت منه جميع البلاد فتخلى الاتراك عن تأييدهم له في تموز من تلك السنة وأرسلوه تحت الاقامة الجبرية الى بغداد ، ونقل في الشهر التالي الى حلب حيث توفي فجأة في ٢٥ تشرين الثاني . وصدر تقرير رسمي يقول ان سعدون باشا توفي بداء الذبحة والذبحة القلبية ولكن الرأي السائد هو انه توفي مسموماً . وقيل ان عجيمي ابنه طريد العدالة خارجاً عن القانون في جوار الناصرية .

وفي الفترة بين سجن سعدون باشا ووفاته تزايد حقد قبائل المنتفق ، بين فيهم العدو عائلة فالح ، عليه ربما لانه لم يعد موظفاً في الدولة العثمانية وبسبب كره القبائل للأتراك .

فرجال القبائل لم يتدرجوا من ملاك للأرض الى مزارعين بالقسمة وكذلك لم يستطع آل السعدون ان يفرضوا الحقوق التي اكتسبوها من الدولة العثمانية .

ومع ضعف السلطة المركزية منذ بداية العهد الدستوري في تركيا سنة ١٩٠٨، والاضطراب العام في الادارة المحلية الذي ساد في اعقاب الحروب مع

ايطاليا والبلقان ، اثبت الوضع الزمني الذي بدله آل السعدون بمشيخاتهم القبلية القديمة انه عديم النفع . فقبل الاحتلال البريطاني للعراق سنة ١٩١٥ بعدة سنوات قنعت القبائل عن دفع ريع الارض . ومع ذلك قام الحاد المنتفق ضد الانكليز في تشرين الثاني سنة ١٩١٤ ، ويرجع ذلك الى ما تبقى من نفوذ آل السعدون ، والى قنابلهم شدة الى شعور الجهاد ، وكان الترغيب بغنائم الحرب او بمكافآت الاتراك .

ان شجرة عائلة آل السعدون تضم اكثر من مئة اسم ولكننا في الصفحة السابقة حصرناها بفرع واحد لاظهار فروع سعدون وفالح التي مجرد ذكرها مع بعض الاسماء الاخرى والتبعات التي سنذكرها في الروايات التالية .

عبد العزيز الراشد السعدون : لم يرد ذكره في الشجرة وهو رئيس عشيرة الراشد في سوق الشيوخ (متوفى) .

عبدالمحسن السعدون : لم يرد ذكره في الشجرة . تولى رئاسة الوزارة في العراق اربع مرات . انتحر أثناء ولايته الرابعة في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩ .

عبدالله بك الفالح باشا السعدون : الشيخ الاعلى لقبائل المنتفق التي تقطن بين دجلة والفرات . (متوفى) .

عجيمي بك السعدون : سابقاً رئيس قبائل المنتفق التي تقطن الضفة اليمنى من الفرات . وهو يعيش حالياً في تركيا .

عجيل بك السعدون : لم يرد ذكره في الشجرة . وهو زعيم مرموق ، ويعيش عائلته في الناصرية .

بندر السعدون : والد علي ابن بندر السعدون ومحمد ابن بندر السعدون . (متوفى) .

فضاري بك الفهد السعدون : لم يرد ذكره في الشجرة . عضو بارز في فرع آل محمد من العائلة . كان سابقاً يسكن في الناصرية وهو الآن متوفى .

فهد بك السليمان السعدون : كان يقيم على الضفة اليمنى من الفرات . (متوفى) .

فالح باشا السعدون : سابقاً رئيس جميع القبائل القاطنة بين دجلة والفرات .



عائلة السعدون
ثامر (ينحدر مباشرة من الشيخ شبيب من شرفاء مكة الذي سيطر على قبائل الفرات الأسفل وأعطاها اسم المنتفق)
ناصر باشا
مزعل باشا
فالح باشا
عبدالله
يوسف بك
عبد الكريم
عبد الرزاق
عبد العزيز
عجمي بك
ثامر بك
عبد القادر

والد عبدالله بك الفالح باشا السعدون الذي تولى الزعامة بعد وفاة والده .

حزام بك المشاري السعدون : لم يرد ذكره في الشجرة . عضو بارز في العائلة كان يقيم بالقرب من الناصرية وهو الآن متوفى .

ابراهيم بك ابن مزعل باشا السعدون : عضو بارز في العائلة ويقيم حالياً في البصرة .

مزعل باشا السعدون : والد ابراهيم بك ابن مزعل باشا السعدون . وهو الآن متوفى .

احمد ابن بندر السعدون : ابن بندر السعدون .

ثامر باشا السعدون : آخر والي من آل السعدون على البصرة (متوفى) .

سعود بك السعدون : الأخ الاصغر لعجيمي بك وثامر بك .

ثامر بك السعدون : يقيم حالياً في سوق الشيوخ .

يوسف بك عبدالله المنصور السعدون : ابن عم عجيمي بيك وثامر بيك وسعود بك .

أنا أدير سوق الشيوخ

عند اندلاع الحرب العالمية الاولى مع المانيا ، أرسلت كتيبتي الى فرنسا . وبما أنني كنت أجيد اللغة العربية التي تعلمتها منذ الصغر ، فقد ارسلت الى الهند ومنها الى العراق في تشرين الثاني سنة ١٩١٤ حيث اشتركت في كل العمليات التي أدت الى احتلال البصرة والقرنة والشاسرية بما في ذلك معركة شعيبة قرب الزبير .

وبعد ان احتل الجنرال غورينج الناصرية في تموز سنة ١٩١٥ ، أرسلت كضابط استخبارات الى سوق الشيوخ المدينة العربية الصغيرة على الفرات في وسط قبائل المنتفق . ولم تكن القوانين تسري هناك حتى في أيام الاتراك قبل سنة ١٩١٤ . فقبائل المنتفق عنيدة شرسة ، وكانت في حالة من الفوضى بحيث اضطرني ذلك الى حث الدائرة السياسية التي يرئسها السير بيرسي كوكس الذي كان ينظم الادارة المدنية في جنوب العراق ، على ارسال ضابط لادارة المنطقة .

وكم كانت دهشتي عندمـــا تلقيت برقية عينني فيها السير بيرسي مساعد ضابط سياسي بالاضافة الى واجباتي الاخرى في سوق الشيوخ .

ومع انني سررت بهذا المنصب لكنني رأيت أمامي كثيرة من المتاعب لان قبيلتي بني حيكان وبجيرة الكبيرتين اللتين تقطن الاولى منهما على الضفة اليسرى من المجرى الرئيسي للفرات والثانيـة قبالتها على الضفة اليمنى ، كانتـــا على وشك الدخول في حرب . وكانتا قد اختلفتا بشكل خطر في الدلتا بين سوق الشيوخ وبحيرة الحمار ، فكان أفراد القبيلة الواحدة يقتنصون افراد الاخرى وبالعكس كلما عبر هؤلاء النهر ذهاباً أو إياباً لقضاء اشغالهم العادية .

ومما زاد الامور صعوبة عدم وجود شبانه (أي شرطة النهر) ولا سواري (أي شرطة خيالة) ولا جنود بريطانيون او هنود .

وهكذا كنت انا الانكليزي الوحيد في ذلـك المكان اعيش وحدي بكل ابعادي بينما كان الجيش الانكليزي يصارع قيش طريقـــه على دجلة . وكان كل يوم يمر يجلب معه مفاجآت مثيرة حتى لم يعد يعرف المرء ماذا سيحدث في الليل او في الصباح التالي . وبقيت انا على قيـــد الحياة بفضل الحجي حسن حمداني وحسن نيته . وكان الحجي حسن ، رجل المدينة القوي ، يحتفظ بقوة مسلحة قوامها ٢٠٠ رجل اشداء وقلـــك لفرض ارادته وفرض هيبة الامن والقانون . ولكنه خارج حدود المدينة لم يكن له أي نفوذ على الاطلاق .

وفي الوقت الذي كنت فيه ضابط استخبارات (فقط حيث) في ظل الحجي حسن واقيم في منزله ، كنت مكتئباً (تماماً) . ولكنني كنت اضحك في نفسي عندما بدأت افكر بأن العرب حقق في انشاء قوة شرطة برية ونهرية ، وايجاد شرطة المدينة ، واقامة ادارة ، ما يعني ، أولاً وقبل كل شيء ، جباية بعض الضرائب من القبائل التي لم تـدفع فلساً واحداً للاتراك طوال السنوات العشرين التي سبقت قدومي .

كنت اعلم ان عقبات كثيرة ستعترضني ، وان امامي صراعاً ليس أقله تحطيم سلطة الحجي حسن في المدينة ، وفرض هيبة القانون والامن بين بني خيكان

وكبيرة .

وانتقلت الى منزل عربي صغير بواجهة النهر وقد كانت مساحة عرضها ٤٠٠ يارده . وكانت في وسط المنزل باحة وأربع غرف في الطابق الارضي استخدمت ثلاثاً منها كمكاتب والرابعة كمطبخ . اما الغرفتان في الطابق العلوي ، فكانت واحدة للنوم والاخرى للجلوس .

والمدخل الوحيد لهذا المنزل بوابة حديدية صغيرة محكمة الصنع يصعب خلعها، ولم تكن فيه اي فتحات خارجية وكل نوافذه تطل على الساحة الداخلية. وكان السطح الذي يصل الغرفتين العلويتين محاطاً بجدار (ستاير) سماكته ٩ بوصات وارتفاعه أربع اقدام وست بوصات . لقد كان بيتاً مثالياً للدفاع في حالة تعرضه لهجوم غير مباشر الى بعضه وفيه فتحات على ثلاث جهات .

واستلمت الحجي حسن الى جانبي وعرضت عليه ان يتولى امور رجاله وادفع مرتباتهم ، وعينت شقيقه الأصغر كاظم حمدالي مساعداً لي، وابنه الاكبر سالم جابياً للضرائب في المدينة . اما الحجي حسن نفسه فقد منحته منصباً غير رسمي وهو مستشار مساعد الضابط السياسي . وقد منحت هذا اللقب الفخري ايضاً الحجي عباس الشيخ ، والحجي علي الاوس ، والحجي ابراهيم شماري وهم من زعماء المدينة ويمثل كل واحد منهم ربعهما . وقد زاد إعجابي وثقتي بمستشاري الاربعة فكنت اقضي معهم ساعات طويلة اتحدث معهم انسا في حوانيتهم أو في منازلهم ، أو أدعوهم كل يومين تقريباً لتناول القهوة والمرطبات في منزلي عند الصباح

وكانت الأربعة احقاد وثارات على بعضهم البعض ولكنهم لم يجرؤوا على اظهارها أمامي . وكانوا يتناولون العمل معي لا شدي ، ويحرص كل واحد منهم ألا يصبح أي من الآخرين اكثر نفوذاً لدي . وكنا نعمل معاً ، كفرقة ، بصورة رائعة مما أتاح لادارة سوق الشيوخ ان تنجح بفضل مستشاري الأربعة وتزايد الحسنة وتعاونهم .

وعندما سيطرت على المدينة وضبطتها اتجهت نحو القبائل المحيطة ، فبدأت

بإنشاء قوة شبانة قوامها ٢٠٠ رجل نصفهم من بني خيقان والنصف الآخر من الجزيرة . وأعطيت هؤلاء الشرطة بنادق تركية وألبستهم زياً واحداً لباداً وأسست لهم مراكز يبعد الواحد عن الآخر ثلاثة أميال على طول النهر الى بحيرة الحمار شرقاً ، وغرباً الى مضيف الشيخ فشوش ابن مهاويه ويرجعه الحربي الذي يشكل نصف الطريق الى الناصرية ، حيث كانت تلتقي حدود ملاستي الصغيرة .

وكقوة ضاربة كنت احتفظ بقية شبانة طول مدة ممكنة في المقر الرئيسي ، وللقيام بدوريات في الصحراء لإجلاء حبيب وربما بمنعها ، أعطيت الأمر بك السعدون الذي كان يعيش في ام البطوش ، سلطات مدير والأموال الضرورية للاستخدام خلائق من السوامري وشراء الخيول لهم . وقد زودت هؤلاء ببنادق مارتيني – جيدة ولكن مضى زمنها – وكان رجال الصحراء يحبون هذه البندقية ويسمي الواحد منهم بندقيته « أم موزر » او « دهدسان » وقد انتقل هذا الاسم الأخير إلي لأن ديكسون ودكسان متشابهان في اللفظ تقريباً .

وبعد ان عينت مديرين على قرمة بني سعيد والجبايش وسكيكة وشمال بحيرة الحمار ، أصبحت إدارتي جاهزة لجباية الضرائب . وقد أشار علي مستشاري الى ان أسير بالعطية ببطء ، فأفرض أولاً ضريبة على أشجار النخيل (روبيسة على كل شجرة) ولكن ليس على الأرز والقمح والشعير . وأشاروا أيضاً ان أهتم في الوقت الحاضر بجباية الكودة وهي ضريبة على الماشية أدخلها الأتراك . وقالوا لي فيما ان الأتراك لم يتركوا أية سجلات عن الاملاك ، فإذا كنت ارغب في العدد الصحيح ، فعلي ان اقوم بعملية عد للأشجار في كل مكان الأمر الذي تلازمه المشاكل .

ونصحوني بدلاً من ذلك ان افرض ضريبة اسمية في السنة الاولى واضاعفها في السنة الثانية ثم اضاعفها في السنة الثالثة ، فإذا ما اعترض اصحاب البساتين وشكوا الذين افرض عليهم عد الأشجار شخصياً وأحدد الضريبة . وعلمت ان عدد الأشجار المقرومة منذ ان تقاضى الأتراك آخر ضريبة أي قبل عشرين

سنة كان كبيراً بشكل ان أحداً لن يطلب عد أشجاره قبل مضي خمس سنوات من عملية المقاطعة .

وقبلت الاقتراح لأنني لم أحتمل ارغب في غرفة رئيسي الذي كان يدوم بجمع شد الأوراق على دجلة ، عن طريق إثارة ثورة او أي مساعدات في منطقة سوق الشيوخ .

ان جباية ضرائب النخيل من رجال القبائل الذين ليست لهم حقوق شرعية كثيرة في ملكيتهم ، كانت أمراً مضحكاً . فكان على المرء ان يلجأ الى الخداع والمزاح والتهديدات الى مقابلات غداء عامرة وأحياناً الضرب بيد من حديد في اسلام وجهه قبل أن يأتي مستفاؤه لنصرته .

وأول ما اعترض القياس ، قبيلة آل شدود من جهة بني خيقان على الفرات على بعد اثني عشر ميلاً الى الغرب من السوق . وكان شيخ القبيلة وقتذاك الحجي فيصل الشدود وهو رجل شاربه ست الاستعمال والاربعين سنة وله خمسة أخوة بطوله ريحانه . وابلغته بتي أن انه لاحدد مقدار الضريبة المطلوبة منه تلك السنة ، قرر علي بأن دعاني الى حفلة غداء عامرة تحت اشجار النخيل . وقلت له قبل تناول الطعام انني سأقدر أشجاره بصورة عفوية بستة عشر الفاً ولكنه اذا رغب عددت الاشجار بالضبط . وأرغى الحجي فيصل وأزبد وأقسم بأنني أقرض عنا كبيراً عليه وعلى قبيلته . وتشبثت الا يوقفني فيما سبدأت الامور تأخذ طابع التحدي لان كل رجال القبيلة مسلحون ويحيطون بنا .

وبعد ساعتين من الجدال تنازلت عن ست ألف شجرة وجلسنا على الغداء راضين عن التقاضي بضريبة عن خمسة عشر ألف شجرة . ولم تكن حفلة الغداء بهيجة تماماً لان كل واحد منهم كان يأكل والبندقية في يده . وكان وجودي هناك مصدر ارتياح شديد ، وكانت شرارة واحدة كافية لأن تلهب المكان .

وكان الشخص الثالث الذي الى يساري الحجي عند الشدود يضع بندقيته على ركبته وفوهتها كانت ست بوصات فقط عن صدري . وطلبت منه ان ارى البندقية فوجدتها محشوة وقد دفعها أربع طلقات اضافية في خزنتها . وبكل هدوء

انتزعت الطلقات منها ؛ فبدت على وجه الحجي فيصل بوادر عدم الارتياح . وعندئذ قلت له اني لا استطيع ان اتبع بالفداء وبندقية المضيف تكاد تخترق شاربي . و'حاطني مضيفي بكرمه وترحيبه فافترقنا بدون خصام مع اعتقادي بأنني نجوت صدفة .

ويجدر الاشارة هنا الى انني في السنة التاليـة تقاضيت من الحجي فيصل ضريبة على ٣٠ الف شجرة وبدون تذمر من أحـد . وفي السنة الثالثة ضاعفت الضريبة الى ٦٠ الفاً . وعندما وصلت الضريبة الى ١٢٠ الفاً طلب الحجي فيصل في السنة الرابعة ان يجري عد الاشجار . وقد قمت انا بنفسي بعد الاشجار فكان عددها أكثر بقليل من ٢٤٧ الف شجرة . ومما لا شك فيه ان الشيخ خشي ان تتضاعف الضريبة ثانية في السنة التالية فجاء يطالب العد .

ولم احمل حقداً أو كراهية ضد الحجي فيصل او الحجي حمد اطلاقاً . بل ان آل شدود اصبحوا من افضل دافعي الضرائب . وبعد مضي ٢٥ عاماً عندما كنت مقيماً سياسياً في الكويت شرفني الحج محاسن الأخ الثاني لحجي فيصل بزيارة سررت بها كثيراً .

محمد العايل بييض وجهي

كان الحجي مري شيخاً مساعـداً مع الحجي دوفي في قبيلة المساشرة . وافراد هـذه القبيلة قوم اشرار تتصل اراضيهم مباشرة باراضي آل شدود . وكانت هذه القبيلة تحتل حوالي ثمانية اميال من واجهة النهر مع حزام من اشجار النخيل الممتازة بحدود مجرى النهر ، ومنطقة ممتازة لزراعة القمح والشعير .

وكان الحجي مري يملك عدة مئات من الفدادين الصالحة لزراعة الرز وراء اماكن زراعة القمح . وتقع قريته الرئيسية على بعد ميلين عن المجرى الرئيسي للنهر . هي محاطة بخمسة مقاتيل اي ابراج حربية ذات ارتفاع لا بأس بـه . وكان الحجي دوفي يكره الحجي مري ويأمل ان يأتي يوم يعترف به وحـده شيخاً اعلى ورئيساً في قبيلة المساشرة .

وكان الحجي مري رجلاً قصير القامة صغير الحجم سيء الطباع وذو عينين حادتين وابتسامة لئيمة .

وفي تلك الفترة كان السفر في النهر ليلاً غير مأمون العواقب وخاصة في الاميال الثمانية التي يحتلها المساشرة باتجاه التحدرية . ولم اكن انا قد سيطرت السيطرة التي كنت اهدف اليها، فكان المساشرة يفرضون رسوماً على كل زورق يمر في النهر تجارة ، ويطلقون النار ويصادرون كل زورق يحتال متملصاً من النهر ليلاً. ولم انشيء مركزاً للشبانة في منطقة المساشرة خوفاً من وقوع حادث، فانتظرت الوقت المناسب .

وجاء ذلك الوقت بأسرع مما توقعت . فقد تلقيت من السير ارنولد ويلسون الذي كان ينوب عن السير بيرسي كوكس في البصرة لانشغال الأخير بقيادة الحملة العسكرية على نهر دجلة ، قارباً بخارياً جديداً وقوياً . وقد اعطاني ذلك قدرة أكبر على الحركة ومكنني من ان اشهر بنفسي في اقصى الاماكن النائية من ذلك سوق الشيوخ . وقد قوى ذلك مركزي كثيراً لأنه قيس فصدق على القبائل من المثل القائل « عقلهم في عيونهم » فصبحوا الآن يرون الضابط السياسي في كل لحظة بينما كانوا يقولون من قبل انه خائف أو لا يستطيع التجول بينهم .

وذات مساء ، عند الغروب ، اتت امرأة من مدينة بكابلي ومعها ابنتها وهي فتاة جميلة هجرها زوجها . وقالت المرأة انها ارملة نجار يهودي وان ابنها ولد في الثانية والعشرين من عمره وابنتها التي تصحبها عمرها عشرين عاماً . وكان زوجها قد اقترض مبلغاً من المال للحجي مري الذي امتنع عن دفعه عند الاستحقاق ، فشكا الرجل أمره للحجي حسن حمداني . ولما قدم الحجي مري الشراء بعض الحاجيات من السوق قبض عليه الحجي حسن وسجنه في مكان قذر الى ان دفع الدين المستحق . ولما مات زوجها استأنف ابنهما عمل أبيه طوال السنوات الثلاث السابقة ولكن على نطاق ضيق .

وقبل زيارتي بعشرة أيام ، كان ابنها متوجهاً الى الناصرية بالبلم (زورق نهري) فهاجمه رجال قبيلة المساشرة واختطفوه . وظنت المرأة اسوأ الاحتمالات

فارسلت من يبحث عن ابنها ويلتقط أخباره ، فعاد هؤلاء ليقولوا لها ان ابنها سجين في قرية الحبجي مري وان عينيه قد سملتا . واخبروها كذلك ان الحبجي مري حلق له الشعر في رقبته جنباً الى جنب مع حماره وقطع عليه الأرض لمدة خمسة ايام متتالية . وقد أثرت هذه القصة في نفسي وشعرت بالقرف .

وبعد ان أخذت عهداً من للامرأة وابنتها ان لا تلبثا بجنة ثقة تمام أحد عن زيارتها لي ، شجعتها آملاً ان افعل شيئاً من اجلها . لم استطع ان اقول لها ما هو الشيء الذي كنت سأفعله لانني نفسي لم أكن أعلم . وبعد ساعة فقط قررت ان اخرج في حملة . فابلغت محمد المايل رئيس الشبانه ان يلتقي ٢٠ من اشد رجاله ويقوموا باستعراض في تمام الساعة الحادية عشر ليلاً . وكان محمد شجاعاً مرحاً .

وفي تمام الساعة الثانية عشرة ليلاً ركبنا جميعاً زورق البخاري وتوجهنا الى أرض المسائيرة . وكان الظلام حالكاً والهدوء مخيماً . ووصلنا الى مكان في مواجهة قرية الحبجي مري حوالي الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل . وخفضت سرعة الزورق الى الربع حتى لا يحدث صوتاً قوياً ومررت به الى الشاطيء في مكان تكثر فيه الاشجار وكان مخبأ طبيعي .

وبعدئذ استدعيت محمد وشرحت له خطتي وهي ان يبقى خمسة رجال في الزورق للحراسة وان أزحف انا مع الخمسة عشر رجلاً الآخرين الى جوار قرية الحبجي مري . وبعد ذلك تقدم محمد مع ثلاثة رجال مختارين الى الامام ويتسللون على طريقة جنود الغر الى منزل الحبجي مري حيث قالت الامرأة ان ابنها محتجز في الدين ، فيفكوا قيوده بهدوء وينقذوه وفي حالة النجاح يطلق أحدهم صرخة واحدة شبيهة بصوت البوم . واذا تم ذلك يأتون الي باقصى سرعة ممكنة وبعد ثلاثة اصوات متتالية كأصوات البوم نعود جميعاً الى الزورق بإذن الله .

وكان نجاح الخطة طبعاً يعتمد على الصمت المطبق والتسلل الحذر . ولكن بما ان رجالي كانوا منتقين من سكان الاهوار ولهم موهبة خاصة في التسلق كالاشباح ، فقد كنت واثقاً من النجاح .

وكانت أول عقبة هي اعتراض محمد على ذهابي معهم بحجة أني لا أستطيع السير مثلهم وقد يفتضح ذلك الخطة كلها قبل أن نبتعد مسافة نصف ميل من زورق .

وهمس محمد في أذني قائلا : يا صاحب ، انت لا تستطيع ان تتحرك بهدوء صمت مثلنا ، ولا تستطيع ان تسمع مثلنا أصوات ثلاث غريبة التي تحمي رية الحجي مري ، ولا تقدر ان تتحرك كالقط وتمشي على رجليك ويديك ترفع إحدى رجليك لتبدو كأنها شيء ، مثلما اعتدنا أن نفعل نحن عند ضرورة . فابق أنت في الزورق مع خمسة عشر رجلاً وأذهب أنا مع خمسة رجال أنتقيهم . دع الأمور لي وسأبيض وجهك .

ووافقت بحكم الضرورة ولكن رغم إرادتي . وخلع محمد ورجاله الخمسة الذين يشبهون الثعابين جميع ملابسهم ، وربطوا في خصورهم خناجرهم الطويلة المقوسة التي يستخدمها رجال الأهوار ، وتركوا بنادقهم وقنابلهم في الزورق . وقال محمد انهم إذا لم يعودوا قبل الساعة الثالثة والنصف فمعنى ذلك انهم قتلوا أو أسروا وما علينا نحن إلا أن نعود إلى سوق الشيوخ . وكانت من التفاتة سريعة الى محمد على ضوء مصباحي الكهربائي مكنتني من رؤية أسنانه وجهه يطفح بشراً وسعادة وعلى فمه ابتسامة عريضة لانتظار الدخول في مغامرة مثيرة . وبلحظة اختفى الرجال الستة في الليل بصمت وهدوء .

وكان الانتظار مشوباً بالقلق . وأمرت جميع الرجال بالبقاء في الزورق بمقتضاه الذي ولا نجد بعد ... بجزء بين الأشجار لنراقب ما إذا كان هنالك أحد يتربص بنا . وفي الساعة الثالثة والربع سمعنا نباح كلاب بعيدة في القرية . واستمر النباح مدة خمس دقائق ساد بعدها الهدوء الى أن سمعنا طلقاً ناريا تبعته ٢٠ أو ٣٠ طلقة أخرى متتالية وصراخ من مكان بعيد . وكان من المستحيل أن نعرف ما إذا كان ذلك تحذيراً أو ان رجالنا افتضح أمرهم وحوصروا . وبدا التوتر على وجوه رجالي في الزورق ولكنهم كانوا يكبتون قلقهم احتذوا بنادقهم بصمت استعداداً لأي طارئ .

وأتت الساعة الثالثة ونصف ولم يظهر محمد ولم تعد تسمع أية أصوات من جهة القرية . وفي الساعة الرابعة إلا الربع بدأت تساورني المخاوف . ووسط هذا التوتر المشوب باليأس قررت الانتظار مدة قصيرة . (وكنت شمعت مطبقة ومرهقة) إذ لم يكن المرء يسمع إلا صوت أنفاسه . وفي الرابعة إلا عشر دقائق أصدرت أوامري بالتحرك ، وفي تلك اللحظة سمعت أصوات مرتفعة ثلاث مرات متتابعة من مكان قريب وبعد لحظة أطل من الظلام خيال محمد ، وتبعه رجاله الذين كانوا يحملون حزمتين ألقوهما على الشاطئ قرب الزورق .

واقترب مني محمد وهمس في أذني قائلاً : لقد جلبت لك الحق الأعمى .. والطبجي مري أيضاً !

وكان الرجلان مخدرين ومكممين حتى لا يحدثا أي صوت ولكي يسهل حملها. ولم يستغرق نقل الرجال الى الزورق ، والاقلاع من المرسى تحت الأشجار وقتاً طويلاً . وسرنا باتجاه المدينة أولاً ببطء وبعد أن قطعنا أرض المستنقعات سرنا بأقصى سرعة ممكنة .

ووصلنا الى المدينة مع الفجر وقبل ان يخرج شخص من منازلهم . وأودع الطبجي مري سجنه القديم وبعد ساعة سلمت الحق الأعمى الى امه وأخته .

وأنكر الطبجي مري علمه بما حل بحق الحق مدعياً ان اعداء آخرين دبروا ذلك . وأمرت ان يظل الطبجي مري في السجن الى ان يدفع الفصل (دية الدم) وقدره ثمانية روبية حسب تقدير القبيلة في المنتفق ، وأضفت إليها أربعمئة روبية أخرى لأنه نصب نفسه قاضياً يحكم من دونه .

وظل الطبجي مري في السجن خمسة عشر يوماً الى أن جاءني وفد من نسوة العشيرة على رأسه زوجة الطبجي مري . فأخذ النسوة يبكين ويلتمسن معللات بأن الطبجي لا يملك المال الكافي ليدفع الفصل ، وانني لم أفعل حسناً بأن تدخلت في العادات القبلية وقوانينها ، وعليه يتوجب إطلاق سراح الطبجي مري . وعندما وجدت زوجة الطبجي انني لم ألن سلمت بالأمر الواقع ، وفكت منديلاً قديماً يحتوي على مجوهراتها وهي عبارة عن حدائد العنق من الذهب

وقصدف ، وعقد من النقود الذهبية ، وخاتمين ذهبيين جميلين مثلثي الشكل في وسط كل منهما فص . واعطتني إياها قائلة انها تكفيني لدفع الغرامة التي فرضتها ، وانها ستدفع مال الفصل بعد ان اطلق سراح زوجها . وسألتني ببداهة : كيف يستطيع الحجي مري ان يجمع المبلغ من رجاله وهو في السجن ؟ وشرح لها بطول بال ان قصدي ان يدفع الحجي مري المال لا رجال القبيلة . وعادت هي تشرح لي انني لا أفهم عادات القبائل وانه ما لم افرج عن زوجها فإن شيئاً لن يحدث . وساومتها بأن احتفظ بزوجها حتى أن يدفع الحجي بدفع المبلغ الأخير في قبيلة العاشرة ذلك المطلوب .

وهكذا انتهت مغامرتي المتعثرة مع الحجي مري . أما بالنسبة للزوجة الشابة الأولى فقد أفسدت الأمور بعض الشيء عندما جاءت لزيارتي بصورة مفاجئة بعد حلول الظلام وقالت ان ابنتها تريد ان تعبر عن عرفانها بالجميل الحري بالطريقة الوحيدة التي تقدر عليها وهي ان تقضي الليل معي حيث اريد . ولم تقتنع السيدة عندما قلت لها استغفر الله وأضافت قائلة : كان الأتراك يفعلون ذلك دائماً قبل ان تأتوا أنتم الانكليز وعلى كل فليس من الضروري ان يعرف أحد .

وحدث بعد ست سنوات عندما كنت ضابطاً سياسياً في الفرات الأوسط ومقري مدينة الحلة ، ان قامت زوجة الحجي مري بزيارتي وهي في طريقها الى الحج في كربلاء . وكانت قد تغيرت قليلاً فذكرتني بأنها أعطتني جوهراتها في يوم من الأيام ورجتني ان أردها إليها . وقالت ان الحجي مري قد توفي قبل سنتين دون ان يشتري لها بديلاً لجوهراتها . ولم استطع إجابة طلبها لأن الجوهرات بيعت منذ وقت بعيد وأدخل ثمنها الى خزينة سوق الشيوخ . ولكنني شعرت بأنني يجب ان أفعل الشيء المناسب لأظهر أن دمصنان لا يفتقر الى روح الشهامة ، فدفعت لها من جيبي اربعمائة روبية وهي قيمة الغرامة الأساسية . فذهبت تغمرها السعادة .

مستشار حكيم

وكانت إحدى الصعوبات الأساسية التي واجهتني في سوق الشيوخ ، حسل النزاعات القبليـــة . واكتشفت ان شهادة الزور هي القاعدة وان الكذب هو الخبز اليومي لأهل المنتفق . وفي أحد الأيام عندمـــا يئست من حل نزاع صعب طلبت نصيحة كاظم حمدان فأجاب :

لماذا لا ترسل المتنازعين الى النجف الأشرف حيث يشرب السيد كاظم اليزدي يستحلف الطرفين بالعباس في مسجد علي ؟ انه أمر معروف بين هؤلاء ان الذي يحلف بالعباس كذباً في مسجد علي الكبير في النجف، فان قوة إلهية تقطع رأسه ويظل معلقاً في القبة الكبرى . ان رأس آخر رجل حلف كذباً لا يزال معلقاً هناك بسلسلة وقد جف وتقلص حتى يراه الآخرون فيرتدعوا .

وكانت هذه مشورة حسنة . فقـــد أرسلت أهم الشهود في القضية ، تحت الحفظ ، مع رسالة رقيقة مهذبة الى السيد كاظم طالباً مساعدته . وخلال عشرة أيام تلقيت رسالة تقدير من السيد كاظم يخبرني فيها أن القضية قـــد حلت بأمانة وبروح من طريقة الحل والتفصيل وتحدد أصحاب الحق .

ومنذ ذلك اليوم والأمور تسير معي على مـــا يرام . وراد عدد القضايا التي كنت أحيلها على السيد كاظم وبذلك أصبح عملي أسهل من السابق بكثير . لأن رجال القبائل أصبحوا يعلمون انني على استعداد لإحالة أية قضية صعبة تواجهني الى النجف فوراً ، ولذلك أخذوا يتصرفون بحذر خاصة وان الذي يحلف اليمين كاظم اليزدي يظل ادعائه يتحمل جميع مصاريف السفر الى النجف وهي رحلة يبلغ مداها ٢٥٠ ميلا بواسطة الزوارق او على ظهور الخيل .

وقد أصبح السيد كاظم اليزدي المجتهد الأكبر للشيعة ، لا يعم ذلك الشيعة في العراق وإيران ، في سنة ١٩١٠ . وهو رجل له مكانته الطليع وواسع المعرفة بشؤون الدنيا . وكان معجباً بالبريطانيين وخاصة السير بيرسي كوكس . وقد رفض ، وهو الرجل المتفوق بين جميع الزعماء الدينيين في العراق وإيران ، خلال الحرب العالمية الأولى كل المحاولات والمساعي التي بذلها الأتراك وعلى وأسهم انور

ربما لحد من تحويل الصراع الى جهــاد او حرب مقدسة ضد الملفاء فيما يتعلق بالطوائف الشيعية التي يمتد نفوذه إليها . ووجــد الجيش البريطاني في العراق ان السكان ليسوا معادين له بل على العكس فقد كان أربعة أخماسهم من المؤيدين ، كل ذلك بفضل مبادرة السيد كاظم اليزدي في مواجهة الوضع .

المضيف

ولكي يتمكن من استقبال الضيوف والزائرين ، حصلت على ترخيص رسمي ببنــاء مضيف أو دار للاستراحة . وقد كلف البنـاء المتخير نحو وتسوية روبية ويبلغ طوله ٧٠ قدماً وعرضه ١٤ قدماً وارتفاعه أيضاً ١٨ قدماً . وقـد بناه رجال من أهـــل الاهوار من قبيلة بني أسد اثر من شوبيش وهي مقاطعـة متوسطة في المستنقعات الكبيرة المحيطة بسوق الشيوخ .

وقد استخدمت ٦٠٠ حصيرة من أوراق البردي التي تكثر في بحيرة الحمار لبناء سقف المضيف وجدرانه فقط . ووضعت هــذه الحصر فوق هيكل من أقواس كبيرة صنعت من حزمات من أوراق البردي ربطت ببعضها البعض بشدة واتصلت عند الرأس . أما ساسات المضيف فقد حفرت في الأرض ويبلغ طول قطرها قدمين ونصف ، ويبلغ ارتفاع الباب الضيق خمسة اقدام ، وهو في مواجهة النهر .

ولأن الضيوف كانوا سيجلسون على الأرض ، فان الشهرية كان ينبغي ان تكون على مستوى منخفض ، ولذلك فقد تركت فجوات بيـن الأقواس على ارتفاع قدمين . وفي الايام التي يشتد فيها الحر كانت تنزع الحصر عـن جوانب المضيف ويترك مفتوحاً من جميع الجهات ، وفي الايام الأخرى كانت الحصر توضع مكانها من الخارج بانشاء فتحة أو فتحتين من الناحية الشرقية حيث كان يجلس الزائرون ويشربون القهوة . وكانت تغطي ارض تلك الجهة سجاجيد زاهيــة الالوان . اما الوجاق الذي كانت تصنع عليه القهوة فقد وضع في الجهة الأخرى بالقرب من المدخل . وكان الخدام والحراس يجلسون حول الوجاق بينما كان

الزائرون الأكثر أهمية يسيرون إلى داخل الشيف ويجلسون في الجهة المخصصة للاستقبال .

ونظراً لموقع المضيف على شاطىء النهر وتحت ظلال عدد من أشجار النخيل ، فقد كان أبرد مكان يمكن المرء أن يتقي فيه حرارة أيام الصيف الشديدة . ويستدعي انتباه الداخل إلى الشيف بالإضافة إلى كبر حجمه الضوء الخافت الذي يسوده ، وهو بذلك أشبه بكاتدرائية .

في ذلك المكان كنت أقوم بأعمالي وأدعو شيوخ العرب إلى حفلات غداء أو عشاء . وهناك كنت أدعو شيوخ القبائل ووجهاء المدينة إلى عشاء الأسبوعي . وهناك أيضاً كنت أتشاور مع مستشاري الحاج حسن حمدالي ، والحاج عباس فسيت ، والحاج علي الدبوس ، والحاج إبراهيم التماري .

وليمة عامرة

وقبل حلول عيد ميلاد الملك بعشرة أيام قررت الاحتفال بهذه المناسبة بإقامة مأدبة غداء فخمة في الشيف على الطريقة العربية . فأرسلت دعوات إلى رؤ شيوخ عائلة السعدون الذين كان يرئسهم عامر بك السعدون ، وإلى جميع شيوخ الخزعة وبني حيدان وعددهم ٧٠ ، وإلى الشخصيات البارزة في سوق الشيوخ بالإضافة إلى مستشاري . وكانت وليمة عامرة : ٣٠ خروفاً مشوياً وضعت ووضع كل منها فوق كومة من الأرز على طبق . وحول هذه الأطباق صف مئة صحن وصحن فيها مرق لحم ، ودجاج ، وسمك مقلي ، ومرق ، وكباب ، ولبن ، ومهلبية ، وقطع من البطيخ ، وطبق كبير عليه خبز عربي مرقوق بدونه لا تكتمل أية وليمة عربية ، وفطور اللبن .

وقد أعددت أيضاً كل شيء لصنع القهوة والفنجان ؛ شراب الموز الذي يحبونه . واستعرت عدداً من الجرار والأوعية لكي يتمكن ضيوفي من غسل أيديهم . ووضعت الفرش الشارعية مزينة من الواح الصابون وعدداً هائلاً من المناشف .

ويرجع التفصيل في شراء الحاجيات والمأكولات وإعداد الطبخ لكاظم حداي .
وقد لمت الاستمارة عدد من البسط يكفي لتغطية أرض المضيف كلها ، وعدد كاف من المساند ليتكئ عليها الضيوف .

وقد قبل الجميع دعوتي ما عدا واحداً وهو الحاجي مزبان حمد أبو درمة شيوخ في قبيلة الحكام أما الثلاثة الآخرون فهم : قاصد الناجي وفرهود الفندي والحاجي نصير المانع . وهذا الأخير لا يمت بأية صلة إلى آل المانع رئيس الشيبة .

وبعث إلي الحاجي مزبان برسالة اعتذار يقول فيها إنه لا يستطيع القدوم لأن طريقه يمر في أرض أعدائه . ويقول إنه مستعد لحضور هذا الحفلة الحكومية حفظ رفعت ويقصد بذلك الحماية والتكريم .

ولهذا الغرض أرسلت لحاجي مزبان وثيقة موقعة مني ومهورة بالختم الرسمي تقول إن الشيخ مزبان قادم بمهمة رسمية ضيفاً على الحكومة ، ولذلك فإن أي تعرض له في الطريق يعتبر إهانة للحكومة البريطانية . وقالت الوثيقة أيضاً إن قدوم الشيخ مزبان يتعلق بدعوة لمناسبة عيد ميلاد الملك وعليه فإن الحكومة ترغب أن يتناسى الجميع بهذه المناسبة نزاعاتهم وخصوماتهم لمدة ثلاثة أيام .

وجاء شيوخ المدعوون ومنهم من جاء بقواربهم ومنهم على الأقدام وبعضهم على ظهور الخيل وبعضهم الآخر بواسطة المشاحيف (جمع مشحوف وهو زورق بري مطلي بالاسفلت) . وكان يصحب كل منهم عدد من الأتباع والحراس يختلف عددهم بسبب منزلة ومقام الرجل نفسه . ونظراً لوجود حالة حرب بين البريطانيين والأتراك ، وبسبب اضطراب الأوضاع ، فقد جاء كل منهم مسلحاً ببندقية وعلى صدره جناد أو اثنان مليئان بالذخيرة .

وكان واحدهم يدخل المضيف ويحييني ثم يجلس في المكان الذي يتناسب مع مكانته . ففي مثل هذه المناسبات يعرف العربان عادة المدعوون وشيوخ القبائل العاديين مكانهم وأين يجلسون فلا يحاول أحد أن يحشر نفسه في غير مكانه . وكان الجميع بأحسن حالهم وكان منظرهم رائعاً وقد أسند كل واحد منهم بندقيته إلى جدار المضيف خلفه . وجلس أمير بك السعدون على يميني ويوسف بك المنصور

على يساري . وعلى جهة اليمين ايضاً جلس الحجي مزبان الذي طالب الجرية بين قاسم التاجي الذي كان متقدماً في السن ولم تمكنه إلا عين واحدة ، وبيسي فرهود القشي . وعلى مسافة منهم جلس الشيخ ناصر [illegible] الى جانب الشيخ فرهود المشقش الرئيس الاحي ابن شيخان .

وكانت وليمة رائعة شهد لها الجميع . ولا عجب لأن فيصل بشرف كان [illegible] في مجموعة كبيرة من الخدم وامتدت على طول [illegible] من [illegible] الحالين . وبعد ان أكل الضيوف [illegible] الى [illegible] أيديهم جاء دور الخدم والحراس والاتباع [illegible] ورجال الاهوار كانوا يلتهمون الطعام بطريقة عجيبة .

وبعد ذلك جاءت القهوة وبعد احاديث [illegible] ثم بدأ الشرب بعد ذلك [illegible] المكان [illegible] بك [illegible] . فكان كل واحد منهم [illegible] بدوره [illegible] ويشكر [illegible] بعبارات تقال في مثل هذه المناسبات مثل : نعم الله عليك ، وكثر الله خيرك . وكنت أنا أرد عليها بعبارات تقليدية مثل : حلال لكم ، وشرفتونا اهل .

[illegible] بعد ذلك دور مزبان [illegible] خارجاً من [illegible] الذي [illegible] يلحق به الأذى فقال : [illegible] بعد قدمه اليمنى .

وعرفت انه يقصد الحجي [illegible] .

فقلت له : لا تخف يا صديقي .

فضحك مزبان وكان رجلاً طويلاً [illegible] يبلغ من العمر ٥٠ عاماً يلبس [illegible] وقال : لن يصيبني شر ما دام حظ [illegible] الحكومة في جيبي .

وكانت تلك آخر كلمات سمعتها منه . فبعد عدة أيام عندما كان مزبان يهم بالخروج من باب المضيف انطلقت خمس رصاصات [illegible] الأرض صريعاً .

كان الحلبي ناصر بانتظاره خارج الحديقة وكان خادمه يمسك بحصانين تحت ظل شجرة نخيل على بعد عشرة أمتار . وعندما خرجت كان الحلبي ناصر وخادمه قد امتطيا حصانيهما بعيداً عن الانظار بمحاذاة النهر . وحاولت بصورة جنونية ان انظم فوراً فريقاً لمطاردتهم ولكن الذين معي كانوا قد غادروا المكان .

وانحنى عبد مزبان مشدوهاً فوق جثة سيده وهو يتمتم بعبارات هستيرية وأخذ يفتح رداء سيده . وتبين ان مزبان المسكين اصيب برصاصتين قرب القلب ، ورصاصة في بلعومه اما الرابعة والخامسة فقد اخطأتاه .

وفي هذه الاثناء تجمع ما تبقى من الضيوف أخذ بعضهم يصرخ بصوت عال وبعضهم الآخر يحتج بصمت وقد حشا الجميع بنادقهم بطريقة تنذر بالشر .

وقام الشيخ قاصد يخاطب المشاعر الملتهبة بصوت عالٍ مضطرب قائلاً انه ما لم تتخذ اجراءات سريعة في اخضاع القاتل للعدالة ، فان أحداً من شيوخ القبائل لن يتمكن بعد اليوم من زيارتي . لو لم اعط مزبان رتبة الامان هل حدث ذلك ؟ ماذا سأفعل بعد هذا الخرق السافر لقوانين الضيافة ؟ اية ضمانة تمنع قتل أي شيخ يأتي الى سوق الشيوخ لمقابلة الحاكم ؟

وبعد ساعة سيقول الحلبي حسن همداني وعلى وجهه علامات الأسى ان وراء الجريمة اكثر مما تراه العين . وربما كانت الاشارة لانتفاضة عشوائية تشتعل في سوق الشيوخ يحاول الاتراك منذ وقت طويل اشعالها . قد يكون ذلك صحيحاً وقد لا يكون ولكن الثابت هو ان القبائل الموالية للاتراك في ذلك الوقت كانت أكثر من تلك الموالية للبريطانيين . والحقيقة هي ان محاولاتي جمع الضرائب على التمور والقمح والارز والشعير لم تكن مستحبة . ومعنى ذلك ان سلطتي خارج سوق الشيوخ قد انتهت ما لم اقم بعمل سريع حاسم لأن انباء الحادث ستنتشر في كل المنتفق خلال ساعات معدودات . وكنت أكثر ما أخشى ان يزداد الوضع سوءاً فتنقطع المواصلات ويسود الاضطراب على نطاق واسع ، فتذهب خططي بجمع الضرائب ادراج الرياح .

والمشكلة هي انه لم تكن لدي قوة تدعمني باستثناء ٢٠٠ من الشبانة وثلاثين من الشبالة بقيادة ثمر بسك . فالجيش البريطاني كان بعيداً . ولم تكن القيادة العامة في الناصرية للشكري إذا طلبت مساعدات عسكرية لأنها لم يكن لديها من القوات إلا ما يكفي التثبيت مركزها في الناصرية .

وبقيت افكر ساعــة من الزمن ثم اتخذت قراراً بإصدار نشرات في المدينة وفي كل ناحية من النواحي تقول ان هنالك مكافأة قدرها عشرة آلاف روبية لمن يأتي بالعجمي ناصر حياً أو ميتاً . وابرقت للسير بيرسي كوكس بذلــك فجاءت الموافقة سريعة مما شجعني قليلاً .

عدالة قاسية

وحدث ما كنت أتوقعه . فقد ازدادت الحالة سوءاً ولم أعد استطيع التنقل خارج المدينة بأمان . وقد غامرت وخرجت مرتين وفي المرتين كان رجــال القبائل يتسببون لي كمائن ويطلقون عليّ النار ولكنني نجوت بأعجوبة . ومرة ثالثة ابتعدت ميلين خارج سوق الشيوخ ولولا حنكة العجمي حسن حمدان لكنت قتلت على الفور . فقد أرسل العجمي حسن ورائي أربعة من الشبان برئاسة محمد العايل وأمرهم ان يراقبوني دون ان يدعوني أراهم . وفجأة انقض عليّ ثلاثــة رجال من وراء الأشجار الكثيفة وأطلقوا النار من بعد ١٠٠ يارد، وقد فوجئت عندما رأيت أربعة من رجالي يبادلونهم إطلاق النار فيصرعون واحــداً منهم ويضطرون الآخرين للفرار . وعندما فحصنا جثة الرجل تبين لي أنــه من قبيلة الحكام التي يرئسها العجمي ناصر .

وتملكني شعور باليأس والانقباض لا سيما وانني كنت أعرف انه من المستحيل ان أطلب النجدة من السير بيرسي كوكس أو من الناصرية لأنهم لا يستطيعون التخلي عن رجل واحد . وكنت اعلم انني يجب أن أجد خلاصي بيدي . ولكن كيف ذلك وقــد تقلص نفوذي واتخذت المقاومة السلبية تتزايد بين القبائل المجاورة . وقــد امتد ذلك الى قرة الشبانة فأخذ بعضهم يطالب بإجازات طويلة

عجبا ان لديهم اعمالاً خاصة وقدم آخرون استقالاتهم .

ومر شهران قاسيان علي بالقلق ... أعد احصل على شيء من الحماس وأخذ اصدقائي ينفضون من حولي واحداً بعد الآخر . وذات يوم وكان الوقت ظهراً لمحت زورقاً مسلحاً يرسو رسوّه بعينه ويقوده زورق آخر يحمل مدفعاً ، على منعطف في النهر قرب سوق الشيوخ . و تقرب الزورقان من منزلي ويصعده ضابطان كنت أرحب الضابط قائد الزورقين وأعددت له طعام الغداء . وأبلغني انه قادم مع قصبة من الجنود ليحل محله وكنت ... الشهور الثلاث من سوق الشيوخ ومعه أربعة مدافع رشاشة .

وفي اثناء تناولنا طعام الغداء على ظهر الزورق المسلح وحدثت مطولي الضابط الشاكي في شخصي . وشرحت له الكثير من الضرورات الداعية في الوقت الحاضر لمعاقبة الحاج ناصر واستعادة نفوذ الحكومة ونفوذي الشخصي وانني لا املك من القوة إلا عدداً ضئيلاً من الشبانة موزعين في مراكز متباعدة في الشهر تبعد على بعد خمسة أميال من سوق الشيوخ للمحافظة الحاج ناصر ووراءه مبيتة من المسلحين يتحدى الحكومة ان تأتي لمعاقبته .

وأذكر فقط بأن طلبت من الضابط الشاب ان الخرج في حملة لاستعادة هيبة الحكومة ونفوذها بين القبائل على أن لا يصل ذلك الى مسمع الإدارة في الناصرية .

وكانت خطتي الشمال برج الحاج ناصر العاري ومضيفه وقريته التي تبعد نصف ميل عن ضفة النهر وراء حزام من اشجار النخيل ، وبعد ذلك أشعل النيران في مزروعاته التي تغطي عدة مئات في الأفدنة . وشرحت للضابط اني سأقوم بالمهمة بنفسي وكل ما اطلبه منه التعاون لتأمين حمايتي في حال تعرضي لهجوم أثناء اشعال النار وتمكيني من الفرار سالماً من أرض قبيلة الحكام .

ووافق الضابط على الفكرة بحماس وبعدها أخذت اشرح له الخطة بالتفصيل . وتقضي الخطة بأن نسير بعد يومين في السابعة والنصف صباحاً بالسفينتين على طول الضفة اليمنى من النهر ونتوقف قبالة قرية الحاج ناصر والقرب من شجرة

معدار كبيرة يجتمع تحتها عــامة ٣٠ من رؤساء فروع قبيلة الشمري . وفي الوقت الذي اتفق فيه الا ان الشاني سيصوب المدافع الرشاشة فوق رؤوس الأشخاص المجتمعين . وكنت آمل ان تحت حماية من نيران المدافع الرشاشة استطيع ان أجرد هؤلاء من سلاحهم واقتــادهم الى احدى السفينتين كرهائن الى وقت استسلم فيه قبيلة بأجمعها .

كنت أعلم ان الخطة قذرة وفيهــا الكثير من أساليب الأتراك ولكنني في الحقيقة [illegible] وكنا مجبرين لتنفيذه بتنفيذه النتائج التي أوشى الشمري عليها . وأكثر من ذلك كنت أعرف [illegible] مضمونة فقد اجتمعت بمعظم فإنهم سيقتحمونني لأنني احتقرهم بأساليبهم .

وباستثناء طابع التكرار وحسن النية في العملية اقترحت إقامــة مأدبة من الدرجــة الأولى على ظهر (هذه الجنود لتكريم الضيوف القادمين بالرغم منهم ؟ واقتيادهم بعد ذلك الى موقع السجن واطلاق سراحهم بعد اتخاذ الاجراءات اللازمة واعطاء كل واحد منهم عباءة جديدة كهدية .

وفي اليوم التالي ابلغت الخطة للكابتن حمدان وطلبت منه ان يحتفظ بالسر وان يحضر غداء لائق لثلاثة وأربعين رجلا وان يشتري ٤٣ عباءة جديدة على ان يكون كل شيء جــاهزاً على ظهر السفينة في الساعة والنصف من صباح اليوم التالي . وبعد ذلك ارسلت صديقي ذا النون الواحد الشيخ قاسم الشامي الذي اشتهر بقيادة عــدة انتفاضات ناجحة ضد الأتراك في الماضي ، الى قرية الحجي ناصر وافهمته فلمعليه ان يقول [illegible] للمعاقة سيحصل بسفينتين حربيتين في الساعة السابعة والنصف من صباح اليوم التـــالي ويحفظ بالقرب من شجرة السدر الكبيرة ، وان هدفه من ذلك اقامة مأدبة بين قبيلة مزيد الشرقي وقبيلة الحجي ناصر وتحديد أنه متى يترحب على الحجي ناصر عقابه .

واتفقت قاسمة الشامي ان بتجمع جميع رؤساء قبيلة المحكام بالحضور الى المكان المحدد والذي يتخلف يضع نفسه تحت طائلة العقــاب الشديد . وكنت اعرف ان الحجي ناصر ان يحضر . لقد سرت شائعات قوية مفادها انه قتل

بالأرتال في شطرا ليجمع منهم المال لشكافي الحال وقائل سوق الشيوخ على القيام بثورة ضد العرمانيين .

وكنت واثقاً ان قاصد الناصري يؤيدني تأييداً كليا لوجود ذوات قديمة بينه وبين الحجي ناصر وليس أحب إلى النفس من اذلال الحجي ناصر وخضوعه للشروط المحكومة . وكانت هنالك عقبات كبيرة . فشقيق الحجي ناصر كان مسيطراً على النفية ومن المتوقع أن يخرج ومعه عدد كبير من الشيوخ لنفي تأثير كلام قاصد الناصري في النفوس .

كل ذلك كان نرجو من المغامرة ومع ذلك قررت تنفيذها بأي ثمن . ولكن الشيء الرهيب الذي كنت أخشاه ان تطلق النار على السفينتين وعندما شرعت في النهر بمعاداة يرقى قتيلا لشكل لأن السعادة كانت تقي وتحدي سلطة الحكومة كان ظاهراً في كل مكان .

وفي الساعة السابعة من صباح اليوم الثاني سارت السفينتان حسب الخطة الموضوعة وكان الجنود يتمتعون بروح عالية وكذلك قائدهم الشاب الذي بدا متفائلا ولا الفي بجانبه على دفة القيادة . وأعترف انني لم اكن بذي الرأي نفسه لأنني كنت اعرف أكثر منه مدى خطورة هذه المغامرة لأنها قد تكون سبباً في اشعال الثورة بين جميع قبائل المنطقة القريبة . وعندئذ ستظهر الأشياء والفئات المتطاحنة وستبلغ المسألة الى الدوائر العليا . وكذلك لم أكن ارغب في ربط الضابط الشاب في مشاكل هو في غنى عنها .

وظهرت الامور بمظهرها المشرق عندما رأينا بعد عشرين دقيقة من السير مجموعة من العرب تحت شجرة السدر وبينهم قاصد الناصري الذي نجح في اقناع الرؤساء الثلاثة والاربعين بالقدوم .

ورست السفينتان على الشاطيء بعد أن عكسنا الاتجاه وقفزت انا الى الشاطيء ومعي أربعة من جنود البحرية بسلاحهم الكامل . وحييت الشيوخ الواقفين قائلا : السلام عليكم ثم دعوتهم للجلوس . وفي الحال أخذت نيران المدافع الرشاشة تنطلق فوق رؤوسنا لصرخت بأعلى صوتي مطمئناً الجميع بأنه لن

وصاب احد منهم بأذى اذا سلموا بنادقهم وساروا معي الى السفينة . وبعد ذلك قام قاصد الناصي واخذ يتدحس ويمتدح الحكومة ويطمئن الجميع واعداً الجميع بأن يضع نفسه كفالة لسلامتهم . واتفقت على ذلك قائلاً ان غداء سخيا ينتظرهم على ظهر السفينة وانهم سيكونون ضيوفي حتى صباح اليوم الثاني وبعدها أعيدهم الى عائلاتهم معززين مكرمين .

وبإشارة مني قام قاصد الناصي واخذ يجمع البنادق منهم واحداً بعد الآخر ويفرغها من الطلقات ويدفعها لجنود البحرية الذين نقلوا الاسلحة الى السفينة ودعوت الجميع ان يتبعوني ففعلوا بعد ان اسقط في يدهم .

وعندما بقيت لوحدي على الضفة مع قاصد الناصي امرت السفن ان تنتقل وترسو في وسط النهر . لانني كنت اعرف ان عدة مئات من رجال القبائل مختبئون بين الاشجار والاقنية القريبة وشاهدت بعضهم يتنقلون من مكان الى مكان في حالة هياج وربما كانوا يعدون العدة لهجوم مفاجىء . ولكي يسمع هؤلاء ناديت ضيوفي بصوت عال باللغة العربية قائلاً اني سأحرق قرية الحجي نصر ومضيفه ، واذا مسني أحد بسوء او اذاه احد خلال ثلاث ساعات فإن القائد البريطاني الشرس سيقتلهم جميعهم .

وفي الوقت الذي تحركت فيه السفن اطل الضابط قائد السفينتين من ظهر السفينة وتبين لي سعيداً سعيداً . ولكي اشجعه قلت له : انتهى الفصل الأول الأكثر خطورة والآن بقي الفصل الثاني .

وبدت على وجه قاصد الناصي علائم الدهشة عندما ابرزت خطتي التي كنت اخفيها عنه وبعد ذلك ضحك بصمت ومد يده ليصافحني وقال : انت شابة لا خطر علينا الآن وكسبان ولكن في المستقبل الله كريم .. فاكرة العرب طويلة يا الله فلنمش .

وكان قاصد الناصي رجلاً شجاعاً . فتبعته بعيداً عن النهر في أرض معشوشبة ثم عبرنا حزام من اشجار النخيل يمتد مسافة ربع ميل . وعلى طرف الحزام وصلنا الى حقول واسعة فيها محاصيل ناضجة تنتظر الحصاد وبعدها بميل واحد

تقع قرية كبيرة مبنية من اوراق البردي والحصر ومحاطة بسور في احدى جهاته بني برج حربي ، مفتول » .

« هذه هي قرية الحجي ناصر » قال قاصد ، « وتلك هي قلعته وعلى اليسار مضيفه » .

وكان المضيف الصغير الجميل الذي يشبه الى حد ما مضيفي في سوق الشيوخ ولكن اصغر منه ، قريباً منا وراء الشجر النامي على ضفة قناة صغيرة . وبجانب المضيف الجديد هذا يوجد مضيف قديم اكبر منه قـال قاصد ان الحجي ناصر يستخدمه حالياً مخزناً لحبوبه .

وسرنا الى الامام . وبدون أي تأخير اخذت عود ثقاب واشعلت النار في المضيفين ومع لحظات ارتفعت ألسنة اللهيب عالياً في الفضاء . وبدا قاصد مندهشاً وكأن الرعب قد دب في نفسه ولكنه عاد وابتسم واخذه تذكر تهديد وسلوك الحجي ناصر سقاداً قديمة .

وصرخ قاصد بي « تعال » واخذنا نركض بسرعة نحو القرية .

وفي هذه الاثناء كانت اعمدة الدخان قد ارتفعت عالياً فوق اشجار النخيل وتطلعت الى الامام فرأيت رجالاً متمسكين في جمع امتعتهم وحواجبهم وبنادقهم في ايديهم . وكان هؤلاء يبتعدون عن مسافة منا ولم يقترب أحدهم اكثر من ٥٠٠ ياردة منا . وعندما اقتربنا من القرية اشار قاصد الى جماعة من النساء والاطفال يخلون الجهة الأخرى من القرية . وقال قاصد : ها هم عيال الحجي ناصر يعتذرن فقد علموا ان المطلب لتلك مزيان قد مشى ولذلك فقد هيأوا مصالحهم لتهيئة أشبية استعداداً للهرب فوراً .

وشعرت بالأسى والانقباض الاضطراري الى حـرق منازل هؤلاء الناس الساكنين الفقراء لأنني كنت أحبهم . وربما رآني قاصد قد تلكأت فأخذ يركض بسرعة نحو القرية لوصل اليها قبلي بوقت قصير وهو يصرخ بعبارات والفاظ لم أستطع سماعها بالضبط . وعندما لحقت به كان قد اشعل حزمة من سعف النخل وبدأ يشعل النار في الاكواخ وفي لحظات كانت القرية تحترق وكأنها اتون من نار .

وكان حرق المنزل في الجهة الاخرى من القرية اصعب بكثير من حرق الاكواخ ولكن قاصد وجد سلماً وصل بواسطته الى حافة البرج العليا واشعل فيها النار .

ولم يكن لدينا وقت نضيعه . فقد مضت ساعتان أو ثلاث وكان علينا بعد ان نحرق النخيل كله أن نهرب بأمان الى النهر الذي يبعد عنا ميلاً ونصف الميل وصعدنا قليلاً في حرق النخيل التي اعتقد انا قد دمرت جميعها ولكنني لست متأكداً من ذلك لأن الريح كانت تهب باتجاه النهر وكان علينا ان نسرع لاشتداد النار . وعندما اقتربنا من حزام النخيل كانت البلاد وراءنا ملتفة بالدخان الاسود ، وشعرت بهذه الأساة في اعماقي بشدة ولكن قاصد كان يرقص فرحاً ويصرخ صرخات طرب كلما اقتربنا من النهر .

واخيراً وصلنا الى شجرة السدر . والاشارة منا اول لنا حسين ظهر السفينة قارب مقبل ويبعد ان عدنا وعدت المراسي وسرنا الى سوق الشيوخ وجدنا انه كانت على ظهر السفينة الأخرى لقاء وليمة اعتقد ان رماتي الثلاثة والاربعين قد استمتعوا بها جداً . وقد أخذ كاظم حمداني مجده في ذلك اليوم .

وبعد العشاء وشرب القهوة اعطي كل منهم عباءة جديدة وسمح لهم بالنزول الى سوق الشيوخ احراراً . وودعونا بدون كثير من الكلام واظنهم قد ارتاحوا لما آلت اليه الامور .

وظل الناس عدة ايام يتحدثون كيف اقتحم كاسان لقتل شيخه . اما بالنسبة لي فقد كان الامر مغامرة ضرورية وانتهت . وفي اليوم التالي رفعت خطابات الشاب البحري ، وقد اشتعلت المشاعر في نفسي لأن أحداً غيري لم يكن ليعرف مدى خطورة هذه المغامرة التي لم تكن لتنفذ وتنجح بدونه .

واعطي قاصد مكافأة مناسبة واتفقنا على عدم ذكر هذه الحادثة . ومع ذلك اظن ان السير بيرسي كوكس قد علم بالأمر لأنه بعد ستة اشهر في صيف سنة ١٩١٧ تلقيت منه وساماً بغير مناسبة .

ولكن القصة لم تنته عند هذا الحد .

وساد الأمن والنظام في منطقة سوق الشيوخ . وانتشرت الانباء بأن مساعد الضابط السياسي له طريقة خاصة في انزال العقاب بالمخالفين . فوجد رجـال القبائل ان الطريق الاسلم هي دفع الضرائب والحضور عند استدعائهم .

اما الحجي ناصر فقد اختفى . منهم من يقول انه هرب الى الصحراء ومات هناك ، ومنهم من يقول انه انضم الى مزهر باشا الضابط السياسي التركي الذي كان مقره الرئيسي في شطرا ؛ وآخرون يقولون انه على علاقة وثيقة بعجيمي باك السعدون الذي كان مع القوة التركية المسيطرة على العمارة .

ومضت اربعة اشهر اخذ يدور خلالها الهمس بأن عملاء تركيا ظهروا بين قبائل بحيرة الحمار ويعملون سراً من الاهوار لاشعال نار الثورة في منطقة سوق الشيوخ وغرضهم من ذلك قطع خطوط مواصلات البريطانيين مع الناصرية .

ولم تتأكد هذه الشائعات إلا انها بدأت بأن الحجي ناصر كان من بين هؤلاء العملاء الذين كانوا يتجولون بشكل رجال الأهوار .

وأخذ الشيخ حسن حنظل وابراهيم النهاري هذه الشائعات على محمل الجد وطلبوا مني ان أكون حذراً . وهناك الرجلان يفهمان الفيضان بشكل مزعج اذ يعطيا من الاشارات على صدق ما يقولون إلا مثلاً مدروساً بين اهل الاهوار وهو : هب الشك وبعد قليل سيشتد حتى يصبح عاصفة هوجاء .

وتلمس الرجلان لنا كله ان رجـال القبائل يقصدون به ان الاتراك سيتحركون لعمل انقلاب ؛ وان الاضطرابات متفشية في منطقة سوق الشيوخ .

وفي ذلك الوقت تلقيت دعوة من الشيخ أنس مزعـل البشارة رئيس قبيلة الحسن لحضور المأدبة التي أقامها بمناسبة زواج ابنه حرحه . وكان مركز القبيلة الرئيسي الى غرب بحيرة الحمار على قناة أم النخلة احد ثلاثـة فروع من الفرات تصب في البحيرة . وذلك يعني انني سأسافر مسافة ٢٠ ميلاً في النهر بالزورق وبعدها اقوم برحلة طويلة مضنية حتى اصل الى المكان . ومع ذلك قبلت الدعوة بالرغم من التحذيرات الخطيرة التي وجهها الحجي حسن حنظل وابراهيم النهاري

والحجي علي الدبس . حتى ان الحجي حسن جاء إليّ ليلاً وحاول بكل جهده ان يثنيني عن عزمي في الذهاب وقـــال : هنالك خطر محدق لا استطيع ان احدد طبيعته وزمـان حدوثه . ولكن نحن العرب لدينـــا طريقة في تحسس الأشياء . قبل نسيحق ولا تذهب .

وأجبته على قراره بأنه لم يعد من الممكن إلغاء تبريي لدعوة الشيخ مزعل ، وإذا كان قد كتب ان يحدث لي شيء في اليوم التالي فلن استطيع ان امنع ذلك سواء ذهبت الى ام النخة ام لم اذهب . وهنا الحجي حسن ان اصطحب معي ثلاثة على الأقل من شيوخ القبائل التي تسكن على ضفاف نهر حيث مأمر بزورق . لأنه حسب العادات القبلية إذا اصطحب المرء رفيقاً او دليلاً ، يحمي في المراق تسيار) في ارض قبيلة ذلك الدليل فإنه يصبح في مأمن من رجـــال تلك القبيلة فكيف إذا اصطحب معه ثلاثة شيوخ .

واستحسنت اقـتراح الحجي حسن فطلبت منـــه ان يوعز لـذهاب كل من الحجي فيصل الياسر من قبيلة الحسن ، وفرهود الفندي من قبيلة احكام (الضفة اليسرى) ، وقاصد الناجي من قبيلة احكام (الضفة اليمنى) ، اللذين فهمو قادا لاثة اعادتهم للإهاب معي .

وبالإضافة الى هؤلاء رافقني ثلاثة من رجـــال الشبانة المسلحين . ولم يعكر صفو رحلتنا الى ام النخة اي حادث وكانت رحلة ارقاف لاحجة لغاية . ومع أن الشيخ مزعل يبلغ اكثر من مئة عـــام من العمر فقد كان يمثل مشهور القيادة والظرف والكياسة وكان ابنه حمود كأحسن ما يكون الشباب .

وعندمـــا انتهت الاحتفالات بدأنا طريقنا في العودة . وكان زورقي كبيراً وقوياً تمتد على سطحه ألواح خشبية مثبتة بقوة تستطيع حمل ثقل كبير . فعندما حل المساء واصبح الطقس لطيفاً صعدت انا الجسد والمسافة فوق سطح غرفة القيادة ودعوت اصدقائي الثلاثة للانضمام إليّ .

وجلسنا نشرب القهوة وندخن السجاير ونقص الحكايات . وعندما قطعنا ارض قبيلة الحسن بالقرب من المكان الذي تفترق فيه أم النخة عن مجرى الفرات

الرئيسي الى تبين احدث الزورق الى الضفة ودفعوه . فيصل ليسير الى [illegible]
ويذهب إلى منزله . فوجوده معي شدوح أرضه لم يكن ليفيد شيئاً في حمايتي ،
فوافق ، وشكرني بحرارة لأنني اصطحبته معي الى الولاية ورحل .

وقد تلبس لشيء يطرحوه الهندي . [illegible] ان تخطينا [illegible] بسلام [illegible]
عن الشاطئ عند الحدود الغربية . ومررنا بعد ذلك في [illegible] التحدي [illegible]
قد تقريباً الى سوق الشيوخ . وقد شعرت بالاطمئنان فجلست [illegible]
للحديث مع [illegible] على ظهر الزورق . وقبل سوق الشيوخ وقرية [illegible]
بنا الزورق الى منعطف ضيق في النهر يبلغ عرضه ١٥٠ ياردة فقط تجري فيه
تيار قوي مما اضطرنا الى تخفيف السرعة الى خمس عقد فقط . وعلى [illegible]
هناك تنمو أعشاب كثيرة وكثيفة . فلما اقتربنا من المنعطف [illegible]
بين [illegible] قرب حافة [illegible] . ووقف رجل [illegible] بعباءته
وكأنه يعطي اشارة الى شخص او اشخاص مختبئين .

وبعد لحظات انطلقت علينا النار من بين الأعشاب الكثيفة على بعد ٥٠ ياردة
فقط . ووقع [illegible] قاصد الى الوراء [illegible] ولكن ذلك لم يمنع
اصابتي بجرح في رجلي وآخر تحت [illegible] . وقذف [illegible]
وغطاني بعباءته حتى لا يرى أحد [illegible] على [illegible]
الذين يريدون الأذى للشخص الذي يرافقه في ارضه . [illegible]
تعرفون من أنا يا كلاب ويا أولاد الكلاب ؟ انا قاصد شيخكم .

وكنت أتخيل قاصد وهو يلوح [illegible] [illegible] .
فلما رأوا شيخهم منبطحاً فوقي لم يتجرأوا ان يطلقوا النار [illegible]
نيرانهم على التخادة [illegible] (زورق) وعلى الذين يديرون المحرك على أمل أن
ينحرف الزورق الى الشاطئ . وسمعت أزيزاً هائلاً إذ [illegible] رجالي التابعة من
الشبانة يردون على النار بالمثل ولكن على اهداف غير منظورة بينما أعطى التخادة
أوامره بزيادة السرعة لكي يتخطى المنعطف بأسرع وقت ممكن .

وبعد ان عبرنا المنعطف توقف إطلاق النار مثلما بدأ .. فجأة . فشكرت

قاصد الذي بدا عليه الانفعال لأنه أنقذ حياتي بهذه الفراسة . أما الزورق فقد أصيب بجوانبه [illegible] طلقة على جوانبه ، وعرفت فيما بعد ان الضحية الوحيدة التي قتلها رجالي كانت بقرة تقف على جانب النهر فسقطت فيه ميتة .

وسمع سكان سوق الشيوخ صوت اطلاق النار لأن المدينة ، كما [illegible] تبعد عن مكان [illegible] إلا أربعة أميال لا يظهر التراب ، فتجمهر عدد من الرجال والنساء والأطفال ينتظرون وصولنا بالقرب من مرسى الزورق . وكانت شفتي تنزف بشدة وقد تدلت [illegible] قميصي بالدم [illegible] على أثر هؤلاء النسوة . [illegible] عدد من النسوة الجمهور هناك تولول . وانقلب التولول الى صرخات فرح عندما قفزت الى الشاطىء مطمئنا الجميع بأنني بخير .

وأثرت هذه العواطف التي أظهرها سكان سوق الشيوخ نحوي تأثيراً عميقاً في نفسي لأنني كنت وحيداً بينهم . وأكانت فيهم كما قلت فيما أنني قد دمت [illegible] أن الناس [illegible] وإلا أن حب هؤلاء الناس يتملكني حتى اليوم .

وبرحت فراشي ثلاثة أو أربعة أيام لأن رجلي كانت تؤلمني . وخلال [illegible] المدة حضر قاصد [illegible] وعلى وجهه علامات الغضب لوقوع مثل الحادث . وقال : يا صاحب ، أصبح الآن بيني وبينك دم . فقد سفك دمك في أرضي وانت تحت حمايتي [illegible] انه عار علي كبير . ومن الآن وحتى [illegible] هذا العار يجب ان يرتفع فوق سطح منزلك علم أسود لكي يعرف الجميع .

وأخذ قاصد يلف علماً صغيراً أسوداً حول عصا قصيرة ليعلقه فوق البيت بين كنت أحاول التخفيف عنه والتقليل من أهمية الحادث فذكرني بالدموع في عينيه وكأنه [illegible] في قلبه [illegible] وراح يبحث عن رجال قبيلته الذين قصروا [illegible] .

وعاد قاصد بعد خمسة أيام ليضع امامي كيساً فيه [illegible] روبية [illegible] ان [illegible] الاخرى [illegible] والثأر لاعتداء وقع علي وانا تحت رعايته . ولم يصغ قاصد قط إلي وانا أحاول ان اقنعه [illegible] انه بهذه الطريقة فقط يستطيع ان يرفع رأسه عالياً بين قومه .

وخرج قاصد ليستدعي جماعة من النساء اللي يون معه . فدخلن وبعد حديث قصير قدمن لي ابنة أخ قاصد وهي فتاة صغيرة طيبة تبلغ من العمر اربعة عشر عاماً . وقال قاصد ان الفتاة ستكون زوجتي لأن هـــذه هي طريقة القبيلة في القصاص . واخذ يشرح لي انه حسب عادات قبيلة الحكام ، إذا اعتدى احـــد أفراد القبيلة على رجل من قبيلة اخرى ، واعتبرت القبيلة ان رجلهـــا مخطىء ، تعطي فتاة من اقرباء المعتدي ، بالإضافة الى التعويض المالي ، الى المعتدى عليه . فإذا كان المعتدى عليه قد قتل في الحادث فإن الفتاة تعطى الى اقرب المقصود إليه . والفكرة من ذلك هي ان الاطفال الذين سيثمرون من هـــذا الزواج يكونون رابطة لإزالة الضغائن والأحقاد بين القبيلتين .

وكان معظم رجال قبائل سوق الشيوخ من أهل الاهوار ويعيشون حيـــاة بدائية جداً . وكنت اول الرجال الانكليز الوحيـــد الذي وقع نظرهم عليه ولذلك فلن يفهموا ان عاداتنا تختلف عن عاداتهم . وكان قاصد شرساً حـــاد الطبع ولكنني كنت أحبه لأنـــه كان مصلحاً ويرغب في احلال السلام . ولكي ارضيه اخذت منه المال ووزعته على الفقراء ، واهديته بدلاً منـــه زوجاً ومباءة جديدين من أجود الأنواع التي وجدتها وذلك لكي اطيب خاطره . اما القضية الفتاة فقد ارجعتها الى اهلها بعد ان اشترت الحجي حسن حمداني وبعد ان اهديتها ثوبين جديدين . فقد أشار علي الحجي حسن ان ارجعها مع عبارة جامعة تستعمل في مثل هذه الظروف وهي : قبلناها ورديناها لكم .

ولن انسى منظر اولئك النسوة اللواتي جلبن الفتاة حين ان عادت .

وبعد ذلك جاءني قاصد بنتيجة تحقيقاته في الحادث . فقال ان الاعتداء جاء من ارض البوحميدي وهم فرع من قبيلة الحكام . وقـــد انكر ياسر الشعلان شيخ البوحميدي معرفته بالامر وقال ان غرباء قدموا الى أرض قاصد ليقترفوا الجريمة هناك حتى يشيروا لقاصد المعروف بصداقته للحكومة .

وقال قاصد ان ياسر يكذب وانه يعرف جيداً ان مقترفي الحادث هم من قبيلة الحكام ينتمون الى الحجي ياسر الذي وعد الاوراق باعطائه خـــاية الجزة

مجابهة مقابل تصفية مساعد الضابط السياسي البريطاني في سوق الشيوخ . (ولا اشك في صحة هذه الرواية) . وقال قاصد ايضاً ان الكبير كان يتألف من اثني عشر رجلاً برئاسة احد رجال الشيبان قتل والده على يد البريطانيين في معركة شعيبة قرب الزبير منذ سنتين ، وقد اصبح الحجي لاصير مشاعره ضدي . أما الحجي ناصر فلم يقترب من مكان الحادث بل ظل بعيداً في المستنقعات الشمالية من بحيرة الحمار حيث كان ينتظر انباء مصرعي التي ستكون الشرارة الأولى لاندلاع الثورة بين قبائل الأهوار وجيرانهم قبائل الجزيرة . (وهذه رواية معقولة) .

وقام قاصد على مساعدة الرئيس البوحميدي . فارسلت تقريراً بالموضوع الى القيادة العامة في الناصرية فارسلت لي فرقة من المشاة مزودة ببنادق مسلحة . وقطع هؤلاء الجنود حوالي ثلاثمائة شجرة من اشجار النخيل التي يملكها ناصر الشرلان وعادوا الى الناصرية دون وقوع أي حادث لأن قاصد عمل على ان لا تكون هناك مقاومة لهم . وكذلك ينظر أهل المنطقة عقاباً صارماً .

وما ان انتهى هذا الحادث حتى وقع حادث آخر مكمل له . فبعد شهرين كنت في مجلس الاسبوعي وانا اشعر بسعادة مفاجئة . وكنت قبل ان احضر الى المجلس قد شربت رجاجة من البيرة الانكليزية الفاخرة تلقيت صندوقاً منها من البصرة . وكان من بين الرؤساء الجالسين في المجلس جماعة من شيوخ آل السعدون يرئسهم ثامر بك ويوسف بك المنصور ورجل مسن يدعى راشد الهملي وينتمي الى فرع غامض من آل السعدون . وكانت تظهر في وجه راشد آثار جرح بالغ على طول خده . وكنت انا قد التقطت ابنه الجريح في معركة شعيبة التي كان يقاتل فيها ضدنا . واصبح ابنه صديقي منذ ذلك الوقت .

وقطعت علينا حديثنا ضوضاء من خارج المضيف اندفع بعدها الى الداخل ستة من رجال الشبانة يجرون رجلاً أوثقوا رباطه ورموه على قدمي . وقد استغرب الجميع هذا المشهد وبدت على وجوههم علامات الفضول والدهشة .

وتشجر محمد شايل رئيس الشبانة قائلاً بتمال ان هـذا الرجل المكتوف

هو رئيس العصابة التي ذهبت إلى الكائن ، وقد قــــتل الذي عليه اللابض في أرض قبيلة المهين بإشارة من قاضد الناحي . والحرسـة الحاضرون في القصر يسمعون ويترقبون ما سأفعله بالرجل .

وأوقف الرجل على قدميه . ويبدو ان رجال الشبابه لسبت لوجوده ضرباً بحيث انه لم يستطع الوقوف إلا بصعوبة . واعترف بصراحة بالتهم الموجهة اليه وقال انه يشعر بالأسف لانه اعتدائي ولم يستطع قتلي . ولمـــا سألته عن الدافع للتي أجاب بتحد ان والده قتل على يد الانكليز في معركة شعيبة ، ولذلك فقد شعر من واجبه ان يقتل أي رجل انكليزي يصادفه . ولما سألته عما سيفعله اذا اطلقت سراحه فرد برقاحة متناهية انه سيحاول قتلي مرة ثانية ، وانه أن شاء الله سينجح في المرة الثالية . وأخيراً اعترف بان الشيخ ناصر قد أدخل له هـذه الافكار في رأسه بعد ان وعده بمكافأة جيدة اذا نجح في مهمته .

وكانت القضية واضحة تماماً ولكني شعرت بالأسف على هذا الرجل خاصة وانني كنت أعرف من المنازل شخصاً شريفاً وبدائياً لغاية ويشعر في قرارة نفسه ان الحق الى جانبه . واتخذت قراراً سريعاً ، أمرت بفك وثاق الرجل ويطلق سراحه . وقلت له : اذهب ولا تعمل مثل هذه الأعمال ثانية لئلا يكون عقابك شديداً .

لا أعرف ماذا دفعني لاتخذ مثل هذا القرار . وربمـــا كان اليوم الانكليزية انه خرة . وقـــد سمعت عبارات الاحتجاج والاستهجان من جميع الحاضرين وخاصة راشد الصقر الذي احمرت التندية التي في خــده وازرقت وصرخ في غاضباً : هذا تصرف مجنون يا حضرة الصاحب .

ومع قدوتي راشد الصقر اصريت على تنفيذ ما أمرت به . ودهشت عندما فك وثاق الرجل فانفجر باكياً وركض نحوي وركع على ركبتيه أمامي وأخذ يقبل قدمي وركبتي . وكان كل ذلك مؤلماً وأكد اعتقادي بان الرجل التعيس يحمل في نفسه كثيراً من الطيبة .

وجاء هذا الرجل بعد يومين الى منزلي وأخـــبرته بتوسل الي ان اعينه حاجباً

عندي لأنه يعرف بشؤون الإبل ولأنه يريد خدمتي . فأعطيته الفرصة وظل الى يوم موته بعد ست سنوات من الحادث أخلص خادم عرفته في حياتي . وهل يعجب أحد بعد هذا اذا احببت رجال قبائل المنتفق ؟

وغضب مني قاسم طبعاً . وبعد مقابلة عاصفة بيني وبينه تركني وذهب الى عشيرته .

الفارس المختفي

بعد هذه الاحداث التي رويتها سارت الامور على ما يرام في سوق الشيوخ . وقد استحصلت نظاماً لاعطاء المساعدات للشيوخ صغارهم وكبارهم مما ساعد على حفظ الهدوء في المنطقة . ويظهر ان الحبي ناصر العديل توجه الآن ورمى بنفسه نهائياً بين أحضان الأتراك . ويبدو ان ذلك أيه شيء من الصحة لأنه لم تعد هنالك مشاكل وساد السلام بين قبائل الحكم وبني خيكان والجرة . وشعر الناس بثقة كالشقيع ان الحبي ناصر لن يقضي حياته قريشه ولا امور التي لديه هو في قاسم في ذلك . وكان حديث المقبل ان الحبي ناصر يتقاضى راتباً ضخماً من الاتراك وظاهر مامور انه يستطيع اشعال الثورة ضد الانكليز في الحقة .

ومرت ثمانية أشهر . وبعد ظهر أحد الايام ركبت حصاني واصطحبت كلبي شهوقيين وسرت في الفلاة مسافة ثلاثة أميال وراء سوق الشيوخ وفي أكثر صلحاً . ورأيت على مسافة بعيدة فارساً وحيداً يتجه نحوي وتطلعت في كل الجهات فلم أجد أثراً لبشر غيره . وظل هذا الفارس يسير بعيداً والى اكثرت له في البداية ولكنه عندما اقترب مني لاحظت على وسط سرج حصانه بندقية تركية وكان وجهه ملثماً تماماً في عادة القبائل في مكان الشتاء . وحاولت جهدي ان أظهر عدم اكتراثي فبقيت سائراً في اتجاهي . واتجه الفارس نحوي وتوقف قريباً مني . فتوقفت أنا أيضاً وحييته وسألته ما يريد . وبدون ان يتكلم أزاح الغطاء عن وجهه فتبينت انه الحبي ناصر المخادع ووجهه المارح الجميل .

فبادرني قائلاً : هل عرفتني يا دكتور ؟ فأجبته : نعم ، أهلاً بك يا حجي ناصر إن الله الذي يغير كل شيء قد رماك بين يدي . قلت ذلك ولم أكن أعرف لماذا تفوهت به ولكن شعوراً بالظلم تملكني .

ورد عليّ الحجي ناصر قائلاً : على العكس يا دكتور ان الأقدار رمتك أنت بين يديّ . قل لي ماذا يمنعني من قتلك انتقاماً ؟ ألم تمزق منزلي وضيعتي وفريقي وحاصلي ؟ ألم تشترك مع قاسم السماحي بإنزال الخراب والعذاب على عائلتي وقبيلتي ؟

وكان وهو يتكلم يعبث بشيء بندقيته من جانب السرج وظهرها ملقفة ، وهو لا يزال مائلاً على ظهر حصانه . ووقفت مصاقبي ان يعطي لا اريده راسخة في الخوف ولكنني حاولت قدر المستطاع ان أحافظ على هدوئي ورباطة جأشي وقلت له : يا حجي ناصر ان الله بالحقيقة أرسلك إليّ وكأنه كتب ان يتم هذا الامر في هذا اليوم بالذات . فلا تنس ان هنالك مكافأة قدرها عشرة آلاف روبية لمن أسلمك حياً او ميتاً . ماذا يضرك لو دفعت أنت المبلغ وسلمت نفسك للحكومة ؟ ان ذلك أفضل من ان يقتلك أحد وينال المكافأة .

فضحك الحجي ناصر هازئاً وقال : لا . لا لقد جئت آخذ حقي . لقد جاء يومك أخيراً .

ويبدو ان كلمتي أصابت هدفاً في نفس الحجي ناصر لأنه بدا عليه الجد فجأة وانحنى إلى الأمام وسألني :

ــ ماذا تقصد ؟ انني لا افهم . أنت تتكلم بالأحاجي يا دكتور .

وقد شجعتني ولا شك فوهة البندقية المصوبة الى صدري فبدأ دماغي يشتغل بأقصى سرعته .

فقلت له بهدوء وثبات : يا حجي ناصر قصدي ... انك لو تدفع أنت العشرة آلاف روبية وتسلم نفسك دون قيد او شرط ، فان ذلك سيرضي الحكومة ويقنعها ويستميلها الى الاصغاء لنصحتي . أما انا من جهتي فانني سأحاول حل قضيتك على الطريقة العشائرية ، فيذهب القسم الأكبر من المال دية لعائلة الشيخ

مزيان . والباقي يكون بمثابة غرامة للحكومة بعد القطاع الحشم منه المستحق في أثاث قتلت شيئاً تحت سلمي . اعمل بنصيحتي يا حجي ناصر وثق انني سأحصل لك على عفو من الحكومة لكي يتسنى لك العودة الى ارضك وقبيلتك .

ونظر إليّ نظرة امتزج فيها الشك بالأمل وسألني : كيف سأدفع المال ؟ وأنا لا املك قبل هذا المبلغ ؟

فأجبته : انت تعرف أين وكيف تجده . اذهب واجلبه لي وسألتقي بك عند الغروب بعد يومين عند البوابة الجنوبية من المدينة . ويجب ان تخفي وجهك بعناية وسأرافقك في هذا لأضمن مرورك بسلام بين الحراس. انها كلمة شرف ولن أخدعك .

وصمت حجي ناصر فترة الرتبه والدو وجهه بيّ وقال : والله ان الله كتب ذلك . سأكون عند البوابة يا دكسان بعد غد عند الغروب إن شاء الله ولكن قبل ان اذهب أحلف بوجهك انك ستحافظ على كلمتك .

فأكدت له ذلك بقولي : بوجهي يا حجي ناصر ثبيجي سأكون شاء الله بعد تسليم النصل والحشم على موجب قواعد عشائر .

ويبدو ان الحجي ناصر اقتنع بذلك فسأمار فرسه وانطلق ، دون ان ينبس ببنت شفة الى الجهة الشمالية الغربية .

وحافظ الحجي ناصر على كلمته فوافيته في البوابة الجنوبية عند الغروب بعد يومين ومر وسط المتهيجان الحراس واستغربهم ذاهبةثه الى منزلي رأساً . وهناك سلمني المبلغ المطلوب وكان معظمه اوراق نقدية من اصدار حكومة الهند . ما من رحصل شيئاً فسيجمل ذلك الغرأ . وكانت الأمن بلغ الحجي ناصر في منزلي الى ان تمكنت من عقد مجلس عشائري حضره جميع شيوخ قبيلة الحكام بإشراف قائمقام السعدون ولسيد عوده .

وهنا يجدر بي أن أعرفه صديقي قائمقام الزرقاء السيد عوده . انه يعيش في عزلة كالمناسك بالقرب من سوق الشيوخ بين قبيلة النواحي المغمرة . وكنت استخدمه كثيراً في حل النزاعات العشائرية التي تتطلب حلف اليمين لأن اهل

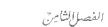
الناحية كانوا ينظرون إليه كأنه قديس او ولي بحيث انهم يعتقدون انه من يقسم يميناً كاذباً امـــام السيد عوده فإنه يتعرض لأن يصاب بمرض من الامراض او للاتلاف او لفساد محاصيله او موت ماشيته او أية مصيبة اخرى ، ليس فقط على الشخص الكاذب نفسه بل على افراد عائلته ايضاً . وكان السيد عوده بذلك نافعاً في أشد النفع .

وبمـا ان قضية الحجي ناصر كانت مهمة فقد قررت اللجنة ان أجمعها عدة . فأصربت على ان يدفع القتيل مضاعفاً لأقارب مزبان وان يدفع مبلغ مماثل الى كمشد . وما تبقى من العشرة آلاف روبية يذهب الى الحكومة كغرامة .

وقـــد ساهم علوة ناصر بك في قبائل الجزيرة التي تشكل قبيلة الحكام جزءاً منها ، كثيراً على وضع حل مرض لهذه القضية الشهيرة . ولن انسى ابداً الحض بالذكر المساعدة القيمة التي اسداها السيد عوده في هـذا الشأن . نعـم ان الحشم ومقداره ألفان وثلاثمائة روبية فقد انفقت قسماً كبيراً منه على مدرسة المنشأة وزعت الباقي على فقراء المنطقة ، ورضي الجميع .

وابلغت السير بيرسي كوكس بالامر في الوقت المناسب فأرسل إليّ برقية فيها بعض الملاحظات عن قبولي عشرة آلاف روبية تماماً لقضية الحجي ناصر ولكنه في النهاية وافق على الطريقة التي حلت بها القضية . وازداد بذلك نفوذي في المنطقة ، فالعالم دائماً يحب الرجل المنتصر وكان الحجي ناصر شريراً .

الفصل الثامن



١٩١٧ - ١٩١٨

نهار سد الباشية

واجهتني حالة صعبة أثناء موسم الفيضان سنة ١٩١٧ . فسوق الشيوخ تقع في وسط الدلتا التي يشكلها الفرات حيث يجري الى الناحية الغربية من بحيرة الحمر . وفوق المدينة وتحتها مباشرة يتقسم النهر الى قنوات الحكيكة وقناة ام النخل وقناة الزلق ، بينما تتفرع أربع أو خمس أقنية منه على الجانبين ، وبعد ان تروي مساحات شاسعة من الأرض تجد طريقها الى بحيرة الحمار عن طريق المستنقعات . واكبر هذه الأقنية الجانبية تدعى قناة الباشية . وفي الوقت الذي كتبت فيه هذا الكلام كانت هذه القناة تتسع يوماً بعد يوم لانها تتفرع من النهر وسط منعطف واسع على شكل هلال . وقد تصبح في يوم من الأيام المجرى الرئيسي للفرات .

لم تكن لدينا دائرة للري في ذلك الوقت وكانت القبائل تعمل ما تشاء بالنسبة لاقامة السدود في الأماكن المناسبة لري أراضيها . وخطة القبائل هي جني موسمين من الارض : موسم قمح أو شعير وموسم أرز . أما الموسم الأول فيزرع

في الخريف ويحدث في أيار حيث يرتفع نهر الفرات بسبب ذوبان الثلوج في تركيا وتغطى الأرض التي كانت مزروعة قمحاً بالمـاء عن قصد وذلك لأجل زرعها بالأرز الذي يحتاج الى كثير من الماء من وقت زراعته الى وقت نضوجه .

ويعتبر موسم الأرز الموسم الأفضل والأغل وكانت طريقة القبائل كما يلي : يزرع القمح او الشعير اعتماداً على مياه الامطار . وعندما ينضج الزرع يروى بحر المياه انه في وقت يكون النهر في أقصى الفيضان . لذلك كانت تبذل الجهود في كل مكان ، أما بالتعاون أو بتنازع المصالح ، لبناء السدود عبر القنوات الكبيرة المتفرعة من المجرى الرئيسي ، وذلك لرفع مستوى المياه فيها ليصبح ري حقول القمح ممكناً بطريقة الجر .

ومع حصاد الموسم الاول يأتي الفيضان السنوي وتهدم معظم تلك السدود التخليف عن النهر الرئيسي . واذا لم يفعل ذلك فان مياه الفيضان لا تمنع زراعة الأرز فحسب ، بل تغرق القرى والأماكن المأهولة بين فيها .

والوقت بين حصاد المزارع الشتوية وموسم الفيضان ضيق ويمكن حسابه بدقة في السنوات العادية . ولكن هذه الحسابات تخطيء احياناً . فاذا تساقطت الثلوج على الجبال الشمالية البعيدة بكثرة وذابت بسرعة في وقت مبكر ، فان الفرات سيرتفع ، قبل حصاد القمح او الشعير ، الى موجة غير طبيعية . وتمنع السدود المقامة المياه من الانحدار الى بحيرة الحمار عبر القنوات المتفرعة فتتعرض بذلك الى الخطر جميع المساحات الشاسعة المزروعة . ويتأثر بذلك اكثر من غيرهم القبائل القريبة من بحيرة الحمار ويضطرون بالحاجة الى الانقضاء والقوت اكثر من أولئك الذين يعيشون قرب مدينة سوق الشيوخ حيث تعلو ضفاف الفرات .

ان الطريقة الوحيدة لانقاذ المحاصيل الزراعية في حالة طارئة كهذه هي فتح المجال للنهر ان يجري الى بحيرة الحمار بسرعة . ولتحقيق ذلك يتوجب هدم واحد أو أكثر من سدود القبائل . وهنا تنشأ المشكلة . فكل قبيلة لا تريد هدم سدودها وترغب ان ترى سدود جاراتها تهدم أولاً . ونتيجة لذلك في مثل هذه الظروف ، كانت القبائل تحاول هدم سدود بعضها البعض لاسيما وانها كانت

للحكومة المحلية مسيفة لو لا وجود لها كما كانت الحال في السنوات الخمس عشرة التي سبقت دخول الانكليز . وغالباً ما كانت يدفع ذلك بالقبائل الى الاقتتال ويكون النصر عادة حليف الأقوى .

وشهدت سنة ١٩٤٧ فيضاناً غير عادي . ففي نهاية شهر نيسان ارتفع الفرات الى درجة مخيفة . ولم يكن القمح قد نضج في كثير من المناطق ويحتاج الى ستة أسابيع بعد ، ولذلك كانت جميع السدود سليمة . وأسرع رجال القبائل وأصحاب البساتين من قريب ومن بعيد الى ضفاف النهر وبدأوا بتعلية الاتربة عليها على أمل انهم قد ينجحون في صد الماء من التدفق قبل قدوم الفيضان الرئيسي .

وكنت كل ساعة ألتقي في سوق الشيوخ طلباً باتخاذ اجراءات رسمية لصد المكارثة . فانا لم يتمكن شيء ولم استخدم منطق لمعز ذلك ان تحصيل المنطقة كلها ستتلف وستفرق معها مدينة سوق الشيوخ . أما نصائح مستشاري فكانت متناقضة . كل يبدي الرأي الذي يلائم اغراضه لأنهم جميعهم فيهم اصدقاء بين مختلف القبائل ووجدوا في ذلك فرصة لزيادة نفوذهم عن طريق اقناع الحاكم بهدم ذلك السد بدلاً من السد الذي قد تكون لهم فيه مصلحة . فوجدت اني سأتحمل اللوم مهما كانت النتيجة . وكان الوقت حرجاً وليس من يساعدني لمعالجة بأسرار أمور لها .

وظلت مياه النهر الصفراء المحملة بالاتربة ترتفع في داخلها سوق الشيوخ حتى أصبحت أعلى من الأرض المحيطة بهما بعشرة أقدام ، وبدأت تتدفق من فوق الحافة الترابية على الضفتين . وكان أي تصدع في أي مكان يعني اغراق المنطقة جميعها بالماء وتلف الحقول الزراعية . ومما زاد الامور سوءاً ظهور روح العشيرة المريرة بأجلى صورها . فتهديم اي سد من السد سينتج عنه اغراق مئات الأفدنة المزروعة بالقمح وراء السد وعلى جانبيه . ولذلك كان اصحاب السدود على استعداد ان يدافعوا عن سدودهم الى الرمق الاخير . وكان هنالك حراس مسلحون يقومون بحراسة هذه السدود في الليل والنهار ، وكان الرأي السائد هو : فليتحمل الجميع النكبة افضل من ان تتحملها قبيلة واحدة .

وكان علي ان افعل شيئاً حاسماً وبصورة سرية للغاية . وفي حالة من اليأس قررت هدم سد الجاشيه الكبير الذي يبعد من المدينة خمسة أميــال . وكنت أعرف انه ليس عليّ إلا فتح ثغرة صغيرة في اعلى الســد ، ومياه النهر المندفعة كفيلة بالباقي . اما المشكلة هي كيف استطيع القيــام بذلك وحراس مسلحون يحرسون السد . فركبت زورقي البخــاري ورحت استكشف المكان وعرجت على عدة سدود اخرى حتى لا ألفت إليّ الانظار ، فوجدت ان اربعة حراس فقط يقومون بحراسة سد الجاشيه وكلهم من الجهة الشرقية ولم تكن حراستهم يقظة .

وعدت الى سوق الشيوخ متفائلاً لأضع خطتي . وكنت على يقين انني إنما عرضت الفكرة على أصحاب شــد سيعارضون ويقاومون ولذلك صرفت النظر عن عبارة هدم السد بالقوة في وضح النهار وقررت اللجوء إلى خطط سرية تنفذ تحت جنح الظلام .

وفي الليل ركبت مشحوفاً مع محمد العايل واثنين من الشبانه واخذت معي معولاً ، واتجهنا إلى مدخل قناة الجاشيه من الجهة الغربية . وكان السد يبعد عن مدخل القناة حوالي ثلاثماية يارده . وكان الظلام شديداً عندما اسرعنا الى السد من الجهة الغربية للقناة ويبدو أن الحراس على الجهة الشرقية كانوا يغطون في النوم .

وتسلقت أنا ومحمد العايل الى ظهر السد الذي تبلغ سماكته ١٢ قدمــاً وبدأنا نحفر على طوله خندقاً عرضه قدمين . ولم يكن العمل صعباً وكان بالامكان حفر الخندق باليدين لأن تلك الســدود مصنوعة من الطين الجبول بالتبن . والعمــل الاصعب كان فتح الثغرة في القسم الاعلى من السد وهو القسم المصنوع من الطوب المشوي . ولذلك استخدمنا المعول بحذر دون ان نتمكن من الضرب بشدة لئلا يستيقظ الحراس على الصوت .

واستمرينا في العمل بصمت مــدة ساعة كاملة حتى لم يبق أمامنا إلا ثلاثة أقدام تقف في وجه ضغط الماء ، وعندما فتحنا فجوة عميقة في الســد حفرنا الاقدام

الثلاثة القبلية بسرعة البرق واسرعنا الى الشخوف ومررنا فيه بأقصى سرعة ممكنة الى نقطة تبعد مئة ياردة عن السد ووقفنا هناك نرقب النتيجة .

وسار كل شيء حسب الخطة المرسومة ، فبعد ان تدفقت الماء في الثغرة التي فتحناها حمنا هدير مياه نهر وهي تشق السد لتتقدم منه . وعرفنا عندئذ ان الخطة نجحت الا ان شيئا لن يستطيع منع المياه من شق السد وجرفه في طريقها، وعدنا الى المدينة قبل ان يشتد التيار الناتج عن تدفق المياه عبر السد الثلا نعجز عن التجديف .

وطرح الحراس الصوت ولكن بعد فوات الأوان . وسمعنا من بعد أصوات رجال القبيلة وصراخ النساء في القرية المجاورة وهم يحاولون عبثاً منع المياه المتدفقة .

ووصلنا الى المدينة في الساعة الثالثة صباحاً وهناك طلبت من محمد والرجلين ان يكتموا السر .

وأنقذت مدينة سوق الشيوخ من الغرق . ففي الصباح كانت مياه النهر قد انخفضت قدمين كاملين . وقد جاء الحجي حسن حداوي باكراً في الصباح ليبلغني ان سد الجاشية قد تصدع أثناء الليل وجرفته المياه ، وقال : انه لطف الله ... رحمة الله هي التي قررت اي سد يجب ان ينهار .. شكراً لله .

وكنت لا أزال في فراشي في ذلك الوقت اطالب النعاس وبعد قليل نهضت لأستقبل وجهاء المدينة وأتقبل منهم التهاني والاخبار مع قهوة الصباح في الجلس .

وظل الأمر سراً . فلم يعرف احد الدور الذي قمت به في تهديم السد حتى بعد ان غادرت مدينة السوق . وظل رجال الشبانة الثلاثة عند كلامهم فكتموا السر أيضاً . ومع اني بذلك انقذت المدينة وعدة آلاف من الافدنة المزروعة قمحاً على مسافة عشرات الأميال من الضفة اليمنى للفرات ، فقد غرقت كل المنطقة الواقعة وراء سد الجاشية على الضفة اليسرى من النهر وتلفت المزروعات فيها حتى بحيرة الحمار . ولم استطع تقدير الاضرار التي نجمت عن ذلك ولكن مما لا شك فيه انها كانت جسيمة للغاية . ولم أحاول ان احصل على تعويض عن ذلك من

الحكومة لانها سابقة لم يكن قد سمع بها أحد في تلك المنطقة .

وكرهت نفسي مدة من الزمن لأنني قمت بذلك الدور ولم أقدر ان انسى أولئك المساكين الذين حل بهم الدمـــار والخراب نتيجة لذلك العمل. ولكنني اضطررت الى التضحية بالاقليــة لأنقذ الاكثرية . فهل هذا مبرر ؟ القبائل تقول « لا » حتماً !

وتلقى مساعدو الضباط السياسيين على الفرات، بما فيهم أنا ، دعوة الى العشاء ليلة عيد الميلاد سنة ١٩١٧ من الميجر ديتج (توفي سنة ١٩٥٠) مساعد الضابط السياسي في الناصرية .

وحتى ذلك الوقت كان كل منا يحكم منطقة منفصلة ويتعامل مباشرة مع السير بيرسي كوكس في البصرة . ولكن الميجر ديتج كان طموحاً ، فأبلغنا ، بعد ان تناولنا طعاماً شهياً وشربنا كثيراً من الشمبانيا ، انه من أجل ان تكون الادارة أكثر فعالية ومن أجل الضرورات المـــالية ، سيقترح على السير بيرسي كوكس تعيينه (أي الميجر ديتج) ضابطاً سياسياً على الفرات وان نكون نحن تابعين له . فرحبنا بالفكرة دون أن نفهم ما وراءها ودون ان نهتم بمعرفة أبعادها وقد طغى علينا لسان مضيفنا الناعم وسخاؤه المنقطع النظير .

وإنصافاً للميجر ديتج أقول انه في زمن الأتراك كانت الناصرية هي المركز الاداري لواء المنتفق كله . وليس امراً سيئاً ان نحذو حـــذو الأتراك في مثل هذه القضايا لأنهم كانوا دائماً يحاولون ضم جميع القبائل التي تشكل اتحاداً واحداً، تحت إدارة واحدة . ولم يكن الخطأ في طريقة الأتراك نفسها ، بل في اساليب الموظفين الذين كانوا يتولون شؤون الادارة .

وكانت القيادة العامة للفرات في الناصرية . وربما كان الميجر ديتج قد فكر ، وليس بدون أسباب موجبة ، انه من الاسهل إدارة منطقة سيئة منفصلة تماماً عن البصرة ، من المكان الذي توجد فيه القيادة العامة لا سيما وان تلك القيادة كانت مسؤولة عن المنطقة كلها رغم خطوط المواصلات حتى القرنة .

ولم نكن بعد حفلة عيد الميلاد الماضية أن الميجر ديتج كان جاداً في الموضوع

او انه سيقوم فعلاً بتنفيذ اقتراحه الى السير بيرسي بصورة رسمية . ولكنه فعل ودفعنا نحن الثمن .

وغضب السير بيرسي عندما تلقى الاقتراح وبعد اسبوع امر بنقلنا جميعاً . وكنا ستة بما في ذلك الميجر يونغ الذي نقل مكاني الى سوق الشيوخ . وتلقيت برقية من السير بيرسي يبلغني فيها دون إعطاء الأسباب انه قرر اعادتي الى الجيش وامرني بالالتحاق بدائرة المشتريات في العمارة . وكنت أحب عملي في سوق الشيوخ والناس الذين كنت اتعامل معهم ولكنني لم أكف عن التفكير بأنني اعتبرت غير كفوء وغير جدير بتحمل المسؤوليات . ولم أعرف حقيقة ما حدث إلا عندما وصل الميجر يونغ الى سوق الشيوخ وكيف ان تصرفه الأحمق سبب كل هذه المشاكل وهدم كل ما بنيته طيلة السنوات الماضية . وقد نقل الميجر يونغ لأنه هدم مستقبلي في الدائرة السياسية .

ولكن الأوامر هي الأوامر . فبعد ان سلمت الدائرة ، وأنا منكسر القلب ، الى الميجر يونغ ، جمعت حوائجي وحملتها الى زورق صغير وودعت جميع الشيوخ وسرت في طريقي الى البصرة حيث كان علي ان أبيت ويومين قبل الانتقال الى العمارة .

واستغرقت رحلتي الى البصرة خمسة أيام اذ اعاقت سيري في بحيرة الحمار الامطار الغزيرة والرياح الشديدة ، فبقي زورقي غارقاً في الوحل يومين وبلدان خارج قناة المزلق . ولم يستطع صديقي سالم المزلان شيخ الجوازر الذين يقطنون على ضفتي المزلق ، ان يحركني خطوة واحدة من مكاني بكل ما لديه من خيول ورجال . ولم أستطع الانطلاق الا عندما هبت ريح جنوبية فارتفعت مياه البحيرة قليلاً .

وفور وصولي الى البصرة توجهت الى الدائرة السياسية لاثبات الوجود وتلقي الاوامر . ولشد ما كانت دهشتي عندما وجدت هناك جميع شيوخ سوق الشيوخ تقريباً وقد جلسوا في باحة مبنى الدائرة السياسية ومعهم امتعتهم . ولقد تضايقت من ذلك لانني سألتهم بأي ديرت الأمر . والحقيقة ان هؤلاء سيلوني الى

البصرة دون ان يخبروني . وقد جاء بعضهم على الخيل وبعضهم الآخر بالمشاحيف عن طريق ام نخلة والفبيشة ، اي مسافة مئة ميل تقريباً . وكان عددهم حوالي ٥٠ شيخاً بينهم ثمر بك وعجيل بك ويوسف بك وعبدالعزيز الراشد و وكلهم من عائلة السعدون ، وجميع شيوخ بني سعيد والحجرة تقريباً وشيخ قاسم الناصر .

وكانوا يجتمعون كلهم في الباحة عندما دخلت فيرهارد لتحيتي ، منهم من صافحني بالأيدي ومنهم من قبلني على الوجنتين . وعندما سألتهم عن سبب قدومهم ، أجاب قاسم نيابة عنهم انهم أتوا ليرجعوني الى سوق الشيوخ وقال : ان شاالله كوكس ما يقصر . ويقصد بذلك انهم يأملون ان لا يخيب كوكس ظنهم .

وتركتهم وذهبت الى مكتب سير برسي بل فبقيت الشيوخ انه في اليوم السابق وقدموا عريضة تطالب باعادتي ، كما انهم رفضوا العودة او الخروج من الدائرة السياسية إلا اذا حصلوا على جواب مرضٍ . ولم تكن في العريضة ابداً حجة ، وقصت عشتاً كل محاولات الحليم من الانتقال الى قدر مساعي العشرة من مناصبها .

وأخبرتني الآنسة بل ان السير برسي يعتقد انني وراء كل ما حدث ويعتقد انني انا الذي دبرت كل شيء ولذلك طلب ان اقابله فوراً وسوية .

ووجدت السير برسي بأسوأ حالاته ، فسألني بجدية عما اذا كنت قد دفعت جميع شيوخ السوق للقدوم الى البصرة دون استشارته ، وأمرني بإعادتهم من حيث أتوا فوراً ، رافضاً ان يقابلهم او مناقشتهم حول العريضة التي قدموها ، وأنه من الافضل ان اطيع الاوامر .

وعندما تمكنت من الكلام اقسمت له بشرفي انني لم أحث العرب بقدومهم وانني فوجئت على الطريق ، وأبلغته انني سلمت أخفي الى البيير يوم الذي كان من واجبه ان يمنع الشيوخ من المجيء الى البصرة . وقلت له انني جندي مخلص وأعرف كيف اطيع الاوامر ، ولكنني أود ان اعرف اي خطأ ارتكبته أو ذنب جنيته في سوق الشيوخ استدعى نقلي بهذه السرعة من الدائرة السياسية الى الجيش بدون اي تفسير ، وأنه يجب ان يعرف ان هذا العمل قد يقضي على جميع

آمالي ومطامحي . وأخيراً توسلت اليه ان لا يصب غضبه على الشيوخ لأنهم قوم طيبون ويسيرون على سجيتهم ، وأن تصرفهم هــذا ناتج عن جهلهم لعادات البريطانيين وعن شعورهم بالولاء والاخلاص لي ، وطلبت منه أن يقابلهم ويستمع الى ما سيقولونه .

وأخيراً اقتنع السير بيرسي وأمرني أن أدعو الشيوخ اليه وان اطلب اعداد القهوة لهم . ودخل الشيوخ جميعهم الى الغرفــة وقدمت كراسي للشيوخ آل السعدون بينما جلس الباقون على الأرض يحتسون القهوة التي قدمت لهم على الفور.

وكان موقفي صعباً اذ انني كنت سأقوم بالترجمــة والنقل وحينما نظر السير بيرسي الذي كان لا يزال متوتراً . وعندمــا بدأت الامور تتعقد نهض فهد الشمسي فجأة ، والدموع تتساقط على خديه وخلع كوفيته وعقاله وتدلى نحو السير بيرسي وطوق بيديه عنقه وقال له: نحن داخلين على الله وعليك . اعصبنا دكسان.

وكان منظراً غريباً ان يشاهد المرء كبير الضباط السياسيين في العراق وقد تجمع حوله عدد من رجال القبائل يطوقون بكوفياتهم رأسه ويديه وحتى رجليه، وانكسر الجليد وبدأ السير بيرسي يضحك وهو يحــاول التخلص من تمسكهم واستنجد بي . وبعد جهــد ليس بقليل اقنعت قاصد و الآخرين ان يعودوا فيجلسوا في أمــاكنهم . كان منظراً مضحكاً بالفعل ولكن علامات الأمل والاستبشار كانت بادية على الوجوه .

وطلب السير بيرسي ان تحضر القهوة والسجاير وأبلغ الجميع بأنه سيفكر بالأمر وانه مستعد للنظر بعطف على عريضتهم وسيعمل جهده لتحقيق رغباتهم ولكن هنالك بعض الصعوبات . وطلب منهم ان يذهبوا الى الشيخة ويعودوا في اليوم الثاني ليجتمع بهم ويعطيهم الجواب . وعندما رأى السير بيرسي الأسف في نظراتهم قال لهم انه يأمل ان يكون الجواب حسب خاطرهم .

وانتهت المقابلة وكلفت ان ابعد الشيوخ عن باحة الدائرة ففعلت وعدت الى مكتب السير بيرسي فواجهني بنظرة تأمل وقال : الى هنا كل شيء على ما يرام يا ديكسون ولكن كيف سأتراجع عن أوامري الى يونغ ؟ إنه الآن مسؤول عن

سوق الشيوخ .

فأجبت ثم بكياسة بأني أعرف أن يونغ يكره فكرة البقاء في سوق الشيوخ وأعتقد أنه يقبل أن يبادلني المنصب فيأتي هو الى دائرة الشؤون في العمارة وأعود أنا الى سوق الشيوخ .

وصمت جداً ، ثم قال السير بيرسي : « إذا كنت تستطيع أن تنهي الموضوع بهذا الشكل فسأصدر أمراً بالتبادل بينكما . ولكن عليك أنت أن تتفق مع يونغ ، لأني لا أقبل أن اتراجع عن أوامري . لقد أبلغت قائد الجيش بها » .

واستأذنني دقيقة واخذ ورقة وكتب عليها شيئاً ثم سلمها إليّ قائلاً : أظن أن هذه ستسوي الأمور .

وكانت تلك الورقة مسودة برقية الى يونغ مكتوبة على لساني تقول انني قد وصلت الى البصرة وقابلت كبير الضباط السياسيين ، وانني أعتقد انه [illegible] طيبة لذلك سينظر السير بيرسي بعين العطف إذا تقدم بطلب لتبادل المناصب معي ، وتتطلب البرقية في النهاية جواباً على جناح السرعة .

وفي اليوم التالي عندما اجتمع الشيوخ في غرفة السير بيرسي ليستمعوا الى قراره ، أبرز لي السير بيرسي برقية كتب عليها « مستعجل » ، وهي تلك فيها الميجر يونغ السماح له بالانتقال الى دائرة الشؤون في المعقل مكان ديكسون الذي فهم انه يرغب في العودة الى سوق الشيوخ . وأعطاني السير بيرسي ايضاً جوابه بالموافقة لأقرأه .

وابتسم السير بيرسي والتفت نحو الشيوخ وبعد أن سأل عن صحتهم وعما إذا كانوا قد قضوا ليلة مريحة في فنادق البصرة ، أبلغهم انه فكر ملياً في طلبهم المتعلق بالكابتن ديكسون وقرر إعادته الى سوق الشيوخ . ولا يمكنني وصف الحماس الذي استقبل الشيوخ به القرار .

لقد كان السير بيرسي زكريا كوكس رجلاً عظيماً . ومن السهل ان يفهم المرء أسباب تمتعه بشعبية كبيرة بين أهل العراق ، والاحترام الكبير الذي لا يزالون يكنونه له حتى اليوم . وستمر سنوات كثيرة قبل أن يمحى اسمه من

أيضاً هؤلاء أناس .

وكانت تعرفني الى سوق الشيوخ مصراً لا ينتهي . وحاولت ان تتميز بالهدوء وعدم التشاجر ولكن ذلك لم يكن يدوم . فقد كانت تلك ربما عصبية من قاصد النواحي .

وبقيت في سوق الشيوخ بعد ذلك مدة وجدة أصبحت بمنعها سلطاً مصابيح على كل المنطق وكان مقري الرئيسي في الناصرية على بعد ٢٠ ميلاً تقريباً من سوق الشيوخ .

حسين القبيح والبرج الحربي

حسين القبيح رجل مسن وهو شيخ الجوارين . والجوارين قوم شبه رحل من رعــاة الأغنام في منطقة سوق الشيوخ يقيمون في الصيف بجوار [illegible] البطائح ويتوجهون في فصل الخريف الى الصحراء الممتدة بين العراق والكويت حيث يقيمون لمدة ستة أشهر . وهم عرب أقحاح يفخرون دائماً بأنهم من فرع أجود في المنطق ، ولكنهم كانوا فقراء . وكان حسين القبيح يزرع بعض الأرض عندما ثامر بك السعدون بين البطوش وصفية السوق . ومع أنسه محب للناس ، لكنه كان شرس الطبع ولم يكن يتورع عن اغتصاب حلال غيره إذا سنحت له الفرصة ووجد في ذلك فائدة له . اما أتباعه فكانوا متعصبين جداً .

وفي يوم من أيام صيف سنة ١٩١٨ جاء ثامر بك مسرعاً ليخبرني وهو الكردي اللاأحد . وشكا لي وهو مــنفعل متوتر ان حسين القبيح استولى على أحد الابراج الحربية التي تحمي ارضه . ويشرف هذا البرج على مساحة من الأرض كان قد زرعها حسين أرزاً لحساب ثامر بك .

ورفض حسين ان يخلي المنزل واكد نواياه واصراره على أن يبقى ساكناً الأرض لا قبل غيره في الأيام الأولى حيث لم يكن احسبه بأمر في تلك المناطق . وجواباً على احتجاجات ثامر بك أعلن حسين انه في خدمة [illegible] وأنه رجل ثامر الذي قصد الاقدام بأنه لا يعترف الى ثامر بك وانه [illegible]

على حكومة الانكليز ، وانه يتحدى أي شخص ان يزحزحه من مكانه ، او يجبره على اخلاء المكان .

واعترف انه عندما كنت أسمع تامر بك وهو يصب غضبه على شركائه السابقين ، كانت مشاعري نحو عمي حسين طيبة ، لأن تامر وضع يده على الارض التي لم تكن ملكه في فترة الفوضى بين مغادرة الاتراك وقدوم الانكليز . وأجلت اهتمامي تامر بك واطيب خاطره الا احد وعدا ان أفعل كل ما استطيع .

ويبعد المشول عليه ثلاثة أميال فقط عن مدينة الدوق على الطريق الى الحبشية ، ويمكن رؤيته بالعين المجردة من سطح منزلي .

وأرسلت في طلب حسين الشيخ رحيا ليحضر الى مكتبي في الوقت المحدد . وكان في حوالي الستين من العمر رث الثياب ، وقسمات لفحته الشمس وتقاطيع الشرر من عينيه . ويبدو انه لا يستعمل حذاء قط في حياته ، فكانت قدماه شبه بقصص حقل . ويدل ذلك على انه رجل من الصحراء قضى كل شيء قضى معظم حياته يسير حافياً على الرمال الساخنة .

وكان يضحك ضحكة فيها الكثير من التمرد لم اقدر إلا ان احبه . وقال ان والده من قبله كان يزرع الارض التي استولى عليها ، وان تامر بك حاول ان يطرده ويعطي الارض الى شريك آخر . ونظراً لوجود مسألة حرب فإن الكثيرين يسيطرون على املاك ليست لهم ، ولذلك فكر حسين أن الفرصة مواتية ليحفظ حقوقه . وبما ان المشول كان يشرف على كل الارض التي يزرعها لذلك كان لا بد من الاستيلاء عليه لتأمين حمايته .

وبعد ان أصغيت الى كل ما قاله حسين ذكرته بهدوء أن هنالك حكومة لها سلطة أمثلها انا ، وانه من واجبي ان امنع الافراد من أخذ حقوقهم بأيديهم ، وعليه ، يجب ان يخلي المشول بدون تأخير ويقدم بعدها الى محكمتي أية شكوى ضد تامر بك .

وبغمزة خبيثة من طرف عينه شكرني حسين لنصيحتي ووعدني ان يفعل كما

طلبت منه ، ولكنه طلب مهلة ثلاثة أيام ليقنع رجال قبيلته بالأمر .

وبعد أن تركني حسين أوضحت أن القضية قد حلت . وبعد ثلاثة أيام تلقيت من حسين رسالة شديدة اللهجة يقول فيها انه رجاله لم يوافقوا على قراري ، ويقول أيضاً انه نظراً لافتقاده التنظيم عموماً فانه لم يستطع أن يفرض سيطرته عليهم ، ولذلك ، فاذا كان بإمكاني أن أبت في هيئة الحكومة وسلطتها ، فإن الجوازين سيأتون القتول ، دون شك ، بدون أية مشاكل . واقترح في رسالة شفهية أن أسير على رأس جنودي ومدافعي الثقيلة وأهدد قبيلته بنسف البرج ، وبعد ذلك يستتب الأمن . وكان الثعلب العجوز يعرف جيداً انه ليس لدي جنود ولا مدافع، مما يعني انه سيظل مسئولاً عن المكان الى الوقت الذي أتمكن فيه من عمل شيء .

وفي تلك الأثناء جاءني أمر بك ثانية وسألني عما أنوي عمله ، وأكد لي أنه في اليوم السابق أطلق النار على رجاله من المقتول وقتل اثنين منهم . وقال انه ما لم اتخذ موقفاً حازماً لإثبات سلطتي فان الأمور ستسير من سيء الى أسوأ ، وان جميع سكان المنطقة يقيمون الأحداث بأعينهم وسيعتقدون انه ليست هناك حكومة تدعمني ، الأمر الذي سيشجعهم على الاقتداء بحسين والجوازين .

ووضعني الحاج أمر في موضع حرج يستوجب التفكير الشديد . فقد جعل من القضية امتحاناً لي وأراد ان يدفعني لعمل غير مأمون العواقب حسبما اقتضاه استراتيجي وحدي . فقد كان بإمكانه الانتظار الى وقت تكون فيه الظروف أكثر ملاءمة . إذ انه كان من الواضح انني لا استطيع ان افعل شيئاً بدون مدفعية ضد برج محصن مؤلف من ثلاث طبقات . فاذا حاولت حصاره فلن ينتج عن ذلك إلا تعرض رجال الشبانة الذين سيقومون بالمهمة الى الهجوم من الخارج . وفي الوقت نفسه لا استطيع ان أتراجع لأنني لا استطيع الحصول على قوات من التامرية في الوقت الذي كانت فيه تلك القوات تعمل على مراقبة قبائل الشرف باتجاه شطرا .

وحاولت ثانية فكتبت الى حسين القبيح طالباً اليه الحضور لمراجعتي

فرفض مدعياً ان حياته لا يسمحون له بزيارتي فلا انتقم منه واسجنه . وكانت تلك حجة واهية لأن جميع سكان المنطقة يعرفون تماماً ان أحداً من الجزائرين لا يتجرأ على الانتقاص من سلطة حسين في القبيلة لكونــه في الواقـع من اقوى شخصيات المنطقة .

وكتبت رسالة أخرى وأرسلت الحجي حسن حمدان يقنع الرجـل العجوز بان يثوب الى رشده ويأتي عليه الأمان وحظ وتحت الحكومة في بحث القضية ، ولكن دون جدوى . وعــاد الحجي حسن ليبلغني ان حسين كان في اشرس طباعه ورفض كل حجة ، وانه ، أي الحجي حسن ، تعرض لخاطر كثيرة في أرض الجزائرين وكاد يلاقي حتفه .

وبذلك تطورت القضية فاصبحت امتحاناً عسيراً من اشد ما قــد يتعرض له انسان . وكنت في حيرة من امري احاول بتصاً ان اجــد مخرجاً للقضية . وجدوني الحل من التجربة المتكية في دجلة والفرات على غير موعد كالعادة . ففي رحلة مثاني ومتاعي ورت سفينتان مسلحتان بالمدافـــع كانتا متجهتين من الناصرية الى البصرة ورستا بالقرب من مضيفي في مدينة السوق ومدافعها القوية تصعد زفرات القوة والعزم .

ولمست ورقتي الأخيرة فأرسلت كتاباً مستعجلاً الى حسين الشيخ قلت فيه ان الحكومة أرسلت سفناً حربية الى سلطتي وان رجاله ورجـــه الحربي سيتعرضون للقصف في مدة قصيرة . وأبلغته ان الحكومة ، رفقاً منها ، ستعطيه فرصة أخيرة فاذا حضر خـلال أربع ساعات واعلن تسليم البرج فعلاً ، وأعلن خضوع رجاله ايضاً لسلطة الحكومة ، فان السفن ستسحب نيرانها عنهم .

اني أشك فيما اذا كانت السفينتان قادرتين على القصف في مثل ذلـك المدى البعيد . ولكن خدعتي ، على كل حال ، نجحت . فبعد ثــلاث ساعات فقط ارتمى حسين على اقدامي طالباً الرحمة . وعندما وقع نظره عـــلي لف كوفيته حول عنقي طالباً الأمان والغفران وقال : يكفي .. يكفي .. لقد اثبتت ان هنالك حكومة في هذه البلاد .. لقد اقتنعت .

وابلغني حسين ان رجاله قد أخلوا القشوق وطلب مني أرسل رجال الشبانه لاستلامه ، ففعلت . واحتل رجالي الشجعان المكان خلال ساعة بينما بقي حسين في مكتبي تحت الحراسة .

وانتهى كل شيء . ولكن الطريف في الموضوع هو ان مقر صاحب الجلالة لم تعرف شيئاً عما حدث . وقد ابلغت قائدي السفينتين بالخدمة الجليلة التي اسدياها لي عن غير قصد أو معرفة ، عندما كانا يهمان بمغادرة سوق الشيوخ بعد حفلة الغداء العامرة التي اقمتها على شرفيهما .

اما حسين الشيخ فقد اطلق سراحه بعد ان قبل يد الأمير بك في مجلس عام وطلب منه الصفح ، وبعد ان انذرته بأن لا يعود الى سوء السلوك . وقد زارني بعد ذلك عدة مرات وأصبح أحد أخلص أصدقائي عندما انتقلت الى الناصرية . وتوفي حسين بعد ثماني سنوات وخلفه ابنه ناصر في رئاسة قبيلة الجوارين . وثبت ناصر انه عضو عتيد في المجتمع القبلي أيام الحكومة العربية بقيادة فيصل . وكان يزورني في الكويت كلما انتقل رعاة المنتفق الى هناك في الخريف .

حرز ميرزا عنايه

ميرزا عنايه رجل متدين من الفقهاء الشيعة كان يعيش بين قناة أم النخلة وقناة المزلق . وكان يتمتع بنفوذ كبير بين قبائل الحسن والغرابر وبني سعيد وغيرهم ممن يدينون بمذهب الاخبارية وهم أقلية الأمر فيهم . القسم الأكبر من الشيعة وهم الاصولية . ويقطن ميرزا مع اثني عشر آخرين من العلماء على مرتفع من الارض بين القناتين المذكورتين وبعيداً عنهما ، حيث كانوا يؤلفون مستوطنة قبلية يلجأ اليها كثيرون طلباً للنصح فيما يتعلق بقضايا الشريعة .

وقد ساعدني ميرزا عنايه في حل عدد غير قليل من القضايا المشترية المعقدة في كثير من الاحيان تتعلق بالنزاع على الحدود ، والطلاق ، والارث وما شابه ذلك . وكان اتصالي به عن طريق المراسلة .

ولم اطلب منه أن يزورني لأن مثل هذه الزيارة يقوم بها عالم ديني كبير

ضابط سياسي أجنبي تمنى فقدان هيبته وجلاله في أعين أتباعه .

وفي خريف سنة ١٩١٨ قررت أن أتوجه لزيارة ميرزا عنايه، لأنني كنت بأمس الحاجة إليه لتلقي تجاوبي في قضية هامة . فقد قررت الحكومة شق قناة للملاحة عبر بحيرة الحمار وعبر مساحة من الأرض تقع الى جنوب المزارق . وكانت هذه القناة ستتصل بالفرات بالقرب من قرية بني سعيد على بعد مسافة قصيرة من المكان الذي يقيم فيه ميرزا عنايه أي حيث تنفصل أم النخلة عن المزارق .

وقد أقلق هذا المشروع قبائل الجوابر وبني سعيد والحسن ظناً منهم ان قناة عميقة كهذه تجر معظم مياه النهر وتجفف أم النخلة والمزارق مما يجعل زراعة الأرز في أراضيهم غير ممكنة . ولم يكونوا يريدون قناة الملاحة هناك لأنهم يعتقدون ان قناة مفتوحة دائمة تمنعهم من إقامة السدود المؤقتة عبر أم النخلة والمزارق لرفع مستوى المياه وتسهيل عملية زراعة الأرز . وفي رأيهم ان عملاً «طائشاً» كهذا تقوم به الحكومة يعتبر انتهاكاً لأساليبهم وطرائقهم التي درجوا عليها منذ أقدم الأزمان .

ونتيجة لذلك انتشرت الشائعات والهمس واللغط وعقدت اجتماعات معادية يومياً في دار ميرزا عنايه . ومما زاد الأمور تعقيداً أن مراقبة حكومية أنهت شق القناة في بحيرة الحمار وانتقلت لتشق الأرض في منطقة قبيلة الجوابر باتجاه قرية بني سعيد . وأخذت العرائض والاحتجاجات تنهال عليّ يومياً في سوق الشيوخ قدمتها بعثات غاضبة من رجال الاهوار . فخشيت انتشار هذا القلق والقلاقل الى اضطرابات وما ينتج عنها من مضاعفات؟ فظروف الايام بمثل ما . وأشد ما كان يقلقني ان يتحرك المهووسون من رجال القبائل فيطلقوا النار على عمال وموظفي الحراقة إظهاراً لعدم موافقتهم على العمل .

وكان من البديهي ان ينظر ميرزا عنايه بعين العطف الى وجهة نظر القبائل . وكان من الواضح ان الطريقة الوحيدة لاستعادة الثقة ومنع نشوء وضع خطير في المنطقة هي إقناع ميرزا ان القناة الجديدة من شأنها ان تسهل انتقال المراكب عبر بحيرة الحمار الى سوق الشيوخ والناصرية، ولا يمكن إقامة سدود مؤقتة عليها عندما

تأتي مواسم زراعة الأرز كل سنة .

وكتبت الى ميرزا عنايه طالباً مقابلته في يوم محدد ، فرد بأنه دعاني الى الغداء . ووجدته رجلاً ذكياً متقدماً في السن ويتمتع بشخصية مهيبة . ولبدا لي انه ذو عقل راجح وذو نفوذ كبير بين السكان المحليين . فشعرت انه بهذا النفوذ الكبير الى جانب الحكومة بصورة دائمة في منطقة من الاهوار لم تعرف الانضباط ، يساعدني كثيراً في العمل . فحاولت جهدي ان أكسب صداقته وثقته .

وشرحت له في حديث طويل قبل الغداء وجهة نظر الحكومة وسبب إقدامها على شق هذا النهر الثاني . وأكدت له الحاكم انه ليس لدى الحكومة أي اعتراض على إقامة سد لحصر الماء في موسم زراعة الأرز بشرط ان يزال السد بعد انتهاء الحاجة إليه . وفي تلك الفترة يتحول سير السفن الى طريق المزلق القديم الى ان يعاد فتح القناة . واقتنع ميرزا بوجهة نظري وأخبرني انه سيستعمل نفوذه لدى القبائل لإقناعهم ووعدني بأن كل شيء سيجري حسب الأصول . وكنت أعرف تماماً انه سيظل عند كلامه .

وقعدنا بعد ذلك على مائدة الغداء ، وكان مزيجاً فاخراً من الطعام العربي والفارسي ، لأن ميرزا عنايه ايراني الأصل ، كما يستدل من اسمه .

وبعد الغداء ، وأحاديث المجاملة ، نهضت لأودعه ولكنه استوقفني وربط حول ذراعي حرزاً هو عبارة عن اسطوانة فضية صغيرة طولها بوصتان ، قال انها تضم كتابات من القرآن الكريم كتبها بنفسه ، وانها تجعل من المستحيل على حاملها ان يتعرض للأذى أثناء سفره في النهر او في البحر .

ومما لا شك فيه انه عرف بالكمين الذي نصب لي في النهر سنة ١٩١٦ عندما أنقذ قاصد النساجي حياتي ، فأراد بدافع من عطفه ان يؤمن سلامة الضابط السياسي من وحشية القبائل في المستقبل .

وشكرته على حفاوته واهتمامه وأقلعت بزورقي عائداً الى المدينة حاملاً الحرز ، مما ادخل السرور الى نفوس اتباع ميرزا ورجال القبائل الذين تجمعوا

على ضفاف النهر الرمادي .

وبعد شهرين بالضبط قررت زيارة قناة بني سعيد التي انتهى العمل فيها والتحدث الى المسؤول عن الجرافة قبل ان يغادر الى البصرة . وكانت الجرافة راسية على الجهة اليمنى من القناة عند نهاية بحيرة الحمار ، وكان القائد ينتظرني .

كان الطقس بارداً عندما أقلعت بزورقي في الصباح الباكر ، وكنت مرتدياً سترة من جلد الخروف التي لم أنس ان أشير في جيبها المرزر الذي أعطانيه ميرزا عنايه ، إذ كنت أحمله دائماً معي منذ اللحظة التي سلمه إليّ العالم الحكيم . وربما كان ذلك إيماناً مني فطرياً بالخرافات ، ولكن السبب الاهم هو انه يرضي البلغي من التعرب . حمله معي ولم أعره بعد ذلك أي انتباه .

وكان الزورق منطلقاً ويجلس البحارة في غرفة المحرك ، بينما احتفظت لنفسي بغرفة خاصة لها ذلك نافذة مربعة .

ولم أكد انهي فطوري حتى دخلنا قناة بني سعيد الجديدة ولاحظت ان التيار كان شديداً ما دفع الزورق الى السير بأقصى سرعته . وكنت أعرف اننا سنصل إلى الجرافة بعد دقائق معدودات .

وفجأة ، وبدون تخفيف السرعة ، انقلب الزورق بعنف . فقد ربط قائد الجرافة أسلاكاً عبر النهر على ارتفاع خمسة أقدام فوقه . ولم يشاهد سائق الزورق الجندي الأسلاك إلا عندما وصل إليها ، فاصطدم بها وانقلبت مائدة الطعام في غرفتي وتحطمت بشكل عنيف . فقفزت من مكاني وتحت الجرافة من النافذة . وفي تلك اللحظة انقلب زورقي الصغير والخسيد يتدحرج في النهر عبر الاسلاك . ووصلت الى النافذة بصعوبة ومنها خرجت الى النهر وامسكت بالاسلاك وبعد لحظة اختفى الزورق وبقيت معلقاً بالاسلاك نصفي في الماء والنصف الآخر في الهواء . ونظراً لشدة التيار كانت رجلاي تتأرجحان مع التيار في زاوية مقدارها ٤٥ درجة . وكان تمسكي بالاسلاك بيدي ، فقد أحسست أن يديّ تجمدتا وان جسمي أصبح ثقيلاً كالرصاص .

وبعد فترة قصيرة خلتها ساعات أنقذني بحارة الجرافة وانا على وشك الهلاك .

فقد بلغ مني الاعياء مبلغاً عظيماً بحيث انني كنت أسقط في النهر في اللحظة التي وصل البحارة لإنقاذي .

وبعد ان اعطيت جرعة من البراندي استعدت وعيي فسألت أول ما سألت عن زورقي فأبلغت انه غرق بسائقه وبحارته الاربعة وخادمي . فقد تدحرج الزورق وغرق كالحجر دون أن يعطي لبحارة الساكين فرصة للنجاة . ولم ينج من الغرق إلا قميصي وعليها شريط أبيض وشارات السباسية .

وقلق قائد المراقبة وأبدى انزعاجه من الحادث ، وقدر امر عودتي الى سوق الشيوخ في زورقه الخاص . وكان عذره انه ربط الاسلاك عبر القناة لأنه أراد ان يدير مكينته . وهو عمل لا يغتفر نظراً لكثرة الزوارق التي تسير في المنطقة .

وعلم ميرزا عناية بالحادث فأرسل بعد يومين ابنه ليستفسر عن صحتي . وأرسل لي معه كتاباً قصيراً يشكر فيه الله لأنني كنت أحمل حرزه في تلك اللحظة . ولكن كيف عرف انني كنت أحمل الحرز .. لست أدري ، لأنني لم أخبر أحداً بذلك .

ومنذ ذلك الوقت لم أعد اعتز بأي حرز او تعويذة يعطيها أي سيد .

في ربيع سنة ١٩٥٤ جاء ابن ميرزا عناية المذكور الى الكويت ليقابلني وطلب مني أن أحصل له من الحاكم على تبرع لإعادة بناء مسجد والده الذي لحقت به أضرار من جراء الفيضانات في تلك السنة . وقد تمكنت من الحصول له على مبلغ متواضع. وأخبرني حينذاك ان والده توفي قبل خمس عشرة سنة .

الفصل التاسع

الناصرية
١٩١٨ - ١٩١٩

عبدالله بك الفالح باشا السعدون يقدم خضوعه

انتقلت من سوق الشيوخ الى الناصرية في شتاء سنة ١٩١٨ بعد وقت قصير من ترتيب الهدنة . وقد أصبحت ضابطاً سياسياً على كل لواء المنتفق رمسؤولاً عن اللواء الشمالي الذي يحمل نفس الاسم . وخلفني في سوق الشيوخ الكابتن ديتشبورن .

والقصة التي سأرويها الآن بدأت عندما كنت لا ازال في سوق الشيوخ . فقد مضت أربع سنوات تقريباً من الحرب العالمية الأولى ولم يقبل عبدالله بك الفالح باشا السعدون ولا عجيمي بك السعدون وهما من زعماء شيوخ المنتفق ان يعلنا خضوعهما لبريطانيين . وكان عبدالله بك رئيساً على أهل الجزيرة بينما كان عجيمي بك رئيساً على أهل الشامية .

وكلا كلاهما يقفان الى جانب الاتراك . ولما تحولت وجهة الحرب واتضحت معالمها لغير صالح الاتراك أخذ عبدالله بك وعجيمي بك يفكران في تقرير مصا

اذا كنا سنساند البريطانيين أو ينحاز اليه الى الفرات مع فلول الجيش التركي ويتركان له تدبير امرها بعد ان تضع الحرب أوزارها. وكان الزيادان يملكان مساحات شاسعة من الأرض على الفرات وفي منطقة البصرة مما يعني ان تخليها عن الصراع واستسلامها للبريطانيين يرجح كفة الميزان. وقرر عجيمي بك ان يبقى الى جانب الاتراك وظل على موقفه الى نهاية الحرب. وبعد ان عقدت معاهدة مادروس في ٣٠ تشرين الأول سنة ١٩١٨، كافأه الاتراك بتعويض كبير ووهبوه اراضي في ماردين بتركيا.

اما عبدالله بك فكان متردداً بطبيعته وحاول التوصل الى اتفاق مع السير بيرسي كوكس. وجرت بينهما مراسلات سرية طلب فيها عبدالله اعطاءه ضمانات وغيرها. ولم يجلب له ذلك سوى الضرر لأن السير بيرسي فسد صبره ورفض استئناف الحوار معه. وأخيراً أبلغه السير بيرسي بصورة نهائية قطعية ان يستسلم دون قيد أو شرط او ان يذهب مع الاتراك الى غير رجعة.

ولم يناسب ذلك ما يصبو اليه عبدالله بك. فاختفى فترة يفكر في خطوته التالية موقناً ان البداية كانت سيئة لأنه اغضب السير بيرسي وقائد الجيش دون ان يحصل على شيء.

هكذا كان الوضع في كانون الثاني سنة ١٩١٩ بعد انتقالي الى الناصرية بوقت قصير وبعد ان احتليت شطرا بجركا سريعة قت بها على رأس اربعمائة جندي جمعتهم من السكان المحليين ومررت بهم عبر اراضي الازيرج وخفاجة وعبوده. ولم اكن في ذلك الوقت على علم بالمفاوضات السرية التي جرت بين عبدالله بك والسير بيرسي خلال السنة السابقة. وكان كل ما اعرفه هو ان عبدالله بك وعجيمي بك اختارا ان ينضما الى صفوف الاتراك، وهو أمر مؤسف، لأنه كان باستطاعتهما تحويل ولاء قبائل المنتفق التي كنت مسؤولاً عنها والتي كانت على استعداد لاثارة المشاكل في اية لحظة. ولكنني كنت اعرف انه ليست لي في الأمر حيلة.

وذات يوم فاجأني ضاري بك الفهد السعدون برسالة يقول فيها انه يريد

مقابلتي ليبحث قضية مهمة وانه يفضل ان تتم المقابلة ليلاً حتى لا يراه أحد .

وكان ضاري بك نموذجاً للدبلوماسيين من مدرسة السعدون القديمة . وكانت معرفته ببواطن الأمور خارقة . وكان يحلم بإحياء عائلة السعدون تحت رعاية الانكليز وإقامة دولة لآل السعدون بحماية بريطانيا على الفرات الأسفل ، على غرار دولة الكويت والبحرين ، وان يكون هو رئيسها او صاحب الثروة فيها . توافقت على طلبه لأنني كنت دائماً اشتاق الى أحاديث ضاري بك الممتعة للاطلاع الى معرفة رأيه في آخر التطورات السياسية والعسكرية .

وبعد الأحاديث والمقدمات التقليدية أبلغني ضاري بك ان عبدالله بك الذي هو أمل عائلة السعدون الشبيبي، في ضواحي الناصرية ويريد ان يبحث معي في مقابلة سرية أمر استسلامه . وقد أقلقت هذه المناقشة حماسة ضاري بك بحيث أخذ يشرح لي كيف أنها عملية من انه لانتزاع هـذا الزعيم من ايدي الأتراك ، وكيف انها ستكون هزيمة لهم ، ثم انـه إذا تم التسليم على يدي فكيف سأنال حظوة وشهرة وشرفاً عند السير بيرسي كوكس .

وأبديت لضاري بك عن سروري وانشباطي وترحيبي باستقبال عبدالله بك وأخبرته انه إذا كان قلقاً على سلامته فأنا على استعداد لان أعطيه الأمان لكي يتمكن من التجول . وقلت له أيضاً ان نصف ساعة من الكلام تساوي كل كتابة الرسائل في العالم ، وانني إذا استطعت اقناع عبدالله بك بالانضمام الى البريطانيين فيكون ذلك خير على خير . وفي الحقيقة ان عبدالله بـك لم يقاتل البريطانيين واكتفى من موالاته للاتراك بالوقوف عند طرف السياج .

وسر ضاري بك كثيراً ووعدني أن يأتي بعبدالله بك في تمام الساعة العاشرة من الليلة التالية ولكنه ألح عليّ ان يكون الاجتماع سرياً للغاية لكي لا يعلم به أحد حتى خدامي وموظفي . وكان ذلك سهلاً لأن جميع خدامي ينامون خارج منزلي باستثناء طباخ هندي . ولكن الأمر يمكن تدبيره بحيث انني أستطيع إدخال الزائر الى المنزل بنفسي . وقـد اتخذت جميع الاحتياطات لأمنع أي شخص من الاقتراب من المنزل وبلغ بي ذلك الى حد إلغاء تقديم القهوة للضيوف .

وفي مساء اليوم التالي وصل ضاري بك ومعه رجل طويل أخفى رأسه بدقة . فاستقبلتهما بنفسي واقتدتهما الى غرفة الاستقبال حيث قدم لي ضاري بك صاحبه عبدالله بك القالح إشا السعدون . وكان عبدالله بك عملاقاً يبلغ الطلعة ويبدو واضحاً على وجهه انه من أصل عريق ، وكل شيء فيه يدل على انه شيخ عظيم . وأخذت به على الفور فوجدت ان الطريقة التي يجب أن أتناوله بها هي اللعب على كبريائه وتفخيمه . أليس كل آل السعدون كذلك ؟ ولم لا ؟ أليسوا يدعون بأنهم من سلالة الرسول ؟ فمنذ قديم الزمان وهم لا يزوجون بناتهم إلا لأفراد قبيلتهم .

واتضحت عندما تبين لي أن عبدالله بك جاد في عرض استسلامه . ولكنه كان يخشى ان يرسله السير بيرسي ، بسبب حنقه عليه ، سجيناً الى الهند . وأبدى استعداده لدفع اي مبلغ كغرامة للحكومة إذا كان في ذلك تسهيل للأمور . وبعد مناقشة وجيزة وافقت على التوسط مع السير بيرسي كوكس بشرط ان يسمح لي عبدالله بك بارسال برقية الى بغداد أعلن فيها استسلامه دون قيد او شرط ، وانه مستعد لدفع مبلغ عشرة آلاف روبية كهدية لمستشفى الناصرية الذي تديره الدائرة السياسية ، تدليلاً على نواياه الحسنة . وعرضت ايضاً أن أختتم برقيتي بالقول ان عبدالله بك يأمل من كبير الضباط السياسيين أن يسمح له بالرجوع الى ممتلكاته ، إذ وعد انه سيحفظ هناك الى الراحة والهدوء .

وأيد ضاري بك اقتراحي واستطاع ان يقنع عبدالله بك بالموافقة على ارسال البرقية . أما بالنسبة للعشرة آلاف روبية فقد وعد عبدالله بك أن يرطب في الصباح مع ضاري بك في الوقت الذي أكون فيه قد رتبت الأمور مع السير بيرسي . وهكذا كان . فقد تلقيت العشرة آلاف روبية في الموعد المحدد ووافق السير بيرسي على قبولها كهدية للمستشفى ، ووافق أيضاً على اقتراحي بعودة عبدالله بك كبير شيوخ المنتفق الى ممتلكاته في كتيبان التي تبعد عدة أميال عن البصرة على الضفة اليسرى من شط العرب . فالسير بيرسي لم يكن ليرفض أي

اقتراح معقول ومنطقي .
انه من المدهش كم من الأشياء يستطيع ان يحققها سياسي مدبر حذر !

رجل الاهوار الشرير

رجل لم ترتبط بسلطة الحكومة البريطانية وهو يسمى الرميض شيخ قبيلة البو صالح المشهورة في الاهوار الى الشمال من بحيرة الحمار . وكان يبدو أشبه بشخصية اسطورية ، ويبلغ من العمر أكثر من ثمانين عاماً وعنده حوالي ٣٤ زوجة . و ستطاع هذا الرجل ان يكتسب لنفسه نفوذاً كبيراً في مساحة الاهوار الممتدة من بحيرة الحمار الى شطرا والعمارة . وتروى حكايات كثيرة عن شدة بأسه في الحروب وعن نزعته الاستقلالية وشخصيته الفذة التي تحدى بها الأتراك سنوات طوالاً قبل سنة ١٩١٤ .

ويقول رجال الاهوار ان ذلك أمر طبيعي إذ ان أحداً لا يستطيع الوصول إليه في الاهوار .

ويقال انه في مناسبات عديدة رده على مسامع بعض زائريه قوله : لم أعرف الأتراك في سياتي قط لا ولا الانكليز . فإذا أراد كوكس ان يراني فليأت لزيارتي في منزلي على قناة البدعة بين أوراق البردي . أما انا فلن أذهب إليه .

وعندما كنت في سوق الشيوخ قمت بعدة محاولات بواسطة الحجي حسن حداني لأجتمع بسمر الرميض ولكن كل تلك المحاولات باءت بالفشل . ومرة واحدة فقط كدت اوفق في مسعاي . وعرضت عليه مراراً وتكراراً أنني اعطيه الأمان لزيارتي ويقدم خضوعه . وكان جوابه في كل مرة انه لا يثق بالانكليز الذين قد يخونون الوعد ويحجزونه . وأعتقد ان موقفه هذا ناتج عن خطة ذكية . فنوفه لرجال الاهوار المتوحشين والقبائل المتاخمة التي تقطن على حدود البو صالح ، انه لم ير رجلاً انكليزياً في حياته ولم يقابل اي ممثل عن البريطانيين منذ قدومهم الى العراق ، وانه لا يرغب في ذلك ، يظهره أمامهم بمظهر الشجاع الذي يتحدى سلطة الأجنبي وبذلك يكتسب شهرة ونفوذاً

ويمطم في أعين اتباعه .

والحقيقة انه أرسل ابنه الأكبر حسين لقاطق مرتين في الناصرية بعد أن ثلث إليها ولكنه لم يقترب أكثر من ذلك . وبشأن بتطلق بالكذب أخذ حسين يشرح لي ان لوالده أعداء كثيرين وانه رجل طاعن في السن أحنى ظهره الروماتيزم ولولا ذلك ، دون شك ، قام بزيارة الحكومة منذ زمن بعيد . ولم أحاول دفع الأمور لإحراجه اعتقاداً مني بأنني استطيع كسب الثعلب الكبير عن طريق التودد الى الثعلب الصغير .

وحدث مرة ان جاء حسين الى الناصرية لينقل إحدى رسائل والده المعتادة عن حسن نواياه . وفي الوقت نفسه وصلني تقرير من سوق الشيوخ يقول ان سفينة كانت في طريقها من البصرة الى شطرة محملة بالبضائع مرت في بدعة فأطلقت عليها النار من مكان قريب من قرية بدر ، فقتل نصف عدد بحارتها واستولى بدر على السفينة وعلى البضاعة . وأرسلت في طلب حسين على الفور فتظاهر بأنه لا يعرف شيئاً عن الحادث وأقسم ان قبيلة البوشما هي التي قد تكون ارتكبت هذا الجرم وليس رجال قبيلة البو صالح .

وساورتني ظنون بأن حسين يعرف كل شيء عن الحادث وان والده أرسله إليّ من قبيل ذر الرماد في العيون ، ولكي تكون له حجة أن يقول عندما ينكشف الأمر : كيف أجرؤ على ارتكاب مثل هذه الجريمة البشعة وولدي حبيبي فلذة كبدي كان في الناصرية وقت الحادث يؤكد النوايا الحسنة لممثل الحكومة البريطانية ؟ كيف يمكنني أن أعرض سلامة ابني الأكبر للخطر بهذا الشكل ؟

الخداع والاحتيال كانا من الوسائل الشائعة في تلك الأيام فكان على المرء ان يمارسها . لذلك وضعت حسين في السجن . وبعد ان قضى أسبوعاً كاملاً في السجن جاءني الامير يك السعدون يصحبه الحجي حسن حمداني من سوق الشيوخ وتوسلا إليّ ان أطلق سراح حسين على ان يعدني بشرفه ان لا يغادر الناصرية إلا بإذن مني . وأشارا الى ان حسين هو ابن شيخ كبير ، وتقييده بوضعه في

السجن يشبه أساليب الأتراك ، التي لا يمكن ، لا سمح الله ، ان تلجأ إليها الحكومة المعظمة . واشترك معها في الاحتجاج ضاري بك الشيخ السعدون فأسعوني بإطلاق سراح حسن .

وأرسلت في طلب حسن ، افهمته ان اصدقاءه توسطوا الذي بشأنه ، وسني سأطلق سراحه اذا اعطاني كلام شرف انه لا يغادر المدينة بدون اذن مني ، وان يقيم في منزل ضاري بك . فوافق حسن دون تردد وأسرع ضاري الى كفالته بمبلغ ٥٠٠ روبية .

وهرب حسن بعد يومين

وأخذت أتساءل في نفسي الى أي مدى يلعب بسدر وراء زيارة أصدقائي الثلاثة ، وما اذا كان ضاري قد دبر الأمر بأن أخذ المبلغ من حسن قبل ان يفلت من يده لأن ضاري جاء ودفع المبلغ فوراً وهو يشتم ، ذلك الكلب القذر الذي كذب عليه . ولن أسيء الظن بضاري لأنه انتقل الى رحمة الله وكان رجلاً طيباً وصديقاً مخلصاً للانكليز .

ولم يكن هنالك حل مرض مع بدر الرميض بشأن الاستيلاء على السفينة إلا قصف مقاهيه وقريته وبرجه الحربي . فكان لا بد لي من طلب مساعدة الجيش لأن بدر وقبيلته يلقوا سدة كبيرة من النماء وإيواء كل مجرم فار من وجه العدالة .

وساعد السير ارنولد ويلسون في بغداد على ترتيب الأمر مع قائد الجيش . وفي ٢٦ شباط سنة ١٩١٩ هاجمت فرقة من الناصرية قرية بدر واحتلتها وأحرقت مزروعاته . ولكن العجوز الشرير أفلت من بين اصابعنا بالرغم من سد كل الطرقات في وجهه من جهة شطرا ومن جهة العمارة وقد قام بهذه العمليات جنود من الجيش والشبانة بقيادة الكابتن برترام توماس مساعد الضابط السياسي في شطرا والميجر روبرت مارش الضابط السياسي في العمارة .

وتمكن بدر من الفرار الى داخل الاهوار حيث قيل انه أخذ يستعد لإثارة

المتاعب بشن هجمات باتجاه العراق حيث الأرض مكشوفة . وكانت لديه ، بالاضافة الى رجال الاحرار ، قوة متحركة قوامها الرمادية خيال ، يستطيع معها ونفوذه الذي لا شك فيه ان يثير كثيراً من المتاعب .

وبعد احتلال منزله وقريته وارضه تقرر بناء حصن هناك تقيم فيه كتيبة من الشطرجين . وزيادة في الحذر تقرر الاحتفاظ بقوة عسكرية في المكان ريثما يتم البناء الذي انجز بسرعة باشراف الكابتن ميتشبورن مساعد الضابط السياسي في سوق الشيوخ . وجئت خيمة بجوار قرية بدر مع قائد الجيش الذي استخدم مجلس بدر ذا الاقمشة المسجة كمكتب وكغرفة للاجتماع .

وبعد عشرة أيام من احتلال قريته بعث بدر برسالة شفهية يقول فيها انه على استعداد لأن يستسلم لقائد الجيش ولكنه ، تمهيداً لذلك ، يرغب في مقابلة الضابط السياسي المرافق للجيش — أنا — لكي يستطلع منه رغبات الحكومة ويقف على شروط الاستسلام .

وبعثت له بجواب شفهي أبديت فيه استعدادي لمقابلته في أي وقت يشاء وفي أي مكان يختار ، وأبلغته انه إذا كان بإمكانه الحضور لبحث الأمور فإن قائد الجيش يضمن مجيئه وعودته سالماً بعد المقابلة . وبعث له الحجي حسن حداني أيضاً رسالة مقنعة .

وبعد يومين أرسل بدر رسالة باللغة العربية يقول فيها انه يريد مني ان أقيم خيمة في وسط سهل واسع مكشوف يبعد ثلاثة أميال عن قريته بالقرب من شجرة تقف وحدها في ذلك السهل . وقال ان الاجتماع سيتم هناك بشرط أن أصطحب معي رجلين فقط وان تكون أنا الثلاثة غير مسلحين . اما من جهته فقال انه سيحضر مع ولديه وبدون سلاح أيضاً . فإذا وافقت على اقتراحه فإن أنسب وقت للاجتماع هو ظهر اليوم التالي .

ووافقت انا وقائد الجيش على الاقتراح وأمرنا بإقامة الخيمة في المكان المحدد . وفي صباح اليوم التالي بينما كنت أحضر نفسي وأتأهب للخروج الى الاجتماع زارني في خيمتي حزام بك الشاري السمدري قائد خيالة المنتفق ، وفهد بك

السلبان المسعدون وأخذا يقنعاني بأن لا أخرج الى الاجتماع بدون قوة ترافقني وقالا إنهما يعرفان غدر بدر وفظاظته أكثر مني. وعندما اصطدما بعنادي لأني كنت قد أعطيت كلمتي ، ألحّا عليّ ان أصحبهما معي او على الأقل ان تختبيء قوة بجوار مكان الاجتماع لئلا يقدم بدر على اغتيالي . وقالا بالحرف الواحد : ان بدر لا يتورع عـن ارتكاب أفظع الجرائم ويعرف كل حيلة . . لا تذهب وحدك . . نرجوك .

وأخبرت هذين الصديقين انه لم يعد بالإمكان تغيير الخطة . وتوجهت بعد ذلك الى مكان الاجتماع برفقة الكابتن ديشبورث وحسن حمداني . وهكذا نحن الثلاثة غير مسلحين . واعترف أنه بعد تحذيرات حزام بك وفهد بك ، وكلاهما متزن يدرك الأمور ، تسرب القلق والخوف إلى نفسي .

ووصلنا الى الخيمة قبل الوقت المحدد بربع ساعة . ولم يكن هناك ، وعلى مد النظر ، أثر لأي مخلوق . ولم نشاهد إلا السراب الذي خدع رؤيتنا فتوهمنا أن هناك بركة واسعة من الماء فيها أشجار باسقة من الشمال الشرقي ، وهي الجهة التي كنا نتوقع قدوم بدر الرميض منها . وكنا نعرف طبعاً انه لا وجود للماء وان الأشجار الباسقة ليست إلا شجيرات لا يزيد ارتفاع الواحدة منها على قدمين .

وكانت الشمس محرقة فدخلنا الى الخيمة بعد أن ربطنا الحيوان بجانبها . وقد أحضرت معي بساطاً فكان لنا مما نجلس عليه . ومر الظهر وأصبحت الساعة الواحدة ولم يظهر بدر .

وبدأ الشك يتسرب الى نفسي وظننت اننا سنذهب ضحية خدعة . ولاحظت ان الطيبي حسن حمداني بدا قلقاً مضطرباً ولكنه كان يتظاهر بالصبر ويملل نفسه بأن بدر لا يعرف شيئاً عن الوقت وضبط المواعيد . وأخيراً عندما بلغت الساعة الثالثة بعد الظهر رأيت حركة قريبة وسط سراب بعيد . وبدت تلك الحركة وكأنها تلة مخروطية الشكل تسير نحونا بالمقلوب . وأخذت أراقب هذا المشهد بمنظاري فتبينت انه عمود من الغبار يسير بسرعة مذهلة ويتجه نحونا . وأخيراً عرفنا الحقيقة . فقد خرج من وسط السراب حوالي ٢٠٠ خيّال

أطلقوا النار تحية لنا وأطلقنا . وأخذنا نراقبهم وهم يقتربون منا حتى وصلوا وكانوا جميعهم مسلحين . وكان على رأسهم رجل بديع القوام ذو لحية حمراء طويلة . وتوقف هؤلاء الرجال على بعد ٣٠ ياردة منا . وتقدم الرجل القائم والبهجة تعلو وجهه وهو يبتسم .

هذا إذن هو بدر الرميض الحجوز المنحني الظهر الذي يبلغ من العمر ٨٠ عاماً !

لقد صعقت عندما وجدته رجلاً أنيقاً يبلغ طوله حوالي ستة أقدام وعلى رأسه عقال على بالذهب وعلى جنبه سيف طويل مذهب المقبض . وفي يده اليسرى كان يحمل بندقية « موزر » وعلى صدره تتقاطع أحزمة الذخيرة . وكانت مشيته تدل على حيويته وعلى انه شاب حذر في مقتبل العمر . ولم يكن شيء يدل على كبر سنه سوى تلك اللحية الطويلة التي تمتد الى خصره . ولم أعرف عربياً في حياتي له مثل تلك اللحية . وكان لونها أحمر برتقالي مما يدل على انها صبغت بالحناء . وكان بدر الوحيد الذي يرتدي عباءة بين رجاله الذين اكتفوا بلبس الشداديات التي تزينها أحزمة الذخيرة مما يدل انهم متهيئون للحرب أكثر منه للسلم .

وبخطى ثابتة تقدم بدر نحوي وبصحبته ابنه الأكبر حسن وابنه الأصغر حبيبي الذي يبلغ من العمر ثمان سنوات . وعندما وصل اليّ أخذني بين ذراعيه وقبلني على الوجنتين وقال بصوت عال وهو يضحك : السلام عليكم . وبعد ذلك صافح الكابتن ديفشبورت والحجي حسن ، بينما ظل رجاله يراقبون ما يجري من مسافة قليلة .

ويمكن لأي واحد ان يتصور مشاعري في تلك اللحظة فقد كنت متوتراً لأني بقيت انتظر كل هذه المدة ، وكنت في نفس الوقت خائفاً من أن اكون قد وقعت فريسة لخدعة وضعتني تحت رحمة الرجل . ولكن فوق كل ذلك كنت غاضباً لأن التطب الختاني نكث بوعده .

وسألته حالاً عن السبب الذي دفعه الى المجيء مسلحاً مع هذا العدد الضخم

من الرجال بينما كان الشرط ان يأتي مثلي وحيداً أعزل . واتخذت آكيـــل له الاتهامات . ولا أدري لماذا فعلت ذلك ولكن ربما شعرت بدون وعي ان الهجوم هو الفرصة الأخيرة .

وكان بدر يسمع ما أقول بصبر وطول أناة وضحك ضحكة عريضة وفعل شيئاً عجيباً لم أعهده بأي عربي من قبل .

وسألني : هل انتهيت ؟

وأخذني من يدي وقادني الى الخيمة فأجلسني وجلس قبالتي . وفجأة أمسكني من رقبتي بكلتا يديه وطبع قبلة على فمي وقال : والله انت رجل.. والله أحبك.

وبعد ذلك أمر أحد رجاله ان يبتعد ببقية الرجال الى مسافة ٣٠٠ ياردة وقال له : فكسان لا يحب ان يرى رجالاً مسلحين ويقول انه كان ينبغي ان احضر بمفردي معه .

أما وقد انكسر الجليد ، فقد بدأ الحبر حسن حمداني للحديث . فأخذ ، بلباقته المعهودة ، يهدىء من روعي ويطيب خاطري . وقصد بدر بدو حضوره فأضفى على الجلسة طابعاً من المرح والانشراح . ولم يمض وقت طويل حتى كنا نتفوه رنحكي الحكايات ، ولكن ليس قبل ان يضمني بدر مرة أخرى ويقبلني على شفتي ووجنتي ويقسم ألف إيمان انه يحبني . كان ابتهاجاً غريباً حقاً .

وشعرت أنني أقوى مرقفاً عندما بدأ الحديث الجدي . فشرحت لبدر انه هو كان السبب في المتاعب التي وقعت بينه وبين الحكومة . وذكرته بالجهود التي بذلتها طيلة السنوات الاربع السابقة محاولاً اقناعه بأن يقدم خضوعه ، وبالرسائل الودية الكثيرة التي أرسلتها اليها عارضاً عليه الأمان بشرفي ربرجعي . وأبلغته أن الحكومة لا تريد منه شيئاً سوى القيام بخضوع شكلي ، وأنه اذا كان يود أن يذهب معي ذلك المساء ليسلم على قائد الجيش ويقدم خضوعه له ، فإنني أضمن عودته سالماً الى رجاله ومراقبه .

لقد نال الرجل جزاءه فأحرق منزله ودمرت ماشيته . وكنت أعرف انه عندما تعود العلاقات طبية ، فان الحكومة ستكون سعيدة بالتخلص منــه ،

الأمر الذي يحقق وعودي .

وفي الواقع كنت على استعداد لأن أفعل أي شيء من شأنه ان يحمل الحكومة على العفو عن بدر ونسيان الماضي ، لأنني كنت اعتقد اني أعرف الاسباب التي حملته يتصرف بتلك الطريقة تجاه الانكليز .

وعندما لاحظت أن بدر تردد برهة عرضت عليه ان أبقى مع رجاله كرهينة ، ويذهب هو مع الكابتن ديكشبورن والحجي حسن الى قائد الجيش في الخميس . ولكنه رفض ذلك ووعد انه انا قابلته في المكان ذاته في صباح اليوم التالي فسيذهب معي الى قائد الجيش ويطلب استسلامه له دون قيد او شرط . وحرصاً مني على الفوز بتقدير السيد ارنولد ويلسون ، وافقت على الاقتراح . وافترقنا عند هذا الحد بعد أن تعانقنا فذهب بدر ورجاله في طريقهم وعدت أنا مع ديكشبورن والحجي حسن الى الخميس .

وبعد أن ابلغت القائد بكل ما حدث عدت الى خيمتي وأنا واثق بأن كل شيء سينتهي في الصباح التالي . ولكنني في ساعة متأخرة من الليل تلقيت رسالة ودية قصيرة من بدر يقول فيها انه مسرور جداً لأنه قابلني ، وأكد انه سيظل محبي الى الأبد . وطلب في الرسالة أن أرسل له كتاب الامان فوراً لكي يحضر بنفسه الى الناصرية ويعلن خضوعه هناك . وأرسلت له الوثيقة التي طلبها باكراً في الصباح يوم ١٢ آذار سنة ١٩١٩ .

ولم أر وجه بدر الرميض منذ ذلك الوقت . وعلمت في وقت لاحق انه عندما تسلم رسالتي ركب حصانه وانطلق الى أرض بني سعيد . أما ماذا أفزعه في الامر فسيبقى لغزاً من الالغاز . وربما كان ذلك لأنه أحس بتحركات قوماس من شطرة ومناورات مارس ليقطع عليه الطريق من الهارة .

كان بدر الرميض ، بين جميع العرب الذين قابلتهم ، أغربهم وأكثرهم لفتاً للنظر . واعتقد ان الكابتن ديكشبورن وأنا الانكليزيان الوحيدان اللذان قابلها بدر في حياته . ولا أظن انه قابل أحداً من ابناء بلادي بعد ذلك . وبعد أربع وعشرين عاماً زارني ابنه الأصغر حبيجي في الكويت واخبرني ان والده توفي منذ

من بعيد ، وطلب مني أن أساعده في جمع مبلغ من المال ليقدمه مهراً لفتاة يريد ان يتزوجها . وساعدته إكراماً للأيام الماضية .

بثينـه

وفي يوم شديد الحرارة من أيام صيف سنة ١٩١٩ عدت إلى بيت الحكومة من مهمة قمت بها باكراً خارج المنزل . وبعد أن تناولت طعام الافطار في الطابق العلوي نزلت مكتبي في الطـابق السفلي الكائن في الجهة الباردة من الباحـة الرئيسية . وبسبب حرارة الشمس ووهجها كنت أستظل بغرفة المكتب مظللة بواسطة حاجز من الخيزران على الباب . أمـا النافذتان فكانتا مسدودتين بشجيرات الحقول الخضراء ينساب فوقها الماء بصورة منقطعة لكي يحفظ جـو الغرفة بارداً . ولم يكن قد حضر أحد من الكتاب ساعة وصلت .

ولأني دخلت من مكان يشتد فيه نور الشمس الى مكان مظلم، لم أعد أرى شيئاً على الاطلاق وجلت وراء مكتبي انتظر فترة يعتاد فيها بصري على ضوء الغرفة الخافت . وبعد مضي ثلاث دقـائق أحسست بيدين تمسكاني من ركبتي فذعرت مذعوراً . وتطلعت تحت المنضدة فتبينت شكل امرأة تحـاول تغطية وجهها ورأسها بعباءتها . فأخرجتها من مكانها ورأيت أنها فتاة في مقتبل العمر ترتعد من الخوف حتى خانها النطق . وظلت تزحف ملتصقة بمقعدي وانا أحاول ان أطمئنها بكل العبارات الودية التي أعرفها . وطلبت منهـا أن لا تخاف شيئاً وان تخبرني ماذا جـاءت تفعل في مكتبي . وأخبرتني بصوت متقطع مرتجف وهي تبكي ان اسمها بثينة وانهـا من قبيلة العنزي التي يرئسها الشيخ مشعد الحبيب وهو رجل أعرفه جيـداً وكانت له سمعة خطرة بين شيوخ المنتفق . وقالت لي انها لجأت الى مكتبي لأنها تخاف ان يقتلوها .

وتمكنت في هذه الاثناء ان أتبين وجهها فوجدتها فتاة جميلة تبلغ من العمر حوالي ستة عشر ربيعاً . ولاحظت أيضاً ان بشرتها ناصعة البيـاض تكسوها آثار خفيفة من الجدري . وعندمـا تطلعت إليّ بوجـه عليه علامات الرعب

وبعينين دامعتين تنساب منهما الدموع ، تحركت مشاعري وعواطفي بصورة غريبة لأنني كنت أعلم انه لا بد من أن يكون الأمر بالغ الخطورة حتى دعت نفسها حتى بهذه الصورة طالبة اغاثة .

وأخذت أقنعها شيئاً فشيئاً ان تقص عليّ قصتها . فحدثت ان أهلها يعيشون في بيت وهي قرية على الفرات تبعد عشرين ميلاً عن الناصرية . وقالت بانه تعيش سعيدة مع والديها في خيمتهم السوداء الى أن أبلغت أنها ستتزوج ابن عمها ، وان الزفاف سيتم عندما يحل الشهر . ونزل عليها هذا النبأ نزول الصاعقة لأنها كانت تحب شاباً آخر من القبيلة وكان يبادلها الحب . وبنفس كآبة أخبرت قائلة ان والدها سيزوجها الى ابن عمها عندما يحل الشهر ولذلك جاءت تطلب نصيحته ومساعدته . وأخبرته أنها تفضل الموت على أن تتزوج أحداً سواه . وتلقى الفتى هذه الأخبار بهدوء ولكنه غضب في قرارة نفسه ووضع الشر نصب عينيه . وأبلغ بنفسه انه يجب ان يفكر بخطة ما على ان يفضي اليها بتفاصيلها بعد ثلاثة أيام . واتفقا على ان يلتقيا على ضفة النهر حيث اعتادت منه ان تحضر الماء وقت الظهر .. وهناك سيخبرها كل شيء .

وأمضت بثينة ثلاثة أيام طويلة في حيرة ويأس . ما هي فرص النجاح أمام حبيبها؟ وأي أمل لها أن تتحرر من الزواج الذي هيأه والدها ؟ وفضلا عن ذلك، ان لابن عمها ، بموجب العادات العربية ، الحق في أن يتزوجها ولا تستطيع ان تتزوج شخصاً آخر إلا إذا سمح هو بذلك . وكانت تعلم أنها إذا تزوجت شخصاً آخر بالرغم من إرادة الجميع ، يهدر دمها ويحق لابن عمها قتلها مسحاً للعار . فرصتها الوحيدة — وأملها ضئيل — هي أن تهرب مع حبيبها الى مكان بعيد عن أهلها وعشيرتها وتقطع كل أمل في رؤيتهم ثانية . وإذا هربا فإنها سيطاردان والويل لهما إذا وقعا في أيدي المطاردين، فقوانين العشائر لا ترحم في مثل هذه الحالات .

وبعد ثلاثة أيام حضرت في الموعد المحدد على شاطىء النهر . وكانت هنالك عدة نساء يملأن الماء، ولكن حبيبها تمكن أن يكلمها وهي عائدة . كانت لديه

بلدة واسعة وهي أن يهربا تلك الليلة بالذات . وقال انه سيأتي إلى وراء خيمتها بعد منتصف الليل ومعه فرس سريعة . وعندما يطلق ثلاثة أصوات تشبه أصوات ابن آوى ، تتسلل هي من الخيمة وتنضم إليه على ظهر الفرس ، وينطلقان بها الى سوق الشيوخ ويلجآن الى قبائل الجزيرة حيث يتزوجان . وإذا لم يجدا أماناً هناك ينتقلان الى البصرة .

إنها نفس القصة القديمة قدم الانسان . فكانت بنية تواجه اختياراً قاسياً بين الهرب والمطاردة وربما الموت ؟ وبين التخلي عن حبيبها والقبول بما أعده الوالدان . وبسرعة الرأي المعهودة في الشابات العربيات ، قررت بنية أن تهرب تلك الليلة حسب الخطة . إنها مغامرة عقوبتها الموت ونتيجة نجاحها السعادة . كانت تعرف كل شيء ، ولكن ماذا ؟ إنها كغيرها من بنات القبائل ولدت للمغامر وخاصة إذا كانت سعادتها في الميزان .

واتفقا لموعد الهروب : هي لتجمع حوائجها وهو ليعد فرسه وسلاحه . وجمعت بنية ما تحتاج إليه من أمتعة دون ان تلفت النظر ، أما الفتى فقد نظف مسدسه وخنجره لأنه لم يكن يريد أن يرهق نفسه ببندقية ، ولم ينس أن يطعم فرسه وجبة إضافية ويحمل كيساً من الحبوب ليطعمه إياه في الطريق .

وجاء منتصف الليل فتسللت بنية من مؤخرة الخيمة عندما سمعت أصوات ابن آوى . وهرب الحبيبان بصمت دون أن يراهما أحد واتجها نحو حزام أشجار النخيل قبالة الناصرية .

ولكن نباح كلب أيقظ أهلها النائمين . ولم يطلع الفجر إلا وكانت فرق من القبائل يطاردون الحبيبين الفارين ، واصبح على قاب قوسين او ادنى منهما .

وكانت أمامهما مسافة ثلاثة أميال يجب أن يقطعاها بسرعة فائقة ، لأن أملهما الوحيد بالنجاة هو الوصول الى بساتين النخيل قبل مطارديهما . وهناك يتركان الفرس ويكسبان بعض الوقت في الاختفاء بين الأقنية المتشعبة حتى يتمكنا من الوصول الى ضفة النهر قبالة الناصرية ، فيعبران النهر بعد حلول الظلام ويلجآن إلى المدينة .

ونجحت الخطة وسار كل شيء على ما يرام الى أن بلغنا ضفة النهر . ولاحت لها فرصة النجاة حين أنها كانا يسمعان أصوات الباحثين عنها ، فأيقنا ان البحث لا يزال جارياً بكل قوة وإصرار ، فقد اكتشفت آثار أقدامها في الأقنية ، وأصبحت المسألة مسألة وقت فقط . وكانت فرصتها الوحيدة أن يتجنبا الوقوع في أيدي مطارديها قبل حلول الظلام ، ولذلك التجأ على شاطىء النهر الى أن وصلا الى مكان كثيف الأشجار قبالة الحي الصابئي من المدينة ، واختبأا هناك .

وغابت الشمس وبدأ الليل يرخي سدوله وشعرت بقربه بسعادة غريبة . ولكن سرعان ما خاب أملها دفعة واحدة . فقد فكر الشاب أن يلقيه فيقه ، وانه معها قد لا يستطيع الفرار والنجاة . فأخبرها فجأة أنه سيتركها ويهرب بمفرده قائلاً انه لا فائدة أن يقتلا كلاهما في الوقت الذي يستطيع فيه الهرب الى سوق الشيوخ ومن هناك الى البصرة عن طريق بحيرة الحمار . ولم يعط بليه فرصة لمناقشته او للتوسل إليه ، بـل أدار ظهره واختفى في الظلام تاركاً المسكينة لحظها التعس . أليست الحياة لذيذة ؟ فلماذا يفقدها من أجل امرأة ؟

وانهارت بليه عندما ابلغتني هذا القسط من حكايتها ، فمت بدموعها وهي تتنهد وكأن قلبها قد تمزق . وبعد ان هدأ روعها أخذت تصف لي كيف قضت الليل بطوله بين الأشجار ، وكيف انها تمكنت عند الفجر من العبور الى الحي الصابئي من المدينة حيث استدلت على بيت الحكومة ، لأنه قيل لها ان الانكليز قوم في غاية اللطف ، وأن « كـان » يستطيع ان يحميها . وعندمـا وصلت الى منزلي سألت عن الحاكم السياسي فأدخلها الحاجب الى الدار . ولما رآها الحاجب كئيبة عطف عليها وطلب منها أن تجلس وراء الحـاجز الخصص للنساء اللواتي يأتين لتقديم الشكاوى ، ولتنتظر حتى يأتي الصاحب . وظلت خائفة ان يقدمها المطاردون الى بيت الحكومة ويختطفوها من هناك . فلما أدار الحاجب ظهره انسلت من مكانها ودخلت الى مكتبي حيث اختبأت تحت المنضدة .

وعندما طلبت من الحاجب أن يحضر دهش عندما رأى الفتاة في مكتبي ، لانه لما بحث عنها لم يجدها حيث أوصاها ان تنتظر ، ظن انها ذهبت لتعود فيما

بعد . وأخبرته انها فتاة من القبائل لجأت الى غرفتي خوفاً على حياتها ، وان عليه أن يسكنها مع عائلة الساس إلى أن أبت في قضيتها .

ولم أكد أنهي كلامي ، وعيني لا تزال أمامي ، حتى دخل حاجب آخر يعلن وصول الشيخ مشد الحبيب في مهمة عاجلة .

وارتعدت الفتاة من الخوف عندما سمعت ذلك . ولكنني أدخلتها بسرعة غرفة داخلية كنت احتفظ فيها بأوراقي السرية وأغلقت الباب ، وأمرت بالسماح للشيخ مشد بالدخول .

وكنت أحب مشد أكثر من غيره من الشيوخ لأنه ذو اخلاق عالية ، ويتناول القضايا المعقدة بكثير من الكياسة والحنكة والتعقل . وبعد التحيات المعتادة وشرب القهوة دخل مشد في الموضوع ، وأخذ يقص علي كيف ان فتاة من قبيلته هربت من منزل ذويها في الليلة السابقة بعد ان خدعها شاب طائش وان رجال القبيلة طاردوهما فأمسكوا بالشاب بين أشجار النخيل أما الفتاة فقد عبرت النهر وهربت الى المدينة ، ويعتقد انها لجأت الى منزلي . وطلب مني بلطف ان اسلمه الفتاة اذا كانت لا تزال عندي بصفته شيخ قبيلة الفتاة . وقال إنه سيحتفظ بها بين نسائه الى ان يستطيع تسليمها بأمان الى والديها . وأكد لي أنه لن يدع ان يلحق بالفتاة اي أذى نظراً لأنها غرر بها ولا تتحمل تبعة هربها . وكان يتكلم بدون أي انفعال وبلهجة تدعو الى الارتياح والاقتناع ، ومع ذلك ظلت تساورني الشكوك .

وجواباً على كلامه ، اعترفت له ان بلية جاءت الى بيتي تستجير ، وطلبت منه ان يقسم بشرفه ان الفتاة لن تعاقب اذا ما سلمتها اليه . وتفكر مشد وتردد ، عندئذ اقترحت ان نسأل الفتاة عما اذا كانت ترضى ان تضع نفسها في عهدته لترافقه في الحال . ودخلت الى الغرفة حيث توجد بلية واغلقت الباب ورائي . وأمسكت الفتاة المسكينة بيدي وشدت عليها ثم همست في أذني وهي تبكي ، انه اذا سلمتها له فمعنى ذلك موت محتم .

وأخذت تتوسل الي قائلة : لا تصدق مشد .. ولا يغرنك لطفه الحالي .

انه يريد ان يأخذني من بين يديك ومن حماية الحكومة وبعدئذ يسلمني الى ابن عمي لينتقم مني .

وكنت أعرف مسبقاً ذلك كله ، فاقتدت الفتاة الى مكتبي وقلت لها :

– يا بنيتي ، ان شيخك مقشد قد جاء ليعيدك الى القبيلة . وقد وعدني انه سيحتفظ بك بين نسائه الى ان يحل القضية مع والدك واخوتك . وأخبرني انه يغار على مصلحتك ، فاقترحت عليه أن يسألك بنفسه لأن الكلمة الاخيرة هي لك وحدك ولن يجبرك أحد ان تفعلي شيئاً ضد إرادتك .

ولاذت الفتاة المذعورة بالصمت ولكنها قعدت على الأرض بيني وبين مقشد الذي أخذ يخاطبها بلهجة رقيقة تنم عن كثير من الاحترام . وسألها ما إذا كانت تود أن ترافقه الى منزله ، وان لا تخشى شيئاً لأن سلامتها مضمونة عنده . وقال لها انها ستعيش سعيدة مع عائلته .. اما في الناصرية ماذا سيحل بها ؟ فالحكومة لن تحميها الى الأبد وحتى دكسان لا يستطيع إيواءها الى أبد الدهر .

ومضت عدة دقائق قبل أن ترد عليه بلية وأخيراً قالت له : لا أقدر .. لا أجرؤ أن أعود معك يا مقشد .

وهناك أجهشت بالبكاء وهي تقول : أنت تعرف قوانين العشائر .. انها لا تغفر لفتاة خاطئة مثلي .. وأنت تعرف جيداً انك ستسلمني عندما يطلبني والدي واخوتي منك .. أخاف أن أموت .. فأنا ما زلت في مقتبل العمر .

وقلت لها عندئذ : يا بنية ، لا تخافي أبداً . ان يمسك أحد رغم إرادتك لأنك الآن في ذمة الحكومة ولكن هنالك سؤالاً أود ان أسألك إياه بحضور شيخك . هل حدث شيء خجل بينك وبين الفتى قبل أو بعد هروبكما ؟ سألتك بالله ان تجيبي بصراحة وتخبريني الحقيقة .

ولم تكد بنية تسمع هذا الكلام حتى انتفضت ورفعت رأسها ووجهها المبلل بالدموع وأجابت بصراحة قائلة : ألست أنا من بنات قبيلة الغزي ؟ كيف أسمح بأن يحدث مثل هذا الشيء ؟ يشهد الله انني لم أرتكب خطأ .

وصداقتنا .

وقلت لمنشد : أرأيت الحقيقة بعينك . لقد كنت أرغب أن تسمح من فمها أن شرفها وشرف بيتها لم يدنسا . ولكنها لا ترغب في العودة معك .

وهز منشد كتفيه والحقد يتملكه وتمتم بأشياء لم أفهمها عن « عال الحرمه » . ووعدته انني سأرسل في طلبه إذا استطعت ان أقنع بنيه بتغيير رأيها ، وأنها في هذه الأثناء ستكون في حجرة فناء من المدينة . وودعني منشد مترددا وأعتقد أنه لم يكن مرتاحا . أما بنيه فلم تتغير رأيها أبدا . وفي احاديثي معها كانت تردد على مسامعي كل مرة انني إذا اعدتها الى منشد فإنها ستذبح كالنعجة بيده .

وقالت لي أنها لن تغادر الناصرية أبدا من اليوم فصاعدا لأنها ستكون تحت المراقبة .

ولكي أجد حلا عادلا لقضيتها ، أخذت أستشير بعض وجهاء الناصرية ، عما يحدث لفتاة في مثل وضع بنيه ، ولكن دون أن أذكر بنيه بالذات . وأكد لي الجميع أنهـا تقتل . هذا ، بالاضافة إلى انني لم أستطع الحصول على جواب مقنع من منشد أو من رجال قبيلة الغزي عما حدث للشاب الذي فرت بنيه معه ، مما دفعني الى التمسك بعدم إعادة الفتاة الى شيخ قبيلتها .

وفي بحثي عن حل لقضيتها ، توجهت لاستشارة ضاري بك الفهد السعدون ، وأشرحت له القصة كاملة . وأشار ضاري بك أن الأمل الوحيد للفتاة هي أن تزوج من مواطن محترم من أهل المدينة . ورأيه أنها إذا تزوجت واستقرت في المدينة ، فإن أهلها سيكفون عن ملاحقتها وقد يغفرون لها خاصة إذا استرضاهم زوجها بمبلغ من المال كتعويض لابن عمها الذي يعتبر ان شرفه قد طعن .

ووافقت بنيه على هـــذا الرأي ، وعملت الا بموجب نصيحة ضاري بك . وبعد عدة أيام وجدت رجلا محترما يدير مقهى على مسافة من منزلي ، وافق ان يتزوج بنيه . وتم عقد القران بهدوء وكان زواجا سعيدا . واحتفاء بهذا الحدث السعيد تبرعت للعريس بمبلغ ٦٠٠ روبيه على ان تدفع الى ابن عم العروس .

ما أتعب هؤلاء القوم !

فتاة صويج الكردية

وهنا قصة مشابهة ولكن نهايتها مؤسفة .

الصويج قرية صغيرة تقع بين الناصرية وشطرا على بعد ٢٠ ميلاً تقريباً . ولأنها تقع في منتصف الطريق فقد كانت مكاناً ملائماً ليقضي فيه المرء ليلته إذا كان يقوم برحلة طويلة على ظهر الخيل . وقبل أن يصبح بإمكان السيارات ان تصل الى شطرا ، اعتدت ان أتوجه الى الصويج بعد الظهر فأقضي الليل عند الحجي شعبان ، وفي الصباح الباكر استأنف السير إلى شطرا .

والحجي شعبان رجل كردي متقدم في السن استقر في الصويج قبل عدة سنوات ويعيش على الاعتناء بالمسافرين وعلى بيع الأرز والسجاير والحاجات الأخرى التي يستحضرها من المدينة ، الى قبائل عبوده وخفاجه . وبالاضافة الى ذلك كان يدير « شايخانه » (أي مقهى يسقي فيه الشاي) وكانت عائلته تقع وراء الحانوت . وكانوا يستقبلونني وكأنني واحد منهم ، فلم يعاملوني قط كأي مسافر عابر .

وتتألف عائلة الحجي شعبان من ربة بيت أنيقة ، وابنة يافعة جميلة تبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً . والحجي شعبان ابن آخر في كردستان البعيدة لم أقابله قط .

كنت دائماً أتوق الى البقاء مع هذه العائلة المتواضعة ، لأنني كنت أعامل كفرد منها حالما أصل . وكانت الأم والابنة تجلسان معي مأخوذتين وتشتركان في الأحاديث المتنوعة . وكان الحجي شعبان مضيفاً كريماً بشوشاً ، يحث زوجته دائماً أن تقدم لي أفخر الأكل عندما كنت أمر في جولة تفتيشية مرة كل أسبوعين . ولم أكن أهتم بإحضار فراشي معي لأن زوجة الحجي شعبان كانت تقدم لي أنظف الشراشف في الصيف ، ولحافاً دافئاً في الشتاء . وكان ذلك يناسبني لأنه يسهل سفري في أية حالة .

وكنت أقضي أمسيات ممتعة مع العائلة تشكل أجمل وأسعد ذكرياتي في الفترة التي كنت فيها ضابطاً سياسياً في المنتفق .

كان أهل القرية ورجال القبائل المجاورة يكنون للحجي شعبان احتراماً كبيراً ممزوجاً بالخوف منه لكونه كردياً . أما الحجي شعبان فكان يعيش لعمله والحفاظ على شرفه وسمعته بين جيرانه العرب . وأحياناً كان ملا لكثرة مما يتحدث عن هذا الموضوع .

وكان حسون يساعد والده في تجارته فكان يذهب من وقت لآخر الى شطرا والناصرية لابتياع بضائع جديدة . أما الأم وابنتها فكانتا تهتمان بالشؤون المنزلية ، وتخيطان الملابس في أوقات الفراغ كأي عائلة انكليزية . إن هذا الجو هو الذي اجتذبني الى هذه العائلة الكريمة الرائعة في أرض غريبة .

وأحببهم إلي كانت الابنة ، لأنها مزيج من المرح والجدية . وكانت تذكرني بفتاة انكليزية أعرفها . وكلما حللت ضيفاً على العائلة كانت تريدني ان أعلمها أسماء الأشياء باللغة الانكليزية وان أخبرها عن انكلترا او لندن .

وفجأة نزلت المأساة كالصاعقة . وأية مأساة ؟ لقد غيرت كثيراً من نظرتي الى الحياة ، وزرعت في نفسي بذوراً من الاشمئزاز وعلمتني كيف يصبح الشرقيون في لحظة من الزمن مخلوقات كاسرة إذا ما تناهى إليهم أي طعن بشرف نسائهم .

وذات يوم كنت أصرف أعمالاً كثيرة تراكمت عملي في مكتبي بالناصرية عندما دخل الكابتن هول مساعدي المسؤول عن ضباط الشقق وأبلغني ان أحد رجال قدم من سويج وأخبره ان ابن شعبان أطلق النار على شقيقته في اليوم السابق ، وهي لا تزال ملقاة في الشمس على كومة من القمامة والسماد تنزف من جرحها البالغ بغزارة ، وان أحداً لم يجرؤ على نجدتها .

وبعد ان حصلت على بعض التفاصيل الأخرى امرت الكابتن هول ان يتوجه الى سويج على جناح السرعة ، ويأخذ معه الجراح المدني وعدداً من الرجال مع حمالة ، فاذا وجدوا الفتاة على قيد الحياة فلينقلوها الى المستشفى ، وامرته ايضاً ان يلقي القبض على القاتل فوراً .

حدث ذلك في الساعة التاسعة صباحاً . وفي الساعة الخامسة مساء جاءني

الكابتن هول متعباً ليقول ان الفتاة قد نقلت الى المستشفى الصغير الذي تديره الدائرة السياسية ، وان حسون قد اعتقل وأودع السجن . وأكد هول ان الفتاة ألقيت في الشمس على كومة القمامة مدة لا تقل عن خمس عشرة ساعة قبل أن يجيء لإنقاذها . وقال إن الرصاصة مزقت فخذها الأيمن ، ولكنها لا تزال على قيد الحياة في حالة سيئة . وأخبرني ان الوالدين المفجوعين طلبا منه أن يراقفاه وأنهما يجلسان بالقرب من ابنتهما . وقال ان الجراح الهندي فعل كل ما في وسعه لتخفيف الآلام المبرحة التي تشعر بها الفتاة .

وكتبت رسالة مقتضبة الى الضابط المسؤول عن المستشفى العسكري في الناصرية طالباً منه أن يزودني بتقرير فوري عن حالة الفتاة . وكنت ممتنة لهذا الضابط لأنه جاء بنفسه عندما تلقى رسالتي . وقال لي ان جرح الفتاة بالغ وان التقرح بدأ يتسرب إليهما نظراً لإهمالها مدة طويلة . وقال ان الأمل الوحيد هو بتر الساق كلها ، ولكن حالة الفتاة سيئة بحيث ان عملية من هذا النوع ستودي بحياتها . وأضاف ان الفتاة ليست فاقدة الوعي وتلح في أن تراني بأسرع وقت ممكن . ومع انها لا تزال تحت تأثير المخدر لكنها تستطيع أن تفهم الكلام الموجه إليها .

وبدون إبطاء صحبت الضابط الى المستشفى الصغير شبه التجهيز على ضوء قنديل خافت لأن الكهرباء لم تكن قد وصلتنا في ذلك الوقت . وكانت غرفة الفتاة تقع في الباحة الخلفية ، فاقتادني مساعد الجراح إليها ، ولا زلت أتذكر انه أخذ يشرح لي ان الرائحة الكريهة التي تنبعث من المستشفى ناشئة عن الغرغرين الذي أصيبت به الفتاة .

ولما دخلت حرقتني عيناي . وكان وجهها الجميل قد تغير وتشوه . فأشارت إليَّ ان أجلس بجانبها وطلبت من الطبيب أن يعطيها مزيداً من المخدر . وكانت والدتها متكمشة في زاوية من زوايا الغرفة تذرف دموعها بصمت . وحقنها الطبيب بالمخدر وخرج مع مساعده من الغرفة .

وأخذت يد الفتاة بين يديَّ وسألتها ما إذا كانت تشعر بألم شديد . فقالت

ان الألم ليس شديداً ، ولكنها كانت تعرف انها ستفارق الحياة ولذلك أرادت أن تطلعني على شيء .

وأخبرتني ان المرأة في القرية ظنت ان الشخص الذي تحسبه انسرق عنها بسببها ، وبـــدافع من الغيرة أخذت تنشر الشائعات عن ابنة الحبي شعبان . وكانت كل تلك الشائعات كاذبة ولكنها كافية لتحمل شقيقها على الانتقام لشرف العائلة . فأخذ بندقيته وأطلق النار على شقيقته وهي جالسة على الأرض تخيط مع والدتها بعض الملابس . فأصابتها الرصاصة في فخذهـــا . ولم يكتف شقيقها بذلك بل جرها الى كومة القمامة خارج المنزل وألقاهـــا هناك . وهدد كل من يقترب منها باطلاق النار عليه . ولم يكن والدها هناك لينقذها لأنه كان قـــد سافر الى شطرا في اليوم السابق .

رقصت علي قصتها ببطء وبصورة متقطعة لأن الألم أخذ يشتد عليها، وكنت أراقب وجهها الحزين على ضوء القنديل الخافت . وكانت الرطوبة تملأ من أرض الغرفة وجدرانها ، والرائحة التي تنبعث من جرحها مزكمة للأنف . وبعد الجهد الذي بذلته في اطلاعي على قصتها ، ارتمت في السرير منهكة القوى وهي لا تزال تشد على يدي .

وبعد قليل عادت تكلمني ولكن بصوت أشبه بالهمس . فطلبت مني ان أعدها ان افعل شيئاً من أجلها قبل ان تفارق الحياة . وعندما سألتها عن الشيء الذي يجب ان افعله ، تنهدت بعصبية وطلبت مني أن لا أسألها قبل ان أعدها بشرفي .

وما أقسمت لها واكدت انني سأفعل طلبت مني ان أمد يدي تحت وسادتها واخرج نسخة من القرآن كانت تحتفظ بها هناك . وأمسكت بيدي ووضعتها على القرآن الكريم وقالت : أقسم بهذا الكتاب المقدس انك ستفي بوعدك .

فتملك .

وعادت الى الكلام بصوت لا يكاد يسمع والدموع تنهمر على وجهها وقالت: أريد منك يا دكسان ان تطلق سراح أخي ساعة أفارق الحياة ، لأنه قتل

الذي نمّ بدافع من حبه لشقيقته وحرصه على شرفها . وعندما قتلتُ سراحه لشيء حتى طلبت ذلك منك ، وان شقيقته كانت فتاة طيبة لم ترتكب خطأ في حياتها ، وانها ماتت قبل ان تموت .

وعندما انهت كلامها دخل الطبيب وطلب مني أن ادع الفتاة تستريح . ولكنه جاء متأخراً . فقد شعرت بقبضة الفتاة على يدي ترخي شيئاً فشيئاً وأخذت ترتعش ويبرد جسمها وغابت عن الوعي . وانحنى الطبيب فوقها وجس نبضها .. ثم هز رأسه قائلاً : انتهت .

وأحست الأم بما يجري وكأن قلبها دليلها فثارت من مكانها وحضنت ابنتها وأخذت تصرخ وتولول . وكان منظراً مريعاً لم أستطع ان احتمله فتسللت من الغرفة دامي القلب . ودفنت الفتاة تلك الليلة ، لأن الأمور تتحرك بسرعة في الشرق !

وكان اليوم التالي يوم الخميس وهو اليوم الذي اعقد فيه مجلسي . وتجمع عدد كبير من الشيوخ ومن اعضاء عائلة آل السعدون وفي مقدمتهم فاري بك وابراهيم بك ابن مزعل باشا . وحضر المجلس ايضاً الحجي شعبان وكان حزيناً ولكن مرفوع الرأس .. ولم ينبس ببنت شفة . وبعد ان تداولنا بالأمور العامة طلبت من الجميع ان يصغوا إلي انتباههم . فأخبرتهم بحادث الصويج وبقصة ابنة الحجي شعبان وكيف طلبت مني ان اعفو عن شقيقها . وعندما انتهيت قلت للمجتمعين: هل رأيتم أبشع من هذه الجريمة .. وأنبل من طلب كهذا يطلبه انسان على فراش الموت ؟

ولاذ الجميع بالصمت فترة طويلة . وأخيراً تكلم فاري بك فقال : يا دكسان .. لا يحدث إلا ما كتبه الله . ان الفتى فعل ما ظن انه واجبه . وليس من الحق ان تعاقبه .

وسرّت لدى سماعي ذلك من فاري بك ولكنني لم اقلها . واجبته بقولي: لا تخف .. سأطلق سراحه ولكن ليس بالطريقة التي تفكر بها .

وبعد ربع ساعة كان الفتى حسون يقف امامنا مكبل اليدين والرجلين .

وكان وجهه شاحباً كالاموات لا ينم عن اية مشاعر . والحيرة باديه مما حدث في الليلة السابقة أثناء مقابلتي الشقيقة ، وبين طالبها الأخير .

وخاطبته بقولي : « يا ابن الحجي شعبان ، وعدني سآتي به مع أنسك معبر لا تستحق الشفقة . ساطلق سراحك لأنني أقسمت ان افعل ذلـك ، ولكن اذا سمعت ، بعد ثلاثة ايام ، انك في اي مكان من قطر ، فسأطاردك اينما كنت ، وأصطادك كأي جبان حقير على شاكلتك .

وفككت الاغلال من يديه ورجليه فبدا عليه الذعر والدهشة ، واندفع خارج الغرفة دون ان ينطق بحرف . وخيم السكوت على المجلس فــترة طويلة ، وقطعته بأن طلبت القهوة ثم اعلنت انتهاء الاجتماع .

وكان آخر من غادر المجلس فناري بيك الذي توجه الي وشد على يدي قائلاً : يا دكسان ، اعتقد انك كنت قاسياً على ابن الحجي شعبان وعلى والده . ربما قد تكون خطت عن الصواب ولكن يجب ان تتذكر يا دكسان انه لا تحدث إلا الاشياء التي يرتضيها الله . ولسنا نحن إلا مجرد ادوات . انها نصيحة رجل عجوز .

مسكينة ابنها الفتاة الكرهية . لقد انتهيت اشراك نهاية . ولسوف اذكرك ما دمت حياً .

انتقام الحجي ناصر

وفي صيف سنة ١٩٢٩ عدت الى انكلترا . وهنــاك علمت من السيد ... كوكس ان صديقي الشيخ قاصد الناجي قد قتل على يــد عدوه الحجي ناصر الدابل . ولم استطيع معرفة التفاصيل في تلــك الوقت ، ولكنني عندما عدت وكيلاً سياسياً في البحرين في خريف تلــك السنة ، عرفت كل شيء من شيوخ وأعيان المنتفق الذين قدموا لزيارتي . انها قصة محزنة اعادت الى ذهني كيف قاصد يوم اعرفنا سوية مقتلة الحجي ناصر ، وهي من ذاكرة العرب طويلة .

ويبدو ان الحجي ناصر رتب أوضاعه والمشكلات لمدة سنتين ، ولكنه لم يغفر لقاصد اشتراكه في حرق مضيفه . فكان ينتظر مغادرتي المنتفق حتى يثأر من

قاصد . وكان قاصد من جهته يضمر الكراهية للحجي ناصر ولكنه لم يكن بينهما خصام مكشوف .

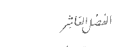
وفات يوم دعـا الحجي ناصر الشيخ قاصد الى وليمة احتفالاً ببناء مضيفه الجديد . وارتكب قاصد الذي لم يتطرق الخوف الى قلبه قط خطأ جسيماً عندما قبل الدعوة . واثناء المأدبة ، وعندما كان قاصد يرفع يده بقطعة لحم الى فمه ، اطلق عليه الرصاص من الخلف . وكان احد عبيد الحجي ناصر قد صوب بندقيته نحو قاصد من ثقب في جانب المضيف ، واصابه في مؤخرة رأسه .

وتبع ذلك لغط كثير ، واختفى الرجل الذي ارتكب الجريمة مدة من الزمان . واستاءت قبيلة الحكام كلها من هذا الغدر الرهيب لا سيما وان قاصد كان ضيف الحجي ناصر مما يشكل انتهاكاً فظيعاً للعادات والاعراف العربية . ونشب قتال متقطع بين اتباع قاصد واتباع ناصر ، وانضمت قبيلة المرحوم الشيخ مزيان الى جماعة قاصد .

واستطاع الشيخ فرهود الفندي رئيس قبيلة الحكام على الضفة اليسرى من النهر ان يقيم هدنة بين الطرفين بمساعدة الحكومة . ولكن ناصر أصبح منـذ ذلك الوقت محكوماً بثوث ، لأن مزهر وريسان ابني قاصد الصغيرين صمما على قتله وأخذا يلتمسانه ليلاً نهاراً . ولم يمض اسبوعان حتى تمكنا من قتله وهو عائد الى مضيفه في مكان كشف النبات .

واعتبر جميع أهل الجوار الأمر انه جزاء عادل وكان عطفهم على أولاد قاصد ظاهراً . واعتقد ان الحكومة اعتقلت الشابين وسجنتهما لفترة قصيرة . ولكن مزهر في النهاية اصبح شيخاً على القسم الأكبر من قبيلة الحكام على الضفة اليمنى من النهر . وقد قابلته مرة سنة ١٩٤٣ فوجدته رجلاً فهماً . وسررت كثيراً بلقائه لأنه أتاح لي فرصة التحدث عن الايام الماضية وعن صداقتي لوالده . واستطعت ان اكتب له رسالة امتدحت فيها ولاء قاصد لي وللحكومة البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى . وذكرته فيها كيف ان والده خاطر بحياته لإنقاذي .

وكتبت الرسالة اعتقاداً مني بأنها قد تكون ذات فائدة في المستقبل لزهر وشقيقه ريسان . وفي سنة ١٩٥٣ أصبح مزهر نائب منطقة سوق الشيوخ في البرلمان العراقي .. بينما كان ريسان يدير شؤون القبيلة .



الفصل العاشر

الاخوان يشنون الحرب على الكويت ١٩١٧ - ١٩٢١

وقبل ان أسترسل في قصصي الشخصية ، يجب ان أسجل بعض الاحداث التي وقعت في الجزيرة العربية اثناء غيابي في لواء المنتفق .

في الخامس من شباط سنة ١٩١٧ توفي الشيخ جابر ابن مبارك الصباح حاكم الكويت بعد ان حكم مدة تزيد عن سنة بقليل . وخلفه شقيقه سالم والد الحاكم الحالي . وكان سالم ابن مبارك الصباح يختلف كل الاختلاف عن شقيقه الراحل . انه كان مسلماً متعصباً وعنيداً . وقبل ان يأتي الى العرش ، قضى حياته في الصحراء ، وكان يكره الاختراعات الحديثة . ولكنه كان فائق الشجاعة ، وعنيد بتبع القوم في النزاع الذي نشأ مع ابن سعود .

وفي نهاية سنة ١٩١٧ قاد سان جون فيلبي من الدائرة السياسية في حكومة الهند والذي كان في ذلك الوقت يقوم بمهمة خاصة في بغداد ، بعثة سرية الى نجد بقصد اقناع ابن سعود باستئناف التحرشات بابن رشيد . وسبق هذا الاجتماع ، ارسال ضابطين الى الرياض من البصرة هما : الكولونيل هاملتون ممثل السير بيرسي كوكس ، والكولونيل كننليف – اوين ممثل الاستخبارات البريطانية في العراق . وقد عاد الضابطان فور وصول فيلبي .

وفي شباط سنة ١٩١٨ فرض الاسطول البريطاني حصاراً على الكويت ، لأنه تبين ان النقود والمتاجر تهرب الى الاتراك في دمشق من الكويت عبر الصحراء .

وفي شهر تموز من السنة ذاتها الفى الشيخ سالم بن التأكيدات المعطاة له ولوالده من بريطانيا ، والصداقة والحماية والمساعدات التي كان يتمتع بها والده لن تستمر إلا اذا أخذ على عاتقه شخصياً منع كل الاعمال المضرة بمصالح بريطانيا في أراضيه ، وسواء ارتكبها رعاياه او غيرهم .

وفي تلك السنة اجبر ابن سعود جميع البدو في نجد ، باستثناء عجمان ، ان يمثلوا الاخوانية ، وان يعترفوا به اماماً عليهم . ولكي يضمن ولاء تلك القبائل ويبقيها تحت سيطرته ، استدعى ابن سعود الزعماء الوهابيين الى الرياض لإصدار فتوى تقضي بأن يقوم المؤمنون من الاخوان ببناء القرى والمدن ، وان يتعاطوا الزراعة ، لأن ذلك فريضة من الوجهة الدينية ، ولأنه يتيح تقسيم الاتباع الى نخبة وجبيلة . والجهلة في معظمهم هم البدو الذين اعتنقوا المذهب الجديد . وفرض على الاخوان ان لا تزيد البيوت التي يبنونها عن طابق واحد . وربما كان ذلك لضمان عدم استخدامها كحصون في المستقبل .

ونتيجة لزيارة فلبي الى الرياض استأنف ابن سعود مناوشاته مع ابن رشيد في خريف سنة ١٩١٨ ، فزحف على جبل شمر ولكنه فشل في اقتحام حايل مع انه وصل الى اسوارها . وكان ذلك كافياً لإجهاض حمله .

وفي تلك الاثناء عاد عبدالله ابن الشريف حسين الى التدخل في شؤون نجد ، فادعى ملكية مدينتين على الحدود هما : تربة وخرمة . وجهز عبدالله قوة كبيرة من المشاة تدعمها المدافع وظهر فجأة امام خرمة التي احتلها بعد فترة من القتال . وبعد ثلاث ليال شن عليه الاخوان بقيادة الامير خالد بن لؤي هجوماً صاعقاً ودمروا معسكره ، واستولوا على مدافعه وبنادقه وذخائره . ووقعت في يد ابن سعود غنائم كثيرة . ونجا عبدالله الشريف من الموت بأعجوبة . وظلت بريطانيا بعد ذلك الحادث بعدة سنوات تعمل جاهدة لحفظ السلام بين الملك

حسين وابن سعود .

وفي ٢٦ كانون الأول سنة ١٩١٩ اتفق ابن سعود مع الحكومة البريطانية حول الاتفاقية الانكليزية – التركية المعقودة سنة ١٩١٣ . وتنص الفقرة الرابعة من الاتفاقية الجديدة على ان قضية الحدود بين الكويت والسعودية يجب تسويتها فيما بعد .

مستشفى للنساء في الكويت

وكتبت السيدة اليانور ايلنور كالفرلي تقول : ومع مرور الزمن أخذت الثقة تنمو . وكذلك عائلة كالفرلي ... فقد رزقنا ثلاث بنات شاركننا البيت الجديد الذي بني لنا خلال اجازتنا الأولى . ويقع هذا البيت على شاطئ البحر في الصحراء الممتدة عند طرف المدينة . وكانت نوافذه العديدة وشرفاته الواسعة مريحة وخاصة في ايام الصيف الشديدة الحرارة . وكان هنالك منزل آخر للارسالية يشغله الدكتور ميلري وزوجته السلطان عينا في الكويت قبل نقل الدكتور هاريسون الى مقر آخر . وهنالك ايضاً المستشفى الجديد الذي عملت فيه مع الدكتور ميلري عدة سنوات . واثناء اجازتنا كانت زوجة الدكتور ميلري تعاونه في معالجة النساء المريضات . ونادراً ما كانت اولئك النسوة يسمحن له بفحص اي شيء ما عدا النبض واللسان الذي كان غالباً يمد من ثقب في الحجاب الذي يغطي الوجه .

وفي سنة ١٩١٩ انشأنا مستشفى للنساء من طابق واحد ، الى جانب مستشفى الرجال .

واتسنا فيما بعد جناحين للعائلات بين المستشفيين . وهناك كنا نحتفظ بالمرضى القادمين من مسافات بعيدة ومعهم عائلاتهم . ولم يكن الا نفر قليل من اهل المدينة يسمحون لنسائهم بالاقامة في المستشفى . وحتى هؤلاء يفضلون ان تتم المعالجة في المنزل إلا في حالات المرض الشديد او العمليات الجراحية الكبرى . وغالباً ما كان الناس يشاهدون « السيدة الطبيبة » راكبة حمارها الابيض وسط

شوارع المدينة . وكانت بعض العمليات تجري على سطح منازل المرأة المريضة في الصباح الباكر حين يكون ضوء النهار جيداً والحرارة ليست شديدة . وكان يشارك في العمليات بعض المساعدين الذين يمكن للمستشفى الاستغناء عنهم .

واذكر اني اجريت عملية على السطح ، وعمليتان في اثنين في غرفة الطابق العلوي . وفي ليلة شديدة الحر انقذت حياة امرأة تعسرت ولادتها ، على ضوء قنديل . ولم يكن الطبيب يستدعى في قضايا الولادة إلا عندما تعجز القابلات المحليات عن اداء المهمة .

ووجود المستشفى قرب المنزل كان يساعدني على تلبية احتياجات العائلة اثناء اوقات العيادة . واحيانا كان يتجمع في الصباح اكثر من مئة امرأة للمعاينة . وكان لدينا في المنزل طباخ ماهر من غسيرة ، وخادم ايراني ، وممرضة عربية . وفي الحالات الطارئة كانت السيدة ميلري والنساء الاخريات في الحي يساعدن على الاعتناء بالاطفال اثناء غيابي او انشغال امهاتهم . وكان الدكتور ميلري ، كالدكتور هاريسون من قبله ، على استعداد ان يساعدني كلما استطاع . ولكن عطف وتعاون زوج ، السيدة الطبيبة ، اكثر من اي شيء آخر هو الذي جعل انسجام الحياة المهنية والحياة العائلية ممكنا .

اما وصول الممرضة راقسا موني التي تلقت تدريبها في مستشفى الارسالية مدراس في جنوب الهند ، الى الكويت فقد كان يوماً عظيماً . وبعد ذلك ارسلت لنا ميارة قورة للعمل على الحـــار . وجعلت كذلك الآنسة جاين سكاردفيلد تعيش معنا وتعاوننا في مستشفى النساء . وقد اكتسب العمل الطبي قوة وفعالية بتعيين الآنسة ماري فان بيلت رئيسة ومشرفة على المستشفين .

« ميلري »

ولد تشارلز ستانلي هارلاند ميلري في لندن في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٨٧٦ ، ودرس الطب في اميركا . وبعد ان تخرج من فيلادلفيا انضم الى الارسالية الاميركية وجاء الى البحرين مع زوجته الاميركية بسي ارغوستا سنة ١٩٠٧ .

وقضى في البحرين اربع سنوات تعلم خلالها اللغة العربية ونقل بعدها الى الكويت سنة ١٩١١ .

وكان عرب الخليج يسمونه « ميربلاي » تحبباً . وكان اهل الكويت بصورة خاصة يكنون له حباً واحتراماً كبيرين . وشاركته زوجته كل تلك السنوات الاول واكتسبت بذلك حب واحترام العائلات العربية التي كانت تلاطف بحوارهم.

وغالباً ما كان ميلري يروي القصة التالية :

بينما كان الشيخ سالم في رحلة صيد صنة ١٩١٦ ، استدعي ميلري فجأة لمعاينة ابن الشيخ . وركب ميلري حصانه فوراً وفعل كل ما باستطاعته لمعالجة الطفل المريض ، تاركاً الخدم الذين وقفوا على خدمة الطفل تعليمات واضحة في كيفية استخدام الدواء الذي وصفه له . وعندما عاد الى القصر في اليوم التالي لمعاينة المريض وجد ان الطفل لم تتقد والدته التي لم يعط الدواء الذي وصفه ، فغادر القصر غاضباً ورفض ان يعاين الطفل او يعالجه .

واستنجر ميلري زوجته بتصرفه الطائش وهي تعرفه من غضب الشيخ سالم عندما يعود من الصيد . وبعد هذا اليوم شاهد ميلري جماعة من الجنود تقترب من منزله فظن انهم قادمون للانتقام منه ومن عائلته . وتعجب عندما عرف ان الشيخ قدم الاعتذار اليه من سوء تصرف الخدم وابلاغه انهم عوقبوا بالجلد . وقد احضر الشيخ معه بعض الهدايا لتشكره ، هي عبارة عن سجادة عجمية وعقد من اللآلئ لزوجته . ولم يكن في وسع ميلري ان يرفض الهدية . اما الطفل فقد نال الشفاء وعادت العلاقات مع الشيخ الى طبيعتها .

زيارتي للهفوف

كان اول اتصالي بالاخوان في كانون الثاني سنة ١٩٢٠ عندما كلفتني الحكومة البريطانية ان ازور الهفوف واحمل ضيفاً على ابن سعود . وكنت يومها وكيلا سياسياً في البحرين . وكان علي ان اقوم بهمة صعبة وهي معرفة كل ما يمكن معرفته عن الحركة الجديدة . واذا حاولت ان استفسر عن الحركة كنت اصطدم

بجدار من الصمت والكتمان . واستنتجت من ذلك ان ابن سعود لا بد وان يكون قد اصدر تعليماته بعدم الافصاح عن شيء فيما يتعلق بالحركة امام الغرباء .

ولم تكن اسباب هذا التصرف بعيدة عن التصور . واعتقد ، اولاً ، ان ابن سعود الذي اقترن اسمه بحركة الاخوان، كان يخشى الفكرة التي قد ترتسم عنه في اذهان العالم الخارجي . وثانياً ، كان قلقاً من الدعايات غير الضرورية عن الحركة ، والتي اطلقتها تقارير مبالغ بها صادرة عن مصادر مغرضة . وثالثاً ، كان يعلم ان بعض الجهات ، وخاصة القاهرة وبغداد ولندن ، تنظر الى الحركة بين الخوف وعدم الاتزان . ورابعاً ، لم يكن يريد ان يعرف أحد انه يشجع الحركة ويقودها تنفيذاً لغاياته ومآربه الخاصة .

وعندما قمنا في الهفوف أصر علي امير حركة الاخوان ليست الا نسخة جديدة عن الوهابية القديمة . وقال لي بالحرف الواحد : ان الوهابية القديمة اليوم ممزوجة باندفاع الاخوان ، هي لصيق والتي التيارات في العالم .

وفي المناسبة ذاتها قال لي : يا ديكسون لا تخف . الاخوان هم انا ولا احد غيري .

ويمكنني الاستنتاج بصورة عامة من كل ما رأيته وسمعته من ابن سعود ومن مساعده الامين فيصل الدويش الشيخ الأعلى في قبيلة مطير، ان حركة الاخوان ليست في كليتها حركة سيئة كما اريد لها ان تكون في البداية . فهي اولاً احياء ديني حقيقي للوهابية القديمة ، ومحاولة من قبل جماهير اواسط الجزيرة العربية لتحسين اوضاعهم الاخلاقية والدينية . وهي خاصة تبدو وكأنها محاولة جديدة لتطهير الاسلام من الشوائب التي علقت به بفعل النفوذ الاوروبي . ومما لا شك فيه ان الحركة ذات طابع دفاعي قومي لا تثق بكل ما هو اجنبي ، وتحاول باصرار اعادة الجزيرة وتجديد الى العرب بأي ثمن .

ومهما تكن المطامع والافكار السياسية التي ميزت رجالاً كابن سعود في البداية ، فالثابت هو ان الجماهير كان يحركها شعور طافح بالعداء للأجانب . ان صفوف الاخوان كانت في الايام الاول للحركة مؤلفة كما ذكرت سابقاً من

القرويين المجبة السفيح في نجد، وامتدت فيا بعد الى قبائل البدو في داخل الجزيرة العربية والبلدان المجاورة لها .

أما الطبقات المثقفة من أهل المدن والتجار في نجد فقد كانوا وهابيين في الأصل . ومع أن هؤلاء لم يوافقوا على بعض نزعات الاخوان ، وخاصة عدم التسامح ، لكنهم اعتبروا أن الحركة جديرة بالتأييد لأنها تعطي الوهابية المحتضرة دافعاً جديداً نحو اسلام نقي ، ولأنها تمكن ابن سعود من السيطرة اللازمة على قبائل نجد التي كان كبح جماحها ضرورياً .

ان احداً من الذين عرفوا ابن سعود معرفة جيدة لا يستطيع ان يتهمه بكونه شخصياً بالتعصب الوهابي ، او بالهيجان والاندفاع الديني الأعمى الذي كان يحفز به اتباعه من الاخوان . فقد كان في المناسبات ، وحسب متطلبات الموقف ، يتظاهر امام اتباعه بان له نفس نظرتهم والكارهم ، لا سيما عندما يحتك بجنود عشية غزوة من الغزوات ، او عندما يرغب في ترك انطباع لدى بعثة انكليزية او اجنبية . وعلى كل حال ، فان اوليفر كرومويل كان يتبع نفس الاساليب !

وليس أدل على أن ابن سعود لم يكن متعصباً مهووساً في سريرته من الحادثة التصيبة التي واجهتني اثناء زيارتي لهفوف . كانت حركة الاخوان في عز تأججها ، وعندما يجتمع شيوخ القبائل في كل المناسبات ، وحتى في حضوري ، كان ابن سعود يندد بالاجانب ويتكلم ضدهم . ومثالاً على ذلك ، قال مرة ان المساعدة الشهرية ومقدارها ٧٥ ألف روبية التي كانت تقدمها له الحكومة البريطانية ، والتي حملت قسطاً منها إليه أثناء زيارتي ، هي جزية كان يدفعها المسيحيون الى قادة الاسلام الأوائل بدلاً من الخدمة العسكرية . وقد حذرني في المجلس ابن الشيخ حرام وخطيئة ميتة ، وان من يدخنه في نجد يكون قد خرق القانون وبذلك يعرض نفسه الى الاذى . ومع ذلك ، وتبعاً للقواعد الضيافة العربية والاعتناء براحة الضيوف ، أرسل إليّ ابن سعود الوقور بعد مجلس القلام علبتين من أفخر السجاير المصرية بيد الدكتور عبدالله سعيد الدملوجي ، طالباً مني أن أدخنها خلف جدران غرفتي .

وكان نجاح حركة الاخوان وتقدمها من خطوة إلى خطوة ، يدل على عبقرية ابن سعود ومهارته في وضع خططه . فلم تأت سنة ١٩٢٠ حتى كانت الحماسة للمذهب الجديد قد بلغت حداً كبيراً بين البدو بحيث انه لم يبق أحد إلا وانضم إليه .

وتجاوب الجميع بحماسة مع الأمر الذي أصدره ابن سعود ببناء القرى والمدن لتوطين القبائل . وأصبح البدوي يفتخر بأنه سيصبح من أهل الحضر .

وأخيراً ابن سعود ان اثنتين وخمسين حاضرة قد بنيت في نجد نتيجة لهذا الأمر الشهير . وقد اثبتت الطريقة التي اقبلت بها القبائل وحلت على الاستيطان والعمل في الزراعة دون ان تشعر بأي نفور ، أن ابن سعود ليس قائداً عادياً . فأخذ يفاخر انه أعطى القبائل الرحل حصة في الأرض وجعلها قبائل مقيمة . وفي الوقت ذاته جعل هذا النظام الجديد مرناً لكي يسمح لهم من كل قبيلة ان يبقى في الصحراء خلال السنة يرعى الجمال والمواشي .

أما اختيار الحاضرة التي كانت ستقطنها هذه القبيلة أو تلك من الاخوان ، فكان من اختصاص ابن سعود نفسه . فكان يقربهم من الرياض او يبعدهم عنها حسب سهولة او صعوبة مراسهم .

ولم تكن قبيلة عجمان في ذلك الوقت قد انضمت الى الحركة . وليس ذلك لأنهم يعترضون على الاخوان وحركتهم ، بل لأنهم كانوا يعرفون نوايا ابن سعود في اخضاعهم عن طريقته الخاصة . وهي ، كما يعرف رجال الصحراء ، عقوبة صارمة . فقد كان ابن سعود ينوي نقل قبيلة عجمان من منطقة الاحساء الساحلية موطنها الأصلي الى داخل نجد حيث يقسمها الى الاقسام العشرين التي تتألف منها ويضع كل قسم في حاضرة من حواضر الاخوان ، وذلك لكي يشتت شملهم . وقد اخبرني ابن سعود بنفسه ان هذا هو مقصده لأن عجمان خانته مرتين : مرة أثناء القتال مع ابن رشيد في جراب (جراب) في كانون الثاني سنة ١٩١٥ ، ومرة في تشرين الثاني من نفس السنة عندما هاجمته في الاحساء وكادت تتغلب عليه . ومنذ ذلك الوقت ، قال ابن سعود ، وعجمان تلعب عليه بخفة وتحايل . فهي

مرة تقطن في الكويت وتارة في العراق . وفي الوقت الذي كنت فيه ضيفاً على ابن سعود كانت عجمان قد ضربت خيامها في الزبير ، وكانت على وشك الوصول الى مصالحة مع ابن سعود .

ومن أحاديثي المختلفة مع ابن سعود استنتجت انه على استعداد لأن يتسامح مع عجمان ويخفف العقوبة التي ذكرتها ، علماً بأنه ربما يستطيع أن يكون قاسياً الى أبعد حدود القسوة .

مسألة الحدود مرة ثانية

شهدت سنة ١٩٢٠ اضطراباً شديداً في العلاقات بين ابن سعود والشيخ سالم حاكم الكويت .

وكان هذا الأخير قد وضع الحصار البحري البريطاني للكويت على أبواب ابن سعود . وقد فرض ذلك الحصار بشدة حتى تم توقيع الهدنة مع تركيـا . وظن الشيخ سالم ان ابن سعود كان أذكى منـه مع الحكومة البريطانية التي خدعها ابن سعود على إرادتها ، وأن ما فاتته الكويت من خسارة في التجارة والنفوذ لا يمكن تفسيره إلا بأن البريطانيين اعتقدوا ان ابن سعود هو صديقهم ، فلما اقترح عليهم ان الشيخ سالم موال للأتراك ، صدقوا الحكاية .

وظن الشيخ سالم انه ليس من غير المحتمل ان يهاجم ابن سعود الكويت ، او على الأقل يحاول ان ينقض الاتفاقية الانكليزية – التركية المعقودة سنة ١٩١٣ .

وكانت تلك الاتفاقية قد أعطت الكويت سيطرة إدارية مباشرة على مساحة صغيرة حول مدينة الكويت ، وسيطرة غير مباشرة مع حق فرض الضرائب على القبائل في منطقة واسعة جنوبية ، تمتد من جبل منيفة على البحر الى حفر الباطن في الغرب ، وحتى الباطن مقابل جبل صنم في الشمال . وكان من المقصود ان تشمل هذه المساحة الكبيرة نطاع والحاززين والصفا ووبره وغيرها .

واحتياطاً للمستقبل وخوفاً من مطامـع عبد العزيز آل سعود وصـعد

الأحدب فيصل الدريش القائد الروحي للاخوان ، أخذ الشيخ سالم يعد العدة لأسوأ الاحتمالات . فاقترح بناء حصن في دوحة بلبول على الشاطىء شمال جبل منيفه لتكون بمثابة حدود له في أقصى الجنوب . واعترض ابن سعود محتجاً ان دوحة بلبول تقع ضمن أراضيه ، ورد بأن أمر ابن شقير قائد قبيلة مطير أن يستولي على جاريه عليا التي يدعيها الشيخ سالم .

وبدأ ابن شقير في بناء قرية للاخوان في جاريه عليا الامر الذي دفع الشيخ سالم الى إرسال الشيخ دعيج ابن سلمان ابن صباح الفاضل قائد قوات الكويت الى حمض لتي تبعد خمسة عشر ميلاً إلى الشرق من جاريه عليا ، حاملاً راية الحرب بقصد دب الخوف والذعر في مطير .

وبينما كان دعيج مخيماً في حمض مع قوة لا بأس بها ، ضرب فيصل الدويش ضربته مفاجئاً دعيج بهجوم عند الفجر على رأس قوة كبيرة من الاخوان في مطير . وهزم جيش الكويت هزيمة شنعاء واستولى الاخوان على الفي وعلى عدد كبير من الجمال . وكان عدد القتلى في صفوف جيش الكويت كبيراً ، ولم ينج دعيج ومعه الشيخ عبدالله الجابر الصباح من الأسر والموت إلا بأعجوبة .

ولما عادت فلول جيش دعيج إلى الكويت تحقق الشيخ سالم من خطورة الوضع المحدق به ، فأمر ببناء سور دفاعي حول مدينة الكويت دون ابطاء . واشترك جميع سكان المدينة ببناء السور الذي انتهى العمل به خلال شهرين .

وطلب الشيخ سالم مساعدة الحكومة البريطانية مدعياً بأن فيصل الدويش اقدم على الهجوم في حمض دون ان يستفز . واستنكر ابن سعود ذلك في عدة رسائل وجهها الى الحكومة البريطانية ووضع اللوم كله فيها على الشيخ سالم . وعندما طلب منه ان يحدد الأراضي التي يدعي ملكيتها أصر على أن حدوده تمتد الى أسوار مدينة الكويت . وحينئذ أبلغته الحكومة البريطانية انها تعترف فقط بالحدود المنصوص عنها في الاتفاقية الانكليزية – التركية المعقودة منذ ١٩١٣ .

وفي أول حزيران أرسل الشيخ سالم بعثة الى الرياض لتبلغ ابن سعود ــــ

حدث في حمض ، وتطلب منه إعادة الجمال والممتلكات المسروقة منها ، ودفع تعويض عادل الى عائلات اللذين قتلوا في المعركة .

وعادت البعثة في الثاني من تموز يصحبها ناصر ابن سعود الفرحان حاملاً رسالة مطوّلة من ابن سعود الى الشيخ سالم . وتضمنت الرسالة سلسلة من الاخطاء قالت إن الشيخ سالم ارتكبها ضد ابن سعود وشعبه ، وأكدت ان الشيخ سالم ليس له أدنى حق في جاريه عليها أو أي منطقة أخرى يدعيها ابن سعود .

وضمن ابن سعود رسالته وثيقة طلب من الشيخ سالم ان يوقعها ويعيدها إليه متعهداً فيها بالتنازل عن المناطق التي يدعي ملكيتها الى الشرق والى الغرب من جاريه .

ووجد الشيخ سالم ان لا سبيل الى تفاهم شريف مع ابن سعود إلا عن طريق بريطانيا ، فالتمس فوراً بالحكومة البريطانية لاستشارتها بشأن الرد على ابن سعود ، مشدداً على ان المناطق المتنازع عليها هي ملك صريح له بموجب الاتفاقية الانكليزية – التركية المعقودة سنة ١٩١٣ .

وطلبت الحكومة البريطانية من الشيخ سالم في جوابها على طلبه ان لا يوقع وثيقة التنازل التي أرسلها إليه ابن سعود ، وان يطلب رسمياً التحكيم الودي من قبل الحكومة البريطانية . وفي الوقت ذاته أشارت الى أن الاتفاقية الانكليزية التركية المشار اليها لا يمكن للشيخ سالم ان يعتمد عليها لأنها ليس طرفاً فيها ، ولأن الفقرة الرابعة التي اتفقت عليها الحكومة البريطانية مع ابن سعود في ٢٦ كانون الأول سنة ١٩١٥ ، قد سلت على الاتفاقية ، وأصيب الشيخ سالم بخيبة أمل مريرة .

وبعد مراسلات طويلة بين الكويت وابن سعود والمندوب السامي البريطاني في العراق ، وافقت الحكومة البريطانية على تعيين حكم بشرط ان يتعهد كل من ابن سعود والشيخ سالم خطياً نيابة عن شعبيهما بقبول مسبق لما قد يسفر عنه التحكيم والالتزام به مدى الحياة .

واشترطت الحكومة البريطانية كذلك على الطرفين ان يحافظا على السلام في

تلك الأثناء . وبعد سيل من المراسلات الأخرى قبل الشيخ سالم هذه الشروط في السابع عشر من أيلول وكذا الاتفاقات السابقة . وهذا ابن سعود حدود قبلت بموافقته في الخامس من أيلول معلناً انه ليس للشيخ سالم حق خارج أسوار مدينة الكويت .

وفي تلك الأثناء بعث ابن سعود برسالة الى ابن شقير في جاريه علياً يأمره فيها ببناء حصن هناك . ووقعت الرسالة في يد الشيخ سالم فاستاء الغضب في الكويت ، نظراً لأن الرسالة ارسلت بعد قبول شروط التحكيم التي وضعتها الحكومة البريطانية .

معركة جهرا

وتلقى الشيخ سالم معلومات خاصة تفيد ان فيصل الدويش يتحرك شمالاً إلى صبيحية بجنوب غربي تلال برقان بناء لأوامر ابن سعود . وخشي الشيخ سالم ان يكون ذلك مقدمة هجوم صاعق على جهرا التي يطلق عليها أهمية استراتيجية كبرى ، فسار شيها بما لديه من قوات وبدأ بعد الدفاع عنها .

ووصل فيصل الدويش الى صبيحية في التاسع من ايلول، وأمر الشيخ سالم بدوره بتحصين أسوار مدينة الكويت وتجنيد جميع الرجال القادرين جنديا لهذا الغرض .

وكان السير بيرسي كوكس قد عين مندوبا ساميا في العراق. وفي طريقه إلى الخليج الفارسي التقى بابن سعود في عقير وأجرى معه محادثات حضرتها بنفسي ، ونقل اليه خلالها أوامر الحكومة البريطانية ، ووصل السير بيرسي الى بغداد في العاشر من تشرين الاول .

وفي الساعة السادسة من صباح ذلك اليوم شن الاخوان بقيادة فيصل الدويش هجوماً على جهرا . وكانت قوات الشيخ سالم تحمي الجهة الجنوبية الغربية من القرية بينما كانت الميمنة من خيالة شمر بقيادة ابن طوالة وكان قائد خيالة الجهرة دعيج الشامل . وشن الاخوان هجومهم على المواقع الغربية، وبعد ان تكبدوا خيالة

حتى استداروا نحو المواقع الشمالية الغربية . ولم تأت الساعة التاسعة حتى كانت القرية كلها بأيديهم . وحوصر الشيخ سالم وغيره من الشيوخ ومعهم مئات رجل في الحصن الواقع جنوب غربي القرية ، بينما شُتتت قواته الباقية . وبعد الظهر بعث فيصل الدويش رسالة الى الشيخ سالم يعرض عليه الصلح اذا أخلى الحصن وتنازل عن طلب الجزية التي يقول عنها الاخوان . ورفض الشيخ سالم ، وخلال الليل شن الاخوان ثلاث هجمات مركزة على الحصن ولكنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء عليه .

وتوالت الأعصاب في مدينة الكويت على أثر الشائعات الكثيرة التي سرت فيها ، وبدأ الجميع يتخوفون من هجوم مدمر على المدينة ، فأرسل جميع الرجال الموجودين فيها الى السور لتنظيم الدفاع عنه . وفي صباح الحادي عشر من تشرين الأول أرسل الشيخ أحمد الجابر الصباح أمير مدينة الكويت حينذاك نجدة الى جهرا قوامها سبعمائة رجل توجه بعضهم الى الجهرا بطريق البحر في سفينة الشيخ الخاصة المسماة « مشرف » . وتوجه ابن طوالة على رأس فرقة من الخيالة بطريق البر .

وقبل أن تصل هذه الامدادات أرسل فيصل الدويش الى الشيخ سالم عالماً يدعى ابن سليمان يعرض عليه مقترحات محددة لعقد الصلح . وطلب ابن سليمان من الشيخ سالم منع التدخين والمشروبات الروحية ولعب القمار والدعارة في الكويت . وأجاب الشيخ سالم انه لا يقر هذه الموبقات وهو على استعداد لأن يمنع رعاياه من ممارستها علناً ، ولكنه لا يستطيع أن يمنع الناس من أن يفعلوا ما يشاؤون داخل بيوتهم ، لأنه لا يستطيع تحمل مسؤولية حسب بقية الاجانب الذين لا يخضعون لسلطته .

وعاد الشيخ سالم الى مسألة الجزية والسلاسل الاخرى قائلاً انه اذا كان الاخوان على استعداد لأن ينسحبوا ويتركوا خلفهم كل شيء اغتنموه ، فإن له أن يعترض سبيلهم . وكان رد ابن سليمان على ذلك ان الاخوان لهم حق الاحتفاظ بغنائم الحرب ، ولا يستطيع الموافقة على التخلي عنها دون الرجوع الى فيصل الدويش . وعاد ابن سليمان الى خيمة فيصل الدويش في الطرف الآخر من القرية .

وبعد هذه المثابة برقت قصير انسحب الاخوان دون قتال آخذين معهم كل شيء . وبعد مسيرة ثلاث ساعات ذلك اليوم ، استأنفوا السير نحو صبيحيه في الثاني عشر من تشرين الأول .

وكانت خسائر الكويتيين في الأرواح قليلة نسبياً اذ لم يتجاوز مجموع القتلى مائتي رجل . اما الاخوان الذين قاموا بهجوم مكشوف دونما اهتمام بسلامتهم فكانت خسائرهم جسيمة . وقد البلغني الميجر مور الوكيل السياسي في الكويت آنذاك انهم تركوا ثمانمائة قتيل على ابواب جهرا . ويقال ان عدد الجرحى منهم كان اكثر من ذلك بكثير ، وقد مات منهم حوالي اربعمائة رجل قبل ان يصلوا صبيحية ، واكثر من مائة رجل ماتوا بعد ذلك .

وهكذا انتهت معركة جهرا التي يرى فيها العرب انتصاراً مبيناً للكويت في صراعها الطويل مع ابن سعود أيام الشيخ سالم .

تدخل الحكومة البريطانية

وعاد فيصل الدويش فأرسل رسالة الى الشيخ سالم من صبيحية في ١٤ تشرين الأول ، طالباً منه ارسال صديقه هلال المطيري احد كبار تجار الكويت ليجري معه مفاوضات حول حل النزاع . ورفض الشيخ سالم هذا الاقتراح ، وأبلغ الدويش انه اذا كان يرغب في اجراء محادثات معه فليرسل بعثة خاصة الى الكويت لهذا الغرض .

ونتيجة لذلك أرسل الدويش بعثة برئاسة جفران الفقم في ١٨ تشرين الأول ، ولكنه بدا واضحاً منذ البداية ان شروطها لن تقبل . وتتلخص هذه الشروط في ان ينضم جميع أهالي الكويت الى حركة الاخوان .

واستمع الشيخ سالم عن مقابلة الوفد لمدة اسبوع طلب خلاله رسمياً مساعدة بريطانيا . وأخيراً استقبل الوفد في ٢٤ تشرين الاول بحضور الميجر مور الذي نقل اليهم بلاغاً كتابة وشفهياً كانت نسخ منه قد القيت من الطائرات مسبقاً . وينص البلاغ على انه مـا دامت النزاعات محصورة في الصحراء وفي جهرا ،

فإن الحكومة البريطانية لا تتمكن تعمل اكثر من استخدام الجهود الودية لصالح البلاد. ولكنه اذا تعدى الامر ذلك وشملت التهديدات مدينة الكويت والرعايا البريطانيين القاطنين فيها ، وتعرضت تأكيدات بريطانيا الى شيخ الكويت للخطر ، فإن حكومة صاحب الجلالة لا تستطيع ان تبقى مكتوفة الايدي او ان تأخذ موقف المتفرج .

ومضى البلاغ قائلاً : ان الحكومة البريطانية على ثقة ، كما يستدل من تصريحات ابن سعود المتكررة ، ان اعمال الاخوان العدوانية جاءت خلافاً لرغباته وأوامره . ومما لا شك فيه انه أوضح ذلك نور سماعه بأنباء الهجوم على جهرا .

وأكد البلاغ انه اذا ما حاول الاخوان مهاجمة الكويت ، فان ذلك يعتبر تصرفاً معادياً لسلطات البريطانية والشيخ الكويت ، الأمر الذي لن يترك امام حكومة صاحب الجلالة خياراً سوى معارضة الاعمال العدوانية بكل الوسائل الممكنة .

ورد جفران الكفم على ذلك بقوله : ان تصرفات الاخوان المعادية للشيخ سالم جاءت بناء لأوامر مباشرة من ابن سعود . وقال الميجر مور انه لا يصدق اقوال جفران نظراً لأن ابن سعود صديق للبريطانيين وأكد لهم أكثر من مرة انه ليست لديه اية نوايا لاجتياح الكويت ، وان ابن سعود رجل شريف يحافظ على كلامه .

وكرر الميجر مور تحذيره بأن بريطانيا ستقاوم أي هجوم على الكويت ، وانسحب من الاجتماع .

وغادرت البعثة الكويت في اليوم ذاته وعادت الى صبيحيه يصحبها مبعوث من قبل الشيخ سالم . وعاد المبعوث في الثامن والعشرين من الشهر حاملاً رسالة فيصل الدويش يؤكد فيها انه صدق وعود الشيخ سالم التي قطعها لابن سلمان في جهرة ، ولذلك امتنع عن متابعة القتال وحاول ايقاف زحف قوات ابن سعود. واستطرد قائلاً ان الشيخ سالم خدعه ولم ينفذ وعوده . وبهذا انتهت الهدنة .

وقال الرجل الذي حمل الرسالة انه عندما غادر صبيحية كان الاخوان يجمعون السلاح استعداداً للسير نحو الصفا في صباح السادس والعشرين لانتظار الذخائر والمؤن التي ستصلهم الى هناك . وقـد ثبتت صحة هذه الاقوال ، ولو لم يكن منظر الطائرات والسفن البريطانية في خليج الكويت يدعو الى حمل قرار فيصل الدويش بالانسحاب .

وفي ٣٠ تشرين الأول بلغ الشيخ سالم ان المندوب السامي البريطاني السير بيرسي كوكس يعتزم وقف سفك الدماء ، وان تحل القضية بين الكويت وابن سعود بصورة ودية ، مسألة علمية قطعية . وقال انه ايضاً ان آبار صبيحية يجب الا لا يستولي عليها أحـد من الطرفين المتنازعين ، وان أي عمل في غير هـذا الاتجاه يعرض مركزكم الى قصف الطائرات الملكية البريطانية . وقـد ارسلت رسالة مماثلة الى ابن سعود عن طريق البحرين .

على بعد ثلاثين ميلاً الى الشرق فالجنوب الشرقي من البصرة تقع مدينة المحمرة الايرانية . وفي كانون الثاني سنة ١٩٢١ عرض خزعل خان شيخ المحمرة ان يرسل ابنه الاكبر الى نجد برفقة الشيخ أحمد ابن شقيق الشيخ سالم ، لكي يحاول ايجاد صيغة لإقامة هدنة بين الشيخ سالم وابن سعود .

وقبل هذا العرض ، وتوجهت البعثة الى نجد عـن طريق البحرين في شهر شباط . وقد وصلت البعثة الى معسكر ابن سعود في الحسى الى الشمال من الرياض في الثاني من آذار . وبعد يومين من ذلك التاريخ بلغتهم انباء وفاة الشيخ سالم . وقد توفي الشيخ سالم في السابع والعشرين من شباط بعد ان فاجأه المرض في يوم في الثالث والعشرين .

وقد قال ابن سعود لدى سماعه النبأ انه لم يعد هنالك نزاع بعد الآن ، ولم تعد هنالك حاجة للحدود بين بلاده والكويت .

حاكم جديد للكويت

كان من عـادة شيوخ الكويت ان يحكموا شخصياً وبصورة اوتوقراطية ،

ويشجبون دائماً تفويض غيرهم بالسلطة . ومن الامور التي يباهون بها ان مقابلتهم متوفرة لجميع رعاياهم بدون استثناء . وكان من عاداتهم ايضاً تقبل الظلامات والمطالب شخصياً لمدة ساعتين أو ثلاث في سوق المدينة ، ويقررون حل جميع المشاكل ، صغيرها وكبيرها ، بطريقة الحكم المباشر .

ولما توفي الشيخ سالم ، كان أهل المدينة قد تعبوا من الحروب التي فرضت عليهم منذ أمدٍ ، فقرروا ان تكون لهم في المستقبل كلمة في شؤون الدولة والحكم . فأبلغوا عائلة الصباح انهم لا يقبلون إلا حاكماً يقبل بإنشاء مجلس استشاري . ووقع الاختيار على احمد الجابر الصباح ، الابن الاكبر للمرحوم الشيخ جابر بن مبارك الصباح . وكان أحمد يتمتع بشعبية كبيرة الى جانب رضا عبد العزيز آل سعود . وقد ارتقى أحمد العرش اثر عودته من نجد في التاسع والعشرين من آذار .

وقد تم الاتفاق بين الحاكم الجديد وبين معالي الكويت على ان يحكم في جميع القضايا الجنائية بموجب الشريعة الاسلامية . وفي حال الاستئناف يجب على كل من الطرفين ان يرفع طلباً مرفقاً بصورة عن حكم القاضي الى العلماء الذين يكون حكمهم نهائياً . أما اذا اتفق الطرفان المتخاصمان مسبقاً على رفع القضية الى فريق ثالث للتحكيم بينهما ، فيكون قرار الحكم ساري المفعول .

وعلى الحاكم ان يطلب المشورة في القضايا الداخلية والخارجية التي تهم اهل المدينة . واذا كان لأحدهم اقتراح لمصلحة المدينة ، يرفعه الى الحاكم الذي يستشير بشأنه الشعب ، ويتبناه اذا وافق عليه .

وتم انتخاب مجلس استشاري من اثني عشر عضواً برئاسة حمد بن عبدالله صقر ، احد كبار تجار المدينة . وكان ستة من الاعضاء يمثلون المنطقة الشرقية من المدينة ، والستة الباقون يمثلون المنطقة الغربية . ولكن هذا المجلس لم يجتمع الا نادراً ، وكان الشيخ أحمد يحكم بنفس الطريقة القديمة المتبعة من قبل .

وكان الشيخ أحمد قوياً ، مرحاً ، وبهي الطلعة ، يشبه والده الى حد بعيد . وكانت ابتسامته الجذابة المرحة تجعل منه شخصاً لائقاً بمركزه وبخاصة اسمه الاحتفالي منه . ويقول عنه النقاد المغرضون انه لا يملك قوة حقيقية ويتميز

بالعناد اكثر منه بالقوة . اما انا فأقول عكس ذلك تماماً نظراً لانني عرفته من كثب مدة عشرين سنة استطاع خلالها ان يبدد كثيراً من الغيوم التي تلبدت في الجو السياسي . وقد عرفت فيه رجلاً هادىء الطباع حازماً وقادراً على اتخاذ قرارات سريعة ملائمة . وكان طموحه في الحياة ان يسير على خطى جده الشهير وعلى خطى الملك عبد العزيز آل سعود .

لقد كان متمتعاً بذا عقل مصيب راجح ، ويعتمد عليه في عمل الشيء الصحيح في المكان الصحيح . ولكنه ككل عربي أصيل ، كان شديد الاعتزاز بنفسه . فبينما كان يستجيب للمعونة الطبية الكبيرة ، لم يكن يستطيع تحمل عدم اللياقة او نسيان الأمور والتغاضي عنه . وهو صعب المراس الا لمن تناوله امره بصورة خاطئة .

وكان دائماً يتمتع بشعبية كبيرة بين اهالي الكويت مع انه اشتهر بالبخل والتقتير ، وخاصة بين البدو ، عندما حاول وضع امور الدولة المالية في نصابها في الفترة ما بين سنة ١٩٢٣ وسنة ١٩٣٧ ، عندما حظر ابن سعود التجارة بين نجد والكويت . ولكنه في الواقع لم يكن كذلك .

وكان حريصاً على تنفيذ وتطبيق روح الدين الاسلامي ، فتشدد في منع الخمر والحد من البغاء والدعارة . ولم يكن هو يدخن التبغ اطلاقاً .

وتصرف تجاه البريطانيين بصورة حسنة ، فأعطوه جميع التأكيدات التي أعطيت لأسلافه من قبل . وكان يحب الاستقبال والترفيه على الطريقة البريطانية فخصص جناحاً في قصر دسمان وأثثه على طريقة المنازل الاوروبية . وكان مولعاً بالبنادق والمسدسات والصور السينمائية وآلات التصوير والسيارات وغيرها من المخترعات الحديثة . وغالباً ما كان يشاهد وهو يقود سيارته بنفسه . وكان قناصاً ماهراً يجيد الرماية . ويمكن التدليل على أفكاره الغربية في الرياضة من تشدده ضد صيد الغزلان بواسطة السيارات .

ولد الشيخ أحمد سنة ١٨٨٥ وكان في السادسة والثلاثين عندما ارتقى الى العرش وظل فيه حتى وفاته سنة ١٩٥٠ .

حب سعود العرافة لنورا

السيدة نورا امرأة رائعة ، تشبه بشخصيتها واخلاقها وكرمها وجاذبيتها شقيقها الكبير ابن سعود . وكان شقيقها يقيم وزناً كبيراً لأفكارها وآرائها السياسية . وعندما كانت تتعبه امور الدولة ، كان يختلي بها ساعات طويلة ليتلقى منها النصح والرأي .

وكانت نورا متزوجة من سعود العرافة آل سعود حفيد سعود بن فيصل آل سعود الامير الثاني عشر في نجد . ويقال ان هذا الزواج كان وليد حب جارف بالنسبة لسعود العرافة ، ولكنه بالنسبة لابن سعود كانت له ابعاد سياسية . الم يكن فرع عرافة من آل سعود مصدر خطر دائماً ؟ واخيراً وليس آخراً ، أليست هنالك أواصر قربى بينهم وبين قبيلة عجمان التي كانت دائماً شوكاً في جنب الحاكم ؟

لقد كانت قبائل عجمان ومرة تنظر بعين العطف الى سعود العرافة لأن أمه وضحى تنتسب الى بيت الشيوخ الحاكمين في عجمان . فهي ابنة الشيخ حزام الهذلان . وكانت هذه القبائل تعتبره شيخها وتتبعه على بكرة أبيها اذا ما نشأ خلاف في العائلة المالكة . وفي حياة ابن سعود كانت القبائل اذكى من ان تظهر كثيراً من الولاء لسعود العرافة ، لأن الملك يعرف كل شيء ولا يغفر شيئاً . ومع ذلك كانوا يلقبونه بسعود الكبير ولا يزالون الى اليوم .

وكان سعود العرافة شديد التعلق بنورا فكان أحياناً يصرخ أمام اصدقائه في عجمان يقول : نورا .. لا استطيع ان أعيش بعيداً عنها .. انها الشيء في خاطري .

وفي صيف سنة ١٩٢٦ جهز ابن سعود نفسه لإخضاع اواسط الجزيرة العربية لسلطانه بالاستيلاء على حايل وتحطيم سلطة آل الرشيد الى الابد . وفيما يتعلق بذلك اخبرني فليفل ابن حويط من عجمان القصة التالية قال :

عندما خرج عبد العزيز لغزو ابن رشيد في حايل ، امر القوم ان يتجمعوا على بعد عدة أميال من الرياض تأهباً لسير عسكر الحرب الجديدة . ومعه ذهب

سعود العرفه بعد أن ودع زوجته الحبيبة نورا .

وشاء الله أن يتأخر الزحف عدة أسابيع . وقبيل المسيرة النهائية ، اشتاق سعود العرفه لنورا وأراد أن يلقي عليها نظرة أخرى ، فتخلف عن الجيش سراً وامتطى حصانه عائداً إلى الرياض على بعد ثلاثين ميلاً ، فوصل إلى المدينة عند غروب الشمس . وهناك تنكر لئلا يعرفه الحراس عند الباب ويكتشفوا أنه تخلف عن الجيش .

ترك سعود حصانه بين أشجار النخيل خارج المدينة ، واقتطع عدة شجيرات حملها على رأسه ودخل المدينة بجرأة كأنه حطاب . وغطى وجهه جيداً فاستطاع أن يمر دون أن يشعر به الحرس . ولكنه سمع رجلاً شيخاً يقول لآخر في الشارع : يا الله ، ان مشية هذا الرجل تشبه مشية الإمام أو مشية سعود العرفه .

وأسرع سعود إلى قصر زوجته فوصل عند حلول الظلام ، فاستقبل بصرخات الفرح وسرت نورا بقدومه كثيراً . وقبل أن تستفسر عن سبب قدومه أمرت بإغلاق جميع النوافذ والأبواب حتى يبقى قدوم زوجها سراً . وأمرت جميع خدامها وعبيدها بعدم التفوه بحرف واحد تحت طائلة الموت ، ومنعتهم جميعاً من مغادرة القصر مهما كانت الظروف . وعندما سألته عن سبب مجيئه قال : يا نورا لم استطع الذهاب دون ان أقضي ليلة أخيرة معك .

وقضاها تلك الليلة . وعند الفجر نهض سعود العرفه ليغادر القصر . ولم تسمح له نورا بالذهاب إلا بعد أن أتت بخادمين مخلصين ليشهدا أن زوجها عاد تلك الليلة وضاجعها . ولم تكتف بذلك بل حملته على توقيع ورقة يقول فيها إنه تخلف عن الجيش تلك الليلة وعاد إلى زوجته متنكراً ليقضي الليل معها . وبررت نورا له ذلك بقولها : فذلك يا سعود يثبت لأخي وللعالم أجمع أني إذا حملت ، لتكون أنت والد الطفل وحتى لا يظن بي السوء .

وعاد سعود العرفه وانضم إلى قوات ابن سعود . وسقطت حائل في شهر آب . واغتصب ابن سعود قلب أسير جيش شمر وأرسل من بقي حياً من آل الرشيد إلى الأسر في الرياض .



الفصل الحادي عشر

تخطيط الحدود

١٩٢١ - ١٩٢٢

عودتي الى العراق

بعد انقضاء بضعة أيام في البحرين ، أعدت الى العراق ضابطاً سياسياً في لواء الحلة . وكانت معي هذه المرة زوجتي ، فيوليت وطارق لوكاس - كالكرافت التي تزوجتها في ويستمنستر في كانون الأول سنة ١٩٢٠ . ووصلنا الى البصرة في أول كانون الثاني سنة ١٩٢١ ، توجهنا بعدها الى بغداد حيث قضينا عشرة أيام مع عائلة فيلبي قبل أن أتسلم مهام منصبي في الحلة .

مشكلات كثيرات كان علي اتخاذها في الحلة : أن أعيد تنظيم الادارة المحلية بعد ان دبت فيها الفوضى على اثر الثورة ضد البريطانيين سنة ١٩٢٠ ، وان أحاول أن أعالج وأصلح الامور بين البريطانيين والعرب بعد المعاملة القاسية التي تعرضت لها القبائل العربية حول الحلة على يد الجيش البريطاني .

وبدأت أبحث عن موظفين عرب أكفاء ليشغلوا المناصب الادارية الشاغرة . وكان بين الذين عرضوا خدماتهم ، عبدالله بن أحمد باشا الصانع الذي كان والده أحمد باشا ، وهو نجدي الأصل ، أول متصرف في البصرة بعد الاحتلال البريطاني

(٩) محمد بن أحمد بن الصانع

سنة ١٩٤٠ . وبرهن انه صديق مخلص للانكليز حتى وفاته . وقد كتب لي أحمد باشا رسالة يوصيني فيها بابنه ، تاركاً لي الحرية ان أتصرف به كما أشاء .

وأصبح عبدالله النشأ (للقائمقام) على الحلة وأظهر منذ البداية مقدرة فائقة . وقد نال تقدير المندوب السامي والحكومة المركزية لأنه استطاع حل عدة مشاكل معقدة وخطرة بين القبائل ، أظهر خلالها شجاعة شخصية نادرة . وقد دفعته الى كل ما يستحق .

قصف مسجد الإمام علي

وحدث مرة أن توجهت الى بغداد لمقابلة المندوب السامي السير بيرسي كوكس . وفاجأني حال وصولي بسؤال عما اذا كنت أعرف السيد كاظم اليزدي الذي سبقت الى حضوره كثيراً عندما كنت في سوق الشيوخ . وأجبت المندوب السامي بأني لم أقابل الرجل ولكنني كنت أراسله فترة طويلة من الزمن .

« ذلك يكفي » قال السير بيرسي وسلمني على الفور رسالة شخصية منه الى المجتهد الاكبر ، أمرني ان احملها بأقصى سرعة الى النجف الاشرف وأسلمها بيدي الى السيد كاظم .

وأبلغني السير بيرسي ان حادثاً مؤسفاً وقع عندما كان احد الطيارين البريطانيين يقوم بحملة تأديبية على فرع المشخاب من الفرات بالقرب من قرية ابو صخير . وقد ألقى الطيار المذكور صدفة قنبلة سقطت فوق الكوفة وهي مدينة على النهر تبعد اثني عشر ميلاً عن النجف . وقد أصابت القنبلة الجدار الخارجي لمسجد الامام الاعلى ففتحت فيه ثغرة كبيرة . ومع ان هذا الحادث المؤسف كان خطأ غير مقصود ابتداً، لكنه كان كافياً لإشعال نار الثورة بين الشيعة في مقاطعة أور المقدسة ، وأوشك ان يحرك جميع الشيعة في العالم ضد الانكليز . وقد نشأت اضطرابات بالفعل في كل مكان ، وكانت إيران ، بصورة خاصة ، تغلي .

وشرح السير بيرسي في رسالته الى السيد كاظم ان القنبلة ألقيت عن غير قصد ، وان الضابط الطيار قد عوقب لعمله . وتقدم الى الاعتذار نيابة عن

حكومة صاحب الجلالة وعن قصه لما حدث ... الخ

وحملت الرسالة دون ابطاء وتوجهت الى النجف، وهناك ذهبت الى الحجرات حيدخان وطلبت منه ان يأخذني لمقابلة السيد كاظم اليزدي على الفور. ولم نقض نصف ساعة حتى كنا في غرفة الاستقبال عند المجتهد الأكبر. ولم يكن السيد كاظم قد حضر بعد. وكانت الغرفة عبارة عن حجيرة صغيرة لا مقاعد فيها ولا مساند باستثناء حصيرة خشنة من أوراق البردي. وقد ترك ذلك انطباعاً رائعاً في نفسي عن الرجل الذي يقود نصف العالم الاسلامي.

وجلست أتحدث الى حيدخان وأن كاتب شئي لمدة عشر دقائق قبل ان يدخل علينا الرجل الكبير. وكان السيد كاظم صغير الجسم، طاعناً في السن، وعلى رأسه عمامة خضراء. وكانت لحيته طويلة مبيضة بلون الحنة.

وقد سعيانا بأدب جم واستقبلنا بعينين تطفحان بشراً بالرغم من السنوات السبعين الطويلة فيهما. وبعد أن تناولنا الشاي المصنوع على الطريقة الفارسية، استأذنته في الكلام. قلت اني أحمل اليه رسالة من صديقه المندوب السامي في العراق، أطلب ان أسلمها يداً بيد مع تمائم الاحترام والتبجيل. وتناول السيد كاظم الرسالة ووضعها امامه على الأرض دون ان يفتحها وسألني:

من أنت؟ إنك تتكلم العربية جيداً.

وأجبته بقولي:

– سيدي أنا تلميذك، حافظ جميلك في سوق الشيوخ، أنا الانكليزي الذي سكنا وقد ساعدتني فتحتك مراراً في حل المشاكل المستعصية منذ عدة سنوات.

وأحرق الرجل الشيخ بنيه ونظراته قائلاً:

– يا بني.. يا بني.. انه سرور عظيم.

وانتقل بعدها الى التكلم بلغة فارسية رفيعة وظل لمدة ثلاث دقائق يطرب اذني بالمديح والاطراء الذي يبلغ الجوزاء. ولكنني لم أفهم الا فحوى كلامه لا أكثر. وبعد أن انتهي من الكلام تجرأت وقلت له:

– يا خليل النبي ، اعذرني لأنني لا افهم الفارسية جيداً فهل تسمح بإعادة ما قلته باللغة العربية ؟

وضحك السيد كاظم طويلاً وهز بعمته متوسماً ثم أعاد ما قاله من قبل بلغة عربية فصحى من صميم القرآن وهي اللغة الكلاسيكية المعروفة من الكتب والأدباء بالنحو . وبعد نهاية حديثه قلت له وقد تلقى الخجل والإحراج :

– اعذرني وسامحني يا سيدنا .. لم أفهم ما قلته بعد . فهل ترضي نفسك وتلقي على مسامعي قليلاً ما قلته باللغة العربية العادية ؟

وضحك الرجل ثانية وقال :

– سأعمل جهدي يا بني .. ولكن يجب أن تتعلم أجمل لغتين في الدنيا الفارسية والنحو .

وأخذ يخاطبني بأجمل العبارات وألطفها بلغة أهل الأهوار في سوق الشيوخ وبحيرة الحمار . لقد كان كلامه أشبه بكلام امرأة من الأهوار تخاطب ابنها . وفهمت كل كلمة قالها وعجبت كثيراً . ورأيت أنه أراد ان يحتويني ببلاغته والآن أراد ان يحظى أشعر أنني من أهل البيت . ومنذ احساسي بهذا التملق شعرت براحة كبيرة .

وبعد ذلك أخذ السيد كاظم رسالة السيد بيرسي ففتحها وقرأها . وكنت أنا أراقب تقاسيم وجهه وهو يتأمل الرسالة ويفكر في مضمونها . وأخيراً التفت إليّ وقال لي بهدوء :

– لم تلق أية قنبلة على مسجد الإمام علي في الكوفة . من قال ذلك ؟ انها كذبة يقصد بها الإجحاف بالإنكليز . يجب أن أعرف .

وأكدت له بكل تواضع ان ما ورد في الرسالة صحيح مع الأسف ، وبين السير بيرسي لم يكن ليكتب له رسالة بهذا المعنى لو لم يتأكد من صحة الخبر .

وانتفض قائلاً :

– لا . لا انها أكذوبة مريرة . إن شيئاً من هذا لم يحدث . سأكتب الى السير بيرسي كوكس بهذا المعنى .

وعندئذ قاطعت وقلت :

- إذن فإنك لا تقصد تدري أينما تطل فيها الكلمة مصطنعة من أوقاتك الى آخرهـــا .. وانه لا خوف أبداً من ان تكون هنالك نية التعرض للدين الاسلامي ؟

فضحك رغم عن كآبته الشديدة التي يجب ان تكتب بها الفتوى . وانتهت إلى بعد ذلك وأخذ يشيد بالسير بيرسي كوكس قائلاً انه رجل عظيم جـــداً يعرف كيف يتصرف في المسائل الشائكة . وخاطبني قائلاً : أبلغه عني أشكره بمرته بكلام الله في القرآن الكريم وقوله تعالى مخاطباً بني الانسان : «وأتوا البيوت من أبوابها» .. لا تنزلوا من السطح . وفي هذه الحالة يكون السير بيرسي قد فهم تماماً أين هو باب هذا البيت .. ولذلك أقول انـــه لا تلي أية فتنة في الكوفة لا صدفة ولا غير صدفة .

وحملت الرسالة والفتوى وعدت مسرعاً الى بغداد . وقد سر السير بيرسي كوكس سروراً عظيماً بالفتوى . فصورها وطبع منهـــا مئات النسخ وأمر بتوزيعها في الكوفة وغيرها من مدن الفرات ، وفي طهران ، وفي مســاجد العراق الرئيسية . وقد كان اسم السيد كاظم اليزدي وشهرته المعروف في المجال الفتوى كافيين لإخماد كل الاضطراب .

وتبقى حقيقة مدة خصوصي أن الفتنة اتقيت وعمرت الزاوية الشمالية الغربية من جدار مسجد الامام علي في الكوفـة . ولكن تلك هي حكمة السير بيرسي كوكس وعظمة صديق بريطانيا السيد كاظم اليزدي .

معاهدة المحمرة

وفي ربيع سنة ١٩٢٢ قامت قبائل نجد بعدة غزوات على الأرض العراقية . وكذلك قامت قبائل شمر ، التي لم ترض بسيادة ابن سعود فلجأت الى الاقامة في العراق ، بغزوات معاكسة ، مما أوجب اتخاذ اجراء لوقفها . وقد تكررت هذه الغزوات ، والغزوات المعاكسة ، والشكايات المتبادلة لابن سعود في العراق .

في خريف وشتاء سنة ١٩٢٧ – ١٩٢٨ .

وأعتقد ان بعض المسؤولين البريطانيين والعرب في العراق لم يعرفوا ان المشكلة في أساسها اقتصادية بحتة ، زادها سوء التفاهم الشخصي المستحكم بين الملك فيصل الأول وابن سعود .

انه لأمر معروف جيداً ان القبائل الشمالية والشمالية الشرقية في نجد، وخاصة عجمان وحرب ومطير وشمر وعوازم وظافر الأقرب الى العراق ، لا تستطيع أن تكتفي نفسها في بلادها . ولذلك ، ومنذ قرون ، ترحل كل سنة في أشهر الخريف نحو الفرات والكويت، حتى تحصل على ضروريات الحياة وهي بالنسبة لها ثلاث : التمر ، والأرز ، ومراعي الجمال . وهنالك مراع غنية تقع إلى الجنوب من الفرات وتمتد من كربلاء الى الخليج الفارسي . وهذا الكلام ينطبق أيضاً على قبائل عنزة الشرقية – عمارات والدهامشة ... ولكن بعض شيوخ هذه القبائل كانوا يملكون أرضاً في جوار كربلاء ، فلذلك يعتبرون ضمن القبائل العراقية ولا حاجة إلى التعرض لهم هنا .

أما الطرق والسبل التي كانت تسلكها قبائل شمر وغيرها في هجرتها السنوية، فقد كانت منذ أقدم الازمان كما يلي :

شمر وحرب تتجهان نحو الشنافية (قرب النجف) ونحو السماوة . أما الفروع الشرقية فكانت تتجه نحو الزبير .

ظافر كانت تتجه نحو السماوة والناصرية وسوق الشيوخ .

مطير نحو الكويت والزبير .

عجمان وعوازم نحو الكويت .

والطرق المتبعة هي نفسها . يقوم البدو بتقديم الهدايا الى القبائل القوية المسيطرة على المنطقة (كشيوخ آل السعدون في المنتفق مثلاً) ويطلبون السماح لهم بأن يخيموا قرب النهر . ومن تلك المخيمات كانوا يندفعون كسيل واحد نحو المدن والقرى المنتشرة على الفرات لشراء حاجياتهم .

ولم يكن يرد مثل هذا الطلب لأن الفريقين يستفيدان : فالبدوي من

الصحراء يطلب منه الجمال والمال ، بينما كان ابن الفرات يبيعه ما يحتاجه من تمور وشعير وارز . فيجده بتفقته وذخيرته .

وكانت مدن الفرات وقبائله - والكويت ايضاً - ترحب بهؤلاء الضيوف السنوية . وكان البـــدو من شمال نجد ينظرون الى العراق والكويت على انها سوقهم الصيفية في نهاية كل صيف وبداية كل شتاء ، عندمــا تقل المراعي في اوطانهم ويصبح الرحيل امراً لا بد منه . واذا ما رفضت قبائـــل شمر السماح للبدو بالمرور الى الفرات كالسابق فان ذلك يكون بمثابة اعلان الحرب ، وتنتج عنه مشاكل كثيرة . ولكن ذلك لم يحدث إلا نادراً وفي الاحوال التي يستحكم فيها العداء بين رؤساء الدول كأمراء حائل ، وآل سعود ، وشيوخ آل السعدون في المنتفق وغيرهم .

وقد بدأت سنة ١٩٢٢ يتأثر هذا الوضع المشحون بالعداء الذي ادى الى قيام تلك الغزوات والغزوات المعاكسة التي اشرنا اليها .

وفي الخامس من ايار وقع مندوب عن الحكومة البريطانية ومندوب عن ابن سعود معاهدة محمرة التي نصت على وجوب معاقبة القبائل التي تبدأ الغزو ، كما نصت على وجوب تأمين سلامة طريق الحج ، وتطرقت الى مشكلة الحدود بين العراق ونجد . وظلت تلك المعاهـــدة خاضعة لاقرار المندوب السامي في العراق وابن سعود .

« اميرال » القطيف الاسود

في ايلول سنة ١٩٢٢ ارسلني السير بيرسي كوكس الى البحرين في مهمة خاصة وهي الاتصال بابن سعود واقناعه بالمجيء الى العقير على الساحل للاجتماع بالسير بيرسي وبحث مسألة الحدود . وابلغني السير بيرسي انه لن يغادر العراق الى العقير الا إذا ابرقت له بأن ابن سعود غادر الرياض فعلاً الى مكان الاجتماع .

وكان الميجر ديلي الذي خلف كوكس كوكيل سياسي في البحرين يقضي اجازته وقتئذ في الهند ، فتركت امي وزوجتي في ضيافة عبد العزيز القصيبي الممثل التجاري

لابن سعود في البحرين . ورأست عبد العزيز القصيبي وعائلتنا في منزله الكائن على شاطىء البحر شرقي مبنى الجمارك . وقد ابلغت القصيبي اسباب زيارتي للبحرين . واحتللت انا وزوجتي غرفتين واسعتين مريحتين في الطابق العلوي . ولما كنا نفرغ من كتابة التقارير ، كنا نقوم برياضة ركوب الخيـــل التي صحبناها معنا الى البحرين ، في أرض منامة وبديعة .

وبدأت تحلي براسة ابن سعود وأخذت أستميله شيئاً فشيئاً الى قبول فكرة التوفر في عقير . ولكن الصعوبة كانت في استدراجه الى تحديد موعد لعقد المؤتمر .

وأذكر أنني كنت قد تقربت من بن سعود عن طريق العمل الممتاز الذي اداه زوجتي التي كانت تعمل سكرتيرة خاصة في وتقطيع رسائل . فكانت تترجم له الى الفرنسية برقيات وبرامج اليومية التي كانت ترفق ، وترسلها بأسرع ما يمكن الى الرياض حيث كان يترجمها الى العربية الدكتور عبدالله سعيد الدملوجي الذي كان بمثابة وزير خارجية ابن سعود .

وبعد وصولنا الى البحرين بشهرين قصدني عبد العزيز القصيبي وقال ان رجلاً يدعى الميجر فرانك هولمز وهو مهندس تعدين ، وآخر يدعى الدكتور مان ، وكلاهما ينتميان الى الشركة الشرقية العامة المحدودة في لندن ، سيتوجهان قريباً الى خارج البحرين للعمل ، وسيحققان الفضل لي اذا قبلتهما في منزلي خلال مدة اقامتهما في البحرين . وقد قدم الرجلان الى البحرين بناء على تعليمات ابن سعود وسيخرجان الى البر حالما يتلقيان كلمة منه .

وقد أثار هذا الكلام شكوكي رأساً . فعندما كنت وكيلاً سياسياً في البحرين قبل سنتين سرت شائعات قوية مفادها ان هنالك منابع للنفط وراء واحـــة القطيف على بعـــد ستة أميال الى الشمال الشرقي من مدينة القطيف . وقمت في ذلك الوقت بعدة جولات تفتيشية في المنطقة بحثاً عن تلك المنـــابع ولكن لم ألاق اي نجاح .

وقمت بعد ذلك بإذن من ابن سعود بجولة على ظهور الجمال والخيل في كل منطقة

جبل الظهران ظناً مني ان الشائعات التي أطلقها السير قد أخطأت المكان . وكنت على يقين ان تلك الشائعات ليست بدون أساس ، لأنني عندما كنت في القطيف عبرت الى دارين خاصة جزيرة طاروت حيث طلعني الشيخ جاسم بن عبد الرهاب باشا الذي يقيم هناك على نسخة من تقرير تركي يفيد بأن منابع البترول موجودة فعلاً وراء القطيف . اما التقرير الاصلي فقد ارسله المتصرف التركي في الاحساء الى استانبول عندما كان الاتراك يحتلون المنطقة قبل عدة سنوات .

وقد بدا واضحاً ان ابن سعود علم بالتقرير التركي فأرسل في طلب الميجر هولمز للبحث عن البترول ، ولذلك كان يتهرب من تحديد موعد للمؤتمر لأنه يريد ان يقابل الميجر هولمز اولاً . واتضح لي ايضاً ان الميجر هولمز قد يحاول الحصول على امتياز للتنقيب عن البترول من ابن سعود اذا كانت ابحاثه الأولية تبشر بأي نجاح .

وفي الوقت الذي كنت فيه أفاوض ابن سعود للوصول معه الى موعد محدد لمؤتمر عقير ، كنت أقضي بعض الوقت في الكتابة الى السير بيرسي عن آرائي في قضية البترول وبوصفت له مفصلاً زيارتي الى البحر بحثاً عن النابع . وكانت زوجتي تطبع كل تلك الرسائل والتقارير ولذلك كانت مطلعة على القضية من أولها الى آخرها ، فشاركتني شكوكي عندما علمت بالزيارة المقترحة التي سيقوم بها ممثلا الشركة الشرقية العامة الى منزلنا .

وأرسلت برقية بالشيفرة الى السير بيرسي اخبرته فيها عن زيارة الميجر هولمز وحدثتها شكوكي بان الميجر هولمز قد جاء ليطلع ابن سعود على امكانيات وجود البترول في جوار القطيف وجبل الظهران ، وان ابن سعود قد يتخذ هذه القضية اذا جاء الى عقير حضور المؤتمر الخاص بتخطيط الحدود . وبذلك تكون رسائلي السابقة أساساً مفيداً للتطورات الجديدة .

وفي اليوم التالي وصل الميجر فرانك هولمز والدكتور مان الى منزلي بصحبة التميمي ليتناولا معنا . وقد استرعى انتباهي والتباه زوجتي امران مشبهان للغاية

أولها مظهر الميجر هوبئر . فقد كان يحمل مظلة كبيرة بيضاء ذات خطوط خضراء ، وعلى رأسه قبعة بيضاء كالتي يلبسها الجنود الفرنسيون في افريقيا ، وفوق قبعته ووجهه كان يضع قناعاً شفافاً أخضر اللون تماماً كالصور التي يشاهدها المرء للسياح الذين يقصدون زيارة الاهرام . والشيء الآخر الذي استرعى انتباهنا هو ذلك العدد الضخم من الهدايا التي حملها هوبئر الى ابن سعود . فقد حمل معه ما لا يقل عن خمسين حقيبة وصندوق وبنادق .

ولم يمض وقت طويل حتى شعر الضيفان وكأنهما في منزلهما . وكان الميجر هوبئر رجلاً لطيفاً ومرحاً للغاية يروي قصصاً أشبه بالخيال . وكان يضفي جواً من المرح وخفة الظل ولكنني اكتشفت انه مريض يعاني من ألم في المرارة . وكنت دائماً يتساءل كيف سيستطيع القيام برحلة على ظهر الجمل الى الهفوف وربما الى أبعد من ذلك . وقد أعطيته بعض المعلومات والملاحظات التي تبدو انه انتفعت بمثل هذه الرحلة من قبل عندما كنت وكيلاً سياسياً في البحرين .

وبعد اسبوع من الزمان حان موعد رحيلهما فأحضر لنا زورقان شراعيان وبقيا أمام منزلي . وبينما كنا نتناول طعام الافطار سألت الميجر هوبئر عن سبب حاجته الى زورقين اثنين فأجاب قائلاً :

— واحد للدكتور مان الذي سيذهب عن طريق عقير والآخر لي لأنني سأقوم برحلتي عن طريق القطيف .

وأبديت دهشتي قائلاً :

— ولكنك مريض ! لماذا تركب مئة ميل على ظهر الجمل في الوقت الذي لا تحتاج فيه إلى تركوب أكثر من خمسين ميلاً إذا سافرت عن طريق عقير ؟

وفجأة اعترته الدهشة وبدأ يطلق كلاماً غامضاً وقال :

— يا دكسون اني من هواة جمع الفراشات . وقد أبلغت ان مجموعة من الفراشات السوداء عجيبة لا يوجد نظير لها في العالم يمكن العثور عليها في واحة القطيف ، ولذلك فقد أطلقت عليها اسم « امبرال القطيف الأسود » وسأرجع الحصول على عينة منها ستكون سبب شهرتي وارتفاع شأني !!

وكان هولمز منهمكاً في أكل قطعة من البيض ولحم الخنزير عندما فجرت زوجتي قنبلتها . فقالت بصوت هادئ :

— يا ميجر هولمز ، إنها المرة الأولى التي أسمع فيها ان منابع البترول تسمى باسم الفراشات .

وكان تأثير كلمات زوجتي سريعاً ، فقفز هولمز من مقعده وقال مذعوراً :

— ربك ماذا تقصدين يا سيدة ديكسون ؟

— الذي قلته تماماً .

وارتد هولمز الى الوراء قليلاً ثم اندفع حول المائدة وأمسك زوجتي من يدها وقال منتحباً :

— يا لله .. انك امرأة رائعة .. سأبرق اليوم إلى مدير حدائق الحيوان في لندن وأطلب منه أن يضمك الى مجلس إدارة الحدائق .

وقد حافظ هولمز على كلامه ، فبعد فترة قصيرة تلقت زوجتي رسالة لإعلامها بأنها انتخبت عضوة في المجلس .

وتركنا الرجلان وسافرا في الزورقين على ان نلتقي بالميجر هولمز ثانية .

مؤتمر عقير

في أواخر تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ أبلغني ابن سعود خطياً أنه سيصل الى عقير في الحادي والعشرين من الشهر نفسه، فأبرقت إلى السير بيرسي كوكس لاعلامه . وتلقيت من السير بيرسي جواباً ينبئني بأنه سيحضر الى البحرين على ظهر إحدى السفن الملكية طالباً مني ان أدبر أمر سفره الى عقير . وقال إنه سيصحب معه صبيح بك الوزير العراقي للمواصلات والأشغال ، والميجر مور الوكيل السياسي في الكويت الذي سيمثل الشيخ أحمد الجابر حاكم الكويت ، والشيخ فهد بك الدغال رئيس فرع عمارات في قبيلة عنزة ، ومساعده الشخصي وهو ضابط سابق في سلاح البحرية البريطانية ، وعدد من الوطنيين والكتبة العرب .

وقد وصل هـذا الفريق في الموعد المحدد والحقنا جميعاً إلى عنيزة في زورق بخاري يملكه عبد العزيز القصيبي .

وكان ابن سعود قد وصل قبلنا فأقام خياماً بيضاء من كل حجم على بعـد نصف ميل أو أقرب من الحصن القديم حيث توجد دائرة الجمارك .

واصطحب ابن سعود معه صهره سعود العرافة آل سعود الذي كان في يوم من الأيام ثائراً على سلطته ، وعبد اللطيف باشا المنديل ، وهو تاجر نجدي مرموق له أعمال مصرفية في البصرة ، والشاعر والمؤرخ اللبناني أمين الريحاني ، وعدد من الموظفين بينهم الدكتور عبدالله سعيد الدملوجي ، وحرسه الخاص المؤلف من حوالي ثلاثمائة رجل . وكان هنـاك أيضاً الميجر مور الذي التقى ابن سعود في الهفوف وجاء معه .

وخصصنا خياماً مريحة للاقامة فيها ، وخيمة كبيرة على الطراز الأوروبي كما يسميها الهنود لتكون بمثابة غرفة للاجتماع وقاعة للطعام . وقد أقام ابن سعود خيمتين يضارين عليهما مظاهر الفخامة ، واحـدة للاستقبال وأخرى للنوم والراحة .

واستقبلنا ابن سعود جميعاً استقبالاً ملكياً رائعاً باستثناء فهد بيك الهذال الذي أرعبه وجود ابن سعود الذي تصرف بشكل يراد منه اطلاع الحاضرين على أن فهد بيك شخص غير مرغوب فيه . فما كان من فهد بيك إلا أن انسحب الى خيمته وظل قابعاً فيها طوال فترة انعقاد المؤتمر وهي سبعة أيام بسبب تلك الاساءة .

لقد أخطأ السير بيرسي في إحضار فهد بيك معه ، لأن فهد بيك وذوي الشعلان زعمي فرع الرولة في قبيلة عنزه ينحدرون نفسيهما زعيمي اتحاد قبائل عنزه كلها ، ويدعيان أنهما أعلى منزلة من آل الصباح في الكويت ومن ابن سعود نفسه . إذ انـه أمر طبيعي ان يتعض عبد العزيز آل سعود سيد الجزيرة العربية من وجود احد أفراد القبيلة مهما علا شأنه في خيمته أو في المؤتمر ، ينظر إليه وكأنه أوضع منه نسباً .

كان هو المؤتمر الأساسي لتخطيط الحدود بين العراق ونجد . وكان يمثل العراق صبيح بك ويمثل نجد ابن سعود . اما السير بيرسي فكان بمثابة الحكم الذي ظل دائماً كأبي الهول صامتاً صبوراً رحب الصدر يشفق على الجسر انقاساً من الشرح والمداورة ، ولكنه كان مصمماً ان لا يذهب إلا وقد وضع صيغة للاتفاق في جيبه .

وكانت الحادثة مثالاً رائعاً لمساومات الشيعة عندما يلتقي ممثلو دولتين عربيتين كبيرتين لحل مشكلة من المشاكل . فلم يكن هنالك أخذ ولا عطاء من اي نوع منذ البداية ، اذ أن كلا الطرفين ظل طوال الوقت يعرضان مطالب عجيبة غريبة . ومثالاً على عدم تصرفات المفاوضين الرئيسيين سأذكر حادثة وقعت بعد فترة قصيرة من ابتداء المؤتمر . فبعد ان القى الجانبان خطباً ترحيبية تقليدية ، ألقى السير بيرسي كلمة أعرب فيها عن رغبة حكومة صاحب الجلالة ، صديقة الطرفين ، في التوصل الى حل ودي ، وطلب من صبيح بك ان يعرض وجهة نظر العراق فيما يتعلق بخطاً عادلاً للحدود . ونهض صبيح بك وقال :

« منذ ان خلق الله العالم ومنذ بدء تدوين التاريخ وحدود العراق تمتد جنوباً الى بعد اثني عشر ميلاً عن الرياض عاصمة ابن سعود . وتلتف هذه الحدود غرباً الى البحر الاحمر فتشمل حايل والمدينة وينبع ، وشرقاً تشمل الهفوف والقطيف على الخليج الفارسي . ويشهد الله ان هذه وهذه فقط هي الحدود الصحيحة بدون منازع » .

« لست أعرف شيئاً عن الخليقة ولكنني أعرف انه منذ أيام ابراهيم ، جدي الأكبر ، وارائني نجد ورجال البادية يمتدان شمالاً الى حلب ونهر العاصي بشمال سورية ويشملان كل البلاد الواقعة على الضفة اليمنى من نهر الفرات حتى البصرة على الخليج الفارسي » .

بمثل هذا الكلام بدأت المناقشات واستمرت خمسة أيام كاملة .

ومع ان ابن سعود كان يعتبر نفسه حليفاً وصديقاً لبريطانيا ، إلا انه كان يشعر بأنه مطوق من جميع الجهات بعدد من الدويلات العميلة التي خلقتها حليفته .

إن عواطف ابن سعود الحقيقية كانت مع شعبه الذي يرغب في طرد الملك حسين من الحجاز في الغرب، واجتياح شرق الاردن في الشمال الغربي، والغزو في أرض العراق والكويت شمالاً كما في السابق. ولكنه كان يعرف تماماً ان تحدي بريطانيا سيكون كارثة عليه. فقد شرع في مؤتمر عقير على أساس ان يتبنى في امره خطوة يعكس تعاليمه في مؤاتمتهم على امكانية وضع خط ثابت لتحديد بين العراق ونجد.

وقد عمل ابن سعود المستحيل في المؤتمر على وضع حدود عشائرية بدل خط تحكيمي يرسم على خارطة، على اساس تصنيف القبائل التي تذهب الى نجد وتلك التي تذهب الى العراق والكويت. فبدأ بالإصرار على أن ظفير وهي قبيلة من البدو في العراق هي له، ولذلك فانه من الضروري ان تمتد حدوده الى الفرات، لا لأنه يرغب في السيطرة على النهر بل لأن ظفير والقبائل البدوية الكبيرة الأخرى تنتقل سنوياً الى الفرات ولا يمكن ان تحرم حق التنقل لأنه مسألة حياة أو موت بالنسبة لرجال الصحراء.

ولما أشار السير بيرسي ان هذا الادعاء غريب ولا يمكن أن يجري بحثه، تخلى ابن سعود عن قبيلة ظفير وتبنى خطاً أكثر تعقلاً على أساس الحدود العشائرية يضمن حقوق القبائل العائدة له ويمنع قيام اضطرابات في المستقبل. وقال انه من السهل وضع نظام للآبار والمراعي التي تملكها كل قبيلة لأنه منذ أيام ابراهيم وكل قبيلة تعرف آبارها ومراعيها من تلك التي ليست لها.

واقترح، على سبيل المثال، ان تشكل الحدود الآبار الواقعة الى أقصى الجنوب والتي تدعي ملكيتها عنيزه وظفير وقبائل الكويت (باستثناء مطير وعوازم وعجمان التي أكد ابن سعود انها تقع تحت سيطرة حكومته). اما الآبار التي عرفت بأنها ملكية مشتركة كتلك التي بين عنيزه وظفير وبين ظفير ومطير، فيجب ان تمثل منطقة محايدة.

ولما سئل كيف يستطيع اثبات ملكية هذه الآبار أجاب بأن جميع أهل الصحراء يعرفون ذلك كضوء النهار، فضلاً عن ان هنالك رخصات قديمة العهد

موجودة على جدران الآبار الداخلية . وفي حال حدوث نزاع فان أعمال الخبرة يستطيعون تصحيح الأمر .

والى جانب ذلك اصر ابن سعود على حق قبائل نجد في الوصول الى الفرات لشراء حاجياتهم كل سنة .

وأعلن صبيح بك عندما سئل عن رأيه في تلك المرحلة من المحادثات ، ان العراق لن يقبل بأي تخطيط للحدود يعطيه أقل من ماتي ميل الى الجنوب من الفرات .

وفي اليوم السادس للمؤتمر تدخل السير بيرسي في الأمر وأبلغ الطرفين انه اذا استمرت المفاوضات على هذا الشكل فإنهما لن يتوصلا الى أي اتفاق قبل سنة من الزمان . ففي اجتماع خاص ضم السير بيرسي وابن سعود وانا فقط ، فقد السير بيرسي صبره واتهم ابن سعود بأنه تصرف تصرفاً صبيانياً في اقتراح فكرة الحدود العشائرية . ولم يكن السير بيرسي يجيد اللغة العربية فقمت أنا بالترجمة . ولقد ادهشني ان ارى سيد نجد يوبخ كتلميذ وقح من قبل المندوب السامي لحكومة صاحب الجلالة الذي ابلغ ابن سعود بلهجة قاطعة انه سيخطط الحدود بنفسه بصرف النظر عن كل اعتبار .

هكذا انتهى هذا الفصل من المسرحية فانهار ابن سعود واخذ يتودد ويترضى معلناً ان السير بيرسي هو أبوه وأمه ، وأنه هو الذي صنعه ورفعه من لا شيء الى المكانة التي يحتلها ، وانه على استعداد لأن يتخلى عن نصف مملكته بل كلها إذا أمر السير بيرسي بذلك .

وحسبما أذكر لم يلعب ابن سعود دوراً يذكر في المحادثات تاركاً الأمر للسير بيرسي ليقرر حل مشكلة الحدود . وفي اجتماع عام للمؤتمر أخذ السير بيرسي قلماً أحمر ورسم بعناية فائقة على خارطة الجزيرة العربية خطاً للحدود من الخليج الفارسي الى جبل عنيزان بالقرب من حدود شرق الأردن . وبذلك يكون قد أعطى العراق مساحة كبيرة من الأراضي التي تدعي نجد ملكيتها . وارضاء لابن سعود حرم الكويت بدون شفقة من ثلثي أراضيها تقريباً وأعطاها لنجد

بحيث ان سلطة ابن صباح في الصحراء أصبحت أقل مما كانت عليه يوم وضعت الاتفاقية الانكليزية ـ التركية . والى الجنوب والغرب من الكويت رسم منطقتين اعلن انها ستكونان محايدتين حيث الأولى منطقة الكويت المحايدة وسميت الأخرى منطقة العراق المحايدة .

وجواباً على اعتراضات عبداللطيف باشا المنديل عن وجود منطقة محايدة لكويت قال السير بيرسي ان قبائل الكويت يجب ان يكون لديها مزيد من المراعي .

وعندما الح الباشا في الاعتراض استشاط السير بيرسي غيظاً وقال له :

ـ ويلك ؟ لماذا تصر على ان تكون تلك المنطقة لنجد ؟ .

فأجابه الباشا بقوله :

ـ بصراحة لأننا نعتقد انه يوجد نفط في تلك المنطقة .

ورد السير بيرسي قائلاً :

ـ وهذا بالضبط هو سبب جعلها محايدة حتى يكون لكل واحد حصص متساوية .

وحوالي الساعة التاسعة من ذلك المساء حدثت مقابلة مدهشة . فقد طلب ابن سعود مواجهة السير بيرسي على حدة . وصحبني السير بيرسي معه فوجدنا ابن سعود واقفاً وحده وسط خيمة الاستقبال باديء الاضطراب .

وبادر ابن سعود السير بيرسي قائلاً بصوت كئيب :

ـ ياصديقي لقد حرمتني من نصف مملكتي . الأفضل ان تأخذها كلها ودعني اذهب للمنفى .

وظل ذلك الرجل القوي العظيم واقفاً رائعاً في حزنه وانفجر باكياً . وتأثر السير بيرسي كثيراً وامسك بيد ابن سعود وأخذ يبكي هو الآخر والدموع تنحدر على وجنتيه . ولم يكن حاضراً تلك اللحظة سوى نحن الثلاثة . وأنا أقص هنا ما شاهدته بكل امانة .

ولم تدم تلك العاصفة العاطفية طويلاً فقال السير بيرسي وهو لا يزال ممسكاً

بيد ابن سعود :

– يا صديقي انني أعرف حقيقة شعورك، ولهذا السبب اعطيتك ثلثي الكويت ولست اعرف كيف سيتلقى ابن صباح هذه الصدمة .

وكما قلت في فصل سابق من هذا الكتاب ، لقد كان السير بيرسي رجلاً عظيماً . وكذلك كان عبد العزيز آل سعود رجلاً عظيماً وممثلاً عظيماً أيضاً وكلاهما الآن في ذمة الله – رحمها الله . وشكل خط الحدود الذي رسمه السير بيرسي قائماً لم يتغير الى اليوم .

والعادة لما ذكرته في الفصل الأول فان حدود الكويت الجديدة تبدأ في الغرب عند ملتقى وادي العوجا بوادي الباطن . ومن تلك النقطة ، تاركة رقيم في حوزة نجد ، تمتد في خط مستقيم الى ملتقى خط العرض ٢٩ بنصف الدائرة الحمراء المشار اليها في الاتفاقية الانكليزية – التركية ثم تتبع نصف الدائرة الحمراء الى نقطة على الساحل الى جنوب رأس القليعة تماماً .

والى جنوب خط الحدود هذا تقع منطقة الكويت المحايدة التي يحدها من الغرب المنخفض الواسع المسمى الشق ، ويحدها من الشرق البحر ، ومن الجنوب خط يتجه من الشق عبر عين العبد الى نقطة على الساحل شمالي رأس المشعاب .

وهذه الحدود مع حدود العراق ونجد تبنّاها جميعها السير بيرسي بالاضافة الى بعض المقترحات هنا وهناك قدمتها انا والدكتور عبدالله الدملوجي والميجر مور . وقد أرخت الاتفاقية بين نجد والكويت باسم الله الرحمن الرحيم في الثاني من كانون الأول سنة ١٩٢٢ ووقعها الدكتور عبدالله الدملوجي نيابة عن ابن سعود كما وقعها الميجر مور نيابة عن شيخ الكويت . وقد مهر ابن سعود الاتفاقية بخاتمه الرسمي .

وكان الدافع الى مثل هذه الاتفاقية الغريبة التي سلبت دولة صغيرة ضعيفة بكل بساطة الى دولة قوية ، المصلحة والرغبة في ارضاء حاكم قوي مشاكس كابن سعود . وبذلك تكون الحدود الجنوبية المعترف بها للكويت قد اقتطع منها مئة وخمسون ميلاً مما جعل مساحة الكويت تتقلص الى ستة آلاف ميل

مربح فقط .

ومما يذكر أن الميجر مور المفروض فيه ان يدافع عن مصالح شيخ الكويت لم ينطق بكلمة واحدة طيلة المحادثات . فقد سيطر السير بيرسي على كل شيء وعلى كل شخص وكسب الجولة . واشك ان أي شخص آخر يستطيع ان يحقق النجاح الذي احرزه ولكن على حساب السمعة العطرة التي كسبت بين العرب على مر السنين . فالشيخ الشاب أحمد الجابر الذي لم يكن قد مضى على ارتقائه العرش أكثر من سنة تلقى على يد السير بيرسي ضربة زعزعت ثقته ببريطانيا ولم يشف منها ابداً .

ولقد وقع البروتوكول الخاص بين نجد والعراق في الثاني من كانون الاول أيضاً . وقد حدد البروتوكول خط الحدود ومنطقة العراق المحايدة وسمح للقبائل الرحل بحرية التنقل عبر الحدود كما سمح للقبائل البدوية استخدام الآبار القريبة من الحدود .

ولتتغلب على الصعوبات التي كان ابن سعود يعتقد انها ستنشأ في حال وضع خط ثابت للحدود بين البلدين، فقد حظرت المادة الثالثة من البروتوكول المذكور اقامة الحصون والحشود العسكرية في منطقة الحدود . ولكن الكلمات التي صيغت بها تلك المادة كانت مطاطة بحيث انها قادت الى نزاع كبير بعد خمس سنوات .

ان الحدود الاعتباطية التحكمية بين العراق ونجد كانت في رأيي خطأ كبيراً . اذ ان ابن سعود حصر تنقلات قبائل نجد السنوية ، وربما لأول مرة في التاريخ ، باتجاه الشمال . فكان يشعر ، بدون شك ، ان مندوبي العراق والسير بيرسي كوكس تغلبوا عليه ، وان المشكلة قد حلت حسب المقاييس الأوروبية وليس حسب تلك المقاييس المفهومة في العالم العربي . ولذلك يبدو أنه قرر اتباع سياسة تحويل انظار شعبه ، بصورة بطيئة ولكن عكسيا ، عن خط التفاهم القديم بالعراق والكويت ، محاولاً بدل ذلك دفعهم الى الحصول على ضروريات الحياة اليومية من عنيزة والقطيف وجبيل ، موانئه على الخليج

الفارسي .

ومما لا شك فيه أنه كان يعتقد ، لأسباب سياسية ومتماً تتآمر ، أنه من الأفضل ان يمنع القبائل التابعة له من الاتصال المباشر بقبائل يقال أنها معادية . ولكن خطوط التجارة الطبيعية لا يمكن تحويلها بسهولة أو اهمالها ووضعها جانباً . ولذلك لم ينجم عن تلك السياسة سوى المشاكل والمتاعب .

فلو ان ابن سعود ترك وشأنه فانه من غير المحتمل ان تقوم ثورة الاخوان في سنة ١٩٢٩ — ١٩٣٠ ، أو الاحتكاك الذي ساد بين العراق ونجد ، أو مرارة مقاطعة الكويت الطويلة التي استمرت أربعة عشر عاماً .

وبصرف النظر عن خط واحد طويل مستقيم يشكل المنطقة المحايدة بين العراق ونجد فان حلاً أنسب من ذلك الذي توصل اليه مؤتمر عقير ، هو الحل الذي اقترحه ابن سعود على أساس حدود عشائرية . فعندما كنت ضابطاً سياسياً في المنتفق كانت لي تجربة مريرة بسبب الحدود الاصطناعية التي وضعت لادارة بين الالوية . ولم تكن ترتاح من القتال القبائل بين الألوية إلا عندما كنت اقنع السير بيرسي كوكس بالسماح لي في اتباع الحدود العشائرية . ولكان أفضل لو أنه اتبع نفس الخطة في عقير .

اما الميجر هولمز فلم يلعب أي دور إلا في اليوم الأخير للمؤتمر . ففي محادثة خاصة بين ابن سعود والسير بيرسي حضرتها انا فقط ، اثار ابن سعود مسألة منح امتياز النفط الى الشركة الشرقية العامة . واخبر ابن سعود السير بيرسي كل شيء عن زيارة الميجر هولمز للاحساء ، وابلغه ان الميجر هولمز قد قدم له تقريراً ايجابياً اعرب له فيه عن رغبته في الحصول على امتياز فوراً . واستوضح ابن سعود عما اذا كان لحكومة صاحب الجلالة أي اعتراض على ذلك .

واجابه السير بيرسي قائلاً :

— لا يوجد أي اعتراض . اعطه الامتياز ولكنني احذرك من ان الشركة الشرقية العامة ليست شركة للنفط وأخشى ان تبيع الامتياز لغيرها .

وشكره ابن سعود وقال انه فهم كل شيء . وبعد ذلـــك استدعى الميجر

هولمز وقدم الى السير بيرسي ثم عرض قضبة النفط وآماله فيها . وذكر ايضاً ان منالك امكانية للعثور على النحاس ، ثم اشار حـول الخارطة مدى اتساع رقعة الأرض التي يطلب ان يشملها الامتياز الذي يسعى اليـه . وكانت تلك المنطقة أشبه بمستطيل طويل تحده من الشمال منطقة الكويت المحايـدة ، ومن الجنوب سلوى التي تقع في داخل أراضي قطر ، ومن الغرب خط مستقيم بمحاذاة البحر ويبعد عنـه ستين ميلاً فيشمل وادي المياه وقلعة الكبريت في منطقة الجوف عـلى بعد خمسة وعشرين ميلاً الى الجنوب الغربي من منطقة الكويت المحايدة .

اما الميجر هولمز فلم يحظ باعجاب السير بيرسي الذي اعتبر وجوده هنـاك ضد مصالح حكومة صاحب الجلالة . فقد دخل هولمز ، اذا جاز التعبير ، من الباب الخلفي . ومما لا ريب فيه ان السير بيرسي كان يمكن ان يبديه دو واهلاً أمام ابن سعود لو استطاع ان يفعل ذلك بصورة سليمة . ولكنه لكونه معجباً اعجاباً شخصياً بابن سعود ورغبة منه في عدم اغاظته بعد قضية الحدود ، طيب خاطره بجره الى الاعتقاد ان حكومة صاحب الجلالة تريد مساعدته على تطوير بلاده وانفساح المجال أمامه للحصول على دخل محترم .

وبعد عدة سنوات عرفت كيف انني لم استطع العثور عـلى منابع النفط . فقد كانت مغطاة بكثيب هائل من الرمل مر ولحسد من عدة كثبان تتحرك باستمرار الى الغرب من حزام النخيل في القطيف . فعندما بـدأت شركة النفط العربية الاميركية (ارامكو) وهي فرع من شركة ستاندرد اويـل ، العمل واكتشفت حقل النفط الكبير في جبل الظهران ، لم يمض وقت طويل قبـل اكتشاف حقل آخر وراء القطيف تماماً في المكان الذي تنبأت العثور فيه عـلى المنابع من قبل . ويضم هذا الحقل اليوم على ما اعتقد ست آبار .

ردود الفعل في الكويت

وعدنا الى البحرين بينما اكمل الصبح بيرسي والميجر مور طريقهما الى الكويت .

وبعد وقت قصير تمشينا أنا وزوجتي وبصحبتنا الشيخ فهد بك الهلال والوفد العراقي . وأذكر اننا وجدنا صعوبة فائقة في العبور إلى ظهر السفينة التي أقلتنا بسبب العواصف الشديدة . وقد علقني أكثر من الجميع الشيخ المسن فهد بك لأنه كان علينا جميعاً أن نتسلق على سلم من الحبال وعلى خصورنا أحزمة النجاة .

ولدى وصولنا إلى الكويت ، وكان ذلك بعد يوم واحد فقط من وصول السير بيرسي والميجر مور ، نزلت أنا وزوجتي فيما أكمل فهد بك والوفد العراقي طريقهم إلى البصرة .

كنت أنا والميجر مور حاضرين عندما أفضى السير بيرسي بالنبأ إلى حاكم الكويت مباشرة لأنه اضطر الى إعطاء ابن سعود ثلثي مملكة الشيخ أحمد . وسأله الشيخ أحمد وقد بلغ به التأثر حداً كبيراً ، لماذا فعل ذلك دون استشارته على الأقل . وأجابه السير بيرسي انه في تلك المناسبة المعينة كان السيف أقوى من القلم ، وانه لو لم يسلم تلك الأراضي لابن سعود لكان بكل تأكيد أخذها وربما أخذ أكثر منها بقوة السلاح . وكما هي الحال ، فقد أرضى السير بيرسي الجار القوي للشيخ أحمد وزرع في نفسه شعوراً ودياً تجاه الكويت . وسأل الشيخ أحمد ما إذا كانت بريطانيا قد دخلت في حروب دفاعاً عن حقوق الدول الصغيرة ، فأجاب السير بيرسي بالايجاب معترفاً بأن ما قاله الشيخ أحمد صحيح .

وقال الشيخ أحمد :

– إذا توفي ابن سعود في يوم من الأيام وأصبحت انا قوياً كجدي مبارك ، فهل تمانع الحكومة البريطانية إذا رفضت خط الحدود غير العادل واستعدت أراضيّ التي فقدتها ؟

وضحك السير بيرسي وقال :

– لا .. وليبارك الله جهودك .

ولما وجد الشيخ أحمد نفسه أمـــام الأمر الواقع وافق على الاتفاقية ووقّعها عليها . ولكنه ظل الى يوم وفاته شاعراً بالغبن معتقداً أنه عومل معاملة سيئة وكان يدلي أمام أصدقائه بكلام من هذا النوع كان يدل لهم :

– انني لم أحضر محادثات عقير على بعد ثلاثماية ميل من هنا كما انني لم أطلع على ما كان يجري هناك . لقد كنت ألتقي بالسير بيرسي كما ألتقي بوالدي . ولم أكن لاعترض لو أن بضعة أميال من أرضي اقتطعت مني ، ولكن أن أسلب من ثلثي مملكتي دون أن يكون لي رأي في الأمر وأرى بعيني تلك الأرض تعطى لغيري ، فذلك أمر يصعب عليّ تحمله .

وفي السنوات التالية ظل الشيخ أحمد يقول لي إنه يعتبر كل منطقة الكويت المحايدة جزءاً من أراضيه ولن يوافق مطلقاً على اقتسام امتيازات النفط مع ابن سعود . وكان ابن سعود قد منح فعلا امتيازاً لشركة الشرقية العامة المحدودة في شهر أيار سنة ١٩٢٤ ، يشمل منطقة الاحساء ، ولكنه اعتبر الامتياز لاغياً لأن الشركة لم تف بتعهداتها في بدء العمليات خلال ثلاث سنوات من توقيع الاتفاق .

وقبل وفاته سنة ١٩٥٠ بوقت قصير وافق الشيخ أحمد مع ابن سعود على منح امتياز لشركة النفط الأميركية المستقلة (امينويل) . وقد فعل ذلك ، على حد قوله ، رغبة منه في المحافظة على صداقة ابن سعود الذي أصبح تأييده للكويت أجدى من تأييد بريطانيا . ذلك لأن استغلال بريطانيا للنفط في أراضيه وسياستها التي كانت تميل الى إسرائيل أكثر مما تميل الى العرب ، حملاه على تغيير خطته تجاه بريطانيا تمشياً مع الشعور العام في العالمين العربي والاسلامي .

وفي نيسان سنة ١٩٢٣ أبلغ الشيخ أحمد أن بريطانيا تعترف بالحدود التي يراها هو صحيحة بين العراق والكويت والتي تضم جزر وربة وبوبيان ومسكان وفيلكه وعوهه وكبر وقارو ومقطع وأم المرادم وغيرها من الجزر المجاورة .

وقد كتب السير بيرسي كوكس الى الميجر مور طالباً منه أن ينقل ذلك الى الشيخ أحمد . ويقول السير بيرسي في رسالته الى الميجر مور :

– وكما تعلم ، ينطبق ذلك مع الحدود المشار إليها بالخط الأخضر في الاتفاقية الانكليزية التركية الموقعة في ٢٩ تموز سنة ١٩١٣ ، ولكنه ليس من الضروري ان تذكر ذلك أمام الشيخ أحمد أو أن تشير الى الوثيقة من قريب او من بعيد في حديثك معه حول الموضوع ...



كان المتعصبون من الاخوان ما زالوا يشيعون جواً من الرعب عن طريق قيام أنصارهم بملاحقتهم بالقوة . وقد أخبرني ابن سعود بصورة خاصة في عقير في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ انه لم يؤيد أبداً تلك الأعمال ولكنه لم يتمكن من ان تكون له يد في كبح جماحها إلا مؤخراً . واضاف انه في صيف سنة ١٩٢٢ أصدر أشد الأوامر حول هذا الموضوع وأخذ يعاقب [illegible] من الذين يقومون بتلك الأعمال التي قال انها تجلب غضب الله والدول المسيحية . وقد أمر بتنفيذ أحكام الاعدام في عدد من الاخوان لعدم امتثالهم للأوامر المتعلقة بهذا الشأن .

وقال لي ابن سعود ان الشيعة من أهل الأحساء والقطيف منعوا من التدخين حتى في منازلهم ولم يكن يسمح لهم اداء فرائضهم الدينية في حسينياتهم . وكانت تنزل أقصى العقوبات بكل من يخالف ذلك، وقد قتل الاخوان عدداً من البحارنة ومن الشيعة في القطيف لمحاولتهم خرق القانون . اما الآن وقد آلت الأمور أكثر فأكثر الى سيطرة ابن سعود فقد امكن التساهل في تطبيق القانون . فقد سمح للشيعة بالعبادة والتدخين في منازلهم الخاصة شرط ان يحافظوا على النواميس في الأماكن العامة . وأشار ابن سعود الى ان حالة الشيعة أصبحت في عهده أفضل

بكثير مما كانت عليه زمن الاتراك. ففي ذلك الوقت لم يكن الشيعي يستطيع الادعاء بان اي شيء بما في ذلك حياته هي ملك له. أما في عهد ابن سعود فقد أصبحت الطائفة الشيعية آمنة وازدهرت تجارتها وتحسنت أوضاعها كما لم يعرف من قبل.

واعتقد ان ابن سعود قصد الدعاية في ابلاغي ذلك ظناً منه انني سأنقل ما قاله لسير بيرسي كوكس لإعطائه فكرة بأن التنكيل ليس من شيم الاخوان إلا انه ليس من سياسة ابن سعود.

وقد نفذ الاخوان الأمر الخاص بإنشاء الهجر للاستيطان فيها تنفيذاً دقيقاً في نجد والاحساء بحيث انه لم تأت سنة ١٩٢٣ إلا وكانت الهجرات التالية قد تمت فعلا. أما القائمة الواردة أدناه فليست كاملة بشكل من الأشكال وقد وجدت ان الارقام التي أعطانيها أصدقائي البدو لعدد الرجال المقاتلين في كل هجرة مبالغ فيها فانقصت منها كثيراً — الثلثين في أغلب الأحيان. ويمكن ان أكون قد تصرفت بعض الشيء.

اسم القبيلة	الهجرة	عدد الرجال
مطير	الارطاوية	١٠٠٠
	القريشات	٢٠٠
	مقيطة	٩٠٠
	مليح	٧٠٠
	اللصافة	٧٠٠
	الجداله	١٠٠
	جارية عليا	١٨٠٠
	جارية سفلى	١٦٠٠
	قبة	١٢٠٠
	الشعب	٣٠٠
	شريعة	٩٠٠
	مشاش	٤٠٠

هوازم	ذيخ	١٦٠٠
	المثنات	١٠٠٠
	الحبيس	٧٠٠
	العتيقي	٨٠٠
عتيبه	غطغط[١]	٧٠٠
	الدهانه	٨٠٠
	الصرح	٣٠٠
	الشجر	٧٠٠
	عرجه (او فروج)	١٠٠٠
	أصيل	٣٠٠
	تليح (أو التليح)	٩٠٠
	هجرة خالد بن لؤي	٤٠٠
	عرجه	٧٠٠
	الندي	٣٠٠
	الرويضه	٧٠٠
	العرق	١٠٠٠
مطير	عصيبه	١٠٠٠
	مشاش	٦٠٠
	الشبيكيه	٩٠٠
	الدليميه	٧٠٠
	الصادقه	٦٠٠
	القرين	٤٠٠
	سنبطل	٥٠٠
	الجرذي	٥٠٠

١ - دمرها ابن سعود بعد معركة سبلة سنة ١٩٢٩ .

	ابو حليفه	٩٠٠
عجمان	صرار	١٦٠٠
	الشاقي	٥٠٠
	الحنيني	٨٠٠
	عرينه	١٢٠٠
	عريره	١٠٠٠
	عقير	٥٠٠
قحطان	الشاخين	١٨٠٠
	الظهر	١٠٠
	الحماة	٧٠٠
	الثال	٥٠٠
	صبرة ابن غنام	٥٠٠
	صفة زهران	٤٠٠
	الصبحه	٥٠٠
	العديه	٦٠٠
	ريعان العليا	١٣٠٠
	ريعان السفلى	١٠٠٠
آل مره	عسلي	٩٠٠
	عبيرة	١٠٠٠
بني هاجر	الظهر	٧٠٠
دواسر	مشيرج	١٥٠٠
	الوسيطه	٨٠٠
بني م	أهل نجران	٤٠٠٠
عمار (عتيبه)	الحفر	٣٠٠٠
	روض الحيوان	١٠٠٠



سطح [illegible]	بن وان [illegible]	١٥٠٠
منطقة الخرج	النبعه	٥٠٠
	الشيبه	٦٠٠
	البدعه	٥٠٠
	الاخضر	٥٠٠
	الطيب اسم	٤٠٠
	الريضه	٤٠٠

لقد كنت في الهند من سنة ١٩٢٣ حتى تعييني سكرتيراً للمقيم السياسي في الخليج الفارسي سنة ١٩٢٨ ، وبذلك فقدت الاتصال الشخصي بالاحداث في الجزيرة العربية . وفي تلك الفترة أيضاً رزقت ولدي الاثنين ابي ماغر بورك وارينغتون سعود الذي ولد في ريتات بسويسرا في الثاني عشر من حزيران سنة ١٩٢٣ ، وابنتي ايون زهرة التي ولدت في بنكالـــور بالهند في الحادي عشر من كانون الثاني سنة ١٩٢٥ . ولدى عودتنا الى الجزيرة العربية أخذ البدو يدعون زوجتي بأم سعود وأصبحت انا معروفاً بأبي سعود .

ان اعتقاد ابن سعود بأن تحدي بريطانيا هو بمثابة كارثة تنزل عليه تأكد عندما قام حوالي الف وخمسماية رجل من الاخوان بغزوة على بعد خمسة عشر ميلاً من عمان عاصمة شرقي الاردن بعد ان ساروا مسافة الف ميل في منتصف شهر آب سنة ١٩٢٤ . وقد تصدى لهم سلاح الجو البريطاني ويقال انهم قتلوا جميعهم باستثناء عدد لا يتجاوز المئة رجل . وقد ساهم رجال قبيلة بني صخر في انزال الهزيمة بالاخوان الغزاة .

وفي تلك الاثناء كان الملك حسين ملك الحجاز ، بعناده ورعونته ، يكتب نهايته بيده . فعندما زار شرقي الاردن واعلن نفسه هناك خليفة في العالم الاسلامي ، اعلن ابن سعود عليه الحرب . وقد احتلت قوات الاخوان الطائف في ايلول سنة ١٩٢٤ باسرع مما كان يتوقع ابن سعود. وفي الخامس من تشرين الأول تنازل الملك حسين عن العرش الى ابنه الأكبر علي وذهب ليعيش في العقبة .

وانسحب علي من مكة وتراجع الى جدة ، واحتلت قوات الوهابيين مكة في كانون الأول وحاصرت جدة والمدينة .

وتوجه جيش سعودي آخر الى ما وراء وادي سرحان قرب الحدود السورية قاطعاً الطريق بين شرق الأردن والعراق . وأوفدت الحكومة البريطانية السير جيلبرت كلايتون الى الحجاز ليلفت نظر ابن سعود الى ان امتداد حدوده التي تقع عبر خط الانابيب المقترح في الصحراء والطرق البرية والجوية الى بغداد والشرق ، لا يمكن ان يحتمل .

وتراجع ابن سعود تحت الضغط البريطاني مظهراً بذلك بعد نظره وقدرته على ضبط النفس وهما امران يعود اليهما نجاحه الى حد كبير . وعقدت بعد ذلك معاهدتا حده وبحره . فمعاهدة بحره التي وقعت في أول تشرين الثاني ١٩٢٥ تنص على اقامة محكمة خاصة تنظر في شكاوى قبائل نجد والعراق على بعضهم البعض .

وكان الملك علي بن الحسين يخوض حرباً خاسرة فقد استطاع ان يثبت لحصار جده ، ولكن سقوط المدينة بأيدي قوات الاخوان بقيادة فيصل الدويش في الخامس والعشرين سنة ١٩٢٥ ، ادى الى تنازله عن العرش . وفي الثامن من كانون الثاني سنة ١٩٢٦ نودي بابن سعود ملكاً على الحجاز في المسجد الكبير بمكة المكرمة . وظل يحمل لقب سلطان نجد الى السنة التالية عندما أصبح يحمل لقب ملك الحجاز ونجد وتوابعها .

وفي سنة ١٩٢٦ ايضاً اصبحت منطقة عسير في غرب الجزيرة العربية والتي يحدها من الشمال والشرق والجنوب على التوالي كل من الحجاز ونجد واليمن ، تحت سيطرة ابن سعود . وحتى سنة ١٩٢٠ كان الادريسي يحكم عسير ، ولكن الاخوان في تلك السنة احتلوا اية والاقسام العليا من المنطقة تاركين لسعيد محمد الادريسي ما تبقى منها . وتوفي سعيد محمد سنة ١٩٢٢ وخلفه ابنه الذي طرده عمه حسن سنة ١٩٢٥ . ووجد الحاكم الجديد نفسه ضعيفاً فوضع بلاده سنة ١٩٢٦ تحت سيطرة ابن سعود وعين هو حاكماً مدى الحياة في عسير .

بوادر عدم الارتياح بين الأخوان

حمل ابن سعود كل جهده بين عام ١٩٢٥ وعام ١٩٢٧ في القضاء على العصابات وقطاع الطرق في الحجاز وتعهد تأميناً لسلامة طرق الحج وركبهم لجماح قبائل الهائجة التي بدأ أكثرها يشعر أن سياسته يمليها عليه البريطانيون . وكان قبوله للمخترعات الحديثة كالسيارة والهاتف والراديو والبلاكمون وجهة نظرهم ، على عدم إيمانه بمذهب الاخوان . وبدا واضحاً ان الشعور بعدم الارتياح أخذ يتفاقم .

وعندما عاد زعماء الاخوان الى نجد بعد سقوط جدة كانوا يتبرمون ويشعرون بخيبة أمل لأن حملة الحجاز لم تعطهم الفرصة للنهب والتنكيل . وكانوا ايضاً غير راضين عن فكرة ابن سعود في تشكيل حكومة مدنية في الحجاز وعن منعهم من الغزو عبر الحدود .

وقد كتبت في أماكن أخرى عن طبيعة البدو وقلت ان الغزو هو ورد الحياة بالنسبة للبدوي ، فاذا منع عن الغزو يصبح اكثر الرجال تعاسة . وكان الرجل الغربي المتمدن يحافظ على ممارسة هواياته في الرياضة والصيد كإرواء لعاداته والابقاء على حيويته ، كذلك البدوي البدائي في الجزيرة العربية لديه رغبة طبيعية في الغزو لأن فيه المجال لإثبات رجولته وفروسيته . ان الغزوات في الصحراء لا تحمل معها الكثير من سفك الدماء لان الدافع او المحرك الاساسي للغزاة هو نهبهم للجمال بالدرجة الأولى .

وكان بين اكثر زعماء الاخوان استياءً فيصل الدويش قائد الحملة على المدينة والشيخ الأعلى في قبيلة مطير القوية واحد الذين يشكلون عصب حركة الاخوان . وكان الى ذلك الوقت لا يزال أقرب صديق الى ابن سعود وأكثر ضباطه حماسة واندفاعاً .

وقد حث فيصل الدويش سلطان بن حميد الشيخ الأعلى في قبيلة عتيبة ، وضيدان الحثلان الشيخ الأعلى في عجمان على قسم اليمين بمساندة بعضهم البعض إذا حاول ابن سعود الاقتصاص من أي واحد منهم .

هكذا كان الوضع عندما رفضت حكومة ايران النهج للخطوط الجوية

الامبراطورية في إنشاء محطة لخدمة الطائرات المتوجهة إلى الهند ، على ساحل ايران الجنوبي ، فحمل الاقتراح الى ابن سعود على أساس انشاء المحطة المذكورة على الساحل الغربي من الخليج الفارسي . وكما كان متوقعاً ، فان مجرد عرض تلك الفكرة كان سيصطدم بمعارضة الاخوان وشورهم . وأعلن ابن سعود أنـه لا يستطيع الموافقة على الاقتراح عملاً بنصيحة عبدالله بن جلوي آل سعود أمير الاحساء .

وبعد ذلك جاءت قضية انشاء مخفر للشرطة العراقية في بصية في صحراء العراق الجنوبية . وقد ربط الاخوان ذلك في ذهنهم بالقضية مشروع الخط الجوي ضمناً متوهمين أنه سيكون مركزاً ضخماً بتجميع النفط وقاعدة لاحتلال العادات الأوروبية الى بلادهم .

وكانت معارضتهم لاقامة المخفر المذكور قوية الى حد حمل ابن سعود على الاحتجاج على اقامته بحجة انه يشكل خرقاً للمادة الثالثة من بروتوكول عقير . وكانت حجته واهية يصعب عليه شخصياً تصديقها لان المخفر كان سيقام على بعد ٥٥ ميلاً من أقرب نقطة الى منطقة العراق الحايدة .

وبالرغم من احتجاجه وموقفه ، فان وجود المخفر ساعد على توسيع شقة الخلاف بينه وبين زعماء الاخوان . فقد قام فيصل الدويش بحملة دعائية واسعة النطاق ضد ابن سعود مشيراً الى أن وجود المخفر دليل على ان ابن سعود قد باع حقوق بلاده الى البريطانيين .

وقد قمت حملة فيصل فطها قبدأت القبائل تنتحث بعشها الجهاد ضد العراق على اعتبار انـه حليف البريطانيين ومتسامح بشأن العادات والاعمال الفاجرة الملين .

ولم ينحصر شعور العداء لابن سعود بالأخوان . فقد تعداه الى بعض أفراد العائلة السعودية والى أهل الحجاز الذين كانوا يعتبرونه عملاً اجنبياً غالقاً لايمانهم . ففي صيف سنة ١٩٢٧ اكتشفت مؤامرة في حينها لاغتيال ابنه سعود في الرياض وأخرى لاغتيال عبدالله ابن جلوي في الاحساء . وانتشر همس بين الناس بأن

محمد شقيق ابن سعود وشالح بن محمد هما اللذان حرضا على المؤامرة .

وحوالي الساعة الحادية عشرة من ليـل الخامس من تشرين الثاني سنة ١٩٢٧ هاجم أربعون رجلاً من قبيلة مطير بقيادة الشيخ مطلق السور أحد اعوان فيصل الدويش ، مخفر الشرطة في بصية وهو قيد البناء وقتـه ستة من رجال الشرطة وموظف مدني واحد واثنا عشر عاملاً وامرأة واحدة . وقـد فوجىء هؤلاء بالهجوم تحت جنح الظلام فقتلوا جميعهم باستثناء شرطي واحد اصيب بجراح . وتمكن شرطي آخر كان يقوم بواجبـه في مركز ناء من الفرار وأعطى اشارة التحذير في ابي غار .

وفشلت طائرات الاستكشاف في صباح اليوم التالي في تحديد موقع المهاجمين الذين استطاعوا الفرار في الوقت المناسب الى ما وراء حدود نجد . وقـد دبر الهجوم فيصل الدويش مع انه أنكر ذلك في محادثة اجريتها معه سنة ١٩٢٩ ووضع فيها اللوم كله على ابن سعود .

وكان من نتائج هذا الهجوم ارجاء مؤتمر كان من المقرر عقده في الكويت في ٢٠ تشرين الثاني بين وفد من العراق وآخر من نجد برئاسة الميجر مور الوكيل السياسي في الكويت ، الى أجل غير مسمى .

ونظراً لكثرة الدعاوى المقدمة من قبائل البلدين ضد بعضهم البعض ، وجد ان المحكمة المؤلفة خصوصاً منها في معاهدة بحرة ليست عملية . لذلك ، وبما ان نجد والعراق قد اتفقتا مسبقاً على اسقاط جميـع دعاوى قبائلها ، فان مؤتمر الكويت كان سيحل محل المحكمة الخاصة . وكان الهدف من المؤتمر التوصل الى اتفاق حول اسقاط جميع الدعاوى السابقة ، وبحث الاجراءات الواجب اتباعها في معالجة القضايا المشابهة التي قد تنشأ في المستقبل .

وفي ١٨ تشرين الثاني وصل الى الكويت الشيخ حافظ وهبـه وهو مصري قدير وذو مكانة رفيعة أصبح فيما بعد سفيراً للسعودية في لندن ، ليمثل نجد في المؤتمر . ولكن ابن سعود كان قد أبلغ في تلك الاثناء من قبل بريطانيا ان المؤتمر قد ارجىء الى أن يعاقب المسؤولون عن مهاجمة المخفر وتـدفع التعويضات للقتلى

وانه ... ينتظر تأكيدات بأن إجراءات حاسمة ستتخذ لمنع مثل تلك الغزوات الى داخل الاراضي العراقية .

وقد وصل الى الكويت تقرير في ٢٩ تشرين الثاني يفيد ان غالب الشبيكة عبر الحدود الجنوبية للكويت قد أبلغ سرية بالاتجاه الى الجنوب لاعتراض طريق ... الاخوان الذين قرروا مهاجمـــة الأراضي الكويتية . وفور وصول التقرير ... جميع البدو في المنطقة وسيرت دوريات مسلحة عراقية .

وبالرغم من كل تلك الاحتياطات فقد هجم أربعمائة رجل من الاخوان بقيادة ... بن شقير الدويش وأحد أبناء ميوه بن لامي في غزو عريدار الكويتية في ام رمام قرب رقعي على بعد سبعة أميال الى الشمال الشرقي من جبو ... في الرابع من كانون الأول .

... وصلت الأنباء الى الكويت ، وكان ذلك بعـــد الظهر ، ... قوة قوامها مئة رجل وأرسلت على جنــاح السرعة بالسيارات لتتصدى للمهاجمين ، ولكنها وصلت متأخرة ... لتمكن القوة من الاستيلاء على عدد كبير من الجمال والفرار بها .

وأرسل الشيخ أحمد حاكم الكويت رسالة ... الى ابن سعود يشكو فيها الاعتداء على رعاياه .

وقد أحدثت الحالة المضطربة في الصحراء والشائعات التي كانت تروج يومياً موجة من القلق في مدينة الكويت . فقد أعيد بناء السور في الأماكن اللازمة وشددت عليه الحراسة ليلياً حتى نهاية شهة . وجند عدد من المرتزقـــة لتدعيم حامية جهرا التي زيد عددهـــا حتى بلغ ثلاثمائة رجل ، هذا بالاضافة الى البدو المخيمين في الجوار .

وفي صباح الثامن من شهر كانون الأول ، قام الشيخ حافظ وهبه بزيارة الميجر مور وأبلغه أنه تلقى برقية من ابن سعود عن طريق البحرين يطلب منه فيها أن يخبر الميجر مور — لكي ينقل بدوره الى المندوب السامي البريطاني في العراق — أن اضطرابات خطيرة قد وقعت في نجد ، وان ابن سعود هو ، بسبيل ...

ان قوة من الاخوان بدأت زحف نحو الشمال خلال أواخره . وقد أرسل تحذير عاجل الى شيخ الكويت .

وفي صباح اليوم الثــاني تعرضت ثلاث طائرات تابعة لسلاح الجو الملكي البريطاني لنيران بنادق فريق من الإخوان يبلغ عدده ثلاثمائة رجل بالقرب من أم النبيه ، وذلك لما كانت الطائرات الثلاث تقوم بمهام الدورية فوق منطقة العراق المحايدة . وقد جرح نتيجة لحادث عامل لاسلكي في إحدى الطائرات . وردت الطائرات على القوة المعادية بوابل من نيران مدافعها الرشاشة .

وقد شاهدت الطائرات التي أرسلت من بصره في اليوم التالي قوة من حوالي مئتي رجل مع جمالهم في الرخيميه والقرب من جريشة في منطقة العراق المحايدة . وكانت تلك القوة تتحرك بسرعــة نحو الجنوب فقصفتها الطائرات وأوقعت فيها خسائر جسيمة . وكانت تلك القوة ، قبل ساعات من قصفها ، قد هاجمت عبيات فرع النطيط من رعاة العراقيين في المنتفق ، وغنمت قسماً كبيراً من الماشية الى الشمال من شعيب الأمة . وكان هؤلاء الغزاة ، كالعــادة ، من قبيلة مطير .

وفي الثاني والعشرين من كانون الأول هجم فيصل الدويش على رأس قوة من رجاله الحدود العراقية وهاجم قبيلة الزياد وقبيلة عبده شمر في جوشه على بعد ٣٠ ميلاً الى الشمال الغربي من بئر السالم في الالويــة الغربية من منطقة العراق المحايدة . وقد أعمل الغزاة السيف في رقاب القبيلتين وخاصة في قبيلة الزياد مما أدى الى مقتل عدد كبير من الرجال .

وتحرك فيصل الدويش بعد ذلك الى الشمال الغربي لمهاجمــة البادية الذين فروا أمامه هاربين . ويبدو أنه عاد بعد ذلك بالتحرك جنوباً . وظلت تحركاته حتى نهاية السنة يلفها الغموض .

إن قيام فيصل الدويش ورجال مطير بتلك الغزوات على نطــاق واسع ، ليس فقط بدون اذن ابن سعود بل تحدياً لأوامره أيضاً ، قد أثار الكثير من الشائعات والأقاويل المبالغ فيها حول حقيقة الأوضاع في نجد . ويظهر أن

البعض قد ظنوا أن قبائل أخرى وخاصة عتيبة قــد تحدت هي أيضاً سلطة الملك. ولكن المعلومات الموثوقة المتوفرة حتى نهاية عام ١٩٢٧ تشير الى أن مطير وحدها كانت خارجة عن السيطرة . أما القبائل الأخرى فقد ارتضت الهدنة . وكان الرأي السائد بين العرب العارفين ببواطن الأمور هو أن ابن سعود سيتمكن سريعاً من استعادة سلطته في الصحراء ولكنه سيفعل ذلك بالطرق السلمية لأنه ليس من الحكمة معاقبة مطير .

وفي تلك الأثناء وصلت الى مراقبه ، وهي منطقة مشهورة بالآبار الى بعد ١٦٥ ميلاً جنوب الكويت وفيها يتجمع القسم الأكبر من قبيلة عوازم ، قوة من الاخوان كان ابن سعود قد أمرها بحفظ النظام بين القبائل . وقيل ان كتيبة أخرى قد أرسلت من حايل .

وفي أوائل كانون الثاني سنة ١٩٢٨ عاد رسل الشيخ أحمد حاكم الكويت الذين أوفدهم الى ابن سعود بعد غزوة تواجيب بن شقير ، حاملين رسالة يعرب فيها ابن سعود عن أسفه للحادث واعداً بإصلاح الخطأ . وقد أبلغ الرسل ان ابن شقير قد ترك أمره لقوة من الاحساء بقيادة فهد بن عبدالله بن جلوي آل سعود، ولكن هذا الوعد لم ينفذ . فقد أخلى ابن شقير موقعاً قرية جارية عشب وانسحبت قوة بن جلوي في شهر شباط .

ووصلت أنباء الى الكويت مساء ٢٧ كانون الثاني تفيد ان علي بن عشوان من فخذ أولاد واصل من قبيلة البريج مطير ، قصد هاجم عربدار الكويت في أم رويسات بقوة قوامها ثلاثمائة وخمسون رجلاً من الهجانة وخمسون من الخيالة . ويبعد مكان الهجوم ٣٨ ميلاً الى الشمال الغربي من جهرا . وقد قتل المهاجمون ثلاثة أشخاص وحملوا معهم عدداً لا يستهان به من الجمال والأغنام .

وقد استأجرت جميع السيارات في الكويت حالاً وملئت بالرجال المسلحين وأرسلت الى جهرا في الليلة ذاتها ومعها أوامر بالتقدم الى رقيعي على بعد ٩٠ ميلاً الى الغرب فالجنوب الغربي ، عندما يبزغ ضوء النهار أملاً في قطع طريق العودة على المهاجمين . ونجح الكويتيون في ذلك . ففي الساعة الرابعة والنصف من بعد

ظهر ٢٨ كانون الثاني وصلت الى رقيعي خمس عشرة سيارة من أصل السيارات الخمس والعشرين التي غادرت الكويت . وكان ذلك عملاً خارقاً بالفعل لأنه لا توجد طريق للسير بمعنى ما، ولأن السيارات كانت مكتظة بالركاب إذ أن بعضها كان يحمل تسعة رجال .

ومع ان القوة الكويتية لم تزد عن ٧٥ رجلاً إلا أنها كانت أكثر تسلحاً من الغزاة . هذا بالاضافة الى أنهم أدخلوا السيارة كعامل جديد في الحرب . وكانت النتيجة ان القوة الكويتية كبدت العدو خسائر جسيمة وأجبرته على التخلي عن جزء كبير من غنائمه . وكانت الاصابات في صفوف الكويتيين قليلة ولكن قائدهم الشيخ علي الخليفة الصباح أصيب بجراح بالغة .

وبعد انتهاء الاشتباك وصل الى أرض المعركة الشيخ علي السالم الصباح ابن المرحوم الشيخ سالم وهو شاب شجاع عنيد . وكان قد تأخر عن القتال بسبب عطل في سيارته الأمر الذي أزعجه جداً . ولكي يعوض عن ذلك اندفع على وجه التقدم متجاهلاً بذلك الأوامر المباشرة . وكانت النتائج ان حوصر مع جماعته في الباطن حيث قاتلوا حتى نفدت ذخيرتهم فاستسلموا ولكنهم ذبحوا بكل برودة دم . ولولا هذا الحادث المؤسف لكان ما قامت به القوة الكويتية عملاً خارقاً لا يضاهيه نجاح .

وكانت خسائر الكويتيين احد عشر قتيلاً وأحد عشر جريحاً توفي واحد منهم فيما بعد ، بينما تكبد العدو ٣٥ قتيلاً على الأقل . وتخلى الكويتيون مؤقتاً عن أربع سيارات عادوا فاحضروها فيما بعد . وتجدر الاشارة هنا الى ان احدى هذه السيارات وقعت في ايدي الاخوان فأرادوا تعطيلها بإيقاد النار تحتها وظل محرك السيارة سليماً اذ انها اعيدت الى الكويت بقوتها الخاصة .

وفي ٢٩ من الشهر ذاته صدمت الطائرات البريطانية مواقع الغزاة على بعد خمسة عشر ميلاً الى الشمال من حفر الباطن . وقد فتح الغزاة نيران بنادقهم على الطائرات البريطانية التي ردت عليهم بالقنابل والمدافع الرشاشة . وقامت الطائرات بمهاجمة الغزاة مرة ثانية على بعد ثمانية أميال من حفر الباطن بعد ظهر الثلاثاء

من الشهر وكبدتهم خسائر فادحة في الفريقين .

وفي التاسع عشر من شباط تعرض الجوارين من قبائل المنتفق وبعض القبائل الأخرى قرب جريشان في الباطن على بعد خمسين ميلاً الى الجنوب الغربي من الزبير ، لهجوم عنيف شنته قوة من الاخوان بقيادة فيصل الدويش يقدر عددها بألفي جمل يحمل كل منها رجلين وعدد كبير من الخيالة ربما يبلغ ٢٣٠٠ رجل . وبلغت خسائر القبائل العراقية نتيجة لهذا الهجوم ٢٦ قتيلاً و١٨ جريحاً وفقدت ١٣٠ جملاً وحوالي ١٨٠٠ رأس غنم .

وفي اليوم ذاته شاهدت طائرات الاستكشاف طريدين من الغزاة أحدهما كبير على بعد عشرة أميال الى الجنوب من جريشان والثاني صغير قرب رقيع . وشاهدت طائرة استكشاف أخرى جماعة من الغزاة منتشرين في منطقة واسعة قرب جريشان ومعهم الغنائم والأسلاب . وقد هاجمت الطائرات جميع الفرق التي شاهدتها وتعرضت بدورها الى نيران شديدة ، فسقطت احدى الطائرات مشتعلة وقتل قائدها ، وهو انه بطاني الوحيد الذي قتل في تلك الحوادث .

وقد هوجم الغزاة وهم يتراجعون مرتين من الجو : في العشرين من شباط وفي الحادي والعشرين منه . وفي المرة الثانية كانت اصوات انفجارات القنابل تسمع بوضوح في الكويت . وفي صباح الرابع والعشرين توجهت طائرات من منطقة العراق المحايدة الى الصفا عن طريق حفر الباطن . وشاهدت تلك الطائرات من بعد عشرين ميلاً الى الشمال فالشمال الغربي من الصفا عدداً كبيراً من الخيام البيضاء تحيط بها الجمال والخيول وقطعان الغنم من كل صوب . واستطعت بعض تلك الطائرات قنابلها على الخيم بينما قذفت الطائرات الأخرى في الصفا وضواحيها . وفي كلا المكانين لم تكن النتائج كما كان يرتجى . ويبدو ان فيصل الدويش ظل في الصفا حتى صباح ذلك اليوم ثم غادرها الى قريته ارطاوية قبيل وقت قصير من القصف .

وجاءت تقارير أخرى تفيد ان سلطان بن حميد الشيخ الأعلى في قبيلة عتيبة القوية دعا زعماء الاخوان الآخرين الى الاجتماع به في السابع من آذار في شقرا

على بعد ٩٠ ميلاً الى الجنوب من ارتاويه وذلك للقيام بغزوة كبرى مشتركة . وقد اكد ذلك أحد الأسرى من فريق من قبيلة مطير اطلقوا النار على سيارات بريطانية مصفحة في حفر الباطن في الثاني عشر من آذار . وقال ذلك الاسير ان فيصل الدويش اقترح ان تكون الغزوة المشتركة بعد رمضان الذي ينتهي في ٢٢ آذار ، ولكن بن حميد اصر ان يكون ذلك فوراً . وقال ان الغزوة تقرر ان تكون ضخمة لدرجة يصعب تصورها .

ولم تتحقق تلك الغزوة على كل حال ، وعلم فيما بعد انه بالرغم من ان بن حميد غادر قريته غطغط فعلاً حسب البرنامج ولكنه لم يذهب الى أبعد من شبي على بعد ٧٠ ميلاً الى الغرب فالشمال من الرياض حيث لحق به خالد بن لؤي احد أقرباء العائلة الشريفة في الحجاز وقائد من قادة الاخوان هناك . وكان بن لؤي قد قدم الى الرياض قبل عدة أيام فأرسله ابن سعود لكي يحاول اقناع بن حميد بالعودة . ونجح في مهمته مؤقتاً اذ ان ابن حميد عاد فعلاً الى غطغط تاركاً قواته في شبي .

وقام بن حميد بزيارة فيصل الدويش في ارتاويه بتاريخ ٢١ آذار واقترح عليه ان تبدأ الغزوة المشتركة من هناك فوراً . ولكن مطير لم تكن راغبة في التعاون لان القتال كان قد انهكها في ذلك الوقت .

وفي ٢٤ آذار غادر بن حميد جراب على بعد عدة أميال الى الشمال الغربي من ارتاويه بقصد مهاجمة مركز عراقي في ملهات . وفي ذلك الوقت كان ابن سعود قد قبل دعوة بريطانية لبحث المسائل المهمة مع السير جيلبرت كلايتون ، فأرسل سعود العرافة آل سعود والرجل الموقر المعروف الشيخ الاشقري لثنيا بن حميد عن عزمه ، ونجحا في ذلك . ولحق الرجلان بابن حميد في عجيبه واقنعاه بعد جهد جهيد ان يتوقف ويعود الى التشاور مع ابن سعود .

وبحقيقاً لهذه الغاية غادر ابن سعود الرياض في العاشر من نيسان قاصداً بريده ، وفي الرابع عشر التقى فيصل الدويش الى بن حميد في جبالة على بعد ٢٥ ميلاً الى الشمال من بريده . وصحب كل من الرجلين معهما قوات كبيرة من رجال

قبيلتيهما . ودعاهما ابن سعود الى الحضور الى بريده معا ، ولكنهما رفضا وطلبا من ابن سعود ان يخرج لمقابلتهما في الصحراء . وخشي ابن سعود بدوره ان يفعل ذلك فلم يتم الاجتماع ولكن الطرفين توصلا الى اتفاق مؤقت بواسطة سعود العرافه آل سعود وعبدالعزيز بن مساعد الجلوي آل سعود حاكم حايل .

وتعهد زعماء الاخوان بموجب الاتفاق ان يمتنعوا عن القيام باعمال عدوانية ضد العراق في الوقت الحاضر ، وان يطلقوا يد ابن سعود في التفاوض مع السير جيلبرت كلايتون . وغادر ابن سعود بريده الى حايل في طريقه الى الحجاز في ٣٠ نيسان ، ورجع زعماء الاخوان كل الى مقره .

وفي ١٤ نيسان حدثت غزوة صغيرة على بعد عدة اميال الى الجنوب الغربي من وفره في منطقة الكويت المحايدة وذلك عندما قام فريق من الغزاة من العراق بمهاجمة غنم للمواتر . ويعتقد ان قائد الغزاة هو مديج بن شويرية الذي ينحدر من عائلة مرموقة في فرع برزان من قبيلة بريح مطير التي انفصلت عن الاخوان ولجأت الى العراق وسببت عدة مشاكل بغزواتها المتكررة الى نجد ، الى ان نقلتها الحكومة العراقية عن الحدود في سنة ١٩٢٥ .

وفرد آخر من أفراد تلك العائلة واسمه علي بن شويرية حاول إثارة المشاكل في الشهر السابق عندما تقرب الى شيخ من شيوخ عجمان يعمل في خدمة شيخ الكويت وأوحى له بنطق بلسان تلك فيصل عندما أخذ يحثه على القيام بغزوات الى داخل نجد . وكان الشيخ أحمد قد أبعده في وقت سابق لقيامه بنشاط مشابه .

محادثات جده

وصل ابن سعود الى جده في السابع من أيار ليبدأ محادثاته مع السير جيلبرت كلايتون .

وقد استمرت تلك المحادثات من السابع الى العشرين من شهر أيار . وكانت القضية الرئيسية في المحادثات حق العراق في بناء مخافر للشرطة في الصحراء على

مسافة من خط الحدود .

ولم يحاول ابن سعود ان يقدم الاعتذار لهجوم فيصل الدويش على عقير بسيره وتحريضه على الغزوات الاخرى ، ولكنه أكد أن بناء المخافر كان نقضاً صريحاً للمادة الثالثة من بروتوكول عقير . وقال ان هذا هو السبب الذي حفز مطيراً على الهجوم . واعتبر ابن سعود غارات سلاح الجو الملكي البريطاني على القبائل داخل حدود نجد خرقاً فاضحاً لنصوص معاهدة جدة وبروتوكول عقير . وأضاف ان ذلك أدى الى المشاكل التي أرغمها لكبح جماح مطير ، ومدينتها قد قصفت هي الاخرى من قبل الطائرات البريطانية .

وقد عرض السير جيلبرت كلايتون وجهة النظر البريطانية بكياسة فائقة ، فشرح لابن سعود ان حكومة صاحب الجلالة كان عليها ان تحافظ على التبعة القائل ان كلا الحكومتين لها الحرية في اتخاذ أية اجراءات ترى انها مناسبة للسيطرة على الصحراء والدفاع عنها كل داخل حدوده . ولكنه لم يستطع اقناع ابن سعود في تغيير رأيه من ان المادة الثالثة من البروتوكول قد انتهكت .

وطلب ابن سعود ان تهدم مخافر بصية وسلمان وفي غيرهما من مناطق الصحراء . وسواء كان يؤمن بحججه الخاصة أم لا ، فلقد كان من الصعب على ابن سعود أن يقف غير هذا الموقف ، لأن رجال القبائل التابعين له كانوا يشعرون بأن تلك المخافر هي بمثابة حد للاسفين الذي سيخترق نجد نفسها ، فكان من المستحيل عليه ان يستعيد سلطته لو انه وافق على الاعتقاد بأن العراق له ما يبرر بناء تلك المواقع .

وهكذا انتهى المؤتمر دون التوصل الى اتفاق حول المسألة الرئيسية . ولكن ابن سعود عاد فأكد استمرار نواياه الحسنة تجاه بريطانيا .

وتجددت المباحثات في مطلع شهر آب — من الثاني حتى التاسع منه — . وعاد ابن سعود فرفض الموافقة على التفسير البريطاني للمادة الثالثة . وقال إنه أعطى نص المادة المذكورة على القبائل التي اعتمدت عليه في وجوب إزالة تلك المواقع ، فاذا تراجع فقد كل سلطته ونفوذه بين شعبه وفي صفوف الاخوان .

وقال أيضاً انه ووجه بالاختيار بين قطع علاقاته ببريطانيا ، الأمر الذي لا يستطيع ان ينفذه ، وبين ابلاغ القبائل أن الاتفاقية التي وقعها وعرضها عليهم هي غير ذات قيمة .

وتبين من تلك المعارضات ، بالرغم من العقبات المستعصية ، ان موقف ابن سعود من الحكومة البريطانية هو موقف صداقة حقيقية واحترام . ويبدو انه كان يخشى فعلاً ان يؤدي عناد الاخوان إلى انقطاع العلاقات الطيبة القائمة بين بلاده وبريطانيا ولكنه كان لا يستطيع ان يرى حلاً من شأنه ان يضعف سلطته على القبائل .

قرارات الملك

ولم يكن أحد يعرف كالملك عبدالعزيز آل سعود ان قوات التخلف التي تعرض لها البيت السعودي في الماضي تعود الى سببين رئيسيين :

١ – قناعة رؤساء الدولة بالبقاء كحكام بدو .

٢ – عدم ضبط التعصب الديني عند أهالي نجد .

ولذلك قرر تعديل وتصحيح السبب الأول بامتثال الامور الآتية :

أ – شكل حديث للحكومة مع مجلس الدولة وعدد من الوزراء ورؤساء الدوائر والسفراء المعتمدين لدى الدول المجاورة على غرار قدماء الاكثر تقدماً .

ب – نظام لمحطات اللاسلكي مما يسهل السيطرة والاشراف على حكام الأقاليم والبقاء على اتصال دائم معهم .

جـ – جيش مدرب وسكة حديد وطائرات وسيارات ونظام واسع للنقل الثقيل في جميع أنحاء الدولة الامر الذي اذا أضيف له افتتاح خطوط جوية وطرق برية يمكنه من تدبر أمر البدو من سكان نجد الذين كانوا في الماضي سبب قوة أو ضعف كل حاكم .

ولكي يعالج السبب الثاني قرر في سنة ١٩٢٨ اضعاف قوة الاخوان ، السلاح الذي صنعه بنفسه خلافاً لنصائح أقرب أصدقائه وذلك بقصد أن يصبح سيد

الجزيرة العربية . فعندما كانت هنالك مجالات لنشاط كان يستطيع اعطاء [illegible] ويحطم طموح بنتشه . فقد أخضع جبل شمر وعسير والحجاز وواحة الجوف . وعندما لم يبق هنالك مجال للفتح وجهته ضرورة الجهاد الى من الصعب اخمادها .

لقد كان من الممكن معالجة المسألة بنجاح في وقت مبكر لو لم يعقد حادث سوء الأمور . فالاخوان بـدأوا يتمردون على سلطة الملك وأكثر [illegible] غزواتهم الى داخل العراق والكويت . وحتى هذا اليوم يدعي زعماء الاخوان بإصرار ان ابن سعود نفسه أمر بكل تلك الاعمال العدوانية عندما كان في ذلك الوقت لا يزال رئيسهم الديني والعسكري .

ومهما كان الامر فمشاعر قبائل الاخوان في نجد كانت تغلي . وكانت مطير تمقت سياسة ابن سعود بمنع الغزوات بين القبائل والغزوات الخارجية عبر حدود الكويت والعراق . وكانت تمقت اكثر استخدامه اللاسلكي والسيارات وغيرها . وأثار حنقهم قصف الطائرات البريطانية لهم وادعوا ان امامهم قد أصبح أداة في أيدي الانكليز ، وانه لا يسمح بالغزو إلا خوفاً من الاخوان ولكنه عندما تلقى احتجاج البريطانيين وقف في طريقهم وأمرهم باعادة كل الغنائم التي حصلوا عليها .

وكان هنالك خطر حقيقي من أن تقوم قبائل نجد بقيادة فيصل الدويش وسلطان بن حميد ، لأن كلا الاثنين كان يطالب ابن سعود علناً بالثبات [illegible] بالله عن طريق اعلان الجهاد ضد العراق .

وشعر ابن سعود نفسه بحذر شديد ، فهو لم يكن يستطيع المجازفة والتعرض لورطة فكراهية للبقية من هجوم مكشوف على مطير وعتيبة وعجمان التي اصبحت أقرب الى الحركة ضده بقيادة فيصل الدويش ، ولذلك كان يكسب الوقت .

مؤتمر مع الاخوان

ولدى عودة ابن سعود الى الرياض من جدة في أيلول ، أرسل في الحال رسلا الى زعماء نجد وقادة الاخوان يدعوهم لحضور مؤتمر في الرياض في نوفمبر

أبدى .

وقد أبى تجميع الدعوة باستثناء فيصل الدويش وسلطان بن حميد وضيدان الحثلان . لكن الدويش أرسل أبنه الأكبر عبد العزيز ممثلاً عنه ، فرفض ابن سعود مقابلته في بادىء الأمر طالباً حضور الدويش شخصياً مع بن حميد وبن حثلان .

وتأخر انعقاد المؤتمر زمناً طويلاً أملاً في حمل هؤلاء على الحضور ، ولكنه في النتيجة عقد في غيابهم واتفقوا بأن يمثل كل منهم من زعماء قبيلته . وكان هذا الاجراء بمثابة تظاهر بالإنشقاق أحدث في نجد كل محل تقدير .

وتقدم الأخوان بثلاثة مطالب :

١ - إلغاء جميع الضرائب التي فرضها بن سعود مجدداً على القبائل بالاضافة إلى الزكاة الشرعية .

٢ - إلغاء السيارات واللاسلكي والبرق ومخترعات الكفار الأخرى .

٣ - تدمير مخافر الحدود العراقية في سلمان وبصيه .

ووافق ابن سعود على الشرط الأول . اما عن الثاني فقد أجاب بأنه يعتبر تلك الأشياء منافع سطحية للمؤمنين وبالرغم من ذلك فانه على استعداد ان يدمر جميع السيارات واجهزة التلفون واللاسلكي وغيرها ويعمل بدونها في المستقبل ، بشرط ان يدمر الاخوان جميع اسلحتهم وخناجرهم التي هي أيضاً من اختراع وصنع الكفار . وقد بحثت المسألة على صعيد علماء الدين الذين اصدروا فتوى تقول ان كلا الامرين شرعي يجوز استخدامه .

امـا الشرط الثالث الذي كان من الصعب او من المستحيل على ابن سعود الرضوخ له ، فانه سبب معظم المشاكل . وأقصى ما كان يمكن لابن سعود فعله هو اقناع الاخوان بالمحافظة على السلام وعدم القيام بأي عمل مضاد لمراكز الحدود العراقية لمدة شهرين آخرين ، لكي يقوم بمسعى أخير للسماح بازالة تلك المراكز بالمفاوضات السلمية . ولكنه وعدهم انه اذا فشل في محاولته فسيكون معهم قلباً وقالباً في مهاجمة تلك المراكز . وليس هنالك أي شك بأنه لن ينوي

ثابتة وعدمه .

وطلب ابن سعود من جهته ان يحصر الاخوان تجارتهم بالاماكن التي يعينها لهم فوافقوا على ذلك . والقصد من هذا الاجراء منع التجارة مع الكويت لأسباب مالية . وكان عبدالله بن جلوي أمير الاحساء قد حصر مؤخراً التجارة بجبيل والقطيف لكي يحث القبائل على المجيء الى الهفوف . ولكن ذلك أعطى نتائج عكسية منها ان القبائل أخذت تقوم بزيارات أكثر للكويت . وفي بداية تشرين الأول حين كانت مطير والقبائل الأخرى تذهب إلى الكويت علناً متجاهلة الحظر . وقد توقف ذلك بعد الزجر وزيادة في الشر أرسلت فصيلة فقط تتعرض من قبل بن جلوي .

وبعد ان نجح ابن سعود في التغلب على كثير من المعارضة له ، اختتم المؤتمر علماً منه بأن لديه من التأييد ما يكفي لإخضاع ومعاقبة قبائل مطير وعتيبة وعجمان الثائرة . وتفرق فيصل الدويش وزعماء الاخوان بعد ان أغدق عليهم ابن سعود هدايا كثيرة مغرية من المال والسلاح والجمال .

وبلغ ابن سعود ، عن طريق وكيله في البحرين ، ان الكولونيل لوك الوكيل السياسي هناك يأمل بمقابلته في الاحساء . وقبلت الدعوة ولكن بعد ذلك بوقت قصير ، في ٥ كانون الأول ، أرسل ابن سعود الى الكولونيل لوك كلمة يقول فيها انه تأخر في الرياض ولا يستطيع القدوم الى الاحساء في الوقت الحاضر . وهكذا لم يتم الاجتماع بين الرجلين .

وفي الوقت ذاته تقريباً تلقى ابن سعود رسالة عن طريق الوكيل البريطاني في جدة تتعلق بالمفاوضات مع السير جيلبرت كلايتون . وتقول الرسالة ان الحكومة البريطانية وافقت من حيث المبدأ على اقتراحه بأن تعرض النقاط المتنازع عليها للتحكيم . وربما كان ذلك هو الذي حمله على تأجيل اجتماعه بالكولونيل لوك ، وربما كان السبب اعراض القلق والاضطراب التي بدأت تظهر بوضوح بين القبائل القوية .

وفي اوائل كانون الأول وصلت شائعات الى الكويت تقول ان ابن سعود بن

لامي أحد زعماء مطير الذي ألمح الى عدم ولائه بمغادرته مؤتمر الرياض دون استئذان، ينوي غزوة ولكن فيصل الدويش منعه من تنفيذها ضمن مهلة الشهرين المتفق عليها . وجاء الى الكويت رجل غادر الرياض في ٩ كانون الأول وقال انه حج بعد ذلك بعدة أيام ان الدويش بعث يبلغ ابن سعود انه سيستأنف الغزو فور انتهاء المهلة . وفي ٣٠ كانون الأول وصلت معلومات الى الكويت تفيد ان الاخوان يخططون لغزوة كبرى . فقصد الضمير بن هذلان الى جيران العقم في جاريه ، وبدأ الدويش يتقدم من ارتاويه ، وابن لامي بدأ التحرك فعلا .

وأرسل الشيخ أحمد حاكم الكويت دوريات الى الحدود مع انه كان يعتقد ان لا خوف من الهجوم على قبائله — إلا ربما من ابن هذلان اذا تصرف بصورة فردية — ويعتبر ان الهجوم على المراكز العراقية هو الاحتمال الاقرب الى العقل.

وقد قام ابن لامي بغزوة صغيرة على جزء من شمر في منطقة هجرة الى الغرب من منطقة العراق المحايدة ، لكنها لم تترك أية نيول سياسية . وتفسير ذلك يمكن معرفته من رجل موثوق غادر الرياض في ٢٦ كانون الأول . قال الرجل ان هنالك أحاديث جرت منذ زمن عن غزوات مقبلة . ويقول الرجل ايضا ان ابن سعود أرسل الى ابن حميد يبلغه انه اذا كان لا يريد ان يأتي لزيارته في الرياض ، فانه سيذهب هو لمواجهته في غطغط . ورد ابن حميد بانه لا يوافق على ذلك ولكنه اذا رغب يمكنه ملاقاته في الصحراء . وتم الاتفاق على ان يتم الاجتماع في شوقي على بعد ٩٣ ميلا الى الشمال فالغرب من الرياض . وقد دعا ابن حميد فيصل الدويش وابن هذلان لحضور الاجتماع .

ولم يكن من المنتظر ان يحدث شيء قبل ان يتم الاجتماع ويعرف ما اذا كان ابن سعود يستطيع حمل الاخوان على المحافظة على السلام . وكان الارجح انه سيحاول اقناعهم بذلك الى ان ينتهي التحكيم .

الفصل الثالث عشر

ثورة الاخوان

١٩٢٩ - ١٩٣٠

كان الوضع في نجد غامضاً للغاية في أوائل كانون الثاني سنة ١٩٢٩ . فقد تعددت الشائعات واختلفت بحيث انه كان من الصعب معرفة الصحيح من الخطأ . ولكن مما لا شك فيه ان العلاقات بين ابن سعود وزعماء الاخوان أخذت تزداد توتراً ، وصارت مهمته في منعهم من مهاجمة المراكز العراقية في الصحراء أصعب . وبلغ به الحذر حداً انه وجد معه من الضروري اصدار الأوامر لجبيل والقطيف وغيرهما من المدن بالمباشرة ببناء التحصينات . ومن جهة أخرى كانت هنالك دلائل تشير الى ان الفتور قد دب بين ابن حميد وابن ربيعان أقوى شيخين في قبيلة عتيبة . وليس أمهر من ابن سعود في استغلال مثل هذا الوضع .

وفي ٢١ كانون الثاني تحرك شيخان الفقاان زعيم قبيلة عجمان على رأس قوة غاطقاً باتجاه الأراضي الكويتية عن طريق الباطن مستهدفاً غزو قبائل المنتفق المخيمة في الجزء الشمالي من الكويت . وكان يصحبه في هذه الغزوة سعود بن لامي وعدد من فروع مطير ورشايدة . وضرب هؤلاء ضربتهم في اليوم التالي فقتلوا ستة رجال واستولوا على عدة مئات من الاغنام والحمير وغيرهما . ومن المؤسف حقاً انه في صباح ذلك اليوم بالذات كان هنري بيلكرت المبعوث الاميركي في

البصرة متوجهاً الى الكويت بالسيارة برفقة تشارلز كراين سفير الولايات المتحدة السابق في الصين، والتقى الرجلان بعدد من الغزاة اطلقوا النار على السيارة فقتل بيلكرت .

وفي أوائل شهر شباط علم ان فيصل الدويش ترتبه ليقوم بمصالحة ابن حميد وابن ربيعان ! ووصلت تقارير في ١٢ شباط تفيد انه نجح في مهمته . وعلم بعد ذلك انه توجه الى جراب حيث ترك قواته بانتظار ان ينضم اليه ابن مذلات والفقم وغيرهما .

وقد جعل غموض الاحداث وارتكاب وقوع أشياء كبيرة من جهة نجد حياة سكان مناطق الكويت النائية تجد غير مأمونة ؛ اذ انتشر الاشقياء واللصوص الذين أخذوا ينهبون كل ما وصلت اليه أيديهم . ونظراً لاضطراب الاحوال في البلاد فقد أقفر طريق البصرة – الكويت وصار البريد يرسل بطريق البحر .

وفي ليل ١٥ – ١٦ شباط سرق جماعة من قبيلة ظافر كانت تخيم على مسافة قصيرة من جهرا أربعة عشر جملاً وعدد من الاغنام . فأمر الشيخ عبدالله الجابر الصباح بتنظيم فريق للمطاردة من أربع سيارات . وفي صباح السادس عشر تمكن المطاردون من الغزاة وأسروهم وأخذوا البهائم المسروقة .

واستفاقت الكويت في ٣ آذار على صوت اطلاق النار على بعد عدة أميال من أسوار المدينة من جهة طريق جهرا . واتضح ان جماعة من بني مالك يقيمون في أربعين خيمة هناك قد هوجمت عند الفجر من قبل جماعة من مطير يبلغ عددها ٥٠٠ رجل بقيادة ابن شقير الفقم . وبنو مالك هؤلاء قبيلة من الرعاة العراقيين يتنقلون في الصيف على خط يمتد الى جوار البصرة والزبير ، وكانوا حينئذ قد خيموا قرب جالب الشيوخ على بعد سبعة أميال من الكويت . وقد قاوم الرعاة مقاومة مستميتة وحاولوا التراجع الى المدينة فقتل منهم ٣٧ رجلاً وجرح خمسة آخرون جروحاً بالغة . وباستثناء الف رأس غنم وعدد من الحمير ؛ فقد بنو مالك كل مالهم أي حوالي ستة آلاف رأس غنم وسقاية وخمسين حماراً . وقد سرحت ثلاثون عائلة من كل ممتلكاتها .

وكانت خسائر القزاة في الأرواح مساوية لخسائر بني مالك ان لم تكن أكثر. وقد قتل عدد آخر منهم عندما طاردتهم الطائرات البريطانية .

وقد عامل أهالي الكويت ورجال الشبة المتكوية بالحسنى فأمدوهم بالطعام وجمعوا لهم الأموال . واعيد ١٥٠ من الذين ظلوا على قيد الحيـاة الى خور بالزوارق في ١٣ آذار وأرسل الباقون بطريق البر في اليوم الثاني ترافقهم سيارات البوليس .

وفي ٩ آذار هاجم حوالي ٤٠ خيالاً دورية من سيارات البوليس العراقية كانت تقترب من حدود الكويت — نجد في رقيع . وقد هزمت سيارات البوليس المهاجمين وكبدتهم خسائر جسيمة . وتراجعت السيارات العراقيـة الى الشمال تتبعها خيالة الاعداء .

وفي ١٤ آذار صرق فريق من الخيالة التابعين لقبيلة الزياد في العراق قطيعين من النقر يبلغ عدد الواحد منهما ٥٠٠ رأس يملكها رجال القبائل الكويتية المقيمين في بر مطلع بالقرب من جهرا . وقد استعيد القطيعان بعد وساطة الكابتن جبون غلوب[1] ضابط التفتيش البريطاني في صحراء العراق الجنوبية ، وبعد معاقبة زعماء العصابة .

والأمثلة التي عددناها دليل على حالة انعدام الأمن والقلق فيما وراء الكويت في تلك الفترة . ولم نذكر هنا سوى الحوادث المهمة .

معركة سبلة الغامضة

وبدا واضحاً في ذلك الوقت ان ابن سعود انتقل الى قسم هاماً عن الدهناء في جولة حاسمة مع ابن حميد والدويش . فقد صدرت الأوامر لابن حميد بإعادة عدد كبير من الجمال كان قد استولى عليهـا في عقيل ، ورفض ابن حميد ذلك صراحة مع ان الدويش لم يكن يؤيده بحرارة لأنه لم يوافق على فعلته بالاستيلاء

---

[1] — المعروف بغلوب باشا في الاردن .

على الحال . وإذ ألح الملك طلب ابن حميد الذي صار الآن يتمتع بتأييد الدويش (الطلق) ان تحل القضية حسب الشريعة المقدسة .

وكانت خطتها وضع ابن سعود في مأزق لكي يتصدى لها إحراجه حسب ادبية الآتية .

يا عبد العزيز ؛ أنت كإمام كنت تدعو الى الجهاد ضد الكفار والمشركين . والملك دعوت وكررت الدعوة الى أن العراق كدولة شيعية يجب ان يسمر او ان كل ما يؤخذ من أهله حلال . وطالما رددت قول القرآن الكريم لإثبات ان كل الأعمال التي يقوم بها المؤمنون ضد الكفار والمشركين يجب أن يكافأوا عليه . والآن وبأمر من الانكليز الكفار أنفسهم ، تدعونا نحن فرسانك الغازين سيف الاسلام ، الى إعادة ما أخذناه لأنك تعتبر ما فعلناه خطأ . فاما أن تكون انت مجرد منافق تحب ذاتك وتبحث عن مصلحتك ، واما أن يكون القرآن كتابا غير صحيح . فليحكم علماء نجد بيننا .

وقرر الملك ان يقابلهم في عقر دارهم فدعا الى مؤتمر يعقد خارج مدينة زلفي في شمال نجد الوسطى . ومما لا شك فيه ان الرعب دب في قلبه بحيث انه لم يفكر قط في عرض القضية على أية هيئة من علماء الدين الوهابيين . وبعد ان يترك القضية لـ البريطانيين ، قرر ضرب الاخوان بسرعة مرة واحدة والى الأبد . وربما كان في اعتقاده أن البريطانيين سيناصرونه في هذا الأمر .

وأقام ابن سعود معسكراً أمنيته في زلفي . ثم جاءه فيصل الدويش ومعه فرقة صغيرة وخيم في سهل ميط المكشوب قرب زلفي حيث انضم إليه بعد ثلاثة أيام ابن حميد الذي احضر معه قوة كبيرة وخيم بالقرب من الدويش .

وبموجب ترتيب سابق ظل زعيم الاخوان الثالث ضيدان الحثلين يحرس ميسرة الاخوان من أي هجوم طارىء يشنه فهد بن جلوي ابن أمير الاحساء الذي يملك قوة كبيرة في شمال تلك المقاطعة . وقد خيم ابن حثلين مع بني عجمه بين لامي قرب جاريه في الطرف الجنوبي من منخفض الشق على بعد ١٣٠ ميلا الى الجنوب من مدينة الكويت . وقد استخدم ابن سعود كل مهارته الدبلوماسية

في منع ضيدان الحثلين من ان يرمي بثقله مع الزعيمين الثائرين . وفي حقيقة أن الحثلين رفض الاشتراك في المؤتمر لأنه اعتبره تحدياً لسلطة الملك . وظلت قبيلة العجمان القوية في الاحساء موالية لابن سعود .

أما فيصل الدويش فقد تناول طعام الغداء مرتين على الأقل عن مائدة ابن سعود قبل ونزل بن حميد الذي رفض أن يفعل ذلك . وفي نيسان ومضت الى الكويت تقارير تفيد أنه بعد اجتماع أخير مع الدويش وبعد محاولة غير ناجحة لحمل بن حميد على القدوم الى الزلفي ، تحرك جيش ابن سعود فجر ٢٩ آذار وهاجم قائدي الاخوان في سبلة بدون سابق إنذار وأنزل بهما هزيمة نكراء .

فالدويش الذي كان يعتقد أن مفاوضات أخرى ستجري ، أخذ مع قواته المنظورة على حين غرة وهم يهيئون طعام الافطار ، فأصيب بجرح خطيرة في [illegible] دون قتال . أما بن حميد الذي كان أكثر تهيؤاً فقد تمكن من الفرار بعد أن شق طريقه الى التراجع بصورة فائقة في القتال .

وقد أظهرت وقائع هذه المعركة الغامضة التي فقد فيها الثوار حوالي ٢٥٠ رجلاً ، ابن سعود على غير ما كان يبدو به . فانه من المؤكد ان ابن سعود قبل ان يشن هذا الهجوم قد عبر عن الدويش وابن حميد ، أعطى تأكيدات جازمة بأنه سيجتمع بالدويش مرة ثانية لبحث الأمور بوجه شريف .

ونقل فيصل الدويش الجريح الى قريته الارطاوية بأمر من ابن سعود ، وعاد ابن حميد الى عطغط حيث تبعه عبدالله بن جلوي [illegible] فاستسلم بدون قتال . ونقل ابن حميد سجيناً الى الرياض ودمرت عطغط .

وبعد ان اطمأن ابن سعود الى أن الثورة قد سحقت وأن الدويش يحتضر متأثراً بجراحه ، ذهب لأداء فريضة الحج في مكة . ويقال إنه قبل ذهابه بعث برسالة الى ضيدان الحثلين يشكره لعدم انضمامه الى الدويش وابن حميد في سبلة ، وأرسل له طيها كتاب أمان الذي يضمن له الصفح أبداً منه .

قتل ضيدان الحثلين

أخذ ابن سعود ثورة الشيوخ وقتل الناقمين بعين رضاه [illegible]

عقاب حق ووصفه أعداؤه بأنه الغدر بعينه. ويمكن إرجاع ثورة العوازم التالية التي كانت ابن سعود كثيراً الى هذه الحيلة غير الملكية ، لأن البدوي لا ينسى .

إن تلك الانتفاضة كان يمكن أن لا تكون خطيرة لو لم تستفز قبيلة عجمان القوية للوقوف ضد الملك بسبب تصرفات فهد بن جلوي الحمقاء الذي اشتهر بالغدر والقسوة .

ونتيجة لدسائس الأمير بن جلوي والد فهد ، فقد ابن حثلان مؤقتاً كثيراً من نفوذه في عجمان ولكنه استعاد زعامته على القبيلة كلها بعد مرور مدة قصيرة .

لقد كانت لابن جلوي قوة مخيمة في عوانيه على بعد سبعة عشر ميلاً من قصر لوحيث كان ابن حثلان ورجاله . ودعا فهد بن جلوي قائد القوة المذكورة ابن حثلان ليأتي ليبحث رسالة تلقاها من ابن سعود . ولم يطلب فهد ان يرسل له كتاب أمان بخط يده . ووافق فيدان عندما لتبلغه وعرض عليهم الرسالة فيصحبوه بعد الذهب الى عوانيه لأن رائحة الغدر كما قالوا تفح من الرسالة .

وذهب ضيدان ومعه اثنا عشر رجلاً فاستقبله فهد بحفاوة بالغة ولكنه عندما نهض ليغادر المكان ألقي القبض عليه وكبل بالأصفاد . ولكن أحد مرافقيه تمكن من الفرار ليبلغ القبيلة فتحركت قوة من عجمان فوراً نحو عوانيه وحاصرت معسكر فهد بقيادة نايف ابن حثلان في ساعات النهار الأولى . وكان ذلك في اليوم الأول من أيار .

ولما شعر فهد أنه سيخسر المعركة أمر عبده ابن منصور وهو جلاد زنجي أن يقطع رقبة ضيدان ، وقتل هو نفسه على يد شاب من عجمان يدعى عبدالله بن العبد الجبال الذي أمسك بعنان فرسه عندما كان يحاول الهرب واطلق عليه النار في رأسه .

كانت الخسائر في قوة بن جلوي جسيمة فجميع رجاله كانوا من أهل مدينة هفوف الذين أعمل السيف في رقابهم جميعاً . اما بعض البدو الذين التحقوا بهم من أصحاب ضيدان فقد تركوا وشأنهم . واعترف محمد الحثلان ابن عم ضيدان المعروف بأبي الكلاب زعيماً على عجمان .

وانتشرت انباء الاشتباك الفعلي كالنار وحركت المشاعر في شمال شرقي الجزيرة العربية وتغلب التكتم ورغم ان ابن سعود مع ان المسؤولية لا تقع عليه بل على عبدالله بن جلوي الذي كان ابنه فهد ينفذ اوامره .

وفي الثاني من أيار وصل فرحان بن مشهور من قبيلة الشعلان ممن كانوا في فرع رولة من قبيلة عنيزة وأمه وأخته «اخوة المتولين» وهو سابق لابن سعود في آثار سياسية في البادية السورية الكويت ومعه عدد كبير من الجمال اغتنموها من ابن سعيد مع حسين ومن شمر والتاجين في غزوة قرب قرية العهد . وفي الرابع من أيار تحرك شرقاً ... الشيخ أحمد . وصرح بأنه تلقى كتاب ... ابن سعود وانه أرسل اليه رسلاً ليستعلم عن الشروط التي سيسمح له بالدخول بموجبها .

وبموجب تعليمات الحكومة البريطانية أمر الشيخ أحمد فرحان بن مشهور ان يغادر حدود في الثاني عشر من أيار بعد ان تزوده ورجاله بما يكفيهم حتى الوصول الى الرياض . وعبر الحدود من قرب صباح الرابع عشر من أيار ولكنه بعث ان يتوجه الى جماعة ابن سعود كما كان مفترضاً انضم الى قبيلة عجمان في اواسط الاحساء . وهناك قليل من الشك بأن يكون قد غير رأيه نتيجة لحادثة عوايد .

عجمان ترفع مستوى الثورة

كان فيصل الدويش الذي تركه ابن سعود في الرقاية ظناً منه أنه سيموت بين لحظة وأخرى ، يتماثل الى الشفاء ويتظاهر أمام الملأ بأن لا أمل من شفائه وان وفاته هي مسألة وقت . اما ابن حميد فكان لا يزال اسيراً في الرياض .

وفور مقتل زعيمها رفعت عجمان القوية مستوى الثورة يدعمها فرحان ابن مشهور وغيره من زعماء الاخوان . ولم يمض زمن طويل حتى كان شمال نجد كله من جبل شمر الى الخليج الفارسي في يدهم .

وفي اوائل أيار تحركت عجمان بقيادة نايف الهذلان وخيمت في وفرة في

منطقة الكويت المحايدة ومعه فرحان بن مشهور . وتلقى الشيخ أحمد تعليمات من الحكومة البريطانية أن لا يسمح لعجمان وغيرهم من الثائرين بالحصول على تموين من الكويت ، أو أن يأوي أحدهم فيها . وأبلغ ابن سعود بذلك .

في تلك الفترة الحرجة وبعد سنة من الخدمة كتب كولونيل المقيم السياسي في الخليج الفارسي ، حينئذ وكيلا سياسيا في الكويت ، فتسلمت مهمتي على في الثاني والعشرين من آيار . وفي الثاني من حزيران أرسل ابن سعود احتجاجا شديد اللهجة اتهم فيه الكويت بتزويد قوات عجمان وفرحان بن مشهور بالتموين والعتاد خلافا لتعليمات الحكومة البريطانية . وبعد تحقيقات دقيقة تمت بإشرافي بنفسي تبين لي أن اتهامات ابن سعود لا أساس لها بالرغم من أن بعض التهريبات كانت تتم سرا عن طريق الأقرباء والمؤيدين القاطنين في الكويت . وقد أثبت الدليل القاطع أن الشيخ أحمد ينفذ تعليمات حكومة صاحب الجلالة بهذا الصدد بكل أمانة .

وفي ٨ حزيران تمكن غزاة من قبيلة ظافر من الاستيلاء على مئة جمل يملكها رعايا من الكويت بالقرب من جهرا . وقبض على أحد الغزاة وأدلى باعتراف تبين فيه أنهم جميعهم من الرعايا العراقيين . ونتيجة للاتصالات مع الحكومة العراقية أعيدت الجمال وعوقب الغزاة .

وفي ١٠ حزيران احتج الشيخ أحمد رسميا على دخول سيارات الشرطة العراقية أراضيه دون علمه . وكان العراقيون يقصدون ذلك منذ أن تحسنت قوة الأحوال ولكن الأمر اعتبر غير مرغوب فيه من قبل الشيخ ، وتم الاتفاق أن الشرطة العراقية لن تعبر الحدود قبل أن تحصل على موافقة الشيخ أحمد .

وفي ١٤ حزيران غادرت قوة كبيرة من ثوار عجمان معسكرهم في وفرة إلى جهة مجهولة في الجنوب . وبعد خمسة أيام كشف فيصل الدويش القناع عن وجهه مستقلا لجانب ابن سعود في مكة ، وانضم إلى عجمان . وبعد أن جمع حوالي خمسة آلاف رجل ومئة ألف جمل من مطير وعجمان وأبل حريب في قبيلة

عتيبة ، ووصل الى «الرقعي» على بعد ثمانين ميلاً من حدود الكويت في اليوم ذاته أي في التاسع عشر من حزيران . اما انتقاله الى مسقط النقطة الصافية المراضي الى جنوب الكويت فيفسر حاجته الى الابقاء على قوة كبيرة .

وقد رفعت عودة الفارس الجريح معنويات الثوار وزادت في قوتهم . وطلب عبد الله بن سعود بذلك جمع السيارات الموجودة في مكة وأسرع بالعودة الى الرياض . وجمع قوة قوامها ثمانية آلاف رجل معظمهم من منطقة قصيم . ولم يهاجم ابن سعود القبائل الثائرة فوراً اعتقاداً منه ان كثيرين سيخشون صعوبات في التموين لفيصل الدويش ورفاقه من الصعب التغلب عليها . وحرص ابن سعود على ان يحصل على تأكيدات من الحكومة البريطانية للتعاون في منع فرار الثوار الى العراق والكويت في حالة هجومه عليهم . وكان ذلك يحتاج الى وقت .

وكان أول عمل قام به فيصل الدويش لدى وصوله الى شمال الاحساء هو دعوة الشيخ أحمد للانضمام الى الثوار واعداً باعادة الأراضي التي اقتطعت من الكويت في عهد الشيخ سالم . وبعث له برسالة أخرى يطلب فيها السماح له بالاقامة مع عائلته في صبيحية والقصور الى الكويت لشرح خططه والحصول على مؤن . وابلغت الحكومة البريطانية الشيخ أحمد فوراً ان يضع مطيرًا في نفس منزلة عجمان وان يمنع الدويش أو أياً من اتباعه من عبور الحدود . واذا ما حاولوا ذلك فانهم سيتعرضون للقصف .

اما القوات المشتركة لعجمان وابن مشهور التي اتجهت جنوباً من وفرة فقد هاجمت العوازم في رضا بالقرب من جبيل في ٢٣ حزيران . وكان العوازم على استعداد لأن أمير الاحساء قد امدهم بالجنود فصدوا المهاجمين وكبدوهم خسائر فادحة بلغت ٤٩ قتيلاً بينما لم يفقدوا هم سوى ٤٠ قتيلاً بينهم عدد من النساء . ولم يقتل في الاشتباك أي من زعماء الطرفين لكن عجمان فقدت بعض رايات الحرب . اما تفاصيل المعركة المبالغ فيها والتي انتشرت في كل مكان في الاحساء والحجاز على انها نصر مبين فلا تدل على سير الامور في الجزيرة العربية . ونتيجة تلقي فيصل الدويش انباء هزيمة عجمان انتقل الى حفر في الاحساء ليروي ... ابن

مشهور وزعماء عجمان على سوء استعدادهم وطريقتهم ويبلغهم انهم يستحقون ذلك .

وحاول الدويش مرة أخرى في ٢٨ حزيران ان يحمل الشيخ أحمد على الانضمام الى الثوار ، فقد بعث له برسائل مع عدد من كبار زعماء الاخوان بين فيهم ابنه الأكبر عبدالعزيز وذلك لاقناع الشيخ أحمد باتخاذ نهج قوي . وقد صيغت تلك الرسائل بلغة فصيحة وبيــان بليغ تركت أثراً عميقاً في نفس حاكم الكويت وشعبه . لقد حفز الشيخ أحمد لكي يلعب دوره ويحل الموقف ويتصرف كما كان مبارك يمكن ان يتصرف بدون شك . وقال الدويش ان كل ما يطلبه الثوار هو المؤن والعتاد ، واذا ما اشتركت الكويت معهم فهم يتعهدون بالباقي .

ومن حسن حظ جميع المعنيين بالأمر بقي الشيخ أحمد أميناً لوعوده التي قطعها لي بصفتي وكيلاً سياسياً لحكومة صاحب الجلالة بالرغم من الاغراء القوي بهجوم ضد المملكة السعودية واستعادة المناطق الجنوبية وخاصة القبائل التي عليها كالعوازم وعجمان ومطير ، كان شديداً لا يقاوم . فلو انه انضم الى الثوار واتحدت الحكومة البريطانية موقفاً ما ابداً ، لكان من المحتمل جداً غلبة ابن سعود لأن الثورات المماثلة في نجد كانت الى جانب الثائرين .

وتنقلت قطاعات عجمان ومطير وابن مشهور عائلاتها وجمالها الى الجنوب من وفره في ١٥ تموز بسبب الجهود القوية التي بذلها الشيخ أحمد الذي كان همه الوحيد لعدة أسابيع ان يمنع الثوار عن حدوده ويبعد عنهم الاغراء الذي تناديه اليه صيحته والمراعي الجميلة بجوارها .

ووصلت انباء في ١٨ تموز تفيد ان فرقاً من عجمان توغلت حتى ابو جيفان بالقرب من الرياض وقطعت طريق الرياض — الهفوف .

وفي تلك الفترة اخذ اللاجئون النجديون البارزون المقيمون في العراق — وكان بعضهم يتلقى مرتبات من الحكومة العراقية — يتدفقون الى الكويت في طريقهم للانضمام الى الثوار . وتعرض الشيخ أحمــد وتعرضت أنا معه لقضية الحراج في كيفية التصرف مع هؤلاء السادة . والقصة التي كان يرويها كل واحد منهم (وربما

كانت قصة مختلفة) هي أن الملك فيصل سمح لهم بالانضمام الى الثوار ليجربوا حظهم . ولكن لابن سعود عملاء في الكويت . وكان هؤلاء يبلغونه عن كل دفعة جديدة تصل وعن تحركاتها ، وتعقدت القضية بالنسبة لكل من يهمه الأمر في الكويت . وأخيراً ، وبعد استطلاع رأي المقيم السياسي في الخليج الفارسي ، حصلنا على اذن باعتقال وارجاع كل شخص يصل من العراق ويشك في انه يرغب بالانضمام الى جيش الثوار .

وكان من بين أولئك الاشخاص البارزين علي بن شويربة احد زعماء بريه مطير ، الذي زادت في مكانته زياراته السرية المتعددة بين بغداد ومعسكر الثوار . وهنالك قليل من الشك في انه كان يحمل معه مساعدات مادية ومعنوية وانه كان يشجع الثوار على الاستمرار في المقاومة . ومن اولئك الاشخاص ايضاً عبيد بن حميد من قبيلة عتيبة الذي كان يقوم بدور الرسول بين فيصل الدويش وبين ذيب الشدي بن حميد زعيم عتيبة السابق الذي فر من نجد قبل ثلاثة أعوام وأقام في بغداد .

كان فيصل الدويش في ذلك الوقت يعسكر مع قوات الثوار الرئيسية في الطرف الجنوبي وهو مكان مستقيل في الوسط تشكله آبار الصفا ووبره وقرعه وحبة . ومن ذلك المكان كان بامكانه ان يضرب نجد والاحساء متى شاء . وفي ٣ آب شن غزوة صاعقة على قافلة بالقرب من ارطاوية ودمر قوة من رجال سبيع وسهول تدعمهم قوة صغيرة لابن سعود .

وبالرغم من أن الدويش لم يستول على الجمال في هذه الغزوة ، لكن الانباء انتشرت فاثارت الرعب في كل مكان ، مما حمل قوات ابن سعود المتقدمة على الانسحاب الى الرياض من معسكرها في حفر الأرض .

ان ما يميز هذه الغزوة سلوك الثوار تجاه الأسرى والمساجين . فقد عاملوهم اطيب معاملة ورحبوا بهم خلافاً لأساليبهم السابقة .

وفي ١٠ آب تلقى الشيخ أحمد وللمرة الثانية معه رسائل مطولة من ابن سعود يشكره فيها على جهوده في قطع المؤن عن الثوار .

وفي اليوم ذاته ضرب محمد بن شالح الهذلان وهو قائد شاب في عجمان ، قوة نجدية بالقرب من نطاع في أواسط الاحساء . وفي ١٥ آب وصلت انباء الى الكويت تفيد ان قافلة تحمل امتعة الأمير سعود الابن الأكبر للملك ، كانت في طريقها من الرياض الى الهفوف ، تعرضت في الخامس من شهر آب لهجوم شنته عجمان بقيادة محمد الهذلان مما ادى الى تدمير ١٤ سيارة شاحنة .

وبقصد ابهار القبائل الأخرى بقوة الثوار واقناع المتشككين بأنهم يفعلون حسناً اذا انضموا الى المعسكر المناوىء لابن سعود ، أرسل فيصل الدويش ابنه عبد العزيز وهو شاب في الخامسة والعشرين من عمره على رأس غزوة قوية لأجل الى بلاد حرب وشمر وعشيرة الجنوبية . وسار عبد العزيز في ١٥ آب على رأس قوة مختارة قوامها ٦٥٠ شاباً من المجاهدين يمثلون آل مطير والعجمان ومعهم فيصل الشبلان الذي يأتي في القيادة بعد الدويش مباشرة ، وعدد من رجال الخبرة ليكونوا بمثابة مستشارين لعبد العزيز الشاب النشيط المتسرع .

وقد استولت هذه الغزوة على قطعان كبيرة من الجمال تعود لشمر والعمارات ، واستولت أيضاً على قافلة سعودية تحمل زكاة من حايل قدرها عشرة آلاف ريال . وعاد الغزاة بعد ذلك من حيث اتوا ليحققوا غرضهم الأول وهو الاستيلاء على آبار أم الرضمة جنوب غرب منطقة العراق المحايدة حيث يستطيعون مقابلة حلفائهم . وقبل ان نصف هذه الاحداث يجب ان نذكر اموراً أخرى .

وشهد شهر آب انتصارات للثوار في كل مكان بينما كان ابن سعود في موقف المدافع وكانت سياسته في تلك الفترة الاحتفاظ بالمدن الى ان يأتي فصل البرد . تلك كانت استراتيجية صحيحة ولكنها تعني انه سيخسر أكثر فأكثر من اتباعه البدو . وكان سيد الموقف في ذلك الوقت فرع الروقة من قبيلة عتيبة الكبيرة بقيادة الشيخ ابن ربيعان الذي كان الملك والثوار يتنافسان على خطب وده وكسب رضاه . فالروقة والحيد يعتبران اقوى افخاذ القبائل في قلب الجزيرة العربية . أما الحيد فقد انحازوا الى جانب الثوار وأصبح واضحاً ان الغلبة بالنتيجة ستكون للجانب الذي تنضم اليه الروقة .

وفي ٢٠ آب وصل الى الكويت الرياض العميل المصري الملازم لابن سعود ، وبعد يومين جاء الى الكويت ايضاً ابن مشهور برفقته محمد المثني ، ولم يسمح لهما بالبقاء في المدينة فخرجت الماشية على بعد أربعة أميال من المدينة . وتوسل ابن مشهور ان يسمح للثوار في نصب خيامهم في صبيحيه فرفض طلبه وأمر بمغادرة الكويت فوراً . وطلب ان يسمح له بزيارة بغداد ورفض هـذا الطلب ايضاً .

وفي تلك الفترة أكد محمد المثني القصير القامة العريض المنكبين الدائم الابتسامة صاحب الانف الشكلي واللحية السوداء المشرقة ، للتقارير القائلة ان من الذي هاجم قافلة الأمير سعود . وابلغني ان جميع الشاحنات قد احرقت وان أحداً من ركابها لم ينج من الموت . ويبدو ان اعادة ذكر وقائع هذه الحادثة كان تسلية كبرى له .

وفي اليوم ذاته ، ٢٣ آب ، انتقل فيصل الدويش الى حفر الباطن واستطاع ان يستميل الى جانبه فرع البريج لكثير من قبيلة مطير ، الذين حملوا خيامهم البالغ عددها ثلاثمائة خيمة وساروا نحو الاحساء وانضموا الى قوات الثوار . وبعد عدة اسابيع دخل قسم من البريج الاراضي الكويتية وخيموا في جيوا ، وقد تسببت الا في طردهم من هناك .

فيصل الدويش يعطيني كلمته

ان حبهي الأول بفيصل الدويش الذي يمثل أكبر خطط عسكري يساوي بعد ابن سعود شهدته الجزيرة العربية في هذا القرن ، ذكرت وقائعه في مكان آخر . ولكنني شعرت بضرورة اعادته هنا لأنه يشكل جزءاً مهماً من الصراع من أجل السلطة بين خصمين لدودين كانا صديقين حميمين .

دفعت ضرورة ايجاد مراع جديدة للاعداد الضخمة من الجمال والاغنام فيصل الدويش واتباعه الى غزو الاراضي الكويتية من جهة الجنوب بصورة مفاجئة في الثلاثين من شهر آب ، وأقاموا لأنفسهم معسكراً ضخماً حول صبيحيه والآبار

اللاحقة له . ولقد قدرت قوتهم آنذاك بخمسة آلاف مقاتل وألفي خيمة ومئة ألف جمل . وكان ذلك منظراً رائعاً .

وبعد ان أبلغت الحدث طلب مني ان احذر فيصل الدويش من انـــه اذا لم ينسحب عبر الحدود خلال يومين فسان طائرات سلاح الجو البريطاني القابعة في شعيبة (البصرة) ستهاجمه مع رجاله وممتلكاته .

وقد استقبل الرسول الأول الذي أرسلته الى صيحب باستهزاء . ولسكي اتجنب وقوع كارثة مقيتة لا مبرر لها وان هنالك عـــدة آلاف من النساء والاطفال ينتظرون برجال المقاتلين» دعوت فيصل الدويش ليقابلني في ملح في اليوم الثاني على بعد خمسة عشر ميلاً الى الجنوب من مدينة الكويت وثلاثة اميال الى الجنوب من المستشفى الذي الآن والتابع لشركة نفط الكويت مـــع مدرسة التدريب في مقوع . وتوجهت الى ملح لوحدي انقود سيارتي بنفسي بالرغم من نصيحة الشيخ أحمد التي كان يخشى علي من الغدر . ووصلت الى ملح مساء الواحد والثلاثين من شهر آب . وفي اللحظة الأخيرة تبعني الشيخ أحمد ومعـــه أربعة عبيد مسلحين رغماً منه في مشاركتي نفس المصير اذا ما لحقني أي اذى . وسأذكر له ذلك بكل امتنان ما دمت حياً .

وقابلنا فيصل الدويش في الموعـــد المحدد على رأس تلة تشرف على الآبار الواقعة الى الشرق من المكان الذي ينزلون فيه ومعه ابرز زعماء الاخوان وعددهم أربعون من الرجال المتعصبين الاشداء . ذلـــك الرجل الذي فعل أكثر من أي عربي آخر ليساعد ابن سعود الارتقاء الى اعلى مراتب السلطة والشهرة ، كان قصير القامة عريض المنكبين له رأس وأنف كبيران . وكان يسير بحزم وثقـــة وكأنه محدودب الظهر قليلاً عبوساً صامتاً بطبيعته ولكنه لم يكن يرى الاشياء بوضوح كابن سعود من وجهة نظر السياسي .

وقلت له مـــا جئت لأقوله واضفت انني استطعت الحصول على موافقـــة حكومة صاحب الجلالة في ارجاء عملية القصف لمدة يومـــين ضناً مني بأرواح النساء والاطفال ، ورجوت فيصل من أجلهم ان يعدني بالتراجع عـــبر الحدود

ضمن الهدنة المحددة . ويريد ان يفعل ذلك لمدة ساعة كاملة قال خلالها انه ليس على خصام مع البريطانيين ، وانه وقبيلته كانوا في السابق من رعايا شيخ الكويت ويريدون العودة الى ولائهم القديم ، وانهم يسافرون مضطرين رغبة في الاقالة والمؤن. وكان حديثه جذاباً ولطيفاً كان يأمل بالسماح له ان يشتري الطعام من الكويت .

ومع انني تأثرت كثيراً بكلامه فسرعان ما تحليت بقساوة قلب واقنعته اخيراً بأن يعطيني كلمته فقبل بينما كانت كتلة الشمس الحمراء تنحدر وراء تلال مناقيش فقال فيصل انه يريد الصلاة . فسار الى الصلاة بنفسه وقاد رجاله ومرافقيه في صلاة المغرب واضجعني بنادقهم امامهم على طريقة الاخوان . وبعد ان انتهت تلك الصلاة الفاتنة المثيرة انحنى الزعيم الصحراوي الكبير نحو مرافقيه وهو لا يزال على ركبتيه وأدى السلام الذي يختم الصلاة . وقبل ان ينهض والجوني وقال : اعطاء بشرفي انني سأفعل ما طلبته مني . اذهب بسلام .

وحافظ فيصل على كلمته .

وفي ٤ أيلول وقع حادث غريب . وسأذكره هنا لأظهر مدى اضطراب حبل الأمن والفوضى في كل مكان . هاجم فريق من بني حسين والعرايف من قبيلة [illegible] في العراق بقيادة شويطي بن شريف مكاناً بالقرب من جهرا واستولوا على بعض الاغنام . وعلى الفور اطلق فداوية الشيخ الاربعين في جهرا النار وطاردوا الغزاة فلحقوا بهم في الطبي واستعادوا منهم الاسلاب بعد ان قتلوا منهم رجلاً واحداً واسروا ثلاثة آخرين. وفقدت الفداوية ستة خيول ورجلاً واحداً واصيب احدهم بجراح . وبموجب افادة الاسرى الثلاثة تمكنت السلطات العراقية فيما بعد من القاء القبض على بقية الغزاة . وقد استحق فداوية الشيخ والشرطة المراقبة الشكر والتهنئة على توليهم هذه الخدمة بنجاح .

قتال حتى الموت من أجل الماء

ونعود الآن الى عبدالعزيز الدويش وقوته الضاربة في طريق عودته . فلما اقتربوا من لينا شمالي حايل تناهى اليهم ان ابن مساعد الجلوي أمير حايل يحاول

قطع الطريق عليهم بالاستيلاء على آبار الماء وانه قد تحرك فعلاً عن خط تراجعهم بقصد قطع الماء الذي هو بأمس الحاجة اليه ؛ عنهم . وكانت تلك الانباء خطيرة للغاية لأن حرارة آب كانت شديدة وجمالهم لم تذق طعم الماء منذ أربعة أيام ، والمسيرة كانت طويلة بحيث ان الجمال التي استولوا عليها كانت تسقط ميتة من الإعياء في الطريق .

والفرح فيصل الشلاش تعبيراً فورياً في الاتجاه نحو الشرق وكان عبد العزيز يجيد إكمال السير نحو ام الرضمة . وأتى اربعة من الكشافين بأنباء مفادها ان آبار ام الرضمة وقعت في يد قوة أكبر من قوتهم بثلاث مرات على الأقل . وأعلن فيصل الشلاش في الحال انه سيتوجه الى الشمال الشرقي ودعا كل رجل ذي عقل ان يتبعه . اما عزيز* العنيد فقد رفض شخصياً هذه النصيحة فافترق فيصل الشلاش عنه ومعه حوالي مئة وخمسين رجلاً وعدة مئات من الجمال .

واندفع عزيز الى الامام بسرعة ومعه حوالي خمسمائة رجل فقط بالرغم من ان جماله كانت تموت من المشقة والاعياء ، فوصل الى جوار آبار ام الرضمة عند منتصف النهار . وتبين له ان انباء الكشافة كانت صحيحة جداً لأن الآبار كانت محاطة بحوالي الف وخمسمائة رجل نشيط من شمر وحرب وانتشر الحضر حفروا خنادق بالمدار المتعلقة بكلها . لقد كانت حالة يائسة فالرجال والجمال بحاجة ماسة الى الماء . وقد ابلغني سعد الناصين فيما بعد ، ان قرب الماء التي يحملها الرجال الطوارئ كانت قد فرغت كلها منذ زمن ، وان احداً من رجال عزيز لم يذق طعم الماء مدة ثماني ساعات . وكانت حرارة الشمس توازي تقريباً ١٢٠ درجة فهر نهايت .

وأمر عزيز رجاله بالتوقف على مرأى من العدو الذي كان يعرف قوته فأخذ يراقب باستهجان خطوته التالية . وبعد ذلك دعا عزيز رجاله الذين انهكهم التعب الى الصلاة فركعوا جميعهم ، ولم يشغلهم الجوع والعطش والحرمان واحتمال وقوع معركة رهيبة ، عن عزمهم لحظة واحدة .

وصرخ قائدهم بأعلى صوته قائلاً :

---

* اسم التحبب يطلق على عبدالعزيز الدويش .

. ألسنا نحن جنود مقاتلة ؟ لذا يجب ان نتقدم ونحصل على الشاه . ان شكل القدرة سيساعد ابناءه .

وكان آخر أمر أصدره الى جنده ان يقود فرسه وينقذها اذا امكن ذلك ، وبدأ هجوم رهيب قام به خمسمائة رجل أصيبوا بجنون العطش . وتلقى الداعود على اشكال الهجوم بشجاعة ، وقد ساعد أسراب الهاجمين لأنه منع المدافعين من التسديد الجيد في الرماية ؛ فنشبت معركة ضارية رهيبة . وكانت شجاعة الاخوان القاتلة بعدة من الزمن ان تربح المعركة ولكن الاعداد كانت متفاوتة ، وكان ابن مسعد يأتي بطرق جديدة واحدة بعد الاخرى . وحين النهاية عندما كانت الشمس تتوارى عن الانظار ، ولما فقد عزيز ثلاثة أرباع رجاله وبعد ان المعركة انقلبت الى صالحه اقتاده ثمة من خدامه الخصوصيين الامناء من الميدان وقدموا بمجهود أخير لانقاذ قائدهم المغلوب . ولكنهم لم يشاهدوا بعد ذلك على قيد الحياة فقد عثر على جثثهم يابسة بعد شهرين في قلب صحراء مجرا وقد هلكوا من العطش .

وقتل اربعمائة وخمسون رجلا من الاخوان على أرض المعركة . ومن بين الخمسين الذين تمكنوا من الفرار وصل ثمانية وثلاثون على قيد الحياة . كان من سوء حظ ثمانية منهم ان يقتلوا في قتال بعد شهر عندما هاجم فيصل الدويش المواتم . اما ابن مسعد فلقد فقد في معركة آنذاك اكثر من خمسمائة رجل .

وقد احضرت لي فرس عزيز الاصيل الى الكويت بعد اسبوع من تاريخ المعركة وهي جلد وعظم وفي ظهرها جرح بحرف بحجم راحة الكف . وآويتها سراً في منزل بالقرب من منزلي حيث كنت ورجالي نطعمها ونعتني بها حتى اصبحت على أحسن حال بعد مضي ثلاثة أشهر . وبعد ذلك ارسلتها الى مكان أمين في البصرة حيث توفيت بعد أربع سنوات . لقد كانت من اجمل الحيوانات التي وقع عليها نظري .

الملك يهاجم

واخيراً في ابريل بدأت الحرب تلعب في قوات ابن سعود . وعززت المواتم

برجال من المدن ، وأمروا بالتحرك شمالاً لضرب الثوار خلف حدود الكويت الجنوبية . وشكل تجمع قبلي آخر في مقر الأرطاوية ابن مساعد قوة من حرب قوامها ثلاثة آلاف رجل لمهاجمة الجناح الغربي من منطقة بصلوك . ووضعت عدة طائرات مقاتلة تعمل عليها من الحكومة البريطانية وكان يقودها طيارون سابقون في سلاح الجو الملكي ، في جزيرة داروت بمحاذاة القطيف في جنوب الاحساء . ووجه ابن سعود كل اهتمامه الى قبيلة عتيبة التي رأت مسيرة الثورة أخيراً . وقد عالج الامور بمهارة سائدة في الحرب بحيث انه نجح في غرس بذور الخلاف بين أعدائه هناك .

وفي الخامس من تشرين الاول هاجم فيصل الدويش العوازم في مقر بواسط الاحساء وأنزل عليهم نصراً كاملاً . وفقد الثوار في المعركة ٤٨ رجلاً وفقد العوازم ٥٠٥ وكلاهما رقم كبير بالنسبة للمعارك العربية . واستولى الدويش نتيجة المعركة على ثمانية آلاف جمل وغيرها من الاسلاب . وهرب محمد السهلي أمام قائد ابن سعود من المعركة مع خمسة من مرافقيه . وطلبت العوازم شروط الصلح فأعطيت لها في ١٠ تشرين الاول .

وقد وافق الدويش بموجب تلك الشروط ان يسمح للعوازم ان تنتقل الى الاراضي الكويتية وتبقى هناك . وقد انكر ابن سعود ذلك فيما بعد بشدة .

لقد عقدت معركة ماء الثوار ثلاثة ارباع مقاطعة الاحساء . ولكن عندما انتصر طلت عليه الانباء القائلة ان ابن سعود قد احرز نصراً ساحقاً في خروب نجد وابعد عتيبه تماماً عن المعركة كان ذلك نكسة سيئة للثوار الذين لم يخامرهم شك بأن عتيبة ستنتصر في النهاية . وفي ٣٠ تشرين الاول ارسل الدويش يطلب وقاية الشيخ أحمد ومقابلته . وأتبع هذا الطلب بأن عبر الحدود بنفسه مع عدد من مرافقيه وخيموا بالقرب من جهرا . وحسب تعليمات الحكومة البريطانية أبلغته ان ينسحب فوراً . واتضح انه كان يرغب في ان يوجه الاسئلة الثلاثة الآتية التي عاد فأرسلها برسالة خطية :

١ - اذا تحرك جنوباً الى نجد وترك نساءه وجماله في شمال الاحساء ، فهل

تعد الحكومة البريطانية بأن لا تقصفهم وان لا تسمح للقبائل العراقية بمهاجمتهم؟

٢ - اذا هاجم ابن سعود نساءه من القرب اثناء غيابه فهل تسمح الحكومة البريطانية لهن بالالتجاء الى الكويت والبقاء هناك بحماية الشيخ ؟

٣ - اذا ما أسقط رجاله طائرة من طائرات ابن سعود التي يقودها بريطانيون فهل تعتبر الحكومة البريطانية الدويش مسؤولاً عن ذلك ؟

ويبدو ان أحيلت هذه الاسئلة على حكومة صاحب الجلالة. تلقت ان تعطي جواباً غامضاً بالنفي عن السؤالين الاولين وجواباً قاطعاً بالإيجاب على السؤال الأخير. وخيب الدويش تبعاً لذلك بخيبة أمل مريرة.

وبعث الدويش برسالة جوابية يقول فيها انه طالما ان الحكومة البريطانية تقف الى جانب ابن سعود، وطالما انه لا يستطيع الهجوم على نجد لحسم الموقف مع الملك في الوقت الذي تكون فيه نساؤه وعوائله وجماله تحت رحمة القبائل العراقية بموافقة الحكومة البريطانية، فلا خيار لديه إلا ان يتوصل الى شروط مرضية مع ابن سعود.

إن مما لا شك فيه ان اجوبة الحكومة البريطانية على الاسئلة الثلاثة كانت تعني نهاية الثورة. فمنذ ذلك اليوم لم يعد فيصل الدويش يبذل اي جهد لمقاتلة ابن سعود بل كان يشجع علناً كل من يرغب في الانتقال او الانفصال عنه وعقد صلح منفصل مع الملك.

لقد كانت لدى الثوار كميات من الذخائر والمؤن تكفي للاستمرار في حرب طويلة الأمد. وكانت هزيمة مطيرة تحتم مواجهة نجد والنزال الحربية بابن سعود في الميدان. ولكن جواب الحكومة البريطانية بأنها لا تشفق على عائلتها منع القبائل العراقية من مهاجمة النساء والاستيلاء على المؤن في غياب الدويش، حمل على انه يعني ان الحكومة البريطانية ستشجع على مثل تلك الأعمال ولذلك وجد الدويش انه من المستحيل عليه ان يقوم بأي عمل ضد نجد.

ولم يأت منتصف تشرين الثاني حتى كانت قوات الثوار تتراجع الى وسط منطقة قرعه على بعد سبعين او ثمانين ميلاً من الحدود الكويتية وعددهم يتقلص

تدريجيا) .

وفي ١٩ تشرين الثاني وصل الشيخ حافظ وهبه ممثل الملك ابن سعود في لندن الى الكويت وبدأت حملة دعاية واسعة النطاق ضد الثوار . وفي ٢٣ تشرين الثاني وبعد ان بدأت مستلزمات الثوار تنفد في الصحراء ، اخذت جبال الثوار تفد الى الاراضي الكويتية للحصول على المواد من جديد . ولكن خطوات صارمة اتخذت لمنع ذلك في المستقبل . وفي الخامس والعشرين من الشهر نفسه حاول نايف بن حثلين ان يعبر الحدود لمقابلة الشيخ أحمد ، ولكن الشيخ أحمد رده بنفسه .

وفي التاسع والعشرين بعث ابن سعود بسيل من رسائل التهديد الى الكويت تفيد انه يقترب على رأس جيش قوي ، فاذا سمح شيخ الكويت لأحد من الثوار ان يعبر حدوده ، فإنه يحمله المسؤولية شخصياً . وقد وزع الشيخ حافظ وهبه رسائل مماثلة على زعماء ووجهاء الكويت . وفي السادس والعشرين اشتكى الشيخ أحمد رسمياً من ان الشيخ حافظ وهبه يمارس صلاحيات قنصلية بصورة غير صحيحة وطلب من الحكومة البريطانية ان توقف نشاطه فوراً . وصدر له تحذير في الوقت المناسب وتحسنت الأمور .

وعلم ان مقدمة جيش ابن سعود وصلت في ١٨ كانون الاول الى الصفا ، وقد تأكد ذلك في اليوم نفسه بعد ان وصلت عدة من سيارات الى الكويت حاملة رسائل بهذا المعنى . وفي الوقت ذاته كانت قوات الثوار تنتقل على طول الباطن ، وقد تقلص عددها والعديد من زعمائها ينتقلون الى معسكر ابن سعود او يحدون طريقهم بهدوء الى الجنوب ، بينما بدأ فيصل الدويش مفاوضات وحيدة مع ابن سعود . وقد أرسل الدويش رسلاً الى المعسكر الملكي لطلب السماح له بالتسليم ومعرفة الشروط التي سيتم على اساسها .

كان الثوار يتمركزون على جانبي منخفض الباطن من حفر الباطن الى رقعي حيث تلتقي الحدود الكويتية ـ العراقية في اقصى الجنوب . وعند الغروب في الثامن والعشرين من كانون الاول تقدم محسن الفرم شيخ قبيلة حرب التي كانت تشكل القوة الغربية او الجناح الايسر لابن سعود ، من شعيب طليح بقوة كبيرة

مختلطة من حرب وشمر وظفير وهاجم الثوار عند الفجر .

ولقد أخذ فيصل الدويش بهذا الهجوم على حين غرة فهو كان ينتظر شروط الصلح من ابن سعود . وعلى كل حال ، لم تحدث خسائر كبيرة . فقد تجمع الثوار بسرعة وصدوا المهاجمين ولكن ليس قبل ان يفقدوا خمسين قتيلاً واربعة آلاف جمل .

لقد شن محسن الفرم هجومه بـدون ان يتلقى اوامر من الملك ، ورد على اعقابه ، ورغم ذلك صور مؤرخو مكة الحادث بأنه معركة عظيمة ونصر حاسم للحملة وذلك ليس صحيحاً على الاطلاق .

نهاية الثورة

تجمعت القوات الارضية لسلاح الجو الملكي والسيارات المصفحة وغيرها من الميرة بالقرب من رقعيه لتمنع عبور الثوار الى العراق او الكويت . وفي ٣٠ كانون الاول انضمت مطير التي تحملت اثقل هجوم محسن الفرم ، الى عجمان في أم عمارة الهزول حيث قابلهم قائد القوة الجوية الملكية في العراق المرحـــوم السير تشارلز بيرنيت الذي خـــيرهم بين الاستسلام او العودة عبر الحدود . وبينما كانت المفاوضات جارية حاول الشيخ علي بن عشوان وكـــوكبة من رجال قبيلة مطير ان يهربوا في ٣١ كانون الاول الى الجنـــوب الشرقي من وراء ميمنة ابن سعود . وتصدت لهم قوة الى الجنوب من سلسلة الصفاة وقتلوا جميعهم باستثناء علي بن شويربة تمكن من الدخول الى خيمة الملك ليلاً وطلب حمايته .

وبعد محادثات طويلة في أم عمارة الهزول رفض الثوار شروط السير تشارلز للاستسلام وعادوا جنوباً عبر الحـــدود دون ان يعرفوا مدى قرب جيش ابن سعود . وفي هذه المرحلة تمت زيارة لمعسكر عجمان في وادي الباطن بالأراضي الكويتية وأجمعت في ذلك الفئتان ان ترمي بنفسه تحت رحمـــة ابن سعود ، وقلت له بالحرف الواحد :

ـ اذا كانت لديك القوة الكافية للقتال .. قاتل . اما اذا لم تكن لديـــك

قدرة فتحان عن القتال من اجل تسالك واطلالك .

ولم يصغ لكلامي .

ووقفت قوات ابن سعود في ربيع في الخامس من كانون الثاني فقاد القوافل وغيروا اتجاههم ثانية نحو الشمال الشرقي وشاوا طريقهم بصورة اسطورية الى واحة جهرا تاركين عدة آلاف من الاغنام والجمال تموت في الطريق .

وتعقب ... وعدد من رجال الشيخ أحمد شباب الجهرا وسيرة معهم في الليل وكنت أبلغ سلاح الجو الملكي تبعاً لاتجاه سيرهم . وفي شهر الثاني فتحاتهم قوة مشتركة من الطائرات والسيارات المسلحة قرب الاطراف على بعد عشرة اميال الى الغرب من جهرا فوجدتهم بحالة من الفوضى يجرون في كل اتجاه يخشي الثوار وهم في هذه الحالة هجوماً من جيش ابن سعود ؟ ولم يكن لديهم علم بأنه محظور عليهم عبور الحدود . وفي السابع من كانون الثاني انتقلوا الى جهرا حيث قامت الطائرات بالقاء قنابلها دون القرية في فترات منتظمة لتحجيمهم .

هناك توجهت لزيارة فيصل الدويش معرضاً سياراتي لنيران الطائرات الملكية البريطانية عندما قتربت من المكان . وتوسلت الى الدويش مدة ساعتين كاملتين ان يستسلم لسلاح الجو الملكي وان لا يحاول شق طريقه كما يريد حتى يتقدم الا يدخل في معركة خاسرة مع قوات ابن سعود التي تنتشر عند حدود الكويت الجنوبية . وتركته دون ان استطيع اقناعه .

وفي اليوم ذاته ... كانون الثاني ... ... فريق من سيارات ... ومعه عدد من عجمان ابن ... جنوباً الى ... في مؤخرة قوات ... وقصفت قمر في ... جنوبي ... قوة من السيارات بقودها ابن سعود ... على بكرة ابيهم .

وتمكن ... من كبار زعماء الاخوان من الفرار من ... في فترة الفوضى التي اعقبت ... الجوي . ومن الذين فروا فيصل الشبلان رئيس عشيرة الشبلان في مطير والذي بقي الدويش دائماً في قيادته . وعلم انه توجه الى مدينة الكويت حيث كان يأمل في الاختفاء عند بعض مؤيديه . ... في هذا

البلدان انه قد يحاول الدخول في حماية الكويت والالتجاء اليها، الامر الذي يعرض الشيخ احمد الاحراج لأنه سيرفض في هذه الحالة تسليمه الى ابن سعود شأنه والعادات العربية . وفي تلك الفترة اختفى فيصل الشبلان .

وبعد عدة مراسلات سرية مع نايف الحثلين اتفقت ان يستسلم في النهاية من كابتن دكسون الى فرقة السيارات المسلحة التابعة لسلاح الجو الملكي ، الامر الذي دفع فيصل الدويش الى تغيير رأيه في شق طريقه عبر قوات ابن سعود للاستيلاء على نجد . واستسلم الدويش ومعه سعود بن لامي في ... من كابتن النقي . وركب معي فيصل الدويش ، بصورة احتفالية مؤثرة ، الى معسكر القيادة الجوية حيث سلم سيفه ، وارسل الزعماء الثلاثة الى البصرة بطريق الجو وهناك نقلوا الى سفينة حربية بريطانية في شط العرب .

وتبع فلول الثوار من مطير ومعظمهم من الدوشان و شويفين ، والقسم الاكبر من عجمان ، ممن يتمكنوا فعلاً الى منطقة ... روضتين في دولة الكويت على بعد خمسة عشر ميلاً الى الجنوب من مركز الحدود في صفوان حيث تقوم بحراستهم السيارات المسلحة التابعة لسلاح الجو الملكي الى ان يصبح بالامكان تسليمهم الى ابن سعود .

وعدت الى مقري في الكويت ووضعت تقريراً مفصلاً للشيخ احمد عن استسلام زعماء الاخوان وعن التجمع الفادح لنساء واطفال في شمال البلاد . وبدأت العمل فوراً في تأمين الطعام والملابس لنساء واطفال الثوار الذين تركوا في حالة يائسة من الجوع والحرمان بين بساتين النخيل في جهرا . وكانت بين اولئك نساء فيصل الدويش : زوجته عمشا وشقيقاته الثلاث وابنتان صغيرتان وسبع وعشرون من قريباته ، وكلهم من الدوشان ومن ذوات المولد الرفيع . ومع الخادمات كان عدد هذا الفريق من النسوة سبعاً وثلاثين امرأة . وقبل ان ينقل الى البصرة ترك الدويش نساءه في عهدتي وكانت كلماته الاخيرة لي :

— اسلم حريمي لك يا ديكسون ومن ثمني الى ذمتك .

ونقل اولئك النسوة الى قصر الاحمر في جهرا حيث اعتنت بهن زوجتي

وقدمت لهن المأكل والملبس الى ان يتم نقلهن الى الكويت في ضيافتي . وبالاضافة الى كل تلك الترتيبات كان علي ان اكتب تقارير لإطلاع حكومة صاحب الجلالة والملك عبد العزيز على الاحداث بصورة عامة . لقد كنت أعرف ان ابن سعود سيطلب فوراً تسليمه للثوار وجمالهم ، فكانت هنالك جهود كثيرة يجب ان تبذل قبل ان توافق الحكومة البريطانية على مثل هذا الامر .

فيصل الشبلان يشرب القهوة معي

كنت مستمراً في العمل بهذه المشاكل في مكتبي لمدة يومين بعد الاستسلام عندما اعلن رئيس الفراشين وصول شيخ غريب قال انه يود ان يقدم احترامه لي . ودهشت عندما رأيت رجلاً طويلاً متناسب القوام على رأسه كوفية كالتي يرتديها الاخوان . وقد كنت اعتقد بأني اعرف معظم شيوخ الجزء الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية ، ولكنني لم أعرف هذا الشيخ الزائر . كان وجهه وأنفه قد أحرقتها الشمس فأصبحت بشرته حمراء اللون متشققة عند الأنف والشفتين ، خلافاً للبدو الذين اذا لفحتهم الشمس تصبح بشرتهم سوداء .

ودعوت الزائر للجلوس وطلبت له القهوة وانتظرته ليبدأ الكلام . رفض ان يدخن قائلاً وهو يبتسم انه وهابي . وبعد ان تناول القهوة قال زائري بهدوء بأن اسمه فيصل الشبلان وانه جاء يطلب نصيحتي حول بعض الامور . لقد كان يعلم كل شيء عن الاستسلام الذي تم في جهرا واعترف انه قدم الى الكويت ليتخلص من الوقوع في أيدي سلاح الجو الملكي . وأراد ان يعرف مني ما اذا كان الشيخ أحمد يقاوم ضغط البريطانيين ويرفض تسليمه اذا وضع نفسه تحت رحمته ، اما اذا كنت اعتقد ان الشيخ احمد لا يستطيع حمايته ، فقد قرر ان يغادر المدينة ويهرب بطريق جانبية الى سورية .

لقد اعجبت الرجل لوثوقه بي واعجبت بشجاعته لأنه جاء من تلقاء نفسه الى ما كان يمكن ان يكون عرين الاسد بالنسبة له . وشعرت بميل لانقاذه وقررت ان أقوم بخطوة جريئة .

ونصحته ان لا يدخل على الشيخ أحمد لأنه بذلك يضعه في موقف صعب .
ولكنني عرضت عليه ان يتشجع ويذهب رأساً الى مليكه الشرعي ابن سعود ، على ان يتسلل ذلك تحت جنح الظلام ويدخل الى خيمة الملك ويضع نفسه تحت رحمته . وقلت له ان جميع الناس يعرفون ان الملك وهو نفسه رجل شجاع يحب الشجعان ، ولذلك فانه سيعفو عنه مئة بالمئة .

وفكر ابن شبلان لحظة ثم شكرني على نصيحتي التي قال انها تنم حسنة . وطلبت له مزيداً من القهوة لأعطيه فرصة أكبر للتفكير ، آملاً شد الأمل انه سيعمل كما قلت له . وفي تلك اللحظة بالذات دخل تفراش حاملاً برقية من قائد القوة الجوية الموجود حالياً في جهرا يفيد فيها انه تأكد له ان فيصل الشبلان قد هرب الى الكويت ولذلك يتوجب القبض عليه وارساله الى البصرة . وتقول البرقية انه يجب ان اطلب من الشيخ أحمد اجراء تفتيش دقيق في المدينة بحثاً عن الشبلان لاعتقاله وارساله مكبلاً بالاصفاد الى مقر القيادة الجوية في جهرا التي ترسل من يرافقه في حالة وصول انباء العثور عليه .

فكان ذلك موقفاً مزعجاً . وبعد تفكير قلت له :

— يا فيصل سأقرأ عليك برقية تلقيتها الآن من قائد القوات البريطانية التي قصفت الدويش .

فكان جوابه :

— اقرأ باسم الله .

ولم تتحرك عضلة من عضلات وجه ابن شبلان واما أقرأها كما انه لم يبد منه أية بادرة تدل على خوف أو عصبية . إن ذلك يدل على جهود رائع في ضبط النفس .

وسألته :

— ماذا تعتقد انني سأفعل ؟

وجاء جوابه سريعاً :

— والله انت احسن العارفين .

ان أمامي رجلاً تعلق به قلبي . وقلت له :

ـ لا تخف يا فيصل ، انت في مأمن . لقد تناولت القهوة في منزلي وبموجب قواعد الضيافة العربية ، فان ذلك يعطيك حصانة . ستغادر منزلي بأمان لأنني أعرف عاداتكم .

تابتسم وقال :

ـ يا أبا سعود ، كنت اعرف انك ستقول ذلك لأنك لم تكن لتوافق على الاعتداء بناء الدوشان كما فعلت لو لم تكن على علم بعاداتنا وآرائنا في الفروسية والشهامة . لقد فعلت حسنا وأظهرت مشاعرك النبيلة . وقد جعلني ذلك هذا الفور ان أقسم نفسي تحت رحمة مالك كما اقترحت انت . واذا قدر الله انا كسب عفوه ورضاه فسأخبره بما فعلته من أجلي هذا النهار .

وبينما كان ابن شبلان لا يزال في مكتبي ابرقت الى القائد البريطاني لأبلغه أنني تلقيت اشارته في الوقت الذي كان فيه فيصل يشرب القهوة في مكتبي . وفنجان القهوة بموجب العادات العربية يوازي بأهميته وليمة كبيرة ويعطي الضيف حق الحماية وهو تحت سقف مضيفه . وتمنيت ان يفهم القائد البريطاني وجهة نظري وعدم قدرتي على تنفيذ ما طلبه مني . وارسلت نسخة من البرقية الى المقيم السياسي في بوشير وأخرى الى السفير في بغداد .

وعملا بنصيحتي قضى فيصل الشبلان الهزيع الأول من الليل في منزل فرحان بن مشهير وهو تاجر لؤلؤ مطيري في المدينة . واتفقت مع فرحان ان يقدم لضيفه ذلولاً سريعاً في مكان معين خارج سوار المدينة حتى يهرب عليه بعد منتصف الليل كما فعل القديس بولس مرة .

وعندما افترقنا قلت له :

ـ مع السلامة وحظاً سعيداً يا فيصل . وارجو ان نتمكن من اللقاء مرة ثانية في ظروف أفضل .

وأبلغني فرحان فيما بعد ان كل شيء تم حسب الخطة .

ـ القائد البريطاني فقد كان رجلاً طيباً وتفهم موقفي والاسباب التي دفعتني الى التصرف بهذه الطريقة ولم يناقشني بالقضية ثانية .

شروط الاستسلام

وتقرر ايفاد بعثة الى ابن سعود الذي كان مخيماً في خباري وضحى على بعد ٩٣ ميلاً الى الجنوب الغربي من الكويت ويبلغ طول الطريق بالسيارة ١٣٠ ميلاً. وتألفت البعثة من السير هيوبيسكو المقيم السياسي في الخليج منذ سنة ١٩٢٩، ونائب مارشال الجو بيرنيت ونا. وغادروا الكويت بطريق الجو في ٢٠ كانون الثاني وذلك لبحث وسائل وطرق تسليم الزعماء الثائرين واتباعهم.

ولحق بنا في ٢٢ كانون الثاني بطريق الجو ايضاً الشيخ أحمد وقرر عند الصباح وذلك لكي يقدموا احتراماتهم للملك، ثم عادوا في اليوم التالي.

كانت لهجة ابن سعود تجاه المفاوضات ودية وتنم عن روح المصالحة، الا أنه أبدى أسفه للهجة التي صيغت بها رسائل وزير خارجيته. وجرت مفاوضات عديـــدة قبل ان يتمكن السير هيو في ٢٦ كانون الثاني ان ينتزع من ابن سعود الشروط التالية لقاء تسليم فيصل الدويش ونايف الحثلان وسعود بن لامي الذين التجأوا الى الكويت وجميع اتباعهم في خارج دولة الكويت: —

١ — يحفظ ابن سعود ارواح الزعماء واتباعهم.

٢ — اذا شاء ان ينزل بهم اية عقوبة فيجب ان تكون مرفقة بالرحمة والعدل مع الاحتفاظ بحقه في استعادة الغنائم والاسلاب التي أخذها الثوار من الغير.

٣ — يتعهد ابن سعود بمنع الغزوات في المستقبل التي قد تقوم بها عجمان ومطير وغيرها من قبائل نجد الى الاراضي العراقية والكويتية. واذا ما حدثت مثل تلك الغزوات فانه يتعهد بوضع حل عاجل ولاعادة الاشياء المسلوبة الى أهلها. ففي حالة الغزو الى العراق تنفذ بنود اتفاقية بحرا. وبالنسبة للكويت يجري العمل بموجب العادات المتبعة بين بلاده وبلاد الشيخ أحمد. وأعرب ابن سعود عن استعداده للتفاوض حـــول معاهدة على غرار اتفاقية بحرا اذا رغب الشيخ أحمد في ذلك.

٤ — تعهد ابن سعود بحل القضايا السابقة المقدمة من العراق والكويت على هذا النمط بشرط ان يعاد رجال قبيلتي عجمان ومطير الموجودين في قبضة سلاح

العرش الملكي الى نجد مع كل اتباعهم وممتلكاتهم .

٥ – وافق ابن سعود على دفع عشرة آلاف جنيه استرليني كتعويض للقبائل العراقية والكويتية أملاً في الوصول الى حل نهائي .

٦ – يعين ابن سعود ممثلاً عنه في أي وقت في الحكمة المنصوص عنها في الاتفاقية حالما يتلقى طلباً بأن يفعل ذلك .

وبعد ان وقع ابن سعود والسير هيوبيكر على شروط الاستسلام ، عادت البعثة الى الكويت في ٢٢ كانون الثاني . وفي اليوم الثاني انزل الزعماء الثائرين الثلاثة من السفينة البريطانية « قربين » بعد أن خلعت عليهم زوجتي ملابس جديدة ونقلوا الى خيم ابن سعود بطريق الجو تحت اشرافي شخصياً .

ووجدت ابن سعود جالساً داخل خيمة مقفلة محاطاً باقاربه وزعماء القبائل . وكان اجتماع الثوار بسيدهم مؤثراً . فقد صمح لكل منهم والدموع تنهمر من عينيه ان يقبله في انفه على طريقة البدو . ثم التفت نحوي تجاهه وشكرني على جهودي وخاصة على عنايتي بنساء الزعيم الثائر السابق وقال : –

– في الحقيقة يا ديكسون نحن نقدر اعمالك الطيبة . ومع ان الدويش ثار ضد مليكه وقاتلنا لكن نساءه ذوات دم نقي نبيل وجديرات بكل احترام وتقدير . انه واجب خاص علينا ان نستمر في العناية بهن الى ان نتمكن من ارسال سيارات الى الكويت لتقلهن من هناك .

وبينما هو يتكلم لمحت بين قادته ومستشاريه صديقي فيصل الشبلان . ويبدو ان الملك كان يتتبع نظراتي فابتسم ابتسامة عريضة وقال :

– نعم .. لقد عفونا عنه . لقد اتى ودخل علينا وابلغنا كل شيء ويبدو اننا مدينون لك بذلك ايضاً يا كولونيل ديكسون .

واغتنمت الفرصة لأنقل الى ابن سعود رسالة من زوجتي تتوسل اليه فيها كأم ان يرأف بأولاده المخطئين . وقد استجاب الملك لهذا الطلب بشهامة . قبل أن يعدم زعماء الثورة كما كان اتباعه يتوقعون بالرغم من تأكيداته للحكومة البريطانية ، فقد فرض عليهم الاقامة الجبرية ، وذلك أمر ضروري للحفاظ على

نفوذه ومكانته . وكانت معاملته لضيفهم مثلاً آخر في الشهامة والكرم .

وتعرضت قوات الثوار اثناء ابعادها في شمال دولة الكويت لغزوات ليلية قاسية قامت بها قبائل ظافر العراقية انتقاماً لغزوات سابقة ، وسلبتهم جمالهم واغنامهم على مرأى من سلاح الجو الملكي . وفي ٢٩ كانون الثاني ابلغ الثوار ان يستأنفوا مسيرة العودة الى لينة حسب شروط الاتفاق .

وقد اقتادتهم السيارات المسلحة التابعة لسلاح الجو الملكي البريطاني عبر طريق معين باتجاه مناقيش على الحدود حيث تسلمهم مبعوث ابن سعود في الرابع من شهر شباط .

ومع ان المجال لا يتسع هنا لذكر تفاصيل العقوبات التي فرضت على مطير إلا ان ملخصاً لها لا بد من ذكره :

١ – أخذت من فيصل الدويش جميع الجمال العائدة اليه شخصياً بما فيها الشروف الشهيرة وهي قطيع مطير الاسود المقدس . وأخذت منه ايضاً جميع خيوله .

٢ – أخذت من الدوشان العشيرة الحاكمة في مطير كل الاسلاب التي حصلت عليها من الغير وثلاثي ماشيتهم . أما ممتلكاتهم الشخصية فلم تمس .

٣ – أخذت من الرجال العاديين كل جمال الركوب والخيول والممتلكات الاخرى التي سلبت من الغير .

٤ – لم يؤخذ أي شيء من فيصل الشبلان ومن عبد العزيز الجبــد الدويش وهو زعيم معروف لأنهما استسلما طوعاً وليس عن طريق سلاح الجو الملكي .

٥ – لم تصادر أية بنادق من اي كان .

وعوملت عجمان بنفس الطريقة تماماً .

لقد سررت لان ابن شبلان نجا بنفسه . وسرعان ما نال حظوة عند الملك فمنح مسؤولاً عن جمال الملك بما فيها الشروف . ويبلغ عدد تلك الجمال ٢٠ رعية والرعية ٢٤٠ جملاً فيكون المجموع اربعة آلاف وثمانمائة جمل . وكانت عمشا ابنته الجميلة تأتي لزيارتي كلما قدمت الى الكويت وتذكرني وهي تبتسم بفنجان القهوة

الذي انقذ حياة والدها . وتزوجت عمشا شاباً لطيفاً اسمه مزاع بن بدر الدويش الذي قابلته لاول مرة عندما حمل الى الكويت اثر اصابته برصاصة في رقبته . وكنا نعتبر عمشا حفظها الله واحدة من اعز اصدقائنا المطيرين .

وبعد ان رتب نقل الزعماء الثلاثة الى الرياض ومصادرة مواشي الثوار (كما ذكرنا سابقا) ، زحف ابن سعود الى حميدة الخطا قرب جارية في ١٢ شباط ، وبعد اربعة أيام انتقل الى راس كبسوة قرب القطيف ومن هناك انتقل في الثاني والعشرين ليقابل الملك فيصل ملك العراق على ظهر الباخرة البريطانية « لوبين » خارج ميناء الفاو . وصدق الملكون على مسودة اتفاقية صداقة بين البلدين .

لقد حضنت زوجتي نساء فيصل الدويش لمدة ستة اسابيع في مدينة الكويت قبل ان يرسلن بن سعود سيارات لنقلهن . وفي تلك الفترة لم تكن تقدم لهن الأكل والملبس على حساب الحكومة فحسب بل اتيحت لنا الفرصة ان نجتمع بهن يومياً ونتحدث اليهن . فبعد المصاعب الكثيرة والمشاق المرهقة التي تعرضن لها في المراحل الأخيرة من الثورة ، وجدت زوجتي امامها عملاً صعباً في اعادتهن الى حالتهن الصحية الطبيعية . فكنا نعاملهن كضيوف واصدقاء لا كلاجئين . ولا زلت اتذكر كيف ان ابنتي شقيق فيصل الصغيرتين عمشا وقيضا كانتا اكثرهن تودداً واقلهن خجلا . فقد جاءتا الينا تحملان تلاداتهما لوالدتيهما جوعاً وعلى جسديهما اسمال بالية ، ثم اصبحتا قلائد والعقلين قدر لنا ان نجتمع بها عدة مرات فيما بعد .

وتقديراً لجهوده ورفضه مساعدة الثوار تلقى الشيخ أحمد سنة ١٩٣٠ وساماً رفيعاً من القدير الحكومة البريطانية . ووعدته حكومة صاحب الجلالة ايضاً انها ستعمل قصارى جهدها لحمل ابن سعود على الغاء القيود على التجارة بين نجد والكويت . وكان الحظر قد فرض منذ سبع سنوات ومضت سبع سنوات اخرى قبل ان يرفع نهائياً .

وفاة فارس عظيم

توفي فيصل الدويش في الرياض في الثالث من تشرين الأول سنة ١٩٣١ .

وجاءت الانباء الاولى الى الكويت في ١٥ تشرين الاول مع ابراهيم الزين الذي عمل مدة طويلة في خدمة شيوخ الكويت ثم انتقل قبل ثلاث سنوات ليعمل في خدمة ابن سعود في الرياض . وقد جاء يومها الى الكويت ليشتري بِزّة لحسابه لحمد آل سعود شقيق الملك .

وقص على ابراهيم بالتفصيل كيف ان الدويش ظل يشكو لمدة شهر من ألم بسبب ورم في حنجرته . وفي كان يتمشى مع ابن مقلاد يوم ٣ تشرين الأول في باحة السجن سقط الى الأرض والدم ينزف من فمه بسبب انفجار الورم . وظل فاقد الوعي حتى المساء وعندما استعاد وعيه لمدة قصيرة طلب ان يرى الملك ولكن ابن سعود رفض ان يأتي اليه . وارسل له الدويش لحية الرجع طالباً آله الاستعطاء التي ارتكبها بحقه قائلاً ان الحكم الاخير لن يصدر قبل ان يلقيا كلاهما امام الخالق . ثم فارق الحياة فغسل ودفن في الليلة ذاتها .

وبلغني ابراهيم كيف ان الملك ، بعد ان شعر بتوبيخ الضمير ، ارسل الى عشا ارملة الدويش والى شقيقة غالية وتمنى طالباً ان يتجرعن شقيقهن معنى الحياة ، وكيف انه منح عمشا وغالية الشقيقة الكبرى مكافأة سنوية قدرها ربعماية ريال ، ومكافأة قدرها ثلاثماية ريال لوضحى والأخت الثالثة التي كانت وقتذاك في الكويت . وبعد ان اعطى كل واحدة منهن اربعة خيول سمح لهن بالعودة الى ارطاوية . وقالت مصادر اخرى ان ابن سعود اعطى كل واحدة من السيدات الثلاث بيتاً مجانياً في الرياض .

وقد تناقلت اخبار الرواة بالتفصيل بحيث انه لم يعد هنالك شك بأن فيصل الدويش قد توفي فعلاً . وبعد فترة قصيرة اعلن هلال المطيري تاجر اللؤلؤ الشهير في الكويت وصديق الدويش انه يصدق القصة وكذلك فعل الشيخ أحمد .

لقد أحس جميع البدو بأسى عميق لوفاة ذلك الزعيم الصحراوي الكبير الذي كاد ملكاً بين شيوخ العرب ، والذي كان الزعيم القبلي الوحيد في الجزيرة العربية من حقه ان يقتل رجالاً من قبيلته دون محاكمة اذا وجد ذلك ضرورياً . فهو وشيوخ الدرشان في معاهم من قبل يكن مقارنتهم بصالحي الحرك في انكلترا

في القرون الوسطى . وخلال تاريخهم تجرأوا وحاولوا ان يعتصموا وان يكسروا ، واسبانياً بنجاح ، الحكام السعوديين في نجد . ان مساعدة مطير وحدها بقيادة جد فيصل الذي كان يحمل نفس الاسم ، هي التي مكنت القائد المصري ابراهيم باشا من مهاجمة واحتلال المملكة الوهابية في اوائل القرن الماضي .

ان الجزيرة العربية لم تنجب فارساً او مقاتلا اعظم من فيصل الدويش الذي لم يكن لابن سعود من اتباعه واحد اكثر اخلاصاً الى ان دفعت السياسة ، او بالاحرى نكران الجميل ، فيصل الى الثورة . كانت مطير تعبده ولا يذكر رجل اسمه حتى اليوم إلا والدموع في عينيه . ويقال ان وفاة ابنه عزيز هي التي حطمت معنوياته وأقنعته بأنه لن يستطيع الانتصار .

اما ارملته عمشا فلم تعش بعده طويلا . فقد توفيت بهدوء في ارتاوية بعد خمس سنوات وحزن عليها رهط كبير من الاصدقاء .

وظل زعماء الثورة الآخرون في السجن بالرياض حتى سنة ١٩٣٤ حين اتهموا بمحاولة الفرار عندما كان ابن سعود يقاتل يحيى امام اليمن . ونقلوا الى الحفوف حيث سجنوا في الدياميس التركية المظلمة تحت الأرض وانقطعت اخبارهم منذ ذلك الوقت .

نهاية الاخوانية

أخمدت الثورة بعد ان كلفت مبالغ طائلة من المال والعتاد . ويعود الفضل في انتشال ابن سعود من الوضع السيء الذي كان فيه الى الحكومة البريطانية .

فلولا جهودها في ابقاء الكويت والعراق على الحياد ، ووضعها قوة كبيرة على حدود الكويت الجنوبية اجبرت الثوار على الاستسلام ، لما تمكن ابن سعود من سحق الثورة ، ولكان تعرض هو والبيت السعودي الى أخطر النتائج .

وبانهيار الثورة ووفاة فيصل الدويش يمكن القول إن مذهب الإخوان الحماسي قد ولى الى غير رجعة . وكان ابن سعود يعرف ذلك فلم يكن يرغب في إشعال النار مرة اخرى . فمذهب الإخوان القائم على الدين والتعصب ، اخطر من ان

يكون لديه في يديه . انه أخطأ مرة ولن يعيدها . فقد فضل في المستقبل ان يستخدم السيارات المسلحة واللاسلكي والمدافع الرشاشة للإبقاء على سلطته ، وربما كان بذلك يفضل عين الحكمة .

استخدم ابن سعود النقل بالسيارات لأول مرة أثناء العمليات ضد الثوار وقد زاد ذلك في قدرته على التحرك وساعده على الإسراع في تموين قواته . وكثير من نجاحه يعود الى هذه الحقيقة التي استطاع بها ان يفرض نفوذه على القبائل المتزعمة قبل أن تقرر الانضمام الى الثوار ، وبها استطاع ان يأخذ قوات الثوار على غفلة في كثير من الأحيان قبل أن تكون مستعدة للقتال .

كان ابن سعود يعلم حق العلم مدى المساعدة التي يمكن للمواصلات الصحيحة أن تقدمها له لحفظ النظام في مملكته الواسعة المتفرقة . فعندما ثار عليه ابن رفادة سنة ١٩٣٢ بحوالي ستة آلاف رجل من قبيلة بلي في شمالي الحجاز ، استطاع ان يجمع عشرة آلاف رجل في الطائف ويشن هجوماً مفاجئاً على الثوار فمحاهم عن بكرة أبيهم في وجه وسار مظفراً عبر الحجاز . ولم يكن ليستطيع ذلك لولا استخدام السيارات .

رغم عاصفة الاخوان الآن أن ابن سعود أطلق صرخة الدين سنة ١٩١٤ لأغراضه الخاصة . ولذلك شعروا بالألم والندم لأنهم استخدموا كمطية ، ثم تحت لنيهم رغبة في الولاء أو في الاندفاع . كان كل همهم أن يتركوا وشأنهم . ولم يعد الملك بالنسبة لهم بطلاً او أباً لشعبه . وكان المرء يجد حتى بين القبائل الموالية كشمر وحرب وسبيع وسهول وعتيبة ، مع جانب القبائل التي قتلت في الثورة ، شعوراً أشبه بخيبة أمل مريرة . وإذا سألوا عن ذلك فإنهم لا يستطيعون اعطاء جواب محدد واضح ولكن ضعف الثقة وخيبة الأمل هما ، كما يبدو ، السبب الجوهري . ولا ريب ان هذه الظاهرة ترجع الى واحد أو أكثر من الامور التالية :

١ - كان الشعور السائد ان ابن سعود لم يلعب لعبته بواسطة الاخوان بل ولم يلتفت الى جانبهم كما كان مفروضاً فيه أن يفعل . فهم على كل حال ، الذين رفعوه

ان المكانة التي احتلها وكانوا أيضاً مسلمين صالحين .

٢ — طلب مساعدة البريطانيين ومساعدتهم لتمكن من سحق رعاياه المسلمين .

٣ — لقد عامل فيصل الدويش وذيب الهذلان وسلطان بن حميد العتيبي وهم ثلاثة من أعظم زعماء الجزيرة العربية ، بقسارة لا داعي لها في الوقت الذي كانت طرق الشهامة كافية لمعالجة الاوضاع .

ومع مرور الزمن نرى البدو يطلقون على ابن سعود لقب الامــــام لاسيما في الشمال والشمال الشرقي من صحراء الدهناء في شمال شرق الجزيرة العربية . وأصبح يعرف بعد ذلك بالوهابي وخاصة بين أولــــئك الذين ثاروا ضده ، كصفة للتحقير أكثر من أي شيء آخر . وبرزت ظاهرة أخرى مهمة وهي أن الكوفية البيضاء التي كانت رمزاً « للأخ » الصالح لم تعد ترى إلا نادراً . فقد عـــاد معظم مطير ورشايده وعوازم وعجمان وشمر الى العقال القديم . أما الذين ظلوا يعتمرون الكوفية البيضاء فقد كانوا يفعلون ذلك وأمـــلهم في رجائهم أو الحصول على خدمة من الملك .

ليس معنى ذلك أن مذهب الإخوان قد انقضى ، فقد بقي في الوجود ولكن على شكل احساس به . وما إن أتت سنة ١٩٣١ حتى كان قـــد تخلى عن كل تعصباته غير المقبولة . وظلت القبائل الكبرى في الجزيرة تحب أن تدعو نفسها بالاخوان او بالوهابيين ، وحفاظاً على الماضي ، لم تتعاط التدخين أو لعب القمار أو شرب الخمر . أما مقهم الحضري فقد زال تماماً إلا ربمـــا في جنوب نجد وفي بعض الأماكن الأخرى كحوطه الى جنوب الرياض وفي وادي دواسر ، وانصرفت الأنفس النقية الى الصلاة والى تحسين الأوضاع ، بينما لم تفكر في السابق إلا في جر الآخرين الى الخطيئة والتدخل في شؤونهم بالقوة . لقد حصلت على هـــذه المعلومات من عدد من زعماء الاخوان ومن ممثلين عن كل قبيلة . ولست أعتقد أن مذهب الاخوان سينتعش ويعود للحياة مرة أخرى ، مع إنــــه من غير الحكمة التنبؤ في بلاد أعاد التاريخ فيها نفسه مرات ومرات .

ابن سعود يقوي مركزه

أصبح ابن سعود يريد السلام لأن القتال المتواصل كلفه كثيراً . وكان بحاجة إلى المال فمنح امتيازاً للنفط في الاحساء لشركة ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا، وهي اليوم شركة « أرامكو » ، وطلب منها أن تبني خطاً للسكة الحديد من الدمام إلى الهفوف والرياض عن طريق الخرج . وبعد أن أفتى العلماء بأن الاسلام لم يمنع هذه التطورات بل يشجع كل مما من شأنه أن يساعد على التقدم ، لم يأل جهداً في وصل المراكز المهمة بعضها ببعض بواسطة شبكة من الطرقات ، كما نظم مواصلات لاسلكية نشيطة ، وأعطى شركة هندية امتيازاً بشق طريق من الأسفلت يصل مكة بجدة ، وشجع شركات النقل بالسيارات ، وأقام محطات للبرق في جميع أنحاء البلاد ، وشجع زراعة الأرض في كل مكان .

وفي أيلول سنة ١٩٣٢ أصبحت مملكة الحجاز ونجد وتوابعها تعرف باسم المملكة العربية السعودية .

وخلال سنة ١٩٣٣ كانت تلوح في الافق بوادر مشاكل حول نزاع الحدود في عسير . وقد بدأ ذلك بانتفاضة ضد ابن سعود كان من نتيجتها أن سكان عسير طردوا حسن الادريسي الحاكم الذي عينه ابن سعود ، الى اليمن . وأرسل يحيى إمام اليمن جنوده الى عسير ، كما ان الملك عبدالعزيز أرسل ابنه الأمير سعود على رأس قوة لإجراء مفاوضات . وفي آذار سنة ١٩٣٤ فشلت المفاوضات ولكن ابن سعود كان في تلك الفترة قد جمع جيشاً لا يستهان به قرب منطقة المتنازع عليها .

وبدأت الاشتباكات في نيسان مع أنه لم يكن هنالك إعلان رسمي للحرب، واستطاعت قوة بقيادة الأمير سعود ان تحتل نجران ، واحتل الأمير فيصل الشقيق الأصغر لسعود ، حديدة في أوائل أيار تدعمه الآليات .

ومع اقتراب الصيف وجد الإمام يحيى ان أفضل طريقة هي إطالة أمد القتال مستفيداً من فرصة الهدنة . ومع أن القوات السعودية كانت تشعر بثقة بالنفس بعد انتصاراتها الأولى ، إلا أنها كانت في الواقع تتفسخ وتنهار . فقد دب فيهما

المرض دون أن تكون هنالك وسائل لمعالجة ، كما انها كانت تعاني من نقص في الذخيرة .. وفي الرواتب . ولهذه الأسباب فقدت القوات السعودية انضباطها .
وتبين لابن سعود ان استمرار القتال قد يلحق به هزيمة نكراء فمد الهدنة وعدل شروطه . وكان له ما أراد فقد وافق الإمام على الشروط المبدئية ، وفي أواسط حزيران وقعت معاهدة بين اليمن والمملكة السعودية .
حققت هذه الحملة لابن سعود الكثير . فقد زادت في نفوذه وأعادت اليه واحة نجران المحصنة وأكدت سيطرته على عسير التي ضمت الى مملكته في قمة قائمة . وانتهى ابن سعود من الحملة المذكورة بجيش منتصر ولكن قليل الراتب منهوك القوى من القتال . ولم يحدث أي تمرد كما كان متوقعاً كنتيجة طبيعية لعودة الجيش شمالي الرياض ، مما يدل على مدى السيطرة التي توصل اليها هذا القائد الكبير على قبائل الكثيرة المتوحشة .
ولم تعد علاقات الصداقة بين الكويت والمملكة السعودية إلا في نهاية سنة ١٩٣٧ عندما رفع ابن سعود الحظر على التجارة مع الكويت . وتجدر الاشارة هنا الى أن الخطأ في ذلك يقع على ابن سعود لا على الحكومة البريطانية التي لم تكف عن المحاولة منذ سنة ١٩٣٠ لم يوقفها الشيخ أحمد في وجه مطالبات ابن سعود الدائمة .

فهرست



هـ . ر . ب . ديكسون

الجزء الثاني



الطبعة الأولى
١٩٦٤م

الطبعة الثانية
١٩٩٠م

القسم الثالث

ومعظمه ذكريات

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا
نحن الضيوف وأنت رب المنزل

بهذا البيت من الشعر استقبلني ابن سعود عندما زرته لأول مرة في الهفوف سنة ١٩٢٠ .



جريمة لها ما يبررها

اهتز العراق سنة ١٩٣١ لمقتل حاكم بغداد المحبوب عبدالله بن أحمد باشا الصانع في مكتبه بالبلاط على يد عبدالله بك الدالي ابن السعدون شيخ الأطلق في المنتفق. لقد كنت أعرف الرجلين جيداً مع أنني لم أر لهما وجهاً منذ عدة سنوات.

عرفت عبدالله بك عندما استضافني في كانون الثاني سنة ١٩٢٩ عندما سمح له أن يعود للإقامة في ممتلكاته في كتيبان على بعد عدة أميال من البصرة حيث عاش بهدوء، دون أن يشترك في السياسة، ولم يكن يقصد بغداد إلا لزيارة الملك فيصل أو لحضور جلسات المحكمة المتعلقة بقضايا حول أملاكه الكثيرة. وقد قابلته في إحدى تلك المناسبات فوجدته نفس الرجل الهادئ، الذي يتقبله الذي قصدني تحت جنح الظلام في الناصرية وتوسل إليّ ان أتوسط بشأنه لدى السير بيرسي كوكس.

أما عبدالله الصانع فقد كانت معرفتي به أكثر وثوقاً. فهو ابن أحمد باشا متصرف البصرة أيام الحكم البريطاني وقد عمل تحت امرتي كالقائم على الحلة.

وعندما غادرت العراق الى الهند علمت انه شق طريقه بجدارة واستحقاق ورقي خطوة خطوة الى أن أصبح حاكم بغداد وحاز على ثقة الملك فيصل الى أقصى الحدود . وقد كنت فخوراً بذلك لأن بعض الفضل في ارتقاء الرجل يعود الى التدريب الذي لقيه على يدي في أوائل عهده .

ثم كانت خطبة عبدالله السنا الذي كان يتوق لطلب يد ابنة رئيس وزراء العراق الراحل عبد المحسن السعدون . فبعد انتحار عبد المحسن في سنة ١٩٢٩ ذهبت الفتاة لتعيش مع والدتها في سورية . اما عبدالله السنا ، كما يستدل من اسمه وكما يعرف الجميع ، فقد كان من أصل متواضع . ولم يصل الى ما وصل إليه إلا بطموحه واجتهاده وقدرته ورضا الملك فيصل عليه . ومجرد تفكير هذا الرجل في الزواج من إحدى سيدات آل السعدون نخبة النخبة في الارستقراطية القبلية العربية ، كان جريمة ، ان لم نقل عملاً جنونياً صرفاً .

ان لعائلة السنا مكانة وضيعة في سلم الدرجات الاجتماعية عند البدو بحيث ان اية قبيلة شريفة في طول الجزيرة وعرضها لا تحلم بتزويج احدى بناتها الى واحد من عائلة السنا التي صنفت منذ أقدم الأزمان بانها وضيعة المولد لكون اعضائها يعملون كاسكافيين وحدادين ، وينظر اليهم بأنهم خدام عند القبائل . ان خرق هذه القاعدة يعني الموت للرجل والفتاة ولا يمكن ان تكون هناك أسباب أو ظروف مخففة .

ولسنا نعرف ما اذا كان عبدالله السنا يعتقد ان مركزه أصبح قوياً وان بغداد أصبحت متمدنة الى حد دفعه الى تحدي العادات والقواعد القبلية . ويكفي القول انه خطب ود الفتاة وطلب موافقة الملك على الزواج . ويقال ان فيصل بارك الزواج رغبة منه في مكافأة صديقه ، ويقول بعضهم — خطأ على ما اظن — ان القضية كانت سياسية وتستهدف عن قصد تحقير اسم آل السعدون في العالم العربي . ففيصل لم يكن على علاقة طيبة معهم وكان يكره ادعاءاتهم المتطرفة بانهم في مستواه ويبادلونه منزلة ، وكانت تغيظه تحدياتهم الصريحة له في كل المناسبات .

والشيء الوحيد المؤكد هو ان الملك فيصل الذي ينحدر من أعرق عائلات الحجاز والذي شب وترعرع في محيط قبلي ، كان يعرف مدى خطورة رد الفعل الذي سيحدثه هذا الزواج لا سيما في أوساط عائلة السعدون، ومع ذلك لم يمنعه. ويبدو ان البريطانيين في بغداد لم يقدروا الموقف لأنهم دائماً يفكرون بسلام وبكفاءة الشيخ الملك ثنوا لعبدالله البينا حظاً سعيداً وهنأوه على حسن اختياره.

واما ام عبدالله البينا تشجيعاً من الملك لم يتوان لحظة واحدة بسل اخلاط بوالدة الفتاة بنجاح وهي سيدة تركية الأصل ظنت ان موافقة الملك ضمانة كافية لسلامة ابنتها . ولما كانت تعيش في بلاد متمدنة كسورية ظنت ان العادات والاحقاد القبلية قد انتهت .

وما ان وصلت الانباء الى البصره ، معقل آل السعدون ، حتى بلغ الغيظ والرعب ذروته . وفي الحال أرسلت بعثة الى بغداد لتطلب من الملك ان يفسخ الخطبة ويمنع الزواج . وبالرغم من كل اسبابهم وحججهم فقد فشلوا في مهمتهم . وأرسلت بعثة ثانية الى الملك برئاسة ثمر بك السعدون وضاري بك الفهد السعدون وغيرهما . ويقال ان كلمات كبيرة وعدائية استخدمت اثناء المقابلة . والكلام الذي وصلنا الى الكويت يفيد ان البعثة أبلغت الملك انه اذا تم الزواج فسيقتل العروسان ويتعرض الملك نفسه الى نفس المصير . وقالوا له ان آل السعدون ينحدرون من عائلة ترتقي عائلته مكانة، وعيروه لأنه استخدم مركزه لفرض زواج يعرف تماماً انه يلحق العار بينهم .

لقد استقبل الملك البعثتين بصورة سرية ومن المفروض ان لا يعلم العالم الخارجي شيئاً عما دار في الاجتماع ، ولكن الوقائع تسربت بطريقة من الطرق. ويقال أيضاً ان الملك حنق لأن مجموعة من رعاياه تحدته وهددته في قصره . وقد اتهمهم بدوره بتحدي السلطة والتطاول عليها ورفض ان ينظر فيما يسمون اليه بصورة من الصور .

اما عبدالله بك الفالح باشا السعدون فلم يذهب مع البعثة وبقي في البصره بانتظار التطورات . وقد تلقى انباء الفشل الثاني بأسى واشمئزاز . والآن أصبح

شرف العائلة في خطر والحياة لا تساوي شيئاً في مثل هذه الحالة . وقبل ان يقرر اتخاذ أي اجراء قضى عدة أيام في مدينة البصره .

بعد ذلك ظهر عجيمي بك السعدون على المسرح . فقد اتى على جناح السرعة الى البصره قادماً من ماردين في تركيا تلبية لالحاح عائلته . وقد اجتمع فور وصوله بشقيقه سعود بك الذي جاء من الناصريه وبعبدالله بك وقرروا وجوب القيام بعمل فوري حاسم . وفي جلسة سرية تقرر ان يتوجه عبدالله بك وسعود بك كل على حدة الى بغداد لقتل عبدالله السينا .

وقيل أيضاً ان أنباء وصلت الى البصره تفيد ان العقد قد تم نيابة عن أهل العروس التي كانت تجهز نفسها للسفر الى سورية لاكمال العقد هناك . ولكن ذلك يصعب تصديقه . اما الذي حدث فعلاً وعجل في وقوع المأساة فهو حادث عائلي . فقد عاد عبدالله بك السعدون الى منزله في كشيان ذات يوم ونادى زوجته باعلى صوته لدى دخوله المنزل . ولم تظهر زوجته من غرفتها بل سألت عن المنادي من وراء القاطع . ورد عليها غاضباً :

– انا عبدالله زوجك .. لماذا لا تأتين ؟

واجابته على الفور :

– انا الآن لست زوجتك ، ولن أكون إلا اذا قتلت السينا الذي تجرأ وطلب يد واحدة من بناتنا .

وبدون ان ينبس ببنت شفة أخذ عبدالله بك مسدسه وغادر المنزل وحده وتوجه بالسيارة الى بغداد حيث توجه فوراً الى البلاط وطلب مقابلة الحاكم . وأدخل الى مكتب عبدالله السينا الذي استقبله بأدب وترحاب وسأله عن سبب تشريفه له بهذه الزيارة ؟ . ورفض عبدالله بك ان يشرب القهوة التي قدمت له وقال لعبدالله السينا – حسب رواية الفراش الذي قدم لهما القهوة – ، انه في الوقت الذي لا يشعر نحوه بأية عداوة شخصية ، إلا انه يرى من واجبه منع زواجه المقترح من فتاة من قبيلته . ثم شهر مسدسه واطلق النار على السينا عبر المنضدة فسقط الى الارض مضرجاً بدمه . وعاد عبدالله بك فأفرغ بقية

الرصاصات في الرأس الميتا بصورة متعمدة . وبعد ذلك فتح الباب وطلب من الفراش ان يستدعي البوليس الذي وجدوه لدى وصولهم جالساً على المقعد يدخن سيجارة . فشرح لهم بهدوء الاسباب التي دفعته الى ارتكاب جريمته .

ان محاكمة عبدالله بك برئاسة قاض بريطاني ، حركت العالم العربي الى اعماقه . وعندما صدر حكم الاعدام بحقه كان رد الفعل لصالح القاتل شديداً بحيث ان برقيات قوية اللهجة وصلت الى الملك فيصل من شخصيات مرموقة كابن سعود وحكام الكويت والبحرين وعمان واليمن ، ومن رهط من الامراء والشيوخ في اواسط الجزيرة العربية والحجاز والعراق واماكن أخرى ، تطالبه بتخفيض الحكم . وبالفعل ابدل الملك فيصل الحكم بالاعدام الى السجن العادي ٢٠ سنة ثم عاد الملك فيصل بقرار استرحام فخفض الحكم الى سنة واحدة .

وصدف ان كنت في البصرة عندما اطلق سراح عبدالله بك وعاد الى تلك المدينة . ولم اشاهد في حياتي استقبالاً لرجل شرقي كالاستقبال الذي جرى له . لقد تجمهر آلاف الاشخاص على المحطة وآلاف غيرهم اصطفوا في شوارع البصرة والعشار . ولكي يصدق المرء ذلك يجب ان يشاهده . فالجماهير لم تكن تستقبل مجرماً عادياً بل بطلاً وطنياً .

واعترف انني اختطأت في شق طريقي بين الجماهير في الاستقبال الحافل الذي تلا ذلك لأقدم تهاني لعبدالله بك لخروجه من السجن . وبعد هذا وذاك فهو رجل شجاع وفعل ما كان يظنه صحيحاً حسب القواعد التي شب عليها .

القبور التسعة

وهذه قصة أخرى عن الأحقاد القبلية .

في نهاية يوم طويل من الصيد على طول سلسلة الظهر في الكويت سنة ١٩٢١ عدت وزوجتي الى المخيم عند حلول الظلام وقد انهكنا التعب . وفي الصباح أمرت ان نضرب خيمتنا وخيام مرافقينا سالم المزين وعائلته في مكان اعتيد لنا كنت قد اخترته بصورة عفوية . وهو مكان جميل في الطرف الاسفل من التحدر

الشرقي لسلسلة الظهر بواجهة تلال برقان . وفي المساء عثرت على بعد حوالي مئة ياردة من خيمتنا على تسعة قبور حفرت جنب بعضها البعض على سطح تلة جرداء. وبعد استفسارات عديدة علمت ماذا جرى هنالك في شهر شباط سنة ١٩٢٦ .

اثناء الصيف واوائل الخريف من كل عام يعيش الهندال وهم فرع من بني مالك بجوار قناة العرفاقيه قرب سوق الشيوخ . وفي الشتاء والربيع يهاجرون جنوباً الى الكويت مع غيرهم من الرعاة في المنتفق .

ويستطيع الذي يعيش فترة طويلة في الكويت أن يميز بين هؤلاء الرعاة الشماليين وبين بدو الكويت والسعودية. فهم عادة يلبسون على رؤوسهم كوفيات ذات بقع زرقاء داكنة وعقالاً ثخيناً أسود اللون له زاوية مائلة عند أعلى الرأس . أما البدو في ذلك الجزء من شرق الجزيرة العربية فيلبسون كوفيات ذات بقع حمراء أو كوفيات بيضاء عليها عقال أسود قاتم أو قطعة بسيطة من الحبال معقودة حول الرأس . وكما ذكرت آنفاً ، فإن نساء قبائل المنتفق سافرات الوجوه ويزين وجوههن وأذرعهن وأقدامهن بأشكال مختلفة من الوشم .

وللهندال أصدقاء كثيرون بين عجمان الكويت والاحساء وكانوا على علاقة طيبة بصورة خاصة مع حائل مشواة من فرع مخلوط في عجمان القاطنين في منطقتي أبو حليفيا ووفره في الكويت . وكان هؤلاء العجمان يبلغون الهندال أثناء رحلاتهم الى الكويت عن وجود غزاة من الاخوان في جوار مما يتيح لهم أبعاد ماشيتهم الى أماكن امينة عندما يدق ناقوس الخطر .

وكان زعيم الهندال رجل يدعى فزع وهو صديق حميم لي عرفته أيام سكنت في سوق الشيوخ . وقد أخبرني هو وقريبه عبد العزيز وحمير المعروف بسير قصة مقتل تلك العائلة .

قالوا انه في سنة ١٩٢٥ هطلت امطار مبكرة في الصحراء وكانت تباشير الربيع تبدو طيبة . وكانت الأحوال لم تهدأ بعد إذ ان الاخوان كانوا لا يزالون يقومون بغزوات قريبة من مدينة الكويت ويسلبون الأغنام والجمال . ولكن ذلك لم يبدل من التحركات المزمنة نحو الجنوب ، فالخيول والماشية يجب أن

تتغذى من عشائب الربيع وأزهاره في الربيع . وبالإضافة الى ذلك كانت الفلاحة وزراعة المحاصيل الجديدة قد بدأت في المنتفق نظراً لهطول أمطار مبكرة سامحة بإعداد الأغنام والجمع .

وجاء رعاة المنتفق جميعهم كأمثاله من الفرات في العراق ولكن أحداً منهم لم يتوغل الى الجنوب كما كانوا يفعلون في السابق . وفي شباط سنة ١٩٢٦ كانت المنتدال يخيمون على طول الجهة الغربية من سلسلة الظهر فوق آبار عرفجية على بعد ثمانية أميال تقريباً الى الجنوب الشرقي من تلال برقان . وككل الرعاة العراقيين لم ينصبوا خيامهم في خط واحد كما يفعل البدو في المملكة السعودية ، ولكنهم ، حفاظاً على ماشيتهم ، كانوا يفرقونها واحدة واحدة او اثنتين اثنتين لا تبعد الواحدة عن الأخرى أكثر من مسمع طلقة بندقية في حالة الانذار .

إن رعاة المنتفق لا يقتنون الجمال ولذلك فإن خيامهم التي تحمل على ظهور الحمير كانت صغيرة وواطئة . وكان لخيمة فزع اربعة أعمدة ولكنها أخف من النوع الذي يستخدمه البدو . أما كل خيمة من خيام رعاياه فكانت تضم على الأقل بساطاً زاهي الالوان تصنعه النساء من الصوف أثناء أشهر الصيف تحت أشجار النخيل في المنتفق . وكان كل واحد منهم سعيداً بقدر ما كانت تسمح لتلك الايام الثلاثة لأن الهجرة السنوية الى صحراء الكويت الجنوبية أمر يفرقونه سنة بعد سنة .

وأما شباب المنتدال فقد كانوا ، كغيرهم من شبان قبائل المنتفق ، رفيعي التهذيب ويتمتعون بصحة جيدة . وكانت غالبيتهم تملك خيولاً يركبونها في رحلتهم الطويلة الى الكويت . وغالباً ما كانوا يشاهدون في أسواق الكويت يشترون حاجياتهم أو يبيعون منتجاتهم ، بينما تظل خيولهم في اسطبلات مجاورة .

ومن هؤلاء الشبان شرالب بن مضرب المنتدال ابن عم فزع . وكان هذا الشاب لعدة أشهر خلت ، يحمل سراً في طيات قلبه حباً جارفاً لفتاة تدعى رخيصه وتنتمي الى قبيلة زراعية صغيرة تدعى عباده . واتضح ذلك عندما أبلغ مضرب المنتدال ابنه أن عليه أن يتزوج ابنة عمه لدى عودتهم الى المنتفق في الصيف . وغضب شرالب وامتعض وأقسم انه لن يتزوج طيلة حياته إلا

محبوبته رشيمه . ولكن صعوبات كبيرة كانت دون ذلك لأنه بالرغم من أن المباده – وهم من بني مالك أيضاً – كانوا على علاقات حسن جوار مع الهندال ، فإنه لم يسبق وأن سمح لرجل من الهندال أن يتزوج فتــاة من المباده الذين لا يمانعون قط في تزويج بناتهم للهندال .

وبعد عدة أيام من هذه الأحداث ، وفيما كان عبدالله الهندال أحد كبــار أفراد العائلة قد ذهب الى الكويت برفقة عدد من النساء لشراء الحاجيات ، دعا فزع معظم أفراد العائلة لتناول القهوة في خيمته وفيحت الموقف . ونظراً لأن الأوضاع في المنطقة كانت مضطربة ، فقد جلس الرجال حول نار القهوة وبنادقهم المحشوة على ركبهم وأحزمــة الذخيرة على خصورهم . وكانت رشيمه حاضرة بين النساء اللواتي حاولن أن يظهرن لها استحالة زواجها من شراتيب .

وبعد أن دارت القهوة بدأ النقاش وأخذ يشتد نظراً لأن شراتيب أصر على الرفض في النظر بمين العقل . وفجأة وبلمح البصر وبدون أن يفكر في العواقب ، أطلق أحد الشبان نار بندقيته على شراتيب فقتله فوراً . وفي الحــال قتل القاتل وتحولت الخيمة الى كتلة من الرجال الغاضبين يطلقون النار على بعضهم البعض . وعندما خرجت رشيمه راكضة من الخيمة نولول أصابتها رصاصة في ظهرهــا فأردتها قتيلة . وهربت النساء الأخريات الى الصحراء حيث أخذن يبكين ويندبن ويمزقن ثيابهن ويلطمن على صدورهن .

ولم يبق على قيد الحيــاة ممن كانوا في الخيمة سوى أربعة رجــال : فزع ، والشاب عبــد العزيز وشقيقه شديد ومزعل وكلهم أصيبوا بجراح . وكانت الجثث ملقاة على الأرض حولهم . وأمسك فزع زمام المبادرة فأمر عبد العزيز أقلهم جراحاً ، أن يذهب إلى المدينة ويحضر عبدالله على جناح السرعة . وانطلق عبد العزيز نحو فرسه وفك رباطها وامتطاها بدون سرج على أقصى سرعتها الى مدينة الكويت التي تبعد ٣٦ ميلاً عن مكان الحادث .

ووجــد عبد العزيز عبدالله والنساء ، وعددهم ٢٠ امرأة ، في السقاط . وكثيرون يتذكرون ذلك اليوم الرهيب عندما وصل الخيــال المنهك الجريح

حاملاً النبأ المؤسف . وركب عبدالله المعروف بهموته فرسه وانطلق بها بأقصى سرعة ممكنة . أمـــا النسوة فقد طغى عليهن الحزن فأخذن يولولن ويصرخن ويمزقن شعورهن وثيابهن كالمجنونات . وانتشرت الأنباء في المدينة كالنار فاجتمع الناس حولهن . وراحت الصديقات يحاولن التعزية والتخفيف عنهن بينما راحت الايدي الحسنة تحمل لهن البشائع على ظهور الحمير . وفي وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم غادرت المدينـــة في موكب حزين وراء قطيع من الحمير وممهن عبد العزيز .

وقبل غروب الشمس كانت ثمة قبور قد حفرت في الحي بجانب بعضهـــا ووضع فيها الرجال الثانية والفتاة ودفنوا . لقد فقد فزع في الحادث عمه مضرب وابن عمـــه شراتيب . وفقد عبدالله شقيقه جاسم ومطر وابن شقيقه كريّم ومطشر . وفقد عبد العزيز شقيقه داود . كذلك فقد الشاب نيمل ذو العينين الزرقاوين والده حسن .

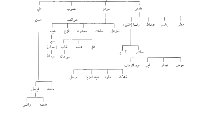
وهكذا خيم عليهم الليل فاصطف الباقون على قيد الحياة للصلاة شاكرين الله على رحمته مع ان قلوبهم كانت تتفطر أسى وأنهوا صلاتهم بالقول :

— الحمد لله .. الله يعطي والله يأخذ .

لقد وجدت صعوبة في انتزاع هذه القصة من فزع وغـــيره لأن المنداال لا يحبون الحديث عن ذلك الحادث . ولست ادري من أطلق الرصاصة الأولى لأن المنداال لا يفشون بالسر . ولم يعد أهل المنتفق يقصدون ذلك المكان المشؤوم .

وفي ربيع سنة ١٩٤٣ أيضاً القنا عصينا بالقرب من هناك . وعندمـــا كانت الشمس تؤذن بالغروب كنـــا نستطيع ان نرى من الخيمة ظـــلال المرتفعات الصغيرات ملقاة على القبور . وكنا نشعر اننا قريبون جداً الى اصدقائنا المنداال .

وكان فزع وحمير وعبد العزيز يقومون بزيارتنا كلما انتقلوا الى الكويت ، وكنت انا وزوجتي نرد لهم الزيارة في الحي ونتحدث عن الأيام الماضية . وكانت زوجة حمير فتاة طيبة الغاية وصديقة حميمة لنا بصورة خاصة . ولـــد انجبت طفلها الأول عبدالله سنة ١٩٣٣ وكان طفلاً جميلاً معافى . وفي اوائل السنة ذاتها



هندال
طاهر
مرهز
مضرب
علي
مطر
جاسم
عبدالله
وضاح (ضيفان)
مطشر
كريم
عوض
نصار
نجم
عبد الوهاب
خزعل
سلمان
سعدون
فزع
عبيد
شرابيه
علي
لايف
ذياب
سرحان
مبير
(مسيار)
عبدالله
شديد
داود
عبدالعزيز
مزعل
حسن
منشد
فيصل
طعمه
واضي

انهم قد زج زوراً بسرقة جمل فأودع سجن الكويت . وبسعدني انني امكنت من إطلاق سراحه . وفي ربيع السنة التالية لاحقت الشرطة العراقية بسمير (مسطر) قرب الزاقبه وأخذت منه حبالة دينار . وكانت كلمة مني كافية لإعادتها اليه وخاصة انني ابلغت المسؤولين عن معرفتي الشخصية بالرجل منذ ان كنت في سوق الشيوخ ، وشهدت على حسن سيرته وسيرة عائلته الموالية جداً للبريطانيين .

لقد كانت صداقتنا الطويلة مع عائلة المنتدال مصدر سعادة لي ولزوجتي اثناء السنوات الطويلة التي قضيناها في الكويت . وادعو الله ان يبقي على هذه الصداقة .

الاتفاقية الجوية في الشارجة

ونظراً لأن الحكومة الايرانية كانت تحظر مرور طائرات الركاب في جوها من الخليج ، ولأن ابن سعود رفض السماح لتلك الطائرات باتباع خط الجهة العربية بتحريض من (الاخوان) وجدت الحكومتان البريطانية والهندية من الضروري تدبير أمر هبوط الطائرات الامبراطورية في الشارجة على الساحل في طريقها الى الهند والشرق الاقصى . ولذلك كان توقيع اتفاقية بهذا الشأن مع الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارجة ، أمراً بالغ الأهمية .

وقد جرت اتصالات تمهيدية مع الشيخ سلطان بن صقر ولكنه رفض التعاون . وقام السير هيو بيسكو المقيم السياسي بزيارة الشارجة فوجد الحاكم صعب المراس وشديد العراقيل ، شديد المراس وشديد العراقيل ، فعاد خالي الوفاض .

وفي ١٤ تموز سنة ١٩٣٢ تلقيت برقية من السير هيو بيلفني فيها أن احضر الى البصرة ومن هناك أركب زوارق كراتشي السريعة لأوافيه الى مقره في بوشهر . وقال انه يريد ان يجرب حظه مرة ثانية فيما يتعلق بالامتياز الجوي في الشارجة الذي كان يطمح ان يحصل عليه . وربما لانني كنت اتحدث العربية بطلاقة ، فقد ظن انه بمساعدتي يستطيع ان يصادف نجاحاً هذه المرة . وكانت

خطته ان نتوجـــه الى جزيرة تامب في وسط الخليج حيث ننتقل الى السفينة البريطانية « إيندفورد » ولنوجه عليها الى الشارجة في صباح اليوم التالي .

لقــد كنت اعرف ان السير هيو يعاني من ضيق في التنفس ولم يكن من المناسب ان يدخل في اية عملية صعبة في حرارة صيف الخليج الفارسي . وعندما كان في اجازتـــه في المملكة المتحدة أبلغ ان لا يعود الى الخليج ولكنه فضل الواجب على المشاعر الشخصية وعاد قبل عدة أشهر من الوقت الذي اكتب عنه .

وفي الليلة السابقة لذهابي الى البصره حلمت حلمــاً مزعجاً فأيقظت زوجتي وابلغتها ان لدي شعوراً بأن كارثة ستقع في هذه الرحلة . لم اكن استطيع ان اقول ماذا سيحدث ولكن شعوري وحدسي بذلك كان قوياً بحيث كنت قلقاً طوال الطريق الى البصره وفي الزورق السريع الذي غــادر البصره في السادس عشر من تموز .

ووصلت الى بوشير الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم التالي ، وجــاء السير هيو الى السفينة وهو في احلى حالات المرح . وتلك الليلة تناولنا عشاء شهياً على مائدة القبطان الخاصة فزالت وساوسي . ولم يكن مع السير هيو سوى سكرتيره الخاص الكابتن ثـــونـــي من الدائرة السياسية الهندية وهـــو شخصية قديرة جذابة .

كانت تلك الليلة هادئة شديدة الحرارة . ووصلنا الى منارة جزيرة تامب عند منتصف الليل فوجدنا السفينة البريطانية « إيندفورد » في انتظارنا . ولم يستغرق انتقالنا الى السفينة بزورق تابع للبحرية سوى بضعة دقائق . ورحــب بنا الكابتن دنيسون بحرارة وشربنا كأساً معه انتقلنا الى الداخـــل . ونمت انا والسير هيو على سريرين على ظهر السفينة وبجانبي زجاجة ماء مثلجة .

وسارت بنا السفينة ببطء لكي نصل الى الشارجة في النهار . وفي الساعـــة الثالثة والنصف صباحاً احسست بقبضة يد على كتفي فاستيقظت لأجد السير هيو بجانبي وقد مزق الألم وجهه . فقال لي لاهثاً :

— استدع الطبيب فوراً ... اظن انني سأموت .

وسقط على سريري . بينما أحضرت جراح السفينة خلال ثلاث دقائق . وأسند الطبيب السير هيو على كتفي وعمل ما باستطاعته لانعاشه وحقنه ابرة مسكنة ، ولكن عبثاً . فبعد ان تقيأ عدة مرات فقد وعيه ومات بين ذراعي خلال نصف ساعة . وأذكر ان ثياب نومه كانت تقطر ماء . الى هذا الحد كانت الحرارة والألم الذي علاه السير هيو .

وفي المؤتمر القصير الذي تلا ذلك قرر الكابتن دنيسون ان نتوجه الى جزيرة هنجام عند مدخل الخليج حيث ترسو سفينة كبير ضباط البحرية وسفينة حربية أخرى . وبعد سلسلة من الاتصالات اللاسلكية بحكومة الهند والسيدة بيسكو في بوشهر تقرر دفن المقيم السياسي الراحل في البحر . وتم ذلك في الساعة الثامنة صباحاً عند شاطىء جزيرة هنجام وسط تحية بحرية كاملة . لقد كان الاحتفال بالدفن مؤثراً .

ان وفاة السير هيو وهو في الثانية والخمسين من العمر كانت كارثة كبيرة اذ كان يدل على انه سيصبح أعظم المقيمين السياسيين الذين شهدهم الخليج اذا استثنيت ذلك الساحر السير بيرسي كوكس .

وبعد الجنازة اقترحت على كبير ضباط البحرية وعلى الكابتن دنيسون ان نتابع رحلتنا الى الشارقة لكي أعالج قضية الاتفاقية الجوية بنفسي لأنني أعرف ان السير هيو كان يرغب في ذلك . وأيدني في ذلك الكابتن تشونسي والكابتن دنيسون، فأبرقت الى سيملا وزير خارجية حكومة الهند بهذا الخصوص وبعثت بنسخة من البرقية الى لندن .

وصلنا الشارقة في صباح اليوم التالي فنزلت الى الشاطىء فوراً وأبلغت الشيخ سلطان بن صقر بوفاة السير هيو ، وبأنني سأحل محله في المفاوضات . وقد فعلت ذلك بمساعدة الكابتن تشونسي القيمة . وبقينا نعمل في نصوص الاتفاقية ثلاثة أيام وثلاث ليال نحذف من هنا ونضيف هناك متبعين في الاساس مسودة السير هيو ، الى أن اتفقنا في اليوم الرابع على كل شيء بما يرضيني ويرضي الشيخ، ولم يبق شيء إلا ان احضر الشيخ الى ظهر السفينة ليوقع الوثيقة بحضور

الكابتن دنيسون كشاهد .

ووعد الشيخ سلطان ان يأتي في الساعة الرابعة بعد الظهر ليحل ضيفاً على الكابتن دنيسون في حفلة شاي وحمية وانهاء القضية . وعدت الى السفينة منهوك القوى من الجهود التي بذلتها ومن شدة الحر الذي لا يطاق .

وفي الساعة الرابعة تماماً جاء الشيخ سلطان في زورقه العتيق فاستقبلته انا والكابتن دنيسون على ظهر السفينة واقتدناه الى غرفة القيادة حيث اعددت له مائدة من المأكولات والحلويات الشهية المتنوعة .

واصطحب الشيخ سلطان معه وزيره الذي لم اعد أذكر اسمه . وقال يخبرني انه زار باريس مرة ليبيع اللآلئ فعرفت ان تلك هي مهنته في حياته العادية . وبالطبع كان يعرف فيكتور روزنتال أحد كبار التجار في عالم اللؤلؤ ، وزائر دائم لمنطقة الخليج . وفيكتور روزنتال يهودي فرنسي من أصل روسي ، وهو شخصية جذابة وصديق قديم لي ولزوجتي . وكان العرب في كل مكان يعرفونه ويطلقون عليه اسم « أبو صناعة اللؤلؤ الحديثة في الخليج الفارسي » .

واستمتعنا بالشاي ولكن الشيخ سلطان بدأ يتصرف بصورة مزعجة . فقد شاهد في الغرفة صورة الملك جورج الخامس موقعة بخط يده ، ومحفوظة ضمن اطار فضي ، فقال انه يريدها . فقال الكابتن دنيسون انه لا يستطيع التنازل عنها لأنها هدية شخصية من الملك . ووقع نظر الشيخ على صورة كبيرة للسيدة دنيسون محفوظة أيضاً ضمن اطار فضي . فأصر ان يأخذها ولكن صاحبها رفض شارحاً للشيخ بكل أدب وتهذيب أنها صورة زوجته ولا يستطيع ان يتخلى عنها . ولم يرتدع الشيخ سلطان بل أمسك بعلبة فضية للسجاير أهدتها الملكة ماري للكابتن دنيسون عندما كان ضابطاً على اليخت الملكي . وقال الكابتن – واعتقد انه لم يكن حكيماً في ذلك – ان الشيخ سلطان بامكانه ان يأخذ أي شيء من الغرفة ما عدا تلك الاشياء الثلاثة .

وما كاد الكابتن يقول ذلك حتى كان الشيخ سلطان قد وضع في جيبه ولاعتين فضيتين ، وصورة للسفينة « بايدفورد » ، وعلبة سجاير فضية أخرى ، ونصف

مزينة ملاعق شاي ، وأمر عبده الأسود ان يحمل معه علبة بسكويت وكعكة لم تقطع بعد .

وكنت الا طيلة الوقت افكر في الاتفاقية وفي توقيع الشيخ الذي يجب ان أحصل عليه فذلك كنت دائماً اهمس في اذن الكابتن دنيسون قائلاً :

– دعه يأخذ تلك الاشياء .. لا تعكر مزاجه ... هذا اهم شيء .

ولم يكن الكابتن دنيسون يرافقني في قضية ملاعق الشاي فوعدته ان نعطيه مثلها . لقد كان ذلك درساً مفيداً ولكن مزعجاً .

وأخيراً جاء دور العمل . فأخرجت الاتفاقية الجوية ووضعتها على الطاولة وأحضرت القلم والحبر والاوراق وقلت موجهاً حديثي للشيخ :

– يا صاحب السعادة لقد حان الوقت لنهي المسألة القريبة من قلبينا والتي وافقت عليها سعادتك . فاذا سمحت روقعت هنا سأوقع انا تحت اسمك ويضع صديقنا الكابتن دنيسون توقيعه تحت توقيعي . وأخيراً يوقع سكرتير الشيخ السياسي الموقر تحت امضاء الكابتن الكريم .

واجابني الشيخ سلطان بقوله :

– لا تستعجل يا صديقي .. لا تستعجل . لقد وافقت فعلاً على نصوص الاتفاقية ووعدت بتوقيعها ولكنني قبل ان افعل ذلك يجب ان انتظر غروب الشمس حتى أصلي . فربما كانت لله ارادة يلهمها علي .

ولم يستجب لكل محاولات الاقناع التي بذلناها .

ثم سألني قائلاً :

– وهل هناك شيء افضل من ان يستلهم المرء توقيعه من صلاة الى الله .

انها حجة لا يمكن الاجابة عنها .

وبعد انتظار طويل حل جلس الشيخ سلطان خلاله على بساط مد خدامه على ظهر السفينة يشرب القهوة ويتحدث الى وزيره، غابت الشمس وبدأ الصلاة . واستغرقت صلاته ربع ساعة نهض بعدها ليعلن أنه على استعداد التوقيع الاتفاقية بشرط ان يشهد الكابتن دنيسون وداعه بطلقة مدفع تحية له عندما

يغادر السفينة . وليعدت له ان كل سفينة تأتي الى مينائه ويقوم هو بزيارتهـا ستطلق مدافعها تحية له . وقال الشيخ انه يشعر بأن الله سيذكره بشيء نسي ان يقوله قبل الصلاة وصبر على بالله .

اما الكابتن دنيسون فقد زمجر عندما علم بطلب الشيخ قائلا :

– اذا طلب مني ذلك الملك جورج بنفسه فلن استجيب له .. الا يعلم الشيخ ان اطلاق المدافع بالتحية ممنوع بعـد غروب الشمس حسب انظمة الامبراطية ؟

على هذه الصورة كانت جميع مناقشات الضابط المتوتر الأعصاب .

وقلت له :

– يرسـلك لا تخلق لنا صعوبات الآن . اطلق جميع المدافع التي لديـك وبالتحية الحية اذا اقتضى الأمر ودعنا نحصل على توقيع الشيخ سلطان .

وكانت مناقشتنا سريعة غاضبة ولكنني حثثته على الموافقة على اطلاق طلقة واحدة عندما يغادر الشيخ السفينة .

وزمجر الكابتن دنيسون قائلا :

– سأطلق له طلقة حية من مدفع عيار أربع بوصات .

وبعد ان شعرت بالنصر اعطيت الشيخ كل التأكيدات الضرورية .. ثم وقع الوثيقة .

وكانت قد مضت ساعة كاملة على غروب الشمس وبدء الليل يرخي سدوله . اما الحرارة فقد كانت اشد مما شعرت في أي وقت من ذي قبل .. وكان كل شيء خانقاً هادئاً هدوء الموت .

وفيما كان الشيخ ينزل الى زورقه انطلق صوت المدفع الى جهة البحر فوق زورق الشيخ ، وانطلق معنا دويـا هائلا يصم الآذان كاد يرمينا من على ظهر السفينة ويغرق زورق الشيخ . واخترقت القنبلة جـدار الليل الى الظلمـة اللامتناهية . (وبالمناسبة ، عاد الشيخ سلطان فحمل معه قسـماً من الكلام الكابتن دنيسون) .

أي تجربة ! لقد شكرنا الله وعدنا الى الغرفة ثانية حيث شربنا كأساً ثانية من الويسكي بجرعة واحدة .

وأخرج الكابتن دنيسون برقية من درجه وسلمها لي . ويعود تاريخ البرقية الى أربعة أيام خلت وهي موجهة الى قائد السفينة « بايدفورد » ليبلغها لي ، وصادرة من وزير الخارجية سيملا . وتقول البرقية انه علي ان لا افعل شيئاً في قضية الاتفاقية الجوية الى ان يحضر المقيم السياسي الجديد السير رتشارد فول ويتسلم مهام منصبه في الخليج الفارسي . وينصح وزير الخارجية في ختام برقيته انه من غير اللائق المضي في المفاوضات فور وفاة السير هيو بيسكو وان شيخ الشارجة سيكون أول من يفكر في ذلك .

وقال الكابتن دنيسون عابساً على طريقة نلسون : لقد حجبت البرقية عنك يا ديكسون لأنني قدرت ان وقت العمل قد حان وانه ما لم تتحرك بسرعة فان الاتفاقية الجوية لن توقع لا اليوم ولا في أي وقت آخر .

لقد صدقت .. ولكنني لم أنزعج لأنني كنت واثقاً ان حكومة صاحب الجلالة لن تخذلني بعد الجهود الناجحة التي بذلتها . وشككت في ان يكون الكابتن تشونسي قد اشترك في المؤامرة لحجب البرقية عني حتى انتهاء التوقيع على الاتفاقية . واشتركت مع دنيسون في صياغة نص برقية مهذبة الى سيملا نشرح فيها النجاح في مهمتنا وكيف ان عاصفة عاتية هبت على السفينة واضطرتني الى البقاء على الشاطىء مدة ثلاثة أيام حيث كان الاتصال بالسفينة متعذراً .. لقد كانت كذبة ضرورية .

لقد أزعجتني فكرة طلقات التحية في المستقبل . وفيما كنا نتداول في الأمر دخل علينا ضابط الملاحة ليعلن ان عاصفة ستهب علينا ، وقال ان الميزان قد انخفض الى الصفر ولذلك يتوجب علينا ان نبتعد بالسفينة عن الشاطىء الى عرض البحر .

وتحركت بنا السفينة بسرعة خارقة في اتجاه البصرة . وهبت العاصفة عنيفة عاتية بعد نصف ساعة واستمرت الى ان وصلنا الى مدخل شط العرب . ولم

أعرف شيئاً عن ذلك لأنني أصبت بدوار البحر ولزمت فراشي الى ان بان علينا ضوء منارة القاو في السادس والعشرين من تموز . انها اسوأ بحار في العالم وقد أكدت ذلك لي تلك الرحلة .

وبعد ستة أشهر تلقيت رسالة لطيفة من الشيخ سلطان بن صقر يذكرني فيها بالبندقيتين اللتين وعدته في احضارهما له من لندن .. ولكنني لم أعد ذلك التطلب بشيء من هذا القبيل ، لا ان موضوع البنادق لم يبحث على الاطلاق .

عشا وفيحا

بعد ان غادرنا نساء فيصل الدويش الى الرياض ، جمع ابن سعود قبضتين بالمجي، الى الكويت لزيارتنا . وكانت قد مضت ثلاث سنوات قبل ان نشاهد ابنتي الأخ ، عشا وفيحا ، اللتين كانتا مصدر سرور لنا اثناء اقامتها في الكويت . وقد سمعنا انها تزوجتا .

وفي يوم من الأيام سنة ١٩٣٣ ، وبينا كانت زوجتي مع ولدينا في انكلترا ، وصلت فيحا الى الكويت بصحبة زوجها عبد العزيز بن عبدالله استاجد الدويش من عشيرة الدوشان في مطير . ولم تكن تحب أن تأتي الى منزلنا لوحدها ، فبعثت لي برسالة تطلب مني فيها ان أزورها في منزلها المكون من غرفتين والذي استأجراه بالقرب من مستشفى الارسالية الاميركية . ووجدت ان فيحا قد أصبحت امرأة طرية جذابة مع ان ملامح الطفولة لا تزال على وجهها . كانت لوحدها في المنزل وأبلغتني انها حامل وتريد أن تبقى في المدينة على مقربة من المستشفى في حال تعسر الولادة .

إن بنات البدو لا يجدن مانعاً في أن يخبرنك أي شيء عن مثل تلك القضايا الخصوصية ، إذا كن يعرفنك جيداً ويثقن بك . وقد ساعدتها بمبلغ من المال لشراء بعض الحاجيات الضرورية والمغرية على قلب النساء العربيات في مثل هذه المناسبة . وفي الوقت المناسب وضعت فيحا طفلة أسمتها خزنه .

وبعد ثلاثة أيام من الولادة أخلت فيحا المنزل وانتقلت مع زوجها الى خيمة

ستأجراها في السناط على مقربة من المكان الذي تخيم فيه نساء من قبيلتها . وقدم جاء أولئك النسوة الى المدينة لشراء بعض الحاجيات فوجدن ان شيخاً من شيوخ القبيلة قد قدم الى المدينة مع زوجته . وهكذا وجدت فيحا نفسها بين أصدقائها ولكنها طلبت مني ان أحضر لزيارتها مرة ثانية لاتريني ابنتها الصغيرة خزنه . وكانت خزنه ملفوفة بثياب والدتها على عادة البدو ، وعلى عينيها انبراقتين كحل أسود . ووضعت في يدها الصغيرة روبية للحظ فأطبقت يدها عليها فوراً . وقالت لي فيحا انها آسفة من أجل زوجها لأنها لم تنجب له صبياً ، وانها ستعطي خزنه عروساً لابني سعود عندما تكبر .

وبعد أسبوع عاد الأب والأم والابنة الى الصحراء مرة ثانية ولكن بعد أن أعطيت فيحا معطفاً جديداً وعباءة ، وبعد أن أعطيت زوجها كيسين من الأرز وبعض القهوة .

ووصلت حمشا بعد ذلك بوقت قصير ، ولا شك في أن فيحا أخبرتها عن الهدايا الجميلة التي قدمتها لها . وكانت حمشا أقل تحفظاً بالنسبة إلى المجيء الى منزلي فصحبت معها بائته خادمة فيصل الدويش الزنجية التي كانت تعيش في الكويت . كانت حمشا أقصر وأخف من فيحا . وتقول بائته انها أجمل من فيحا ولكن البرقع الشديد السواد الذي كان يغطي وجهها لم يتح لي التأكد من ذلك . وبقدر ما يسمح لي وضعها فالله بالحكم عليها ، فان أجمل شيء فيها شعرها الطويل . وبطلب مني أخرجت من تحت برقعها رقها شعراً مجدولاً يصل الى ركبتيها في خصلتين تمتاز بها وتقول عنها بخبث : إن فيحا لا تملك قروناً مثلي .

ولا شك في أنها أكثر حيوية من شقيقتها ولسانها أكثر طلاقة . فقد أخبرتني عدة حكايات عن بيتها في الصحراء . وقالت انها جاءت الى الكويت بدون زوجها وانها تأمل أن أكون كريماً معها كما كنت مع شقيقتها . وقالت أيضاً ان فيحا بخير وتهديني مزيد السلام ، وانها ستأتيان معاً في المرة القادمة ولكن زوجها سعود رجل شديد الغيرة ولذلك فإنها لن تستطيع زيارتي في منزلي . وأبلغتها انني سأقابلها في خيمة زيد المنا خارج أسوار المدينة لأرى زيداً

وزوجته صديقتان عزيزتان .

وبقيت في الكويت أسبوعاً كاملاً استخلصت منها خلاله آخر أنباء الملك ابن سعود وعائلته . وسألتها عن بندر الدويش ابن فيصل . وعن مطلق بن شقير الدويش ، وهزاع بن بندر الدويش وشايقه محمد ، وعن محمد بن وتيسان الدويش وابن عمه خريب ، وكلهم من عشيرة الدوشان وشيوخ كبار في مطير .

وأجابتني على سؤالي بقولها :

– كلهم طيبين وكلهم يسلمون .

وقبل أن تغادر إلى الصحراء وعدتني أنها ستأتي لزيارتي مع قبيلها حالما تعود زوجتي من انكلترا .

وسألتها :

– كيف ستعرفين أن زوجتي قد أتت ؟

وكان جوابها :

– ستعرف بأسرع مما تظن . إننا نعرف كل ما يجري في الكويت وعندما تعود أم سعود تصلنا الأخبار بالرغم من بعد المسافة .

إن أهل الصحراء لا يفوتهم شيء .

وصممت في أن أقبل يدها قبل أن تذهب وبالرغم من أن يدها كانت قذرة إلا أنها يد أميرة . إن نساء البدو مؤنسات للغاية إذا كن يعرفنك جيداً .

ولدى عودة زوجتي من انكلترا ، كانت تمت عند كلامها فجاءت لزيارتنا مع شقيقتها قبحا . وقد قدمتا من آبار الحبه في الصمان على مسيرة اثني عشر يوماً برفقة واحد من أفراد القبيلة . وقالتا ان زوجيهما سيتبعانهما بعد أسبوع . ولما سألتهما ما إذا كانتا لا تخشيان السفر مدة اثني عشر يوماً لوحدهما وبرفقة رجل ، دهشتا من السؤال ولكنهما عندما علمتا ما أقصد قالتا :

– بالنسبة للصحراء ليس هنالك أي خطر على الاطلاق لأن ابن سعود كفيل بكل شيء . ولكن إذا كنت تقصد كيف نجرؤ على السفر لوحدنا برفقة رجل فذلك أمر طبيعي في الصحراء . فالنساء هناك في مأمن لأن البدو عندهم شهامة

ولا يعتدون على امرأة ولو أعطيتهم ذهب الأرض . وفضلاً عن ذلك ألسنا دوقيشات وأميرات في أرضنا ؟ ثم قالت بعد أن تجد لنا مأوى مريحاً يذهب وينام بعيداً . ألا يقول الرجال في بلادك إن لمس المرأة حرام ؟

وأدهشني هذا الجواب وأعجبت بتحررهما من عقدة الخوف الجنسي مما جعلني أفكر كثيراً في ذلك .

كانت حنا وفيحا طيبتين ولكنهما أصبحتا نحيفتين بعد تلك الرحلة الصعبة الطويلة إلى الجبه . وكانتا أيضاً قذرتين وبحاجة ماسة إلى الثياب . مسكينات إن حياتهن هي أصعب حياة يمكن أن يتحملها بشر ؛ حد أدنى من الطعام بدون أي تشكيل ، بدون أية عناية طبية ، وبدون ملابس نظيفة ، وحرارة الشمس الشديدة التي تبلغ ١٣٠ درجة فهرنهايت تنهك القوى ولذلك تصبح لهن رائحة كريهة وتجف بشرتهن فيصبحن كالجمال التي تكتنها قبائلهن . ولا عجب ، فإن حياة البدوي لا تتجاوز الخمسين عاماً . وتتحسن أحوال البدو ، كجمالهم تماماً ، عندما يهطل المطر في الصحراء أثناء الخريف والشتاء والربيع ، فيكثر حليب الجمال وينمو العشب على أجساد البدو بصورة مدهشة .

وكان اجتماع مؤنس بعد أربعة أيام عندما انضمت إلى الشقيقتين عمشا الأشرى ابنة فيصل الشبلان الذي جاء يطلب نصيحتي قبل أن يسلمها لابن معمر . واستضافت زوجتي الفتيات الثلاث مع سيدات أخريات من مطير في حفلة شاي خاصة أقامتها لهن في كشك الطابق السفلي من المنزل المخصص لاستقبال الزائرات من نساء البدو . وكانت حشالة بامشه مع جدة أخرى تدعى مستورة وابنتها مبروكة ، ومن عجمان الدوشان أطلق سيدهن ويسطن في دار للاستراحة في الكويت هدية لهن من الشيخ مبارك ويشغلن فيها سيدات شيوخ مطير اللواتي يأتين إلى المدينة .

وكانت المائدة التي أعدتها لهن تضم خروفاً كاملاً وعدداً من الدجاجات المحمرة وكومات من الأرز مع مرق البندورة . وقد انضممت إليهن بعد الغداء بينما كانت القهوة تدار عليهن . وأذكر أنني طلبت من فيحا أن تعطيني خالها

كذكرى لتلك المناسبة . وكان خاتماً ذهبياً أنيقاً فيه فص صدفي أخضر بحجم قطعة نقود صغيرة لكنه بيضوي الشكل . ومازلت الخاتم وهي تبتسم فضمته الى التذكارات الثمينة التي أملكها وكنت أريها إياه كلما جاءت لزيارتنا .

وبعد يومين جاء زوجا المرأتين لزيارتنا برجاله أيضاً هزاع بن بدر الدويش ابن أخ فيصل الكبير وزوج عمشا بنت فيصل الشبلان . أما هزاع فكنا نعرفه جيداً ولكن سعود وعبد العزيز الماجد كانا غريبين وتبدو عليهما ملامح اللطافة . وقد قمنا بتكريم الرجال الثلاثة نظراً لمنزلتهم وقدمنا لهم هدايا معتادة من القهوة والهال . وبعد أن اجتمعنا بالسيدات وأزواجهن مرتين في خيمة زيد النا غادرت عمشا وفيصا وزوجاهما الكويت وبقيت عمشا بنت فيصل الشبلان وزوجها هزاع .

وتجدر الملاحظة هنا الى ان أهل المكانة من رجال القبائل الذين يزورون الكويت لا يكتفون بزيارة الكولونيل ديكسون وزوجته بل يذهبون ويقدمون احترامات وتحية للحاكم والشيوخ آل الصباح الذين يعطونهم كسوة وشرابياً قبل أن ينصرفوا . تلك عادة قديمة من شأنها أن توطد العلاقات بين المدينة والصحراء .

لقد قال الرسول عليه السلام ما معناه : أعطوا الهبات تزرعوا المحبة في قلوب بعضكم البعض .

وانها من العادات القديمة عند زعماء القبائل أن يغادر الضيف منزل مضيفه قبل أن يستأذن . إن حكاماً كحاكم سعود وشيخ الكويت وغيرهم يستخدمون طاقماً منظماً من البدو للضيافة تحت امرة « مضيفجي » شغلهم أن يعرفوا بقدوم الزائرين المهمين الى العاصمة وذلك لاستقبالهم استقبالاً لائقاً وتقديم الطعام لهم كل حسب مكانته وإفهام الجمال لهم بهدية الحاكم لا يخرج منهم واحد خالي اليدين .

والزائرون من جهتهم يظهرون كل حشمة وأدب ، ولا يظهرون استعجالهم لزيارة الحاكم أو شغفهم بتقبل الهدايا . فمهمة « المضيفجي » إذن هي البحث عن

الزائرين الجدد والإلحاح عليهم لحضور مجلس الحاكم .

وبعد مدة من الزمان تلقينا رسالة سرية من فيحا وعمشا تقولان فيها ان مصيبة فادحة قد حلت بها . فقد أطلق زوجاهما ، عبد العزيز وسعود الماجد الدويش ، النـــار على سعود الجبعة وهو رجل قوي في قبيلة قحطان، تربطه بالدويشان علاقة زواج ، وأردياه قتيلاً ثم هربا الى العراق للخلاص من انتقام ابن سعود . ويبدو أن الجريمة تعود الى ثارات قديمة إذ ان والد سعود الجبعه كان قد قتل جد عبد العزيز وسعود الماجد قبل عدة سنوات . وقد أمر ابن سعود الذي كانت سياسته أن يمنع عـــائلة الدرشان من الانقسام على نفسها ، بوقف ثارات الدم وإحالة جميع قضايا القتل الى الشريعة لتحكم فيها . ومنع آل مــــاجد من اللجوء الى العنف ووضع حلاً معيناً . ولكن مع مرور الزمن شعر سعود وعبد العزيز أنه يتوجب عليهما مسح العار بفرض هلوية الدم وأخذ حقهما بأيديهما.

واستشاط الملك غيظاً من ذلـــك الحادث فأعلن مصادرة جميع ممتلكات وجمال الرجلين ومنعهما من العودة الى المملكة العربيـــة السعودية تحت طائـــلة الموت. وكاجراء احترازي فوري ، منع عائلة الجبعه من اية محاولة للثأر وانتهت المسألة عند هـــذا الحد . وبقيت الزوجتان الشابتان لوحدهما ذليلتين وبدون جمال، ولذلك لم يكن بامكانها زيارتنا إلا بعد فترة من الوقت .

بقي سعود وعبد العزيز في المنفى ثلاث سنوات ظلت فيحا وعمشا خلالهـــا متخفيتين . وسمعنا ذات يوم ان ابن سعود أصدر عفواً شاملاً عن الرجلين وانهما قدما الى الرياض لتلقي العفو شخصياً وليطلبا الغفران . ولم أدر مـــا هي قيمة الغرامة التي دفعاها للتسوية ولكنه تأكد لدينـــا ان سعود وعبد العزيز عـــادا لممارسة حياتهما العادية من جديد ، فكنا نأمل ان نشاهد صديقتينا الصغيرتين في وقت قصير .

ولم نخطيء في ظننا . فقــد جاءت فيحا وعمشا لزيارتنا بعـــد وقت قصير وسررنا لمشاهدتهما . وقد صحبتا معها اطفالهما لأن عمشا كانت في ذلــك الوقت قد أصبحت أماً لطفلين ذكرين . وكانت تبدو على المرأتين دلائل الأيام العصيبة

التي مرّ بها وظهرت عليها اعراض الشيخوخة قبل الاوان . وقد أرتني حصة المسكينة ضفائرها التي كانت في وقت من الاوقات طويلة جميلة ، وقد تقلص طولها الى النصف وأصبح الشعر فيها خفيفاً .

وطيبت خاطرها قائلة :

– لا تقلقي ، اما وقد عاد زوجك وأصبح بإمكانك الاكثار من الطعام وطيب الحال ، فإن شعرك سيستعيد نموه .

وقد عملنا كل ما في استطاعتنا لتجهيزهن بالطعام والملابس الجديدة والمال . وأعطت زوجتي لحصة طالاء لوجه قوي الرائحة فطلت به وجهها وهي في غاية السرور قائلة انه سيجعلها رائعة في عيني سعود . واتضح لنا من ذلك ان سعود قد ملّ زوجته الصغيرة وربما كان ابتعاده عنها ثلاث سنوات في العراق، وسحر الجمال الشمالي هما السبب في ذلك .

وعاد سعود وعبد العزيز وصحبا زوجتيهما الى الكويت في سنة ١٩٤٣ . وفي تلك المناسبة سرقت بندقيته وهو مخيم في الشاميه وهي بقعة يخيم فيها البدو خارج اسوار المدينة . فاتهم رجلاً من رعاة الشقق بسرقتها ، وبعد محاكمة استمرت أسبوعاً جلد الرجل وغرم بثمن البندقية . ولكن الرأي العام لم يكن الى جانبه وكانت زوجته تعرف ذلك . وفي تلك الاثناء لم تأت هي أو شقيقتها فيما لزيارتنا فقمنا نحن بزيارتهن في الخيمة ويبدو ان حصة كانت خائفة من زوجها وكنا نأمل ان لا يؤدي الأمر الى مأساة .

وقبل ان يغادروا المدينة بعد زيارتهم الأخيرة ، طلب الزوجان ان يأتيا لمشاهدة غرفة استقبالنا الانكليزية وخاصة الجلدين المعلقين على الحائط . ولم يحضرا زوجتيهما في تلك الزيارة الخاصة فاستقبلتهما زوجتي وكرمتهما . ان استقبال المختلط أمر يبدو أنه في غير محله في الجزيرة العربية . واني أعجب متى سيأتي دورهما !

غداء في الصحراء

لقد اشرت الى الحفلة التي اقامتها الصديقتين ومعها حصة بنت فيصل

الشلان . ومع ان هذه الأخيرة لم تكن من منزلة اجتماعية رفيعة كسبقتها ، لكنها كانت حالة جديرة بالدراسة . فقد كانت لها صديقة لا تفارقها اسمها وسمية وهي زوجة الشيخ محمد بن بدر الدويش شقيق مزاع زوج حمشا . ومع ان هاتين الزوجتين لم تكونا دوبشيات ، إلا ان حمشا رفيعا كانتا تعطفان عليها ، وكانت الأربع على علاقة صداقة وود .

وكانت حمشا بنت فيصل الشلان تحب زوجها كثيراً وكانت مرحة وطلقة اللسان كأية فتاة انكليزية . وكنت انا وزوجتي نحبهـا كثيراً ، وكانت هي تعرف طبعاً كيف انني انقذت والدها من الاعتقال بما أدى الى استعادة مكانته عند الملك وكسب عطفه ووداه . وكانت تتظاهر وكأنها في خوف دائم من ان يتخذ زوجها لنفسه زوجة أخرى غيرها ولذلك كان من السهل اغاظتها . ومن حيلها الأخرى أنها اوردت عبارة ثابتة غير النوبة ، ثم تلبهت لمـا قالته فلطمت بيدها وصرخت قائلة :

- يا ويلي .. يا ويلي .

وذات يوم جاءت الى منزلي مع طفليها وصرخت قائلة :

- يا أم سعود ، أنني أشعر بألم شديد في صدري يهز جسدي ، أظن انني اعاني من « البلش » .

و « البلش » مرض اجتماعي لا يجوز ذكره ولا يتحدثون عنه عادة . وطلبت منها رأة المحك ان له لسانها ففعلت بعد ان رفعت برقعها فظهر من تحت البرقع فم صغير رائع الجمال وذقن مزروعة بالوشم . وطمأنتها وأعطيتها جرعة من الكينا مع ست نقاط من الحامض . ولحت على الطاولة زجاجية فيهـا حلوى فطلبت ورامها طيلة الوقت .

وعادت إليّ مرة ثانية وتظاهرت أن مصيبة أخرى قد حلت بها وقالت إن والدها مريض وعلى وشك الموت في مكان يبعد خمسة وعشرين ميلاً عن المدينة . وأخذت تتوسل إليّ قائلة :

- يجب أن تأخذني بسيارتك يا ام سعود أرجوك أرجوك لأنني أعلم أنــه

بجانبه إليّ ويريدني الى جانبه .

وصدف أنني كنت ذاهباً وزوجتي الى مخيمنا على بعد ثلاثين ميلاً تقريباً من الكويت ، فأخذنا عمشا معنا . ولدى وصولنا الى المخيم علمنا أن فيصل الشبلان يمضي هنا عدة أميال وانه قد استعاد صحته . ولكن ابنته على كل حال استمتعت بالرحلة في السيارة .

أما صديقتها وضحه فكانت ضئيلة واسعة العينين . وكان زواجها من محمد الدويش عن حب جارف لأنه فضلها على ابنة عمها التي كانت ، حسب قول وضحه ، درويشة عادية ذات فم قبيح وشفة سفلى متدلية . ولكن وضحه كانت جذابة تميل الى المرح عندما تشجعها عمشا على ذلك . وغير ذلك كان فيها أمران مزعجان : كانت دائماً تتكلم بصوت عال هادر ، ودائماً تنبعث منهما رائحة الأطفال . فكانت تسمح لطفلها أن يبولا على ركبتيها دون أن ترى ضرورة في غسل ملابسها . ربما لم يكن لدى المسكينة ثياب أخرى لتبدلها . وعلى كل حال كانت رائحتها أسيناً لا تطاق . وعندما شاهدتها آخر مرة أبلغتنا بإعتزاز أن محمد لا يزال يحبها بصورة جنونية . وعلى حد قولها :

— هو يحبني ويموت عليّ .

واعتقد أن ذلك أمر لا بأس به .

لقد شاهدنا وضحه وعمشا في أحسن حال عندما قمنا بزيارة محمد بن بدر في الشق حيث كان يخيم مع شلير بن شفير . أما هزاع بن بدر الذي كانت خيمته الى جانب خيمة محمد ، فكان في الرياض يزور الملك ، ولذلك نزلنا في خيمة محمد . وقبل الغداء وبعد أن شربنا القهوة مع محمد تلقينا رسالة عاجلة من عمشا بنت فيصل الشبلان تقول فيها إنه يتوجب علينا تشريف خيمة زوجها الغائب في زيارة رسمية لتناول القهوة . ونزلنا عند رغبتها فاستقبلتنا عمشا استقبالاً رائعاً واحتفت بنا كما يفعل الرجال وأصرت على أن تصنع القهوة بيدها .

وبعد أن قمنا بواجباتنا عدنا الى خيمة محمد حيث أعد لنا غداء فاخر هو عبارة عن خروف طهي مع الأرز على طريقة البدو البسيطة . وبعد القهوة دعينا

رجعنا الى النصف الثاني من الخيمة حيث نتمنى وصحب لتناول فنجان من الشاي على الطريقة العربية . وكانت عمتنا مشاك طبعاً ، وشهرت المرأتان بأحلى حليها وكانتا رائعتي الجمال .

وقضينا ساعة ممتعة ، فكان محمد يقص علي الحكايات بينما كانت المرأتان تعبثان بجوهرات زوجتي وملابسها وحليها وشعرها ، وتسألان اسئلة تمتد طوال الوقت تتعلق بالزواج والجنس والاطفال وغيرها من القضايا المحرجة . ولم نوفر الى ان بدأنا مزاحاً عنيفاً على مرأى من زوجتي . واعترف انني اشتركت بحلقة المزاح فأخبرتها انه عندما يطلقها زوجاها سأتأذن الملك وأتزوجها كلاهما ، وانني قد حصلت على موافقة زوجتي بذلك . وانطلقت منها صرخات الاستحياج قائلتين ان زوجيها لن يطلقاها .

وقلت لها :

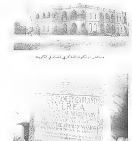
— لا تكونان كيدتين من ذلك . إنني أعرف لمن هزاع قد وقع نظره على فتاة جميلة في الرياض . أما بالنسبة لحمد فكل واحد يعرف انه يريد التغيير .

لقد قضينا بالفعل يوماً طيباً ودهشنا لأننا رأينا أولئك السيدات ذوات الأصل الرفيع وأزواجهن في منازلهن الصحراوية ، على قسط كبير من الانسانية ولا يختلفن في الأساس بشيء عن أهل بلادنا . ولاحظت ان محمد قد اشترك في حلقة المزاح لأنه يعرف انه يتمتع بمكانة عالية في القبيلة بحيث انه لا يخشى الشائعات وألسنة السوء .

هؤلاء هم أصدقائي من أهل الصحراء . لقد ذكرت كل تلك الوقائع التافهة من تجاربي المشابهة لها ، لأظهر مدى بساطة حياة أولئك القوم وكيف ان نساء البدو يتمتعن بجاذبية بريئة عادية اذا استطاع المرء أن يخترق جدار الشك وسوء الائتمان الذي يفصلون عادة عن الزائر الغريب .

سحر صلبة

ماذكر علي بن شويرية شيخ العزازن أحد فروع مطير ، لأنه قام بزيارتي



مستشفى اولدكوت التذكاري للنساء في الكويت

قبر وحيد في المقبرة المسيحية بالكويت بجانب رفات عربية عزيزة



شيخ شمبا بن شيبا من جبلان مطير (ونشته عجمه



عقيف الشامي من عجمان يحمل صقر الشيخ قدر الصباح الخاص الصباح



خميس بن رمضان من عجمان الذي يعتبر أعظم مرشد في الجزيرة العربية اليوم وهو موظف في أرامكو وصديق عزيز لنا



سيدة وهي من آل مرة وقد وضع طفلها في الزنبيل المعلق على كتف المرأة التي تبدو إلى اليسار

سريتين للعراق، محاولاً اقناع الملك فيصل بان راية النصر معقودة للاخوان او ذلك لكي يجر العراق الى دخول الحرب الأهلية ضد ابن سعود .

وبعد انهيار الثورة سيئة الحظ، لجأ عوني الى العراق ثم عاد الى السعودية بعد ان عفا عنه ابن سعود . وقد نشأت اول معرفة شخصية لي به في صيف سنة ١٩٢٠ وهي آخر سنة كنت فيها وكيلاً سياسياً لحكومة صاحب الجلالة في الكويت .

وذات صباح قدم لزيارتي برفقة عمه فالح بن شويربة ، وكان يبدو انه رجل مريض . وتناول فالح الحديث وأخذ يشرح لي ان عليا ابن أخيه جاء ليقابل الدكتور ميلري طبيب الارسالية الأميركية ، لأنه يعاني من تأثير سحر ألقته عليه زوجته ، ويعتقد انه ربما كان لدى الدكتور ميلري المشهور بمهارته ، سحر معاكس يقضي على السحر الواقع تحت تأثيره .

وقال فالح ان زوجة علي كانت تحبه حباً طاغياً الى ان لاحظت انه يفكر في الزواج من فتاة تنتمي الى قبيلة مجاورة ، فذهبت الى امرأة حكيمة من أخوية صلب المشهورات بالسحر ، واخبرتها قصتها وطلبت منها ان تسلط سحراً قوياً على زوجها لاستعادته ولتحطيم احتمال غريمتها .

وبهدية مغرية من المال على حد قول فالح وضعت المرأة سحرها موضع التنفيذ . ولا يستطيع ان يقول ما اذا كان نوع من السحر (سم سحري) قد وضع في قهوة علي ، ولكنه يرجح ان يكون قد وضع شيء سري في وسادته او في المسند الذي يتكىء عليه عند الاستراحة . وربما كان ذلك حرزاً مكتوباً مع سحر معين ، او شعرات من لحية علي، وقطعاً متنوعة الألوان من الحرير ، وعدداً من الابر وغيرها من أنواع السحر الشرير التي لا تفهمها الا النساء اللواتي يتصلن بالصلبه . وأيا كان نوع السحر فان نتيجته كانت مؤلمة . فالشيخ المحبوب الذي كان في يوم من الأيام جيلاً شجاعاً لا يعرف الخوف قلبه ، قد تحول الى رجل ضعيف محطم ، ولذلك يتوجب عمل شيء لانقاذه .

كان فالح يتكلم طيلة الوقت وابن أخيه جالس لم ينطق بحرف واحد لكنه

كان يهز رأسه من وقت لآخر اشارة منه الى أن مايقوله هو صحيح .

رسألته :

- ياشيخ علي ، ألا زلت تحب زوجتك ؟

فأجابني بقوله :

- نعم ، وهي تحبني كما تحب امرأة في العالم من قبل . لكنها أصبحت مجنونة وسيطر عليها وهم بأن زواجي من امرأة ثانية يعني نهاية حبي لها . انها مجنونة وغير معقولة الى درجة كبيرة .. ولكن ما الحيلة مع امرأة مجنونة ؟ لقد أخبرتها مراراً وتكراراً أن الزواج من امرأة ثانية مسموح للرجل ولكنها لا تقتنع . وانت تعرف أن هذه عاداتنا نحن العرب .

وكتبت رسالة للدكتور ميلري طلبت منه فيها ان يفحص الشيخ علي بعناية ويدخله الى المستشفى اذا اقتضى الأمر . وذكرت له ان المريض شيخ مرموق في السعودية وانني أود مساعدته في قضية نفقات المستشفى أو الأجور اللازمة . ولم أذكر له شيئاً عن مسألة السحر . وسلمت الرسالة لعلي وأرسلته مع فالح الى مستشفى الارسالية .

وبعد مضي يومين جاءني فالح لوحده . ولما سألته عما وراءه من أنباء ، بعد تناول القهوة ، سلمني رسالة جوابية من الدكتور ميلري قال فيها أنه فحص المريض بدقة ووجده مريضاً بالسل في درجاته النهائية ، فأدخله الى المستشفى لمعالجته . وأعرب الطبيب عن خوفه من أن وفاة الرجل أصبحت مسألة أسابيع معدودة ما لم ينتقل الى مصح حالماً في لبنان وحتى هناك لن تنفعه إلا أعجوبة .

وأخذت أشرح لفالح باختصار مضمون الرسالة ، وكان يصغي إليّ بأدب الى أن انتهيت فأجابني بقوله : - الطبيب غلطان . نحن العرب نعرف ما هو السل . إن مرض علي ليس من هذا العالم ولكنه نتيجة سحر - سحر شرير . فاذا كان الطبيب يعتقد ذلك ، فإن عليّ أن أقوم بترتيبات أخرى وكل شيء في النهاية بيد الله .

وأحرجني كلامه فأخذت أشرح له أن الدكتور ميلري مشهور بين البدو

لسعة معرفته والتي يحظى بتقدير جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وسمو الشيخ أحمد حاكم الكويت ، وتوسلت إليه أن يعطي الطبيب فرصة قبل أن يقدم على حل متسرع .

وقبل أن يخرج فالح من مكتبي ، وكان غاضباً مسعوراً ، أشار الى أنه إذا توفي علي سينقلب الى حفر الباطن على جناح السرعة ليذبح زوجة على الساحرة المجرمة . وقال :

– إنها لن تعيش إذا توفي علي بن شويربة .. أقسم بالله .

ولما وزنت تلك العبارة وتأملت فيها أرسلت بعد خمسة أيام رسالة شفهية سرية خاصة الى زوجة علي أحذرها أن تختبيء في مكان أمين . وقبلت الزوجة نصيحتي فغادرت خيمتها سراً ولجأت الى خيمة قائد سرية الملك التي كانت مخيماً مع عائلته في حفر الباطن ، و « قربتوها » — على حد قول العرب — أي أعطوها الحماية . واعتقدت أنها أصبحت في مأمن .

ثم تلقيت رسالة مستعجلة من الدكتور ميلري يخبرني فيها أن الشيخ علي بن شويربة قد نقل من المستشفى وان الشيخ فالح أتى بسيارة وأخذه . ويبدو أن ميلري انزعج من ذلك التصرف .. وهو أمر طبيعي . وبعد تحريات قمت بها علمت أن فالح أخذ ابن أخيه الى امرأة عجوز معروفة في المدينة بأن لها قدرة خاصة ، كما يقول الرجال ، وتتعاطى فقط قراءة مقاطع خاصة من القرآن الكريم فوق المريض ليلاً نهاراً .

وقالت المرأة العجوز لفالح :

– تدفع لي فقط إذا شفي الشيخ .. أما إذا قضيت فلا تدفع لي شيئاً .

وعاش علي بعدها عشرة أيام فقط وأعطى عمره . فقالت المرأة :

– ما الفائدة . اراد الله أن يموت .

ولم أعد اسمع شيئاً عن هذه القضية طيلة فصل كامل تقريباً الى ان وصلتني أنباء مزعجة تقول ان عجيب بن شويربة شقيق فالح قد زحف متسللاً الى خيمة قائد سرية الملك في هدأة الليل والجميع نيام ، واطلق النار على أرملة علي

فأرداها قتيلا .

ويقول البدو الذين يحبون فوق كل شيء تسميع الحكايات ، ان عجيب قبل ان يقتل ارملة علي ايقظها من نومها بهدوء ، وهمس في اذنها ان جرائمها كذا وكذا ، وان الوقت قد حان لتكفر عنها . انا لا اصدق هذا الجزء من القصة ولكنه قد يكون صحيحاً . وتمكن الشيخ عجيب ان يهرب سالماً ولم يعثر عليه بالرغم من التفتيش الدقيق في كل مكان . كانت الحدود العراقية قريبة فذهب الى المنفى الاختياري لمدة سنتين ثم أعد خطة للعودة الى السعودية تقضي بان يدخل على شخص كبير في السلطة ويطلب منه التوسط له . ووجد طريقه سراً الى الهفوف حيث تسلل الى منزل سعود بن عبدالله بن جلوي آل سعود امير الاحساء ودخل عليه . وابرق سعود بن جلوي بالنبأ الى الملك الذي أرسل له امراً فورياً باعدامه لأنه قتل شخصاً آمناً تحت حماية قائد سرية صقر الباطن .

وأخذ سعود بن جلوي يماطل بذكاء شارحاً للملك ان عجيب دخل عليه وطلب الحماية في منزله . ولذلك فان قتله سيكون له مضاعفات سياسية في كل مكان وخاصة في مطير . ثم ألم يقتل فهد بن جلوي ، شقيق سعود ، فيصل الدويش شيخ عجمان بعد أن دعاه الى خيمته وسقاه قهوته ... فجر هذا العمل عجمان كلها سنة ١٩٣٠ الى الثورة علناً ؟ ثم الم يصب الملك عبدالعزيز جام غضبه سنة كاملة على عبدالله بن جلوي آل سعود حاكم الاحساء وقتذاك ووالد فهد وسعود؟

بهذه الحجج وغيرها تمكن سعود بن جلوي من اقناع الملك الذي أمر باعفاء عجيب من عقوبة الإعدام ولكنه أصر على سجنه ستة أشهر تحية للشرف . وبعد انتهاء فترة السجن رتب عجيب الذي يساعده طالع الطلب الذي اصبح شيخ برزان مكان المرحوم علي ، أمر تزويج عبد المحسن شقيق سعود بن جلوي من سالفا ابنة علي الجميلة . وكان الكل سعداء وعلى استعداد لنسيان الماضي .

وبعد خمس سنوات من تاريخ هذه الاحداث قدم الشيخ عجيب الى الكويت وأقام خيمته قرب المكان الذي كنت مخيماً فيه في ابرق خيطان . ودعانا ذات يوم الى الغداء وهمس في اذني ان سالفا ابنة علي وزوجة الشاب عبد المحسن بن

جاوي موجودة معه في خيمته ولكنها مريضة ، واراد ... تذهب زوجتي لزيارتها وان تصحب معها ان امكن الدكتورة روث كراوز طبيبة الارسالية لفحصها . وكان شديد الخوف عليها ظناً منه انها واقعة تحت تأثير السحر .

وسألته :

– ألست انت عجيب الذي قتل زوجــة علي بن شروية البريئة بدون أي سبب ؟

– نعم الا قتلتها .

قبل ذلك بحضور خمسة عشر رجلا من البدو كان يشربون القهوة معي .

واضاف قائلا :

– ولما بعد وجدنا السحر الذي وضعته فشيخنا علي وذلك فان قتلها له ما يبرره .

وسألته :

– اي نوع من السحر هو ذاك ؟

– انه وثيقة طويلة مليئة بالكتابات الشريرة . لقد وجدناها مدفونة بالقرب من احدى الدعائم الخشبية التي تجر بواسطتها الماء من آبار الحفر . وكانت الاشارة الى الشكان عظمة جمل .

وفك هذا الجواب السخيف عقدة لساني والتفت الى عجيب والرجـــال الجالسين معنا محاضرة طويلة عن سخف معتقدات البدو فيما يتعلق بالسفوى والسحر وغيرها من الخرافات . واخبرتهم انه منذ ثلاثمائة سنة كان الانكليز يعتقدون نفس المعتقدات ولكنهم اليوم يضحكون من مجرد ذكر مثل هذه السخافات . واخبرتهم اشياء اكثر من ذلك ولكنني كنت اشعر انني اخاطب آذاناً صماء .

وتحدثت بعجيبا انجليزي في ان دم رجل بزراني يستطيع ان يشفي رجلا أو جملا أو حصانا أو خروفا عضه كلب أو ثعلب مسعور « من الجنون الميت . وذلك كما ذكرت آنفا » اعتقاد سائد في الجزيرة العربية . وأجـــاب عجيب على كل تهكماتي تلك بقوله ان العرب وحدهم يفهمون تلك الأمور . وقال بالحرف

نحن نعرف شيء وانتم تعرفون شيء .

وفي اليوم التالي صحبت زوجتي معها من الكويت الدكتورة جغرارز التي شخصت مرض سلنا الجميلة بأنه سل ربما انتقل اليها من والدها . وعند بلدت المسكينة بعد عدة اشهر الى الاحساء حيث فارقت الحياة .

ويسرني ان اسجل هنا ان ليس كل البدو كاليوزان الذين عرفوا بغباوتهم وتعصبهم وامتلاكهم لطبع خاص بهم .

دغيمه ووكر الثعلب

دغيمه هي الابنة الجميلة لمزيد المطيري احد الخدام الذين رافقونا في جولاتنا عبر الصحراء حول الكويت . وكانت ، مع صديقتيها الاكبر منها ، وضحا وضحيه ، ابنتي شويحي الحرميت احد البياعنا من العوازم ، رفيقة هشا ابنة سالم المزين دليلنا في الصحراء ، لا تنفصل عنها قيد انملة .

وفي ذلك الوقت كانت وضحا وهشا تبلغان الخامسة عشرة من العمر بينما لم تكن ضحية لتجاوز الثانية عشرة ودغيمة العاشرة من العمر . كانت دغيمه يتيمة الأم فكان والدها مزيد يعتني بها فيطهي لها الطعام عند غروب الشمس ويعتني بحاجاتها الملحة في الصباح . ولم تكن دغيمة قوية البنية ونادراً ما كانت تبتسم .

وفي أيام العيد كان الفتيات الأربع يأتين الى خيمتنا مع امهاتهن وعماتهن ، حيث كن عند المساء يقمن بأداء رقصات واغنيات بدوية وهن في ثياب العيد الزاهية وشعرهن مسدول على اكتافهن . كانت رقصاتهن خاصة بهن وهي عبارة عن حركات وهز خفيف يميل فيها الرأس بشكل دائري مرة الى اليمين ومرة الى اليسار . ولم يتوقفن عن الرقص إلا عندما يطغى عليهن الاعياء والدوران ، ثم يركعن امامنا لتلقي التهاني والمدائح . وكانت دغيمة اكثر رفيقاتها خجلاً .

وفي أواخر تشرين الثاني سنة ١٩٣٥ قمنا باحدى رحلاتنا المعتادة مع سالم ومزيد وشويحي وعائلاتهم وامتعتهم ومواشيهم ، باتجاه منخفض الشق عند

حدود الكويت الغربية . ووصلنا الى قلة آرميه وأقمنا خيامنا هناك ومجموعها ست خيام بما فيها خيمتنا السوداء الجديدة التي كانت تبدو بارزة بين الخيـــام .

وقضيت أنا وزوجتي نهـاراً في الصيد مع سعود بن غزلان الذي يهتم بسلور الصيد الخاصة بالشيخ أحمد حاكم الكويت، أي آم الشلاذين وملسا شد السعادة. وعدنا الى المخيم قبل غروب الشمس ومعنا كيس فيه خمس حباري ، فسلمناها الى زوجة سالم الحشا - لو عطشي لا يلذبونها - لتطبخها .

وكان المساء بارداً فسرنا أن نجلس حول النار لاحتساء قروات من جذا الحروف تحتسي القهوة . وبعد غروب الشمس بوقت قصير تحول الطقس تحولاً ملحوظاً وهي ظاهرة عادية في قلب الصحراء في مثل ذلك الوقت . فقد تلبدت غيوم كثيفة سوداء فوق رؤوسنا من الشمال سبقتها ريــح باردة كالثلج هبت بقوة العاصفة .

ووضعنا كومة من الحطب فوق النار واغلقنا الستائر الخلفية للخيام بان دفنا اطرافها في الرمل وشددنا حبالها جيداً على الاوتاد . واشتدت حلكة الليـل في تلك الاثناء واذكر اني خرجت لأتفقد قرب الماء التي قيل انها تجمدت خــلال فترة لا تتعدى الساعتين من وصولنا الى الحي . وبصعوبة فائقة جمعت الأغنام في الظلمة مع جمال سالم وآوى بعضها داخل الخيام وبعضها الآخر خارجها . ومما زاد الرعب سوءاً ان المطر بدأ ينهمر بغزارة ممزوجاً بالثلج والبـرد الامر الذي أضاف الى حلكة الليل حلكة جديدة ودفع الى تحت الحاف كل من سولت له نفسه الخروج لمواجهة العاصفة .

وفجأة طلع صراخ بان دقيمة لم تأت الى الخيمة وان واحداً من جمال أبيها لم يصل بعد . وعقدنا مجلساً طارئاً ذكر فيه ان دقيمه خرجت لوحدها بعـد الظهر لترعى جمال أبيها وهي ترتدي دشداشة قطنية خفيفة وبدون عباءة تقيها البرد والمطر ، وانها شوهدت آخر مرة على بعـد أربعة أميال . وكان مزيد والدها قد ذهب الى الكويت لشراء بعض المؤن .

وبدأ المطر عندئذ ينهمر كالسيل . وبالرغم من أن عتيبنا كان قائما على أرض

مرتفعة ، فانه اصبح صفحة من الماء تدخل اليه من جهة وتخرج من جهة . وكل ما كان باستطاعتنا ان نفعله هو ان نجمع القش والبسط على بعضها ونجلس فوقهما في الظلام .

ولكن دفيء المسكينة ستأثرت بكل تفكيرنا . وقد حاول سالم والثلاثة من الحرس أن يقوموا بجهد بطولي للوصول إليها أثناء الليل ولكنهم لم يستطيعوا التقدم كثيراً واضطروا الى العودة عند منتصف الليل منهوكي القوى . وقلنا جميعنا قلقاً بالغاً ظناً منا أن الفتاة قد تجمدت من البرد منذ فترة طويلة .

وفي الساعة الرابعة صباحاً توقف المطر وكانت المنطقة كلها عبارة عن بركة ماء يلفها الضباب . وكانت الرؤية لا تتعدى عشر ياردات ومع ذلك أوصلنا فريق للانقاذ - كنت أنا واحداً من أعضائه - بقيادة سالم لنرى ما حل بالفتاة وجمالها . ووجدنا طريقنا بجهد على آثار أقدام الجمال باتجاه الكويت . وكانت الأرض على جانبي الآثار صعبة تتألف من كتل كبيرة من العشب المعروف باسم « ثنـدا » تجمعت على قواعده مرتفعات من الرمل يبلغ ارتفاع بعضها أربعة أقدام ، مما جعل تقدمنا صعباً للغاية .

وعند الفجر وصلنا الى المكان الذي يقصده سالم ولكننا لم نجد أثراً لدفيه أو جمالها . وتفرقنا كل واحد في جهة على أمل أن نعثر على جثة الفتاة متجمدة . وفجأة سمعنا صراخاً فركضنا باتجاه الشخص الذي كان يصرخ ويلوح بيديه .

ووجدنا دفيه وقد انطوت على نفسها داخل وكر للعشب . لقد كانت على قيد الحياة ولكنها بالغة الاعياء وغير قادرة على التحرك من البرد . وحملناها الى المخيم بفرح عظيم . وبعد ان أدفئت بجانب النار وأعطيت شراباً ساخناً وبعض الطعام استطاعت أن تقص علينا قصتها . ويالها من قصة الأطفال حدثتنا كيف أن جمالها ضاعت في الليل عندما بدأت تشتد غزارة المطر . ولكنها ، كفتاة بدوية ذكية ، قررت أن تجد لنفسها مأوى بالرغم من الخوف والمطر والظلام والبرد القارس . ورأت وهي مبللة بالماء وكمائد قوة الريح ، أن تحتمي وراء تلة رملية حولها فاختفت تحرم في المكان بحثاً عن واحدة كبيرة .

وقالت دغيمه :

- إنني لم آتيك ولكنني كنت خائفة . وساعدني الذئبان فاذني الى ركـــز فشلب العذارى أكبره وأحمله . ولم يكن ذلك صعباً لأن الرمل كان رطباً . ثم رحلت الى الركز هرباً من الريح التي كانت تهب من فوق الركز الى جذور فشدا فلم يصل الى الركز إلا القليل القليل من المطر .

واعتنينا بدغيمه عناية فائقة طيلة اليوم التالي لا لأنهـــا أظهرت شجاعة وروحاً عالية فقط ، بل لأنها عضو عزيز في عائلة نجيبنا . ووصل والدها الى المخيم بعد يومين وكان شبه مجهـــد من قمرشه البرد ولكنه واصل سيره قلقاً على جماله . وكان تعليقه الوحيد عندما سمع قصة مغامرة ابنته :

- شكراً لله .. لقد فعلت حسناً .. ولكن ماذا تتوقعون من ابنتي ؟ انها شيطانة صغيرة .

ووجدت جمال مزيد سالمة كلها بالقرب من واحة جبرا ولم يصب واحد منها بأذى ولكن العاصفة قتلت تسعاً من أغنام سالم رجلاً مريضاً .

حلم امرأة من عتيبه

أخبرني هذه القصة في المخيم بتاريخ ١٣ شباط سنة ١٩٣٧ شخص مرموق من رعايا الكويت التابعين لقبيلة عنيزه لدى وصوله من الرياض . وليس هنالك سبب يدعوني للشك في صحتها ، فالرجل يحمل سمة حضرة وأخباره موثوقة وهو وليس شخص قوي التصور ويتمتع بثقة واحترام الشيخ . وما يحجب اسمه لأسباب معروفة .

قال ان امرأة معروفة من عتيبه عاشت خارج الرياض عدة سنوات وعرف الجوار بأنها امرأة حكيمة قادرة على تفسير الاحلام ، قد حلمت حلماً اثناء شهر رمضان الأخير .

لقد حلمت انها كانت جالسة تغزل الصوف خارج خيمتها عند المساء ، عندما لمحت رجلاً قادماً نحوها من بعيد . وكان الرجل طويلاً كبيراً رقيق الوجه . ...

وصل اليها حياها وقال لها :

- ايتها المرأة ان امد الملك عبد العزيز آل سعود ثلاث سنوات أخرى فقط يعيشها وقد دخل في السنة الأولى منها التي بدأت ببدء صيام رمضان . وعندما يموت سيكون هناك حزن عميق عليه في طول البلاد وعرضها وستشن كل قبيلة الحرب على الأخرى ويقوم كل واحد من أبناء الملك على أخيه . انهضي ايتها المرأة وحذري أولادك الثلاثة ان يشتروا السلاح والذخيرة استعداداً للاضطرابات العظيمة لأن يد كل رجل ستمتد الى جاره ولن يكون أحد في مأمن . اما انت ايتها المرأة فستموت بعد خمسة أيام لأن الملك أمر رجال حربه بالبحث عني وقتلي . فهو قد غضب غضباً شديداً لأنني قلت الملك بمقدم الأنباء السيئة الطالع .

ولما افاقت المرأة من حلمها قلقت كثيراً فأرسلت الى أولادها الثلاثة تقول لهم :

- يا أولادي ، ان روح الله ظهرت علي وانا نائمة وحلمت ان ملاك الرب حضر عندي وكلمني كذا وكذا . انهضوا واذهبوا الى المدينة واشتروا لأنفسكم اسلحة الحرب لأنه كتب على ابن سعود ان يموت خلال ثلاث سنوات وستحدث اضطرابات عظيمة في البلاد تشملكم وتشمل أولادكم . اما بالنسبة لي : امكم العجوز ، فقد أصبحت على قاب قوسين أو ادنى من الموت لأنه ظهر لي انني سأقتل خلال خمسة أيام من هذا اليوم .

ودهش أولاد المرأة لكلام والدتهم فتشاوروا فيما بينهم وقرروا ان يفعلوا ما أمرتهم به واقسموا فيما بينهم ان لا يخبروا أحداً بما سمعوه . ومضت أربعة أيام دون ان يحدث شيء ، وفي اليوم الخامس شاهدوا فريقاً من الخيالة المسلحين يتقدمون بسرعة نحو خيمتهم . ولدى وصولهم الخيمة ترجلوا الى الأرض واقتحموا الى الخيمة . وصرخ قائدهم قائلاً :

- اين راعية البيت .

وأجاب أولادها بقولهم :

- انها في الداخل أيها الصديق ماذا تريد منها ؟

وفي تلك اللحظة خرجت والدتهم من جناحها في الخيمة فاطلقت عليها النار فوراً وسقطت قتيلة . وكل ما قاله القائد الطازي وهو يغادر الخيمة مع رجاله :

- ان اوامر تلك مشددة وان يده الطويل حيث توجد الساحرات .

ابلغني صديقي ذلك بكل أسف وكأن الويلات والخراب سيحلان على نجد . وقال ان مقاصة طمستها السلطات السعودية ولكنها انتقلت بالهمس من فم الى فم بين قبائل البدو في الجزيرة العربية . كيف يكون الملك مع قصة حسم تلك المرأة ؟!



في ٢٣ كانون الأول سنة ١٩٣٤ منح الشيخ أحمد بموافقة الحكومة البريطانية، امتيازاً للتنقيب عن النفط لشركة نفط الكويت وهي شركة انكلو – اميركية مشتركة. وفي صيف سنة ١٩٣٥ قام الشيخ بزيارة خاصة للندن حيث استقبل استقبالاً حافلاً. وفي أول نيسان سنة ١٩٣٧ منح لقب صاحب السمو من قبل الحكومة البريطانية وبعد ذلك بفترة قصيرة منح لقب K. C. S. I.

ولما بلغت سن التقاعد من الخدمة في الجيش سنة ١٩٣٦ وبالتالي من منصب الوكيل السياسي لحكومة صاحب الجلالة، اصبحت الممثل المحلي الرئيسي لشركة نفط الكويت. وحل مكاني في منصب الوكيل السياسي الكابتن جيرالد دي غوري.

وفي تشرين الأول سنة ١٩٣٧ قمت مع زوجتي بزيارة الرياض حيث حللنا ضيوفاً على ابن سعود وكانت المسافة التي قطعناها بالسيارة خمسمائة ميل في كل اتجاه. ولدى عودتنا سجلت زوجتي بعض الانطباعات. أما أحاديثي الخاصة مع صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود أثناء إقامتنا في الرياض والمسجلة

ايضاً في هذا الشمس ، فكانت مشرقة ومليئة بالدهشة وخاصة عندما نبحث قضية فلسطين . وفي الواقع ، كانت كلمات ذلك الرجل العظيم والصديق الصادق للحكومة البريطانية ، كالندوة وتنطبق على يومنا الحاضر . ويراً بوعدي سجلت كل ما دار بيني وبينه من أحاديث بعد كل مقابلة من المقابلات الثلاث التي تكرم ومنحني اياها ، ولدى عودتي الى الكويت ، سلمتها بظروف سري شخصي الى المستر والتون مساعد وكيل وزارة الخارجية — دائرة الهند لمعرفة ومعلومات حكومة صاحب الجلالة .

رحلة الى الرياض بالسيارة

بقلم فيوليت ديكسون

بين بساتين النخيل في منخفض تحيط به الصخور الجافة ، تقع مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية .

لقد دعا الملك عبدالعزيز آل سعود صديقه ديكسون لزيارة الرياض عدة مرات . وذلك الصيف وبينما كنت في لندن استحصل زوجي على الاذن من وزارة الخارجية ومن حكومة الهند للقيام بهذه الرحلة، او شركة النفط مانعاً في ذلك . وتلقينا رسالة من ابن سعود يقترح فيها ان نأتي الى الرياض إما قبل رمضان الذي يبدأ في ١ تشرين الثاني وأما بعد العيد مباشرة . وبما ان الرحلة كانت تقتضي مسيرة ليلة او ليلتين في الصحراء ، فوجدنا من الأنسب ان نذهب قبل رمضان اذ يكون الطقس لطيفاً غير شديد الحرارة ولا شديد البرودة .

ووصلت من انكلترا في ١٢ تشرين الأول فوجدت ان جميع الاستعدادات قد اتخذت للسفرة في سيارتين فجر الحادي والعشرين ، وأرسلنا برقية بهذا المعنى الى الملك . وجربنا قرب الماء وطلبنا خيمة كالتي يحملها الحجاج معهم الى مكة وغيرها من الأشياء الخفيفة الضرورية جداً لئلا نثقل السيارتين اللتين كانتا ستقطعان رمال صحراء الدهناء الصعبة .

وفي صباح الثامن عشر جاء عبدالله النفيسي وكيل ابن سعود التجاري في

الكويت لزيارتنا وابلغنا انه تلقى برقية من الملك يقول فيها انــه ذهب ليخيم ويطلب منا ارجاء رحلتنا بومين ليتمكن له استقبالنا في الرياض .

وقبل ساعة من غروب الشمس في ٢٢ تشرين الأول أحضرت السيارتان الى باحة منزلنا الخلفية حيث حشت بالأمتعة والاطعمة الضروريـــة والوقود الاضافي والماء وغيرها .. طعامنا الذي أعد في الصباح ، وكان عبارة عن سبعة قرابيس طهيت مع الأرز على الطريقة العربية ، وأربعة أرطـــال من اللحم ، وأربعين رغيفاً من الخبز العربي وعلبة من الحلوى وكمية من التمر ومؤونة من البيض المسلوق .

ووصل الدليلان سالم المزين وسعود بن غزلان مع سائقي السيارتين الى منزلنا قبل شروق الشمس بساعة ، وبعد افطار سريع كنا جاهزين للسفر ، وكنت وهارولد نرتدي الألبسة العربية ، وركبنا في المقعد الخلفي باحدى السيارتين وجلس سعود بن غزلان في المقعد الأمامي الى جانب السائق محمد القدقان . أما السيارة الأخرى فكان يقودها عبدالعزيز الفهد وركبت في مقعدها الأمامي حسني خادمتي العربية ، وركب في المقعد الخلفي سالم المزين وطاهر قطيفة .

لقد بدأنا السير مع طلوع الشمس . وعندما وصلنا الى الباب حيث جاء الرجل الكبير خان بهادر ملا صالح وزير الشيخ أحمد ومعه ابنه عبد الله الملا لوداعنا والتمني لنا بأن تكون سفرتنا سعيدة . وبعد مسيرة ٤٠ دقيقة عندما اقتربنا من الكبد لحق بنا الوكيل السياسي الكابتن دي غوري الذي كان في رحلة صيد مع عباس صاحب القصر . وجاء الرجلان معنا الى الحدود قرب منقش .

وبعد أن اجتزنا الأراضي المنبسطة المليئة بشجيرات العرفج حول منــاقش وصلنا الى شعبة جليم ومنها الى أرض منبسطة وممتدة على مساحة شاسعة تدعى قرعه ، لا يوجد فيها العرفج ولكنها مغطاة بعشب يابس وبالشي من الربيع الفائت . وكان الطريق من هناك سهلاً فسرنا فيه بسرعة كبيرة ، وهناك شاهدنا غزالين كانا يقفزان في طريقنا ثم توارياعن الأنظار الى يميننا .

ولكي يكتب هارولد تقريراً عن الطريق من الكويت الى الرياض ، أخـــذ

يدون بعض الملاحظات عن البلاد ـ تشدة على جانبي الطريق مستخدماً في ذلك لوحة للرسم وريشة وعتاد السيارة . وقد أخذ معه منظار الميدان وبندقيته .

وأكملنا سيرنا غير شماري وضحا ـ المكان الذي كان يخيم فيه ابن سعود سنة ١٩٣٠ وحيث قام هارولد بتسليمه ليعمل الدويش والزعيمين الثائرين الآخرين ـ الى بلاد الحضر التي قبلتها أرض مشقق تدعى هضبة الوربعة وفجأة لاحا في مكان منخفض الحصن الجديد في جوبه علينا . والى يمين ذلك المكان ظهرت بيوت مصنوعة من الطين يبدو انها تشكل قرية صغيرة فيها عدد من أشجار الأثل بين البيوت . وفي منحدر امام القرية بانت علينا حوالي مائة وخمسين خيمة سوداء من خيام البدو .

وسرنا بإتجاه الحصن الذي كانت أبوابه مفتوحة وفيه عدد من الرجال يجلسون على مقعد عند المدخل .

ـ السلام عليكم .

ـ وعليكم السلام .

وبعد التحية أسرع رجلان من داخل الحصن وأخطب البوابة الكبرى في وجوهنا !

ونزل هارولد والدشيلان من السيارتين ثم جاء الأمير ودعانا لتناول القهوة في الداخل . فذهب الرجال معه الى الحصن وبقيت أنا مع حمدي في السيارة .

وانتظرنا طويلاً . ماذا حدث ربما للآخرين ؟ ألم يأتي هؤلاء أتباعاً زيارتنا من تلك ؟ ألم يبلغوا إذناً بالسماح لنا في إكمال رحلتنا ؟ وحسب ما علمت من الحرس كان الجواب بالنفي ، فكان من المرجح ان نبقى هناك حتى الثالثة أو الرابعة بعد الظهر لأن الوقت كان ظهراً .

وأخذ أحد السائقين يستعد لاقامة خيمة لنستريح فيها ولكنني منعته ، فتطوع رجال الحصن وبدأوا ينصبون لنا خيمة في الظل عند الجهة الشرقية من الحصن . ولما انتهوا دعونا للنزول والاستراحة في الخيمة فسررنا بذلك لان الجلوس في السيارة والالتفاف بالبرقع والسيارة في ذلك الجو الحار كان مزعجاً للغاية .

وأمر السائقان بعد ذلك بإنزال جميع امتعتنا من السيارتين ليجري تفتيشها من قبل الجمارك . فانزل كل شيء واعيد توضيبه بعد التفتيش .

واخيراً خرج هارولد والدليلان من الحصن بعد ان اقنعا الامير باصالين قبة الى الملك للسماح لنا بالتقدم . وسمعنا بعد ذلك ان خروفاً قد ذبح مع عدد من الفراخ لاقامة وليمة لنا . ولما كنا راغبين في استئناف السفر بعد ان قلنا ذلك فوراً ، أوصلنا سمو الامير بسرعة الى الحصن ليرجو الرجال هناك ان لا يحضروا غداء لنا لأننا تناولنا غداءنا قبل الوصول الى جبريه .

وعند الساعة الثالثة جاء الامير مبتسماً وابلغنا انه تلقى امراً بالسماح لنا باستئناف السفر وتمنى لنا سفراً سعيداً .

وسرنا على الفور .

ولم نكن قد قطعنا ميلاً واحداً عندما لاحظنا ان سيارة تتبعنا باقصى سرعتها . فتوقفنا لانتظارها . وشعر محمد الصدقات بالقلق لأنه كان يحمل معه رزمة من التبغ الى الرياض ، لأنه خشي ان يكون الأمير قد علم بذلك . وربما كانت سيارة الفورد تقترب منا اقبل الخادمات الى وراء سيارتنا والقى بالرزمة بين شجيرات على جانب الطريق . ولكن مهمة سائق السيارة كانت تسليمنا برقية مع قلم وايصال . ولم يستطع احد منا قراءة البرقية جيداً ولكنه يبدو انها كانت برقية ترحيب من ابن سعود .

واصبح طريقنا عندئذ باتجاه الغرب فسرنا مسافة طويلة في ذلك الاتجاه . وكان منظر الصحراء موحشاً للغاية وكانت تصادفنا كثبان الرمل تارة على هذه الجهة من الطريق وتارة على الجهة الاخرى . وبالتدريج أخذ الطريق يتجه نحو الجنوب الشرقي وبدأت تواجهنا أرض صخرية فيها حجارة كبيرة سوداء شبيهة بتلك التي يشاهدها المرء عند ابه قرب الكويت . وهكذا وصلنا الى السمن دوة قبيلة مطير المضيفة .

وبعد ساعتين فقط من مغادرتنا جاريه نصبنا خيمنا للعشاء ليلتنا على أرض صخرية صلبة بالقرب من مجموعة من اشجار السدر تعرف بأم العصافير وتقع الى

يسار الطريق . وكان احد هدفنا يريد ان نسير منخفض لاتيتبر لكي نتقي من الدخانه بحيث نستطيع ان نقاومها النسيم برودة الصباح . ولكننا كنا متعبين ومتلهفين للاستراحة .

واقيمت الخيام في لحظات وبدأ الابريق يغلي على النار . غابت الشمس في الساعة الخامسة والثلث ، وقبل حلول الظلام كان كل شيء جاهزاً بما في ذلك كمية من الحطب كافية لشعلة الساهرين سعود وسالم طوال الليل . وقد استمتعنا بدفء النار ونحن نأكل الدجاج مع الخبز والتمر مع الشاي ثم شربنا قهوة سالم ونحن جالسين في الظلام حول نار الحطب نحكي الحكايات لمدة ساعتين ونصف ساعة قبل ان نذهب للنوم .

وقبل ساعة واحدة من بزوغ الفجر حملنا خيامنا من جديد ثم تناولنا الشاي والبيض والخبز واستأنفنا السير مع شروق الشمس . ومررنا عبر السهل بين التلال المنخفضة المسطحة الرأس وبين المنخفضات التي تنمو فيها أشجار السدر الصغيرة التي يحبها الظبيرون كثيراً . وصادفنا واحدة من الحباري طارت عندما اقتربت السيارة منها . واتخذت التلال تتوارى وراءنا واحدة بعد الأخرى الى ان وصلنا سهلاً أرضه صخرية قاسية .

وقال سعود مشيراً الى اليمين :

– دحل القريع .. تريدون ان تروه ؟

– نعم .. نعم .. قلنا له .

وفي تلك الاثناء خرجت سيارتنا عن الطريق وسارت حوالي خمسمائة يردة وتوقفت عند حافة فجوة دائرية كبيرة في الأرض .

يبلغ قطر تلك الفجوة حوالي ٨٠ قدماً . وبعد ان نزلنا فيها أكثر من ٣٠ قدماً وجدنا فجوة أصغر في الوسط يبلغ قطرها خمسة اقدام فقط .

وقال سالم :

– من هنا يأخذ البدو الماء يا ام سعود .

والدحل الذي يعرفه الجيولوجيون بالغاطس هو ممر طبيعي مؤلف من ممرات

وفجوات أرضية تشكلت على مر العصور بفعل المياه التي تندفع من القمم في اتجاهات مختلفة . وتنحدر بعض تلك الممرات في جوف الأرض إلى عمق ثلاثمائة ياردة أو أكثر . ونبئ لا يصل المرء إلى الداخل أحياناً أن يحبو على أربعة أو أن يجد أحياناً مجرى كهوفاً كبيرة كالدرالية الشكل . أما رمز الممرات الصخرية فقد صقلت وتآكلت بفعل القرب الجدية التي جرت عليها عبر القرون . ولا يجرؤ رجل في الدخول إلا إذا رجل خبير لأنه قد يضل طريقه ويموت في الداخل . وبعض تلك الشعوب شديد الظلمة من الداخل وبعضها الآخر يتسرب إليه النور من فجوات صغيرة .

وبحثت الآن عن أحجار صغيرة فالتقطت منها قطعة أم التنيز كان يمكن أن تستعمل كأدوات للحفر في زمن من الأزمان .

وبعد أن التقطت عدة صور فوتوغرافية لهذا الشريع انطلقت سيارتنا [illegible] والأبقى على اليمين وعلى اليسار عدداً من الجحور المستديرة بدوت تماماً وكأنها بيوت مهجورة للأحياء ، وكانت الأرض لا تزال صخرية صلبة

وفجأة قال سعود مشيراً إلى جهة أمامنا .

— شوف البدهاته يا [illegible] .

على الأفق البعيد رأيت [illegible] صخرية صغيرة منخفضة ، ولا فكرة خطرت لي : كيف يكون [illegible] تلك المقدمة [illegible] كانت [illegible] وأردت أن أقترح على أن نترك [illegible] عن الأقدام ، ولكنني لم أقل شيئاً مع أن أفكاري وخواطري كانت تنطلق إلى درجة كبيرة .

ثم بدأت البلاد تتغير ورأيت المرتفع مرة ثانية وكان قليلاً منخفضاً [illegible] ثم كثيراً كثيفاً عندما اقتربنا من رمال البدهاته الحقيقية .

وعبر الطريق ظهر أمامنا ما يشبه خصلة خضراء من الزهور الأحمر على عمق عدة بوصات وفي عدة أماكن على عرض خمس أو عشر ياردات . ولكن السيارات لم تسلك ذلك الطريق وسارت على ما قطعته طريقاً ترابياً . وبدأت السلسلة الرملية الكبيرة على يسارنا تقترب فرأيت لونها الأحمر يشع في نور الشمس . وكنا

في تلك الاثناء نسير باتجاه الجنوب الشرقي بمحاذاة السلسلة المذكورة تقريباً . وكلما تقدمنا بدا انها تتقلص الى ان اختفت تماماً . وسلاني ذلك بالأمل لأنني تحققت ان السلسلة أصبحت منخفضة الى درجة تتمكن فيها السيارات من العبور.

وفي الساعة التاسعة والنصف خرجت سيارتنا عن الخط الى اليمين واقتربت من الرمال المرتفعة أمامنا وتوقفت . ونزل محمد القذقان ليملأ مبرد السيارة بالماء من القربة . وقال :

- من هنا أمر دائماً يا أبو سعود .. ان الطريق من هنا أقصر من اتباع الطريق الرئيسية عبر الرمال وقد قطعت ذلك عدة مرات . ويجب ان تمسكوا جيمكم لأنني سأخصر بالسيارة ولا أستطيع ان اخفف السرعة قبل عبور السلسلة الأولى. هذا هو عرق السرو واحد من أسوأ اثنين من مسالك الدهناء . وبعد ذلك يصبح الطريق سهلاً .

وأجبناه بقولنا :

- لا نشاء .

وبعد ان خفف السائقان ضغط الهواء من عجلات السيارتين اندفعا بالسيارتين بسرعة متسلقين الى قمة الكثيب الرملي متجنبين شجيرات العرفج قدرمسا يستطيعان . لم تكن هنالك طريق واضحة وانما شاهدنا آثار السيارات على اليمين وعلى اليسار . وكنا نهتز بعنف داخل السيارة وهي تندفع بنا عبر الرمال الى ان وصلت الى القمة وتركنا المنحدر الى أرض مستوية تكثر فيها الحصى على مسافة مئة أميال تقريباً . وسارت بنا السيارة بسرعة عبر تلك البقعة الى ان وصلنا ثانية الى كثيب آخر من الرمل وعبرناه .

والتفت محمد القذقان الصعداء وقال :

- الحمد .. أمامنا مسيرة سهلة الآن الى ان نصل الى العرق الثاني عرق الرويشب .

هناك ثمانية من هذه العروق لها اسماء ولكنها غير واضحة المعالم اذ ان كل واحد منها له عدة تلال تحيط به من كل جانب .

وصرخ السائقان :

— لقد قطعنا العرق الثاني الآن .. والعروق التالية صغيرة لا تخيفنا .

كانت تجربة مثيرة ولكنها لم تكن عنيفة .

وفي الساعة الحادية عشرة توقفنا لتناول الغــــداء على مسافة قصيرة من آخر الرماح ، بعد ان قضينا ساعة ونصف الساعة في عبور رمال الدهناء الشهيرة . وهناك وضعت الكحل على عيني وثبتت برقعي لئلا صادفنا أحد في الرماح .

وسمعنا صوت سيارة فورد قديمة متجهة نحونا من الشمال الشرقي على الطريق الذي سلكناه نحن من قبل . وكانت السيارة تحمل عدداً من شيوخ بني قادمين من الهفوف عاصمة الاحساء في ثلاث سيارات قصرت اثنتان منها في البيضة . وكانوا قد قضوا يومين في الطريق من الهفوف واشتد بهم الجوع والعطش فكانوا بغاية السرور ان يأكلوا بقايا غدائنا من الدجاج والتمر واللحم المطهي قبل يومين في الكويت والذي بدأت تفوح رائحته ، ويطفئون عطشهم بقليل من الماء . وساروا امامنا في الرماح يلتقطون بقية الطريق خلفنا .

ولم نتأخر طويــــلاً في الرماح . وكان هناك عدد كبير من البدو يستعدون للانتقال الى الصحراء . وقطعنا بأمان البحيرة الرملية (مجرى ماء جاف) التي تقع شمال الرماح مباشرة ، ثم تابعنا طريقنا .

ومرة ثانية تغيرت طبيعة الأرض ولكن بسرعة . فبعد ان تركنا وراءنا كل آثار رمال الدهناء الحمراء وشجيرات العرفج ، أتينا الى أرض صخرية ذات تلال متقطعة وبعض السهول الجافة حولها عدد من الاشجار هنـــا وهناك وبئر أو اثنتان يلف حولهما بدوي وزوجته يسحبان الماء على جملين . والى جانب التلال الصخرية قطع ضخمة من الحجارة السوداء بين حجارة حمراء اللون، فيبدو وكأن أحداً قد افرغ كيساً هائلاً من الفحم على القمة والحـــدر الى الجوانب . وتعرج طريقنا متنقلة بين التلال الى أن رأينا أمامنا سهلاً كبيراً ينحصر عدة مئات من الأقدام وتظلله صخور كبيرة شاهقة . ولم نجد أمامنا طريقاً واضحة في البداية ولكننا على يسارنا شاهدنا مجموعة من الرجال يبــــدو انهم كانوا يعملون في شق

الطريق . فاقتربنا منهم وبدروية بالكويت يأعلى صوتهم :
– الطريق ليس من هنا .. من هناك .
وأشاروا الى اليسار حيث كانت جزعة اخرى من رفاقهم يعملون .
وسألتهم من هنا :
– من أين ؟
فما كان من احدهم إلا ان قفز الى عتبة السيارة ليدلنا على الطريق .
وبدأنا ننحدر من الصخور الشاهقة المزروقة بإسم بربيب والتي يبلغ ارتفاعها سبعاية قدم تقريباً . وكان الطريق قد شق بصعوبة في الصخور القاسية . وعند اقدام الصخور الشاهقة أشار علينا رجلنا ان نتجه الى اليسار فتركنا الطريق وسرنا عبر الصخور والحجارة حول منعطف من الصخر في شعيب حجري .
وطلعت علينا شجرة وارفة الظلال وجلس تحتها مجموعة من الرجال تجانت سيارة . وسرنا الى هناك لنجد بعثة الملك في استقبالنا برئاسة تحري الجندي شيخ الأرض* وهو شاب سوري من عائلة معروفة يعمل في خدمة البلاط السعودي . وسلمنا رسالة من الملك ومن الأمير سعود يتمنيان لنا فيها رحلة طيبة .
كانت السجاجيد قد فرشت على الأرض في الظلال . والشاي والقهوة جاهزان ، واللحم الطازج المقطوع من فخذ خروف معلق على غصن بعيد في الشجرة يشوى على النار المتحب . وكنا نشعر بالعطش و الجوع – او على الأقل كانت رائحة شرائح اللحم تجعلنا نشعر بذلك ... وبعد القهوة التي هي في نجد أخف منها في الكويت ثم الشاي فالمزيد من القهوة والمزيد من الشاي ، قدم لنا اللحم على طبق ملون ، وكان لذيذاً فاخراً .
وقال لي سعود بن ثنيان بعد ذلك :
– لم استطع ان آكل ذلك اللحم .. لقد كان رهيباً والدم لا يزال يقطر منه .
وأجبته :

* كان شقيقه الدكتور مدحت شيخ الارض طبيب الملك الخاص ، وشيخ الارض عائلة معروفة في دمشق .

نحن الانكليز نحبه كذلك .

لقد استمتعت بأكل اللحم فعلاً . وبعد نصف ساعة من الاستراحة وشرب الشاي والقهوة نقلت جميع الامتعة والحاجيات بما فيها ما تبقى من اللحم الى السيارات . وبعد أداء الصلاة ركبنا سياراتنا لنقطع الجزء الأخير من الرحلة . وقالوا لنا :

– الرياض تبعد ساعة فقط من هنا .

وعندما انطلقنا لنخرج من الشعب الى الطريـــق كانت الصخور العظيمة تظللنا . وبعيداً امامنا لاحت لنا ونحن نتجه نحو الشمال الغربي صخور على شكل وجه زنجي يبدو وكأنه يحرس مداخل نجد . وكلما اقتربنا منه تغيرت ملامحه البشرية الى ان وصلنا اليه فوجدناه جزءاً من الصخور العظيمة الملقاة في السراب الى مسافة بعيدة عن يميننا .

لقد كان من الصعب ان نتحقق من اننا كنا لا نزال على مثل ذلك الارتفاع مع اننا انحدرنا نزولاً من تلك الصخور . ويقول فيلبي ان الرياض ترتفع ٢٢٥٠ قدماً عن سطح البحر . ومما يؤكد هذه الحقيقة الهواء البارد الطليق والليالي المنعشة التي تتمتع بها الرياض .

ومن هناك وصاعداً كانت الطريق واضحة المعالم وعلى جانبيها في اماكن عديدة آثار سيارات غرزت في الوحل في فصل المطر . وكانت في بعض اجزائها سيئة المسالك مليئة بالتراب والغبار ، وفي اجزاء اخرى مغطاة باعشاب خضراء كثيفة لا اذكر اسمها بالضبط . وكنا دائماً نتطلع للبحث عن ازهار او نباتات غريبة ونتوقف لنلتقط نماذج منها اذا وقعنا في اتجاهها .

وبعيداً عبر السهل الصخري كانت تبدو امامنا الى اليسار تلال منخفضة ، وبعيداً عند الافق كانت تبدو تلال جبل طويق الذي يسد ملامحه واضحة في وجه الشمس .

وقال السائق :

– عندما تصل الى تلك التلال المنخفضة تشاهدون الرياض .

ولكن سيارة فخري افندي كانت تسير في المقدمة تاركة وراءها عموداً من الغبار تعلق في الهواء كالسحاب نظراً لانعدام النسيم وحجب الرؤية عن ناظرينا. وبعد عدة منعطفات دخلنا بين التلال المنخفضة ثم انحدرنا قليلاً نحو سهل داخلي صغير. وفي البعيد رأيت ما ظننته يجب ان يكون مدينة الرياض: قلعة كبيرة ذات ابراج ترتفع فوق الاسوار وأعالي الابنية تظهر فوق الاسوار والابراج. والى يسار ذلك كان هنالك عمودان للاسلكي. ولم أر أثراً لنخيل الرياض.

وأشار محمد القنفدان الى قلعة ضخمة أصبحت وراءنا الى اليسار، وقال:

— المربع.. يمكن للسيارة ان تسير نحوه مباشرة وتدخل في نفق فيه ثم تخرج من جهة الثانية.

وكانت في رأس المربع فتحة كبيرة وكان من الواضح للناظر ان يرى عدداً من السيارات تخترقه.

ولم يمكد يمضي الى قليلة حتى أطللت عليها فجأة بساتين النخيل في الرياض من جهة اليسار. وما شاهدناه الآن لم يكن مدينة كما كنت اتصور، بل قصر الملك الجديد الذي لا يزال قيد البناء وهو قصر الشمسية.

ووقفت السيارة المرافقة لنا هناك وأبلغنا ان الملك يرغب ان نذهب مباشرة الى واحد من قصوره الصيفية التي تبعد عن بعضها مسافة عدة مئات من الياردات في بديعه على بعد خمسة أميال الى الغرب من العاصمة. اما هو شخصياً فكان يقيم في قصره الشتوي داخل اسوار المدينة.

تركنا اشجار النخيل عن يسارنا ودخلنا في واحة على جانبي الطريق الصخرية الوعرة الى مسافة سبعة أميال، ثم انحدرنا نزولاً على طريق صخرية منحدرة ومتعرجة تتجه نحو ما يعرف بالباطن وهو أرض مجرى كبير لوادي حنيفة. وأمامنا هناك كان قصرا الملك ووراءهما مزيد من بساتين النخيل الممتدة عبر جوانب الوادي الصخرية المنحدرة، على عرض نصف ميل تقريباً. ويشغل القصران وحدائقهما ثلثي المساحة تقريباً أما الباقي فقد ترك للسيل المندفع الذي يأتي عندما تهطل الامطار. وقد اقام الملك تحت سور الحديقة عند مقدمة القصر

الذي زلنا فيه مكاناً صغيراً للجلوس، فيه مكان لصنع القهوة بحيث يتسنى له ان يجلس في فصل الامطار ليشرب قهوته بجانب السيل المتدفق بسرعة.

يقول المثل العربي:

- ثلاثة اشياء تفرح قلب الانسان: الخضرة، والماء والوجه الحسن.

وذلك صحيح بكل تأكيد.

وفي الجانب الآخر من وادي حنيفة، وبعد ان عبرت سيارتنا أرض النهر الجافة وانعطفت على منعطف حاد الى اليمين وصلنا الى طريق ضيقة جداً على جانبيها اسوار عالية، انعطفنا أيضاً في منعطف حاد والكن الى اليسار هذه المرة وتوقفنا أمام باب كبير مفتوح. وتسلقنا بمساعدة أيدي الحراس الممتدة الينا، وكنت الا أتبع زوجي على العتبات الصخرية وعلى طول الممر المصنوع من الحصى الى البستان أولاً ثم الى البيت ثم الى الدرج العريض المؤدي الى القصر. كنت ألقى ذلك على الطريقة العربية.

كان القصر حديث البناء لأنه عندما قام صاحب السمو الشيخ أحمد حاكم الكويت بزيارة الرياض سنة ١٩٣٤ لم يكن موجوداً. ويتألف من بنايتين تتوزع غرف على جانبيها في الطابقين السفلي والعلوي، وباحة أخرى أصغر الحجم. ان الجانب الأعلى من البناء الأول مخصص للسيدات وفي قبالتها لكبار الضيوف. أما الفرن الثاني فيقيم فيه الملك وهناك يعرض اعماله ويستقبل الشيوخ والعلماء أثناء أشهر الصيف.

وفي الطابق العلوي توجد شرفة عرضها اثنا عشر قدماً وتمتد على مدار الساحة. وتدعم تلك الشرفة اعمدة حجرية مطلية بالجص الابيض، وبين كل اثنين من تلك الاعمدة تقف ثلاث ركائز خشبية صفراء بأقشة رسمت عليها بالأحمر والاسود خطوط ونقط وأشكال. ويظلل الشرفة جدار مصنوع من الجص والطين ويبلغ ارتفاعه حوالي ستة أقدام يبدو أعلاه على شكل رؤوس واكتاف صف طويل من الرجال يقف كل منها فوق فتحة مثلثة الشكل بين الأعمدة المستديرة العالية المصنوعة من الحجر والجص، والتي بدورها تدعم سقف الشرفة. ومن كل جهة

توجد فتحة كبيرة تسمح للخدام ان يمدوا رؤوسهم منها لمعرفة حاجة القهوة في الطابق السفلي .

والركائز جميعها مصنوعة من الخشب الميت كل ثلاث منهما بين عمودين الدعم فروعاً اصغر من سقف الشرفة المغلف بأوراق البردي والطين . وفي اغلب الاحيان تكون تلك الركائز مغطاة بقماش ابيض معلق من السقف . وتلك الركائز المدعمة بالاعمدة مزينة حسب الزي النجدي الحقيقي برسوم من الخطوط والنقط بالاحمر والاسود على قاعدة صفراء اللون باهتة ، كما ذكرت سابقاً .

واينما وجدت تلك الركائز تكون مزينة : في النوافذ والابواب الصغيرة . . وحتى في غرفة الغسيل . وداخل الغرف الكبيرة يوجد عمودان مستديران في الوسط يدعمان السقف . اما الجدران فهي مطلية بالجص الابيض وعليها حلقات او دوائر مختلفة الشكل .

وتصنع تلك النماذج على الطريقة الآتية : تغلف الجدران اولاً بطبقة خفيفة من طين احمر قاس ، يوضع فوقها جص ابيض على سماكة ثلث بوصة . ثم يقوم المعماري برسم تلك الاشكال ، والطلاء لا يزال رطباً ، ويعمق في حفر الخطوط حتى الطبقة الطينية . وفي كثير من الاحيان تترك مسافة بين سلسلة من الرسوم والسلسلة الاخرى . فالرسوم الاولى ترتفع ثلاثة اقدام عن الارض . وتتغير النماذج حول النوافذ والرفوف الضيقة المحفورة في الحائط . وفوق سلسلة الرسوم الافقية وضعت دوائر كبيرة منفردة مقطعة باشكال هندسية مختلفة اذ لا يشابه فيها الثاني . انه في الواقع منظر رائع ذو وقع حسن .

وتغطي النوافذ ستائر حريرية جلب قماشها من اسواق الكويت . وعلى مدار الجدران وضعت مقاعد خشبية ثقيلة و « صوفات » من صنع بغداد . وتغطي الارض سجاجيد عجيبة من كل حجم ولون ، وقماش السقف في غرفة الاستقبال الرئيسية مزين بكتل ملونة من الحرير على شكل اثمار ونجوم ودوائر صغيرة وكبيرة .

ان القسم الاسفل من هذا القصر خصص للخدام وفي زاوية من زوايا باحته

المكشوفة يوجد أوجار مستضيق لصنع القهوة . وتغطي أرض الدار طبقة نظيفة من الرمل الأبيض ، وأما أبواب الغرف تحت الشرفة المطلية بأصباغ زاهية على أشكال مختلفة بالأحمر والأسود والأزرق والأصفر والأخضر ، بما يشبه الموزاييك إذ أن لون كل مربع صغير أو مثلث يختلف عن ألوان تلك التي تحيط به . والأقسام العليا والسفلى والوسطى من الأبواب لها أطارات خشبية بارزة ملونة على شكل مربعات كبيرة . أما الأبواب الصغيرة فهي عادة مستوية السطح حفرت فيها الرسوم حفراً عميقاً قبل طلائها بالألوان . ان الحسن لتلك الأبواب من صنع قسيح أما تلك المصنوعة محلياً فرسومها تشبه تلك التي على الركائز الخشبية وفيها كتل قرمزية وسوداء . ولكل باب قفل وله مفتاح خشبي على شكل فرشاة الأسنان ويدخل في القفل على ساقه ، وعند فتحه يتوجب دفعه الى داخل عدداً مماثلاً من الأسنان . أما النوافذ فكلها تفتح الى الداخل ، ومن الخارج تجدها مزينة ومطلية كالأبواب ولكنها من الداخل لا تحمل سوى رسوم بسيطة قليلة العدد .

وعندما يصعد المرء الى الطابق العلوي من المنزل الأول تاركاً باحة الخدم الى اليسار ويتجه الى اليمين يجد نفسه أمام شرفة مؤثثة تغطي أرضيتها سجاجيد عجمية وتتدلى من السقف مروحة كبيرة ، وعلى أحد الجدران وضعت ساعة « برمباي » كبيرة مقابل مقعد الملك الخاص . ويستدير المرء الى اليسار ليجد ان الشرفة مؤثثة تأثيثاً مشابهاً . وفي الداخل هنالك غرفة طويلة ملاصقة للشرفة يذهب اليها الملك للصلاة والراحة وهي مفروشة على الطراز العربي بأرائك ومساند على مدار الغرفة ، وفي احدى الجهات هنالك ما يشبه العرش وحوله من كل جهة مسندان مربعان تغطي كلاً منها ثلاثة مساند أصغر موصولة ببعضها ومغطاة بالحرير . وقماش السقف في تلك الغرفة أكثر دقة وخصوصاً منه في جناح السيدات اذ أن عليه صوراً لأباريق القهوة والشاي مزينة بالحرير الملون وبأعداد أكبر من الأقمار والنجوم والدوائر . وينزل بك درج سهل طويل الى مدخل خاص يستخدمه الرجال فقط ويفصل البناء المجاور بمعزل عن ذلك الذي تستخدمه

تلبد .

ومع ان الملك كان قد غادر القصر الى المدينة منذ عشرين يوماً ، إلا ان السعدات الكهربائية في قلبه كانت تعمل بدقة متناهية . وسخان القهوة كانت ساخنة . وبينما نحن نتجول في الغرف جلسنا لمدة دقائق في الشرفة نستمتع بالهواء البارد ، احضرت لنا القهوة . وهناك انضم الينا صاحب السعادة احد كبار المسؤولين في بلاط الملك ليعمل في العراق والعائدة الى ... نيويورك قبل خمسة سنوات مع الشيخ كراين .

وصعدنا بعد ذلك الى السطح حيث يتناول الملك طعام العشاء في الصيف ضمن ملعب مغلق بدعامة عمودية طويلة ترتفع عن الأرض ثلاثة اقدام وقد قال لي : ان الكثرة ما يجمع بها رجال القبائل الضيوف على الملك اسبوب الفتية بالسمن بعد الحصاد . (*)

ويوجد عمود او اثنان عليهما خشبتان متقاطعتان لتعلق عليهما الذبائح ، وهنالك أيضاً عمود خاص عليه حبال لتعليق قرب الماء في الهواء الطلق لتبريده .

والقصر الآخر أقدم عهداً لكنه بني بنفس الهندسة تقريباً . ومنه أيضاً يستقبل الملك الشيوخ والاعيان .

وكما في الطريق الى الرياض ، تبدو منازل الطبقة العالية من السكان مظلمة قاتمة من الخارج وهي ذات جدران عالية من الطين وتقوم على جانبي الشوارع الضيقة المتعرجة ، ولها أبواب خشبية بسيطة ، ولا تطل منها على الشوارع أية نوافذ باستثناء بعضها الذي وضعت في الطابق العلوي منه فقط نافذة واحدة ذات قضبان حديدية . ولكنها من الداخل ، ومعظمها مؤلف من طابقين حول باحة مركزية ، تبدو رائعة ومزينة بصورة فنية على شكل غرف القصر الملكي في هديمه ... البنا .

(*) هذه العادة شائعة عن ... في ... ويفتخر فيها ... خاصة بتلك العلامات على ... أنها علامة على مقدار الضيافة وتكريم الضيوف .

الملك يبحث قضية فلسطين

قطعنا حوالي خمسمائة ميل من الكويت الى الرياض في سبع عشرة ساعة ونصف الساعة من السير المتواصل . وكانت الاحوال الجوية ملائمة لنا ، ولكننا وجدنا ان الليالي شديدة البرد في قلب نجد . ومناظر الصحراء في الطريق كانت موحشة في معظمها ، وآثار الحياة الوحيدة التي صادفناها بعد مركز جابرية كانت مئة غزلان وحباري واحدة .

وكما ذكرت زوجتي سابقاً ، لقد دونت ملاحظات عن المناطق التي مررنا بها واكتشفت من خلالها عدة اخطاء في خارطة الجزيرة العربية ذات المقياس ١:٤٠٠٠٠٠٠ ولكنت من تصحيح اسماء بعض الاماكن ، كما تمكنت من تحديد معالم طريق جيدة للسيارات بين العاصمتين . وكانت معي ايضاً خارطة فيلبي ذات المقياس ١:٥٠٠٠٠٠ التي طبعتها وزارة الحربية سنة ١٩٣٣ . وتظهر تلك الخارطة الطريق من الكويت الى الرياض ، ولكنها لا تتوقف عند حزام النفاذ الرملي العظيم — أي ثلث المسافة من الكويت — فانني اعتقد ان الخارطة التي اكملتها فيما بعد هي اكثر فائدة مع انها تنقصها دقة خارطة فيلبي . وقد اعادت طبعها قيادة الجيش في حكومة الهند .

لقد قضينا أربعة أيام ممتعة في الرياض ووضع لنا برنامج كامل من الاجتماعات والولائم والنزهات بالاضافة الى اننا شاهدنا العرضة الكبرى أو رقصة الحرب التي قيل انها قدمت على شرفنا ولكنها في الواقع قدمت احتفالاً بمناسبة انتهاء أحد ابناء الملك الصغار من قراءة القرآن قراءة كاملة صحيحة . والولد الذي يكمل هذه المهمة لأول مرة يسمونه هناك ختام .

وفي الصباح الثاني توصلنا لمقابلة الملك لمدة ساعتين كاملتين . فبعد ان حضرت الى مكتب وزير الخارجية السيد فؤاد حمزة في القصر الكبير ، قادني سعادته الى مجلس الملك . وهناك وجدت صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود جالساً في الزاوية الرئيسية من الغرفة المشرفة على الساحة الرئيسية امام القصر . وعلى يمينه ويساره كان يجلس كبار الأمراء وموظفو الدولة وهم كما يلي :

حاكم حايل الأمير عبد العزيز بن مساعد الجلوي آل سعود . ثلاثة من اعضاء البيت الحاكم في آل رشيد وهم : الأمير محمد بن طلال الرشيد ، الأمير فيصل بن طلال الرشيد ، الأمير عبدالله بن متعب الرشيد .

ابن شقيق الملك : فيصل بن سعد آل سعود .

اثنان من أولاد الملك : محمد ومنصور آل سعود .

حفيد الملك : عبدالله بن تركي آل سعود .

اثنان من اعضاء مجلس الملك : السيد حمزه غوث والسيد شرف شريف .

محرر نشرة أخبار الاذاعة : محمود حسون .

وفي احدى الزوايا كان يجلس ثلاثــة من أولاد الملك الصغار وهم : طلال ومشعل ونواف آل سعود .

وبعد التحيات الافتتاحية قدمني الملك للحاضرين ثم طلب مني ان اجلس الى جانبه . وجلس السيد فؤاد حمزه الى جانب الشيخ حمزه غوث . وتلا ذلك استفسارات عديدة عن صحتي وصحة زوجتي بطريقة الملك المهذبة المعتادة . ثم أمر ان يخرج من الغرفة أولاده الصغار الثلاثة طلال ومشعل ونواف فجاءوا اليه وقبلوه مودعين قبل ان يخرجوا مع خدامهم . ولكنه أجلس نواف الصغير ، وكان عمره ثلاث سنوات ، على ركبته لدقيقة او دقيقتين وأخذ يلاطفه . وسأله ماذا يريد ان يقدم له هدية ، فقال نواف انه يريد صقراً لكي يذهب الى الصيد .

- وهو كذلك .

قال الملك وهــو يقبل ابنه . ولكن الطفل لم يخرج قبل ان يمسك بذقن والده قائلا :

- اتعدني بذلك يا أبي ؟

ووعده الملك بهدوء انه سينال صقراً واحداً وامره بذلك ، وخرج الاطفال الثلاثة من الغرفة ثم استدار الملك نحوي وقال بأدب جم :

- يا ديكســون .. أنت صديقنا وصديق العرب فحسب ؟ انني ارى انك لست كواحد منا ولذلك ارحب بك مرات ومرات .

ودخل جلالته في الموضوع العزيز على قلبه وهو موضوع فلسطين ، فاستمر في التحدث في ذلك الموضوع ساعة ونصف الساعة . وكانت قد رشحت لزيارتي خاصة وشخصية بحتة مع انني حصلت لها على موافقة حكومة القدس ووزارة الخارجية .

وألمح الملك من طرف خفي انه يأمل ان انقل ما سمعت الى المراجع المختصة مع ان ذلك يعتبر شاذاً في المعاملات الرسمية .

كان أغلب الوقت يتحدث بصوت منخفض صادق كأن كلماته غير موجهة لمستشاريه الجالسين حوله ، وكان يستمر يؤكد ما يقوله بأن يضع يده على ذراعي . وبعد انتهاء المقابلة مباشرة دونت ما قاله وانقل هنا أقرب ما يكون للكلمات التي قالها مستخدماً كلمة « نحن » عندما كان يشير الى نفسه قال :

— « نحن نعلم يا ديكسون انك لم تعد مسؤولاً في الحكومة ، ولكن نظراً لأنك شغلت مناصب رفيعة في حكومة صاحب الجلالة لمدة سنوات ، نعرف تماماً انك تحظى بثقة حكومتك ، ولذلك لسنا نرحب بك زيارة فحسب ، ولكننا نفتح قلبنا لك ويسرنا انك تمكنت من زيارتنا في عاصمتنا .

« ونحن نتوق كثيراً الى ان ترسل لنا الحكومة البريطانية كل ثمانية أشهر موظفاً ذا خبرة نألفه ونثق به او موظفاً سابقاً كحضرتك يمكنه ان يصغي شخصياً لما يجول في خاطرنا ولتلك التي تقلق تفوسنا لا لأننا نعيش في زمن عصيب مليء بالمخاطر . ونشعر أن اتصالاً شخصياً من هذا النوع أبعد أثراً من سيل من الرسائل والبرقيات التي ، بالرغم من انها كافية بحد ذاتها ، تفشل احياناً في اداء المعنى والأفكار والخوف وقد تولد سوء التفاهم وسوء القصد بدلاً من ان تزيلها .

« ولكن شخصاً من هذا النوع ، اذا وصل الرسل ، يجب ان يكون عليماً بدقائق لغتنا ، فاهماً للمعاني الواسعة التي تنطوي عليها ، لأنها مليئة بالحكم والأمثال المعبرة . ولا فائدة من ان ترسل رجلاً يصغي الى ما تقوله عن طريق وسيط او مترجم . انه يجب ان يعرف ويفهم نفسيتنا العربية ويتجاوب انا

امكنه ذلك مع عاداتنا العربية وتقاليدنا ، وفوق هذا وذاك ، يجب ان يكون ملماً باعتزازنا العربي وبآمالنا ، وان يكون قد قرأ شيئاً من كلام الله المقدس كما انزل علينا في القرآن الكريم .

« يا ديكسون ، متى تدرك حكومتك في لندن وتتحقق اننا نحن العرب بطبيعتنا ، يمكن شرائنا جسداً وروحاً بعمل خير ، واننا نتقلب أعداء ألداء مدى الدهر لأولئك الذين يعاملوننا بقسوة ويسيئون الينا ؟

« واليوم نحن ورعايانا قلقون جداً بسبب مسألة فلسطين . وسبب قلقنا هو الموقف الغريب الذي تتخذه حكومتك البريطانية . ويزيد في قلقنا ذلك التأثير الفلسطيني الذي يبذله اليهود ، وهم قوم لعنهم الله كما جاء في كتابه المقدس وكتب لهم الدمار واللعنة الأبدية في الدنيا والآخرة ، على الحكومة البريطانية والشعب الانكليزي بصورة عامة .

« ان القرآن يحمل كلام الله واوامره المقدسة ، واننا نقترح ان تقرأ حكومة صاحب الجلالة وتتابع بدقة تلك المقاطع منه المتعلقة باليهود وخاصة ما يتعلق بمصيرهم في النهاية . فان كلام الله لا يتغير ولا يجوز ان يتغير .

« نحن العرب نؤمن سرياً بالكلام الذي انزله الله ونعرف ان الله أمين – يحب المؤمنين . ولا يهمنا اي شيء في هذا العالم سوى لقائنا بالله الواحد ورسوله وشرفنا . وكل شيء سوى ذلك عاقبة الموت لا يساوي بنظرنا شيئاً . ولسنا نخشى المصاعب والجوع وعدم توفر المتاع الدنيوي . . اننا نقنع باكل التمر ولحم الجمال الى آخر ايامنا بشرط ان نتمسك ونحافظ على مبادئنا الثلاثة .

« ان كرهنا لليهود يعود الى يوم اصدر الله حكمه عليهم بسبب اضطهادهم ونبذهم للمسيح يسوع المسيح ، ولرفضهم فيما بعد النبي المختار محمد . اننا لا نستطيع ان نفهم كيف ان حكومتكم التي هي أول قوة مسيحية في العالم اليوم ، تستطيع ان تتمنى مساعدة ومكافأة اولئك اليهود انفسهم الذين اساؤوا معاملة مسيحكم .

« نحن العرب أصدقاء تقليديون لبريطانيا العظمى منذ عدة سنوات ، ونحن

آل سعود » بصورة خاصة ، كنا اصدقاء مخلصين لحكومتكم طيلة حياتنا . اي جنون ، اذن ، يدفع بحكومتكم للقضاء على هــذه الصداقة التي دامت قروناً ، ومن أجل شعب ملعون كان منذ بداية العالم يقتلهم ويقتل الانبيــاء ، ويعض دائماً كل يد تمتد اليه لمساعدته ؟

« انه من الأفضل ، من كل الوجوه ، لو ان بريطانيا العظمى تجعل فلسطين ملكاً لها وتحكمها طيلة السنوات المئة القادمة ، بــدلاً من تقسيمها على الشكل الذي تقترحونه .

« ان مثل هذا التقسيم لا يمكن ان يحل المشكلة بل يزيدها تعقيداً ومن شأنه ان يقود الى الحرب والبؤس . ويبــدو ان بعض الناس يظنون ان هيمنا « نحن آل سعود » على فلسطين، وان حالة من الفوضى والاضطراب هناك هي لصالحنا اذ نتقدم للسيطرة عليها . ذلك حل يكفل تأكيد ولكن لا نسمح الا ان يحدث ذلك لان لدينا الكثير من الأراضي ويفيض عنا .

« واليوم نحن الامام القائد الروحي والحاكم الزمني لجزء الأكبر من الجزيرة العربية ، وليس نفوذنا قليلاً والمحدد في كل البلدان الاسلامية في العالم . ولقد وضعنا اصدقاؤنا البريطانيون في أصعب المواقف واكثرها حرجاً . فمن جهة ، نتلقى ملايين الرسائل والبرقيات في الليل والنهار من جميع انحاء العالم الاسلامي تتوسل الينا ان نتدخل وننقذ فلسطين العرب . كذلك يحثنا شعبنا في نجد والمسلمون المؤمنون في العالم الخارجي ان نقطع علاقاتنا مع الانكليز وننقذ فلسطين لأهلها بالحرب . ومن جهة ثانية نجد انه من غير المجدي ان نقطع العلاقات مع اصدقائنا الانكليز ، لاننا بذلك نحدث خوفاً وقلقاً لا نظير لهما في العالم فضلاً عن اننا نكون بذلك نخدم اليهود اعداء العرب وأعداء الانكليز .

« اننا قطعاً لا ننوي شن حرب عليكم وقد ابلغنا شعبنا بذلك؛ لاننا الشخص الوحيد بينهم الذي يستطيع ان ينظر الى الأمام ، ونعرف اننا بذلك سنفقد حليفاً ممكناً . لو قبلت ايطاليا والمانيا وخاصة تركيا كالذئاب الكاسرة اليوم يبحثون عن ضحية يلتهمونها ؟ وكلهم يتملقوننا في هذه الأيام ولكننا نعرف انهم

سيطلبونه فيما بعد . ونحن نعتقد ان انكلترا ، اذا كانت صديقة ، تستطيع دائماً ان تمنعهم من الوصول الى أغراضهم . ولكوننا مسلمين ، فانه ليس لنا حب خاص لاية دولة مسيحية اوروبية . ولكن المصلحة السياسية تتطلب منا ان نبقى الى جانب افضل تلك الدول وهي انكلترا .

« ان الصعوبة هي في رعايانا العرب وفي قبائل الاخوان النجديين . فبالنسبة للقضية فلسطين ، فان مواطنيهم هي في عيونهم فقط ولا يستطيعون النظر أبعد من ذلك قيد شعرة . وهم لذلك يحمّلونني لعدم وضوح موقفي والاضطلاع و من الانكليز . ومع ذلك تتوقع حكومتكم مني صعباً . ان حكومتكم يجب ان تتذكر اني زعيم العرب الكبير وبالتالي مصير المسلمين بالمدينة ... ولكنها الله لا يكون ان نحرف .

« ان كلام هذا في حقيقة ، بعد ... ونحن نؤمن نحن بدينكم ... المسلم ، اذا قتل يهودياً او قتل على يد يهودي ، يدخل الى الجنة فوراً وان يمس وجود الله الكلي القدرة . فاذا يطلب المسلم اكثر من ذلك من هذا العالم الفاني؟ بذلك يذكرني شعبي باستمرار ... حكومتكم بشكل تأكيد قضيتي في نفس المأزق الذي وضعتني فيه سنة ١٩٢٩ و ١٩٣٠ التي انتهت بثورة الاخوان ضدي .

« واليهود اصدقاؤكم لا ... عدونا ومع ذلك فهم يستخدمونكم الآن ... وهم بعد سيرى حكومتكم خطيئة وتأكل اصابعها ندماً . واليهود في الوقت الحاضر يفضلون انتظار الوقت المناسب . وربما كانت حكومتكم لا تعرف ان مطامع اليهود لا تقف عند حدود فلسطين ، فهم يطمحون ايضاً بالاستيلاء على كل البلاد الواقعة جنوبيها حتى المدينة ، ويأملون في التوسع شرقاً في يوم من الايام حتى الخليج الفارسي . انهم يخدعون دوي المقلية الاستعمارية من الانكليز بإيهامهم ان دولة يهودية قوية من البحر المتوسط الى الخليج الفارسي تستطيع ضمان المواصلات الانكليزية مع الشرق عن طريق قناة السويس والعراق ، وان العرب اعداء للانكليز وسيكون كذلك .

« وفي الوقت ذاته يلعبون بعقول الجماهير العاطفية في بريطانيا بزعمهم ان انبياء العهد القديم وعدوهم – اي اليهود – بالعودة الى ارض الميعاد ، ويقولون ان بني اسرائيل المضطهدين المشردين يجب ان لا يحرموا رقعة صغيرة من الارض يلقون عليها رؤوسهم المثقلة . كيف يا ديكسون يشعر الاسكوتلنديون فيما لو اعطى الانكليز اسكتلندا لليهود ؟ ولكني لا... انه لأسهل واقل خطراً عليك ان تمضي بلاد غيرك .

« وأما ان يكون يهود فلسطين يرون كل الاعصاب لايجاد انقسام دائم بين الشعب الانكليزي والعرب ، فأمر يكون اثباته بما لا يقبل الجدل ، والدليل في ذلك حوادث قتل الموظفين الاخيرة في فلسطين .

انه لمن الواضح وضوح النهار ان اولئك القتلة العرب المجرمين الذين ارتكبوا تلك الأعمال القبيحة استؤجروا في الخارج بأموال يهودية . اننا نعلن ذلك كحقيقة مطلقة لأن المفتي الأكبر في القدس اقسم لنا بالكعبة المكرمة في بيت الله الحرام بمكة انه لا يلجأ الى مثل تلك الاعمال غير الدستورية في مقاومة الدسائس الصهيونية في فلسطين . ونحن آل سعود نصدق كلامه الى الآن .

« ان أهم ما نخشاه وما يجب على بريطانيا العظمى ان لا تسمح به ، هو تحول عرب الجزيرة والبلدان العربية المجاورة الى اعداء لانكلترا . فاذا حدث ذلك تكون قد ارتكبت جريمة لا تغتفر ، لأن العرب كما قلنا لا ينسون الاساءة ويظلون يترقبون الفرص للثأر مئة سنة اذا اقتضى الأمر . واعداء انكلترا لن يتأخروا ابداً في استغلال ذلك ، لأنه اذا وقعت انكلترا في مصاعب او شنّت بحرب ، فتلك هي الاشارة للعرب ان يتحركوا .

« ان مجرد التفكير بحدوث ذلك كريه لدي ، انا عبد العزيز ، ولكن تأكد ان تقسيم فلسطين سيسبب ذلك لا محالة بالرغم من كل جهودكم الخاطئة التوجيه . واذا لا استطيع ان اساعدكم الى الأبد لانني لن اعيش اكثر من عدة سنوات اخرى .

واكرر القول ان الحل الوحيد الذي اراه هو ان تتحرك بريطانيا العظمى

لتحكم فلسطين بتنسيب . فالصهيونيون طبعاً ان يعجبهم ذلك ولكن يجب ... لا يؤخذ رأيهم . والعرب سيوافقون على هذا الحل . والذين لا يوافقون يجب ان يحملوا على الموافقة من قبل أشخاص مثلنا . فالأمر الاساسي هو منع اليهود بأي ثمن من إقامة دولة مستقلة في مقاطعة من الأراضي العربيـــة ، حيث لا نضابط لسياستهم وتصرفاتهم في المستقبل . ومن هناك سينشأ صراع دائم بينهم وبين العرب الذين يعيشون حولهم . أولاً ، لأن اليهود بعزمهم على التوسع سيبدأون التآمر منذ البداية ولن يهدأ لهم بال إلا بخلق الاضطراب وكمداويين بريطانيا العظمى وبيت ثمن العرب على أمل ان يستفيدوا من الوضع . وثانياً ، بما لديهم من مال يستطيعون انشاء جيش فعال بآلياته وقواته الجوية ، قد يكون صغيراً لكنهم سيستخدمونه بدون شك للأغراض العدوانية ضد العرب نظراً لأن هدفهم هو الاستيلاء على كل فلسطين وشرق الأردن والمدينة معقلهم القديم التي لجأوا اليها عندما طردوا من فلسطين يوم عمر الرومان القدس وشتتوهم .

« وفوق كل ذلك يجب على حكومتكم ان تحـد فوراً من هجرة اليهود الى فلسطين لأن الذين هناك منهم يشرعون ان تنبع اليهم من الحجي » .

وهنا استوقفت توقف تلك الاضطراري عن الكلام . وحاولت ان اشرح له وجهة نظر حكومة صاحب الجلالة . وقبل ان اتقدم بعيداً استوقفني بصورة حماسية وقال بانفعال :

« والله ليس لحكومتكم اية وجهة نظر باستثناء ارتكاب عمل غير عادل عن قصد . ان كل رجل يخاف الله ، مسلماً كان أم مسيحياً ، يعرف انه ليس من الصحيح ارتكاب الخطأ حين كان ارتكاب ذلك الخطأ ذكياً حاذقاً . فاذا كنت انا ، بدوي عربي جاهل في الجزيرة ، استطيع ان أرى بوضوح كما أرى شروق الشمس ، ان الاقدام على تقسيم فلسطين عمل شرير خاطيء في نظر الله ، افــلا يرى ذلك السياسيون الغربيون الاكثر ذكاء بكل تأكيد ، اذا كانوا يخافون الله ولو قليلاً ؟ شكراً لله لاننا نؤمن به وبوحدانيته ، ولاننا نعرف الرب . ايماننا هذا بالذات هو الذي يجعلنا نرى الاشياء بوضوح كما نراها . انتم تتهموننا انا على

حق وان الله قد أعطانا هذا الحق ، وانه سيعاقبنا ، نحن آل سعود ، لو كذبنا عليه .

ولذلك فانه ليس هناك بحسب رأيه لهذه القضية الهم إلا بالمقاومة مع الشيطان .

وهنا بدأ الملك فجأة يتعب وكان الجهد الذي بذله في التحدث طويلاً ، كان كثيراً عليه . وبعد ان دعا محمد جبور ليقرأ آخر الانباء بالراديو من جميع انحاء العالم للمجتمعين في مجلسه ، صرفني بلطف ولكن بثبات .

وبعد ان خرجت من حضرة الملك استوقفني في الممر رسول قال ان الامير سعود يحب ان ازوره في مجلسه . ووجدت ولي العهد عاقداً مجلساً مع جماعة من شيوخ البدو وغيرهم . فاستقبلني باحترام وطلب مني ان اتناول طعام الغداء معه يوم الاربعاء في السابع والعشرين . ولم أسأل اية اسئلة محرجة وتجنبنا الخوض في موضوع فلسطين .

وحدثني سعود كثيراً عن زيارته الاخيرة لانكلترا وعن العطف الذي احيط به هناك من كل جانب . ووجد من المناسب ان يخبرني ان شيئين قد تركا اكبر الاثر في نفسي وهما : العاطفة العجيبة التي يكنها الشعب الانكليزي لملكه وعائلته المالكة ، والاحساس البديهي بالقانون والنظام الذي لمسه في كل مكان . واعطى مثلاً على ذلك العادة الانكليزية المدهشة في الاصطفاف بانتظام خارج المسارح ومحطات القطار ، وقال انه يعتقد ان ذلك ممتاز .

وجاء المستر فؤاد حمزه ذلك المساء ليتناول معنا طعام العشاء في قصر بديعه . وبعد القهوة سألني ما اذا كنت اعرف شيئاً عن المشاكل بين البحرين وقطر التي قال بكل أسف انها لم تكن لتحدث في عهد السير بيرسي كوكس . وقلت انني لا اعرف شيئاً عن تلك المشاكل . ثم عاد وفتح موضوع فلسطين على اساس ابداء رأيه (وكان ذلك تكراراً لحديث الملك) بأن الواجب الفوري انسحاب الانكليز في فلسطين من نقاط مسألة التقسيم ، وادارة البلاد بأنفسهم ، اذ ان ذلك يجدد الثقة ويعطي مجالاً للتنفس . وقال ان فوق كل ذلك يجب على بريطانيا

ان تحدّ من هجرة اليهود او ان تسمح بطريقة فعلى لمن سنة عدد العرب واليهود على ما هي عليه .

ولكي استدرج فؤاد حمزة كثر فاوضت معه انتقداً به على سبب ولكنني توضحت منذ البداية ان تلك الفكرة شخصية تماماً تكونت لدي نتيجة الكوني قد عشت في الاقدس ورأيت وفهمت كيف كان الاتراك يواجهون المشكلة . فمنذ سنة ١٨٩٢ كان الاتراك يخشون عودة اليهود ويطمعون عليهم وفي السكان العرب فاصدروا قانوناً يمنع اليهود الاوروبيين والاميركيين من البقاء في البلاد اكثر من شهرين في المرة الواحدة . وعلى اساس هذه التجارة شرحت لفؤاد حمزة ان كل اليهود المقيمين في فلسطين حالياً يجب ان يسمح لهم بالبقاء نهائياً ومنع إقامة يهود جدد في البلاد منعاً باتاً . وفي الوقت ذاته يجب ان تبقى فلسطين مفتوحة في وجه كل يهودي يرغب في زيارة الحج بشرط ان يغادر البلاد بعد شهرين . وبكلام آخر يجب على السلطات المنتدبة البريطانية ان لا تمنح يهود الخارج تأشيرة دخول الى اكثر من شهرين . وقلت ان مثل هذا النظام يعمل تماماً كما هي الحال بالنسبة للمسلمين الاجانب الذين يحجون الى مكة . فهم يمكنهم المجيء اي وقت يشاؤون ولكنهم لا يستطيعون الاقامة الا في الظروف غير العادية .

وقال فؤاد حمزة ان الاقتراح وجيه وجدير بالبحث ، ولكنه غير موضوعي تماماً وكأنه شعر انه لا ينبغي ان يبحث مثل هذا الموضوع الخطير مع شخص ليست له صفة رسمية .

زيارة النساء الملكيات

بقلم فيوليت ديكسون

« النساء الملكيات على استعداد لان يستقبلنك في الساعة الثالثة من صباح الثلاثاء » .

تلك كانت الرسالة التي وصلتني مساء الاثنين .

الساعة الثالثة تعني بتوقيتنا الساعة التاسعة ، فغادرت قصر بسيمه مع خادمي

حـدة في الثامنة والنصف . وكان يجلس في المقدمة مع السائق عبد من عبيد قصر الرياض الذي نتجه اليه وسالم المزين. وزحفت بنا السيارة ببطء على الطريق الصخري الذي يلف المدينة تاركين الى يسارنا قصر الشمسية الجديد وقصر ثرا شقيقة الملك ، ثم اتجهت الى اليمين ناحية المدينة .

وبعد ان قطعنا شارعاً ضيقاً مستقيماً وجدنا انفسنا فجأة أمام قصر الملك في السوق الكبير . وكانت الساحة المكشوفة مزدحمة بالبدو والجمال وعلى مقعد طويل كان يجلس اولئك الذين ينتظرون دورهم لمقابلة جلالته . ولم استطع ان ألمح هذا المشهد سوى لحظة واحدة لأن السيارة انطلقت بنـا عبر الساحة الى جانب القصر حيث يقوم باب كبير تحت جسر عريض . وهناك ترجلنا فاقتادونا الى الداخل عبر عدة باحات كان بعضها يضم خيولاً يستخدمها افراد العائلة المالكة . وصعدنا درجاً حجرياً ثم مشينـا الممرات والشرفات الى أن أدخلنا الى غرفة كبيرة فارغة .

ولم يظهر أحد قبل مضي دقائق فأعطاني ذلك فرصة لإلقاء نظرة من حولي.. عمودان يقفان وسط الغرفة يدعمان السقف مع عوارض خشبية ذات رسوم كتلك التي وصفتها في قصر بديعه .. والارض مغطاة بسجاد عجمي معظمه من نوع كرمان يبدو انه يتمم المربع كالمسافة بين الجدران والاعمدة . وعلى مدار الغرفة كانت هنالك مساند مربعة الشكل ذات اغطية قطنية وزخارف مطرزة الاطراف . وفي احدى الزوايا كان يقف وجار القهوة وفيـه بعض الجمر عليه ابريقان واحد للقهوة والآخر للشاي. وعلى الحائط فوق الوجار كان هنالك عدد من الرفوف وضع على أحدها جنباً الى جنب صفان من اباريق القهوة النحاسية كلها من نفس الحجم تقريباً مصقولة وذات لمعان . وتحت ذلك كان هنالك رفان آخران عليهما أباريق بترولية ذات الوان أرجي . وعلى الارض كانت فناجين القهوة وكاسات الشاي جاهزة للاستعمال . وفي احدى الزوايا كان هناك فراش ملفوف وكأن احداً كان ينام فيه او يستريح عليه . ولتلك الغرفة بابان.. واحد في إحدى الزوايا والآخر في الوسط مقابله ، ولها أيضاً ثلاث نوافذ لها

معالق خشبية على الطريقة الحجازية كما تعودوا في قريتهم .

وجلست انا وحيدة على الارض قرب الباب في الزاوية اتساءل في نفسي عما اذا كان سيطول انتظاري . وفي تلك اللحظة دخلت سيدة سافرة الوجه وقد علقت اكمام ثوبها الاسود فوق رأسها لتلتف بقماش أسود فاخر . وكانت ترتدي تحت الثوب الاسود ثوباً آخر قرمزي اللون ذا أكمام ملتصقة بيديها تماماً .

ونهضت وقبلتها وحييتها التحية المربعية المعهودة . ولم أكد أجلس حتى ظهرت سيدة أخرى من الباب الآخر فنهضت واعدت الكرة في التحية .. ثم دخلت سيدة ثالثة واخذت يطرحن الاسئلة .

- كيف حالك .. كيف حال اطفالك .. لماذا لم تأتي في رحلتك .. متى وصلتم .. من بن اليوم .. لم لا تأتي فهو .. من هذا الذي معك ..

- ابن عمي .

وعرفت ان السيدة الاولى هي منيرة أكبر زوجات الملك خطرة وتعرف بأم منصور ، وكانت الثانية زانية تحمل ذات وجه مستدير ولا تتعدى الخمسة والعشرين ربيعاً ، وكانت ترتدي ثوباً ارجوانياً رائعاً تحته فستان بلون الزبدة . فسألتها :

- ما اسمك ؟

واجابت الامرأتان الاخريان :

- هذه ام طلال .. ولم تر ابنها بعد .

- هو ابنك الذي امسك الملك من شبه أمس في المجلس .

ولم تكن تعرف .. لأنها لم تسمع عن الحادث اثناء مقابلة زوجي للملك .

والسيدة الثالثة كان اسمها بارزه . وجاءت رابعة ولكنها تختلف عن الاخريات .. وهي ذات وجه جميل وشعر أشقر تقريباً مغلفة بثوب اسود يخفي تحته فستاناً ارجوانياً مذهباً .

وسألت ام منصور :

- من هذه .

- هي ماضي وشهرها في رمضان .

ـ اطلب من الله ان يرزقها ولداً .
وأخذت حمدة تتمتم بتمنيات حالمة لبضع دقائق .
وفي تلك الاثناء دخلت احدى السيدات وراحت تصنع القهوة والشاي بهدوء . وبعد قليل دارت علينا القهوة فشربنا جميعنا . وكان المكان هادئاً لا تزيد فيه نساء فضوليات يتلصصن من ثقوب الابواب والنوافذ . وبعد طلل يصرخ من بعيد فيست ام منصور بأذن بأذن ابنتها ان تذهب لإسكاته فأطاعت في الحال وانقطع الصوت . وجاءوا بعد ذلك بنوع من البخور فأمسكت به السيدة تحت الكم لوني العربي وملابسي .
وقالت السيدات :
ـ يجب ان تبقي فوقه .. الرجال يحبونه وزوجك سيحبه ايضاً .
وسروا كثيراً عندما امتثلت .
ووجدت ان الوقت اصبح مناسباً لكي اغادر ولكنني ترددت اذ كانت الساعة لا تزال العاشرة والربع وقد ابلغت انني اذا بقيت مع السيدات حتى الحادية عشرة فقد يسعدني الحظ بغابة تلك الذي يأتي في مثل تلك الساعة الى حريمه .. وكانت تلك فرصتي الوحيدة .
ولاحظت عندما ابلغت ام منصور السيدة انها اخطأت في جلب البخور بمثل هذه السرعة .. فجلست مصممة على ان ارى صاحب الجلالة .
وكانت ام منصور تبدو قلقة وتتمتم في نفسها قائلة :
ـ آه .. اين منصور ؟ لا اعرف .. لم اره منذ صباح البارحة .
وجاءها الجواب :
ـ انه مريض بالحمى في منزله .
ـ انني لا استطيع الانتظار .. يجب ان اذهب اليه .
ونهضت بصمت وخرجت . وسألت الاخريات اللواتي اخبرتها ان منصور مريض منذ يومين :
ـ هل تتذكرين الدكتور توماس الذي كان هنا السنة الماضية .. انه اليوم في

الكويت .

وأجابتني أم طلال :

نعم .. إنه رجل طيب . لقد سمعنا ان الدكتور داير قد توفي .. أصحيح ذلك !

- لا أعتقد ذلك لأنه مر بي الكويت منذ عدة أيام فقط .. هـل تعرفين السيدة داير ؟

نعم أعرفها جيداً وآخر مرة أحضرت معها طفلها الصغير روب روي .

وقلت :

- اني أعرفها منذ عدة سنوات .. إنها امرأة طيبة .

وحدثتني عن رحلتين السنوية الى مكة ، كيف يغادرن الرياض في الوقت القلاني وكيف يقيمن راين بمسجد كذا ساعة ... الخ بكل تفصيل وإسهاب ، وكيف ان سائقي السيارات يسيرون على مهل تحت طائلة العقاب بالجلد .. الى ان يصلوا الى الارض الرملية حيث يسمح لهم بالاسراع كما يشاءون .

وقالت أم طلال :

- قد لا نقول لهم شيئاً إلا ان ننبههم .. فاذا دالسة القلق على اولادي الذين لا يحبون الجلوس بل يفضلون الوقوف على المقعد قرب السائق .

- هل جاءت سيدة انكليزية لزيارتكن في السنة الماضية ؟ وكنت اقصد بهذا السؤال الكولونيلة ديكسون .

- عندما كنا مخيمين في خنس جاءت الينا واحدة لا تعرف العربية .. وكان يبدو عليها الأسف لأنها لم تكن تعرف لتتحدث الينا فأخذت تؤشر على شفايف وكأنها تقول انها تود قطع لسانها لأنه لا يعرف لغتنا .

وتحدثنا بعد ذلك عن اميركا ثم سألتني عن البلاد حيث النهار ليل . فوصفت لهن القطب الشمالي ولكنني تساءلت فيما بعد عما اذا كن يصدقن استغرابها حيث يكون ليل عندما يكون هنا ليل .

كان الراهبي عن مصدر تسلية وبهجة فكن يسمعن ساعـــة المجلس الكبير :

تدق سبع ساعة للسعد كاشارة لضبط الوقت . واكثر شيء كان يستمتع به هو الموسيقى من لندن في الساعة العاشرة ليلاً ... ولكن ايضاً يستطيع إذاعة القاهرة .

– ولكنهم عندما يقرأون القرآن من هناك لا نفهم لهجتهم العربية جيداً .

وهنا حملوا لنا بصينية كبيرة عليها صحون من الدراق والعنب والأناناس والبسكويت مرتبة ترتيباً أنيقاً . وجلست سوزي الصينية تأكل مما فيها بالملاعق ، وكانت العبدة تحمل إبريقاً من [illegible] لتصب الماء منه على أيدينا لنغسلها قبل وبعد الطعام .

واقتربت الساعة من الحادية عشرة . وكانت السيدات يدخلن ويخرجن واحدة [illegible] لم يكن معي واحدة فقط للسلطان . وجاءت [illegible] طلال لتسألني :

– الحين مقابلة الملك ؟

– طبعاً أحب ذلك ... وهل ذلك ممكن ؟

وجاءت اللحظة العظيمة ... كما كنت اعتقد ... وأرشدتني [illegible] طلال [illegible] البائسات عما يجب ان افعله عندما يدخل الملك :

– سيأتي الى هنا وليست بحاجة الى ان تقفي وتحيي . ولكن انهضي وانحني له وقبلي يده . سيسألك عندئذ عن حالك وكيف قضيت رحلتك ويعرب لك عن أمله بأن تكوني قد قضيت وقتاً سعيداً ... وإذا كان كل ما تريدونه مؤمناً لكم في قصر [illegible] . وانت يجب ان تسأليه عن صحته وعن حالته ... ثم ينصرف .

ويعطيني [illegible] الدرس عن خشية [illegible] خطئي . [illegible] عرفته بعد ذلك [illegible] رجوع السيدات [illegible] لأن [illegible] سوريا [illegible] قد دخل الغرفة ... وعلمت فيما بعد ان الأفندي السوري هو الدكتور مدحت شيخ الأرض شقيق [illegible] شيخ الأرض الذي [illegible] عندما [illegible] من الرياض . والدكتور مدحت هو طبيب الملك الخاص . [illegible] سورية سريعة تلا علي رسالة من الملك [illegible] جيداً ولكني استنتجت [illegible] ذلك [illegible] يكن يعرف اني سأقوم بزيارة [illegible] ذات [illegible] يعتقد انه لن يستطيع

ه يلي . وقال الدكتور مدحت اني اذا كنت ارغب في مقابلة نورا شقيقة الملك فاني استطيع هذا الظهر .

وتلك مبادرات تشرح ما قدمه الدكتور مدحت من جديد بلغة مبسطة . وبعد ذلك خرج مطاوع وعاد من حيث اتى بسؤال نورا عن الوقت المناسب .

وقال لي بعد عودته :

– الشيخة نورا ستستقبلك في قصرها بعد صلاة العصر . ان سيارتك تنتظر .

وقلت : يجب ان أذهب !

وصرخن كلهن قائلات :

– القهوة .. القهوة .. يجب ان تشربي مزيداً من القهوة .

وبعد ان شربت ثلاث فناجين قبلتهن مودعة .. ونزل معنا الدكتور مدحت الى الدرج حيث رافقنا وجلس بجانبي في السيارة . وعندما ان قدم بنديه وقد خاب املي بأن فرصتي الوحيدة لمقابلة الملك قد ضاعت .

وعند ذا وقت العصر توجهت الى قصر نورا بالسيارة وبصحبتي حمدة وسام الزين ايضا) . ووصلنا القصر بعد منتصف ساعة وكان منظره مشوشا تقديراً لوجود كثبان من التراب حوله معدة لبناء الفتنج جديد للكبير . وجاء عبد صغير ليرشدنا الى المدخل حيث ترجلت من السيارة تتبعني حمدة . وبعد عبورنا المدخل اتجهنا قليلاً الى اليسار فوجدنا أنفسنا تحت شرفة ذات اعمدة تحيط بساحة صغيرة .

كانت هذه نساء في استقبالنا فتبادلنا التحيات العربية المعهودة وجلسنا على السجاد واتكأنا على مساند كبيرة على طول الحائط . وتساءلت في نفسي : أين نورا تلك السيدة العجيبة التي سمعت عنها كثيراً والتي يقال انها طول شقيقها الملك عبد العزيز . انها ستنضم الينا بعد قليل .. او ربما كان كل ذلك كالاسطورة والسيدة الوقورة تجلس بجانبي تتحدث كزوجة أحد شيوخ الصحراء بعربية البدو الرائعة .. أهذه هي نورا الشهيرة ؟ وانطلقت ملقتي في الكلام وقلت :

– يا نورا ، انني سعيدة برؤيتك ، لقد سمعت عنك كثيراً .

فابتسمت وتمتمت كلاماً جميلاً بصوت خافت .. كان كل شيء على ما يرام ، فقد عرفت اين اقف الآن . وبدأت بصوت أعلى تمطر حمدة بالأسئلة :

- من انت ؟ من اين انت ؟ ما اسمك ؟ ما اسم امك ؟ ما اسم والدك .. الخ .

واجابت حمدة انها مربية اولادي ، وانه لا فائدة من سؤالها عن والديها وعن المكان الذي اتت منه وقالت :

- انك لن تعرفيهم .

وقالت نورا بصوت آمر :

- الشجيري الشجيري .

وبعد ان اخبرتها كل شيء تريد ان تعرفه وتحدثت طويلة حمدة سألت :

- كيف حال فلانة وفلانة في الكويت .. هل تزال فلانة وفلانة على قيد الحياة ؟

وبعد ان سألت عدة اسئلة تتعلق بكبار عائلات الكويت قلت لها :

- لقد مضى زمن طويل منذ كنت هناك يا نورا .. فمنذ ـــــ غزا شقيقك الرياض هل تركك في الكويت ؟

- نعم وبعدئذ بعث في طلبي .

وبعد ذلك قدمتني لفتاة جميلة طويلة القامة تجلس قبالتنا .

هذه ابنتي الجوهرة .. انها زوجة فيصل بن عبد العزيز * .

فتبادلنا الابتسامات .

وابديت دهشتي قائلة :

- ما شاء الله يا نورا انك ما زلت صبية ولديك مثل هذه الابنة .. كأنكما شقيقتان .

وقالت نورا :

---

* فيصل هو الابن الثاني للملك عبد العزيز وقد اصبح ولياً للعهد سنة ١٩٥٣ ، وهو حالياً رئيس وزراء المملكة السعودية ونائب الملك فيها . (ملك المملكة العربية السعودية منذ تشرين الأول ١٩٦٤) . الناشر .

– كنت مريضة .. لقد مضى علي اربعة أشهر وأنا على فراش المرض .. ولكن الحمد لله تحسنت حالتي .

– الحمد لله .

وسألتها عن السيدتين الباقيتين فقالت انهن زوجات ابنيها محمد الذي قالت انه تخرج الصيف لعمه أو مع زوجه سعود الفرقة المعروف تحببا بسعود الكبير .

وقالت لي :

– يجب ان تذهبي معنا الى مكة .

– وهل استطيع ؟ انني كافرة ..

– يجب ان تصبحي مسلمة مثلنا لتصلي كما نصلي وعندما تفارقين الحياة تدفنين رأسك الى جوار بيت الله الكريم المعظمة .. انني لا أستطيع ان أفكر كيف ستلقين في النار الابدية .. قولي انك ستصبحين مسلمة .. قولي ان شاء الله .

ولم اقل شيئاً فاستغفلت بهدوئي لأنني لم اكن اعرف معنى هذه الجملة . وهزتني من كتفي وقالت :

– قولي ان شاء الله .

فتمتمت قائلة :

– ان شاء الله .

والتفتت نحو حصة وطلبت منها ان تراقب ما اذا كنت قد اصبحت مسلمة مؤمنة حقاً .

وهنا قلت لها :

– بأمره .. فليسمح زوجي أولاً بالرغم من اني اخشى عندئذ ان يأخذ لنفسه زوجتين او أكثر من نساء البدو الجميلات .

– لا بأس في ذلك .. لا تقلقي .. كلهم يفعلون ذلك ولا تبالي .. انه شيء رائع ان يكون حولك كثير من النساء .. هل ابنتك متزوجة ؟

– لا ، انها في المدرسة تتعلم الكتابة .

– ولماذا يجب ان تتعلم ؟

ثم دخلت الجوهرة في الحديث وقالت :

– انا اعرف ان نساءكم ليسوا مثلنا .. فاذا لم يتزوجن يشتغلن لتحصيل معيشتهن .

واجبتها بقولي :

– هذا صحيح .. انا ننتظر ان يأتي الينا أحد ليتزوجنا ، وكثيرات من الفتيات لا يطلبهن أحد فيبقين دون زواج .

واقترحت على نورا بقولها :

– فلنتزوج ابنتك واحداً منا .

وعندئذ اخبرتني ان شيخاً من شيوخ اسعد جاء الي يوماً وطلب يدها وقال ان عن استعداده ان يعطيني اي عدد من الجمال اطلبه . وبعد التفكير قلت له : اعطني كل الخروف ، لأنني كنت أعرف ان المئات قد أخذها كلها من قبيلته مطير .. فذهب حزيناً ولكنه لا يزال يفكر فيها ويسأل عنها .

ودق جرس التلفون فجأة صيحة وانتحت صندوقاً صغيراً كان معلقاً على الحائط فوق رأسي .. وأخذت تتكلم وتضحك في الجهاز وبعثت رسالة الى سيدتها ثم تلك جرائم .

وقلت لنورا :

– ان اجهزة التلفون لا تفارقني .

وردت نورا علي قائلة :

– لا .. انها رائعة .. لست أدري اذا كنا نستطيع البقاء بدونها .

وكنا طوال هذه الحادثة نتناول الشاي والقهوة .

وقالت نورا :

– الشيوخ يأتون الى هنا دائماً بعد الظهر ولذلك اتوقع ان يصلوا قريباً .. فلنذهب الى هناك لنأكل بعض الفاكهة قبل مجيئهم .

واقتادتني عبر الباحة النظيفة الى زاوية الشرفة المقابلة حيث وجدنا صحوناً ملأى بالخوخ والاناناس والاجاص والبسكوت وفاكهة من دمشق ، فغسلنا ايدينا

وبدأنا نأكل .. وكانت الفاكهة لذيذة .

وسألتني :

لماذا لم تأت عندي كانت لدينا فاكهة طازجة .. فقد انتهت منذ شهر فقط .

وأخبرتها انه لم يمض على قدومي من لندن وقت طويل ولذلك لم يكن بمقدوري ان ازورهن قبل هذا الوقت .

ولم أكد انتهي من غسل يدي حتى سمعت أصواتاً معناها ان الشيوخ قد اتوا .

وقالت نورا :

– تعالي تعالي .

وهرعت عبر الغرفة لتحية شقيقها .

وكان الملك عندئذ جالساً على كرسي كبير في نفس المكان الذي كنا نجلس فيه منذ برهة . وكان ابنه الأكبر الأمير سعود واقفاً عند المدخل . ونهض عبد العزيز وحياني بابتسامة رقيقة ورده على حماسي بالعربية السؤال المعتاد :

– كيف حالك ؟

وبعد ان سلمت عليه بالعربية سألت الأمير سعود عن صحته بالانكليزية .. وطلب مني الملك ان اجلس . وجلست على يمينه وجلست نورا على يساره وبدأت تخبره كل ما دار بيننا من حديث وكيف وعدتها بأنني سأعتنق دين محمد واذهب الى مكة .

وقلت له :

– يا عبد العزيز انك بدون شك ستقطع رقبتي اذا ذهبت انا الكافرة الى مكة .

فضحك وضحك طويلا لدى سماعه هذه العبارة .

وسألته نورا :

– من هو زوجها ؟

— ديكسون .. صديقي منذ سنوات طويلة .

وهنا قالت نورا :

— يبدو انها تعرف كل شيء اذ طلبت مني ان اسمح لها بمشاهدة البوابة الكبيرى لقصر عجلان التي لا تزال رأس الرمح فوقها .

— طبعاً يجب ان تشاهدها ولكن من أين حصلت على معلوماتها هذه ؟

وهنا تطلع الملك نحوي وضحك .

وكان جوابي :

— انك ادرى الناس يا جلالة الملك .

فهم قصدي .

هل رأيت قصري الجديد ؟ يجب ان تشاهديه !

— اطال الله عمرك .

انه شخصية عظيمة .. اما ابنه سعود الذي كان يقف بعيداً عنا عدة ياردات ، فلم يكن شيئاً إذا قورن به .

وقالت نورا :

— لقد اخبرتني امي لا زلت ابدو صبية و كأنني شقيقة ابنتي .

فقلت لها :

— وهذا صحيح يا نورا .. فاذا طلقني زوجي فانني سآتي واعيش معك هنا دائماً .. اني اريد ان ابقى شابة مثلك .. ان كثرة العمل والضوضاء في الغرب تجعلنا نشيخ قبل الأوان .

وضحك الملك من قلبه ثانية واستأذنا بالخروج وعندما غادر المكان جاء الامير سعود الي فرفعت فوراً ذراعها حول عنقه وسألتني باعتزاز :

— كيف ترين سعود ؟ مثل والده ؟

— نعم .. ما اطوله !

وهنا قال لي سعود بالانكليزية ما معناه :

— كيف حالك ؟

– جزيل شكراً .. حسناً ، ها قد تعلمت بعض الانكليزية في لندن .

ولم يفهم شيئاً من ذلك ولكنه ضحك ولوح بيده وخرج مسرعاً ليذهب الى الملك .

وجلسنا مرة ثانية لنشرب الشاي والقهوة ثم جاءت امرأة بدوية فنهض الجميع لتحيتها وقالوا :

– هذه زوجة الملك .

واحتجبت عليهم ، وهي تغطي وجهاً خجلاً وقالت :

– لا .. لا ..

ولكن نورا قالت .

– هذا صحيح .. إنه مشيئة الشيخ فواز* من قبيلة الزرق .

وكان وجهها الصبح المستدير مزيناً بالوشم وكففت يداها وقدماها . وكانت تبدو غريبة بين السيدات الأخريات المتهدلات الوجوه . وكانت يداها متورمتين . فأشفقت كل واحدة تخطبها نصيحة بشأنها .

وسألت نورا :

– أتسمحين لي بالذهاب .

– انهي إذا شئت ، سأبعث عبدي معك لتدلك الى القصر الجديد ، اسرعي لأنه عند غروب الشمس تقفل جميع الأبواب .

وافترقنا .. وسرت الى قصر الضيافة ...

مقابلة ثانية مع الملك

وخلال إقامتنا في الرياض لفت انا وزوجتي جولة في جميع انحاء المدينة وضواحيها دون ان يعترضنا أحد . كما قمنا بزيارات الى مدينة الدرعية القديمة عاصمة نجد السابقة ، والى محطة الاذاعة ، والمرآب الملكي ، ومحطة توليد

* – فواز الشعلان رئيس فرع الرولة في قبيلة عنزة .

الكبيرة ، وقصر الشمسية القبطي ، ومكان السباق ، وقلعة عجلان الرئيسية التي استولى عليها ابن سعود عندما احتل الرياض في هجومه المدهش في بداية عهده ، والأسواق .

ولما سمع الملك كلماتي الأخيرة هذه [illegible] في مساء السابع والعشرين، ووجدته جالساً في نفس القاعة التي قابلته فيها سابقاً . وبعد التحيات المعتادة والاستفسارات عن صحة زوجتي سألني إذا كنت قد زرت مدرسته . ولما أجبته بالإيجاب قال لي بكل [illegible] ويطيب له بإمكاني أن أذهب إلى [illegible] في [illegible] بصحبة زوجتي والتقاط الصور الفوتوغرافية :

— أنت واحد منا يا ديكسون [illegible] ما تشاء في بلادنا .. فاذهب إلى أين تريد ومتى تريد .

ولما شكرته على عطفه هذا استأنف كلامه قائلاً :

— وأنه لا شك أنك تود زيارة القفوف والقصاف بمشاهدة آثار الناس هناك ، فقد أوعزت إلى ابن جلوي أن يقوم بالترتيبات اللازمة .

ووجدت صعوبة في التعبير له عن رقيق شعوري ولا يسمح لي المقام بمثل هذه الزيارة . واستأذنت بالخروج من مجلسه بعد أن قرأت نشرة الأخبار بالعربية .

وحان موعد رحيلنا إلى الكويت يوم الخميس بعد الظهر في الثامن والعشرين. وفي الساعة السابعة من صبيحة ذلك اليوم شاهدنا عرضاً شيقاً ، [illegible] رقصة الحرب استغرقت ربع ساعة في الساحة الكائنة أمام القصر ، فكانت زوجتي تشاهد العرض من [illegible] السيدات مع [illegible] والأميرات [illegible] الشاهد [illegible] من الطابق الأرضي عند مدخل القصر حيث كان قائد [illegible] في [illegible] الصفحات التالية تصف زوجتي هذا العرض .

رقصة الحرب

• بقلم فيوليت ديكسون

تقرر أن يقام عرض في اليوم الرابع من زيارتنا لمقابلة الأمير سعود لمشاهدة

الفرجن من النوافذ العليا في القصر . وبعد ساعة من شروق الشمس توجهت مع خادمتي حرمة الى المكان بسيارة خاصة . ودخلنا من نفس البوابة التي دخلناها من قبل ، فوجدنا الساحة مكتظة بالخيول وكلها مسرجة بسروج فخمة وأحزمة من الصوف الثري .

ومررنا بين الخيول متلمسين طريقنا الى الدرج ثم الى الشرفات بين الغرف كبيرها وصغيرها الى ان وصلنا الى غرفة صغيرة ازدحمت بواقفات بالسيدات عرفت منهن اللواتي استقبلنني صباح الثلاثاء فقادوني الى مكان مناسب .

وتطلعت من النافذة الصغيرة فوجدت الساحة كلها مكشوفة تحت نظري بفراقص فيها رجال مسلحون يرتدون ملابس بيضاء وينشدون الاغاني .

وكان حصيراً فوق تلك النوافذ شريط من القماش الابيض كانت النسوة يقفن وراءه محجبات الوجوه . وفجأة أحسست بمن يتعانقني وسمعت احداهن تقول :

تعالي .. تعالي ..

وبدون ان أعرف سبب هذا الاحتفال أو اتجاه شعنهن عبر القاعة الى غرفة كبيرة . وهنا أيضاً كانت كل ناحية تكتظ من النساء . وقد جمعت جميع المسافة من الشرفة لكي يتمكن من الركوع عليها ومشاهدة الرقص دون تعب . وكانت لكل نافذة قضبان خشبية ومعالق خشبية عليها نقوش من قسيم كالابواب تماماً . وكان السقف مغطى بقماش أبيض علق شريط من موضعه على طول الحائط فوق النوافذ .. ولكن قبل ان تغادر كان كل شيء ممزقاً ومرمياً على الارض .

الساعة الآن حوالي الثامنة صباحاً . وفي التاسعة كانت تقرع الطبول والرجال يرقصون رافعين السيوف بأيديهم ومنهم من كانت دروعهم مشابكة يتوحدون ويعيشون على النغم وهم ينشدون اغنيات الحرب المليئة باخبار الحب والفروسية . وظهر الامير سعود تحت مشيرة وكان يلبس ثوباً من الحرير الابيض وعلى وسطه خنجر ذهبي وعلى رأسه عقال مذهب فوق كوفية (غطرة) من الحرير الابيض . وكان معه حوالي ٢٧ شاباً من اولاد الملك وأولاد ــــ الجمسري حاكم حايل

وغيرهم من شبان البيت السعودي .

وانتظم الجميع في صفوف مستقيمة بعد ان نزل سموه الى الحلبة يدفع صفاً الى الوراء وآخر الى الامام الى ان أصبح الرجال السيفية أو القنابة يرقصون بشكل منتظم . وشارك سموه في الرقص – يحيط به رجال يضربون طبولاً صغيرة . وقد استرعى انتباهي واحد منهم يلبس طربوشاً احمر ذا شرابة سوداء شدت تحت ذقنه بشريط .

وخرج الملك من القصر عندئذ وجلس على مقعد حجري مرتفع عند الجهة الشرقية من الساحة يحيط به المشايخ – رجال الدين الوهابيين – وصار الراقصون يتحركون ببطء باتجاه الملك الذي انضم اليهم وسيفه في يده يرقص ما يقرب من العشرين دقيقة . وكان من الصعب ان اشاهده من المكان الذي كنت واقفة فيه ، اذ كان الى يساري مباشرة تحجبه عن نظري القضبان الحديدية . والسبيل الوحيد الى رؤيته هو الشاحة الملتج عن وجهي والخماص عبر القضبان تماماً !

وبعد وقت قصير ضمته دهراً لأنه رفعني الحلة الوثائق من الرقوع . شاهدت الملك واولاده يسيرون بين الراقصين نحو مدخل القصر . وهناك أصبح بامكاننا رؤيتهم بوضوح لأنهم كانوا تحت النافذة مباشرة . ووقفت هناك اتطلع اليهم الى ان اختفى الملك داخل القصر . ولما تركت من النافذة كانت الغرفة خالية الا من حصة وعمدة أخرى .

وعمت العمدة بالخروج إلا ان حصة وقد بدا عليها الخوف استوقفتها وتوسلت اليها ان تدلنا على الطريق لانه لا يمكن ان نجد طريقنا بأنفسنا .

وتبعناها عبر الممرات الكثيرة الى ان وصلنا الى الجسر حيث كان رجل واقفاً يبدو انه يتأكد من ادخال النساء كل الى جناحها . وقال لنا :

– أنتما الاخيرات .. هيا اسرعا .

ومررنا عبر عبادة الدكتور ممعن الصغيرة فوق البوابة والرجل يدانا بقوله : من هنا .. من هنا ..

وأخيراً وجدنا أنفسنا وحيدين في غرفة الاستقبال أو المضيف حيث جلسنا بعض الوقت بينما كانت إحدى السيدات تروح وتجيء الى أن جلسنا. أما طلال والسيدة السباة بلوم وبعد حين تعشينا. وكانوا جميعهم لطيفات معي ولعلني ان أكون قد استمتعت بالعرضة أو أن أكون قد شاهدتها جيداً. وأخبرتني ان العرضة أقيمت بمناسبة انتهاء أحد الاولاد الصغار من قراءة القرآن الذي ينهي هذه المهمة بسرعة وجدارة. وقالت من أنها بحثت عني فلم تجدني وكانت تشاهد الرقص من غرفة في طرف القصر أبعد من الغرفة التي كنا فيها.

والتفتت الى السيدة الأخرى لتسألها عن الغريب الذي قبل يد أحمد في الصحة ظناً منها انه زوجي.

وقيل لها:

— لا .. انه ابن شيخ دبي.

واندهشت كيف عرفت وهي لا تعرف.

وسألتها:

— الم تري ديكسون؟

— طبعاً اعرفه .. بلغيه سلامي.

— وهو ايضاً يسلم عليك بالمثل.

ثم ابدت إعجابها بالحلق المعلق في اذني فخلعتها لتراها عن كثب. وسألتني:

— من أين اتيت بهذا الحلق.

— حصلت عليه في القدس منذ زمن طويل .. انه من صنع بخارى التي تقع وراء بلاد العجم.

— كم ثمنه؟

— اعتقد ثلاثة جنيهات.

— ليس كثيراً.

وعادت فتفحص خيوط الذهب في ثوبي الاسود وعجبت بالطريقة التي سبكت بها الاوراق في الثوب. واخبرتها ان هذا القماش جاء الى اسواق الكويت

مؤخراً ، ووعدها ان ترسل لي قطعة منه عندما أعود . وتحدثنا عن مواضيع اخرى الى ان ظهر الدكتور مدحت في الباب وقال ان الملك سيستقبلني وطلب مني ان اتبعه ، فمشيت معه عبر الممر الى الجناح حيث تركني عنـــد مدخل احدى الشرفات .

وعند نهاية الشرفة كان يجلس رجل نحيل وجهه الى الجهة الاخرى ويلبس قميصاً قطنياً وعلى رأسه كوفية بدون عقال . وللوهلة الاولى لم اعرف انه الملك .. إلا بعد ان نهض ليستقبلني وطلب مني ان اجلس على كرسي بجانبه . وبعد الأسئلة المعتادة عن الصحة والحال .. ثم طلب كأساً من الماء فقدمت احدى العبدات وبيدها كأس جرعها كلها . ويبدو انه تعب وشعر بالارهاق من جراء الرقص واشتداد الحرارة لأن الوقت كان يقترب الظهر . ومع ذلك عمل بجهده ليراني قبل ان اغادر عاصمته .

وحدثني بعض الوقت عن عائلته وكيف انه يرغب في تعليم اولاده ركوب الخيل واطلاق النار منذ الصغر وقال :

ـ يجب ان يصبحوا جنوداً ... كلهم .

وطلبت منه ان يأذن لي بزيارة شمعتي في ربيع مشاهدة الأزهار ، فابتسم وقال : ان شاء الله . ولم أكن اعرف ما إذا كان هو سيطلب مني الانصراف او استأذنه انا بالانصراف .. وعندئذ نهض الدكتور مدحت يؤشر لي من طرف خفي ، فشكرت الملك مرة اخرى على لطفه وكرمه وانصرفت عائـــدة مـع نصيب الى الغرفة التي تركت قلنسوة فيها .

وبعد الدكتور مدحت يحدثني بالفرنسية واشتركت معنـــا بالحديث في الفرنسية صبية سورية دخلت علينا . وهنا انصرفت النساء للكويت فأخبرني الدكتور مدحت انه التقط صوراً جيدة للرقص وطلب مني ان آخذ الفلم معي الى الكويت لأحمضه واعيده اليه . وقال انه نظراً لأن زوجي لم يلتقط اية صور ، فبامكاني ان احتفظ بنسخ من الصور بقدر ما اريد . فوافقت شاكرة . ولما كان الفيلم لا يزال يتسع لصورتين فقد اخذ صورة لي مع حصة ونحن جالستان في

الغرفة وأشرق بي في الشمس أمام أحد الأبواب الجبية .

وقال الدكتور مدحت :

— يؤسفني انني لا استطيع أن أصور الثلاث .

وعندئذ دخلت مسالتي التي شهرها في رمضان فودعتها .. ثم أمرت احدى الصفات أن تفحص عن النساء الأشربات لكي يأتين لوداعي . وبعد برهة عادت السيدة لتقول انهن لن يتمكن من المجيء ، فتركت مع حمدة على الخروج الى حيث تنتظرنا السيارة . [illegible]

وداع الرياض

كنت قد قابلت ابن سعود قبل مقابلة زوجتي الأخيرة له . فمنذ كانت المرضة على وشك الانتهاء توجهت مع فؤاد حمزة الى مكتبه في القصر . وبينما كنا جالسين نشرب القهوة أطل الملك لوحده لاهثاً يبدو عليه التعب من الرقص . وبعد ان استرح مدة أخبرني انه يرى اننا سنغادر الرياض بعد الظهر خصيصاً لوداعي .

وأخبرني وهو يضحك انه قابل زوجتي في قصر شقيقته نورا وكيف أن نورا حاولت ان تحمل زوجتي على اعتناق الاسلام . وقال :

— ولكن زوجتك ترددت في قبول ذلك خوفاً من أن تغضب سيدنا ديكسون فالزوج ثلاث نساء أخريات .

وأخبرني أيضاً وهو يضحك ملء فمه ان زوجته أكدت انها في حال طلاقها مني ستأتي الى الرياض لتعيش مع نورا في قصر الشمسية .

وبعد هذا الحديث انقطعت عاد يتحدث عن قضية فلسطين طيلة نصف ساعة مستعيداً كل الحجج التي عرضها سابقاً ولكن هذه المرة بصورة أكثر جدية . ويبدو انه بالفعل كان يخشى خطر الانقسام بين العرب والانكليز بسبب القضية الفلسطينية .

— وان حكومتك تحفر هوة سحيقة بينها وبين العرب . فاذا لم تتوقف عن

الخطر فسيتمدد كلامسه في القوة . لا يزال هنالك حجر عثرة هذه القوة ولكن استمرار الخطر سيدمره وتكون نهاية الصداقة العربية – الانكليزية . فليس هنالك شيء يستطيع اقناع حكومتك بالموقف ؟ .

واستطرد يروي لي كيف كان الاتراك في زمن من الأزمنة شيئاً عظيماً يعرفون كيف يعاملون امراء الجزيرة العربية بالتقدير والاحترام ويطلبون نصحتهم وفوق كل ذلك يغدقون عليهم الالقاب والمكافآت . كان ذلك في الايام التي كان يسلم مقادير الامور في تركيا رجال عظماء . ولكن في الأزمنة المتأخرة لم تعد تركيا تنجب مثل أولئك الرجال فكانت النتيجة انها لم تعد قادرة على الاحتفاظ بالجزيرة العربية او حتى باجتذاب العرب لها . ففي كل مكان كنت تجد مسؤولين وموظفين اشرار انحرفوا عن الطريق السوي فأصاب ادعم سمعة ونفوذ الحكومة المركزية . هكذا كانت النتيجة ان انهارت تركيا وتخرب الضعف من الداخل . في ذلك بسبب اخطاء المسؤولين في المناطق الذين كان كل همهم في الحصول على ثروات رخيصة وفي جمع ثروات ضخمة عن طريق الرشوة بصرف النظر عن اي اعتبار آخر .

وقال الملك ايضاً :

– ان حكومتكم اليوم تسير تقريباً على نفس الطريق التي سار عليها الاتراك قديماً . فمسؤولون في الواقع لمهمة يقتفون خطى المسؤولين الاتراك في أواخر عهدهم ولا يأبهون بواجباتهم تجاه الحكومة المركزية .

ويعطي الملك مثلا على ذلك قضية عزل الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين سنة ١٩٢٣ ، التي قال انها اضرت بمصالح انكلترا في الجزيرة العربية اكثر من أية قضية أخرى منذ مئة سنة .

وقال الملك :

– ان الشيخ عيسى ليس فقط ابا الخليج الفارسي بل ابا الجزيرة كلها . فنحن العرب ، وخاصة نحن وبيتنا ، ننظر اليه بعطف بالغ . وكنا على استعداد لأن نموت من اجله لو انه رفع اصبعه طالباً المساعدة . فماذا حدث ؟ طرد من مملكته

القصمين وهو ابن القصمين احتفظ بطيور الأبوفادات في الحرية كسر القلب حبوراً من الشرف . كل ذلك من أجل ماذا ؟ لمجرد ارضاء طموح ضابط سياسي معين . ان مثل هذه الأشياء يجب ان لا يسمح بحدوثها ، ويجب على حكومتك التخلص من موظفيها بصورة أفضل .

وقال ان هذا هو السبب الذي من أجله طلب من ترسو حكومة صاحب الجلالة موظفين تختارهم من بين الأكفاء من وقت لآخر لكي يجري الحديث معهم من الرأس الى الرأس . وبعد ان شن حملة على بعض المسؤولين البريطانيين في الخليج لا حاجة لذكر اسمائهم ، اغتنمت الفرصة لأشكر جلالته على كرمه ولطفه تجاهي وتجاه زوجتي واستأذنت بالانصراف . وكان آخر شيء فعله انه أمر بان تقرأ برقيات ، رويتر ، بحضوري وقال :

– انني في هذه الأيام اعيش على البرقيات لان الأوضاع العالمية تتأزم في كل مكان ويجب ان أبقى على علم بكل شيء .

وبعد ذلك غادرته بكل احترام .

كانت السيارات تنتظرنا في قصر بديعة محملة بكل ما يلزمنا في طريق عودتنا . وبعد تناول الغداء انتقدت كل الهدايا بعض المال (عددهم ٢٠ خادماً) ، وودعت الجميع . واختلفت أصوات تراجع النساء في الحديقة وراء القصر وسط صيحات سرورنا . . . فشكرنا بحرارة وانطلقنا .

طريق العودة

بقلم فيوليت ديكسون

ولما كنا قد غادرنا الرياض في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر ، فقد نصبنا خيمتنا للقضاء الليل عند آبار رماح على بعد ٩٢ ميلاً من الرياض . كان مساء لطيفاً وكانت الأرض تبدو مثلي بحصوات البوبوع مع انني لم أر واحداً منها . وبعد حلول الظلام تحولت حاسة شمة بيدي ولكنني لم أعثر الا على عصفور متين داخل ثقب حفره لنفسه .

وقد تسلينا كثيرة على العشاء ذلك المساء لأن السائق محمد كسر احد أسنانه الأمامية باللحم القاسي وابتلعه !

في صباح اليوم التالي زرنا آبار ودعج والتقطنا بعض الصور . كانت هنالك خمس آبار كل واحدة على رأس تلة صغيرة . والآبار الحقيقية مبنية من الداخل بحجارة محفورة ويبلغ قطر فوهة البئر منها حوالي ٢٠ قدماً . اما الماء فيقع على عمق ٣٥ باعاً اي ما يوازي ٢١٠ أقدام تقريباً .

ولاحظنا حول احدى الآبار خمس قواعد مثبتة على أعمدة خشبية ، وخمس سواقي ركبت على خمسة جمال يسحبن الماء من البئر بالنزول عبر منحدر التلة . وبهذه الطريقة كانت تسقى مئات الجمال وكاد النكاد يرده صدى شكاة كل جمل باسه ليخف الى شرب الماء .

ورست الفرج على الجمل رود الطيارة ، كما يسميه البدو — الذي تستخدمه النساء . وكان مزيناً بالأصداف وبالقماش الملون تتدلى من احد جانبيه شراشيب الانف الذهبي لصاحبة الجمل ، وفي قمره تطريزات جميلة في وسطها صدفة كبيرة وتتدلى منه سلاسل طويلة جداً . واراد ان يساعدني ان اشتريه ولكنني لم اكن املك مالاً . وكاد كل الذين صادفناهم هناك من قبيلة سبيع .

وقطعنا المسافة مرة ثانية بسهولة لأننا اتبعنا الطريق الرئيسية طوال الرحلة ، فكان ذلك أسهل بكثير من الطريق القصيرة التي سلكناها سالفنا في الرحلة الى الرياض . وتوقفنا عند دهر الشامي حيث يتجه طريق الجمال الى الاحساء وزرنا هناك . وكان مدخل النحل صغيراً جداً اذ لا يتجاوز قطره الاربعة أقدام ، اما جوانب فكانت وكأنها مرمر مصقول تخترقها اشكال لا تحصى عشر وصلات . ويبدو ان هذا النحل قديم العهد جداً والصور انه كبير جداً من الداخل .

وتوقفنا بعد ذلك عند دهر قديم غير مستعمل يعرف بنحل النحل لأن شجرتي نخيل ترتفعان بجانبه . ونظراً لوجود بعض الظل هناك فقد قررنا ان نتناول طعام الغداء في الظل . وهناك جمعت عدداً من ريش البوم والبط ما يدل

من انه في الشتاء يغلي الدهن بالماء فتأتي الطيور لتلتقم حوله .

وقضينا الليلة التالية في مكان جميل الى الشمال من جاريه عليا على مرأى من نخيل البدو حيث تكثر شجيرات الحلا والحمض . واستأنفنا السير في السادسة صباحاً فوصلنا الى الكويت في الحادية عشرة .

وخرج عبدالله الملا لاستقبالنا ما بعد بوابة جهرا فتوقفنا عدة دقائق في سوق جهرا الذي كان صالح فتجمهر حول عدد من الفضوليين الذين تجمعوا لمشاهدتي بالملابس العربية .

ويتبين من عداد السيارة ان طول الرحلة ذهاباً وإياباً بلغ ١٥٢٠ كيلومتراً أي ما يزيد على ٩٤٤ ميلاً . (انتهى تقرير ديكسون) ...

انطباعات

يمكن اختصار انطباعاتي الشخصية عما رأيته وسمعته في الرياض بما يلي :

ان الشعب في المملكة العربية السعودية ولا سيما رجال الدين منهم ، في حالة تأثر شديد حول قضية فلسطين. ولكن الملك هو في مركز القوة قطعاً ويستطيع كبح جماح شعبه والسيطرة عليهم . وبالرغم من انه متشائم ومتألم للاتجاه السياسي في فلسطين ، وخاصة مشروع التقسيم ، فهو مصمم على ان لا يخاطر بالعلاقات الودية القائمة بينه وبين الحكومة البريطانية . وذلك فانه لن يقوم على الاطلاق بأية حركة معادية لبريطانيا في الجزيرة العربية ، باستثناء إعطاء النصح وتقديم المقترحات .

ان سياسته في البقاء على الحياد ستضر بنفوذه في الجزيرة وهو يعرف ذلك . وشعوره لو ان الحكومة البريطانية تمنحه شيئاً مقابل ذلك في الأزمة الراهنة ، شيئاً يعود بنفع مباشر على العرب والجزيرة العربية خاصة تقدره شعوب الجزيرة ، فتكون بذلك عملت عملاً حكيماً . اما هو فسيجد طريقة في شرح فوائد تلك المنحة لرعاياه بما يؤدي كما اعتقد الى خلق جو بين العرب أقل عداء . ويجب ان يكون « الشيء المقابل » كريماً جداً لأن التباطؤ في مثل هذه الحال يسبب

كل شيء .

أما زوجتي التي استقبلت ثلاث مرات من قبل النساء الملكيات ، فقد أعجبت بصورة خاصة بالسيدة نورة التي وصفتها بأنها من أكثر النساء اللواتي قابلتهن جاذبية ومرحاً . فهي من أهم الشخصيات في الجزيرة العربية وتشارك شقيقها الملك في كل مطالب . لقد عجبت نورة بالشاحنة الجديدة التي ابتنتها شركة نفط الكويت في مقوى والكتب ، حسب ما قالت لزوجتي ، تعتقد أن تلك الشاحنة ليست إلا حصناً عسكرياً للدفاع عن حدود الكويت الجنوبية . ووجهت زوجتي ضربة قاتلة في اقناعها بأنه لا يوجد أي حصن من أي نوع في ذلك المكان . ومما لا شك فيه أن نورة كانت تتصور في مخيلتها المركز العراقي في بسرة بالصحراء الجنوبية والذي أحدث كثيراً من المتاعب .

لقد عاشت نورة بنت عبد الرحمن الفيصل آل سعود حتى سنة ١٩٥٠ عندما توفيت بسلام في الرياض . ولا يزال كل فرد من عجمان يحتفظ لها بذكرى طيبة ليس من أجل شقيقها الملك بل من أجل زوجها سعود العرافة . إنها لا شك من أجل وأعظم وأشهر النساء في كل عصر ، ولا ينافس اسمها إلا اسم شقيقها الملك ابن سعود ، وإنها بقيت ليس رجلاً عادياً واسمه محمد ، لكن عجمان تناديه باسم شقراء وهم يعبدونه .

الفصل السادس عشر



١٩٣٩

عرس في الكويت

بقلم فيوليت ديكسون

العروس هي موزا بنت فاطمة ابنة شقيقة حمد شقدمي . والدها احمد خلف هو رجل فقير أعرج ورث بسبب شجرة في احدى ساقيه منذ عدة سنوات . وكان يحصل على معيشته من زراعة قطعة أرض اعطاها اياه الشيوخ .. فكان يزرع قرب الخس والسبانخ والفجل والقرنبيط والملفوف ودوار الشمس وبعض الأزهار من بذور كنت اعطيها له . ولم تكن زوجته وشحا تهتم بأمور الزراعة بل كانت تفضل زيارة اصدقائها وحضور اي احتفال في الجوار .

وقبل عدة سنوات استأجر خلف شاباً يعاونه في الحديقة . وبعد مدة قصيرة توفي والد الفتى وتركه يتيماً . ولما بلغ سن الرشد زوج من ابنة خلف كتعويض له عن عمله خلال السنوات القليلة الماضية .

الزواج والطلاق امران في غاية السهولة في الجزيرة العربية . وحفلة الزواج بسيطة جداً اذ يأتي الملا ويسأل الرجل أمام الشهود ما اذا كان يريد فلانـــة

زوجة له . وبعد ذلك يسأل من ينوب عن الفتاة (عادة والدها أو شقيقها) ، فاذا كان الجواب « نعم » انتهت الحفلة . واحياناً تجلس العروس خلف ستار في الخيمة اثناء هذه المراسم وتسمع كل شيء . ولكن ذلك نادراً ما يحدث . والكي يطلق الرجل زوجته ما عليه إلا ان يقول أمام الشهود انه لا يريدها ويردد ذلك ثلاث مرات .

ويتبع الزواج فترة قصيرة تدعى « ملكشة » أو الخطبة تستمر احتفالاتها عدة ليال . وقد دعينا الى هذه الاحتفالات في يومها الثالث .

كانت الساعة السابعة مساء في احد أيام كانون الثاني سنة ١٩٣٩ عندما وصلنا الى منزل حمدة التي كانت باحته مزدحمة بالنساء بعضهن محجبات والبعض الآخر سافرات . وكان المنزل مضاءً بسراج معلق في وتد دق في الحائط . ودخلنا الى غرفة حمدة حيث قدمت لنا القهوة ثم جلسنا كلنا عند عتبة الباب تقريباً بين أحد فريق من « الصبيدوس » معظمهن عبدات كبيرات السن يضربن على الطبول وينشدن اغنيات تليق بالمناسبة مع الاشارة الى اسماء ولدينا سعود وزهرة .

ومن وقت لآخر كانت احدى الفتيات العربيات الموجودات ، وخاصة اذا كانت ملابسها أزهى من الاخريات ، تفك ضفائرها للحجل وتتقدم الى العتبة أمام الباب وتؤدي رقصة من الرقصات . فاذا كانت من حوازم ترقص رقصة خاصة بالبدويات من حوازم . أما اذا كانت من أهل المدينة لابسة فستاناً قصيراً وجوارب قطنية فترقص كنساء المدن رقصة اكثر صخب كثير من الفر والزهو وسط تهليل الحاضرين وتصفيقهم . هذا ما كانت تؤديه راقصات الدرجة الأولى . وكانت بعض الفتيات يرقصن جيداً والبعض الآخر يتظاهرن بالخجل ويدعين بأنهن لا يعرفن الرقص .

ولاحظ غياب العروس التي قيل انها جاءت الى منزل الجيران . اما والدة العروس فكانت تصدر الاوامر فتحضر هذا وتدفع ذاك الى الخارج لأنه غير مدعو . ولم تهدأ طوال الوقت لحظة واحدة . ومن فترة لأخرى كانت ترش فوق

رؤوس الراقصات بسيقان الجميع الجلفة فتدافع الأطفال متحسرين للالتقاط من الأرض ويدوسون على كل من يأتي في طريقهم .

وبعد ساعة تتعطف الساحة شاهدة خلافاً رقصات متعددة ، وكانت تأتي قبيل حصة كثيرا من تكون هذه السيدة أو تلك أو مادة تمي هذه الاغنية أو تلك ، قوة الانصراف .

وبعد ثلاثة ايام بالضبط جاءت ليلة الزفاف وهي ثالثة حضور الاحتفالات في منزل حصة ، وقد وصلت حصة الى تسليم سريرها الخاص الى ابنة شقيقتها وعريسها لمدة اسبوع . وقد تأت في العمل ذلك اليوم لأنها انهمكت منذ الصبح الباكر بتنظيف الغرفة ونقل الأمتعة والملابس منها وإعدادها لتكون غرفة الزوجية . واستعارت من عند الجيران حوالي ٢٠ مزهرية حمراء وزرقاء وضعت في صفوف حول جدران الغرفة ، ووضعت بينها في فناجين قهوة شموع اللانارة لأنه كما تقول حصة ليس من اللائق انارة الغرفة بمصابيح النفط . وفرشت أرض الغرفة بحصير مقطعة من الحرير الأزرق . وعلق فوق سرير حصة الكبير عقلات مثانير بلون الزهر ربطت بشريط أزرق . وعلى السرير وضع فراش جديد فوقه لحاف جديد من القطن أحمر اللون قدمه العريس حسب العادات العربية ، ووسائد محشوة جيداً ذات أغطية حريرية زرقاء على الجانبين ويغطيها في الوسط حزام قطني .

منذ الصباح الباكر كانت حصة وبعض جاراتها مشغولات بإعداد موزا بنت فاطمة العروس ، فغسلتها جيدها بالماء وشعرها بأوراق السدر ووضعت الحنة على يديها وقدميها وتفرد دهن العروض على شعرها ، وأخيراً عطرت ملابسها بأن وضعت الملابس فوق موقد يحترق عليه البخور .

وقد أحضر والد العروس من حديقته سلة صغيرة مصنوعة من أوراق النخيل ملأى بالشمه ، وهو نبات طيب الرائحة . وكان هذا النبات قد رش عليه الماء ليحتفظ بحيويته وقبل بدء الاحتفال رش عليه ماء الورد ونثر تحت وفوق لحاف سرير الزوجية .

توجهنا الى المنزل في حوالي الساعة السادسة مساء فوجدنا الردهة مشعشعة بالضوء كما في السوق ومزدحمة بالنساء الى درجة الاختناق . واستقبلتنا والدة العروس وادخلتنا الى غرفة الزوجية [illegible] النسوة يرقصن خارج الباب . وظل الغناء والرقص مستمرين الى ان علمنا ان العريس قادم ، بعد ان [illegible] وصلى في المسجد ، على رأس مجموعة من خمسين او ستين من اصدقائه وجيرانه واقاربه تسبقهم ثلاثة من مصابيح [illegible] المرفوعة عالياً وخمسة او ستة من قارعي الطبول فقد كان الرجال يرقصون على صوت الطبول طيلة الطريق .

كان الموكب يقضي [illegible] العريس وصحبه اولاً [illegible] الذي [illegible] من المال [illegible] الموكب عند منزل حميدة ووقف خارج منزل الاصدقاء [illegible] قليلاً .. وهناك قرعت الطبول ورقص الرجال مدة من الزمن لا تتجاوز العشر دقائق . تلك عادة قديمة وفي الاعراس الكبيرة يستغرق سير الموكب الى حيث يقصد عدة ساعات .

واخيراً وصل موكب العريس الى امام باب منزل حميدة . وصمت في داخل [illegible] لأن النسوة [illegible] في لبس عباءاتهن وتغطية وجوههن [illegible] للانسحاب الى غرفة اخرى ولكن بعضهن [illegible] الحائط [illegible] في الصحن .

فبقيت [illegible] في الغرفة فسرعت بالخروج منها الى غرفة اخرى [illegible] من [illegible] زوجتي لوحدها في الغرفة لا [illegible] كيف [illegible] ثم دخل العريس وجلس على الأرض بجانبها . وهذا هو الوقت الذي تتعرف عليه حين يلتقي بالعريس اثنان او ثلاثة من اصدقائه لاعطائه النصائح الاخيرة والارشادات فيما يتعلق [illegible] العريس ليلة الزفاف ولكن نظراً لوجود [illegible] هناك فان شيئاً من ذلك لم يحدث وترك الشاب الخجول لوحده مع زوجتي .

في الخارج كان الرقص على اشده لا بل كان الرجال يرقصون على صوت الطبول بحماس كبير [illegible] فوق رؤوسهم . وفي داخل الغرفة التي كنت فيها كانت العروس مضطجعة على فراش ومغطاة بعباءة قديمة

وكانت تبكي وتشهق طوال الوقت . وحضر سوية عدد من صديقاتها يحاولن ادخال السرور الى قلبها بالنكات المضحكة والتعليقات الطريفة لما كانت ... في تعاستها . فبين وقت وآخر كن يخامرن عن العيدة ويضعن ايديهن على قلبها ويدلين انه يخفق بشدة .

كانت العروس تلبس فستاناً من حرير تحت ثوب أسود مطرز وتضع على شعرها ما شعرها مسرحاً تسريحة جميلة ومطلياً بالدهن والعطور . وكانت راحتا كفيها وقدميها مطلية بالحنة البرتقالية اللون .

عند الساعة التاسعة تفرق الراقصون والعازفون وذهب كل الى منزله . واسرعت جدة الى العريس لتهمس في اذنه الارشادات الاخيرة المهيئة للدخول في عروسه . وعندما دخلت العروس الى الغرفة فشلت قلب العريس من زوجي ان يخرج الى الرهبة .

وخطبت موزا بسيدة ، حاطتها ... بيتها كانت والدتي ... وحدة حتين ، وادخلتها الى الغرفة حيث نزعت عنها العباءة ووضعت على الأرض . وجاء العريس الى حيث وضعت العباءة مع جب الثلبة استعداداً لأداء الصلاة . وعندما انتهى من الصلاة بعد عدة دقائق خرج النساء من الغرفة بعد ان طبعت كل واحدة منهن قبلة على وجنة العروس ، وأغلقن الباب خلفهن و تفجرت شقيقة موزا الصغرى باكية وخرجت الى البيت وكأنها تريد ان تقتلها . ولكن والدتي التي كانت تبكي هي الاخرى ابعدتها عن الباب .

قبل ان يجامع العريس عروسه عليه ان يصلي على عتباتها . هذه هي القاعدة . ويظل المدعوون في الباحة الخارجية ، وفي الغرف الاخرى ينتظرون نجاح العريس في الدخول على زوجته .

ولم نرغب ان نبقى حتى منتصف الليل فانسحبنا مع أن الضيوف يرون ان هذه الفترة هي اهم مراحل الاحتفال .

وفي اليوم التالي قصت علينا جدة كل ما حدث بعد مغادرتنا . فقالت انه عند منتصف الليل صدر عن العروس صراخ أدى بطبيعة الحال الى ابتهاج

الضيوف في الخارج . وبعد وقت قصير فتح الباب قليلاً وألقيت منه رقعة ملطخة بالدم .. ثم أغلق الباب ثانية . وفرحت والدة العروس فالتقطت الرقعة ودارت بها على الضيوف . وهذه عادة قديمة الغرض منها أن يثبت العريس في النزال أن العروس كانت فعلاً عذراء .

وتفرق الجيران والضيوف .

وبقيت حجرة نوم هذا التاجر تحجز العريس وعدم تمكنه أن أدعى مسلاة بخروج من المنزل . وجاءت والدة العروس وصديقاتها ليهنئنها وألبستها ثياباً جديدة وأهدتها مرة ثانية زوجها الموسيقي المجهز في ساعة متأخرة من المساء .

هنالك وقت معينة في ذلك اليوم واليوم الثاني يستقبل فيها العريس مع زوجته . وفي مساء اليوم الثالث فقط تقبل العروس كل طلبها تدهنها وأقرباؤها وصديقاتها لتهنئتها . ولهذا الغرض ذهبت إلى منزل جدة قبل ساعة من غروب الشمس في اليوم الثالث . ودعيت إلى غرفة تقبل التهنئات حيث قدمت لنا القهوة ورش علينا ماء الورد ثم احترق العود وأدير على الجميع .

ودخلت العروس وركعت أمام كل واحدة من الحاضرات لتقبل التهاني بمناسبة زفافها . وكانت تبدو جميلة جداً وتختلف تماماً عما كانت عليه وهي تجلس باكية في زاوية الغرفة ليلة زفافها .

كانت ترتدي فستاناً حريرياً برتقالي اللون وفوقه ثوب أسود مطرز بخيوط ذهبية ، وعلى رأسها وشاح ذهبي محاط بشريط ذهبي على الأطراف تتدلى من بعضها الصدف . وكان في أذنيها قرط ذهبي وفي أنفها خزامة من اللؤلؤ والصدف . وتدلى على صدرها فوق الثوب عقد من السلاسل الذهبية . وتدلت على أعقاب ظهرها قطع طويلة من القماش الأسود زينت بأشكال تشبه الأحواض الهلالية مطرزة من خيوط ذهبية بارزة . أما معصماها فقد زينا بعدة أساور ذهبية ، وزين قدميها بخلخالين ذهبيين ثقيلين .

ومن سوء حظها أن كل تلك الجوهرات مستعارة من سيدات الشيوخ اللواتي يعطين مجوهراتهن لمدة ثلاثة أو أربعة أيام لأية عائلة تطلب . وتعاد الجوهرات

في الوقت المحدد مقرونة بتبديل او قطعة قماش .

وبعد ذلك تعود العروس فتصبح امرأة عادية مرة أخرى ، ويجب الاقتصار سبعة أيام على الزفاف تقضيها في منزل والديها (في حالة موزة في بيت عمّاتها) ثم تعود العروس مع زوجها الى منزله .

ولم تطل حياة موزة الزوجية كثيراً اذ في نهاية عام ١٩٤٩ مرض زوجها بعد وجبة من السمك وتوفي بعد اسبوع تاركاً لها طفلاً صغيراً .

التزامات اجتماعية

سأذكر عبدالله بن الفالح بن السعدون وهو الرجل الذي قتل عبدالله بن احمد الليبيا ، ثم بغداد سنة ١٩٣١ . فبعد اجتماعي به في البصرة اثر اطلاق سراحه من السجن كنت ارسل لعبدالله بطاقة تهنئة كل سنة ، واحدة في عيد الفطر والاخرى في عيد الأضحى . وفيما عدا ذلك لم اكن اكتب له او اتصل به . فكان يعيش في عزلة تامة لا يخرج إلا الى الصحراء الجنوبية جنوب غرب الزبير كل ربيع مع عدد من اصدقائه ليتمتع بالمراعي الخضراء والنعاج الصيد .

أما انه كان لا يزال يهتم بمصالح أفراد عائلة السعدون ، وانه كان على استعداد لمساعدة اي منهم ، فامر يمكن استنتاجه من القصة التالية . ان سلوك هذا في بلد يتغير دائماً كالعراق حيث الولاء والصداقة تتصدع دائماً هو الذي جعلني احترمه .

في سنة ١٩٣٩ وصل الى الكويت من الزوير بسعدون سعدوني رجل يدعى بندر السعدون ومعه زوجته واولاده وابنته وطفل صغير . وكان بندر هذا شاباً خدم مع الكولونيل ليتشمان في الصحراء خلال الحرب العالمية الاولى ورافقه في عدة رحلات قام بها في الصحراء . وبعد وفاة ليتشمان منحت السلطات البريطانية بندر تقاعداً بسيطاً . ولكن بعد تسلم الحكومة العربية زمام السلطة في العراق توقفت عن الدفع لجميع الذين خدموا وتعاملوا مع البريطانيين . وكان بندر متصلاً بعبدالله ان يبحث ان يضع شكره في موضعها الصحيح فراح يلقي

النشاط ضد الحكومة العراقية وضد كبار المسؤولين البريطانيين في بغداد. فطلبت
الحكومة ترحيله من بغداد لأنه ينتمي الى عائلة السعدون وشيخ الأفكار
بالعمل ضد وجودهم والتخلي عن أصدقائه.

وفي النهاية انتقل بندر مع عائلته من العراق وذهب ليعيش لحد سراه تلك
فيها لم يزل بعده نفعه كل عربي واقع في شدة او ضائق. وعاش بندر هناك
سنتين تلك خلالها صعوبة تناسب مركزه في الحياة. فلذلك لا يقطع ابداً في
مثل هذه حالات. وبعد ان قضى سنتين في المنفى الاختياري هذا صار من
الوقت قد حان ليعود الى العراق ويعرض شكواه. وفي الكويت قرر ان يترك
زوجته وعائلته ويذهب الى العراق لوحده ليرى وضع البلاد عن كثب. واذا
كانت الأحوال ملائمة للعودة شكره ضد الحكومتين العربية والبريطانية. ولم
يدر ان يقضي في قبل مقدرته من العراق كانوا أحسم ان عائلته كانت لا
تزال في محنة. والخشى ان يكون قد أصبح معادياً للبريطانيين.

ولكونه عنيداً ومتصلباً كمادته وقع بندر في مشاكل فور وصوله الى العراق
والكثير لم تعرف بذلك الا بعد وقت. وفقط عن انه ذهب الى الديوي السوق
بعض الخيرين ويستعيد سيارته التي صودرت عند ذهابه الى الرياض فاختلف مع
الضابط ثم نهته الحكومة وبعد ذلك فقد وقبض الى أجل غير مسمى
بدون اية علامة. ولم يسمح له بالكتابة لأحد حتى لعائلته.

أما زوجة بندر في الكويت فلم تكن تتلقى أية أنباء عن زوجها ولا عن
مكان وجوده وبدأت تتعرض لضائقة مالية. وكان بندر قد وعدها بأن يعود
اليها بعد شهر ويأخذها معه. وبعد مضي شهرين على غيابه بدأت تشعر بالضائقة.
وانطلاقاً منها لأنها وكبريائها فضلت أن تبيع مجوهراتها لتتخلص من المصاعب
التي وقعت فيها. وعاشت على هذا النحو شهراً كاملاً رافضة أن تطلب مساعدة
أي كان لما بلغت زوجها لم يعد.

ولكن الصدمة كانت ستأتي لا مفر منها لا سيما وان صاحب المنزل الذي
استأجره لها بندر أخذ يلح في طلب ما تأخر عليها من ايجار. ولما يئست بعد

إن حرمت وأولادها الطعام لمدة أيام قررت ان ترسل ولديها علي ومحمد طالبين المساعدة مني ومن زوجتي . وكلا الولدان يبلغان العاشرة والثامنة من العمر على التوالي ، تبدو عليهما الأناقة وحسن المظهر . واخيراً الولدان قصتها ومطلب والدتهما ولكن بكل تردد وخجل . وقالا ان والدتهما تلقت أنباء سرية تفيد ان والدهما سجين في طهراوي . وسألاني اذا كنت استطيع ان اعطيهما ثلاثماية روبية يعيدانها فور عودة والدهما .

وأضاف علي بشجاعة انه سيستخدم مئة روبية من المبلغ المقترح ليتوجه الى بغداد لمقابلة الملك غازي . وقال انه واثق بانه يستطيع حمل الملك على إطلاق سراح والده .

وصعقت أنا وزوجتي لدى سماعنا هذه الاخبار فذهبنا مع الولدين لزيارة والدتهما . وبقيت أنا في احدى الغرف بينما دخلت زوجتي لمقابلة السيدة التي كانت لا تزال في مقتبل العمر وجديرة بتحمل المسؤوليات . واخبرتني زوجتي كثيراً وعلمت منها تفاصيل حالتها ووضعها . وكان لديها خادم وخادمة ولم يكن في المنزل أي طعام على الاطلاق .

وتركنا لها مبلغاً من المال يكفيها شهراً آخر كما انني دفعت ما تأخر عليها من ديون . ونقلت الى الشيخ احمد ما عرفته عن وضع هذه العائلة فتأثر كثيراً وأمر فوراً بإرسال كيسين من الأرز وكيساً من الطحين وعدة سلال من التمر الى السيدة لسد حاجة عائلتها .

وفي اليوم التالي جاءني محمد ليبلغني ان شقيقه علي سافر الى البصرة ومنها الى بغداد برفقة الخادم مستخدماً بعض المال الذي اعطيته لوالدته . كان ذلك مجهوداً شاقاً على الصبي يستحق التشجيع .

وبعد شهر من الزمان تلقينا رسالة من علي يقول فيها أن الخادم تخلى عنه وهرب في الطريق الى بغداد وأن علياً قابل الملك ووعده بالنظر في القضية . وفي طريق عودته عرج علي على السماوة وقابل والده لمدة دقائق . وبقي الكل ينتظر إطلاق سراح والده عند جده فهد بك السليمان السعدون في أملاكه قرب

الناصرية . وبلغت هيئة الأنباء أن زوجة بندر التي كانت في حالة سيئة من اليأس لأنها لا تملك أنباء من ولدها ظنت أنه سجين مع والده .

وقد عملت جاهداً بعد مقابلتي الأولى للسيدة أن أعرف من هم أقرب أقرباء زوجها . وكتبت الثلاثة من هؤلاء في البصرة وكلهم ذوو مكانة وبحبوحة ، طالباً منهم إما أن يرسلوا لزوجة بندر أموالاً لإعالتها وإعالة أطفالها ، وإما أن يأخذوها إلى البصرة لتعيش معهم . وقلت في الرسالة أنه من غير المعقول أن تترك إحدى سيدات آل السعدون تموت جوعاً في أرض غريبة .

ولم ألق جواباً من أحد . فلكونهم انتهازيين يسايرون الظروف ، يبدو أنهم خافوا مغبة مساعدة زوجة وأطفال أحد أفراد عائلتهم من وضعتهم الحكومة على لائحتها السوداء . ولا شك أنهم وجدوا من الأمن أن يتنكروا لصلات القربى .

وجاءت بعد ذلك إلى صديقي الشيخ عبد الرحمن من عرفه الذي كان سعدي في البحرين ، طالباً منه أن يستنجد بقومه مع أقارب بندر ويشرح لهم الوضع . وعمل الرجل جهده واتصل بهم جميعاً ولكن دون جدوى . واعتقد أنه اتهمهم وجهاً لوجه بالجبن والخيانة .

وأخيراً خطر ببالي اسم عبدالله بك الفالح باشا السعدون في الكويت . فكتبت له رسالة ضمنتها كلاماً هادئاً رصيناً شرحت فيها كل الظروف وحثثته على تقديم المساعدة لامرأة بائسة من عشيرته حفاظاً على شرف آل السعدون .

ولم تكن لعبدالله بك صلات قربى وثيقة ببندر أو بزوجته ومع ذلك استجاب لندائي على الفور . فقد أرسل عبدالله بك إليّ خادمه الزنجي في سيارة شاحنة حاملاً إليّ رسالة وكيساً فيه ثمانماية روبية . وتضمنت الرسالة عبارات رقيقة يشكرني فيها لمساعي وعناية زوجتي بزوجة بندر وأطفاله . وقال إن زوجة بندر سيدة جليلة عظيمة القدر وإن اهتمامنا بهذا الأمر ملأ قلبه سروراً لأن تكريمنا للسيدة هو تكريم له بصفته زعيم آل السعدون .

وجاء في رسالة عبدالله بك قوله :

ـ لو كان كل الأوروبيين في العراق يفكرون ويتصرفون مثلك ومثل السيدة ديكسون لتجنبنا كل الافكار الخاطئة وسوء التفاهم الذي حدث في الماضي .

وطلب مني ان أبلغه في أي وقت عن حاجتي لمزيد من المال وجعلني ان ألجأ إليه وحده ووحده فقط في طلب المساعدة . وقال إن نية سارة يفيد ان بندر سيطلق سراحه قريباً وانه ظلم وعدا من الملك بذلك .

ومر شهر قبل خلاله بعدة زيارات لزوجة بندر . وبعد ذلك جاء بندر نفسه ومعه ابنه علي وكانت فرحة العائلة بجمع الشمل عظيمة جداً . وترك بندر عائلته في ضيفنا وتوجه الى الرياض ليقدم احترامه الى الملك عبد العزيز ثم عاد وأخذ زوجته وأطفاله الى الرياض مرة ثانية . واعتقد انه عاد ثانية الى العراق ولكنني لست متأكدة من ذلك .

إن موضوع هذه القصة بالطبع هو كيف ان عبدالله بن عفت شجاعته حيث تخلف كل الآخرين . وذلك يظهر أي نوع من الرجال هو . وان الاقدامات الاجتماعية والشجاعة ليست مجرد كلمات فارغة بالنسبة له . وانه من جهتي سأظل حافظا جميله واتمنى ان الآخرين عندما يقرأون ما كتبته عنه سيكونون فكرة أفضل عن هذا الزعيم العظيم في عائلة السعدون .

أسمائي عبدالله بن حجي

قبل عبدالله بن حجي خادماً لدى أربعة من شيوخ الكويت . وفي الوقت الذي كتبت فيه هذه القصة كان مسؤولاً عن بوابة الجريعي : احدى البوابات الخمس . وهي التي تؤدي الى بوابة المخروجين الكويت . وكان عبدالله وزوجته فاطمة صديقين من أعز أصدقائنا . فعندما كنا نخرج لركوب الخيل ، كنا نرسل جيادنا الى بوابة الجريعي ونتوجه الى هنالك بالسيارة فنوقفها أمام منزل عبدالله حتى عودتنا . ولدى عودتنا كنا نترجل عن ظهر الخيل داخل البوابة ونجلس على الأرض نتحدث مع عبدالله وفاطمة زهاء نصف ساعة في ظل منزلها الصغير .

كان عبدالله رجلاً شهماً مضيافاً وكانت قهوته الفضل قهوة في الكويت بعد

قهوة سمو الشيخ أحمد . ان له طريقة عجيبة في المزح ، فاذا كان المرء متعباً قلقاً
من شؤون هذا العالم قد علمه إلا ان يقضي ربع ساعة مع عبدالله فيزول الغم عن
نفسه وتتبدل نظرته الى الحياة كلياً ويخرج سعيداً طارحاً كل الهموم .

لقد كان عبدالله يحمل في رأسه مخزوناً هائلاً من النكات ويشكلها بلغة عربية
أجنبية جيدة .

لقد ألتقي ذلك العام المطلع الدكتور فان ايس في البصرة ان لغة عبد الله بن
صبحي العربية هي لغة المشاهدين وهي أفضل ما سمعه في حياته . وكانت فاطمة
تدعمه مرحاً وحيوية و خلاصاً له . وكان لفاطمة مثلان بالتبني هما : جاسم
ابن أختها ومنيرة ابنة أختها ، اذ لم ترزق هي أطفالاً .

كانت فاطمة تجلس دائماً قرب زوجتي في الوقت الذي كان يتحفنا فيه عبدالله
بقصة من القصص بعد تناول القهوة . وعندما يرغب في مغاظة فاطمة يحكي
موضوع حديثه الفتاة التي سيتخذها زوجة ثانية له . فكانت فاطمة تنهض للدفاع
عن نفسها وتقول ان الذنب في عدم انجاب الأطفال يقع على عبدالله .

– ألم تكن له زوجة قبلي منذ ست سنوات ؟ فلماذا لم تنجب له الاطفال ؟
والجميع يعرفون انه بعد طلقها تزوجت غيره وانجبت خمسة أطفـــال في خمس
سنوات فاذا لم يكن ذلك برهاناً على صدق كلامي فماذا يكون إذن !

في سنة ١٩٣٩ ذهبت فاطمة مع شقيقها والأولاد الى الحج في مكة حيث
مكثت ربعة أشهر التي عبدالله خلالها مرض شديد . ولولا مساعدة الدكتور
ميلري من الارسالية الأميركية وزوجته اللذين كانا يزورانه يومياً ويرغمانه على
تناول الطعام ويشرفان عليه بغياب فاطمة؛ لا أعتقد انه كان سينجو من وطأة
المرض . وقال الدكتور ميلري انه يعاني من حمى في الامعاء . ولكن لما نقل
الدكتور ميلري وحل الدكتور توملس محله تبين لهذا الأخير انه مرض عبدالله
ناجم عن أسنانه التي أمر بقلعها جميعها .

وأجريت هذه العملية فجأة وكم كانت دهشتنا عندما رأينا صديقنا لأول
مرة يخرج من منزله الصغير بالافاقا بدون أسنان ويبدو عجوزاً متهدلاً . ونادرا

بقوله عندما رأى علامات الدهشة ترتسم على وجوهنا :

- لا بأس .. لقد أوصيت على طاقم أسنان جديدة عند عباس العمارسي سأصبح بعده ولداً من جديد . وعندما تعود فاطمة من الحج سيزداد إعجابها بي .

وفي الوقت المحدد وضع عباس لعبدالله أسنانه الاصطناعية لقاء ٣٥ روبية ولم يكن عبدالله يضع أسنانه في فمه إلا عندما لم يكن يأكل .

وقال لي مرة :

- ماذا يا صاحب السعادة لا تفهم التي يجب أن ألبسها عندما آكل ؟ لقد صنعتها لأبدو شاباً لذلك أخلعها عندما أتناول الطعام .

وعبثاً حاولت أن أشرح له أنه بمكان المرء أن يأكل على أسنانه الاصطناعية تماماً كما يأكل على أسنانه الطبيعية . وكان جواب عبدالله دائماً :

- لقد قلت عيني مسناً . إنه في الواقع طبيب أسنان ماهر فهو يتقاضى مني ٣٥ روبية لقاء طقم أسنان كامل . ماذا تريد أكثر من ذلك ؟ فعندما رآني الشيخ ذلك اليوم أوقف سيارته وصرخ قائلاً : مرحباً يا عبدالله .. ها قد عدت شاباً .. ماذا فعلت بنفسك ؟ إني أسأل مساعدتك ألا يساوي كل شيء في الحياة أن يسمع المرء مثل هذا الكلام ؟..

وعادت فاطمة من الحج وكان استقبالها عظيماً فذرفت دموع الفرح . وقد زين عبدالله الدار بيده الشامية ودعا إلى المأدبة ثم المأدبة على شرفها .. أو ليست هي نور عينيه .. أو لم يعد ولداً والتهيؤ لتسليته ؟

ولكن عندما استقرت فاطمة وارتاحت من عناء السفر والاستقبال أخبرت كيف أن زوجها مرض في غيابها وفقدت جميع أسنانه .. كانت صدمتها عنيفة عندما رأت الأسنان الاصطناعية .. فقالت :

- أي مجانين هم الرجال ! ولا شك في أن زوجي عبدالله أكثرهم جنوناً على الإطلاق !

فكان هو يضحك لهذا الكلام ويقول مازحاً :

— مع هذا التفوق ، لم تخشى ان تجد لي زوجة أخرى .

وعندما عدت مع زوجتي من زيارة السورية عام ١٩٤٢ توجهت لتحية عبدالله عند البوابة وقلت له مازحاً ان عمامه قرسة بعد لأنني قابلت رجلاً في شتور يبلغ من العمر اكثر من مية وثلاثين عاماً وقد اعتقد احفاد الاحفاد ومع ذلك فقد نبتت له اسنان حليب من جديد ولكنه ككل الرجال المتقدمين في السن له عقل طفل .

وهمس عبدالله في أفق غامضاً بعينه :

— ربك لا تخبر فاطمة بذلك لأنني لن اسمع نهاية ما تقول إذا فعلت .

ولسوء الحظ كانت فاطمة تصغي الى ما اقول من وراء الستار . وعندما عدنا من ركوب الخيل ودخلنا منزلنا للتعيش وللشرب القهوة بادرتنا بقولها :

— أما أصح ما قلته يا أبا سعود أن الرجال عندما يكبرون في السن تصبح عقولهم كعقول الاطفال ويحتاجون الى شرب حليب الأم كالاطفال الذين يولدون حديثاً ؟ أو أصح من ذلك ان الرجل إذا فقد اسنانه لم عليه إلا ان يتعلق بحبال الصبر لأنها ستنمو من جديد ؟ متى قلت يا أبا سعود ان اسنان عبدالله الجديدة ستنبت ؟ لا شك انه أوشك ان يصبح خرفاً .

وأصغيت هذه الكلمات من عبدالله ماثلاً فقال وهو يشعر بحرج :

— لا تصغي الى كلام إمرأة مخرفة . في الحقيقة ان هذيان المرأة هو الذي يجعل الرجل قبل كل شيء يشيخ قبل اوانه . ربما لم تسمع بقصة التاجرين الذين تنازعا مرة فنقلا نزاعهما حله عند ثلاثة اخوة من العلماء يعيشون في منزل واحد؟ فإليك القصة .

« تنازع تاجران شابان حول مسائل تجارية ولكن بدلا ان يتشاجرا قررا عرض النزاع على عائلة من ثلاثة سادة كبار يعرفون بقوانين الشريعة . وذهبا لزيارة العلماء في منزلهم . واستأذنا بالدخول فاقتادهما الخادم الى اصغر العلماء الثلاثة سناً وهو رجل متقدم في السن ذو لحية بيضاء . فسألهما عن غرضهما وبعد ابلغاه قال لهما بأدب يقطر حياء :

– أنا أصغر الثلاثة سناً وليس من اللائق أن أحاول حل قضيتكما . أرى من الأفضل أن تذهبا إلى أخي الثاني .

وحمل التاجران بنصيحته فرجعا إلى الشقيق الثاني الأكبر سناً من الأول وأكثر منه نبلاً . وأجابهما هو الآخر بأنه نظراً لوجود شقيق ثالث أكبر من اللائق أن يستشيراه في نزاعهما . وقال لهما أنه سيرشدهما .

وذهب فيهما الفضول لمعرفة أي نوع من الرجال هو كبير الثلاثة فتوجها نحو غرفته وقرعا الباب . وفتحت لهما خادمة صبية جميلة ذات إشراق ، وحييتهما على شفتيها إشارة منها في أن لا يحدثا صوتاً لأن سيدها يغط في النوم .

وعند ذلك زادت دهشتهما فدخلا غرفة الأخ الثالث حيث جلسا على أريكة . ثم دهشا لوجود الصبية الحسناء قد عادت إلى حيث كانت فوق رأس سيدها ووضعت رأسه في ركبتيها بلطف وبدأت تحرك له الهواء . وقد أدهشهما أكثر من أي شيء آخر وجه الرجل الثالث . فبدلاً من أن يريا رجلاً طاعناً في السن متعباً وجدا رجلاً يبدو في منتصف العمر وله لحية سوداء .

وتحرك النائم قليلاً ثم نهض من نومه وفتح عينيه وجلس في فراشه فابتسم لهما وقال :

– ماذا تطلبان أيها الصديقان .

وأجابه التاجران المندهشان بأنهما قدما لحل نزاع بسيط عند واحد من الأشقاء الثلاثة ، وأنهما التقيا بالأخ الأصغر وهو رجل مسن مقعد ثم أحيلا على الشقيق الآخر وهو رجل ذو لحية بيضاء وعلى حافة قبره ، وأخيراً أرسلا إلى ظناً منهما أنه تعدى المئة عام من العمر . ولكنهما وجداه شاباً وسيماً فصبح اللسان تقوم على خدمته صبية حسناء . وقالا أنهما نسيا نزاعهما تماماً وكل ما يطلبانه منه هو تفسير ما وقع عليه نظرهما . وأجابهما الثالث مرحباً :

– يا صديقيّ اتخذا مثلاً حياً من رجل فترح اكتشف أن الطريق للإبقاء على الشباب في هذه الحياة هي أن يتخذ المرء لنفسه زوجة صبية حسناء تكون قبل كل شيء حساسة ذات ذوق سليم ومتفانية وحديثة لبقة يسر كلامها السامعين .

فقد كان لي مرة زوجة ثرثارة تهذي في الليل والنهار فطردتها بسرعة. أما شقيقتي الأصغر مني سناً فقد عجزتا كما رأيتم وخرفتا لا تشيء إلا الأب. زوجتيها ثرثارتان لا عمل لهن إلا الكلام الصخب في الليل والنهار. ولان نفسيهما لم تعودا ملكاً لهما فقد صبحنا عبيدين لشريكتيهما الثرثارتين ووصلا الى أسوأ حالة يمكن ان يصل اليها انسان. وها الآن يحاولان ان يتخلصا من الحجرين الثقيلين العالقين في رقبتيهما. فنصيحتي لكم ولكل الرجال الراغبين في السعادة والاستقرار بالتجنب ان يطلبوا المرأة في المحطة التي تصبح فيها كثيرة الكلام والتدخل في شؤون زوجها. ارموها في الحال وابحثوا عن غيرها، والسلام مع أخرى تخدمك وتدخل السرور الى قلبك في الليل وفي النهار.

وكان اعجاب الحاضرين بهذا الجواب شديداً بحيث انها قدموا له الثناء بعد ان تبينوا الاسباب التي ادت اليه.

وهنا التفتت فاطمة بضراوة نحو عبدالله واتهمته بأنه رجل شرير يحمل بين ضلوعه قلباً أسود يقصد السوء. وقالت:

– لا تصدق كلمة مما قاله يا أبو سعود ويا آل سعود. ان عبدالله بدأ مؤخراً يلتقي شابة حلوة فتاة جميلة من العوازم تعيش مع عشيرتها قرب داره، وهو يبحث عن حجة للتخلص مني.

وطمأنته بقولي:

– لا تخافي يا فاطمة. ان اية امرأة لا ترضى بعبدالله بدون اسنانه ان اسنانه الاصطناعية لن تخدع أحداً. واذا طلقك لا سمح الله فانه لن يشرب قهوة مطلقاً. وانت يا عبدالله انتظر حتى تنبت اسنانك من جديد قبل ان تفكر بالاقدام على الزواج من جديد.

وضحكنا جميعنا ضحكات متراصلة.

المرأة التي عطست

وهذه قصة حقيقية أخرى رواها لي عبدالله بن حجي.

كان يعيش في حي المرقاب بمدينة الكويت رجل تقي فقير وزوجته يتشددان بتقديم تجميع واحد مهم. ولكن الزوجة كانت ثرثارة إلى حد يدفع زوجها نحو جنون احياناً. ومع ذلك كانا زوجين سعيدين يتمتعان بصحة جيدة. وكان الرجل ظريفاً صاحب نكتة، الأمر الذي كان يزيد في محبته لأن الجميع يحبون الرجل المرح الذي يأخذ ويعطي.

وذات يوم اصيبت زوجته بزكام شديد جعلها تعطس كثيراً ما دفع زوجها الى فقدان صوابه. وتحمل ذلك بعض الوقت ولكنه انفجر عندما قامت زوجته بعطسة عنيفة من خلفه دون أن يراها.

فصرخ بها مازجاً الغضب بالمزاح :

— يرحمك رب الكلاب والقطط.

وهنا صرخت الزوجة متهمة زوجها بالكفر والإهانة وأمسكت بمعض من مقابل يدها وانهالت بها ضرباً على رأس زوجها. وخرجت من المنزل صارخة قائلة انها لن تعود لتكون زوجة رجل يقرن اسم الله بالكلاب القذرة والوحوش.

واستخدمت عائلتها كل مهاراتها لتشرح له ان الله هو رب جميع المخلوقات بما في ذلك الكلاب والنساء المهجورات والخنازير والأشياء القذرة. وبعد جهد جهيد اقتنعت المرأة ان تعود لزوجها الذي لم ينس رأسه المشجوج ولكنه احتفظ بفمه وكتم لسانه.

الباشا التركي يشتري فرساً

في الأيام القديمة عندما كان العراق مقاطعة من الامبراطورية التركية كان يعيش في البصرة باشا تركي (على حد قول عبدالله بن حجي) يدير ولاية البصرة. وكان الباشا مولعاً بتربية الخيول يبحث دائماً عن حيوان أصيل يضمه الى اسطبله. ولكن نقطة ضعفه انه يرغب في الحصول على خيوله بشكل هدايا بدون أن يدفع ثمنها. ويعطي هاديه مقابل ذلك الحماية والرضا وهي عادة تركية

قديمة .

وذات يوم توجه شيخ شاب من شيوخ المنتفق على مهر جميل الى البصرة ليقدم احتراماته للباشا في مجلسه الخصوصي . وترجل الشيخ عن فرسه وربطها أمام السراي في ظل شجرة توت ، فرآه الباشا من النافذة التي كان يجلس بجانبها. وبعد ان دخل الشاب الى المجلس وقدم احتراماته وشرب القهوة ، لمح الباشا الى الفرس وسأله ما اذا كانت أصيلة .

وأجابه الشيخ بقوله :

ـ أطال الله عمرك ، إنها حمدانية أصيلة تنحدر من عائلة تملكها منذ الأجيال العشرة الماضية .

وهنا قال الباشا :

ـ آه .. انها تعجبني اذن .

وصدم الزائر قليلاً .. ولكن قصده بالمجيء الى البصرة كان الغرض قضية أمام الباشا تتعلق بالأرض يأمل في ربحها ولذلك اجابه بقوله :

ـ يا سعادة الباشا انها الفرس التي لا ابيعها لغيرك بأقل من ثلاثمائة ليرة تركية واعتقد انني لا ابيعها حتى بمثل هذا الثمن .

والمتعارف عليه بين العرب انه عندما يقدم رجل هدية لشخص مهم كهذا ، الوالي مثلاً ، يتلقى مقابل ذلك هدية اثمن منها. ولذلك بعد ان اشار من طرف خفي الى ما يتوقعه من الباشا شعر الشيخ بسعادة لغمرة ، وطلب من الباشا ان يرسل احد خدمه ليقتاد الفرس . ثم نهض لمغادرة المجلس ورد الباشا عليه التحية بقوله :

ـ عفارم عفارم عفارم .

وهذا تعبير تركي يعرفه العرب جيداً ويقصد به الباشا ان زائره رجل طيب يستحق النجاح .

وترك الشاب فرسه في عهدة خادم الباشا وحمل السرج وعاد الى الخان الذي ينزل فيه في العشار احدى ضواحي البصرة. وبعد اسبوع، وكأن شيئاً لم يحدث،

قاه الشيخ بزيارة ثانية للباشا في مجلسه الصباحي فاستقبل استقبالاً حاراً وأجلسه في مكان لائق حيث قدمت له القهوة ثلاث مرات كالمعتاد. ولاحظ بقية الزائرين الحفاوة التي قابل بها الباشا ضيفه فظنوا انه شيخ ذو منزلة رفيعة من شيوخ عنيزة أو شمّر .

وقال الباشا وهو يودع زائره :

– تعال ثانية يا صديقي .

وبعد أربعة أيام عـاد الشاب الى زيارة الباشا ولكن شيئاً لم يحدث فأخذ يتردد على السراي يوماً بعد يوم الى أن بلغ مجموع زياراته اثنتي عشرة زيارة . ولما لم تظهر بوادر الحصول على جبسة مقابل فرسه ، لجأ الشيخ الى الخداع بأن عرض قضية الأرض التي جاء بصددها . ومع ذلك لم يحصل الشيء إلا الترحيب الحار الذي كان يلقاه من الباشا ساعة قدومه .

ولما يئس الشاب فكر في خطة لنيل مأربه . فذهب الى سوق البصرة الكبير واشترى من تاجر أنيق معروف كان يراه في مجلس الباشا ، أثواباً من الحرير بقيمة ثلاثمائة ليرة تركية . وطلب ان ترسل البضاعة الى الخان الذي ينزل فيه في العشار فوافق التاجر مبتسماً ظناً منه ان الشاب صديق حميم للباشا وذو مكانة رفيعة .

وبعد مرور عشرة أيام ذهب التاجر بنفسه الى الخان ليطلب حسابه بنفسه فاستقبله الشيخ بالترحاب قائلاً :

– عفارم عفارم عفارم .

وسأله التاجر :

– مـاذا تقصد ؟ انني لا أفهم . لقد جئت أطلب ثمن البضائع التي اشتريتها مني وتستقبلني بقولك « عفارم عفارم عفارم » .

وهنا قال الشاب ضاحكاً :

– اذهب واسأل الباشا ما معنى ذلك فهو يشرح لك أطال الله عمره .

وذهب التاجر الغاضب الى الباشا وأخبره القصة وقال :

– كل ما أريده هو أن تعاد إليّ أموالي .. إنني لست أفهم ماذا يقصد هذا الشاب بقوله « عفارم عفارم عفارم » .

وفكر الباشا لحظة ثم أبلغ التاجر أن يعود إلى منزله قائلاً :

– يا صديقي ، وعد أنك ستستعيد بضاعتك أو قيمتها البالغة ثلاثمائة ليرة تركية . اذهب بسلام .

واستدعى الباشا محسبه وقال له :

– اذهب بسرعة إلى صديقنا الشيخ ، وضع في يده ثلاثمائة ليرة تركية وقل مرتين بعد أن تحييه « عفارم عفارم عفارم » انك أذكى مما كان يظن صديقك الباشا . فهو إذ لم يُسَرّ دينك له يطلب منك أن لا تنسى دينك للتاجر الهاش . عد إلى بلادك بسلام .

وقبل الشيخ المبلغ بكل سرور ثم أعاد في الحال أثواب حرير إلى صاحبها متذرعاً بأنه لم تعد له حاجة بها وطلب من التاجر أن يقبلها مع الاعتذار .

وأضاف قائلاً :

ربما أراد الباشا أن يشتريها منك .

اليهودي والنبي

قال عبدالله بن سعيد وتحن نحتسي القهوة في حديقته :

– واعلم يا أبا سعود انه ليس جميع اليهود في العالم أشراراً . فقد رأى الله برحمته الواسعة أن يخص قلوب بعضهم برقة وقد أرشد أكثر من واحد منهم عن طريق رسله إلى جادة الصلاح . ان رحمة الله واسعة .

« إن القصة التالية المعروفـــة لدى المسلمين تؤكد لسعادتك أنني أقول الحقيقة .

« في زمن الرسول ﷺ ، كان يعيش في مكة بجوار منزل الرسول يهودي يدعى خير . وكان هذا اليهودي عنيداً متعصباً كثيره من قومه ولا يقيم وزناً لأي ديانة غير ديانته . وتطاول أكثر من ذلك إذ حاول بكل وسيلة ممكنة أن

يوجه الاهانات الى اتباع الدين الاسلامي الجديد ويوجه اذاه بصورة خاصة الى مؤسس هذا الدين .

« وكان يعرف انه عندما تحين ساعة الصلاة كل يوم يخرج رسول الله من منزله ويمر أمام منزل خير في طريقه الى المسجد ، فخطر لليهودي ان افضل طريقة لإيذاء مشاعر الرسول وصحبه هي ان ينثر أمام باب الرسول أوساخ عائلته لكي يدوس عليها فيلوث نفسه قبل دخول المسجد .

« وأوعز لعدد من أبنائه ان يجمعوا يومياً الاوساخ التي يجدونها على سطح منزله وفي مرحاضه وينثروها في الطريق أمام باب الرسول . وبعد ان فعل ذلك صعد ليراقب من نافذة غرفته في الطابق العلوي كيف سيستقبل الرسول الاهانة .

« وخاب فأل اليهودي غير لان الرسول كلما خرج الى الشارع يرفع رداءه عالياً لكي لا يتوسخ ويتنقل بعناية بين الاقذار المنثورة في الطريق ويتوجه الى المسجد للصلاة . ولكن صحب الرسول غضبوا من هذه المحاولات الشائنة لإهانة سيدهم ولم يتمكنوا من كبح جماح أنفسهم . وبعد عدة أيام دخلوا في نقاش حاد مع الرسول قائلين :

— « لماذا لا تتكرم وتأمرنا بأن نذهب الى هذا اليهودي اللعين ونؤدبه او على الاقل نأمره بوقف هذه التصرفات غير اللائقة ؟

« فوبخهم الرسول قائلاً :

— « يا أولادي ان خير اليهودي جاري ، وواجب الانسان الاول يقضي بأن يعامل جاره بالحسنى ، مهما كان شأنه ومهما كان يحاسبه .

« وكما ألح صحبه في الاحتجاج مستفهمين عما يقصده بواجب الانسان الاول قال الرسول :

— « ان الواجبات التي يجب ان يعمل بها كل مسلم هنالك ثلاثة واجبات مفروضة على كل مسلم يمكن تلخيصها بهذه الكلمات : « جاره ثم جاره وجاره » .

« ويقصد بذلك ان واجب الانسان الاول وحق الثاني والثالث هو تجاه جاره . ودهش صحب الرسول لاقواله هذه وتهامسوا فيما بينهم .

« وكرت الايام ولم يكف اليهودي يوماً واحداً عن اساليبه الشريرة ولم يشعر مرة بالخجل مما يفعل . اما الرسول فلم يتأثر من جهته واستمر في أداء صلاته اليومية ، ولم يظهر منه اي شيء إن بالقول او بالفعل يدل على تضايقه من اليهودي المتعصب الأرعن .

« وبعد مرور فترة من الزمان مرض اليهودي فمرض مرضاً شديداً . ولاحظ الرسول ان الاوساخ لم تعد توضع امام بابه فاستفهم من صحبه عن السبب ، وابلغوه ان جاره طريح الفراش وعلى وشك مفارقة الحياة . وحزن الرسول لهذه الانباء وملأ قلبه اسى وقال :

— « مسكين .. مسكين يجب ان نذهب اليه ونرى ماذا يمكن ان نفعل من أجله أليس هو جاري ؟ اذهبوا أيها الأصدقاء وبلغوه تحيات محمد واسألوه ما اذا كان باستطاعتي ان أؤدي له اية خدمة .

« ولم يطق الرسول الانتظار حتى عودتهم فدخل بنفسه الى منزل جاره وطلب ان يرشدوه الى غرفة المريض .

« ولما وقع نظر الرسول عليه قال له :

— « كل ما أملك وكل ما تطلب في مرضك يا صديقي هو لك . اطلب ما شئت وأنا احضره لك وليشفك الله .

« وحدق الرجل المريض بوجه رسول الله وقد بلغت به الدهشة حداً كبيراً ولفظ بشفتين ضعيفتين مرتجفتين قائلاً :

— « ألست انت الدجال المدعو محمد الذي يعيش بجوار منزلي ؟ الست انت الرجل الذي لم اكف طيلة الأشهر الماضية عن محاولة الاساءة اليه بطرح الاوساخ والأقذار أمام بابه ؟

« وقال الرسول :

— « نعم يا صديقي أنا هو . ولكن الأشياء التي تذكرها ليست شيئاً عندي وقد نسيتها كلها . اما الآن فقد اتيت بالحقيقة لخدمتك ولأفعل ما يرسمي لإنقاذك من مرضك . قل ما هي مطالبك ؟

السبب خير بمحنة قائلة : « اعطني عليه قارة طويلة من الوقت » . وعندما فتحها ثانيـة كانت الدموع تترقرق فيها وبسمة على وجهه أسارير سعادة رجل تفتحت في وجهه ابواب الجنة وظهر عليه هدى الله . وقال خير للرسول :

— « اقترب مني يا رسول الله » .

ولما اقترب الرسول منه اعلن خير بصوت عال يفيض بالبهجة قائلاً :

— « اشهد ان لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله » .

« وبعد ان اعلن اسلامه سلم الروح ونزلت ملائكة السماء . وبعد غسله وتكفينه بملابس جديدة نقل جثمانه ودفن في المقبرة الاسلامية بمكة حيث لا يزال قبره يكرم الى الآن .

« بهذه الطريقة وبقوة من عند الله تحول خير اليهودي الى الايمان الصحيح واصبح اسمه مباركاً في كل زمان عند المسلمين . وتخليداً لذكره يقول المسلم عادة بعد انتهاء صلاة الصبح « يا الله صباح الخير » لكي يتذكر تحول اليهودي خير الى الاسلام .

لا هذه القصة لقد كثيراً من محدثيهم عندما نروي بالانكليزية . ولكنها لتكون رائعة عندما يرويها عبدالله بن جحيي بلسانه العربي الفصيح .

شفاء سعود بن عقاب

لنا صديق بدوي آخر من حفيدة اسمه سعود بن عقاب يعمل حارساً في شركة النفط . وكان رجلاً طيباً في الخامسة والثلاثين قدمه الينا صاحب السمو الشيخ أحمد . وفي تلك الأيام كان جميع العاملين تحت مرتي مباشرة . وكان مركز سعود في الحراسة نقطة ضخ الماء الثمينة التي تبعد ميلاً واحداً الى الجنوب من شعيبه على الساحل . وعندما كنت انا وزوجتي نمر لزيارته كالعادة لنشرب عنده فنجاناً من القهوة ؛ لم يكن يسمح أن يضيفنا في الكوخ المخصص للحارس بل في خيمته السوداء القريبة التي يقطن فيها مع عائلته . تلك كانت مسألة افتخار بالنسبة له شعرنا نحن ايضاً .

وذات يوم من ربيع سنة ١٩٣٩ أخذ الحرس سعود يشكو من صداع شديد تبعه ضعف في النظر، ولما لم نكن نستطيع تخفيف الم بواسطة اقراص الاسبيرين حملناه معنا في سيارتنا الى الكويت وادخلناه مستشفى الارسالية الاميركية. وعني الدكتور ميلري جهده بمعالجته واعتنى به عناية فائقة ولكن دون جدوى. وبعد عشرة أيام بلغني الطبيب ان ما يشكو منه الرجل هو اضطراب في الدماغ.

وازدادت حالته سوءاً بعد ان اضطر الدكتور ميلري الى تخديره معظم الوقت لينقذه من الآلام الشديدة التي كان يعاني منها. وفي صباح احد الأيام توجهت الى المستشفى حيث اخبرني الدكتور ميلري انه أبلغ أقارب سعود انه سينقله الى المنزل في اليوم ذاته. وكانت أمامه عدة ساعات يعيشها فقط. فرأى الطبيب انه من الأفضل ان يموت بين اقربه واحبائه في منزله. وحيثما لسير يساوي تتخذه سلطات المستشفى وبخاصة في مدينة كثيرة السكان العرب في الكويت.

وقد أكد لي الدكتور ميلري ان حالة سعود يائسة وانه سيفارق الحياة خلال ساعة او ساعتين. وعدت الى البيت ونقلت النبأ المفجع الى زوجتي والى الشيخ أحمد. ولم نكن نعرف اين سيأخذه أقاربه. ويتحلى المرء في الكويت ان يتلقى مثل هذه المآسي بشجاعة لأن «كل شيء يأتي من عند الله» والتعليق الذي نسمعه دائماً في مثل هذه الحالات هو «الله يعطي ويأخذ». انه من خطأ الحزن والبكاء. اختاره الله الى جواره».

وبعد مرور سبوعين كنت وزوجتي نركب خيلنا بين خيام البدو واكواخهم في منطقة الشامية خارج سوار المدينة وهي منطقة مخصصة ليضرب فيها البدو النازحون من الصحراء في الصيف خيامهم. وكنا نقوم بمثل هذه الرحلات من وقت لآخر لأن لنا اصدقاء كثيرين بين هؤلاء البدو. وفجأة سمعت صوتاً ينادي ويصيح:

– «يا أبا سعود! يا أبا سعود!»

وكان الصوت صادراً من صريفة. وسرنا باتجاه الصوت فرأيت أحد الشباب ذاللحية جيئة جالسة قفزل الصوف. وسألني:

– من ناداني باسمي ؟

– انه خادمك سعود بن عقاب. اني اتذكره. انه هنا يقلني دون تقاضة هيا الى زيارته.

وقصت بدهشة نسيح هذا الخبر فسألنا زمام شيوخنا الى صبية كانوا قرب المكان.. وهناك رأينا الرجل الذي قلنا انه توفي ودفن منذ اسبوعين. فجلسنا الى جانبه نسمع قصته.

قال:

« ارسلني الطبيب الانكليزي الرقيق القلب الى المنزل لأموت هناك. ولم يكن يعرف ان جنّاً شريراً متلكني ليقتلني ولكن بنت الحلال هداه. وأشار الزنجية بعرفت دائي حالما رأتني فحلقت رأسي على الفور ثم كوتني في رأسي على شكل صليب من الأذن الى الأذن ومن الجبهة الى مؤخرة الرقبة وذلك لكي تطرد الروح الشريرة. وبعد ذلك امرت الروح الشريرة ان تخرج باسم الله فخرجت فوراً ولكنني كنت. وعندما افقت من غيبوبتي وجدت الزنجية الطيبة توعاني وتقرأ آيات من القرآن الكريم فوق رأسي. وهي تفعل ذلك كل يوم واني لأشكرها لأني تحسنت وتحسن نظري ولكنني لا زلت أشعر بقليل من الضعف ».

بينما كان سعود يروي قصته كانت الزنجية واقفة الى جانبنا فضحكت ثم قالت بكل بساطة:

– انني أملك هذه القدرة من عند الله.

فشكرناها شكراً جزيلاً واعطيناها ثماني روبيات فان سعود ابنا دين عليه بشكرها قائلا ان الله اقتادنا الى كوخه.

وتعافى سعود ولكنه ستقال من الخزانة. وضحك الدكتور ميلري ضحكة خبيثة لما سمع القصة واظن انه لم يكن مسروراً.

يبدو ان « ميريلاي » كما يسميه العرب لم يكن معروفاً لدى العالم الطبي الا عراقه التي قام بها في الخليج ولا سيما في الكويت تضعه في مصاف أعظم

البريطانيين في هذا القرن. ويكفي ان يسير معه المرء خطوات قليلة في الأسواق ليعرف مدى احترام الجميع وحبهم له. فليس من أحد يلتقي به سواء كان شيخاً أم كبيراً أم حمالاً أم متسولاً معدماً، إلا وكاد يصافحه ويذكره برض شفاه منه - وربما كان ذلك قبل سنوات - .

وكانت دائماً لديه كلمات رقيقة يقولها لكل انسان في السراء والضراء؛ فكان يردد جملة مناسبة من التوراة - او ربما من ديكنز - تدخل العزاء والسرور الى قلوب من حوله . كان أديباً في العربية وكذلك كانت زوجته بيسي . وكان حافظاً التوراة عن ظهر قلب باللغتين الانكليزية والعربية . وفي مساء كل أحد يخال المرء الذي يذهب الى كنيسة الارسالية انه يسمع قصة جديدة لم تذكر من قبل وهو يستمع اليه يقرأ دون ان يلتفت الى الكتاب .

وتقاعد منذ عدة سنوات وذهب ليعيش في جنوب الهند . وفي كانون الأول سنة ١٩٥١ عاد الى الكويت وقضى عطلة عيد الميلاد بصحبتي وصحبة زوجتي . وتوفي في الثالث من كانون الثاني سنة ١٩٥٣ فكتبت عنه زوجتي مقالاً تأبينياً في جريدة « التايمز » قالت فيه :

« كان يحب كل شيء حوله: منظر غروب الشمس من منزله في الشتاء، والنجوم في ليلة صيف ، البحر والزوارق الشراعية التي تتمخر فيه ، أزهار الربيع في الصحراء وخاصة ذلك البساط القرمزي . وأتى بالقرمجي الى قلته الرملية فكان مع الأقحوان الصحراوي الأصفر والأبيض الأزهار الوحيدة في حديقته . ودفن في المقبرة المسيحية الى جانب القبر التذكاري لصديقه الكابتن شكسبير الذي كان وكيلاً سياسياً وهو الانكليزي الوحيد الذي كان في الكويت في ذلك الوقت وقتل في معركة جراب سنة ١٩١٥ .

كانت جنازة الدكتور ميلري مؤثرة اذ حضر الى المقبرة المسيحية عدة آلاف من العرب وهناك القى الشيخ فهد السالم الصباح شقيق حاكم الكويت رثاء بليغاً مؤثراً ومعبراً معاً .

وكل ربيع تحاول زوجتي زرع بصيلات النرجس على قبره . وهـذه السنة

– ١٩٥٤ – رأيت أبا نصر جيداً .

نبي في الكويت

ان قصة شفاء سعود بن عطب قد ذكرني بقصتين غريبتين تجدر الاشارة اليهما في هذا المكان . تتعلق الاولى منهما بالسيد ياسين .

كانت الحياة في الكويت قبل مجيء شركة النفط بدائية جداً . وكانت هنالك جرائم قتل وثارات وحزوات من الصحراء والأخوان المتعصبين والجن وغيرها من الخرافات والاساطير . ولم يكن عندهم أنبياء كالذين يأتي ذكرهم في العهد القديم من الكتاب المقدس .

في ذلك الوقت كان « نبي » الكويت السيد ياسين وهو رجل طاعن في السن طيب شفوق لا يعرف التعصب معنى . ففي الشتاء والربيع كان يعيش مع عدد من تلاميذه في شبه جزيرة رأس عشيرج التي تبعد خمسة عشر ميلاً الى الغرب من الكويت . وفي الصيف كان يقيم في منزل في وسط مدينة الكويت وليس بعيداً عن ابيصر الوجيه وحفيد ابن خالد أحمد قدامى تجار الكويت وصديق الانكليز .

وكانت للسيد ياسين قوة خارقة للشفاء لا سيما اذا كان الأمر يتعلق بلدغة حية أو عقرب . ومع ذلك كان يأتي اليه المصابون بالزكام والحمى والسل على حد سواء . كان بعضهم يسمي ذلك شفاء عن طريق الايمان ولكن السيد ياسين كان يصفه بأنه يد الله التي تعمل من خلاله .

وكان يقول دائماً :

– انا نفسي لا استطيع ان اعمل شيئاً ولكنني اطلب من الله ان يخفف عن المتألم فيستجيب برحمته الواسعة الى دعائي وصلواتي .

كان السيد ياسين يضع يده على رأس المريض ويقول :

– « آمن بالله وهو يشفيك من كل العلل . اذهب بسلام » .

ولم يستخدم دواء سوى الماء . فكان يطلب كأساً منه ويتصرف كأنه سيبصق فيه دون ان يفعل ذلك ثم يطلب من المريض ان يشرب الماء في

آخره فيبرأ .

ويبدو انه كان يتعجب اذ كيف تنسر شفاء الحشرات من يأتون اليه يومياً لشفائهم ؟

ولم يكن يتقاضى عن عمله هذا أي أجر ، الا انه لم يقتل قط أي حيوان سام أو مؤذ لأن تلك الحيوانات على حد قوله ، صديقات له فلماذا تؤذيها ؟ .

كانت له طريقة عجيبة في اجتذاب الافاعي . ولم تكن تلك الافاعي تلدغه فكان يلتقطها وكأنها أكثر المخلوقات براءة . وكان يخبر اصدقاءه ان الأفاعي لا تؤذي احداً اذا افهمها انه لا يقصد بها الشر .

— « قل للافعى : لا اقصد بك الشر فلا تؤذيني ، وهي لن تؤذيك » .

وكان له عدد من التلاميذ يسيرون على خطاه ويستطيعون التقاط الأفاعي السامة ويروضونها . ومن هؤلاء التلاميذ محمد لسينا الذي كان ساقطاً لسيرتي في يوم من الأيام .

ولعل أكثر مناقب السيد ياسين اثارة للدهشة قدرته على معالجة الذين لدغتهم الأفاعي السامة بشرط ان يؤتى بالشخص الملدوغ اليه في الحال فيصلي عليه ويمسك بيده فيخفف الله ويشفى . ومع انه كانت لدينا الرسالية والاطباء وعدة انواع من الفصل لضماد لسم ، لكن العرب على العموم كانوا يفضلون الذهاب الى السيد ياسين أولاً . وقد عثرت مرتين على رجال من البدو فاقدي الوعي يموتون من لدغة الأفعى وفي المرتين ترسل هؤلاء الى ... لا الى المستشفى بل الى منزل السيد ياسين .. فشفي .

ان اعظم مثل على قدرة السيد ياسين في الشفاء من لدغة الافعى ذلك الذي رأيته بنفسي . وأعرف ابطال القضية واحداً واحداً ولذلك أريد ان أوضح الحقيقة فقط . ولن ادعي انني سأفسر الاسباب والنتائج .

في اوائل صيف سنة ١٩٤٥ كان صديقي الشيخ ... بن ... من فرع الدواسين في قبيلة مطير مخيماً مع عدد من قبيلته في اربعين خيمة عند آبار الطويل على بعد ثلاثين ميلاً الى الجنوب من الكويت . وبعد غروب الشمس بقليل وبينا

كان الشيخ لاي جالساً بقرب النـــار ينتظر القهوة ، ورأى على ضوء النار أفعى ذات قرون اجتذبها النور المنبعث من النار فاقتربت منهـا . وأصيب لاي بهلع مفاجيء فرفس الأفعى برجله الحافية رفسة قويـــة ولكنهـا كانت أسرع منه فغرزت أنيابها في رجله وتعلقت بها .

وأخذ الشيخ لاي يصيح طالباً النجدة فهرع اليـــه أصدقاؤه بعد قليـــل ليخلصوه من الباب الأفعى بعد ان قتلوها . لقد كانت أفعى مكتملة السم رعيبة دون أي شك . وأوثق أصدقاء الشيخ لاي الرباط فوق ركبته وتحتها ليحصروا مجرى الدم على طريقة البـــدو وقرروا ان ينقلوه الى السيد ياسين بأسرع وقت ممكن على جمله . وكان شقيقه الأصغر أذكى من شقيقه فقفز على جمـله وخف الى الكويت لمقابلة السيد ياسين وطلب المساعدة منه . وكان يعرف انه اذا قـــدر للشيخ لاي ان يصل الى المدينة فلن يصلها قبـــل الصباح . وسار الشاب حثيثاً فوصل الكويت عند منتصف الليل فايقظ السيد ياسين من نومه وأخبره قصته بسرعة وقال :

- « لا اعتقد ان أخي بمكانه ان يصل الى الكويت قبـل ثماني ساعات أو أكثر وعندها يتسرب السم الى جسده فيقتله .

وتأمل السيد ياسين برهة ثم قال بهدوء :

- « اذهب بسلام يا بني لقد شفى الله الشيخ لاي منذ هذه الساعة . عد الى ملاقاة أخيك وستجده سالماً معافى .

برح الشاب ولكنه ظل قلقاً وعاد الى حيث التقى في ظلام الليل . وبعد مسيرة خمسة عشر ميلاً من المدينة التقى بشقيقه راكباً على جمـله يسير ببطء ولكنه بصحة جيدة مع انه كان لا يزال يعاني من تأثير الصدمة .

وبادره لاي بقوله :

- « لقد زال عني تأثير السم فجأة وشعرت بالحياة تعود إلي .

وسأله عن الوقت الذي حدث فيه ذلك تبين ان المعجزة وقعت تماماً في الوقت الذي ابلغ فيه السيد ياسين شقيق الشيخ لاي ان شقيقه سيشفى بعون

له .

رأيت الشيخ لافي بعد ذلك بسنوات من الحادث في مجلس الشيخ عبدالله الأحمد الذي لا أكره لشيخ الكويت . وكان يصف كيف انقذت حياته في ليل شاكراً الله . ويوجد في الأبطح ارض في شرح الذي استدلته أنياب الأفعى في ساقه واخبرني والجميع في المجلس كيف انه بعد عشرين دقيقة من لدغ الأفعى له انتابه نعاس وخدر شديدان فشد بعضها الرعي كلية بعد ان قطع مسافة ميلين الى الكويت . ولقد ربطه صحبه الى ظهر الجمل وأرسلوا معه رجلاً ليدله على الطريق ولم يكن بالامكان السير بأكثر من المشي العادي . وحوالي منتصف الليل أفاق الشيخ لافي ودعا رفاقه ان يوقفوا الجمال وينزلوه الى الأرض ففعلوا ثم فحص رباط الشيخ لافي يسرج الجمل فوقف ولكن ضعيفاً وقال :

— وبعد ساعة شعرت بتحسن مفاجئ . بحيث اني نزعت الرباطين في رجلي لانهما كانا يؤلماني . ووصلت الى الكويت عند الفجر شاكراً الله على رحمته . وتوجهت رأساً الى منزل السيد يمين لأعبر له عن شكري وعرفاني لجميله ولكنه قال : شكر الله وحمده .. انا لم أفعل شيئاً . صليت الى الله فاستجاب لصلاتي تبارك اسمه .

لقد قابلت السيد يمين مرة واحدة وخرجت بانطباع طيب عنه . وكنت انا وزوجي غالباً ما نراه جالساً على «دكته» قرب البحر . وقد توفي سنة ١٩٤٨ بسبب كبر السن ولم يترك خلفه أولاداً فحزن عليه الجميع .

اخراج شيطانين من بنا

قصتي الثانية تتعلق ببنا وهي زوجة مجري بن بيتل الجبيلي وهو مطيري كان يعمل حارساً وخادماً لنا . وتتعلق القصة ايضاً بمحمد مرزوق وهو مطيري آخر كان يهتم بحمستابنا في الكويت . واحمد متزوج من مطيرية الزوجة السابقة لتالع الماير . وهي امرأة ذات شخصية تنتمي الى فرع بحمان في مطير وكانت تقيم في الجهراء عند رأس الكويت . وقد تعرفنا عليها قبل خمس عشرة سنة

وكانت تأتي لزيارتنا وزيارة زوجها من وقت لآخر .

والحادث الذي سأروي قصته هنا وقع في آذار سنة ١٩٤٩ في الوقت الذي كان فيه ميري قد تقاعد وأصبح الدكتور ج . ه . ستوركه طبيب الإرسالية . وكانت بنا تعيش مع ابنتها في صحراء بالقرب من خيمة خلف الصوباني زوج ابنة معزي . وكان خلف في خدمة صاحب السمو الشيخ أحمد . وكثيراً ما سمح لمعزي كل أسبوع ان يذهب الى صحراء للقضاء يوم واحد مع زوجته بنت وابنته فرح وعبدالله .

وأبلغت معزي ذات يوم أن بنا تعاني من مرض لا يعرف ما هو وان حالتها تسير من سيء الى أسوأ . وفي الأسبوع التالي بلغنا انها أصبحت مريضة للغاية وان حالتها قد تسبب له خطورة الى ارسال طفله عبدالله الى القبيلين على بعد ١٥٠ ميلاً لكي يخبر به أهل والدته .

وبعد مضي أسبوعين من الزمن على هذا المرض الغريب عاد معزي ليقول ان زوجته في حالة خطيرة ويعتقد انها ستموت قريباً . فقد بدأ يها التحول درجة كبيرة رغم بعد بإمكانها أن تأكل شيئاً وان تعد تستطيع الوقوف على رجليها . كان ذلك بعد زيارته الأخيرة لها . وتوسل الي ان اذهب لرؤيتها بنفسي عندما اقوم بجولتي التفتيشية القادمة الى ميناء الاحمدي الذي يبعد ثلاثة أميال فقط عن خيمة بنا .

وكان معزي في حالة يأس تحت نه الشديد كثيراً لزوجته . ولكي اشجعه قررت ان اذهب الى ميناء الاحمدي في اليوم التالي لزيارة بنا والاطلاع على حالتها بنفسي وحملها معي في السيارة الى الكويت اذا اقتضى الأمر لادخالها الى مستشفى الارسالية الامريكية . وابلغت عزمي هذا الى معزي فوافق في الحال! وقال انه لن يرافقني لأنه لا يستطيع رؤية زوجته الصبية بهذه الحالة .

وفي الوقت المحدد وصلت الى خيام البدو جنوب غربي ميناء الاحمدي حيث علمت ان بنا وشقيقاتها يقمن عند الطرف الغربي من الحي . ولم تكن بنا هناك ولكنها وضعت في عريشة صغيرة ابتناها لها شقيقاتها الى جانب خيمتهن .

وادخلتني اليها فصدمت عندما رأيت بنا وقد أصبحت هيكلاً بشرياً متهالكاً على لحاف قديم وسخ فاذورة تهالكت عليها الثياب . وكانت تئن وتتألم ولدى سؤالي عن حالتها جلست بصعوبة وقالت وهي تبكي وتتنهد انها ستفارق الحياة. كانت نحيفة كالعصا وتبدو اشبه بهيكل عظمي ناطق . ولما رفعت يدها لأجس نبضها لم أجد عليه شيئا فكنت استطيع ان اطوق معصمها باصبعي . وكانت يدها ساخنة .

وبصعوبة بيضة ابلغتني انها لا تستطيع ان تأكل أو تشرب شيئاً إلا وتتقيأه، وانها لا تستطيع التحرك نحو الباب إلا زحفاً على يديها وركبتيها . وقالت انها تتقيأ دماً في بعض الاحيان ولكن ليس بكثرة .

مسكينة بنت الصغيرة .. كيف تحولت من فتـاة موردة الخدين الى هيكل بشري فاقد المناعة ؟ كان يبدو واضحاً انها في حالة يائسة واعتقد انها تعاني من السل في درجة متقدمة لأنني رأيت كثيراً مثله بين رجال ونساء البدو . وقلت لبنا انني اقترح بموافقة زوجها نقلها الى المستشفى وسألتها عن اية امرأة من جيرانها تود ان تصحبها . وتوسلت اليّ بنا وهي تبكي ان لا انقلها في الوقت الحاضر لأنها ضعيفة وتخشى ان تموت في سيارتي . وطلبت مني بدلاً من ذلك ان أرسل طبيب الارسالية اليها لمعاينتها وربما استطاعت ان تذهب بعد ذلك . وقد الحت كثيراً في توسلاتها فنزلت عند رغبتها .

كنت اعرف جيداً ان الدكتور نيكرك لا يمانع في الخروج من الكويت ولذلك فان التأخير يومين لن يبدل في الوضع . واعطيت بنا كمية من كربونات الصودا مع الماء وسررت لأنها جرعتها وتركت كمية اخرى من هـذا المسحوق وطلبت من شقيقتها ان تعطيها منه اربع مرات في اليوم وكميات قليلة من الحليب الساخن كل ساعتين . وقبل ان اغادر المكان رفعت الفتاة من ذراعيها لأرى اذا كانت تستطيع الوقوف ، فسقطت الى الأرض حالما افلت يديها فتأثرت بهذا المشهد كثيراً .

وعدت الى الكويت ونقلت ما شاهدت الى زوجتي والى ممرضي الذي كان

يسود بيت القتل . وفي مساء اليوم ذاته وقبل ان اذهب الى الدكتور نبكرك لأسأله ، كان لابد من ان اخرج الى الصحراء بلدية بنا ، ومن خلف من محسنين حملا رسالة الى معزي من زوجته تطلب منه فيها ان يأخذها الى امرأة سكينية في القرية ، لأنها تشعر ان الشكوى سيطرها ويشتد عليها .

هذه هي طريقة البدو في معالجة السل . ويجري هذه العملية في سنة وقد سيدوية تتخذ من الندر الى تنضيج حراء الجري في الصدر الأيسر في خطين قصيرين متوازيين ، ثم يجس ماك منه الى فتحها خلال سبوعين تجري نفس العملية في الصدر الأيمن ، ثم يجدث في الجس بعضاً يكون المريض على النار السفلى من البدن . وهذه العملية مؤلمة للغاية لا يتورع الله ولا يستطيع المريض بعدها أبداً لا يشير بيثت شفة .

وتوسلت بنا الى معزي في رسالتها ان يحقق رغبتها . وعندما اخبرت موقفي من ذلك تقدم سالمتنا محمد المرزوقي الذي كان قد سمع كل شيء وساعدنا بالكلام . وقرر محمد ان يتوجه في صحبتي صبيح اليوم التالي ليأخذ بيده الى الظهر حيث قلعته وجلسه مضى . ولم يكن يرغب ان يصحب معزي معه لأنه ينبغي وقال انه سيحضر السيارة وكل ما يلزم ، وانه سيعود ان شاء الله اليوم الخامس بأخته شفيته بنا .

وكان محمد يبدو قوياً واثقاً من نفسه ، وجهه فسيح الصبوح بحيث اني وزوجتي وافقنا على خطته في الحال . ولم يمانع معزي في ذلك . فقد علمتني التجارب انه في مثل هذه المناسبات لا سيما بين آلاف يعتمدون كثيراً على الايمان ، امني المعجزات منها .

وقلت لمحمد :

— اذهب ولو فقتك الله . ربما أراد بقدرته ان تشفى بنا .

وغادرنا محمد فجر اليوم التالي ولم نسمع شيئاً عنه لمدة أربعة أيام .

وكان معزي يتمتم قائلاً : « ربما أراد الله ان يشفيها وينقذها » . وكنت انا وزوجتي نجيبه بقولنا : « ان شاء الله » و« ان شاء الله » ، « الله كريم » .

وفي اليوم الخامس عند الظهر عاد محمد المرزوق سعيداً باسماً وقال :

– ألم أقل لكم ان كل شيء سيكون على ما يرام لأن الله يستطيع ان يفعل كل شيء . لقد استعادت بنتا صحتها وشفيت تماماً . لقد أخذتها الى شيقاتها في فحاحيل وعدت مسرعاً لأنقل اليكم الأخبار السارة .

وأخذ يصف لنا كيف نقل بنتا وهي نصف ميتة الى المرأة الحكيمة العجوز في الجهراء برفقة زوجته مضي . وبعد ان فحصتها العجوز اعلنت ان حالة بنتا لا تقتضي الكي بل طرد روح شريرة لأن الجن قد تسلط على جسدها وأخذ يمتصها وسيقتلها حتماً اذا لم يطرد . وعندئذ امرت العجوز الجن باسم الله ان يخرج .

وقال محمد :

– ولم يخرج منها جن واحد بل اثنان . وكان كل منهما يصرخ بصوت مخنوق على طريقة الجن متوسلاً البقاء داخل الفتاة ولكن العجوز القاهرة لم تستجب اليها وأمرتهما بكل اصرار وباسم الله القدير ان يخرجا ويرجعا الى مكانهما الأصلي تحت الارض .

واستطرد محمد يصف كيف ان بنتا بقيت شبه ميتة لمدة من الزمن بعد ان طردت منها الأرواح الشريرة ، ثم استعادت وعيها فنقلها الى منزل زوجته مضي حيث اظهرت تحسناً مدهشاً خلال يومين وليلتين بحيث طلبت ان تعاد الى منزلها في فحاحيل .

وأضاف محمد قائلاً :

– والله انها تأكل الآن كالناقة .. شكراً لله . ولقد توقع مشت هذا الصباح الى محطة شاحنات الجهراء اي مسافة ربع ميل تقريباً حاملة المكسر على رأسها وأنت تعرف كم هو ثقيل المكسر يا أبا سعود . وقد تسلقت الى الشاحنة لوحدها أيضاً .

وقد أذهلتني هذه القصة بحيث ظننت أن الأمر قد حدث ؟ وان هذه هي طريقة محمد في القضاء نبأ وفاة بنتا . وقلت له بصراحة انني لا اصدقه ما لم أرها شخصياً وأتأكد انها في الحالة التي وصفها لنا . وعلى كل حال ارسلت ممرّي الى

فحاسيل على جناح السرعة طالبة منه اذا صدق كلام محمد ان يجلب بيت معه الى منزلنا في الكويت خلال خمسة أو ستة أيام لنراها بأعيننا .

كان ذلك يوم الثلاثاء . وفي مساء اليوم التالي أخذ محمد بن مرزوق يشكو من صداع شديد ومن حمى . فأعطيناه اقراص الاسبيرين ولكنه يوم الأربعاء ساءت حالته كثيراً فطلب ان نسمح له بالذهاب الى الجهراء حيث يمكن لزوجته ان تعتني به . فوافقنا على ذلك واستقل محمد الشاحنة التي تسير عند الظهر وهي ملك عبدالله بن خلف . ولما كان لطفي بارداً جداً حذرناه ونصحناه ان يلف نفسه جيداً ويجلس في صدر الشاحنة وراء السائق .

ولم نعد نرى محمد بن مرزوق ثانية . وجاء الينا يوم الجمعة بدوي يحمل اليه بندقية محمد وحزام الذخيرة وأبلغنا ان محمد توفي فجأة . ويبدو من التفاصيل التي حصلنا عليها فيما بعد من سعود بن تويران زوج شليقة مضي ، ان محمد وصل الى المنزل في حالة سيئة وتلاشى بعدها بالرغم من عناية مضي به ، وفارق الحياة ورأسه في حضن زوجته . وكانت شكواه الوحيدة انه يشعر ببرد في رجليه وجسمه وطلب ان يضطجع في الشمس بمواجهة مكة .

وقال عجيري بدهشة :

– ماذا تظن يا أبا سعود ؟ كل الناس في الجهراء يعرفون ان محمد هو الذي أخذ بنا الى العجوز التي طردت منها الروحين الشريرتين . والتقم هؤلاء الجن دخلا جسد محمد المسكين بدلاً من ان يعودا الى عالمهما في باطن الأرض . ولا يمكن احد أو زوجته يعرفان ذلك ولو انها شرفا ب لأحضرا العجوز لساعدتهما .

وحزنت انا وزوجتي كثيراً على محمد لأنه كان سائساً رائعاً وأميناً الى أبعد الحدود . وبعد الانقضاء فترة حزنيا الت مضي لزيارتنا ، وكان وضعها مؤسفاً لأنها هي الأخرى صدقت قصة الأرواح الشريرة .

وبعد اسبوع واحد من وفاة محمد بلغني ان فتاتين بدويتين قدمتا لزيارتي فوجدتهما جالستين على أسفل الدرج الذي ينزل الى الاسطبل . ورأيت مضي متكئاً على أحد الاعمدة وعلى فمه ابتسامة عريضة . ونهضت الفتاتان التحيتي فلم

أعرفها الى ان قالت احداهما من خلف برقعها :

– و أنا بنا وهذه شقيقتي . لقد جئت لأريك انني استعدت صحتي .

والحقيقة انني دهشت فاستدعيت معزي الذي قد تزوج بنا التي عادت اليها عافيتها بالجراحة من عهد قد . وسررت سروراً لا حد له وكشفت عن ذراع بنا فوجدتها جميلة مكتنزة باللحم ، وحاولت ان اطوق معصمها بإصبعي ولكنها لم تلتف حوله سوى بوصتين ونصف البوصة ، فضحكت بنا على مـــا أقول وقالت :

– إنا لا نعود الى حقيقة ... معزي لم يستبدلني بامرأة أخرى وها أنت ذا ترى اني صرت جميلة كما كنت تعرفني من قبل . وقد عاد الي حبيبي بكثرة وسوف أمتعه طلق عبدالله من عهد أهلي .

وحضرت زوجتي بعد قليل فأخذت بنا جانباً ورفعت برقعها عن وجههـــا لتتأكد . وأبلغتني زوجتي فيما بعد ان القصة صحيحة وأن بنا عادت كما كنت نعرفها .

أما الاعجوبة فحدثت قبل عشرة أيام فقط رأيت ميكلا مضنياً فاقد القوة فظننت ان السل قد نخر عظامها .

وحدث ان كانت الدكتورة غوزي طبيبة شركة نفط الكويت في زيارتي في ذلك الوقت فهرعت الى الطابق الأعلى واستدعيتها من غرفة الاستقبال قائلاً :

– تعالي وشاهدي هذه الاعجوبة !

وبعد أن فحصت الدكتورة غوزي الابنة الصغيرة في حالة جيدة وليس فيها أثر لأي مرض صدري .

حدث كل ذلك ومعزي واقف يبتسم وعلامـــات السعادة على وجهه . ولم يكن يقول شيئاً إلا : « حمد لله » و « حمد لله » .

ان أشياء كثيرة في الحقيقة تحدث بالجزيرة العربية لا يتصورها عقل .

مستشفى اولكوت التذكاري

نعود الآن الى سنة ١٩٣٩ . في تلك السنة شيد مستشفى اولكوت التذكاري

في نفس المكان الذي كان يقوم عليه مستشفى النساء القديم . وقـد افتتحه في اوائل فصيف سمو الشيخ أحمد .

وقد كتبت السيدة كالفرلي التي عادت الى اميركا مع زوجها عـام ١٩٣٩ تقـول :

« لقد عملت السيدة كوبت فان سانتفورد « والكويت التي بني المستشفى الجديد . ... سكرتيرة لشؤون الجزيرة العربية في مجلس ادارة ارساليتنا . وقد زارت الكويت مرة ، وكنا نتمنى ان تعيش لترى القصبة الحجرية التي تستقبل نساء الكويت عبر السنين . ان شعب الكويت لم ير من قبل بناء مثل هذا . يتألف المستشفى من طابقين من الحجارة والاسمنت المسلح . اما المناظر فارضية ... شرفاته واسعة والسرر التي تفصل بين غرفه والتي مدت اليها شبكات الماء والكهرباء . ويبلغ عدد الاسرة فيه اربعة وثلاثين سريراً باستثناء اسرة الاولاد والاطفال .

وقد عمل في هذا المستشفى الى جانب الدكتورة ميلري بروئز تيسون الساوقة حالياً في مستشفى كل من الدكتورة استر بولي والدكتورة روث كرافر .

وظلت الآنسة فان بيليت تعمل كرئيسة للعمل الطبي وحدها بعد مغادرتنا قبل ستة اشهر الى ان وصلت الدكتورة اسلي . وعندما لم يكن في المستشفى امرأة طبيبة كان الدكتور ميلري وطلائع الدكتور سكدور وبعده الدكتور ميكرك يتناوبون معالجة النساء المريضات .

ومنذ ذهاب الآنسة فان بيلت من الجزيرة العربية بعد افتتاح مستشفى الكويت بوقت قصير ، لم تعد هناك رئيسة للمرضات . ويعمل مع الدكتورة تيسون حالياً ثلاث ممرضات هنديات حديثات العهد بالمهنة وفتاة سورية مسيحية تتدرب على التمريض . وحتى اليوم فان العادات الاسلامية كالزواج المبكر والحجاب النساء ، تمنع تدريب الفتيات العربيات في الكويت والجزيرة على اعمـال التمريض . ولكن هناك عشر نساء أميات يعملن كمساعدات أو

خادمات الى جانب فتى تسمح له سنه بالاختلاط بالنساء كان يعمل كاتباً . وحول المكان حيث يجلس لقطع التذاكر الغير سباج ليمنع ازدحام النساء عليه .

ويسرني ان اسجل هنا في سنة ١٩٥٦ ان مجلس ادارة الارسالية الأميركية وضع خطة لبناء مستشفى فخم للرجال في الكويت . ويسمى هذا المستشفى « مستشفى ميدي الشذكاري » وستبلغ تكاليفه مليونين ونصف المليون من الروبيات وذلك بسبب غلاء مواد البناء في هذه الأيام . ومن الصعب على سلطات الارسالية ان تجمع مثل هذا المبلغ ولذلك فقــد اعطى صاحب السمو الشيخ عبدالله السالم الصباح مبلغاً وافراً في التكريم الذي تبرع بنيله عنه . ولكن الآن نحتاج بعد الى مبالغ كبيرة ينتظر ان تجمع من المحسنين والمحسنات في جميع انحاء العالم الذين لن يتورعوا عن البذل في سبيل هذا المشروع الانساني .

الفصل السابع عشر



الحرب العالمية الثانية

نجح هشام حسين طريق الدكتور فريتز غروبا سفيره في بغداد في تأسيس حزب للشباب في مدينة الكويت يعرف باسم « الشبيبة » . وباستخدام نفس الطرق والاساليب التي اتبعت في تشكيل منظماتها نجح في اشعال ثورة مفاجئة هدفها الإطاحة بسمو الشيخ أحمد الجابر الصباح وبنهاية الحماية البريطانية على الكويت واستبدالها بالعراق على أساس انها دولة مستقلة .

وكان توقيت الحركة سيئاً فقد فشلت تماماً كما فشلت ثورة رشيد عالي الكيلاني الوطنية قبلئذ في العراق بعد أن أزهق فيها عدد من الارواح . وقد تم الاستيلاء على مستودع الاسلحة في الكويت فتحرك ابن سعود نحو الحدود الكويتية على رأس قوة كبيرة لمساعدة الشيخ أحمد في إعادة النظام .

وقد عملت الحرب العالمية الثانية على إعادة الكويت الى جانب بريطانيا الامر الذي يؤكد الثقة الكبيرة التي وضعتها حكومة صاحب الجلالة منذ زمن طويل في شخص الشيخ أحمد .

وفي أوائل سنة ١٩٤١ بعد أن احتلت فرقة بريطانية البصرة أرسلت بطريق البحر من الهند قسماً لمقاومة ثورة الكيلاني في العراق ، ورحلت شركة نفط الكويت نساء موظفيها الى الهند كراتشي وباكستان . ولكن روجي رفضت الرحيل شعوراً منها بأن ستكون ذات فائدة في حال وقوع هجوم جوي على الكويت ، ولأنها فضلت البقاء بجانب أصدقائها العرب في الحرب . وبقي في الكويت أيضاً طبيب الارسالية الامريكية وعمل في المستشفى خلال الحرب .

لقد كان ذلك الوقت عصيباً بالنسبة للجميع ولا سيما بالنسبة للفقراء في المدينة وفي الصحراء لأن المواد الغذائية والالبسة والأدوية فقدت من الأسواق وساد البؤس .

وفي نهاية نيسان سنة ١٩٤١ صدمت لدى تغيير الوكيل السياسي في الكويت ضابط ارتبط مع القوات البريطانية التي قدمت مؤخراً الى العراق ، طلب مني ان اشغل منصب الوكيل السياسي النيابة الى حين تسلم ديكسون أو هيكنبوثام مهام عمله كنائب في ١٩٤١ من السنة ذاتها .

وفي تلك الفترة تمكنت أنا وزوجتي من الحصول من مستشفى معجر مخلصة لاعطائها للبدو جوعانين في الداخل ليطحنوا عليها قمحهم الذي كنت أوزعه عليهم لسد رمقهم ، إذ لم يكن في المدينة في ذلك الوقت سوى مطحنتين للحنطة ، وكان الأرز نادراً ووصلت أسعار التمور الى مستوى خيالي .

ولكنه لم يقع في الكويت في تلك الاثناء أي حادث من حوادث الحرب لما أعطانا فرصة ، بالاضافة الى مساعدة المرضى والمحتاجين ، زيادة معلوماتنا عن عرب الصحراء ومساعدتهم في الحصول على الغذاء والملابس ، وكانت حالة البدو أسوأ بكثير من حالة أهل المدينة .

محمد السيد يعرض قوته

لاحظت قوة آل سعود الخارقة في قضائه الأثار لأول مرة في حادث وقع في

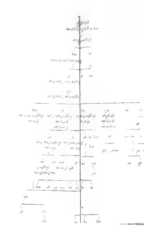
٢٥ حزيران سنة ١٩٤٠ على حدود الكويت الغربية كنت وقتها في جـولة تفتيشية في أحد مراكز الحراسة التـابعة لشركة النفط قرب البئر رقم ٤ في برقان.

كان ذلك اليوم قائظاً، ووصلت الى المركز في الساعة العاشرة صباحاً لأجد الحارس محمد بن وليان من قبيلة عجمان بانتظاري ولم يجب ترحيبه بينما ذهب الحارسان الآخران الى مركز ... للحصول على المـؤن. واستقبلني محمد فور نزولي من السيارة وقدم لي فنجان القهوة ... الشاي وعصير ... في ذلك الصباح.

ومركز الحراسة هذا عبارة عن صريفة من غرفة واحدة لا نوافذ فيه يتجه نحو الجنوب. فدخلت وجلست الى جانب الوجار الذي تصنع عليه القهوة قبالة الباب. وفي الزاوية المقـابلة كان شخص مضطجعاً وقد غطى نفسه من أعلى الى أسفل. وقال محمد ان الرجل ينتمي الى قبيلة مرة وقد وصل في منتصف الليل محروراً وطلب ان يأوي الليل هناك ولم يكن محمد يعرف هذا الرجل ولكنه ظن انه ذاهب الى الكويت يبحث عن عمل عند الشيخ أحمد.

وجلست أتحدث الى محمد حوالي عشرين دقيقة في مسائل تتعلق بواجباته وبسلامة المركز بصورة عامة وقمت ونظرت الى اثنين من البدو قادمين من جنوب الحدود يركب جملاً بني اللون والآخر جمـلاً أبيض اللون. وكنت أنا أراهما بوضوح من المكان الذي كنت أجلس فيه ولكن الرجل المريض لم يكن يراهما لأنه بعيد عن الباب ولأن جدران الصريفة سميكة لا تتيح له رؤية مـا يجري في الخارج. وهذه نقطة مهمة لأن لها تأثيرها على القصة التي نحن بصددها.

وبالتهذيب المعهود برجال الصحراء أناخ البدويان جمليهما الى الأرض على بعد مائة وخمسين ياردة من الصريفة وأخذا يربطان ركبتي الجملين بشيء من الشوهر. وكان الجملان من النوع أصيلة سريعة مما يدل على ان الرجلين قطعا مسافة طويلة. ويبدو أنهما من الشيوخ لأن سروجهما مصنوعة من قماش زاهي الألوان غالي الثمن.



وطلبت من محمد بن وقيان أن ينتظر الرجلين لشرب القهوة ، وذهب ليحضرهما ولكنه عاد ليأخذ لهما بعض الماء الذي قالا انه كل ما يحتاجان اليه ورفضا ان يتركا لشرب القهوة . ومما لا شك فيه انهما شاهدا سيارتي قرب الصريفة فتبادر الى ذهنيهما ان رجلاً انكليزياً داخل الصريفة فقررا متابعة سيرهما . وبعد أن شرب الماء الذي قدمه لهما محمد استأنفا السير . وعاد محمد الى الجلوس بجانب المجمر واستأنف حديثه معي . وطوال هذا الوقت لم اتحرك من مكاني كما ان الرجل المريض القلب بالقطاء لم يتمالك قيد شعرة . وجواباً على سؤالي عن هوية الرجلين الغريبين قال محمد انه ليست لديه اية فكرة لان الرجلين رفضا الافصاح بذلك عندما سألهما .

وجلست مع محمد نصف ساعة أخرى تناولت خلالها غداء كنت قد احضرته معي . وعندما انتهيت من تناول الطعام نهضت استعداداً للعودة … وكان من الرجل المريض القابع في الزاوية إلا ان وقف واتجه نحوي للسلام على الطريقة المعهودة .

وكان الرجل يبدو مريضاً فعلاً فدعوته للجلوس وشرب القهوة ثم سألته عن حاله فقال :

— لقد فارقتني الحمى وانا أحسن حالاً الآن الحمد لله .

وتحسست معصمه فوجدته ورماً ولكنه شكا على كل حال بأنه يشعر بضعف ودوار .

ويدل مظهره على انه متوسط الطول مربوع القامة له لحية سوداء تنسدل الى صدره . وبعد أن شرب القهوة شعر بأنه يستطيع الاسهاب في الحديث فعلمت منه أنه سمع بأن شيخ الكويت بحاجة الى رجل ماهر في اقتفاء الأثر ، وربما انه … هذه المهنة فقد جاء في طريقه الى الكويت طالباً للعمل . وقيل لي ان اسمه محمد السيد وانه … ماهر اذ بدأ يخبرني قصصاً عن قبيلته وعن البلاد التي يعيشون فيها بعيداً في الجنوب .

وأحب الحارس محمد أن يطيل الحديث فأشار بخبث الى انه ربما استطاع

الرجل لكونه من قبيلة مرة الشهيرة بالقفاء الأثر ، أن يعرف شيئاً عن الغريبين اللذين مرا بالقرب من المكان وشربا الماء الذي فيه . وقال محمد السيد بصورة جدية :

- إني اشك في اذا كان بإمكاني أن اعرف اسميهما ولكنني اذا رأيت المكان الذي أقعدا فيه جمليهما وآثار أقدامهما ، فربما تمكنت من اعطائكم بعض المعلومات .

واشرت الى المكان الذي توقف فيه الرجلان فذهب محمد السيد الى المكان وحده للتحقق من الآثار . وقصدت ان لا أسمح للحارس محمد ان يغادر الصريفة . وبعد فحص دقيق طال بعض الوقت عاد محمد السيد وجلس ليشرب المزيد من القهوة بصمت حذره .

وسألته بقولي :

- حسناً . هل صادفك الحظ ؟

- لا بأس . يستدل من آثار الجمال انها أصيلة واحد منها وضحى «الأبيض» والآخر خضيره واللون . لقد قويه ركب الوضحي نحو الشمال الغربي باتجاه الجبراء وسار الآخر نحو الشمال الشرقي وربما باتجاه قحجين على الساحل . وكلا الرجلين من شيوخ الدرجة الثانية في قبيلة بني هاجر وقد قدما من شبه جزيرة قطر وربما من داخل القطيف . انني لا أستطيع ان أعرف اسمي الرجلين ولكنني اظن انهما يبحثان عن صيد لها فاز وهما يتقيان آثاره لأنني رأيت في مقربة من المكان الذي توقفا فيه آثار رجلين حافي القدمين مرا من هنا خلال اليوم وقد سبقه شوق من ان يتجها الى هذا المكان . وكلا الرجلين في منتصف العمر بين الخامسة والعشرين والثلاثين من العمر وكانا متعبين جداً بعد ان قطعا مسافة تزيد على ميل .

وسألته بدهشة بالغة :

- هل لك ما تضيفه على ذلك ؟

- لا .. ولكنني من بني هاجر بشكل تأكيد وعسلان متقيان من نوع

، يموتون ، ويضعهم على الأرض ويعايشون الماء . ومن الخطأ أن أحاول الفوز بمعرفة السبب .. ان الله وحده يعرف ذلك .

ودهشت مدة لكل ما قاله لانني أعرف هؤلاء القوم . ثم غادرت المكان بعد ان أعطيت أقراصاً من الاسبرين كانت معي في السيارة لحمد السيد .

وبعد أربعة أيام ذهبت في الساعة الثامنة صباحاً الى مجلس الشيخ عبدالله المبارك الصباح ، نائب الحاكم لشؤون الأمن العام وشؤون البدو . وفي الأيام التي يشتد فيها الحر يعقد مجلسه في الشرفة الواسعة امام مكتبه . وكنت اذا ما اتيت لأقدم احترامي كما كنت أفعل دائماً . وكان الزائرون في ذلك الصباح كثيرين فألقيت عليهم نظرة سريعة وكان بينهم صديقنا المري ذو اللحية السوداء الطويلة جالساً بين الحرس والمحدقين في الأرض . وقد رآني هو ايضاً وبعد أن ألقى علي نظرة سريعة أشاح بوجهه .

جلست الى جانب الشيخ عبدالله لمدة عشرين دقيقة عندما قدم الى المجلس رجلان يركبان جملين أصيلين والنعق احدهما أبيض والآخر بني . وبعد ان ربطا جمليهما دخلا المجلس . كانت ملابسهما تدل على انهما من بني هاجر وفي مقتبل العمر ويبدو ان صاحب الجمل الأبيض هو الأكبر سناً . ووقفا باحترام امام الشيخ عبدالله وكأنهما ينتظران السماح لهما بالكلام . فحياهما الشيخ عبدالله ورحب بهما وسألهما عن بغيتهما .

وأجاب الأكبر بقوله :

— يا عبدالله المبارك .. نحن من بني هاجر من قوم ابن شافي شيخنا الاعلى . وقد اتينا من بعيد .. من قطر بلاد بن ثاني . لقد هرب أحد عبيدنا ونحن نقتفي آثاره منذ خمسة عشر يوماً . ذهب أخي للتفتيش عنه في قرية فحاحيل وقرى القصور الاخرى على الساحل بينما ذهبت انا الى الجهراء لأتأكد من ان العبد الشارد لم يمر من هناك في طريقه الى البصرة . وقد فشلنا حتى الآن في تحديد مكان الرجل او الحصول على اخباره .. لذلك نعتقد انه وصل الى الكويت مدينتكم المضيافة واختبأ فيها . ونرجو مساعدتك لا نستطيع ان نفعل شيئاً لذلك

تتوصل الى حوله يمكن احتلاله ان تساعدنا في بحثنا عنه ... اقالك انه سارق .

وكانت القصة مطابقة بالضبط لتلك التي اخبرني اياها محمد السيد في الحديقة بمرقاة . وتطلع الى محمد من بين جيب الرجال ، وظل على شفتيه ابتسامة كأنه يقصد بها ان يقول : ألم أقل لك ذلك ؟ .

آثار مخلب

اخبرني الشيخ عبدالله المبارك فيما بعد انه تمت قضية غريبة عليه ، [illegible] الشاهد عند شجرة قوية . فبعد ان تمثل في الحصول على [illegible] الشيخ أحمد [illegible] الكويت حصول ان يأتي نظر الشيخ صباح الناصر [illegible] الى من هيه لكي يستخدمه . وكان الشيخ صباح في ذلك الوقت مخيماً قرب الشاطىء على بعد خمسة اميال الى جنوب من قرية شعيبة . ولكنه لم يستخدمه بعد [illegible] ابقاه معه مدة خمسة أيام الى قضاء مهمة لا بأس بها قبل ان يتخلى عنه .

وابلغني الشيخ صباح انه بعد ان [illegible] السائق سيارته شكا في يوم من الايام ان ساعته قد سرقت منه وهو يستحم . كان قد قصد للسير عندما وصل السائق الى الشاطىء فخلع ثيابه ووضعها على الرمل ووضع ساعته فوق الملابس ونزل الى البحر . ولم يلاحظ السائق أحداً اقترب من الشاطىء ولكنه اعترف بأنه لم يكن يراقب بدقة . ولما خرج من الماء وجد ملابسه على حالها ولكن الساعة كانت مفقودة .

وأعلم السائق الشيخ صباح بالسرقة في الحال وكان محمد عندئذ موجوداً في الخيمة ولكن احداً لم يطلب نصيحته أو مشورته . ولكنه لاهتمامه بالامر وفضولاً منه انسل بهدوء ونزل الى الشاطىء حيث كانت الملابس قد وضعت على الرمل وتتبع آثار اقدام السائق عندما نزل ليسبح . ومع ان محمد تجول في المكان ليتفحصه ، فانه لم يجد أثراً لأي إنسان آخر في المنطقة . والآثار الوحيدة الموجودة هي التي تركها السرطان الموجود بكثرة على الساحل . وهذا السرطان من النوع الصغير وله مخلب اطول بكثير من المخلب الآخر . وهذا السرطان

يعيش في جحور يبني حولها جداراً من الرمل للحماية على جانب واحد .

وكان أن أحدثه السرطان يقود نحو المكان الذي وضعت فيه الملابس حيث يشكل عدة دوائر حولها ثم يعود باتجاه عكسي . لم يفكر محمد بهذا في بادئ الأمر وظن ان السائق يكذب وانه فقد ساعته في مكان آخر واختلق هذه القصة لسيده ليحصل منه على ساعة جديدة .

وعند محمد الى الخيمة فقال يفكر بحادث السرقة . وفي صباح اليوم التالي توجه الى نفس المكان على الشاطئ ، وكان المد قد ارتفع هذه المرة وزالت معه جميع آثار اليوم السابق . فجلس قرب الشاطئ ينتظر انحسار المد .

وبدأ كل سرطان يخرج من جحره ويسحب على الرمل ، ومشى محمد نحوها فتفرقت واختفت في جحورها . وبعد ان تفحص آثارها فترة من الزمن قد عرف محمد من بين عشرين أو ثلاثين منها على واحد كان قد رآه قرب الملابس في اليوم السابق . وتبع ذلك الأثر بدقة مسافة مئة ياردة أو أكثر ، ووصل الى جحر السرطان فوجد في اسفله ساعة السائق كما هي .

أكد لي الشيخ صبيح المعمر ان هذه قصة حقيقية ولكن الشك بقي يساورني فبحثت بتحريات حول هذا الموضوع . وقد أعطاني التأكيد الذي ابحث عنه شخص يدعى علي بن لاي وهو من رعاة الجمال في ٢٠ تموز ، ولم يكن لهذا الراعي اية علاقة بالشيخ ناصر أو غيره ولكن خيمته لم تكن بعيدة عن خيمة الشيخ . وقد مر بالرأي وتوقف عنده لتناول الغداء وأخبرته القصة مباشرة .

علي العريق لا ينسى

كان في خدمة الملك ابن سعود ثلاثة من أشهر متتبعي الآثار في قبيلة آل مرة وهم الاخوة علي ومحمد وسالم العريق . وقد اخبرني قصة تتعلق بهم الشيخ عبد المطلب سيد عجيان ومن أقدم اصدقاء الملك ، وذلك في ١٣ آب ١٩٤٣ . وأكد القصة علي العريق في وقت لاحق عندما قدم الى الكويت وقريبه لزيارتي أيام حملة اليمن سنة ١٩٣٤ توجه الشيخ جفران الفقير رئيس فرع السحابة في

معهم في الرياض مع فريق من الشيوخ وأقسامهم في زيارتهم السنوية للملك ابن سعود . وكانت هذه الزيارة عادة تتم خلال الشهر السابق لرمضان . وبعد ان يقدم هؤلاء الاحترام والولاء للملك يعودون الى عائلاتهم محملين بالهدايا التقليدية من مال وثياب .

وتنتهي في جفرات ذلك [illegible] الذلول من [illegible] [1] سرق في الليل من قطيع الصقور الذي كان يرعى خارج الرياض .

وقد وجدت آثار أقدام اللصوص الثلاثة سليمة كما هي مع آثار الجمال .

وقد علم الملك بالقصة أرسل في طلب [illegible] . [illegible] الأثر الملقا على جبينه وتتبع آثار اللصوص مراوغين طريقهم في يوم خروج الرياض الى [illegible] ومن هناك [illegible] الأثر عبر صحراء [illegible] الى [illegible] حتى وصلا الى قرية [illegible] مسافة [illegible] ميلا . وهنا تتبعا آثار اللصوص الى ان وصلا الى الخيمة التي كانوا يقطنون فيها مع نسائهم .

وتمكن واحد من اللصوص من الهرب . وقد [illegible] على وصل [illegible] الآخرين وأوسعهما ضرباً بعد ان شدا وثاقهم واقتادهما الى الرياض مع الجمال المسروقة للتين أعيد الى جفرات الملك . أما اللصان اللذان ثبتت ادانتهما من بقية جفرات فقد أرسلا للسجن حيث بقيا سنة كاملة قبل ان يطلق سراحهما .

وحدث بعد خمس سنوات في الرياض انه كان على طريق خروج المسجد بعد انتهاء صلاة الجمعة . وكان بين الخارجين من المسجد شخص غريب الى ان ولكنه لا شاهد آثار أقدامه عرف على انه نفس الذي هرب منه في جريمة فألقي القبض عليه رجله ووضع في السجن حيث ترك بعد فترة من الزمن .

وقد أكد لي ان له يستطيع ان يتذكر أثر أي رجل لو حتى ست عشرة سنوات ولم يحدث انه أخطأ مرة .

---

[1] الذلول هو الجمل المستخدم للركب .

أخبرني علي العريني القصة التالية :

في خريف سنة ١٩٤٩ كان ثلاثة من شيوخ عتيبة عائدين الى مخيمهم بعد أن قاموا بزيارتهم الشهرية الاعتيادية للملك في الرياض . ولحق بالشيوخ في الطريق ثلاثــة رجال على جمال وطلبوا منهم مرافقتهم . ومع ان الشيوخ لم يكونوا يعرفون الأشخاص الثلاثة شخصياً إلا انه كان يبدو انهم من العتبان فرحبوا بهم كرفاق طريق .

وبعد ثلاثة أيام وصل الجميع الى المكان الذي يقصدونه . وبينما كان الجالسون في الخيمة يشربون القهوة وصل خادمـــان من خدم الملك ورجلا من جلبهم . والخادمان هما محمد بن دعوس من آل مرة وخريوش بن صنعجة من عجمان .

وبعد أن دارت القهوة على الجميع وتبودلت التحيات شرح محمد وخريوش للشيوخ الثلاثة كيف انهما تتبعا آثار الرجال الثلاثـــة الآخرين لأن الملك يطلبهم لعلاقتهم بسرقة جمال حدثت في الرياض منذ مـــدة قصيرة . واستسلم الرجال الثلاثة تلقائياً وعادوا مع محمد وخريوش في طريق الرياض دون مقاومة ودون ان يكبلا .

وتوقف الجميع للعشاء ليلاً في بقعة موحشة على بعد مائتين وخمسين ميلا الى الغرب من الرياض . وبعـــد تناول طعام العشاء استسلم الحارسان للنوم فسرق السجينان منهم بندقيتيهم وأحزمة الذخيرة . ولم يعرف ما اذا كان الحارسان قد استيقظا قبل أن يحاول السجينان الهرب ، ولكن الشيء المؤكد هو أن السجينين أجهزا عليهما وقتلاهما ثم عرياهما من ملابسهما وفرا بالجمال الخمسة باتجاه الشمال على أمل ان يصلا الى العراق قبل ان يفتضح الأمر .

ومضت عشرة أيام قبل أن يساور الملك القلق بشأن تأخر محمد وخريوش في العودة فنظم على الفور فريقاً للتفتيش . وجهزت ثلاث سيارات كما ان فريقاً من الرجال أرسل للبحث على الجمال . وكان في كل سيارة عدد من المسلحين ومعهم واحـــد من مقتفي الآثار من آل مرة . . فكان علي العريني في السيارة الأولى

واستقل شقيقاه محمد وسالم السيارتين الأخريين .

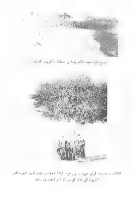
وجرى البحث ببطء لمدة أيام لأن الباحثين كانوا يتوقفون من وقت لآخر لتفحص الآثار والاسترشاد بها . وأخيراً عثر الفريق على جثتي محمد وشريوش العريفي . وذبح الرجال خروفاً لعشاء (كنوع من الضحية) وحفروا قبرين للقتيلين ثم قضوا الليل هناك .

ومن هناك اتجهت الآثار اتجاهاً شمالياً ولكنه كان من الصعب تتبعها لأنها بعد مضي كل ذلك الوقت أصبحت غير مرئية تقريباً . وبعد شهر من البحث المدقيق وصل فريق التفتيش الى قسم ومن هناك أبرقوا الى الملك يخبرونه انهم عثروا على الجثتين وان السيارات ما زالت تلاحق القتلة شمالاً . وسر الملك لهذه البرقية لأنه لم يكن قد تلقى أية اشارة من الباحثين لمدة ستة أسابيع . وبعث الملك بدوره برقيات الى جميع مراكز الحدود يأمرها بالتدقيق في هويات المارة للعثور على ثلاثة من البدو معهم خمسة جمال .

وظل المرتزقون الثلاثة يتتبعون آثار القتلة الفارين دون هوادة الى أن حلوا بهم في الرخيمية قرب الحدود العراقية . وكان خفر الحدود في ذلك المكان قد ألقوا القبض على اثنين من الرجال المطلوبين أما الثالث فقد أصيب ببندقية وقتل عندما حاول الفرار . وأبلغ الملك بجميع التفاصيل ثم عاد الفريق مع السجينين الى الرياض عن طريق الصمان وتوقفوا في روضة تقع على الطريق حيث كان يخيم الملك مع عائلته . وعندما وصلت السيارات الى هناك كان الملك في الصيد . وتمكن أحد السجينين بطريقة أو بأخرى من ايصال رسالة الى زوجة الملك المحظية الأميرة منيرة متوسلاً اليها ان تستخدم نفوذها لدى الملك لانقاذ حياتها .

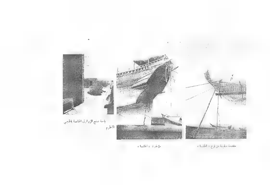
وقبل غروب الشمس في اليوم التالي عاد الملك من الصيد موفقاً إذ اصطاد مع مرافقيه عدة غزلان وكثير من الحبارى . وفي ذلك المساء أتت الأميرة منيرة وبنها الصغير بندر واجلسته في حضن والده الملك قائلة متكلمة على لسان الطفل : « طلبتك » .

وعرف الملك معنى طلبها فوراً فأجابها في الحال :



توسع على الصعيد الكبير يدية في منطقة الكويت الجديدة

المؤلف وحارسه المركزي فهد — يوم عيد الميلاد ١٩٥٢ واقفان تحت شجرة الغر الشهيرة التي تدل على مركز آبار النفط في برقان



باحة صنع الزوارق الخاصة بالطبي الأطرم

مؤخرة « [illegible] »

مقدمة سفينة من نوع « [illegible] »

.. والله أعطاها إياك ».

ثم قبّل يده الصغير .

وصدرت الأوامر بعـد ذلك بنقل الرجلين الى الرياض وإيداعهما السجن .

وفي اليوم التالي صدرت أوامر أخرى بإطلاق سراحهما وإعطاء كل منهما خمسين روبية وبشتين جديدين وجملين للركوب وملابس وارسالهما الى أهلهما . وعدا ذلك فتبرع بمبلغ ألف وخمسمائة روبية لعائلتي القتيلين محمد بن دعوس ومحروس أبو صحيحه .

ومثل هذا التصرف الغريب الذي يصدر عن ملك وحضور في ذلك الوقت بعض من يعرف قصة الأميرة مشيرة وبندر .. وعندئذ فهم السبب الذي دفع الملك الى مثل هذا القرار .

التحطيم المثير

بقلم فيوليت ديكسون

السفر هي الكلمة التي تطلق على ذلك الفصل من السنة الذي يهب فيه الهواء للسفر الى الهند وافريقيا وزنجبار . ويأتي هذا الفصل في أوائل الخريف من كل عام . وفي وقت من الأوقات كانت جميع السفن الشراعية من نوع « البغلة » ذات مؤخرة عريضة الشكل ونوافذ خلفية . وكانت السفن من نوع « البوم » محصورة في فئة المتوسطة والصغيرة الحجم .

في الخامس من أيلول سنة ١٩٤٠ كتبت ما يلي :

« لقد وضعت عـدت الأشهر على « البغلة » التي يملكها « النخادة » الحاج عبد الوهاب القطامي الرابعة قبل ان تتحطم لتبناه في ارتفاع الد اليوم .

« طيلة الأسبوعين الماضيين كانت الأيدي مشغولة بالعمل فيهما . فقد كانت بحاجة الى شراع جديد ولذلك كان ما يزيد عن ثلاثين رجلاً يخيطون قطع القماش بعضها في الطريق الواقع وراء منزل هـلال المطيري تاجر اللؤلؤ المشهور . في البداية يرسم شكل الشراع على الارض بالحبال والمسامير ثم تخاط قطع القماش

يمسحها عليه . وعند ... وفي الصباح الباكر يجري العمل على ضوء القناديل .
وهذا الشراع الذي يعتبر أكبر الأشرعة يعرف باسم « الفرد » ويحتوي على
خمس وخمسين قطعة قماش .

« أما « البقعة » ذاتها فقد جرى تشحيمها بزيت السمك وهو مادة كريهة
الرائحة من الفنطاس ، وسدت جميع الثقوب التي ستأتي تحت سطح الماء بالقطن .
وأخيراً وبعد أن تمت جميع التصليحات الضرورية طلي القسم السفلي منها بطلاء
أبيض مؤلف من دهن قبر خروف ونوع من الكلس . وتأتي مقادير الدهن عادة
من الهند بالسفن كل ربيع . ويبلغ ثمن الصفيحة الواحدة عشر روبيات . وتحتاج
البقعة إلى ثلاث عشرة صفيحة منها . أما الكلس فيجلب من مكلا أو حضرموت
أو خليج عدن ويقال إنه أجود أنواع الكلس لهذا الغرض .

وفوق جزء المطلي بالأبيض مباشرة وتحت ظهر السفينة هناك خط عرضه
قدمان لم يشحم ولم يطل بالقار . ولن يكمل هذا الجزء إلا عند الوصول إلى البصرة
وبعد أن تفرغ « البقعة » حمولتها مدة أسبوع بعده خط الغرب الغربية .

والساعة الآن الحادية والنصف بعد الظهر . وصل ... إلى أدروله وحان الوقت
خروج « البقعة » من الميناء . لقد رفع علم الكويت الأحمر على مؤخرتها ورفع علم
آخر أصغر على طرف القوس إيذاناً بالتحرك . وتوجه عبد الوهاب القطيفي مسرعاً
نحو المدخل إلى العمود الذي ربط به حبل كانت البحارة يشدونه . ولم يكن
يرتدي سوى إزار قبعاً أبيض اللون وهو واقف على الصخور كالتمثال . لقد كان
جميل الطلعة بشرته النقية وعينيه الزرقاوين .

« وشقت « البقعة » طريقها بين السفن الكثيرة التي تزدحم بها الميناء . وكانت
تجر وراءها صاريتها الرئيسية التي ستُرفع في البحر » وزورقاً صغيراً .

« واعترض طريقها قوس طويل لسفينة من نوع « البوم » فقفز إليها اثنان من
بحارة « البقعة » ودفعاها قليلاً إلى الوراء . وتهادت « البقعة » ببطء وكان صاحبها
يعطي التعليمات ويلوح بيديه إلى أن انتهت من عبور المدخل الضيق . وعندما
غادرت مدخل الميناء قفز عدة أولاد كانوا يجلسون على جدار الميناء إلى البحر

وتعلقوا بصاريتها. وكان غيرهم من الأولاد يجلسون عند مؤخرة «البغلة». وفي سفينة كبيرة كهذه تقسم مؤخرتها قسمين قسم فيه غرفة ذات نافذة والقسم الآخر مخصص للمنتفعات والمراحاض وله نافذة أيضاً.

والآن رفعت صاريتها الصغرى ومع أنه لم تكن ثمة نسمات في تلك اللحظة إلا أن السفينة انحرفت جانبياً مع التيار. واخذ الأولاد يقفزون الواحد بعد الآخر من مؤخرة السفينة إلى الماء وأيديهم مرفوعة في الهواء وتسلق بعضهم جدار الميناء وساروا على صخور الشاطئ، وكأنهم جرذان الماء. أما الذين ظلوا معلقين بالصارية فقد ولوا إلى البحر بعد هبوب الريح بشراع «البغلة» ودفعها بسرعة إلى داخل البحر. أما نحن فقد ذهب كل منا إلى مكانه وربما جيء إلى الشاطئ أو إلى زورق قريب ينساب نحو الشاطئ.

«وستبقى البغلة راسية خمسة أو ستة أيام في بندر الشويخ وهو ميناء من الموانئ الى بعد ميلين إلى الغرب من مدينة الكويت في الوقت الذي يكون البحارة فيه يشترون حاجياتهم ويديرون أمورهم قبل الإبحار إلى البصرة. ويأخذ كل بحار معه ثوبي «دشاديش» قبل السفر لأنه سيبقى بعيداً مدة ثمانية أو تسعة أشهر. واليوم يعطى البحارة سلفة لاعالة أسرهم اثناء غيابهم وتختلف المبالغ ولكنه يبلغ في المجموع ٦٠ روبية للرجل الواحد.

«في البصرة تحمل «البغلة» بالتمور ثم تبدأ رحلتها الطويلة. أما وقد مضى على بنائها مدة خمس وثلاثين سنة فهي تحمل الآن [illegible] وحمولتها كيس من البضاعة وطاقماً من البحارة عددهم ٢٥ رجلاً – أي حسب القاعدة رجلاً واحداً لكل مائة كيس. ويبلغ مجموع ما تجنيه هذه الرحلة حوالي عشرة آلاف روبية. ويبلغ مجموع رسوم الميناء وتكاليف مؤن البحارة حوالي ألفي روبية. والباقي – أي ثمانية آلاف روبية – يذهب نصفه للبحارة والنصف الآخر يعتبر ربحاً بعد اقتطاع أية تكاليف لاصلاح السفينة بما في ذلك ثمن الحبال أو الأشرعة الجديدة التي تتطلبها السفينة. والأربعة آلاف روبية التي يتقاضاها البحارة تقسم إلى ثلاثين حصة بينما يخصص الربح للنوخذة وإلى شخصين معينين من البحارة.

ويجري التقسيم كما يلي :

	مبلغ البحارة	الربح
(١) القبطان	حصة واحدة	٣ حصص
(٢) السكوني (المرشد)	حصة ونصف	حصة ونصف
(٣) استاذ (ملاح)	حصة ونصف	حصة ونصف أو اثنتين
(٤) معلم	حصتان	
(٥) سيراتج رقم ١	حصتان	
(٦) سيراتج رقم ٢	حصة ونصف	
(٧) طباخ	حصة ونصف	ربع حصة
(٨) البحارة (عددهم ١٩ رجلا)	حصة لكل منهم	

« وإذا أعطي البحارة سلفيات وهم في أحد الموانىء – إذا كانت الرحلة طويلة تغطي السلفة في بومباي أو زنجبار أو موزمبيق – يخصم المبلغ من الحصة النهائية . أما الأعمال البطولية التي يبديها أحد البحارة فيكافأ عليها بربع حصة أو نصف حصة اضافية .

« لقد شعرت ببعض الحزن لأن هذه السفينة الجميلة عادت إلى البحر مرة ثانية . فلقد عشت قريباً منهم جميعاً وأعرفهم شخصية واحداً واحداً، وشعرت في البيئة مشاعر الود عندما يعودون من رحلاتهم الطويلة ويتكرر ذلك سنة بعد سنة وفي نفس الوقت . وأرى أن تعود « بقلة » عبد الوهاب وهي في رحلة الوداع . فكأنما هبت العواصف في الخريف ونشأت شعر يقلق نجومهم . ويكون الميناء في ذلك الوقت خالياً إلا من بعض زوارق الصيد الضيقة .

« مرت سنة من الزمان وعادت « بقلة » عبد الوهاب سالمة إلى الكويت في أوائل الصيف . اما عبد الوهاب فاصبح بعد ذلك اليوم أكبر « بوم » في الكويت تستطيع استيعاب خمسة آلاف وخمسة أكياس. ويقال ان هذا النوع من السفينة يتسع لحمولة أكبر مما تستطيع البغلة نقله وهي اسرع لأن مؤخرتها مستطيلة دقيقة الرأس لذلك تعتبر افضل للملاحة لا سيما في البحار العالية . اما مقدمتها فطويلة

مستقيمة على طرفها بالبرد الأسود ووجدت فيه حالة نبيلة وعلى عكس «البغلة» فهي ليست فيها رائحة عند الأوشرة .

ووعدني عبدالوهاب ان يريني « بومه » الجديدة التي اختارها « القدر » ؟ قبل ان نفترق في البلدة، ولذلك هبطت نفسي هذه الساحة في صباح الثاني من يوم سنة ١٩٤٩ . وما كان الله قد اختير فقد لبست بنطلوناً ضيقاً وحذاء قديماً قبل ان انزل الى رصيف البلدة الموحلة حيث كانت السفينة . كان البحارة ناشطين في العمل وينشدون الاغاني وهم يطرقون القسم الذي سيزال تحت الماء بالدون الأبيض . وعلى مسافة منهم كان آخرون يقفون في وعاء كبير على النار وهي الحروف مع الكلس لاستخدامه كطلاء كما ذكرت سابقاً .

وبينما كنت اراقبهم بفضول جاء عبدالوهاب من خلفي وحياني وقال :

– هذا اليوم سيء، فقد بدأ المد في الارتفاع . اني سأحضرك « بالشوع » و ورق لجنيف . في يوم حين عندما تكون السفينة مستعدة للإقلاع نحو البصرة .. ان ذلك افضل بكثير .

وكانت مياه الله بدون شك بسبب كثرة الاقدام المتحركة في الرمل الاسود. وبدأت هذه المياه تغمر قمة الرمل من تحتها الى جانب السفينة تحت . وشعرت بخيبة أمل .

وقلت له :

– لقد لبست هذه الملابس خصيصاً يا عبدالوهاب لأتمكن من تسلق تمام بسهولة . ولا تهمني المياه الموحلة لأن حذائي قديم لا اخاف عليه من التلف .

واصدر اوامره لأحد الرجال الذين كانوا يعملون في طلاء جانب السفينة ان يرتب الأمر . ومع ان الرجل كانت يده اليمنى مغطاة الى ما فوق المعصم بالدهن والكلس فقد ذهب واحضر جذعاً من الخشب ووضعه عند قدم السلم عبرنا عليه الى سطح السفينة . لقد كانت رائحة بالعمل وكان ظهرها لا يزال مغطى . وتسلقت سلماً آخر الى ... حيث شرع في شرح ... جميع التفاصيل .

وقال لي عبد الوهاب مشيراً الى مكان على السطح طوله ثمانية أقدام، وعرضه قدمان: هذا هو مقعدي.

ثم دلني على مقعد الملاح وراء المقود في وسط السفينة وقال:

— هنا أستاذ معلم الملاح صباكرة تفسح البرمجة وتضع تحتها مصباحاً ليلاً. هذان هما السودان اللذان يدل منهما «الكمكيت» و «رووق صغير»، وهناك على ظهر قرب مقعدي يضع «المشوح» وأمامه يوجد حزلان الماء الخشب، واحد من كل جهة.

وأخذنا نتجول على ظهر السفينة باتجاه القوس.

— هذا هو الصندوق المغلف بالقصدير الذي يطهى فيه الطباخ الطعام ووراءه يوجد «الكشتيل»: برج المراقبة.

وتسلقت القوس وسألت عن اسم قصعة الخشب التي يوجد فيها دولاب خشبي.

— هذه هي «الفلخ» أو «البارة» التي يدلى منها حبل المرساة. أما الآن فيجب أن ترى غرفتنا الرائعة التي لا يستخدمها سوى ركاب خصوصيين — قد احتلها في الرحلة الماضية ابن الإمام يحيى إمام اليمن.

وتوجهنا الى مؤخرة السفينة مرة ثانية حيث نزلنا سلماً منحدراً من جهة اليمين. وعند أقدام السلم يقع باب الغرفة الرابعة التي يبلغ طولها ١٢ قدماً والتي كانت ملأى بالأشرعة والحبال وقطع الحديد. وكانت في سقف الغرفة منفذان زجاجيان للنور لأنه لم يكن فيها أي نافذة من أي نوع. وبعد ان اعتادت عيني على الضوء الخافت رأيت كثلاً كثيرة من الجرذان والصراصير السمينة على الحائط.

وصرخت بدهشة: صراصير!

وأجابني عبد الوهاب بالوثوق: لا بد.. ويوجد جرذان أيضاً.

إذن هذه هي الغرفة التي يفاخر بها!

وأضاف قائلاً: بعض النخاخدة لديهم غرف نظيفة ذات جدران مطلية ولكنني شخصياً لا أهتم بهذه الأمور.

وكانت أبواب المرحاض والمقصورة الاحتياطية للمرشدة مثبتة بسلسلة وقفل . وقد أرسل أحد البحارة على عجل الى أسفل ليأتي بالمفاتيح فغاب لحظة ثم عاد حاملاً عدة مفاتيح . وأدير مفتاح في المرحاض لكنه لم يفتح لأن المرحاض كان مليئاً بمختلف أنواع القطع الخاصة بالسفينة وكذلك كانت المقصورة ولم أستطع أن أرى شيئاً في الداخل .

وقال عبد الوهاب : هذه يستخدمها فقط النساء وكبار الركاب .

ولم أستطع ان أتصور نفسي استخدام مثل هذه المنشآت في أثناء رحلة . ويبدو أنه لا يوجد مكان آخر في السفينة لخزن الأشرعة والقطع الأخرى فحشرت في المرحاض والمقصورة .

إن الصواري الكبيرة لم ترفع في مراكزها ولكن [illegible] الصارية القصيرة التي تدعم الصارية الرئيسية كانت تقف هناك وكأنها [illegible] انفصلت مسافة ثمانية أقدام من ظهر السفينة . ومضى عبد الوهاب عن القاعدة عبر الحواجز من جهة الى جهة ليشرح لي كيف توضع الصارية الرئيسية في موضعها والمكان الذي ينطلق منه الثالث الواقف في مؤخر السفينة الى الخارج . ويبدو ان كل قطعة خشب في السفينة وكل قطعة لها اسم معين وقد أخبرني عدداً منها لكنه بقي الكثير الكثير . وفيما يلي بعض الملاحظات التي دونتها في حينه :

الاشرعة

الصارية الرئيسية	عدد قصبة القياس
العود	٥٥
السلندره	٤٩
النكيت	٣٦
الصارية الثانية	
غالومي المرى أو غالومي الكبير	٣٦
غالومي الصغير	٣٦

شراع مقدم السفينة ٢٣
ويبلغ عرض كل شراع من هذه الاشرعة ١٨ بوصة .

الحبال

١ — أمتار هوبي ١٢ بوصة
٢ — أمتار شيركي ١٠ بوصات
٣ — ويندول ٥ بوصات .

تستخدم الحبال للارساء في الرمل او الوحل اما حيث توجد الصخور فلتستخدم السلاسل (المصاحيل) .

وفي هذه الاثناء كان الدقد الرقيق كثر بحيث ان المر تستطيع رفع قدمين من الارض . وسأتي عبد الوهاب في النزول وأحضر خمسة ألواح من الخشب لأتمكن من النزول دون أن تبتل قدماي بمائه .

وقلت له مرددة .

— رحلة طيبة وحظاً سعيداً يا عبد الوهاب . اعادك الله سالماً .

وخرجت (فتشو) بهيئة عظيمة وذلك الملد بهدوء ودون ضوضاء وجرت الى البحر بواسطة زورق يجاري الى مرساها . وابحرت في ليل ٢١ ايلول .
وخاضت في أواسط سريان متعبة بعد رحلة ضربة أوقد تقة اليها الماء .

وضع السفينة في الموس

بقلم فيوليت ديكسون

وكتبت في ذلك الوقت ما يلي :

ظهر اليوم عندما يرتفع المد مشترك « الضو » الى الميناء . وهي الآن راسية على بعد ميل من الشاطىء وقد أنزلت صاريتها الرئيسية ويرفرف العلمان فوق مؤخرتها وعلى القوس .

« وعندما تعطى الاشارة ترفع الأشرعة وتسحب المراسي الى ما فوق الماء

ثم تبدأ السفينة بالتحرك . ويبدأ البحارة عندئذ قرع الطبول ببطء في البداية ثم تصبح قرعات الطبول أعنف وأعلى كلما اقتربت من الميناء، فالغناء والتصفيق. والآن يجب تسير قليلا . ومع دخولها الميناء يبدأ البحارة واحداً تلو الآخر يقفزون منها الى البحر ويسبحون الى « النقعة » . جدار الميناء ، حيث يشدون الحبال . وتقترب الأشرعة فتتهادى ببطء في مكانها « بالنقعة » وتسكت الطبول برهة ريثما يفرغ البحارة من فك الأشرعة . ويتوقف الغناء أيضاً ليحل محله نشيد « هيلا هولا » الذي يطلقه البحارة وهم يشدون الحبال لطرح المراسي في الماء .

« ويتراقد الأولاد بزوارقهم من كل مكان للاستمتاع بالمشهد وهم يحومون حول مؤخرة السفينة . الطبل لا يزال يطبل . وقبل أن تدار ستوضع في المكان الذي ستقضي فيه أشهر الصيف من كل سنة . كل شيء هادئ الآن على ظهر السفينة وقد انشغل البحارة في تثبيت « الترمات » العمدة التي تحمل الشراع في وسط السفينة » وفي ارخاء الحبال متمدة خلف الصارية . وتحنى الصارية بهدوء نحو المؤخرة ففي البداية تجر بحبال تعمل من مؤخرة السفينة ثم تخفض بواسطة حبال تعمل من القوس الى أن تستريح على سطح الغرفة . ومن هناك ترسم في وضعها الأخير بأن تقلب على طول السفينة – قاعدتها على القوس ورأسها على سطح الغرفة . وتبقى هناك . ثم تطلى بزيت السمك .

« ان الاهتمام الزائد الذي تلقاه هذه المراكب لحمايتها من أشعة الشمس الحامية طيلة شهرين لأكبر دليل على مدى حب أصحابها لها بنفس الطريقة التي يحب فيها البدوي جمله . انها حياة صيانه ومصدر عيشه . وتنصب على ارتفاع أربعة أقدام فوق ظهر السفينة من حصر مصنوعة من أوراق البردي تمتد من مقدمة السفينة الى مؤخرتها . أما الصواري والمراوح فتلف بحصر نظيفة وتوضع على الشاطئ . وتعلق السلاسل والمراسي بالقدر وتوضع في مكانها بدقة، وتعلق حصر مصنوعة من الياف جوز الهند حول جوانب السفينة لحمايتها من حرارة الشمس الشديدة .

وتشد السفينة بأربع دعامات قوية من كل جهة لتمنعها من التأرجح والاهتزاز اثناء الانحدار لها .

وقد صدرت حكومة «لنش» الشوعي سنة ١٩٤٣ لأنه تعاظمت التسريب . ويسرني ان اذكر هنا الشيخ الوهاب إلى بعد قيظها .

وأخبر الشيخ أحد حكام الكويت مرة زوجي ان كلمة «الشوعي» لفظ معروفة العرب وقد اكتسبت معنى الرباعية بسبب البحر الذي تعرضت له الكويت من قبل بني كعب في أيام مرج حينما أسرت حمس «شوعي» كبيرة .

وعلم زوجي من الحاكم الحالي صاحب السمو الشيخ عبدالله السالم بعد استفسارات تقول إن الكلمة لم تكن معروفة في الخليج الفارسي ولكنه اكتشف ان الذين يكونون يعرفون من أهل اليمن كانوا يستخدمونها أحياناً، وقد حصل حبره على هذه المعلومات من بعض اليمنيين الذين كانوا في الكويت . وأخبره زوجي ان هنالك لفظة فارسية لقطع «شوعيه» ومعناها سريع ، وانه من المحتمل ان يكون، يكون قد اشتق كلمة «شوعي» منها دلالة على سرعة الزورق . وقال سموه انه ربما كان ذلك صحيحاً .

وان بعض سفن الكويتية تشبه جداً بعض السفن الأجنبية رسيها في [illegible] تصنيف وسنها هنا :

١ — «حوري» من سيبوت في حضرموت وهي سفينة ذات صاريتين دورة للمقدمة والمؤخرة .

٢ — «الزورق» و«الزورقة» من موانئ [illegible] في اليمن وهي سفينة ذات صاريتين دورة المقدمة والمؤخرة . وتطلى مؤخرتها بألوان زاهية .

٣ — «السمبوق» من المكلا وعدن وهي تختلف قليلاً في جسمها ومؤخرتها عن تلك التي تصنع في الكويت تسمى الفولاذ والكابن أكبر . وتطلى جوانبها بخطوط من الأزرق من الأبيض .

٤ — «البيلي» وهو زورق صغير مرفق بسمبوق المكلا ويكون ذا بداية للشرع فيه . ويقدر هذا الزورق بانه يجذف بعضه ببعض بحبال ولا تستخدم

المصمم في بنائه ، وله مقدمة ومؤخرة بارزتان .

٥ – « البغلي » من بومباي وهي سفينة ذات صاريتين ومقدمتها يشبه قوس بلد كبير كالذي يستخدم في أعلى العراق أما مؤخرتها فتشبه مؤخرة « الجليبوت » الكويتي . وتشيع هذه السفن عادة بين بومباي وكراتشي وكاتياوار .

٦ – « البدن » أو « البدو » من مسقط وعمان وهي سفينة شراعية متوسطة الحجم وذات صارية واحدة .

٧ – « البقارة » من الساحل الجنوبي وعمان وهي سفينة لها قوس بارز حاد وصارية واحدة . [illegible]

نقاش مدينة قديمة

في أواخر نيسان سنة ١٩٤٢ دعيت وزوجتي لزيارة نائب رئيس شركة النفط العربية الأمريكية ومديرها العام في الظهران . فسافرنا بسيارتين برفقة ستة الرجال وعبد الله طاهر من عجمان . وكنت أقود سيارتي بنفسي وتصرفت كثيراً . وكان أثناء وجودي في الظهران أن أخبرني القصة التالية الأمير محمد الماضي من مدينة الخبر القريبة .

قال الأمير محمد :

– « منذ سنة أو سنتين كان الملك متوجهاً لقضاء عمل في منطقة نائية على طريق مكة – الرياض . وكانت معه سيارة واحدة من السيارات المرافقة فقد أمرت بأن تتبعه فيما بعد .

« وحدث أن انغرزت عجلات سيارة الملك في الرمل فنزل منها واستراح في ظل شجيرة « كرطا » في أخذ من القوم يحاولون أن يخرجوا السيارة من الرمل .

« واقترب بدوي عجوز من الملك المستريح في الظل وسأله عما إذا كان الإمام قد مر من هناك إذ أنه يحتمل أن يمر في ذلك اليوم . ولما سأله الملك عن سر لهفته لمعرفة ذلك أجابه الرجل بأنه يريد مقابلة الإمام الذي يمتدحه جميع الرجال والذي يقال عنه أنه يصدق القضاء عن تساوي .

« وأضاف البدوي قائلاً ان الملك يعطي قليلاً للأشخاص الذين يقابلونه وسط جمهور من الناس ولكنه عندما يقابل الفقراء في الخلاء يعطيهم كثيراً ويقال انه يعطيهم خمسة وعشرين ريالاً وأحياناً ثلاثين ريالاً .

« وأجابه الملك قائلاً : يا سيفي اذا كنت قصرت على معرفة الحقيقة فان الامر بسيط . أما نحن الذين تراهم هنا فليس سوى خدامه ونستطيع به حاجتنا تخلص من هذه الورطة .

« وقال له أيضاً انه أتى الملك لكونه صافياً قلباً يخاف الله ويرغب في عمل الصالحات فانه سيعطيه خمسة وعشرين ريالاً من جيبه ومبلغاً مماثلاً باسم الملك الذي يعمر في خدمته .

« وأشرق وجه البدوي فجأة ثم أمسك بيد الملك والحنى وقبله في أنفه وقال : السلام عليك يا عبدالعزيز ... الآن عرفت انني أخاطب الامير نفسه !

وبفضل نائب رئيس شركة النفط العربية الاميركية ومديرها العام تمكنا في طريق عودتنا من الظهران من زيارة جبل البحري في جبيل وأنقاض مدينة في القطيف في وادي المياه بأواسط الاحساء . وقد تم ذلك بفضل خدمات مرشدهم العجمي خميس بن رمضان الذي رافقنا وعاد معنا الى الكويت .

وجبل البحري هي تلة من التلال قرب مدينة جبيل الساحلية الصغيرة والمعروفة بين العرب باسم جبيل . ولا يبدو هناك حكايات كثيرة عن وجود كنز ثمين مخبأ في باطن جبل البحري . ووجدنا هناك صخرة كبيرة ملساء نصبت عمودياً حفر عليها بعض الكلام . ولما تقدمنا لدراسة الكلام المحفور على الصخرة وجدنا إنه من الصعب رؤيته واستنساخه لأن صخرة كبيرة قد سقطت فوقه من الأعلى ويقال ان الكلمات الآتية محفورة على الصخرة :

من الجبل البحري
الى الجبل ...
خطى سبعة جمال
في سبعة أيام

امانة الله واحدة .

وفوق هذا الكلام المحفور جيداً في الصخرة يوجد ثقب مربع طوله اثنتي عشرة بوصة وينتهي بثقب بحجم قطعة نقود صغيرة . ويقولون انه يمكن الحصول على قطن أو صوف مطيب من الثقب الداخلي بواسطة قضيب حديدي رفيع أو بواسطة سلك طوله قدمان مطروق الطرف .

وبدل ان نسلك الطريق القصيرة المباشرة الى الكويت عبر أم حجرية لدى مغادرتنا جبيل ، اتجهنا غرباً وسلكنا طريق الرياض الذي يقطع صحراء الصمان في أم عقلة أو معقلة كما تسمى عادة .

وأول واحدة صادفناها هي القشانات حيث تقع هجرة للاخوان من قبيلة العوازم . وفي قرب القرية كانت توجد آثار اقدم وكانت الأولى مبنية من حجارة كبيرة مقطوعة جيداً تدل على حضارة قديمة . ولاحت لنا الى البعيد باتجاه الجنوب الغربي تلة غريبة مسطحة الرأس ومربعة الشكل تقريباً ، عدة مرشدة بأنها تدعى القرينيات وهي تبعد أربعة أميال الى الشمال الشرقي قرى .

كان الوقت قصيراً فلم نمكث طويلاً في قشانات . ووصلنا الى ثاج في الخامسة والربع مساء فكان لدينا ثلاثة أرباع الساعة لنشاهد فيها المكان قبيل غروب الشمس . وقد كان الجدار والسواقي يتصورنا الخيام بالقرب من بئر في حقل من الشعير ، لحوك تجري بين الأنقاض .

وفي ثاج أيضاً تقع هجرة للاخوان من العوازم . وكانت غالبية البيوت التي شيد بعضها بحجارة من الانقاض وبعضها الآخر بني من قصب مهجورة في ذلك الوقت من السنة لأن أصحابها لا يقطنونها الا في الصيف . ولكن بعض المزارعين يقيمون هناك بصورة دائمة ويزرعون بعض الحبوب .

لقد بنيت القرية على حافة سبخة كبيرة ولكن الانقاض تتعدى القرية الى الشرق وتغطي مساحة قطرها ميل مربع . وعلى مسافة قليلة الى الجنوب الشرقي عبر منخفض فيه بئر أو بئران كانت هناك عدة مرتفعات صغيرة قال مرشدنا انها تضم مزيداً من الانقاض ولكننا لم نزرها .

كانت الأواني الخزفية المحطمة في كل مكان . وكانت كميات من هذا الحطام تغطي أربعة تلال الى الشمال الشرقي من المدينة . ويبلغ ارتفاع هذه التلال حوالي اربعين قدماً وربما كانت قبوراً لشخصيات مهمة أو أماكن لتقديم التضحيات .

وكان واضحاً من بعض اجزاء القرية هي بقايا مدينة قديمة . اما البعض الآخر فقد شيد بحجارة جمعت من الانقاض . كانت الاطارات المقفلة والمدارية تشكل جدران المنازل اما الجدران التي يبلغ ارتفاعها اربعة اقدام عند طرف القرية فكانت بقايا جدران اساسية . ومن الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وفي خط يشكل زاوية قائمة ليسير في محاذاة وادي المياه ترجد اساسات سور طويل قدر سمكه ٢٠ قدماً وحوله بقايا خنادق للتحصين . وداخل هذه الحدود الاصلية للمدينة توجد اساسات عدة منازل انتشرت حولها حطام أوعية خزفية .

والى جانب القرية كان هناك ما يبدو انه قبور . وكانت تظهر قرب السطح مداميك سميكة من الحجارة المنحوتة تشكل كل ثلاثة منها قبراً في بعض الاحيان . وفي اماكن أخرى شاهدنا حجرين فقط . وهناك ايضاً رأينا اطاراً كبيراً طوله خمسة اقدام نحت جيداً ووضع في مكانه بطريقة هندسية . ومن احدى الجهات وعلى مسافة قدم من القمة حفر فيه ثقب عرضه ثلاث بوصات مما يدل انه الاطار وضع في مكانه بواسطة حبال ادخلت في هذا الثقب . ولم تكن عليه اية نقوش كما اننا لم نجد نقوشاً على اي حجر آخر .

وشاهدنا في جدران المنازل قطعاً رائعة من الحجارة وضعت بشكل مما يعني ان اية نقوش عليها اصبحت مغطاة . وكانت جدران الحدائق وحجارة الآبار في شمال شرقي القرية منحوتة في معظمها . وتجر المياه من الآبار بواسطة الحبر وكانت هنالك مقبرة صغيرة في الوادي الى شمال شرقي القرية .

ولم نلتقط اية ادوات صوانية من بين الانقاض . وكانت الاواني الخزفية المحطمة المنثورة هنا وهناك ذات الوان مختلفة منها الأحمر القاتم المائل الى السمرة والرمادي الداكن والاحمر الفاتح والاحمر مع لمعة من الداخل بلون الزبدة او مادة

مرصاة من جهة واحدة فقط . وكانت هنالك قطع من قوارير كبيرة ذات زخارف مائلة عند الرأس . واسترعى انتباهنا شيئان مربعا الشكل لكل منهما اربعة قوائم قصيرة اظن انها كانت تستخدم لحرق البخور فيها . وقد عثرنا عليهما على مرتفعين تفصلهما خطوات . وكان احدهما من الحجر الاحمر المائل الى السواد بيض اللون من الداخل ولا توجد عليه أية زخارف . اما الآخر فكان مخصصاً وهو من الحجر الاحمر عليه رسوم حول الرأس وعلى القوائم . وعثرنا بين الانقاض ايضاً على عدة قطع صغيرة من المعدن اصبحت خضراء اللون مع مرور الزمن . ووجدنا على مرتفع بجانب خيمتنا رأس فأس من الحجر وخرزاً حجرياً .

ولم نحاول دخول القرية لأن أهلها قوم متطرفون . ونظراً لضيق الوقت لم نتمكن من تفحص الأماكن المحيطة بها بدقة . وعلى كل حال لا يستطيع أحد المنقبين عن ترخيص للقيام بحفريات بين الانقاض في المملكة السعودية . ولكن مجرد حفر بسيط بين المرتفعات من شأنه ان يكشف اسرار ثاج .

وبعد مغادرتنا المكان توقفنا قليلاً عند القلعة الصغيرة القديمة التركية والكائنة تحت التل . ويبلغ ارتفاعها تقريباً ثلاثة اقدام ويبلغ طولها نحو ... ياردة . والاشجار الخضراء الكثيفة هنالك هي بقايا سور ارتفاعه اربعة او خمسة اقدام . شيد على منعطف الطريق في جانب التلة . ويبدو ان التلة كانت في يوم من الأيام مركزاً للمراقبة يحمي الطريق الشمالية الى مدينة ثاج . وان المكان المحاط بالسور كان ملجأ حصيناً تلتجئ اليه قطعان الغنم والماعز عندما يحدق بها الخطر .

جزر العصافير

بقلم فيوليت ديكسون

سألت ابو عيد الدوسري وهو صياد عجوز يعمل حارساً للمنارة في جزيرة مسكان عن أفضل وقت لزيارة جزيرة عوهة لأنني كنت أريد ان أرى الطيور

تمشش هناك . فأخبرني ان اولاده زاروا عريجه في السنة الماضية (١٩٤١) في الثالث والعشرين من ربيع ثاني – وهو الشهر الرابع في السنة الهجرية – وجمروا من في ١٥٠ بيضة باعوها في اسواق الكويت .

وقال لي : ان القرنا تظهر في الخامس والعشرين من الشهر ، فاذا قدمت في الواحد والعشرين يكون الطقس مناسباً .

وطلبت منه ان يأتي إليّ مرة ثانية قبل عدة أيام من موعد الرحلة لكي نضع ترتيبات الأخيرة . وجاء الرجل في الخامس من أيار وقال انه حتى ان أولاده سيتوجهون الى عريجه لجمع البيوض ولكنه متعب من ذلك حتى يتسنى للثالوث ، أي السيدة وابنتي [illegible] تتعب معه . ولذلك فقرح القيام بالرحلة في وقت مبكر .

ووضعنا الخطة على أساس أن نغادر الكويت في ساعة مبكرة من صباح خميس في السابع من أيار . وقررت أن أصطحب معي خادمنا البدوي مسلم الذي كان صياد اللؤلؤ في وقت من الأوقات ، وابنة أخيه خمشا بنت براغيم عزيز .

كان كل المتاع الذي حمله معي عبارة عن خيمة وزنها للاثنين رحلاً وفراش ولحاف ومخافظ من الصنع المحلي ووسائد . ولأنني كنت سأحل في ضيافة عائلة القوداري فقد أخذت لهم معي هدية تتألف من نصف كيس من أرز البر الشي ونصف كيس من الطحين وأوقية من الدهن وأوقية من القهوة وعدد من الحطب .

وفي ساعة مبكرة من صباح الخميس جاء بنو ابراهيم الى الميناء لتسلم متاعنا . وكان المد عالياً فسهل علينا ذلك تحميل أمتعتنا وسرنا مع نسيم عليل يهب من الغرب . وبقيت في نفس الاتجاه ساعتين اتجهنا بعدهما إلى شمال غربي مسكان . ووصلنا بالتالي في الساعة الحادية عشرة والنصف وكانت الجو حاراً شديد الرطوبة . وكان منزل ابراهيم يقوم على الشاطىء الغربي وهو عبارة عن مجموعة أكواخ صغيرة واحدا مبنية من الحجر . وبالقرب منه تقوم المنارة البيضاء التي

ورفع على سارية كل مساء بعد غروب الشمس . وعلى بعد حايق بارد كانت هنالك شجرة تحتمي أبقاره وأغنامه في ظلها من شمس الظهر الشديدة الحرارة .

تغطي الجزيرة مساحة من الأرض تبلغ ثلاثين فداناً فيها خزانات الماء من الاسمنت تملأ بماء المطر كل سنة . وفيها أيضاً مراع جيدة وأجمة على شكل شنان يغطي الجزيرة . وهذه الشجيرات تقطع - ولا تقتلع من جذورها - كل خريف عندما تيبس ، لتستخدم حطباً للنار . وتنمو هذه الشجيرات من جديد كل ربيع وصيف فتعطي الجزيرة مشهداً أخضر رائعاً .

يكسب ابراهيم معيشته من الاسماك التي يصطادها مع اولاده ويبيعونها في اسواق الكويت . وتتألف عائلته من زوجته وثلاثة اولاد متزوجين وزوجاتهم والاطفال ، وابنة متزوجة وثلاث بنات تتراوح أعمارهن عشر سنوات وثماني سنوات وخمس سنوات . ولقد مكان خاص يقضون اوقاتهم فيه ويدعى العريش يقع على الشاطىء قرب المنزل . وقد بني العريش من صواري سفن قديمة وسقف بشباك صيد غير ذات فائدة وفرشت فوقها حصر مصنوعة في اهوار العراق . وصحبت خيمتي ورائه وكنت في النهار استلقي في ظل العريش على فراش ووسائد .

وباستثناء ساعة و احدة قبل الظهر كانت تهب رياح جنوبية او غربية فكان الطقس بارداً منعشاً في هذا الوقت من السنة . وجعلت بقربه للتحلق عند الظهر ثم استراحة في ظل الشجرة حتى الساعة الثالثة حين حليف مرة ثانية قبل ان نتوجه الى المرعى . وعند الغروب كانت تربط كل واحدة منها وتعطى حفنة من نوى التمر او التمر . وعند الغسق يجاء عدد من الاطفال والساعة لا يتجاوز الحادية عشرة و ولوا تحت الشجرة لقضاء الليل هناك .

وطهي في المساء غداء لذيذاً من الارز طيباً وبسيطاً ، ومجموعة من الأسماك طهيت بطرق مختلفة ، وقوراً مذوبة بالعسل ، وقدحاً من اللبن . وعلى العشاء تناولنا مزيداً من الأرز والسمك وعجة من بيض الحمام مقلية بالزبدة . ومساعدة للهضم احضرت لي كأس من الماء معطرة بلقاح ذكر النخل .

وبعد منتصف الليل هبت ريح جنوبية حملت معها كثيراً من الندى . ولم يكن بالإمكان الانتظار الى موعده في الصباح التالي كما كنت آمل فقضينا يوماً كسولاً آخر في مسكان . وتعبت مع الأطفال أبحث عن أعشاش العصافير كما قضيت بعض الوقت أراقب الرجال وهم يصنعون شباك صيد جديدة من أوراق البردي المستحضر من العراق ، بينما كان آخرون يشترون ألياف النخيل ليصنعوا منها حبالاً يربطون بها شباكهم . وهذه الألياف قصيرة عسرة . وتجدد الشباك باستمرار لأن العواصف تمزقها بسهولة . أما أنواع الأسماك التي اصطيدت أثناء زيارتي فهي الزبيدي والسبيطي والشعم . وقد علق بالشباك عدد من اللخمة[*] مع صغارها .

هناك نوعان من اللخمة التي يخشاها الناس في تلك المياه ، فرد له جوانب مستديرة ويعرف في الكويت باسم « صفيق » ، وفرد آخر جوانبه مدببة تشبه الأجنحة وذيله أطول بكثير وأرفع ويشبه السوط . ويسمى هذا النوع « الصفيقي » . وقد ذاق إبراهيم وأولاده لسع هذه المخلوقات الشريرة في وقت أو في آخر بما أقعدهم أياماً وشهوراً عن عملها . ويبدو أن لسعة صغار اللخمة ليست أقل حدة من كبارها . والسعتها عبارة عن شوكة شبيهة بالمطر على ذيلها وتحدث وصف تنكسر داخل الجرح . ولا يمكن إزالتها إلا بشق الجرح في مكان بإزالة دقيقة بسحب الشوكة من الجهة الأخرى وسحبها .

كانت « المَزُّوَة » أي القنبرة المتوجة « تعشش . ووجدت » والأطفال عشاً صغيراً منها تحت شجيرة حمض . وكان العش مصنوعاً بكامله وبصورة رائعة من عشاب السمه الجافة ، وفيه ثلاثة بيوض . ووجدنا عشاً ثانياً تحت شجيرة أخرى لكنه كان صغيراً جداً إذ لم يكن يتجاوز قطره بوصة ونصف البوصة ولم تكن فيه بيوض .

« الخضيري » ـ أو الوروار وهو طير أخضر اللون . وقد وجدنا منه حوالي خمسة عشر أو عشرين عشاً كلها تحت جذور حفرت في الأرض بصورة منحنية

* ـ اللخمة وتسمى أحياناً الكاية وهي أسماك تلسع من يقترب منها .

على عمق عشرة أقدام . وقد وجدنا من بيوضها بيضة كروية الشكل عند مدخل أحد الجحور .

« القراري » أو الزقزاق كان يبني أعشاشه في الأراضي الجافة بمبدأ عن الشاطىء. وكانت هذه الأعشاش عبارة عن حفرة دائرية الشكل المغطيت جوانبها بطين يابس وقطع من الأصداف البحرية . وعثرت على عش فيه ثلاثة بيوض وأكثر فيه بيضة واحدة . وشاهدنا واحدة من هذه الطيور تتدرج أمامنا وهي تجرجر جناحها وتسير في خط متعرج باتجاه الشاطىء ، ورأيت كلاً صغاراً ولكنني لم أستطع ان أعثر عليها .

« الجويبه » أو خطاف البحر ، وهذه الطيور كانت تعشش أيضاً وتطير فوق رؤوسنا وهي تصرخ . ووجدنا أحد أعشاشها تحت شجيرة حمض وكانت تحتوي بيضة واحدة أصغر بقليل من تلك التي عثرنا عليها في أعشاش « القراري » وقد تكون هذه البيضة بيضة خطاف مع أن العش الذي وجدت فيه يشبه عش « القراوي » .

كانت هنالك أيضاً بقايا حسون وعصفور ميتة أغلب الظن انها هلكت بسبب العطش والاعياء أثناء هجرتها . وقد التقط الأولاد عدداً من الخضري برتقالية وبلية اللون وهي على وشك الهلاك . ولم تكن تلك الطيور منعشة هناك ، ولاحظت أنواعاً أخرى من الطيور المهاجرة حولاً ولكنني لم أستطع التعرف عليها . وشوهدت على الشاطئ ست طيور من الكروان كما شوهدت بعض طيور المازنية في الصباح الباكر وهي تشرب الندى من على أوراق شجيرات الشناد .

وبعد الصلاة في اليوم الأول التالي من زيارتي جلست مع ربة البيت وعمتها خارج خيمة حيث أخذتا يخبرانني قصصاً عن الصحراء .

وقالت ربة البيت انها في الأصل فتاة بدوية والدها من قبيلة شمر وأمها من عنيزة وانها نشأت وترعرعت في قرية عيونه قرب حائل .

وأخبرتني ان الرجال في تلك الأيام المضطربة كانوا يحملون البنادق أينما ذهبوا حتى الى الصلاة في المسجد . وحتى النساء كن يدربن على اطلاق النار وعلى

ركوب الخيل . وقالت ان المنطقة المحيطة بحسابل منطقة جبلية فيها كهوف عميقة . وكان الحضر يحدق بالفتيان والاغنام لأن الضباع والنمور كانت تأتي في الليل لافتراس الماعز والأغنام .

ومضت تقول : « واخبرتني أمي انني عندما كنت لا أزال رضيعة ولم يتجاوز عمري شهرين كاد أحد النمور يفترسني . وكان والدي في المسجد يؤدي صلاة الغروب وكانت والدتي تحملني عائدة مع القطيع الى المنزل . وكان والدي لدى مغادرته المنزل قد نسي ان يحكم اغلاق الباب فدخل النمر وهاجمني ، وحملني الى المراح كان هنالك ثم قفز عشبا قفزة واحدة وحاول اختطافي من بين يديها . وقد تركت انيابه جروحاً بالغة في معصمي وأصابعي ولكن والدتي اطلقت صراخاً حاداً بحيث هرع الرجال من المسجد مع بنادقهم في ايديهم على استعداد لمواجهة أي غزو أو عدو . وما أبلغتهم والدتي انه قد بدأ مطاردته فوراً ولكنهم تأخروا اذ استطاع الحيوان ان يختفي بين التلال . ولا تزال الندب التي تركتها أنيابه ظاهرة في يدي وسأريك إياها في الصباح عندما يطلع النهار .

وأخبرتني مضيفتي أيضاً انه في مكان ما بين تلال وكهوف منطقتها تلك ، كانت تعيش امرأة متوحشة يعتقد انها تأكل لحم الانسان . وقد اختفى عدد من الأشخاص في أوقات مختلفة وفي ظروف غامضة وسرت شائعات ان هذه ساحرة تظهر بعد حلول الظلام وتقتل التائهين لتأكلهم .

وقد صدر ابن رشيد امير حايل على وضع حد لهذه الشائعات فـوزع ثلاث صحبته من حراسه للقبض على تلك المرأة . وانطلق الخيالة ليلة بعد ليلة وشهراً بعد شهر للبحث عن المرأة في الظلام بين التلال . وأخيراً جاء من يقول ان المرأة ظهرت وهي تتسلل من كهف عميق . وفي الحال ارسلت قوة من الخيالة المسلحين وأحاطوا بالكهف . وعندما كانت المرأة المتوحشة عائدة الى مخبأها قبل الفجر ، قبض عليها وأحضرت امام ابن رشيد .

كانت امرأة مرعبة الشكل ذات رأس كبير وشعر أشعث طويل وأسنان كأنياب الوحوش الكاسرة . وكانت تتكلم بلغة غريبة لم يفهمها الحاضرون الا

بعد جهد ، واعترفت انها في وقت من الأوقات أكلت لحماً بشرياً وشربت دماً بشرياً أيضاً . ولكنها لم تستطع ان تقول من أين أتت أو من أين هي ولكنها شرحت انهما خنثى – أي نصف امرأة ونصف رجل .

وقبل ان يمسك عليهم ابن رشيد الحكم وتوقت اراداته يقطع عن بنات والمتبنات اي قتلت رجعة وأكلت لحوم خصومهم . وحقاً الفرق أمرها ان ترشد رجاله الى مخبأها في التلال . ولكن الحراس عندما وصلوا الى المواضع المبينة قتلوها ودفنوها حسب اتفاق سابق .

في الساعة الثالثة والنصف من صباح يوم السبت التاسع من أيار استيقظت على صوت ابراهيم يناديني من خارج الخيمة قائلاً :

– الريح تهب من الغرب .. استعدي للذهاب .

وفي الساعة الرابعة كنا نركب اليلا متوجهين نحو سعد وسميت الجزائر الكائنين في الجهة الجنوبية الغربية من جزيرة فيلكا .

ثم عرجنا بعد الزاوية الجنوبية الشرقية من فيلكا حيث يوجد لسان من الرمل يمتد لميلين ، أما القناة التي تفصل فيلكا عن عوها تسمى عوها ، وهي قناة عميقة عرضها ميل ونصف الميل وتبلغ مساحتها عشرة أفدنة ولها شاطىء رملي من جهتها الشمالية . وقد نزلنا هناك في الساعة التاسعة .

ولما اقتربت من الشاطىء طار رف من الطيور كان يحط هناك . وإذا صدق ظني فان معظم تلك الطيور هي من نوع خطاف البحر والنورس الذي قيضت منه اثنين من النوع الكبير ذات رؤوس والأجنحة سوداء ، ومناقيرها مائلة الى السواد .

ويبدو ان هذه الطيور اطلقت النذير بوصولنا فما هي إلا لحظة حتى طار رف آخر كبير من طيور الخطاف في وسط الجزيرة يتجاوز عددها الألف طير . وبعد لحظة أخرى تبعه رف آخر . وقد لفت هذا الطيران ودارت مرة او مرتين في الفضاء فوق الجزيرة قبل أن تطير فوق البحر وتتفرق الى أسراب صغيرة كل منها من عشرة طيور . وقد عادت هذه الأسراب الصغيرة الى الجزيرة

وأخذت تطير وتحط بعد كل فترة وأخرى .

وبعد أن نزلنا الى الشاطىء وجدنا بيضتين كبيرتين قرب بعضها البعض فوق خط الماء مباشرة . وكانت كل منها داخل حفرة صغيرة غير ذات عمق . وكانت إحداهما وردية اللون ذات خطوط زرقاء ورمادية ملطخة بنقاط سوداء وحمراء بنية . أما قياساتها فكانت ٢٫٥٨ بوصة × ١٫٦٩ بوصة . وقياسات الأخرى كانت ٢٫٥٧ بوصة × ١٫٧٧ بوصة . بيضاء اللون تميل الى اصفرار فيها لطخ زرقاء رمادية باهتة وعدد من النقاط والخطوط والبقع البنية اللون . ويسمي العرب هذه البيوض بيوض « الخرشنة » وربما كانت هي بيوض الطيرين الكبيرين اللذين طارا عندما وصلنا الى الشاطىء .

وعندما نزلنا داخل الجزيرة واقتربنا من المكان الذي يعشش فيه الخنكور خرجت بعض الطيور بفرخها من جحورها وراكضت عدة ياردات وهي تمد أعناقها قبل أن تطلق في الفضاء . ويطلق العرب على هذه الطيور اسم « كوري» والقطا « شوبرق » . ويقولون انها لا تأكل الأسماك بل تعيش على الديدان الصغيرة وعلى السرطان الذي تلتقطه على الشاطىء . ولذلك فان بيوض هذه الطيور مرغوبة لانه ليس لها طعم السمك . ويبدأ البحارة يجمعون تلك البيوض وهي مهمة شاقة . اما الجحور فيبلغ طول قطر الواحد منها ست بوصات وهي محفورة بصورة منحنية في الأرض . وهنالك جحور يبلغ قطر الواحد منها أربعة أقدام ونصف القدم . وتوجد البيوض عادة في الطرف البعيد منها . وكان يتم العثور على البيض في واحد من كل ثلاثة جحور فقط . ان بيوض الخنكور البيضاء تبدو كبيرة بالنسبة لحجم الطير الذي يبيضها . وهذه البيوض متفاوتة الحجم قليلا كما يبدو من القياسات التي أخذتها في ذلك اليوم وهي بالبوصات كما يلي :

- ٢٫٥٧ × ١٫٨٣ .
- ٢٫٦٢ × ١٫٨٨ .
- ٢٫٦٤ × ١٫٧٩ .

. ١٫٥٥ × ٢٫٥٣
وتوجد عادة في الجحر الواحد بيضة واحدة ولكن أحياناً قليلة جداً يعثر على اثنتين .

وحاولت ان اصطاد واحداً من هذه الطيور لأتأكد من هويتها ولكنني فشلت في ذلك لأن طلقات بندقيتي كانت قديمة وزادت الحرارة الشديدة الأمر سوءاً . والطير الوحيد الذي رميته سقط في البحر ولم نتمكن من الحصول عليه . اما رفاقه فقد تفرقوا في الجو وعادوا فاجتمعوا فوقه وأخذوا يحومون حوله بعض الوقت وهم يطلقون صرخات حزينة الى ان جرفه البحر .

وترك الرجال الثلاثة يجمعون البيض بينما ذهبت مع ابراهيم للتجول عبر الجهة الجنوبية من الجزيرة . وهناك وجدنا اعشاش ثلاثة طيور يعرفها العرب « بالأزرقي » و « ابو الحصايف » و « سلطاني » . وكانت جميع هذه الاعشاش متشابهة فهي مصنوعة تقريباً ومبنية من اغصان يابسة ويبلغ طول قطر كل عش منها تسع او عشر بوصات .

وقد بنيت هذه الاعشاش فوق شجيرات واطئة من حمض على ارتفاع ١٢ أو ١٤ بوصة عن الأرض . أما البيوض فكانت زرقاء تميل الى الاخضرار مشبعة احياناً بالأبيض بقرن الكلس . وقد وجدت بيضة واحدة في اربعة أعشاش وعثرت على ثلاثة بيوض مجمعة واحدة في العش الخامس . وكان هنالك عش آخر فوق الاحجار عند اقدام رجمة حجارة ، وآخر فوق عمود حديدي قديم للملاحة كان مطروحاً على الأرض بعد ان أكل الصدأ عبر السنين قسماً منه وظل قسماً منه واقفاً على ارتفاع عشرة أقدام .

وعلى طول الشاطئ شاهدنا على الصخور الطيور صاحبة هذه الاعشاش بيضاء ان بعضها من نوع مالك الحزين أسود اللون ، وبعضها الآخر أبيض اللون من نفس النوع او من نوع البلشون . ويقول ابراهيم ان البيضاء منها هي ذكور وإناث « ابو الحصايف » والسوداء هي ما يسمى بالأزرقي . اما الذي يسمى « السلطاني » فله شرشة من الريش الطويل عند الرأس والرقبة . ووجدت بيضة مكسورة على

الأرض قرب أحد الأعشاش وقال ابراهيم ان الطيور تكسرها من عمد عندما ترى شخصاً قادماً اليها .

ويمكن مشاهدة أعشاش الخنكور المهجورة من السنة الماضية والتي قبلها في مكانين آخرين من الجزيرة . ويقول ابراهيم ان هذه الطيور تبني لنفسها أعشاشاً جديدة كل سنة على مسافة ليست بعيدة من الأعشاش القديمة . ووجدنا الأعشاش القديمة مطمورة وربما كان ذلك بفعل الريح او الأحوال الجوية . ولم تنبت عليها أية نباتات أو شجيرات مع ان حولها توجد شجيرات "حمض والطيا والشنان" .

وفي داخل الجزيرة كانت هنالك طيور سيئة من السنونو وبلابل طيور صغيرة تشبه الخطاف وهي ذات صدر أبيض واجزاؤها العليا بنية رمادية .

غادرنا الجزيرة حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف بعد أن جمعنا سبعين بيضة من بيوض الخنكور وسبعة من بيوض « الدرقي » وبيضة « الترانشي » التي سبق ذكرها، وعندما انتقلنا الى السفينة عادت الطيور الى مكان قريب من الشاطىء وتجمعت هناك ثم نزلت دفعة واحدة نحو الشاطىء . ثم طار رف منها يزيد على المئة نحو الأعشاش وتبعها الآخرون . ووصفها ابراهيم لي بقوله ان لها قوائم سوداء طولها سبع بوصات وان جسدها أبيض باستثناء خط أسود عند الرقبة ومؤخرة الرأس ولكنني لاحظت ان هناك لوناً قاتماً على أجنحتها عندما تكون طائرة وان أرجلها تمتد خلفها . وأخبرني ابراهيم انه وأولاده التقطوا في السنة الماضية سبعاً منها وان احداها وضعت بيضة بعد وصولها الى منزله في مسكان . وهذا الطير بحجم طير الحمام ولكن لحمه طيب للأكل . ووجدت ان البيوض لذيذة عندما تطبخ مع ان بياضها قاسياً . وكانت بعض البيوض التي جمعناها قد تمت عليها فترة وجيزة .

وقال ابراهيم انه في السنة الماضية كان « أحمر المنقار » و « أحمر القوائم » و « الكوبري » أكثر منه في هذه السنة على الشاطىء .

وفي طريق عودتنا الى مسكان كانت تطير حول البلم طيور من « الجويده » سوداء الرأس وتغطس في البحر لالتقاط الأسماك الصغيرة الهاربة من طريــق

الزورق . ولم يحالفهم الحظ إلا في غطسات قليلة وفيما عدا ذلك كانت الطيور تخرج من الماء فارغة الفم .

وفجأة شاهدنا فوق رؤوسنا طيرين من « الجربدة » يطاردهما طير كبير من جنسها في محاولة للامساك بهما وقتلها . وكانا يلتفان ويدوران وتصدر عنهما أصوات اشبه بالصراخ والطير الكبير يلاحقها . ويبدو ان الطير المهاجم يئس من العملية فانقطع عن ملاحقتهما فجأة وطار بعيداً عنهما ربما في مكان بعيد .

وشرح لي ابراهيم ان هذا الطير الغريب يعيش على الطيور التي تسقط بين يديه . فهو يلاحقها ويهاجمها ويخيفها الى أن تنهار فيلتقطها ويأكلها في الهواء ويطير . ومع انني شاهدت عملية المطاردة هذه مرتين إلا ان فترة المشاهدة كانت قصيرة جداً بحيث كان من المستحيل ان أرى ما يحدث بالضبط . وهناك نظرية أخرى تقول ان الطير الكبير يطارد بقية الطيور الى ان تتقيأ الأسماك التي تكون قد التقطتها في وقت سابق . ويقول ابراهيم ان هذا الطير فعلاً متشبهاً كطيل النسور إلا انني لم استطع أن أتأكد من ذلك بنفسي .

ووصلنا الى سكان في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر وسط ريح جنوبية عاتية .

الطيور التي تهاجر عبر الكويت

بقلم فيوليت ديكسون

تتم الهجرة الشمالية في الربيع والجنوبية في الخريف . وهـذا أمر مهم يجدر بنا ان نتذكره . وقد جمعت الملاحظات التالية خلال عدة سنوات :

– السنونو . وصلت الى الكويت بأعداد كبيرة في هجرتها شمالاً في السابع عشر من شباط سنة ١٩٣٧ وقد حـاول بعضها ان يجد لنفسه مأوى في سقف شرفتنا . وعندما تهاجر هذه الطيور جنوباً تظهر في الكويت في أواخر من شهر آب .

– الرغة . التقطت واحـداً ميتاً منها أمام منزلنا في الثامن والعشرين من

شباط سنة ١٩٣٧ .

– الخضري . وصلت في الثامن والعشرين من شباط سنة ١٩٣٩ وقد وصلت اعداد أخرى منها في ١٢ آذار سنة ١٩٣٩ .

– الهدهد . يشاهد دائماً في الكويت في اول يوم من مرزام (السابع من آب) اي قبل ثلاثة عشر يوماً من ارتفاع نجم سهيل في نجد الذي يصادف يوم ٢٠ آب .

وقد شاهدت واحدة منها حول خيمتنا في هريشان على حدود الكويت الجنوبية في الرابع من آذار سنة ١٩٣٩ . وشاهدتها ايضاً في اول آذار سنة ١٩٤٠ وفي ٢٦ شباط سنة ١٩٤٩ . وشاهدت طيرين منها ايضاً في الفجرة الجنوبية في ١١ آب سنة ١٩٤٠ . وفي ربيع سنة ١٩٥١ شاهدت رفاً من حوالي مائتين يطير فوق الكويت من شباط حتى ايار . وهذا أمر غير عادي لانه لم يسبق ان شوهد مثل هذا العدد من قبل .

– هزاز الذنب . وصلت أشكال رمادية من هذا الطير في ١٥ شباط سنة ١٩٣١ ، وفي الخامس من آذار سنة ١٩٣٩ ، وفي ١٥ آب سنة ١٩٤٠ . وشوهدت اشكال صفراء منه في ١٥ آب سنة ١٩٤٠ . وفي الرابع من نيسان سنة ١٩٤١ مرت بالقرب من خيمتنا في الصحراء على بعد خمسين ميلا الى الجنوب من الكويت اعداد كبيرة من أشكال زرقاء الرأس واشكال سوداء الرأس مع اشكال منه رمادية وصفراء وبيضاء .

– تمتمين او السلوى ("المرّي") . شوهدت عند آبار الطويل في جنوب دولة الكويت في الخامس من آذار سنة ١٩٣٩ .

– ابو زريق او القيق . شاهدت واحداً منها في ٢٦ آذار سنة ١٩٣٩ وفي ٢٩ آذار سنة ١٩٤١ قرب المدينة وفي مخيمنا في الصحراء على بعد خمسين ميلاً الى الجنوب الغربي من الكويت في الرابع من آذار سنة ١٩٥٢ .

– الصولة او ابو لوّي . شوهد في ٢٤ نيسان ١٩٣٩ وفي الرابع من نيسان ١٩٥٢ . وهذا الطير مدهش . وقد التقط صبي بدوي واحداً منها في خيمتنا

بعد ان دخل الخيمة طالباً للظل . ويبلغ طوله ست بوصات ونصف وله منقار صغير حاد وهو مزركش الألوان يغلب عليه الرمادي والبني . وعندما امسكته بيدي لوى رقبته ثم مدّها وأغلق عينيه بطريقة مدهشة . اما مخالبه الأمامية فواحد منها قصير والآخر طويل وله رجلان في الخلف واحدة قصيرة والأخرى طويلة وبذلك تمسك بإصبعين مخلبين من كل جهة .

وقال الشيخ البدوي ان « ابو لوي » شيطان فهو يحرك رقبته متظاهراً بأنه ميت ويغلق عينيه وقد شاهدنا هذه العملية بالفعل . وبعد ان ثنيت جناحيه وتركته يقفز في الخيمة ثم تفحصت شرابه جيداً وعدت فأرخيت جناحيه وطار بعيداً بعد ان ظل « ميتاً » في يدي مدة ثلاثين ثانية .

— طائر الصفصوري الصغير . التقطنا واحداً على رشك فلاك في ١٧ ايـــار سنـــة ١٩٤٣ . طوله ست بوصات وطول منقاره نصف بوصة وقوائمه سود اللون ظهره بني محروق واسود صدره ابيض عنقه أبيض مخطط فيه بني اللون من فوق وابيض من تحت له مخلب في مؤخرة قدمه .

— القارجة . طائر مهاجر : شوهد عدد كبير من هذه الطيور في السادس من شباط سنة ١٩٤٠ .

— الفراني ريفوني . شاهدت اربعــة منه في مطار الكويت في ٢٦ آذار سنة ١٩٤٣ ثم شاهدت ثلاثة أخرى في أول آب سنة ١٩٤٠ .

— الحمام الفارسي المنتفخ . شوهدت في ٧ نيسان ١٩٣٩ وشوهدت أعداد منها مع بعضها في ٢٤ نيسان من السنة ذاتها . وشوهدت اعداد كبيرة في الثامن والخامس عشر من شهر آب سنة ١٩٤٠ وهي لا تظهر عادة قبل أول أيلول .

— القطا . هذه الطيور تهاجر شمالاً وتمر فوق الكويت بأعداد كبيرة جــداً بين العاشر والثلاثين من شهر نيسان . وفي أوائل ايار سنة ١٩٣٥ عندما توقفت الهجرة العادية نحو الشمال رأيت عدداً كبيراً منها الى الغرب من سلسلة مرتفعات الظهر . وهذه الطيـــور تحلقت حول شك للعشب هناك . وقد اكدت ذلك البيوض التي يحملها الينا البدو . وهذه البيوض تشبه في شكلها بيـــوض

الماء لكنها أكبر منها قليلاً .

وعندما قام الخبير المشهور في علم الطيور الكولونيل ريتشارد ميناريز هاغن بزيارة الكويت في كانون الثاني عام ١٩٥١ ، تحقق معي من هوية الطيور الآتية :

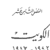
– في ١٠ كانون الثاني أسراب من طائر القنبر وثلاثة من السقسق (طائر مفرد) وجدت بين حقول الذرة والشجيرات خارج المدينة .

– في ١١ كانون الثاني أسراب صغيرة من القنبر القصيرة القوائم وجدت بين حقول الذرة . اصطاد منها ثلاثة . وفي الصحراء ما بعد صبيحية اصطاد اثنين ذكراً وانثى . واثنين من نوع آخر .

– في ١٢ كانون الثاني . اصطاد عن الأشجار في واحة ملح سبعة من عصافير الدوري الاسباني .

– في ١٣ كانون الثاني . اصطاد طيراً ذكراً من صقر الجراد ، وواحداً آخر من الحشنة او الحمراء وهو طائر يشبه القشاير في الجهراء وعلى طول الشاطئ ، تعرف على طائر من الدريجة أو الشر وهو طائر من نوع زمار الرمل ، وعلى طيور الكروان ، وعلى صياد المحار ، وعلى الدروان (من نوع الشر) ، وعلى غراب البحر (قاق الماء) وقد اصطاد طيراً كبيراً من القطقاط .

– في ١٥ كانون الثاني شاهدنا عدداً كبيراً من سكسكة السفاف والجراد (طائر مفرد) بين الأشجار في قرية قنطاس .



من عدالة الصحراء

حدث في عهد الشيخ احمد الجابر ان الأمير هايف بن مجرد رئيس فرع السعيد في مطير وبين ابن شقيقه سعود بن شلش ؛ فرغبت في معرفة مزيد من التفاصيل عن هذا الخلاف الذي أكد الرجلين صديقان قديمان لي . وقد حضر المقدمة كل من سعود بن شلش ومسرور بن فرواز وهو مطيري بارز في خدمة الشيخ احمد حاكم الكويت .

قالا لي : في اواسط تموز سنة ١٩٤٢ حدث ان كان رجلين عجمان من آل سليمان في قسم الصحراء قرب طريق الرياض على بعد مائة ميل من الكويت . ورأى الرجلين جملين شاردين فاقتاداهما الى واحة الجهراء حيث كان يخيم الشتاء الضيف جماعة من اتباع الأمير هايف وجماعة أخرى من اتباع سعود بن شلش . ويبدو ان الجملين شردا من قافلة للنجديين متوجهة الى الرياض ولكن فلسه لم يكن معروفاً في ذلك الوقت . وقد اصيب احد الجملين بالجرب فلم يعد وقتئذ خيمة .



في خيمتنا — زوجة الكاتب تصنع القهوة

القاطع الذي يفصل جناح الرجال عن جناح النساء في كل خيمة عربية



الزاريجة ؛ وهي سفينة مسطحة صغيرة تستخدم في جزيرة فيلكا

مزار الخضر في جزيرة فيلكا

دستور سيل دارا في المنطقة الاحساء خارج مدخل كهف والغم

وبعد فترة من الوقت عاد أحد النجديين الى الكويت حاملاً رسالة من الملك عبد العزيز يطلب فيها مساعدة الرجل في استعادة جليه الشائتين . وفي الجهراء تعرف الرجل على الجمل الذي بقي على قيد الحياة وقدم شكوى ضد رجل دوسري « قصير » سعود بن شلش (أي ان خيمته بجوار خيمة سعود بن شلش) واتهمه امام الشيخ عبدالله المبارك الصباح مدير الامن العام الكويتي ، بالسرقة . ولما أحس العجمي الأول الذي عثر على الجملين وباعهما الى الدوسري بأن طلائع مشكلة تلوح في الافق هرب الى الصحراء .

وبعد ان استمع الشيخ عبدالله المبارك لتفاصيل القضية قرر تغريم الدوسري مبلغ قدره ثلاثماية روبية : ماية وخمسون ثمن الجمل الميت ومبلغ مماثل لأنه لم يبلغ السلطة انه عثر على الجملين شاردين . وأشار سعود بن شلش الى ان هذا القرار غير عادل وانه لا يسمح بحال من الاحوال ان يغرم قصيره وهو غريب الدار . وحكم الشيخ عبدالله بالتالي ان يجمع نصف المبلغ من سعود بن شلش والنصف الآخر من كبير مشايخ عجمان الامير هايف بن حجرف على ان يعطى المبلغ كله بالاضافة الى الجمل الحي للتاجر النجدي .

وفي الوقت الذي كانت تسمع فيه القضية كان الامير هايف في الرياض بزيارة الملك . ولدى عودته غضب رثاباً لأن سعود بن شلش كان السبب في الحكم عليه بدفع الغرامة . وكان يعتقد ان السارق الحقيقي قد تواري عن الانظار بمشورة سعود ، وانه نظراً لأن الدوسري كان ضيفهم وجارهم ويجب ان لا يدفع شيئاً ، فان سعود يجب ان يتحمل الغرامة كلها بنفسه .

وهكذا نشأت العداوة بين الأمير وابن شلش . وقلت لسعود ان عليه ان يطيب خاطر الرجل العجوز وإلا فلن اعود استقبله في منزلي ليشرب من قهوتي .. فوعدني خيراً .

عطش في قلب الصحراء

كل سنة عندما تشتد الحرارة في شهري تموز وآب وتبلغ حوالي ١٨٠ درجة

وبذلك تكثر حوادث الوفيات عطشاً في قلب الصحراء الى ما وراء الكويت في الداخل . ويتساءل المرء كيف أن البدوي الذي يعرف بالضبط المسافات بين آبار الماء المختلفة ويقدر على أساسها عدد قرب الماء التي يحتاجها في رحلته ، يخطئ أحياناً في حساباته وينقطع من الماء قبل الوصول إلى المكان الذي يقصده .

والجواب على ذلك ليس مرده الى الجهل او الغباء بقدر ما هو ناتج عن سوء حظ نظراً لأن الجمال في أواسط الصيف تصبح ضعيفة لعدم توفر المراعي جيدة . وبالرغم من أن تبدو مغالاة إلا أنها معرضة لانهيار مفاجيء او انها تمشي في سيرها الى المكان المقصود بالسرعة العادية فلا تصل إلى الماء تحت الحرارة المحرقة قبل عدة . والجدير بالذكر ان الجمل يستغرق ستة او سبعة أيام لقطع مسافة بين بئر وأخرى في الصحراء داخل الكويت . فإذا بدأ الجمل بالخور عند منتصف الطريق فإنه قد يقطع المسافة في ثمانية او تسعة أيام الأمر الذي يقلق صاحب الجمل وأصحابه .

ولقد شهدت سنة ١٩٤٢ عن غيرها من السنوات بالنسبة لدرجة الحرارة . ولكن في ذلك لم تحدث فيه أية وفيات بسبب العطش في الصيف . ولكن بعضهم جن بالعجرية ومنهم ثلاثة أشخاص منهم شيخ الجيلي عند بئر الشاه رقم ١٣ التي حفرتها شركة نفط الكويت في المنطقة المعروفة لدى البدو باسم حساليه وهي تابعة لغربي مدة جرافية الى الغرب من منخفض الشق وعلى بعد خمسين ميلاً الى جنوب غربي بالقرب من مدينة الكويت . وشيخ الجيلي هو أحد مشايخ فرع جيلاد في مطير وكان مسؤولاً عن ثلاثة قطعان من الجمال يملكها عمو الشيخ أحمد . وكان شاب ساكناً في الكويت .

وحوالي الرابع عشر من آب سنة ١٩٤٢ غادر رجل من الدواهشة من فرع شرارات في قبيلة عنيزة آبار الصفا في المملكة العربية السعودية متوجهاً الى الكويت . وذهب معه كرشة رجل صلبي وزوجته . وكان قصدهم الوصول الى البئر رقم ١٣ خلال مسيرة ستة أيام من الصفا . وعندما أصبحوا على بعد خمسين ميلاً من المكان الذي يهدفون الوصول إليه نفد منهم الماء ، وبدأت تظهر

على جانبي أعراض الاعياء . ومع ذلك ثابروا سيرهم يوماً وليلة كاملين الى ان وصلوا الى نقطة تبعد عن البئر رقم ٩٣ مسافة عشرة أميال فقط دون ان يعرفوا ذلك . وهناك انهارت جاهلي لأنها لم تذق طعم الماء لمدة ستة أيام . ولما أشرفت الشمس على المغيب ذلك اليوم لم يكن الأشخاص الثلاثة قد شربوا الماء لمدة ثلاثين ساعة . واخبر رجال الدورية رقيبهم انه لم يعد يستطيع السير على الأقدام وانه يفضل البقاء مع الجمال والأمتعة في الوقت الذي يحاولان فيه الوصول الى الآبار .

ورد عليه قائلاً :

- إذا تمكنتما من الوصول في الصباح فرد وجدتماني على قيد الحياة ولن يكون ذلك بالامكان اذا لم تعودا خلال ذلك .

وسار الصلبي وزوجته على قدميهما بعد ان لم تخطئا البئر رقم ٩٣ وحيث انطلق شباح يلي مسافة ثلاثة أميال . لأنها فقلا الطريق في الظلام . ولقد قالت المرأة لزوجها انه تعتقد أنها سمعت نباح كلاب خلفها في جهة البعيد . وكان الرجل في حالة من التعب حيث انه لم يكن يستطيع أن يسمع أو يتكلم او يمير عن رغبته فحملته زوجته من يده واقتادته بخطى بطيئة متقلة باتجاه النباح . ونجحت في ذلك لانه في وصلا في الثالثة صباحاً الى حدود شباح . وهنا فقد الوعي .

ولم يستفيق من غيبوبته إلا في السادسة صباحاً وبعد ان بلّلا فمه بعبارة وأعطيا كميات قليلة منه . وبعد ان استعاد الصلبي وعيه اخبر شباح انه ترك رفيقاً له على بعد مسيرة اثني عشرة ساعة . وطلب منه ان يعطيه فريقاً من الرجال ليذهب معهم الى الجمال لانقاذه . ولسوء الحظ كانت جميع الجمال قد أرسلت الى المراعي في الصباح قبل وصولهما . عندئذ طلب الصلبي الشجاع قربة ماء وتوجه سيراً على الأقدام مع اثنين من رجال شباح الى حيث تخلف رفيقه . وعثر على الرجل الباهستاني حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر وكان لا يزال حياً ولكن على شفير الموت إذ انه لم يذق طعم الماء لمدة خمسين ساعة . وبعد ان

سقوه بعض الماء على شكل جرعات صغيرة متقطعة وأعطوه طعاماً قليلاً ، وساعدوه في العودة الى المخيم على الأقدام بعد أن غابت الشمس . ووصل الجميع الى البئر رقم ١٣ حوالي الساعة الحادية عشرة وسط مشهد واسع من الفرح والأهازيج .

وأخبرني شياح الجيبي انه لو لم تكن الجمال ضعيفة بسبب ضربة عطش لكان من السهل على الثلاثة ان يصلوا الى مخيمه عند غروب الشمس بدلاً من ان يسقط في ايديهما على مسافة عشرة أميال منه . ان الجمال هي التي خيبت آمالهم وليس خطأهم في الحساب .

والقصة الثانية تتعلق برجلين من العوازم كانا قادمين الى الكويت من الرياض عن طريق جودة سلمى في اواسط شهر آب نفسه . وكانا يركبان جملين احدهما مستعاراً من صديق لهما في القبيلة . وبينما كانا لا يزالان على مسافة مسيرة ثلاثين ساعة من وفرة فقد ضلا عن المشرب وذلك لأن أحد الجملين افلت فقد القسم الاخير فاضطرا الى قضاء النهار بطوله في البحث عنه . وحاولا كل ليلة بدون ماء ولكنهما بعد ان بذلا جهداً مضنياً في قطع تلك المسافة شعر كل منهما بالاعياء والانهاك . سيتفقان عليها قرراً ان يذبحا أحد الجملين ليشربا ماء الثاني في جوفه . وقد انقذ ذلك حياتهما بدون شك لأنهما تمكنا من الوصول الى آبار وفرة وهما على آخر رمق وحسك الجوع برجال قبيلتهما . وبدا انهما ظلا فاقدي الوعي مدة أربع ساعات .

ووقعت حادثة مؤسفة في عقاب شهدتها بنفسي بعد عشرة ايام في الكويت عندما كان الشيخ عبدالله المبارك جالساً في مجلسه جلسة في القصر المشترك . فقد وجد الرجلان اللذان رويت قصتهما نفسيهما امام محكمة متهمين بذبح الجمل الذي لم يكن ملكاً لهما . وطلب صاحب الجمل المستعار اما تعويضه ثمناً جديداً أو ثمن جمل جديد . وتساءل صاحب الجمل عن سبب اقدام الرجلين على ذبح جمل ليس ملكهما بدل ان يذبحا جملها . وهنا أرسلا ان يظهر انهما كانا في حالة لا تسمح لهما بالتفكير وانهما ذبحا الجمل الاقوى بدافع من غريزة

البناء وحفظ النظام .

وحكم الشيخ عبدالله على الرجلين بدفع ثمن الجمل وقدره مائة وثلاثون روبية وهو مبلغ حدده الشخصان حيامبرت بمرقون الجمل الذي نشأت القضية بصدده .

وفي مثل هذه الحالات لا يقبل إهمال لاظهار العواطف لأن قاعدة العين بالعين والسن بالسن يجب ان تطبق . وقد شعرت بالذهول وانا انتهيت الى القضية بكثير من الأسف للشهود .

ووقع حادث ذلك في شهر آب سنة ١٩٤٢ ايضاً في مكان ليس بعيداً عن بئر الماء رقم ١٣ وذلك عندما كان اثنان من قبيلة حرب قادمين الى الكويت على ظهور جمال من حفر الباطن . وكان هدفهما الوصول الى البئر رقم ١٣ ولكنهما ضلا الطريق في عاصفة رملية شديدة . وعندما كانا لا يزالان على بعد ٢٠ ميلاً من الآبار غلبهما الاعياء فذبحا جمليهما وشربا السائل الحار في جوفيهما . ولكن ... لم يكن الرجلان قادرين على متابعة السير مشياً . ولم يعد بإمكانهما معرفة الاتجاه الذي يجب ان يسيرا فيه ، فبدآ يدوران في حلقة مفرغة الى ان ماتا .

وبعد يومين عثر عليهما فريق من رجال شرطة الجيش كانوا يمرون بالمكان الى الماء من البصرة ، فعثروا عليهما أمواتاً وبقاياهما الى الماء . وقد استنتجوا بالنتيجة من ... أربعة أيام ... في أواسط آب .

وعندما أبلغ شرطة الجيش قصتهما قال : ان رحمة الله واسعة .

مطير تخرج من السجن (١٩٤٢-١٩٤٣)

قررت شركة نفط الكويت وقف جميع عمليات التنقيب خلال فترة الحرب. وقد تم ذلك في أواخر سنة ١٩٤٢ ولم يبق للشركة سوى جهاز رمزي من الموظفين في الكويت وفي تشرين الأول من تلك السنة عينت لا مديراً عاماً مسؤولاً عن صيانة منشآت الشركة والعناية بها .

وفي آذار سنة ١٩٤٣ قررت وزوجتي القيام بزيارة الى دمشق . وكانت تلك

السنة رائعة بالنسبة للمطر اذ بلغ مجموع ما هطل من الأمطار منذ الخريف أكثر من تسع بوصات وهو رقم قياسي في الكويت . وكانت الصحراء نتيجة لذلك في أحسن أحوالها فاغتنمت هذه الفرصة للقيام بأكبر عدد ممكن من الزيارات لعارفنا من البدو في الداخل ولأهل مخيمنا الذين كانوا يتجولون بعيداً عن الكويت . . أبعد من اي وقت مضى .

وبعد ليلة عاصفة ، كان صباح الاربعاء السابع عشر من آذار رائعاً مع ان الجو كان غائماً . وفي الساعة الحادية عشرة والنصف أخذ المطر يهطل يرافقه رعد وبرق وغيوم كثيفة سوداء آتية من جهة الغرب . وفي الساعة الثانية والنصف قررت ان نخرج في سيارتنا بالرغم من شدة المطر . ولكن السماء بدت مشرقة في الغرب تبشر بمساء جميل .

ويمكن بالامكان مغادرة المدينة على الطريق الرئيسية الى الروض لأنه لا يمكن تخطي أرض سبخة بالقرب من المدينة بعد مثل هذه الأمطار . وبالتالي بعد وصولنا خروج أسوار المدينة سرنا في طريق حالب الشيوخ ولكننا لم نصل اليها بسبب عرضين عميقين . لكن الأمر الى يمينا في ان وصلنا في طريق السيارات المؤدي من مقبرة الى الشدادية حيث عمد فاتجهنا الى اليمين . وكان المطر لا يزال يهطل بشدة .

كان المشهد هناك رائعاً شديد الاخضرار والمرآ بهيج ارتفاعه عن الصدر . ومن هناك من الكثبان فيه هذا وحيث يستطيع بالنظر وعبر الطريق متجهاً الى الغرب . ومن هناك الى ان وصلنا مفرق الدرب حيث يتجه طريق الروض الى اليسار وبوالي طريق الشق مستمراً . كان السفر مدهشاً . فالطريق رملي بالاساس ولكن الامطار جعلته صلباً ثابتاً .

وختلفت الصورة عند كبد وكبيد اذ كانت المياه تجري عبر الطريق كأنها نهر متجهة الى يمينا عن يمينا وتصب منها في بركة تكونت حديثاً . وفي أماكن أخرى قطع السيل الطريق تماماً . وكان هنالك خطر من الخروج عن الطريق والغرق في الرمل الأبيض اللين على جانبي الطريق .

وأخذ المطر يهطل بشدة كما يهطل من قبل ولكن ذلك كان الرشق الأخير إذ انه قبل أن نصل الى التلة الصغيرة المنحدرة بجانب التلة العليا أشرقت الشمس .. وبدأت متاعبنا . فقد كانت التلة شديدة الزلق بحيث ان السيارة لم تستطع الصعود خطوة واحدة . وبعد أن قمنا بعدة محاولات لدفع السيارة الى اعلى ثم الى أسفل وفي كل مرة يتحتم الوحل من اعلى الرأس الى أخمص القدمين ؛ تخلينا عن هذه المحاولات لأنها عديمة الفائدة . ورأينا ان الطريقة الوحيدة للخروج من هذا المأزق هي أن نسير على طول جانب أرض النهر الى أن نلتقي بالطريق من الجهة الاخرى .

وهكذا كان وسرت الامور من هناك على ما يرام . وقد قطع المطر الطريق في عدة أماكن وفي أماكن اخرى كانت الأنهر لا تزال تجري عبر الطريق . والتقينا في الطريق بسيارتين واحدة ملأى بالفداوية والاخرى تقل الشيخ فهد هذا الصبي الشقيق الأصغر لعبدالله خالي وهو صديق لنا . وبعد التحيات المعتادة تابعنا سيرنا . وعلمنا فيما بعد أنه لجأ الى خيمتنا طلباً للقاء المطر .

ووصلنا الشق في الساعة الخامسة بعد الظهر وكان المشهد رائعاً بعد المطر . كانت برك الماء في كل مكان وقد اصطفت على جوانبها قرب البدو ملأى بالماء . وكانت الخشب ... وتقضي ... كلها على مد النظر وكانت ... ولم يكن هناك أثر ... في خيمتنا الصغيرة . أما الآن ... في الشمال الغربي وفي الغرب وفي الجنوب الشرقي . وكنت ... من الجنوب الشرقي ... الأحمال تنقل الخيام والأمتعة ... شيوخ مطير . انها الهجرة الشاملة القريبة الكبرى ... أخبار المراعي الجيدة وبرك الماء الكثيرة ... ولا بد ان يكون بقدر الدويش ... لا تنصح في المجالس ... ويصعب على المرء معرفة مكانه .

ولم يكن من السهل علينا إيجاد مضيفنا ولكن كانت آثار كثيرة وراء السيارة مؤكدة صدق افتراضنا بأن الجمال الحمراء البعيدة الى اليمين هي تلك التي ينتظرنا قبيل ساعة الزوال بالربيع. وقبل غروب الشمس وصلت عائلة كاملة من مطير وحطت رحالها بالقرب من خيمتنا. وأنيخت الجمال الى الأرض محدثة أصواتاً مزعجة ثم أنزلت عنها الأحمال وراحت النساء الى جهة وتفرقت بقية الجمال ترعى بين الأعشاب النضرة بينما راحت العائلة تعد المكان الذي ستقضي فيه الليل على شكل دائرة. ولكنهم لم ينصبوا خيمة لأنهم كانوا سيرحلون الى الشمال الشرقي عند الفجر. وعندما حل الليل ظهرت حولنا آلاف الأضواء المنبعثة من نيران الخيام وكأنها أعين حيوانات بعيدة انعكست عليها أضواء السيارات في الليل.

وبعد فترة نبحت الكلاب ووصل راكب عند خيمة [illegible] وربط فرسه بعمود الخيمة. والقادم هو مطلق الأسلمي الدويش وهو شيخ شاب من الدوشان جاء للزيارة. وأدخل الى خيمتنا حيث قدمت له القهوة. وقال إن خيامه قريبة منا وإنهم وصلوا الى المكان عند الظهر تحت المطر. وقد شاهد سيارتنا قادمة من شلال منظارة فأتى بعد حلول الظلام ليقدم احتراماته. وتحدث الشيخ مطلق بعد مدة ومضت الساعة التالية خلالها كل الأخبار [illegible] وعن وجود [illegible] الذي كان لا يزال جنوب الشق ويتوقع وصوله في اليوم التالي. وبعد أن شرب مزيداً من القهوة استأذن بالذهاب. ورافقني ولداً ليأتيه بفرسه وهي فرس جميلة هجينة تسير كاملة حيث تكون عليه خيول الأصيلة في ربيعه. وعلق مطلق بندقيته على ظهره وتوجه نحو فرسه.

وسألته قائلاً:

– هل تشرفنا بالغداء معنا غداً يا مطلق؟ لقد ذبحت خروفاً ممتازاً.

ولم يجبني عن سؤالي بل قال:

– هل أعجبتك فرسي؟ سأعطيها لك إنها هدية.

كانت فرساً رائعة ولا شك ولكننا لا نستطيع قبولها. وقفز مطلق على السرج وانطلق نحو خيمته في الظلام.

كنت أبحث ونحن حول النار كيف أن الأرض مدورة فيكون في [illegible] شتاء في الوقت الذي يكون فيه [illegible] الصيف . وفي هذه الأثناء وصل [illegible] زنيفر بن حريد من قبيلة عجمان [illegible] بعد أن شرب القهوة شارك في الحديث الذي تحول من البحث في أقطار الكون إلى أقدار [illegible] آخر .

قال زنيفر إن أحد الشيوخ ترك سبعة عشر جملا لتقسم بين أولاده بعد وفاته ، بحيث يأخذ الابن الأكبر نصف حصة من الجمال ويأخذ الثاني ثلث حصة ويأخذ الثالث تسع حصة . ووضع مع الوصية شرطا يقضي بأن لا يستعمل من قسمة جمل واحد أو يباع أو يقتل تسهيلا لعملية القسمة .

وتوفي الشيخ ولكن أحدا لم يكن يستطيع معرفة كيفية تقسيم الجمال السبعة عشر حسب النسب الموضوعة . وشب ذات [illegible] شجار عنيف كاد يتحول إلى صراع دموي بين الاشقاء الثلاثة ومؤيديهم إلى أن [illegible] من هناك رجل [illegible] جملا [illegible] عن أسباب النزاع فأخبروه .

وبعد أن فكر برهة من الزمن سأل [illegible] يسمحون له بحسم المسألة فوافق الاشقاء الثلاثة وطلب الغريب منهم [illegible] الجمال أمامه ففعلوا . وضم [illegible] جمله إلى الجمال فأصبح عددها ثمانية عشر . فأعطى الابن الأكبر [illegible] نصف حصة ، وأعطى الثاني ستة ، ثلث حصة ، وأعطى [illegible] الأصغر تسع حصة . وبقي جمله فركبه وانصرف . ورضي الجميع بهذا الحل .

عندما [illegible] في الصباح [illegible] الجمال تتحرك بعيدا عن الخيام التي [illegible] وقد [illegible] الرعاة في [illegible] . وكانت بعض تلك [illegible] وكان [illegible] في وقت لاحق من الصباح [illegible] . وكانت بعض تلك الجمال بحالة جيدة والبعض الآخر [illegible] وقد [illegible] من الجرب بالكلس والقطران . ويظهر هذا الجرب في الجمال عادة في سنين الجفاف عندما تهزل بسبب قلة المراعي . أما القطيع الذي [illegible]

عدة سنوات فكان يرعى بجوار خيمتنا طوال النهار .

وبعد الغداء رأينا أحد الرعاة يجمع عظام جمل ميت ويصفها بعناية على شكل هيكل عظمي ويضع فوقه باقة من الزهور البرية . ولما سألناه عن القصد من هذه العملية قال انها لتخويف الجمال . وعلمنا السبب الحقيقي فيما بعد . فالجمل يلتقط اية عظمة تصادفه ويمضغها فيمنعه ذلك من التغذي على الأعشاب وبذلك يفوت على نفسه فرصة السمنة والاكتناز . ولكن عندما تجمع العظام بالطريقة التي شاهدناها يخاف الجمل ويمتنع عن أكل العظام .

شهد ذلك اليوم تحركات مستمرة فقد كان مختلف الشيوخ يتقدمون الى الشمال ليأتي غيرهم من الجنوب الشرقي فيحلوا محلهم . وكان من الصعب جداً على الرعاة منع قطعانهم من الاختلاط بقطعان جيرانهم . وكانت ذكور الجمال تربط بحبل من أقصى الخلف الى المقدمة لأن موسم التناسل قد انقضى وكانت الجمال الصغيرة البالغة من العمر شهرين او ثلاثة تسير مع أمهاتها .

خرج الشيخ مطلق وكر أصفره على معصمه ومعه كلبه وخادمه . والتقينا به عندما كنا متوجهين لزيارة شيخ الجبل . ولم يكن هنالك سبيل يذكر بجماح مطلق معنا وشرب القهوة في خيمة شايع الذي سر كثيراً لأنه وجد نفسه في وسط الحجرة الكبرى لنية مطير . وتعددت الزيارات بين السيدات في مختلف فروع مطير وقام عدد كبير منهن بزيارة طفلة زوجة شايع وهي سيدة بدوية عريقة من عائلة عريقة ، إذ انها كانت بعيدة عن عشيرتها عدة أشهر . وكان واضحاً انهن يعرفن كثيراً من الاخبار . وقدمت سعدة هدية من الشاي والسكر قدمناه لها في تكريم ضيوفها . وقد وعدت بأن تأتي لتناول الشاي مع زوجتي ولكنها لم تتمكن من ذلك . واستغرق مرور الهجرة من أمام خيمتنا أسبوعاً . ومن هناك اتجهت نحو اليسار ثم بدأت تسير نحو الجنوب الشرقي ثانية ولكن بطريق أكثر انحرافاً نحو الغرب عبر منطقتي الدبدبة وقرعة وذلك للعودة الى الشمال — أرض مطير — مرة أخرى .

ولم يقيض لنا مقابلة بندر الدويش الشيخ الأعلى في مطير إلا بعد عودتنا الى

الكويت عندما نقل الى مستشفى الارسالية الأميركية لمعالجته من البعث جمل في معدته عندما كان يعالجه من الجرب . أما والدة بندر فهي سيدة من سبيع تدعى « البيضاء » نسبة الى لون بشرتها .

العم الشريف

قبل عودتنا الى الكويت ذهبت وزوجتي الى الصيد في سيارتنا . وقد أتينا برياضة جيدة وبدأنا السير في منطقة الى الجنوب من سلسلة الستاة في المملكة السعودية . كانت المنطقة مهجورة تماماً وقد شاهدنا آخر بدوي في منخفض الشق حيث تركنا خيمتنا مع سائق الجيب وجماعته على بعد ثلاثين ميلاً .

ولاح لنا في البعيد شخصان يسيران بين شجيرات الغضى . ان وجود شخصين يسيران على الأقدام في تلك المنطقة القفرة أوحى لنا بأن جلهما قد مات فاتجهنا نحوهما لمساعدتهما قدر ما نستطيع . ولما اقتربنا منهما أدهشنا أن نرى أن الشخصين ليسا إلا امرأة عجوز تجر بيدها فتاة لا تتجاوز الثامنة من العمر . وكاد التعب والاعياء يأتيان عليهما . ولما وصلنا إليهما قالت العجوز انهما من الحوارين من قبائل المنتفق وان خيمتها تقع عند الجهة الشمالية من سلسلة الستاة . وقالت انها قبل خمسة أيام عثرت على تلك الفتاة البدوية الضائعة تموت عطشاً في البرية فنقلتها الى خيمتها وأنقذتها . ولما كانت العجوز وولداها مهاجرين نحو حفر الباطن فإنها لم تكن تعرف ماذا تفعل بالفتاة . وعندما شاهدت سيارتنا من بعيد استغلت شباب ولديها وشقت طريقها نحونا مع الفتاة على أمل أن نأخذها منها ونتمكن من معرفة أهلها وتسليمها لهم .

ووافقنا على ذلك وأتينا بالفتاة الى خيمتنا في الشق مع حلول الظلام . لقد كانت جميلة رائعة واسمها ثريا . ولم تكن خجولة أبداً ويبدو انها كانت شديدة الامتنان عندما علمت اننا قادمون من الكويت وسنأخذها معنا لنعيدها الى والديها . وفي تلك الليلة أخبرتنا قصتها .

قالت انها ابنة جزاع وهي أرملة مطيرية تعيش في الصحية خارج الكويت ،

وان لها شقيقة أصغر منها تدعى وحيدة وأخ صغير يدعى محمد . والثالث عم يدعى شنشيحي كان يطلب نظره على عائلة الصغيرة ولكنه لم يكن رجلاً حليماً . فهو يعيش وحده في الصحراء مع أغنامه وجماله القليلة ولذلك أصر على ان يأخذ ثريا من والدتها لتطهي له الطعام وتمشي بجنبه في غيابه . ولم تجرؤ والدتها على رفض طلبه لأن شنشيحي شقيق زوجها الراحل ومسؤولاً عن عائلتها . وقبل ستة أيام أرسلوها غربا لترعى الجمال في بلاد الحمض وهناك غلبها النعاس فنامت تحت احدى الشجيرات . ولما أفاقت لم تجد اثرا للجمال . وظلت تبحث عن الجمال الضائعة يوما كاملا وبعد ان أعياها البحث سقطت الى الأرض بسبب العطش . وقد عثر عليها رعاة مهاجرون من الجوازين فنقلوها الى خيمتهم واعتنوا بها . ولكن هؤلاء الرعاة انفسهم كانوا في أرض لا ماء فيها ويستعجلون الخروج منها . وقد اعتنوا بها خمسة أيام وسرهم الآن ان تخلصوا منها .

وحسبنا بثريا قدر الامكان لأنها كانت من اطيب وأحسن البدويات اللواتي صادفناهن اثناء السفرات الطويلة التي قضيناها في الكويت . وقد تصرفت فوراً معنا على أساس انها ابنتنا فكانت تهرع الينا عندما نعود من رحلاتنا وتطوقنا بذراعيها والقبل . وكانت تلتصق بنا في الخيمة وتتسلل الينا تحت معاطف المسترخية من جانب الطرف .

وعندما عدنا الى الكويت لم نتمكن من العثور على والدتها إلا بعد مضي فترة من الوقت . وظلت ثريا تلعب لثلاثة أيام مع احدى صديقاتنا في المدينة وهي تعتنا بنت [illegible] . وقد ساعدنا في البحث عن جانب حارس [illegible] على دورية تابعة لبعض [illegible] . وبواسطته تمكنا من معرفة مكانها فعرضت فرحاً عظيماً بمشاهدة ابنتها ثريا . وتصادقنا مع ام ثريا وتعرفنا على وحيدة ومحمد . وكنا نزاول [illegible] بزيارات منتظمة لهم . ولما كانت ظروفهم صعبة نظراً لعدم وجود معيل لهم فقد تمكنا من مساعدتهم كثيراً .

وفي ليلة وصولنا [illegible] الأم واطفالها الثلاثة في ظروف غامضة . وقال [illegible] ذهبت الى الزبير في العراق خوفاً من ان يأتي شنشيحي [illegible]

الشرير ... وبجبرهم على الذهاب معه الى الصحراء لخدمته . وقال غيرهم ان الجزء (منها) قرب الزبير ... ان يتزوجها فبعث بها ان تأتي الى الزبير سراً دون ان تعرف خلقها ...

إن القلادة تراً كثيراً لاننا احببناها وتولعت به كثيراً . ولكن قريبة حسب الوطن قريبة في نفوس البدو ولذلك كنا نشعر بثقة اننا سنلتقي بها مرة ثانية .. ربما عندما يزول الهم الشرير ..

مدينة تحت الرمال

لقد اشرنا سابقاً الى محمد بن سالم بن مراهم المري الذي زار الكويت سنة ١٩٤٣ واخبرنا قصصاً ذات اهمية . وتتعلق واحدة من هذه القصص بعاد بن شداد ملك أوبار او أبار الاسطوري . وقد اخبرتها محمد في الشتاء من نيسان من تلك السنة بعد وقت قصير من عودته من اسفل .

قال عدد من أهل البدية يعرفون هذا الملك الاسطوري الوحشي باسم ... ولكن آل مرة يعرفونه ... عاد بن شداد . وكان هذا الملك يعيش في أوبار في وسط الربع الخالي . وهذه المدينة العجيبة التي اطلقت عليها قبيلة آل راشد وأهل جنوب الجزيرة العربية اسم أوبار وجدت في اواسط جنوب الجزيرة منذ مئات السنين . ويقال ان أعالي قلاعها مغطاة بالذهب وقصورها مغطاة بالقادة المرجانية والاحجار الكريمة . وفيها حدائق تعرف باسم جنات عاد فيها حوريات اجسادهن ثابتة كالبلور . والحوريات المذكورات لا يأكلن طعاماً بل يشربن الماء أو الحليب فقط وعندما يشربن من الانهار الجارية يمكن مشاهدة الماء وهو تنحدر في حناجرهن . ولم تمش اجسادهن ... أعمار غير قصيرة بل كن ظاهرات طوال الأوقات . هذا هو الجزء السحري من المدينة .. اما الجزء الآخر

* ــ هذا الاسم هو الغرب لدى آل مرة ... من القبائل الجنوبية . اما اهل الاحساء فيسمونه ...

قلب الجحيم حيث أقيمت أفران تتأجج فيها نيران دائمة . والأرواح التي يكتب لها ان تقيم هناك تظل دائماً عطشى تطلب الماء البارد .

وقرر الملك عاد يوماً، وهو الذي يستطيع الحصول على كل ما يتمناه في الأرض ، ان يركب ظهر طائر ويتوجه الى الله في السماء ليقتله . فاستدعى جميع النسور واختار اكبرها وأقواها . وبعد ان علق قطعة من اللحم الى عصاه امتطى ظهر النسر وطار به . واستمر صعداً يوماً بعد يوم لمدة طويلة . وبعد شهرين التقى ببعض الملائكة الذين سألوه عن المكان الذي يقصده ومن يبتغيه . فقال :

— اني ابحث عن الله لأقتله .

وكذب عليه الملائكة بقولهم :

— ليس الله هنا .. انه تحت في الأسفل .

وعندما ادلى الملك عاد قليلاً الى الاسفل انخرقت العصا وعليها قطعة اللحم الى أسفل امام النسر الذي انقض عليها فجأة وبسرعة تسقط عاد عن ظهره .

كان نزوله تدريجياً اذ استغرق عشرين سنة اكل جسده خلالها ولم يصل منه الى الأرض إلا جمجمته الضخمة . وغضب الله فأمر الرياح ان تدفن مدينة أوبار الزائلة وتغطيها بالرمال .

وحدث ان كان ذئب يتجول في الصحراء فعثر على جمجمة عاد . ولكي يحتمي من حرارة الشمس دخل الذئب في فجوة العين اليسرى وكأنه داخل الى كهف . ومر غزال من هناك ايضاً فدخل في فجوة العين اليمنى ليختبأ في داخلها . ثم جاء بدوي يركب جملاً كان قد رأى هذه الكتلة الكبيرة البيضاء من مسافة بعيدة وأراد ان يعرف ما هي . فلما اقترب منها هرب الذئب . ولما اتجه البدوي الى الجانب الآخر هرب منها الغزال . كانت الجمجمة كبيرة بحيث ان الذئب والغزال لم ير أحدهما الآخر في داخلها . وزاد فضول البدوي لمعرفة ما هي تلك الكتلة .. أهي صخر أم عظم .. فقرع الجمجمة بعصاه وعلى الفور خرج منها صوت يقول :

- لا تدع الشكوك تساورك .. لا تضحك .. أو لا يقول أول مرة : كب القافة عنك .. لا تزح » .

وارتعد البدوي وركب رأسه إلى سليمان بن داود وأخبره بما رأى : كيف أنه مر في الصحراء على القسم الأعلى من جمجمة ضخمة ، وكيف أنه عندما اقترب خرج من فجوة العين اليسرى ذئب ومن فجوة العين اليمنى غزال .. واستعد أنها كبيرة إلى درجة لا بد وأحدهما الآخر . وقال :

- قرعتها بعصاي فخرج منها صوت يقول : « كب القافة عنك .. لا تزح » .

وسأله الملك سليمان إذا كان يستطيع أن يرشده إلى المكان فأجابه :

- بالطبع .. قلت لا بدوية من تلك الأنحاء ؟

ووعده الملك سليمان بأنه إذا صدر عن الجمجمة صوت سيكرمه ويعطيه وزنه ذهباً أما إذا لم تنطق فسيقطع رأسه .

وتوجه الملك سليمان ورفاقه بصحبة البدوي إلى حيث ترقد الجمجمة العصية في الصحراء المجهولة . ولما وصلوا إليها قرعها الملك سليمان بعصاه فلم تنطق [illegible] الكرة مرة ثانية وثالثة ولكن دون جدوى . فأمر خدمه أن يقطعوا رأس البدوي . وعندما نفذوا ذلك طاعة لأمره بدأت الجمجمة تخاطب الرجل المقطوع الرأس بقولها : « كب القافة عنك .. ألم أقل لك : كب القافة عنك .. لا تزح علي » .

وهنا نطقت الجمجمة حزن الملك سليمان كثيراً لقطعه رأس البدوي ووقف يتأمل بحرقة ما فعله . وقرر أن يستدعي جميع طيور الدنيا ليسألها عما إذا كانت تعرف ملكاً عجيباً يدعى عاد بن جنداد . ولبت الطيور طلبه ولكنها جميعاً أبلغته أنها لم تسمع بملك يدعى عاد بن جنداد . وجاء نسر قديم [illegible] يزحف .. أكل الدهر عليه وشرب بحيث لم تعد هنالك على جسده ريشة [illegible] وسأله الملك سليمان إذا كان قد سمع بعاد بن جنداد الذي كان يعيش في مدينة عظيمة بنيت بالذهب والفضة تدعى أوبر . وقال له النسر :

- إذا كنت تستطيع أن تحملني معك فسأمر بيدي فوق جسد العصور

فنبتت فيه الريش من جديد وتعود وكأنك طير شاب .

وأجابه النسر بقوله :

— هذه أيها الملك . لقد جمعت وحدي من جديد وبإمكاني أن أدلك على مدينته العظيمة المبنية من ذهب وفضة ومن مرمر وياقوت .

ورفع الملك يده فوق ظهر النسر فنبتت ريشه في الحال وعـــاد إليه شبابه فاقتاد تلك سليمان ورفاقه إلى المكان حيث تقوم فيه أوبر تحت الرمال . ووقف النسر فوق المكان وقال للملك سليمان : « هنا تحت الرمال ترقد أوبر » .

واستدعى سليمان الشمال : الرياح الشمالية – الغربية ، فهبت وأحدثت عاصفة شديدة من القيـــار . ثم استدعى القوس ، الرياح الجنوبية الشرقية ، فأحدثت عاصفة ثانية . وبعدها استدعى رياح الغربية فالشرقية . وبعد هبوب هذه العواصف انكشفت مدينة أوبر تماماً فدخل إليها سليمان ورأى بناء عليه بنايات التشييد والذهب والفضة والمرمر والياقوت . ورأى مقعدات الحدائق التي كانت ثمرات تتلوى عند ، والحجر الذي لا تنطفئ ناره أبداً .

دب شيء في قلب الملك سليمان عندما رأى كل ذلك لأنه خشي أن يغضب الله عليه ويصفه في بريقي هناك . فخرج من مدينة أوبر وهبت الرياح الأربع فوجد يكفي فوقها وغطت المدينة من جديد . وهي إلى اليوم مدفونة تحت رمال الربع الخالي .

وبعد الملك سليمان إلى بلاده . حدث ذلك في أيام الملك سليمان بن داود .

هذه هي القصة كما رواها لي محمد بن سالم العراقي . فعندما انتهى من الكلام سألته عما إذا كان هو أو أي فرد آخر من قبيلته يعرف بالضبط موقع أوبر اليوم . فأجاب نعم إنما كيف يستطيعون القول إنه تقع في مربع من الأرض طوله عشرة أميال ولكن الموقع بالضبط يكتشف بعد ذلك لأن كثافة الرمل تجعل من المستحيل القيام بحفريات هناك . ولكنه قال إن البدو في تلك المنطقة يلتقطون أحياناً قطعاً من الخزف وقوارير مكسورة عندما تكشف الريح عنها الرمل . إن الرمال هنـــاك حمراء اللون وتشع في نور الشمس وكأنها مزوجة

بالذهب . أما كثبان الرمل الرئيسية في الربع الخالي فهي بيضاء اللون وتتحرك باتجاه الشمال سبعة أذرع سنوياً .

وتذكرت أن فيلبي يظن – كما جاء في كتابه « الربع الخالي » – أن أوبار أو وبار كما يلفظها وكما حددها على خريطته « وبار » كان قد دمرها نيزك ورمت أم الحديد ، حيث يبدو واضحاً أن نيزكاً قد سقط واصطدم بالأرض هناك فقوض مكانها . وسألت محمداً إذا كانت لآل مرة أية تقاليد تقول بأن أوبار قد دمرت بفعل نيزك سقط من السماء ، فأجاب :

– لا .. لقد طغت عليها الرمال .

واستوضحته بقولي :

– كيف إذن تمكن آل مرة من تحديد موقعها التقريبي ؟

وكان جوابه أن آثاراً قديمة لا تزال موجودة في الصحراء ، لا سيما فوق الأجزاء الصخرية المكشوفة وكل تلك الآثار تشير إلى مكان واحد وهو المدينة المطمورة تحت الرمال . ووصف لي موقع المدينة حسب تقاليد آل مرة بقوله :

– بين بلاد آل رشيد ويبرين ووادي الدواسر وبين أم الحديد ورمال الذكاكة .

وقال ان آل مرة يعرفون المنطقة اليوم باسم « محل القصور » لأنه يمكن فيها رؤية الأطلال والأعمدة ، ويوجد في رمالها الكثير من الأحجار المنحوتة من الإحافات التي تشبه القصور .

وسألته :

– كم تبعد أوبار هذه عن أم الحديد ؟

– خمسة أيام على الجمال في الاتجاه الذي يغيب فيه نجم سهيل .

وذلك يعني أنها إلى الجنوب من أم الحديد .

وأضاف محمد قائلاً :

– ونحن آل مرة لدينا خرافات وحكايات تقول انه إذا حاول أحد كشف هذه المدينة يعاقبه الله العادل .. وتكون النهاية .

وسأله ايضاً :

ـ اصحيح ان المرشدين المزيفين الذين رافقوا فيلبي شاقوا عندما اقتربوا من المكان واقنعوه بأن ام الحديد هي المكان الذي توجد فيه أوبار ؟

وقال محمد بن سالم : لا شك في ذلك أبداً .

اغنية غريبان

قال محمد بن سالم انه كان يعيش في جوار نجران رجـل من مرة وزوجته وولداهما . وكان الولد الأكبر مختل العقل فكان أخوه ، وهو بحالة طبيعية ، يضحك عليه ويسخر منه .

مرض الأب ومات تاركاً ارملة وولدين ، وزوجت هي مرة أخرى وانجبت ستة أولاد من زوجها الثاني . كان ابنها الأكبر يدعى غريبان وكانت حياته قد اصبحت تعيسة بسبب مضايقة اخوانه له . فلما كان له طريقه الخاص على كل حال ولم يكن ليخرج بدون قطعة من الخشب يركب عليها متظاهراً بأنه شيخ يركب فرسه . وعندما بدأ يبلغ سن الرشد كان يقول لأخوانه دائماً انه سيقتلهم في يوم من الأيام ولكن ذلك زاد في سخريتهم منه .

وذات يوم ذهب غريبان الى زوج أمه وطلب منـه ان يعطيه جملاً من الاغنام و ... وان يسمح له بالزواج . فسخر منه الرجل في البداية ولكنه عندما رأى ان الشاب جاد في كلامه وان نظرات الحقد والكراهية تنبعث من عينيه ، ... ولكن بعد فوات الاوان . فقد استل غريبان خنجره وبطعنة سريعة واحدة ارداه قتيلاً .

واصبحت ثروة العائلة كلها لغريبان وبدل الخشبة أصبح يركب فرساً اصيلاً . ثم تزوج فتاة في القبيلة اشتهرت بجمالها ولها شعر طويل يتدلى حتى قدميها .

كان غريبان كل ربيع وشتاء يطوف الصحراء مع زوجته وقطعانه . وذات يوم كان عليه ان يقوم برحلة الى طويم في نجران لشراء الزاد . واثناء غيابه جاء غزاة من قبيلة معادية فاقتادوا قطعانه ونهبوا خيمته واثاثها وأخذوا ثياب وحلي

الكويت رسالتها *٤ ٩٦ ١

زوجته وتركوها عارية في الشمس .

ولدى عودته من المدينة حزن غريبان كثيراً لما حدث ، وتجهت أفكاره بالدرجة الأولى الى زوجته العارية . وفي الوقت نفسه سمعه لون بشرتها البيضاء وشعرها الجميل الذهبي ومعاناتها فلم يطق الكتم فخرج من المنزل من مكانه فخلع كوفيته الحريرية عن رأسه وغطاها بها ، ثم حملها وراءه على فرسه وأسرع بها الى شيخة مجاورة لأصدقائه حيث تركها هناك وأسرع للحاق بالقافلة لاستعادة ممتلكاته منهم .

ولم تكن فرسه مجربة بعد في الجري بالسرعة ولكنها البتت عجب بجدارة بسعتها . ولحق بالقافلة في الليل لما كانت القطعان ترعى فقتل شيخهم وستة عشر رجلاً آخرين وأعاد البالوقة والقرى .. فأخذ ماشيته المسروقة الى منزله .

وبعد هذا النصر ليلق أعمق غريبان شيخاً على فرع قوي من قرية ٣٠ مرة ولا يزال اسمه شهيراً في القبيلة الى اليوم . وعندما يصير ٣٠ مرة عبر رجال الربيع الخالي الكفر ويتداولون ويتشدون أغنيات للغريبيات وأرمه وشجاعته وقدرته على قتل ثلاثة بلدهم ، وانتقل بحيلة غريبان وكل شيء بجدته .

وهذه هي غنية غريبان لا نختلف عن لسان محمد بن سالم بن دوام البريّ .

أي سيق ما يتقطع ركيبا (١)

الا للهار ورددما عن التعومه

قد ما الرجال الحضر عنها

الا بمرتبه شوى الصدابيع

* * *

لما جيت الفى يا مسخوه

تدري من هممة عينيها الا جميل

بدا وقت البياض بمشاره

مثل لون الذهب والفضه البيانا

* * *

لاهي بنت قصيرة .. قصيرة ثنائية
لاهي بنت طويلة وزوي
وإن كان خلف تيلا ووديت
قبل الزفاف مال سوداني

* * *

خلف شيخ عقوم الزكة
عند الجبل لبة السمرا في قلبه
تجت شيخ تسمة وقلبه
وزوجت هزهم على جوزاي

* * *

ولا ذكرت بي. س. ستيفز في كتاب «حكايات شعبية من مصر» أن ب كثيراً من المقاطع مقدمة في غناي «امرأة المسن» في قصة خاصة به. وتستحب ترجمة القصة تقريبين هذه بأمدنة ودالة لأن بعض الكلمات فيها ليست مفهومة حتى باللغة العربية . ولكن نص الأجدلي هذه الأغنية هو كالآتي :

لم أجرب خطواتها من قبل
إلا عندما ركبتها إلى آخر الطموح
أن الرجل القصير لا يستطيع أن يصل الحصان في قمها
إلا عندما يقف على متنها على رهن مرتفعة .

* * *

وعندما عست وجعلت زوجتي عذرية
والدموع تنحدر من عينيها الجميلتين
كان جسدها أبيض لدغته الشمس والصقار
فأصبح بلون الذهب والفضة التي بيده .

* * *

لم تكن قصيرة .. بدنه

ولم تكن طويلة غير لائقة
فاقة في خلق بالجمال و عيد[illegible]
فستلأ مع امرأة [illegible]

* * *

لحقت بشيخ القوم [illegible]
وكانت الجمال ليلة السمر ترعى ببدره في الخلاء
وقلت تسعة وثلاثة من الذراع
واهتدت كل شيء الى خالق

بن تعقاب الجرتي

ستطاع محمد بن [illegible] ان يذكر [illegible] حادثة قصة رواها لي في السنة [illegible] محمد بن عبد المطلب الذي من أعيان مصر .

قال : انه منذ مدة سنوات كان يعيش في صحراء الطوارق [illegible] الى الجنوب الشرقي [illegible] شيخ شهير من عرب [illegible] في آل مرة اسمه تعقاب وينتمي الى عائلة ابن [illegible] . وقد تزوج تعقاب من امرأة شابة [illegible] . وبعد ان قضى معها سنة [illegible] ولم يكن يعرف [illegible] .

ولا يجيز القانون في الجزيرة العربية للمرأة المطلقة ان تتزوج قبل مرور ثلاثة أشهر قمرية أي بعد مرور ثلاث دورات طمثية وذلك للتأكد من انها ليست حاملاً من زوجها الأول . ولكن في تلك الأيام لم تكن تلك القبيلة البدائية تتبع الشريعة الاسلامية [illegible] فبعد مرور خمسة عشر يوماً تزوجت زوجة تعقاب السابقة من رجل آخر يدعى جابر من فرع آل جابر في قبيلة مرة . وفي الوقت المناسب [illegible] .

وبعد خمس أو ست سنوات انتشرت شائعات بين قبيلة [illegible] ان لتعقاب ولداً يعيش مع آل جابر . [illegible] آل مرة مهارة عجيبة بحيث انهم اذا شاهدوا آثار

اقدام الأب ، صبياً كان أم انساناً ، يستطيعون معرفة هوية نسبه . وقد أكد عدد من الرجال الذين شاهدوا آثار أقدام الصبي انها تشبه تماماً آثار اقدام الحذاب .

ولما سمع لحذاب بهذه الشائعات أجرى مزيداً من التحقيقات فلما اقتنع بحقيقتها أرسل يطالب اعادة ابنه له . ولم يعترف آل جابر بدعاته في البداية مما أدى الى نزاع طويل الأمد تخلله قتال وغزو بين العشيرتين . وفي النهاية - وكان الصبي قد بلغ سن الرشد يعرف باسم هادي - حدثت معركة انزلت فيها قوة ابن ديلا الحزيمة بآل جابر . وبذلك انتهى النزاع لأن هادي عرف حقيقة نسبه فوافق ان ينضم الى والده الحقيقي لحذاب .

واشتهر هادي بن لحذاب المري بشجاعته وكرمه العجيبين . ويروى عنه قصص انه كان يحتفظ بالنار مشتعلة طوال الليل أمام خيمته في الصحراء يرشد المسافرين الى خيمته حيث كانت تحسن وفادتهم ويحضر لهم الطعام . وعندما توفي والده لحذاب اصبح هو شيخاً على العشيرة وخلفه بعد ذلك شيخان آخران هم رشيد بن ديلا المري ومحمد بن جاداش المري .

المعركة مع شويعر اليمني

هذه قصة طريفة أخرى رواها لي احمد بن عبداللطيف الشيخ وشعلان بن مري بن مرّة جد قبيلة آل مرّة .

كان علي بن مرّة يعيش في نجران في جنوب غربي الجزيرة العربية . ولم يكن قومه على علاقة ودية مع أهل اليمن . وبعد منازعات ومناوشات صغيرة قرر ان يخوض معهم معركة حاسمة . فسار مع قومه لمجابهة شويعر اليمني الذي يقال انه من قبيلة قحطان ، وقد وقعت يوماً كاملاً سقط خلاله عدد كبير من القتلى بين قوات الطرفين . واحتدم القتال سبع مرات بحيث لم يبق على قيد الحياة سوى القائدين علي وشويعر اللذين اوقفا القتال وعاد كل منهما الى أهله .

كان وقف القتال موقتاً اذ ان علياً عاد ليجدد النزاع آخذاً ابنه معه هذه المرة . وحدث ان فعل شويعر نفس الشيء . والتقت الطرفان فكان ان علي

بقال شويمز و بن شويمر بلدن هنيئاً . وانقلب علي ابن شويمر وقلبه يخفضه من صخره ولكنه في هذه اللحظة سمع نه يستغيث ماليــا النجدة فهرع اليه قائلاً :

– لبيك يا صبي .. قبل أن اقضي لك ضربتك !

وقبل أن يسدد ضربة نجلاء إلى قلب شويمر خاطب ابنه بصوت عال قائلاً :

والله لقد مثل أبي أسلافي خير مثل للفلاح .

واهتزت الأرض وانفتحت عند أقدامهن هوة سحيقة بتلعت شويمر .. فخلص علي و ابنه وقال :

– والله لقد كاسمي لا تخرج .. و قد كنت أبعثهم حرس و بطبري أصم ..

واستفت القوة السحيقة ورأى أنه ان علي بن مراد رحـــال طيب فبارك ووعده بأن تنته سيكون الى أن يصبح بعده رجال العصر ..

كلب القفوف الأسود

وهذه قصة من عجيبات رو ها لي في ١٣ جمادى سنة ١٩٤٣ فحو شاب في الف القيت منه سعد بن منيف الخبيشي .

في قديم الزمان كان أحمد أجداد بن وهو رجل يدعى عجير بن علي مسافراً عن ذويه من خيران حيث كان يقيم قاصداً اطرف . وبعد أن سار قرابة خمسة وعشرين يوماً مر في بلدة موحشة من الصحراء حيث التقى بشخص ظنه وصديقاً ولكنه كان في حقيقة من جن . فحياه الغريب وسأله عن وجهة سيره فأجابه عجير بقوله :

– أن القفوف في الاحساء .. لدي شغل هناك .

وقال الغريب :

– وأنا أيضاً لدي شغل مهـــم في الاحساء ولست أعرف كيف سأصل الى هناك سيراً على الأقدام لأنها بعيدة .

– فقال واركب معي .. أهلا بك .

تأثر عجيب لذلك وأركب الغريب وراءه على ناقته . وسارا مدة إلى أن حاول محمد تسلط من الاعياء . وأصبح عجيب الآن رفيق الغريب ! لو غريبه . ولم يعد بإمكانه ان يتركه في الصحراء . ولذلك اقترح أن يبقى مسيح الأمانة ويذهب الرجل الآخر لوحده وحثه على ذلك بقوله :

- خذ الناقة واذهب لشأنك في الاحساء ، وعد إليّ بأسرع وقت ممكن .

ورفض الغريب هذا الاقتراح عالماً منه بالخطر المحدق برجل وحيد في الصحراء . لا سيما خطر أن يأكله الذئاب . وقال :

- إذا كنت تقضي لي شغلي فلا حاجة في متابعة السفر بل سأعود من حيث اتيت .

ووافق عجيب أن يقوم بكل ما يطلب منه مقسماً بالله وبوجهه .

قال الغريب :

- عندما تصل الى الهفوف اذهب بعد الظهر قبل الغروب الى البوابة الشرقية للمدينة وهناك تجد راقداً في الظل كلباً كبيراً أسود اللون تماماً ليست فيه شعرة واحدة بيضاء . إذهب إليه وارفسه ثم ربت على رقبته . وعندها سيجيء نسأله . « أأنت السيد نوري ؟ » فيجيبك : « نعم أنا هو » . عندئذ تقول له : « محمد بروي مرصيني عليك أقول لك أخوك انتحر في الجبال ولا مضير ولا يأت » . ويجب أن تكون حذراً لئلا يسمع أحد الحديث .. ثم افعل ما يأمرك به .

وركب عجيب ذلوله متعاطفاً لشفقة تركه الغريب هنالك ووصل الى هدفه . وفي المساء توجه الى البوابة الشرقية كما طلب منه وهناك وجد بالفعل كلباً أسود اللون في ظل برج البوابة . ولكن كان هناك عدد كبير من الناس . وعاد صباح اليوم التالي فوجد الكلب في مكانه ولكنه وجد بعض الناس أيضاً . وفي اليوم الثالث عاد في ساعة متأخرة فلم يجد أحداً سوى الكلب النائم فرفسه وربت على رقبته وعندها رفع الكلب عليه بصره وسأله بقوله : « أأنت السيد

نوري ؟ » .

فتحول الكلب فجأة الى انسان وأجابه : « نعم أنا هو » .

فقرأ عجيبر على مسامعه الرسالة التي كلف بأدائها .. ورد عليه الرجل بقوله :

ــ لا أستطيع ان أستفيد بشيء حتى يزول مني ذلك السحر الذي يحولني الى كلب أسود كل مساء، ولن يزول السحر إلا عندما أتزوج ابنة عيسى القصيبي. ان الشياطين تسكنني الآن . يجب أن تصادق العائلة ثم تقتنص الديك الأصفر عندئذ يصبح بإمكاني ان آتي وأتزوج الفتاة الجميلة .. في هذه الحالة فقط أستطيع أن أتحرر من هذا الكابوس .

وبعد ان أنهى كلامه هذا الرجل تحول الى كلب أسود .

فمشى عجيبر لمدة رأى رواح يبحث عن منزل عيسى القصيبي ، وأرشد الى المنزل حيث تعرف على عيسى الذي دعاه ليمضي وقتاً يأتي فيه لتناول القهوة معه . ووعده عجيبر ان يأتي في المساء قبل الغروب .

وعندما عاد الى المنزل أمسك [illegible] القروشة بالسجاد وقدمت له القهوة .

وصاح مضيفه قائلاً : « هات قهوة » [illegible] في حجري ، فدخلت الى الغرفة صبية حسناء تحمل صينية ملأى بالتمر وبعض الماء .

هذه هي ابنة عيسى القصيبي . أمضت الفتاة بعض الوقت في الغرفة ثم خرجت حاملة الصينية معها . وجلس عجيبر بعض الوقت يتسلى بتناول القهوة ثم لاحظ ديكاً أصفر اللون يتجول بقرب مقعده ولدى وقت مغادرته أنقد عجيبر مضيفه ثلاث قطع ذهبية فسأله عيسى :

متى ستشرفنا مرة ثانية .. شيت بيتك ويسرنا ان نراك دائماً .

وفي اليوم التالي ذهب عجيبر الى هناك لتناول القهوة فقدمت له الصبية الحسناء التمر كما فعلت في اليوم السابق . وفي هذه المرة دخل الديك الأصفر الى الغرفة . وقبل مغادرته انقد عجيبر مضيفه ثلاث قطع ذهبية . فقال عيسى :

ــ ربما تأتي لتناول الطعام في المرة القادمة وليس فقط لشرب القهوة ..

متى تأتي ؟

ووعده عجيم ان يأتي عند الغروب في اليوم التالي لتناول طعام العشاء ، وتم ذلك في الوقت المحدد وكالعادة وضع عجيم ثلاث قطع ذهبية في يد عيسى الذي قال له :

– هذا البيت بيتك .. تعال لزيارته في أي وقت تشاء .

وقام عجيم بزيارة عيسى عدة مرات شرب خلالها القهوة ولم ينس ان ينقد مضيفه قطعتين أو ثلاثاً من الذهب في كل مرة . وذات صباح ذهب الى المنزل الذي يبدو انه لم يكن فيه أحد فجلس ينتظر في الديوانية . وبينما هو جالس دخل الديك الأصفر فوجد عجيم ان الفرصة مناسبة لقتله فهجم عليه بعصاه وانهال عليه ضرباً حتى الموت .

ولم يكد يزيل بقع الدم عن الأرض حتى دخل عيسى الغرفة فوجد الديك ملقى على الأرض خامد الأنفاس . وشرح له عجيم كيف ان الديك هاجمه وهو دخل فقتله دفاعاً عن النفس فأمر عيسى بنقل الديك وطرحه بعيداً . وظل عجيم ولم يغادر المنزل انه سمع صوت فتاة تبكي وتنتحب في غرفة بعيدة .

مات الديك وزال السحر فأصبح الكلب الأسود تلك الليلة رجلاً دخل الى منزل عيسى خلسة وتوجه الى غرفة الصبية الحسناء وأجبرها على مضاجعته . حدث ذلك في الليلة الثانية والثالثة فخرجت الأرواح الشريرة من الرجل ودخلت الى الفتاة التي أصبحت وكأنها تسيطر عليها الشياطين .

وقلق والدها قلقاً شديداً ، وهو الذي لم يكن يعرف ما حدث ، فعرض جائزة قطعة ذهبية لمن يستطيع شفاءها . وجاء الخبر سريعاً الى عجيم وأبلغه ان عليه ان يتظاهر بأنه طبيب فيذهب الى الفتاة ويقرأ لها ويعطيها دواء يصنعه له فيحصل بذلك على الذهب .

وتوجه عجيم الى المنزل مرة أخرى وأخبر عيسى انه يعتقد ان بإمكانه شفاء ابنته وانه احضر معه دواء لهذه الغاية .

وبعد ان قرأ فوقها اعطاها الدواء لتشربه فهدأت في الحال وغطت في نوم

حين . وفي الصباح نهضت وكأن شيئاً لم يحدث لها . وأخذ عجيب كهدية قطعة من الذهب من جيبي .. وبعد أن شكر السيد نوري على كل ما قدمه من أجله ، قرر العودة الى نجران .

ولكونه من الجن استطاع السيد نوري ان يسافر بسرعة أكبر ، فذهب الى عمان وقتل قاتل شقيقه وانضم الى شقيقه الآخر محمد نوري في الصحراء قبل ان يصل عجيب الى هناك . فوصل عجيب ليجدهما في انتظاره وقد أقاما وليمة عامرة وأخبراه أنهما قررا أن يزوجاه شقيقتهما بشرط ان يعاملها بالحسنى وألا يغضبها . فوعدهم بذلك وتزوج الجنية التي تدعى نجيبة .

وحملها معه الى نجران حيث عاشا معاً في غمرة من السعادة . وبعد سنة رزق منها ولداً ولكن حدث ان دخل كلب أسود الى الخيمة دون ان يلاحظه أحد فحمل الصبي وهرب به . وحزن عجيب كثيراً لكنه لم يقل شيئاً ولم يغضب من زوجته .

وبعد سنة حدث الشيء ذاته : رزق ولداً فجاء الكلب الأسود وخطفه واختفى به . وكظم عجيب غيظه وتحمل حزنه بصمت ولم يقل شيئاً لزوجته . ولكن عندما تكرر الأمر مرة ثالثة انفجر غاضباً ولعن زوجته لعدم اهتمامها بذريتها . فغضبت الزوجة في الحال وعادت الى شقيقيها اللذين كانا مقيمين تحت الأرض لتعود الى أهلها الجن .

وانتقل عجيب بعدها الى العالم السفلي ليعيش مع الجن لكنه لم يعرف ان اولاده الثلاثة كانوا هناك تعتني بهم جدة زوجته . وبعد ان قضى عدة سنوات مع الجن تحت الأرض أعطاه أشقاء زوجته ذلولاً وفرساً وسمحوا له بالصعود الى الصحراء والعودة الى قومه . وقالوا له :

بعد أن تسير ساعة من الزمان سيلحق بك أولادك الثلاثة وستسمع خلفك وقع حوافر الخيل . فيجب عليك أن لا تلتفت الى الخلف لأن كل ما تراه أمامك خير وكل ما ستراه خلفك سيكون شراً .

وانطلق عجيب الى الصحراء مرة ثانية وتابع سيره . وبعد ان سار مسافة ساعة

حتى خلفه وقع حوافر الخيل . وما هي إلا لحظات حتى رأى شاباً وسيماً على فرس عظيمة يتخطاه ثم يلتفت نحو وجهه ويترجل عن فرسه ليقول له بعد أن قبّله :

- والدي . . أنا ابنك الأكبر .

وفي تلك اللحظة تدفق بقوة فرس آخر أخذ يلتف ويقوم بحركات مدهشة عن حصانه ثم ترجل أمام عجير وقال له بعد أن قبله :

- والدي . . أنا ابنك الثاني .

وسمع عجير من بعيد الصوت خيال آخر فوجه الشوق ليرى ابنه الأصغر بحيث أنسه نسي وصية الجن فتطلع إلى الخلف . ولم يكد يلتفت حتى انشقت الأرض محدثة صوتاً رهيباً وابتلعت الشاب وحصانه ولم يعد يراهما .

كان ابنه الأكبر يدعى مرزوق بن عجير ويدعى ابنه الثاني مرة بن عجير ، وقد [illegible] القبائل [illegible] قبيلتي العجمان وآل مرة .

وعاد عجير مع ولديه إلى [illegible] .

أكلته الذئاب حياً

[illegible] الأحساء لأنه يخاف الذئاب .

[illegible] حادثة حقيقية [illegible] ﷺ وهي صحيحة لنا [illegible] .

[illegible] عام ١٩٤٥ [illegible] الأحساء حيث تكثر الذئاب نظراً [illegible] الذئاب في النهار .

وكان [illegible] الليل عند إحدى الآبار التي [illegible] خلف رجل [illegible] مسافة خمسة عشر [illegible] في [illegible] الرجل [illegible] الأخرى . [illegible] .

وبعد يومين عثر عليه رجال من عجمان ، اسعدهم شقيق سينا ، كانوا متوجهين شمالاً . وكان قد يديه ورجليه قد أكلته الذئاب تماماً ولم يبق سوى العظم . ولكن وجهه ورقبته وصدره وبطنه لم تمس . . وكان لا يزال واعياً يتكلم فتوسل الى هؤلاء الرجال ان يأخذوه معهم حتى لا يظل فريسة الذئاب . وقالوا له انهم لا يستطيعون ان ينفعوا شيئاً من أجسده ، ولكنه الح في الرجاء فخلع اسعدهم رداءه ولفه به وحمله معه الى خيمته . وقالت سينا ان منظر الرجل كان مرعباً . ولكنه كان واعياً يعرف الناس . وقد رش أهل المنزل الرماد على رجليه وذراعيه ولكنه توفي بعد يومين فدفنوه .

البدوي اللص

هذه قصة أخرى تظهر شجاعة البدوي وأخلاقه ، ان المهمة وقد رواها لي سعد بن منيف الخيشي من قبيلة عجمان .

كان هنالك رجل شهير بين بدو الجزيرة العربية . ومع انه كان لصاً ، لكنه كان ذكياً بحيث ان احداً لم يستطع ان يمسك به فيتخلص دائماً من شباك العدالة التي تنصب للصوص . وسرى همس بين الناس انه يستطيع ان يقتحم أي قصر ويدخل أي منزل في الليل دون ان يقبض عليه .

وحدث ذات ليلة ان تسلق سطح منزل تاجر ثري في مدينة مشهورة ونزل الى الغرفة العليا . والتفت حوله فرأى صندوقاً كبيراً فظن انه لا بد انه يحتوي كنزاً ثميناً . ولكي لا يتأخر حمل الصندوق على ظهره ونزل عن السطح وخرج الى الصحراء عبر طريق ضيق .

وعندما وصل الى مكان يبعد عدة أميال عن المدينة توقف وفتح الصندوق بكل اعتناء ، فوجد داخله صبية حسناء قفزت فجأة وخرجت من الصندوق . وصعق محمد الحرامي ، هذا هو الاسم الذي كان يعرف به ، حيث انه وقف مشدوهاً يحدق بالفتاة وقد أدهشه فرط جمالها .

ولما أفاق من دهشته تقدم نحو الفتاة ليضمها بين ذراعيه ، فظهرت من خلالها

ساحرة على شكل أسد مسعور هجم عليه . واندفع محمد نحو الأسد بخنجره بيده وقتله .

واخيراً رأسه عن انسلاك القناة ، اعاد الكرة فحدث الشيء ذاته : استل خنجره مرة ثانية وقتل الأسد . ومرة ثالثة جسمت الساحرة على شكل أسد عند عتبة القناة ، ومرة ثالثة قتلها محمد .

وهنا تحدثت اليه الفتاة قائلة انها بنت بيت ذي من عائلة عريقة ... وإذا كان يعدها بوجهه انه لا يلحق بها اي أذى ، فستخبره قصتها . ووعدها محمد بذلك فجلست الى جانبه وقالت :

— انا ابنة الملك وقد عقد قراني على ابن عمي الذي لم أكن أحبه ولا أرغب في الزواج منه . وهربت ليلة الزفاف الى منزل جارة طالبة الحماية فاقتادتني الى البيت وهي صديقتي الى الطابق العلوي وخبأتني في الصندوق . ثم أتيت انت فسرقت الصندوق هذا الليل وجئت بي الى هنا . والآن اتوسل اليك ان تعيدني داخل الصندوق الى حيث وجدتني .

ولما كان محمد قد وعدها بأن لا يلحق بها اي أذى ، فقد حملها وعاد بها قبل طلوع الصباح ووضع الصندوق في المكان الذي وجده فيه .

وحدث قلق عظيم في القصر عندما اختفت الأميرة فجرى البحث عنها في كل مكان دون نتيجة مما أدى الى تأجيل الزفاف . وفي صباح اليوم التالي شوهدت في القصر تتجه رابضة في حالة يرثى لها اذ لم يكن أحد يعرف ما حل بها . ... لم تقل شيئاً إلا انها قضت الليل في منزل احدى صديقاتها لأنها لم تكن ترغب في الزواج من ابن عمها .

وسئلت : هل لديك مزعج ؟

— لن ابرحني هذا المكان .. وسنحتفل بالزفاف هذه الليلة .

وامتلأ قلب الأميرة حزناً ولكنها رضخت اكراماً لوالدها . وجرى الزفاف تلك الليلة ودخل العريس غرفة الزوجية حسب العادات لينتظر عروسه هناك . ثم جاءت العروس مع صديقاتها اللواتي تركنها لوحدها واغلقن الباب . وجلس

العروسان صامتين لفترة من الزمن . . . ولما تحرك العريس لحضن زوجته هبط من السقف فجأة جرذ كبير وسقط على العروس . ولشدة الرعب لم يحاول العريس ان يقتل الجرذ بل انزوى في زاوية الغرفة وقبع هناك طوال الليل . وارتمت الاميرة فرساً لا يضاهى وضحكت في سرها على قلق زوجها وخوفه .

وتكرر الحادث في الليلة التالية إلا ان الجرذ في تلك الليلة كان أكبر من الجرذ الأول بحيث ان العريس ارتعب وهرب الى غرفة أخرى وقضى فيها بقية الليل .

وحدث الشيء ذاته في الليلة الثالثة . . . فقد تعب أعصاب العريس تشعر ويلتهب به القلق والخوف مجدداً حتى إن الجرذ الثالث الشرس قد حدث السقط . وقد حز في نفسه ان تظهره الاميرة بمظهر الجبان الذي اضطرب لذلك عن دهشته كيف ان صبية عذراء تضحك عليه في محنته في الوقت الذي يجب عليها ان تخجل وتخاف . وقال للملك :

– والآن اطلب منك ان تسمح لي بطلاقها .

وضحك الملك وانزعج كثيراً لسماع هذه القصة فأرسل في طلب ابنته .

وقالت له :

– يا والدي . . انه وعدني بأن لا يصيبني في أذى فسأخبرك كل شيء .

واخبرت الأميرة والدها كيف هربت ليلة زفافهما الى منزل جارتها التي خبأتها في صندوق جاء لص فسرقه وهي في داخله وذهب بها الى الصحراء ، وكيف ان اللص الذي عجب بها حاول ان يقترب منها فتحولت اليه ساحرة على شكل أسد فقتلها ثلاث مرات قبل ان تطلب اليه ان يعدها بوعد ان لا يصيبها بأذى وان يعيدها الى المكان الذي وجدها فيه .

وانهت الأميرة قصتها بقولها :

– وعندما رأيت ابن عمي الذي زوجتني إياه والدي يرتعب لرؤية جرذ ويصيح كامرأة بائسة ضحكت وخطر ببالي الزوج الذي قتل ثلاث حيوانات كاسرة ولم يرف له جفن .

وبعد ان سمع الملك بقية القصة التي لم يكن القبض عليه أقسم على القول [illegible] يعود إلى ذلك .

وسأل الملك ابنته :

- هل تعرفين الرجل إذا شاهدته مرة ثانية .

فأكدت له ابنته ذلك .

وبعد [illegible] فكر عدة أيام في [illegible] [illegible] المرصود من [illegible] القرية [illegible] [illegible] فكرة . [illegible] الرسل دعوات في طول البلاد وعرضها لحضور مأدبة كبيرة [illegible] [illegible] خلالها عشرة جمال وعدد من الخراف والجداء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في ممر طويل له مدخل من كل جهة [illegible] [illegible] إلى ممر [illegible] وهو الذي [illegible] هذه [illegible] والآخر يعود إلى فسحة من الأرض [illegible] [illegible] [illegible] مياه [illegible] [illegible] [illegible] كانت دائماً موحلة [illegible] .

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المدخل الرئيسي [illegible] الضيوف [illegible] [illegible] [illegible] بعد الآخر [illegible] كانوا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] بل [illegible] [illegible] كان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . [illegible] كان يقوم بالايجاب [illegible] من خلف [illegible] [illegible] [illegible] الأرض الموحلة إلى المدخل حيث [illegible] [illegible] موحلة [illegible] .

[illegible] أحد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بصوت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عن المدخل الرئيسي .

وقدم الطعام فكان الأرز واللحم على درجة كبيرة من الحرارة [illegible] [illegible] [illegible] الضيوف الذين لم يعد بإمكانهم تناول الطعام إلا [illegible] [illegible] الأكل . ولكن محمد الفرسي .. وهو البدوي الذي [illegible] .. [illegible] [illegible] من حر [illegible] والحذ يقطع اللحم ويأكل حتى شبع ولم يأكل حبة واحدة من الأرز .

وكان الملك يراقب هذا البدوي الغريب الذي كان الوحيد بين الضيوف الذي دخل من الباب الرئيسي ولما انتهت الوليمة وكان الضيوف قد بدأوا

يغادرون القصر توجه الملك الى محمد وسأله عن اسمه واشاد بالطريقة الذكية التي اكل فيها اللحم وسأله لماذا لم يأكل الأرز فكان جوابه :

— انا لست سوى بدوي بسيط تعرفني قبيلتي باسم محمد .. ولا آكل الارز دائماً ولكن لما اخرق طبق اللحم ولذلك فقد اكلت اللحم حتى شبعت وتركت الارز . وبعد تقديم القهوة والحلوى والبخور حسب العادات المتبعة غادر الضيوف القصر واحداً واحداً من الباب الذي دخلوا منه . واستعد محمد لكي يغادر القصر هو ايضاً واتجه نحو الباب الرئيسي ولكن الملك الذي ادرك شكوكه استوقفه وطلب منه ان يتبعه الى الداخل . وهناك كانت الاميرة تنتظر وراء الستار فما رأت محمد عرفته في الحال . واستدعى الملك ابنته وسألها ان كان هو الرجل الذي حملها في الليل . فأكدت له ذلك وعادت الى شأنها .

وتحققت خطة الملك ولكن حزن وتعجب يكون جميع رجاله من اطباء ومبنيه اين شقيقه .

وقال الملك :

— في الحقيقة لا يوجد في مملكتي سوى رجل واحد جدير بأن يكون زوجاً لابنتي . واطلب منه ان يقبل منصب الوزير في حكومتي وبأن يتزوج ابنتي .

وقبل محمد عرض الملك لأنه لم ينس جمال الاميرة الفاتن . واحتفل في الزفاف لاخوان وسط مظاهر من الفرح والابهة . وبقي ابن عم الاميرة خارج المملكة وعاش محمد مع عروسه حياة طويلة سعيدة .

قتل الرجل الذي ذبح الكلب

هذه قصة اخيرة من قصص القبائل سأرويها هنا بقصد اظهار اهمية انزال عقوبة سريعة لابسط المخالفات ، لان البدو عندما تضيع السلطة يفقدون الانضباط ويصعب السيطرة عليهم . وهذه ميزة خاصة للعرب . وقد حدث

وهيهن لهذه الرواية . سمعت الرجه الاول منها على لسان خان بهادور (*) ملا صالح وهو سياسي قديم عمل وزيراً لآخر أربعة من حكام الكويت وقد تخلى عن الحياة العامة لابنه القدير عبدالله الملا صالح الذي يعمل حالياً سكرتيراً سياسياً لسمو الشيخ عبدالله السالم الحاكم الحالي ، ويبدو انه سيسير على خطى والده الشهير .

قال الملا صالح :

ـ "كان لبدوي من مطير ثلاثة اولاد يافعين يعيشون في خيمة واحدة مع والديهم ويهتمون بالغنم والجمال والمعز . وحدث ان كانت هذه العائلة مخيمة اثناء الصيف عند مجموعة من الآبار كما هي العادة في الجزيرة العربية . وكان يقيم الى جانبهم رجل فقير من نفس القبيلة كل ما يملكه في هذه الدنيا عشر عنزات وجملان .

ومن المعروف ان احد قوانين الصحراء هو حب الانسان الأقسى حتى عدوه "لأن محمداً رسول الله أحب عندما مشى على الارض الاحسان الأول في حياته وجيرانه وجيرانهم .

وذات يوم جاء أحد أفراد القبيلة لزيارة ذلك الراعي الفقير . وهنا هجم كلب من الخيمة خرج إليه الكلب وأخذ ينبح ويزمجر . وعندما فشل في طرده شهر البدوي بندقيته وأطلق النار على الكلب عمداً فأرداه قتيلاً .

وعم الاستياء لدى القاطنين هناك لهذا الحادث الغريب ، وحدث موجة من الغضب لأن الكلب شيء أساسي بالنسبة لساكن الخيمة ليس فقط لأنه ينبه صاحبه من هجوم الاعداء في الليل وسرقتها بل لأنه يبعد اللصوص والمتشردين ويحذر منهم . وغضب اولاد المطيري المجاور الثلاثة الى والدهم وأخبروه بما حدث طالبين نصيحته وقالوا :

ـ لقد قتل المدعو كلب جارنا عمداً .. فماذا نفعل ؟

وفكر الرجل قليلاً ثم قال لاولاده :

ـ يا اولادي اقتلوا ذابح الكلب .

(*) خان بهادور لقب تمنحه حكومة الهند .

وتمر سنوات ثلاثة [illegible] بينهم [illegible] قد عرف [illegible] لأنه من غير المعقول قتل السيد [illegible] كلب . [illegible] الكلب [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في هذه [illegible] .

[illegible] الثلاثة [illegible] [illegible] مثل هذه [illegible] [illegible] .

وفقد الأولاد الثلاثة [illegible] لا بد أن [illegible] نصائحه في قضية [illegible] في قضية [illegible] جديدة .

وبالرغم من نصيحة [illegible] لم يتعلموا شيئاً سوى التشديد [illegible]

من أفراد القبيلة . أما الشبان المقصودون فكانوا يقومون لكثير من غيرهم من توبيخهم ، وفي الحجيم بيت النار ... ألسنتهم وقد فعل الذي يجب ... عند ذلك من الضعيف ؛ فهذه هي قوانين مجتمعنا ... هكذا كانت منذ الأزل .

ومرّ شهر من الزمان ... وأراد أحد صغار مشايخ القبيلة ، وهو شخص لا يكن محبوبًا لشدة غلظته ... أن يتخلص من حروف لبني ملكها الذي ... ولكنه لا يمكن نهبه خروف صاحبه بحث وجدله ... عند ذلك عدد الخروف الذي في طيبة مطرودة . وهكذا أن من هؤلاء يطالب بتنفيذ الرأي ... في كل ما فعلت ... في تلك الفكرة وهي أن يأخذوا أحد خرافه ... وذلك ... أو ليس هذا هو حق من الذي أغرى من الغيوب ... فيه الحق في الضرب في جبال العرب ؟

ولكن هؤلاء ... في تحقيق ... عجلة في الخروف ... ولا ... في ... العرض الذي .

وقد أثارت هذه الحادثة سخطي ... من استخدام ... على الوعي ... ولكن ... ما ... الذي ... الخروف ... جدها ... مجهزون ... حتى ... سلطة السادة ... كانت تقتضي ... في ... لها في طبيعة .

وقال له جميع ... هو ... كل شيء .

وذهب الأولاد الثلاثة ... حاجتي ، فالتفت إليه ... وقال :

— لا تطلبي تعبيضي ... فقد قلت لك من قبل إن ... الكبير ... الرجل الذي ... لكي ... هذه الأحوال ... [illegible] للفقراء ...

وأثار هذا الكلام ... الأولاد الثلاثة ... بنصيحة واسعة ، وأخذ هؤلاء يبحثون عن ... ليكتب ... عليه ... ، ومستقبل العرب جميعهم هذا الحادث على أنه ... وكان الرأي العام في جانب الذين أصروا على عنادهم لتنفيذ حكم العدالة ، ... أقارب الرجل ...

والشبان الذين طردوا أغنام الراعي من البئر والشيخ الذي سرق رجاله الخروف.. جاء هؤلاء وطلبوا الصفح والمعذرة من الراعي المطيري الفقير ، وأصروا على أن لا تدفع دية الرجل القتيل ، وقدموا له بعد ذلك كله تعويضاً عن كلبه الذي قتل واشتروا له حوضاً جديداً عوضاً عن الذي كسره الشبان الأشرار .

وساد السلام والهدوء بين البدو المقيمين حول الآبار وامتلأت نفوس الذين يعرفون القصة بالخوف والاحترام .. هذه هي قصة العدالة التي تروق لرجل الصحراء .

ولما أنهيت هذه الرواية قاطعني فلان بن حميد العتيبي وهو من الزعماء البارزين في قبيلة عتيبة قال إن هذه الرواية ليست التي تنطبق على عتيبة ، وكانت روايته كما يلي :

– منذ سنوات كان هناك رجل ثري معروف من عتيبة يملك قطعاناً كبيرة من الجمال وقطعاناً كثيرة من الأغنام فكان مرموقاً ومحترماً من الجميع . ولكنه كان طاعناً في السن .. وكان أولاده الثلاثة الذين رزقه الله بهم يشعرون بالشيخ .

وكانت والدة الشبان الثلاثة قد توفيت فأخذ الرجل الشيخ لنفسه زوجة شابة حسناء ذكية من عائلة عريقة كانت تدير أمر الخيمة .. وقد تزوج هذه الفتاة ليستأنس بها في أيام شيخوخته . وكان في الحقيقة سعيداً معها . ولم يكن الأولاد ليهتموا بشؤون والدهم الخاصة فكانت الزوجة الشابة أول من لاحظ ذلك .

وكان للزوجة الشابة عشيق يقطن في خيمة مجاورة ، ويقوم بزيارة الشيخ الضرير دائماً بدافع من الصداقة في الظاهر ، ولكن في الواقع ليحظى بمقابلة الزوجة الشابة الحسناء . ولكن العلاقات بينهما كانت ضمن نصابها الصحيح .

وذات يوم كان الشاب يغادر خيمة جاره العجوز فنبحه الكلب الذي لامسه وكأنه يبغي عضه . فشهر الشاب بندقيته وأطلق النار على الكلب فقتله .

ولما سمع الشيخ صوت الرصاص صرخ قائلاً :

ـ ما هذه الرمية ؟

فهرع اليه أولاده قائلين :

ـ لقد قتل زائرك الكلب .

وقال الرجل العجوز :

ـ ماذا ! إذن اذهبوا واقتلوا قاتل الكلب .

وقال الأولاد فيما بينهم :

ـ أمر عجيب ! يبدو ان والدنا قد فقد عقله .. أنقتل رجلاً مقابل كلب مهما بلغت قيمته ؟

ولما رأت الزوجة الشابة ان أولاد زوجها لم يفعلوا شيئاً تمادت في غيها .. فبعد اسبوع عندما كان الشبان يسوقون جمال والدهم ويحرسونها عند البئر قام حبيبها الذي بلغ به غروره واعتداده بنفسه حداً دفعه الى ضرب أحد الحيوانات[1] الكبيرة ، حيث كان يعرف ان هذا الجمل سيذبح وهو يريد بعض اللحم للأكل .

وهرع الأولاد الى والدهم الأعمى يخبرونه بما حدث وهم يقولون :

ـ ماذا نفعل ؟ ماذا نفعل ؟

وكان جواب الوالد العجوز :

ـ ماذا تفعلون ؟؟ اذهبوا واقتلوا قاتل الكلب .

ورأت الزوجة الشابة كل شيء ، وعرفت ان الأولاد لن يفعلوا شيئاً فبعثت برسالة الى عشيقها تطلب منه فيها ان يقابلها بعد حلول الظلام في مجرى رملي حيث الماء ليس بعيداً عن الخباء . وجاء الشاب في الموعد المحدد وقضى مع حبيبته وقتاً ممتعاً . وكانت الزوجة الشابة تعلم أنه إذا افتضح أمرها ونقل الخبر الى زوجها فلن تتعرض لأي عقاب .

وبعد فترة من الزمن اكتشفت الزوجة الشابة انها حامل فذهبت الى زوجها

---

[1] ـ حيران جمع حوار وهو صغير الجمل ويطلق هذا الاسم على الجمل منذ ولادته وحتى يبلغ عمره سنة كاملة .

العجوز وأخبرته بما تحس به فلما فرح فرحــاً عظيماً . وبعد تسعة أشهر رزقت ولداً فأقيمت الاحتفالات بهذه المناسبة .

وبعد مضي ستة عشر عاماً أرسلت الزوجة في طلب ولدها وزوجها وقالت له :

— ان ولدي الآن أصبح رجلاً الآن .. خذوه بندقية ليتعلم الرماية .

وأعطي الصبي بندقية فأصبح في وقت قصير ماهراً بالرماية . وكان الصبي قد أبلغ كيف أن أخبره مثالة لماذا عندما طلب منه والده أن يقتل قاتل الكلب منذ عدة سنوات .. فقالت له أمه :

— يا بني .. أنت فخري واعتزازي .. فاذهب واقتل الرجل الذي قتل الكلب .

ولما كان الصبي شهماً يحب أمه فقد ذهب عن الفور يبحث عن الرجل وقتله .. وعاد مرفوع الرأس لكنه لا يعرف أن الرجل الذي قتل عن يديه هو والده الحقيقي .

وعندما سمع الزوج العجوز الخبر صرخ من فرح قائلاً :

— ما هذه الرمية !

فلما أبلغ ما حدث فرح كثيراً وقال لزوجته بافتخار :

— يا زوجتي .. لقد تربى لي صبياً محباً للحسب بل وبطلاً قوياً أيضاً .

وأمسك بالصبي فضمه إلى صدره وضمه بكفه . وأصبحت هذه العائلة بعد الحادث موضع حسد الجميع وبعد القصص والذي لم يجد الصبي الذي قتل رجلاً شرق حسب الأعراف العربية بقتل كلب جاره .

أما الزوجة الذكية فقد أسعدت زوجها من جهة وأسعدت إلى أبيات شرفه واسمه الطيب ، ومن جهة ثانية تخلصت شابة رائعة .. تخلصت من عشيقها .



الفصل التاسع عشر

الكويت

١٩٤٣ - ١٩٤٥

ضيف الغداء

بقلم فيوليت ديكسون

كان حمد المكراد زعيماً بارزاً في قبيلة عجمان وصديقاً عزيزاً للشيخ أحمد . وقد توفي حمد في الكويت سنة ١٩٢٨ بسبب حمى شديدة أصابته . وتوفي شقيقه ركاد في نفس السنة بمرض ذاته في الرياض . وكان ابناهما خالد بن حمد المكراد وحمد بن ركاد متغيبين في ذلك الوقت .. ولكنهم اليوم شابان وسيمان بالإحسان فرع آل عمر في قبيلة عجمان .

وفي حزيران سنة ١٩٤٣ كان الشابان مقيمين في مخيمات الظهر التي تشرف على قرية قصر الساحلية الصغيرة على بعد ٣٢ ميلاً الى الجنوب الشرقي من الكويت . وقد دعيت أنا وزوجي لزيارتهما هناك .

وكان خالد بن حمد قد قدم الى المدينة في ٨ حزيران لشراء بعض الحاجيات لعائلته قبيل سفره الى الرياض في الزيارة السنوية للملك ابن سعود . وقد تقابلنا معاً في سيارتنا . وكان ذلك الصباح شديد الحرارة ولكن الرياح الشمالية ـــ

القريبة المعروفة بالبارح حطت الطقس بعد الظهر ويسـال الى الجروفة . ولكننا ونحن في طريقنا الى السلسلة باتجاه الجنوب الشرقي . وكانت حرارة هـذه الريح تزداد كلما ابتعدنا عن البحر بحيث ان محرك السيارة اشتدت حرارته حتى اضطررنا الى التوقف مرتين لادارة المحرك باتجاه الريح وتعريض مقدمته للتبريد .

ولما كان ذلك الربيع استثنائياً فان الكثير من طيور القطا لم تهاجر شمالاً بل عششت في أماكن مختلفة من سلسلة الظهر . وقد صادفت عشرة أسراب منها في طريقنا والتقط احد من رجاله عشرين عدداً من البيوض .

ووصلنا الى خيمة حمــد في الساعة الخامسة والنصف . وكانت خيمة قديمة منكمشة مرقعة هنا وهنالك بمجموعات صغيرة تتألف الواحدة منها من خيمتين او ثلاث انتشرت حولها في كل مكان قطعان جمال . وكانت خيمة حمد قد نقلت من مكانها اثناء غيابه في الكويت ولكنه عرف كل حبل عرف مكانه بالضبط مع انها كانت مختبئة وراء تلة صغيرة الى جانب الطريق . ولم يكن في الخيمة سوى المرأة ترضعها شاهدناهـا وهي تؤشر لميزانه ولانحاء نحوها ثم أشرت اليه بأن قف بنا فيما حين رأسها الى الأرض مرة او مرتين .

تلك المرأة هي ميثة زوجة حمــد . وكانت قد نقلت خيمتها ذلك اليوم ووصلت الى هناك قبل ساعات فقط من وصولنا . وقد كانوا في طريقهم الى عين الصيفي قرب ابو حليفة ؛ فان خيمته الكبيرة لم تنصب بعد وكانوا قد ستروا المظلة على عمودين واسندوا قطعة قماش من الخلف تمنع الريح حارة والرمل من دخول الخيمة . واسرعت ميثة فسحبت القاطع من بين امتعتها ونصبت عموداً في الأرض سحبه عليه قاطعة وبذلك آوى السقف في تصميم الشكل لنا مكاناً ظليلاً نجلس فيه .

وخلع حمد رداءه ومد بـساطـاً على الأرض في الظل ثم حضر سريع فرشه وعدداً من المساند لنتكىء عليها . وحفر حفرة صغيرة في الأرض أمامنا ليشعل فيها النار وأحضر أباريق القهوة والمواد اللازمة لها، ثم جاء ببعض المرخ والجلّة (براز الجمال) وأشعل فيها النار . وزاد وهج النار الجو حرارة . ولكن ذلك

كان افضل من الاكتفاء خارج المسكن نظراً لكثرة الرمال المتطايرة مع الريح .

أما ركان ونهار وأما حمد الصغيران فقد لبسا الثياب القطنية البيضاء الجديدة التي احضرتها لهما وجلسا معنا يأكلان الجوز والحلويات التي قدمتها لهما . رافقه الينا بعد ذلك خالد ابن عم حمد . وكان خالد قد نقل خيمته ذلك اليوم وأخذ عائلته الى آبار الطويل بالقرب من و را حيث يمكث والده وزوجته واخوتها . وزوجته سارة هي الابنة الكبرى لأحد اعز أصدقائنا رفيفر بن سويلم . وكانت سارة قد تزوجت مرتين من قبل : مرة من فهد الخذلان ومرة من عطيشان احد حراس سمو الملك ابن سعود في الرياض . ولد بنت لطيفة من زوجها الثاني قدمر بقربه وتبلغ من العمر سبع سنوات . ولها الآن من خالد ولد صغير يسمى حمد . وكانت سعيدة في حياتها مع زوجها الثالث الذي كان يحبها كثيراً . وقد جاء من دارة المدجة بعض جماله التي حسبت بالجرب .

كانت القهوة جاهزة تغلي على منقلة النار عندما ظهر فجأة على بعد عدة يردات جمل وانبع الجمل بأكياس اللوبة يسير بالقصر سرعته وتعلقت بمؤخرته سيدة بدوية شابة ترتدي بياباً أنيقاً اسود اللون يرفرف بفعل الرياح . وبعد ان قامت البدوية بجهود جبار لايقاف الجمل اضطرت لتركه خوفاً من ان يجرهـا وراءه .. وانطلق الجمل بعيداً . وعلى مسافة الخمسين يردة خلف خيمتنا سقط سرج الجمل ولكن الجمل تابع سيره مسرعاً متجهاً نحو الجنوب .

ولما شاهد خالد ما حدث قفز من مكانه وانطلق بأقصى سرعته ليمسك بالجمل ولكنه توقف عاجزاً بعد ان قطع مسافة نصف ميل . عندئذ ترك حمد موقد القهوة ولحق بخالد على جمله بنية ملاحقة الجمل الهارب .

وعادت المرأة الى السرج قبل ان يركب الجمل فتمس بسرعة متناهيـة وركب الجمل عاري الظهر .

وكانت وراءنا عدة خيام اخرى للقبيلة فما ان حمد عليهـا اندفع نحوه بدوي شاب وأشر له ان يتوقف . ونزل حمد عن جمله وأخـذ البدوي الآخر مكانه وقال له وهو يتابع المطاردة :

ـ يجب أن تمتني بضيوفك يا حمد .

ويبدو أن حمد قبل أن يغادرنا طلب من الرجل في الخيمة المجاورة أن يعتني بنا ويقدم لنا القهوة . وعرفنا أنه الرجل العجوز الذي صادفناه في طريقنا ومعه ابنه . . وكانا يشتريان المؤن من المدينة . ويظهر أن الجمل قد شرد بعد أن نزل عن ظهره لدى وصوله إلى الخيمة ، ولم تتمكن ابنته من الامساك به . وقال الرجل إن الجمل حاد المزاج مع أنه أصيل وثمين . وقبل أن يغادر بوابة المدينة في صباح رفسه وأصابه بأذى . فقد كشف لنا ركبته المصابة بخدوش وقال إنه يشعر بألم شديد بسبب كسر في أحد ضلوعه . وكان الكيس الذي سقط عن ظهر الجمل يحتوي على التمر ، أما الثاني فكان فيه بعض القهوة والثياب وغيرها من المؤن . وتناسى الرجل المسكين جروحه في غمرة التفكير بالجمل فقد كل تلك الأشياء وحمل مكان حمد أمام النار التي تغلي عليها القهوة .

وهنا فكر زوجي أن الواجب يقضي بالاشتراك في المطاردة فركب السيارة وذهب لبأخذ خالد معه ثم سار في الاتجاه الذي سلكه الجمل الهارب . وانطلق الدعاء والشكر من أفواد أسرة الجالسات هناك لهذه البادرة وساد شعور بأن كل شيء سيكون على ما يرام وأن الجمل الضائع سيعود إلى أصحابه . وقدمت لي القهوة ولكنها لم تكن قوية الأمر الذي لم يرق لحمد .

وجيء بكان للابن الأكبر الذي يبلغ من العمر خمس سنوات وأراني ضباً أعطاه إياه الرجل الذي يرعى الجمال . لم يكن الضب كبيراً إذ لم يتجاوز طوله اثنتي عشرة بوصة ، مع أنه كان يبدو سميناً . وقال أهل الخيمة إنها أنثى وبكان تحمل البيوض في جوفها . ولما أعلنت عن عدم رغبتي فيه قرروا أن يشووه على الجمر ليأكلوه . فأخذه حمد وذبحه فلم يأت بأية حركة أو صوت ولكنه نزف منه قليل من الدم . ثم شق حمد برأس سكينه بطن الضب مسافة ست بوصات ونزع أحشاءه وطرحها بعيداً . ولم يبق منها سوى الكبد والبيوض التي بلغ عددها خمس عشرة بيضة . أما حجم الواحدة منها فلم يكن يتجاوز حجم رأس إصبع تبه الرشق وتشبه بيضة الدجاج قبل اكتمال نموها . ونزعها حمد بكل عناية

ورشمها مع الكمّون في صحن القهوة .

وبعد [illegible] فبدأت طهي البيض على النار بتحريكها باستمرار الى أن تكوّر المقدار وشكل قرصاً من العجينة أضافت عليه قليلاً من الزبدة . وبعد ذلك [illegible] قلبت القرص في صحن خشبي ووضعته أمامي . وكان الرفاق يرقبونني فرحين على أمل أن يحصلوا على بعض ذلك الطعـــام . وأكلت لقمة أو لقمتين فكانت جيدة في الواقع مع أن لها طعماً كطعم الجراد ولكن مزيداً من [illegible] يجعل مذاقها مقبولاً .

وبعد [illegible] خيمة سوداء باتجاه الخيمة فاندفع الكلاب [illegible] نحوه [illegible] غضباً . ونهض حمد لتحيته وتبادل الرجلان القبلات . وبعد [illegible] الى أن جلس بجانب النار . وذهبت ميثا لاحضار مزيد من [illegible] ووضعته فوق النار حيث أحدث لهباً عالياً ثم جلست الى جانبي . و[illegible] من وجود الرجل ولكن يبدو أن [illegible] ينتمي الى نفس القبيلة وربما كان من الأقرباء .

و[illegible] حمد [illegible] على النار بحيث ارتفع بطنه الى أعلى . وقال [illegible] يتحرك [illegible] على شكل أعمى [illegible] . ثم انصرف يحمص [illegible] التي صنعت في البداية كانت ضعيفة . وقال انه يريد أن تكون [illegible] جيدة حتى عودة زوجي .

وقد [illegible] الشمس وراء الأفق عند الغروب [illegible] السيارة العائدة من بعيد [illegible] كانت تلف وراء خيمة قفز منها خالد وهو يصرخ : [illegible] .

و[illegible] وجود [illegible] الا مع وجود النسوة [illegible] لكن نجيبي . وبالرغم من أن الوقت كان متأخراً فقد أصر حمد على زوجي أن يشرب فنجاناً من القهوة . وهكذا عدنا للجلوس مرة أخرى . ودار على الجالسين صحن فيه [illegible] من عجينة [illegible] . وقد كان الحاضرون يحتسون القهوة فيما [illegible] زوجي حكاية مطاردة [illegible] وطرحه .

قال زوجي :

– نحن الحظ ان الأرض كانت جامدة وليست رملية كثيراً ، الأمر الذي مكنني من اللحاق به على بعد اثني عشر ميلاً من هنا . وكان المطارد الأول قد ترك بعيداً خلفه وتمكننا أيضاً من الوصول الى الحمار الوحشي وهو واقف بدون حراك في مجرى جاف . وعندما اقتربنا منه أطلق ساقيه للريح مرة ثانية وأخذ يعدو بأقصى سرعته . وحاولت ان أتقدمه لأرده الى الوراء ولكنه لم يخف من السيارة وظل يندفع [illegible] بمحاذاتنا في مكان لا يمكن بالامكان السير بسرعة أكبر .

« وكان [illegible] على بعد ثلاثة أميال قطيع من غزلان الغنوب [illegible] شبيه [illegible] . ووجه الحمار [illegible] نحو القطيع [illegible] فسرعنا نحن واقتربنا اكثر مسافة ممكنة من القطيع ودون [illegible] وتشبث جل بكل [illegible] الى ان وصل اليه من الخلف و [illegible] بقية الحبل المشدود في رقبته وجعله يركع على الأرض [illegible] متداعية [illegible] وسقط [illegible] من حبرة [illegible] على [illegible] قوائمه الأربع وظهر التي كانت [illegible] على السرج المشدود على ظهره .

وبعد [illegible] وثاقه جيداً وضع السرج في السيارة وبحثنا [illegible] الحمار الجائع يتخبط عندما حاولنا [illegible] من قيوده . وكان [illegible] من [illegible] من الجهة الأخرى فأشار [illegible] فتوقف وركبت السيارة نحوهم . [illegible] الحبل [illegible] وطلب منهما ان يعيداه الى [illegible] .

وفي هذه الاثناء كانت عملية [illegible] قد أشرفت على نهايتها وكان [illegible] مضى على دفنه في [illegible] أكثر من ربع ساعة . [illegible] به [illegible] الرماد وقص قطعة منه . وأخذ [illegible] بقية [illegible] منه و [illegible] قطعة كبيرة منه [illegible] . واعطى [illegible] [illegible] واعطى [illegible] قطعة [illegible] الى داخل الخيمة يأكلان [illegible] . وكلما حاولت ان اقطع قليلاً من [illegible] التي [illegible] كانت تصدر منه أصوات تشبه [illegible] ! كان [illegible] أبيض اللون يشبه الكركند وله طعم كطعم الجراد . [illegible] زوجي [illegible] من [illegible] منه ولكنه حزن [illegible] ان [illegible] التي [illegible] قبل قليل ليست سوى [illegible]

الغضب .

وراد خالد ان يقدم جمل هدية لزوجي فلم يقبل . وقال خالد ان يقبل قسمة من الملك ابن سعود قبل ثلاث سنوات وانه ذلول أصيل ... منذ ذلك الوقت للرجل الشيخ صاحب الخلق الكريم .

وبعد تحيات الوداع رأينا عائدين الى المدينة . وقد سرنا ان نشاهد كيف ان جميع اهل الخيم ظهروا بشراً لاستعادة الجمل الهارب مما يدل على مدى تعلق البدوي بجماله . وبموجب العادات كان يحق لزوجي المطالبة بمبلغ ثلاثة ريالات مكافأة الجمل .. وقدمنا الشكر للرجل العجوز ...

زوجة فهد الفاضل المريضة

في الخامس والعشرين من تموز سنة ١٩٤٣ التقيت وزوجي برجل من مرّة يدعى فهد بن عبد الرحمن الفاضل حفيد الرجل الذي حفر بئر قاقس الشهيرة في الاطراف الشمالية لقرية خلي . ويبلغ فهد الخامسة والاربعين من العمر وهو عضو مرموق في فرع التفضل من آل مرّة . وكان وقت اجتماعنا به مخيماً مع نحو اربعين خيمة من آل مرّة عند الآبار الزرق على بعد ثمانين ميلاً الى الجنوب من الكويت . وجدنا ان منزله ذات صباح وعرف عن نفسه بشكل غير مألوف عندنا .

وقال الرجل :

— سمعت بفضلك عن ابي نبي وغيره من بني قومي، وها قد جئت من مسافة بعيدة لأطلب مساعدتك فضلاً . ان لي زوجة عزيزة مصابة بمرض وقد احضرتها ليعاينها الطبيب . ولكنني لست املك مالاً لأدفع اجرة الطبيب ، بل املك بندقية ، موزر ، جيدة ارجوك ان تأخذها مقابل ذلك .

وسألته :

— اين تخيم ؟

فأجاب :

. خارج مدينة . نايت في خيمة صغيرة على سفح الجبل وراء آثار ... بالقرب من خيمة امرأة عجيبة تدعى حفيظة ام ... هاشم .

وكنا نعرف السيدة التي اشار اليها فوعدناه ان نذهب لزيارته ذلك المساء . وتوسل إلينا فيه ان لا نتباطأ لأن حالة زوجته سيئة للغاية وقد دامت ... مزعجة خلال ... من الأرق على ... مسافة ثماني ميلا .

ووجدنا خيمة صغيرة قذرة ذات عمود واحد ... ، والقات ... على الجانبين فان ... ان ذلك أسوى ... . ورأينا داخل الخيمة امرأة ... ، كانت في الأصل شابة جميلة ولكنها أصبحت من شدة ... لا تستطيع الوقوف على قدميها . وحملت المرأة بين ... مشدودتين وهي تضم الى صدرها طفلا هزيلا لا يتجاوز عمره عدة أشهر .

وقال فيه ... زوجته :

– قومي ... وقت ... لك ... وشدائك .

وحاولت ... الطفل ... والكلبة تستطيع النهوض ... فصرخت ... تأوهات مؤلمة . ... انه ... في رقبتها منذ اربعة أشهر ... وانه ... زوجته من ... ان عانت تشكو من ... بسببه .

... من الأنف ... أعلى الكتف وفي وسطه بقعة حمراء كبيرة الحجم ... كان يضايقها فقد قسم كبير منه ركبتها فلت غير قادرة على تحريك رأسها و رقبتها .

وقالت له زوجتي :

– ... سوف تشفين ... في مستوصف ... في بيارت ... الى مستشفى الارسالية الأميركية للبورة ... السيدات والذي يعمل فيه طبيب ماهر .

وعبرت زوجتي المسكينة عن شكرها بعينيها الكسيرتين اللتين تقدحان الدمع كما لو ان ... .

وظل الى ذلك الوقت تجمهر عدد من النسوة والأطفال حولنا كانت عيونهم تلمع من بينهم ... وأخذوا يتساءلون لماذا نظرة على المرأة المريضة . وظل ... مشدوداً طوال الوقت في ذهني من التساؤل حتى لا تسقط عليه خيبة الخضراء .

وفي صباح اليوم التالي عاد الدكتور في الصباح الباكر كما وعد ونقلت المرأة وزوجها وبنته والأولاد الثلاثة الى المستشفى حيث أجريت لها عملية مستعجلة . وأخبرنا الدكتور ... وزوجته الممرضة بأن الجراحة العملية لو تأخرت أكثر من القليل لربما ... الموت . وظلت ... المرأة المريضة مدة اسبوع في المستشفى ... في اليوم ... كانت ... في طريق ... واصبح بامكاني ان امشي الى ... يومياً ... في ... وكان قد ابتهج بأن ... وانه لا ... مشاهدتنا وان شعبه سيعرفون بكل فخر ... وان الملك عبد العزيز سيعرف بذلك ويكون شاكراً .

ورد عليه زوجي بلطف :

— في الحقيقة هذا العمل ... شرف ... على ... سعود ... بالنسبة لنا بمثابة مكافأة قيمة .. ونرجو ان تقبل الزيارة قبل ان ترحل .

ثم ... مرة ... وقد ... رائعة في تقديم الشكر والاعجاب .. ولم ... [illegible] لهذه العطية ... من جيبه .

مهارة الدكتور دايم

كان الدكتور لويس دايم الشهير الذي توفي في امريكا عام ١٩٥٣ عضواً بارزاً ورفيع الشأن في الارسالية الامريكية في البحرين . وعمل قبل ذلك مع شركة النفط العربية — الأمريكية في الظهران الى ان اضطرته احواله الصحية السيئة للعودة الى بلاده . وأثناء وجوده في الجزيرة العربية كان ينتقل الى البدو

نظرة احترام ووقار في كل مكان ، وكان بين الرجال القلائل الذين كان يسمح لهم بالذهاب الى الرياض بصورة مستديمة لمعالجة أفراد العائلة المالكة والمرضى من البدو الذين كانوا يفدون الى العاصمة للمعالجة .

كان د. م. في نظر البدو ساحراً عصرياً يستحق الثناء والمديح الذي كان ينصب عليه من جميع الأفواه على البدو الرحل الذين لا ينفكون لحظة عن التحدث عن براعته وعطفه ومهارته وقدرته على الشفاء . وليس ذلك أقل مما في الأمر لأن البدو الذين يتجاوبون بعميقهم مع العطف والاحسان ويتجاوزن الكبيرة بضعاف الأضعاف ، قد نشروا في الدروب والبيد قصصاً وحكايات فيها الكثير من المبالغة بقصد يراد تجميل فيه الذي ساعدهم وشفاهم من أمراضهم الغريبة .

ففي ٢٧ تموز سنة ١٩٤٣ جاء عبدالرحمن بن معمر الأمير السعودي في [illegible] الكويت [illegible] وطلب يتمل الاحساء لنا في الكويت الزيارة التي تمت بين وروجتي له في الاحساء في أيار من تلك السنة ، واثناء مأدبة الغداء التي أقيمت على شرفه من جهة الأشياء الناقصة الغريبة الشائعة عن الدكتور د. م. :

ذات يوم كان الدكتور د. م. في شقر حيث جيء له بمعدي قبل بيده الموت قيد شعرة . وقد رق قلب الطبيب انه يريد ان يموت لكنه يريد أن تأتي به ليلة لعله يستطيع ان يفعل شيئاً من اجله .

وقد دمر بفحص المريض من كل جانب لكنه لم يجد اثراً لأي خلل عضوي فوضعه تحت المراقبة مدة أيام ولكن جميع الجهود التي بذلها للتحسين حالته ذهبت هباء .

وبالنتيجة وجد د. م. ان المريض لم يأكل شيئاً خلال السنتين الماضيتين سوى حليب الجمال وبعض التمور ، فخطرت له فكرة بارعة . وسأل المصريين هنالك عن الوقت الذي سيذبحون فيه جملاً وطلب منهم ان يقطعوا له قطعة من الجلد الذي يغطي ركبة الجمل . واخذ قطعة من هذا الجلد بحجم قطعة النقود وربطها بخيط رفيع وأمر المريض ان يبلع القطعة نيئة ففعل واخذ هو يرقب النتائج بعد ان تأكد ان طرف الخيط لا يزال خارج فم الرجل .

وبعد مضي أكثر من يوم أخذ داير يسحب قطعة اللحم التي يبتلعه من جوف الرجل فوجد كتلة من الطفيليات التي تعيش على بدن الجمال ملتصقة بها من النوع الذي عندما يشبع من امتصاص الدم يصبح بحجم حبة العنب . وصاح الدكتور داير وهو يشعر بنشوة النصر : هذه هي سبب علة الرجل .

ويبدو ان الرجل قد ابتلع هذه الطفيليات وهو يشرب حليب الجمال فجاءت في موضع حيوي من اعضائه الداخلية حيث ظلت تعيش وتنمو فترة من الزمن فعندما دخلت قطعة لحم الجمل جوف الرجل تعرفت عليه هذه الطفيليات بالغريزة أو بحاسة الشم فاطلقت قبضتها على جسم المريض وتمسكت بغذائها الطبيعي .

وشفي المريض تماماً .

اني اذكر هذه الحادثة بدون تعليق لأنني لست ادري ما اذا كانت قصة حقيقية و من نسج خيال البدو . ولكن الشيء المؤكد هو ان القصة انتشرت وصدقها الناس بحرفيتها . وقد شدد الأمير عبدالرحمن على هذه النقطة - لاسيما البدو الذين يجهلون الرد والعرفان للدكتور داير ومهارته الخارقة والذين يريدون من الشوائب في كل مكان ان يعرفوا ذلك .

آبار الطويل

تقع آبار الطويل على بعد اثنين وثلاثين ميلاً الى الجنوب الغربي من الكويت . وهي تشكل مع صبيحيه التي تبعد عنها اثني عشر ميلاً الى الجنوب ومع جبرا ثلاثة من أهم الأماكن التي يعرفها البدو جيداً للتخييم الصيفي في شمال شرق الجزيرة العربية . والأماكن الثلاثة تضم عدداً كبيراً من الآبار يرجع تاريخها الى اقدم الأزمان ويجدر بالمرء زيارة أحدها عند اشتداد الحر والتجول بين خيام مطير وعجمان المتلاصقة المكتظة ورؤية قطعان الجمال وهي تنتظر دورها لشرب الماء حول الآبار .

كان ذلك في السادس والعشرين من آب سنة ١٩٤٣ . وكان نجم سهيل الذي

بدأ ظهوره على الشتاء الصيف فقد ارتفع في نجد قبل ثلاثة أيام وأصبحت الليالي اكثر برودة والجمال ترد الآبار كل ثلاثة أيام . ويقال ايضاً ان الانسان في هذا الوقت يشرب كميات أقل من الماء عند ظهور هذا النجم . او ليس يشعر الانسان في داخل كيانه افراد هذا الحيوان ؟

وفي تلك السنة صادف ومضان اليوم الأول من أيلول ولم يبق سوى بضعة أيام يمكن فيها المرء ان يأكل ويشرب كما يشاء في النهار . وكان الشيخ خالد بن حمد المكرلد الذي اشترك معي في مطاردة جمل الطارب ينتظر في الكويت سيرة الله الى الرياض .

ولم يكن خالد يريد الذهاب لكن أوامر الملك يجب ان لا يتقلل من شأنها . فقد أبلغه ان سمو قبل شهر ان عليه أن يحضر الى الدحمة لقضاء شهر الصوم عنده . لأن الملك كان يحب دائماً الاجتماع حوله مجموعة من الشيوخ الشبان لصيقي المشير ليرافقه ويقيد طائلته أثناء الصوم . وكان خالد مقرباً الى الملك ويأمل ان يصحبه الى الحج في مكة بعد سبعين يوماً من عيد الفطر . وذلك يعني ما الحرجيه و دالمكسوة : لأن الملك لا يبخل على المقربين اليه او على شيوخ القبائل الذين يصحبونه للحج .

ولما كان خالد يرغب في رؤية زوجته وأولاده قبل ان يسافر الى الجنوب فقد طلب مني ان اتخذ سيرتي الى الطويل . وكان عليّ ان أقوم بعمل تفتيشي في مركز ونرا قواذا كانت أن تحتذ خالد معي الى الطويل أولاً . وتوجهنا الى هناك في الساعة الخامسة والنصف من صباح الثامن والعشرين من آب . وعندما اقتربنا من الطويل سألني خالد ما اذا كنت استطيع ان أحمل له في سيارتي الى الكويت شداد الثقيل ؛ الشداد يعني سرج الجمل ؛ لأنه قد يضطر الى القيام بالرحلة الى الرياض على ظهر الجمل ، في الوقت .

كان منظر الطويل رائعاً . . فقد التقى فرعا عفوق وصبري في قبيلة بعيهان الى صبيحيه وجهين فكان عدد الخيام أقل مما كان عليه عندما شاهدتها آخر مرة ومع ذلك كان عددها لا يزال يزيد عن خمسماية خيمة . وكانت الآبار مكتظة

بجبال اللبامين . (اللبامين نوع من مطر شبهه الأعلى أياد للتارقي) وقد تجمعت الجمال حول أحواض دائرية كبيرة بالقرب من أفواه الآبار فيما كان غيرها ينتظر دوره على شكل صفوف بين الخيام براعية شمس الصباح الباكر كنادتها .

وهناك أيضاً كانت جمال زنيفر بن حويه وابنائه ولكن اصحاب تلك الجمال كانوا منهمكين في اصلاح فوهة أحد الآبار بعد ان قاموا بتنظيفه وتغطيته بالرقيع المعود عن حفظه الجمال لتلويثه .

وتوجهنا رأساً الى خيمة زنيفر ... زوجته خالة ، حيث كانت تنير ساره ووشاها خزنه وحده . ولم يمض وقت طويل حتى تجمع حولنا عدد من النساء والأطفال في حين ذهب آخرون لاحضار زنيفر وولديه عبدالله ومحمد الذين كانوا يعملون في البئر . وفرشت السيدة ساره بساطاً في قطاع الرحل من الخيمة يعرف بالربعه وجعلتنا نشعر وكأننا في بيتنا . والتف حولي على الفور حبة الصغير وبوبية وهما أولاد عبدالله ومحمد وقدوم في خدودهم لأفوالها دون خجل أو وجل .

وجاء زنيفر وولداه تبدو على وجوههم السعادة وهي ليهم الأوساخ والوحول من جراء حفر البئر .. وجلسوا معنا . وأتت ساره بحليب الجمال في وعاء خشبي ثم تبعته القهوة التي كانت تغلي على النار استعداداً لتقديمها الى العاملين في البئر .

ولدى خالة توحيباً حاراً لنفر " لكونه زعيم آل خلوط ثم التفت ليجري حديثاً خاصاً مع زوجته ساره التي احتلت مكانها على الفور لشا المجهور زوجة زنيفر التي كانت تبدو اكثر هدوءاً من المعتاد . وكانت كلماتها الاولى لي :

– هل احضرت لي معك كسوة ؟ دائماً تحضر معك الهدايا لساره والاولاد وتنساني .

واجبتها بقولي :

– زنيفر سيعطيك الكسوة لا أنا .. اذهبي واحضري شئ .

وشلوى التي تبلغ من العمر ستةعشر عاماً هي ابنة عبدالله من زوجته السابقة

سنوى التي طلبها . ولشفى منزلة خاصة في قلوبنا .

وبعد القهوة أحضر الرجال عزان أقوم بتفقد الجمال والبئر الجديدة التي وهبهم إياها عمر الشيخ أحمد قبل عدة أيام . وابلغت ان البئر قد امتلأت خلال سنوات طويلة ولكن مياهها كانت شديدة العذوبة مع انها كانت في ذلك الوقت معكرة قليلاً . واعطيت قليلاً من تلك الماء لأتذوقها ثم شاهدت منطقة الكونة من المرتفع حول فوهة البئر وقد كسي سطحها بالطين . وهذا العمل استحق اعجابي وتقديري بالفعل لأنه متقن للغاية . وكانت القامة الحاملة عبر المياه قد اليمت في مكانها مما جعل الجميع في حالة من السعادة والرضا . فشربت من ماء البئر حظاً سعيداً قائلاً : مبروكه .. مبروكه . ورد علي الجميع وكأنهم فرقة موسيقية : « الله يطول عمرك » .

والشامني زنيفر الذي لاحظت انه كان تواقاً أكثر من صدقه لأرى قطيع جماله المخوب المؤلف من ثلاثة وخمسين رأساً تجمعت في مكان قريب من الخيمة . وهذه الجمال كلها تزاوجت من فحول عمانية أصيلة ثم انه تلقاها هدية قبل أربع سنوات من محمد بن لبن شيخ المنتفك في آل مرة . وبكل فخر واعتزاز أشار زنيفر الى ثلاثة من بنات المهاجية أعمارها ثلاث سنوات وسنتان وسنة على التوالي . اما الذكر الكبير فكان أصيلاً معاً وصيناً له شأن كبير .

وعندما عاد زنيفر ليجمل في البئر انضم الى خالد وعدنا سوياً الى الخيمة لنجد جمهوراً أكبر من الشيوخ والشباب والأطفال الذين تنمي اجسادهم احتمالية قدرة فقهم الفضول لسماع الاخبار الى الاستماع لأحاديثنا . وكان اول سؤال ألقي علي : « متى ستنتهي الحرب؟ » ودلالة تحجر الحكومة المواد الغذائية والأرز ؟ » وهذا السؤال يشير الى النقص الكبير الذي كانت تعاني منه الكويت .

ومن أطرف الأسئلة التي سمعتها : « ماذا ستفعل الحكومة بعد عندما تلقي على الليل ؟ »

واجبت عن هذا السؤال بقولي :

– « أنا سنضعه في قفص ونسأله لنعجبك .. أليس هو حفيد ركان الهذلان الذي كان شيخكم في يوم من الأيام ؟ »

وفي هذه التورية اشارة الى مزاح كان يطلقه ابن سعود الذي كان يحب دائماً ان يداعب المجهن بقوله ان ركان الهذلان عندما كان سجيناً في الآستانة تزوج امرأة تركية و أنجب منها اطفالاً ينحـدر من أحدهم المشار الكذاب ادولف هتلر .

وهنا صاحت الجوقة :

« نعم .. نعم سأتوه لنا ونحن نعرف كيف نتصرف معه .. ابن الكلاب »

ولم يكن ومكاني قبالة هناك مدة أطول فودعت الرجال واستأذنت بالذهاب من خلف القاطع لمشا وسارة وشيئي وريقا زوجة عبد الله الفالي النسجين البرقطاء النساء من خيبة عندما لجمي حولك الرجال .

وكان الوضع الأخير الذي ثبت لا وخاله أشبه بتظاهرة قد جمهور من الأطفال . كما تلبث قبلة في الأنف من ونيفر الذي حماني بورقه مرة ثانية على ان الحضير ا. محمود معي .

وبعد ان أخذنا شداد خلف سرة نحو بقان ومن هناك الى مركز وارا عبر طريق دائرية . وفي وارا سرني ان ألتقي بحبيبي بن يكمال رئيس المرشدين في شركة النفط العربية الأميركية . وكان حبيبي قد قدم من الاحساء ليرى زوجته الجديدة نورة شقيقة محمد بن طاووس رئيس حرس شركة نفط الكويت في منطقة آبار برقان .

وبعد ان شربت القهوة في كوخ الحارس الخشبي حبيبي ومحمد السلام على نورا والدها . وكانت نورا قـد صبأت شقة نظيفة لزوجها في منزل محمد بينما انتقلت ساره الى خيمة منفصلة لتنسج لهم الجمال . وكنت انا وزوجتي نعرف نورا ووالدتها منذ أربعة عشر عاماً ولذلك سرني ان أحصل على شرف المعاملة وكأنني أحد أفراد العائلة .. فصحبت شقة نورا دون أي مانع بسبب عدم وجود زوجتي معي .. وهذه عادة تتميز بها عجمان .

قضيت نصف ساعة أتحدث الى خميس ونورا اللذين كانا في أحسن أحوالهما .
ولم تنس نورا ان تسألني عن كيس الأرز الذي كانت له قيمة تذكر في تلك الأيام العصيبة فوعدتها ان افعل ما يوسعي للحصول على كيس اقدمه لها . وكانت لا تزال طفلة في طريقة حديثها وليس هجيبا انها اصبحت بقلب حمو الشيخ حمد الذي تزوجها سنة ١٩٣١ ومن المؤسف ان ذلك الزواج قد انتهى بعد سنتين لأن نورا لم تنجب أطفالا .

وشهدت في خيمة خميس اشياء كثيرة عن صديقتي الأمريكيين والعرب في الظهران ، وتحدثنا عن الأيام السالفة وعن الرحلة التي قمت وزوجي بها برفقته الى الظهران والى آثار مدينة ثاج . وفي الحقيقة ان هؤلاء البدو الذين يتميزون بأصل رفيع يكرمون المرء عندما يزورهم في ديارهم .. ولم استمتع في حياتي قط برحلة كتلك التي قمت بها ذلك اليوم مع خالد الكراد .

عدنا الى الكويت في الساعة الحادية عشرة والنصف صباحا قبيل اشتداد الحر . وقد وفيت بوعدي وعدت لزيارة هؤلاء القوم في السابع من تشرين الأول بصحبة زوجي . وكانت هديتنا لسارة حجري رحى لطحن القمح لاننا علمنا انها بحاجة ماسة اليها . اما الأطفال فقد أعطينا كلا منهم دشداشة وغطاء للرأس . ولم نكن نورا في وارا فقد حملنا لها كيسا من الأرز لاقينا صعوبة كبيرة في الحصول عليه .

عودة الحجاج

عودة الحجاج من مكة تكون دائما حدثا سعيدا اذ يتوجه أقارب الحجاج العائدين مسافة مئة ميل احيانا لملاقاتهم وقضاء ليلة معهم في مخيم على الطريق ويستقبلونهم بعد هذا الغياب الطويل بالطعام الشهي والماء العذب وغيرها من المغريات .. أو لم يكن هؤلاء في بيت الله الحرام ؟ الم تغفر ذنوبهم فعادوا انقياء اتقياء ؟

ان استقبال الاصدقاء للعائدين له دلالة خاصة لا سيما اذا كانوا قد ذهبوا الى

الحج عن شهور الحال (مسافة التي ميل) بما يعني انهم تغيبوا عن منازلهم مدة تقارب يوماً ناهيك عن المدة التي يقضونها في المدينة ومكة المكرمة . ان فرحة الحجاج العائدين لا توصف وهي تلمع القلب لا سيما عندما يزغرد الصغار الذين تلقوهم معهم الى ديارهم .. وكان كل شيء الحج الى مكة هو الذي يحفظ وحدة الاسلام .

لا زلت أذكر جيداً عودة عبد العزيز من الحج في الخامس من كانون الثاني سنة ١٩٥٤ ، ذلك اليوم الذي كان بمثابة عيد له ولعائلته . فقد أعطيته اجازة ليذهب الى الحج مع بعض أفراد أسرته وهم : زوجته حصة ، وشقيقاته منيرة ، ومزنة الشاقري ، وسليمان زوج شيخة ابنة ابراهيم الذي شقيق سالم ، وولد عبد الله مبارك . لقد تقدمهم كثير أطيلة الأشهر الثلاثة التي تغيبوا فيها وتدفقت سيرة كثيراً لدى عودتهم . ثم وصلوا رجم الجهثان على بعد خمسة عشر ميلاً الى الجنوب من دارنا حيث كان الاتفاق ان تنقل مواشيهم للرعي هناك .

ولم تكد الأخبار تصلنا حتى قررت وزوجتي وولدنا سعود الذي كان يقيم عندنا لعدة أيام ان نخرج الى مخيم سالم لاستقبال العائدين . وقد حملنا في السيارة معنا من الطعام والأمتعة ما يكفي لقضاء ليلة معهم في خيامهم السوداء . ووصلنا الى المخيم الساعة الحادية عشرة صباحاً . وكان المخيم يقع في منخفض صغير على مسافة قصيرة الى الجنوب من رجم الجهثان . وما وصلنا الى هناك أخذت الكلاب تنبح واستقبلنا الرجال والنساء والأطفال وعلى رأسهم سالم بالترحاب والأهازيج . لقد كنا نحب هذه العائلة العربية المضيافة وقد سررت كثيراً انهم عادوا الينا من جديد .

وبعد التحيات المعهودة قام سالم ليصنع القهوة التي بعد ان شربناها تجمهر حولنا جميع ليتقصوا الينا اخبارهم وليسألونا عما يحدث في الكويت . كان يبدو عليهم الذهول والتعب لأن رحلة طولها ألفا كيلومتر على ظهور الجمال ليس أمراً هيناً خاصة بالنسبة للنساء . وكان المسافرون قد قابلوا محمد وحمود أولاد ابراهيم ... وحصة ابنة سالم التي جاءت من الشام . وقد فرحت كثيراً

لمقابلتنا .

وسألتنا غمشا عن صحتنا وصحة اصدقائنا الكثر في الكويت ثم اخرجت لنا هداياها الصغيرة التي تدل على عاطفتها نحونا . فقد أعطت زوجتي زجاجة صغيرة فيها ماء من زمزم البئر المقدسة بجوار المسجد الكبير في مكة . ونعرف عن هذا الماء بأنه من نفس المصدر الذي أحضر منه "ملاك جبرائيل الماء بأعجوبة لينقذ هاجر وابنها اسماعيل من الموت عندما تاها في الصحاري القفرة منذ عدة قرون .

واعطت زوجتي ايضاً بعض ثمار الدوم الذي له اساطير تتعلق به اخبرتنا ابادا زوجها في بعد . وقدمت غمشا لولدنا سعود جوارب وخيمة اشترتها من سوق مكة .. فكانت هدية مؤثرة . اما هديتي فكانت عبارة عن قطعة من الحجر الناري عليه علامات كتلك الموجودة على الحجر الأسود المقدس في الكعبة القائمة وسط الساحة الواسعة للمسجد الكبير .

وقالت غمشا : « لقد وجدت هذه القطعة على مسافة مسيرة يوم كامل من مكة فحفظتها لك لانك تود ان ترى كيف هو الحجر الأسود .

كان الحجر خشن الى درجة السواد فيه خطوط بيضاء وبه كانت تشبه احرف هجاء قديمة . ولا زلت احتفظ بهذه القطعة بين التحف الثمينة التي أملكها . ويزن هذا الحجر خمسة أرطال وقد حملته غمشا وسافرت عليه في سرج جملها مسافة تزيد عن الف ميل .

وبعد ذلك بدأ سالم يقص علينا تفاصيل رحلته الى الحج فوصف لنا الاشياء المدهشة التي رآها والواجبات الدينية المختلفة التي قام بها .

ولم يكن قد زار مكة من قبل فأثرت فيه هذه الزيارة تأثيراً كبيراً لانه كان يصف مشاعره بنوع من اللذة البارعة . ومن هذا الوصف البسيط الممزوج بالانفعال علمنا مقدار تأثير زيارة بيت الله وغفران الخطايا في جبل عرفات » على سالم وغمشا .

تمتد الاماكن المقدسة على طول مساحة كبيرة حول مكة ممتدة بعدد من

الاحمدة تقبت على مسافة من المدينة . ولدى وصولهم الى الحدود الشرقية نصب سالم وصحبه خيامهم هناك وغسلوا وطهروا انفسهم ولبس كل منهم رداء الاحرام – ابيض اللون للرجال وأخضر قاتماً للنساء – الذي يحتفظ به الزائر الى يوم التضحية الكبرى الذي يصادف اليوم العاشر من ذي الحجة وهو شهر الحج .

وقبل الدخول الى مكة قص كل من الرجال ثلاث خصل من شعره واحدة من كل جهة من الوجه وأخرى من وسط الرأس فوق الجبهة . وقصت كل واحدة من النساء قصة من مؤخرة ضفائرها طرفاً بوصتان . اذ يمنع قص الشعر وتقليم الاظافر للجنسين من اليوم الاول حتى اليوم العاشر من ذي الحجة .

وسار الجميع نحو مكة حفاة الأقدام – وكان الرجال حاسري الرأس – فوصلوها قبل الوقت المناسب بستة أيام فقاموا بالطواف خلال هذه المدة اي انهم طافوا سبع مرات حول الكعبة ملجأ الحمام المقدس ، والتمسوا موردهم في تقبيل الحجر الأسود ، وزاروا قبر ابراهيم وغيره من المزارات ، وشربوا من ماء زمزم . ويمكن للذين يصلون قبل الوقت كما فعل سالم وعائلته ان يقوموا بهذه الواجبات مرات عديدة .

ان الجزء الأهم من الاحتفالات هو الشهادة على عرفات . لذا فان المرء ان يغفل ذلك تبطل حجته ولو كان قد أدى جميع الفروض الأخرى . ان الوقوف على عرفات هو روح فريضة الحج ويجب ان يؤدى مع الجموع في اليوم التاسع من ذي الحجة وهو آخر يوم في السنة الهجرية .

وفي صباح ذلك اليوم حمل سالم وصحبه جمالهم بالخيام والطعام والأواني وتوجهوا نحو قرية عند تل جبل عرفات وهو عبارة عن تل مخروطي الشكل من الغرانيت على بعد ثمانية عشر ميلاً من مكة على طريق الطائف .

وهناك شهدوا أمام الجبل المقدس من الظهر حتى الغروب بين عشرات الالوف من الحجاج اللابسين أثوابهم البيضاء والجالسين بوقار يقولون لبيك ويشاركون في الصلوات والتأملات .

وفور غياب الشمس اندفقت الجموع عائدة نحو منى التي تبعد ثمانية أميال

بالمياه مكة ، حيث يتوجب على الحاج ان يقضي ثلاثة أيام . وبالقرب من هناك يوجد مكان الرجم بالحجارة وهو عبارة عن ثلاثة أعمدة يحيط بها جدار منخفض وتعرف باسم الشيطان الكبير ، وجمرة الوسطى ، والشيطان الصغير . ففي الصباح الأول يلقون سبعة أحجار على الشيطان الكبير ، وفي الصباح الثاني سبعة أخرى على جمرة الوسطى ، ويلقون سبعة أخرى على الشيطان الصغير في اليوم الثالث .

ومع انه من المفروض على الحاج ان يلقي الحجارة كل صباح أثناء اقامته في منى لكنه في الحقيقة تنتهي مراسم الحج رسمياً في اليوم الأول من تلك الأيام الذي يصادف العاشر من ذي الحجة ، ويسمى هذا اليوم عيد الأضحى او عيد الضحية . وبعد أن ألقى سالم حجارته على الشيطان الكبير قام بما يسمى التضحية الكبرى بأن ذبح خروفاً . وفي نهاية الأيام الثلاثة التي قضوها في سهل منى عادوا فلبسوا ثيابهم الأصلية ورجعوا الى مكة حيث حلق الرجال رؤوسهم اما نحن فقد قصّت قطعة صغيرة من طرف شعر رأسها . وقضى سالم وصحبه اربعة أيام في مكة حيث زاروا الأماكن المقدسة مرة أخرى .. وفي اليوم الخامس غادروا المدينة المقدسة عائدين الى الكويت . وقد استغرقت رحلتهم من مكة الى حيث يخيمون في رجم الجهثان شهراً كاملاً من السير المتواصل .

وقد احضروا معنا من الكويت خروفين سمينين مع بعض الضروريات الأخرى كالقهوة والأرز والدهن والزبيب والتمن ، فأقمنا للحجاج العائدين تلك الليلة وليمة عامرة لم يذوقوا مثلها منذ زمن فأكل الجميع مريئاً حول النار وشكروا الله .

وأخبرنا سالم حكاية نخيل النوم الذي ينمو في بساتين مرّان التي تقع على طريق الحج المؤدية من العراق والكويت الى مكة والتي تبعد حوالي ٩٠ وخمسين ميلاً الى الشمال الشرقي من المدينة المقدسة . وثمر النوم ذو لون بني قاتم شديد اللمعان في حجم إجاصة صغيرة . ويبلغ طول إحدى الاثمار التي اهدانا بحث ازوجتي ٦٥ مليمتراً ويبلغ عرضها ٥٩ مليمتراً ، ولم يكن في داخلها نواة ولكنها قاسية جلدية الملمس وغير ذات طعم . وقد اعطانا العرب « دوم » أي الطير .

وقال محمد ان اسطورة هذا الثمر تعود الى زمن رسول الله محمد بن عبدالله . اذ حدث ان كان الرسول يسير مع بعض صحبه في الطريق الى مكة فوصلوا ضواحي مران وهم في حالة من التعب والاعياء فتوقفوا للاستراحة في واحة وارفة الظلال فيها أشجار نخيل محملة بتمور شهية . وكان صاحب البستان منشغلاً بجر الماء الى حديقته فاقترب منه الرسول وسأله اذا كان بامكانه الاستغناء عن عدة حبات من الثمر لمسافرين متعبين تمكنهم من متابعة سيرهم . وأجابه صاحب البستان بصفاقة :

ــ اذهب أيها المتسول .. ليس لدي ثمر ان ما ترى على هذه الاشجار ليس إلا حجارة .

فغضب الرسول من هذا الجواب الوقح فأشار الى التمور وقال :

ــ ان تجعلها حجارة الى آخر يوم .

ومنذ ذلك الحين ، قال سالم ، وكل أشجار النخيل في تلك الواحة والوادي تحمل الحجر بدلاً من الثمر . وعندما يمر الحجاج من هناك في طريق عودتهم من الاماكن المقدسة يحملون معهم من هذه الثمار الذكرى دليلاً على صدق كلمة الرسول محمد بن عبدالله .

وعندما همّنا للنوم كانت الساعة التاسعة والنصف وكان الجو بارداً ملبداً بالغيوم ، والبرق والرعد الشديدان ينذران بعاصفة هوجاء . وبدأت تتساقط هذه العاصفة فنهض سالم والفتاة النائمة بالجوار تحت سقف خيمته لأنه في مثل تلك الليلة تكثر الذئاب . ولم ينس ان يحذر الرعاة من ذلك ويطلب اليهم ان يوقدوا النار حول المكان طوال الليل .

كانت مخاوف سالم في محلها . اذ ان ذئبين ، ذكر وانثى كانا قريبين من آثارهما ، هاجما القطيع الساعة الواحدة صباحاً عندما كانت السماء قد بدأت تمطر ، وحملا معهما نعجة ممتازة .

وبالرغم من النباح الشديد الصادر عن كلاب الرعاة ، تمكن الذئبان من الفرار بفريستهما التي وجدنا بقاياها في الصباح الباكر وقد أكلتها الذئاب كلها باستثناء

المطر وتجلد على حوالي ثلاثاية بالقرب من الخيمة .

ومن السهل تصور مسا حدث . ان الكلاب هاجمت بعنف وبجرأة ولكن أسياد الشتين كان يصدها فيا راح الآخر ينهش من الفريسة والمكس بالعكس . ونظراً لشدة الظلام والمطر لم يتمكن الرجال من القيام بمطاردة فعالة .

وعدنا الى الكويت نشعر ببعض الأسى ولكن عائلة سالم التي تبعتنا بعد يومين لم يكن يبدو عليها أي قلق بل على العكس كانوا شاكرين لعودتهم ورؤية اصدقائهم .

وقبل ان نغادر رحبيه ابهجتني أفضت لي عمشه بأنها قررت ان تسمح لسالم ان يتخذ زوجة جديدة على أمل ان تنجب له ولداً . لأن عمشا طوال هذه السنين لم تنجب له ولداً وقد رأت في نومها حلماً وهي في حبس عرفت بقضي بأن التصرف بشئ تطريقة . وقالت ان سالم كان الى ذلك الوقت مخلصاً في حبه لها ومتمسكاً بها وانه يستحق زوجة جديدة . وتزوج سالم فتاة من رضية المجيت له ولدين . وكانت عمشا سعيدة بها وتعتني بها كأنها ولداها .

وهنالك شيء أود ان اسجله هنا وهو ان سالم عندما توجه الى مكة من أبرق خيطان حيث كان مخيماً خروج الكويت ترك خلفه كلبه وهو تذكر زمني فيحرب قطيعه في غيابه . وهذان الكلبان اسودا اللون يحيدان صد الذئاب ومطاردتها . وبعد مسيرة أربعة أيام من الكويت افاق سالم ليجد كلبته السوداء تلوح بذنبها وتقتمس له . ويبدو انها قد احست بأن سيدها قد هب في رحلة طويلة فتبعته مستدلة على الطريق بحاسة الشم . وقد دهش سالم عندما رآها فقرر ان يأخذها معه في رحلته اذ انه لم يعد لديه وقت لاعادتها . وظلت الكلبة الوفية تتبع سيدها الى ضواحي مكة المكرمة . وبوحيه منه في ان لا يدخلها الى المدينة المقدسة ، طلب سالم من فريق من البدو مخيمين الى جانب الطريق ان يعتنوا بها لمدة اثني عشر يوماً فوافقوا وشدوا رباطها لمنعها من اللحاق بصاحبها .

وفي طريق العودة من مكة مر سالم ليأخذ الكلبة فقيل له انهـا قطعت رباطها وهربت . ولم يكن بامكان سالم ان يؤخر رحلته فقضى يوماً واحداً في

البحث ثم أكمل سيره . ولما وصل الى رجم الهيثان وجد الكلب الآخر كسير القلب لا سيا بعد ان رأى ان صديقته ليست مع الغائدين . ويبدو انه عرف انها ذهبت مع سالم فظل ينتظرها بقارع الصبر مدة ثلاثة أشهر وبعد ان بحث عنها يومين متواصلين ولم يجد لها أثراً قضى ثلاث ليال متواصلة فيا يشبه النحيب ثم قضى نحبه .

وعلق سالم على هـذه الحادثة بقوله : الحيوانات كالبشر تحب اصدقاءها .. الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه .

انقطاع السوار

بقلم فيوليت ديكسون

في شتاء سنة ١٩٤٤ وربيع سنة ١٩٤٥ أقمنا خيمتنا في بلاد الحمض عبر الشق على بعد ستين ميـلاً من الكويت . وقضيت هناك عدة أيام في نهاية شهر شباط قبل ان يأتي زوجي في المدينة . وكان معنا بالاضافة الى سالم المزين ونسائه عدد من عائلات آل مرة وعدوان وعوازم ومن فرع الديهين في مطير .

وكان في الخيمة المجاورة لنا صالح المري وزوجته قمره وابنه محمد . ولصالح صلة قربى بالشعش شيخ فرع لحبية في آل مرة ، وكان يعمل في خدمة الشيخ عبدالله المبارك الصباح كرئيس لفقتي الآثار . وقد انجبت قمره طفلها الثاني في الخيم في كانون الثاني وصادفت ولادة معسرة وأياماً عصيبة أثرت على صحتها مما اضطر صالح لأن يحصل على اجازة ويبقى الى جانبها ريثما تتحسن حالها ولكي يكون بامكانه الاشراف على جمـاله وأغنامه . وقد أخذنا لها بعض المواد من الدكتورة الآنسة كراوز وبعض الأرز لانهـا لم تكن تستطيع أكل مسحوق الحنطة او الشعير الذي كان كل ما تستطيع الحصول عليه بموجب بطاقـة الاعاشة .

وخلال ليلتنا الأولى في الخيم استيقظت على اصوات رجال يتحدثون بالقرب منا عرفت صوت احدهم وهو سالم المزين الذي كان يتحدث الى رجل آخر ليس

بعيداً عنه .

ولم تكن لدي فكرة عن الوقت الذي جرت فيه الحادثة ولم يقلقني ذلك بل عدت الى النوم من جديد . وفي صباح اليوم التالي ذهبت لأشرب القهوة في خيمة سالم فأخبرني عن وصول ذلك الغريب اثناء الليل .

كان سالم نائماً في خيمته عندما سمع الكلاب تنبح بضراوة فهب ليعرف السبب لأنه ظن أن عدواً قد يحاول اقتحام مع ان الذئاب لا تأتي في مثل ذلك الوقت من السنة . وسمع سالم صوت رجل يصيح بجد ورأى في ضوء القمر بدوياً ينزل خارج خيمتي فذهب اليه وطلب منه ان يأتي الى خيمته حيث سقاه القهوة وأطعمه التمر والحليب . والغريب هذا سيحدث سأتنقل بعضه يعود الى الكويت . وكانت لديه اكياس مليئة ببعض الاقراص التي ينوي بيعها في المدينة مستعجلاً الوصول لأنه سمع في شهر السابق ان الاسعار مرتفعة . كل ذلك كان وقائع عادية .

وفيما نحن نتحدث عن الغريب جيء صالح المري من خيمته الصغيرة وانضم الينا حول النار . وبعد تدوير القهوة اخذناه الى حيث قعد الجمل خارج خيمتي وسألته عن نوع الجمل فأجاب من الصدور : « انه جمل ذكر اصفر اللون » .

وهرع الى المكان الذي ركع فيه الجمل امام خيمة سالم وعاد ليقول : « نعم انه ذكر اصفر اللون » .

وسألته : من يكون راكب الجمل ؟

ولكن أناساً كثيرين قد مروا امام الخيمة منذ الصباح الباكر بحيث ان آثار اقدام الغريب قد ضاعت . وأراد سالم ان يسأل صالح المري فهمس في أذني قائلاً :

— والله ان الجمل اصفر اللون لأنني رأيته بوضوح في ضوء القمر . ولكنني سأقول لصالح انه على خطأ وان الجمل أنثى بنية اللون . ونصحته ان لا يفعل ذلك لانه ليس عدلاً . وقلت لصالح انه على حق فأكد سالم ذلك .

وفي اليوم التالي خرجت طول النهار مع صالح لجمع الجمار الصحراوية بصحبة

والمشين ، عمتا زوجة سالم وعمتا ابنة أخيه ، وشاب يدعى حمود كان يرعى جمال سالم في ذلك الوقت . وقد حملنا غداءنا المكون من الفحم والتمر والشاي والقهوة والخبز على حمار . وبعد ان قطعنا مسيرة ثلاث ساعات انتهينا الى منخفض رائع مزدان بشجيرات الرمض الكبيرة والأزهار البرية الجميلة التي يبلغ ارتفاعها حوالي قدمين . وهناك أشعلنا نارين واحـدة للنساء وأخرى للرجال وتناولنا الغداء ، وشوينا بعض الجراد التي التقطناها كما نشوي الجنادب وأكلناها بعد ان رششنا عليها الملح .

ولمح صالح بعض آثار قنفذ في قالالاان هناك ارنباً بريا في مكان اقبيس بعيد ولكنني لا استطيع ان اقتنص آثاره لان الأرض صلبة ، فيها حصى كثير .

وبعد الغداء كنت أتجول في المكان فرأيت ثـلاثة ارانب صغيرة ملقاة تحت احدى الشجيرات ولم اخبر صالح بذلك لأنني لم اكن أريده ان يمسكها . وتكلمت سوالي لاالتقاط الاربع ، قافز من تحت احدى شجيرات الرمض ارنب كبير على بعد مسافة من الأرانب الصغيرة . ولما عدت الى الجماعة اخبرت صالح بما شاهدت تشرح لي ان الأم لا تبقى بالقرب من صغارها اثناء النهار ، ولكنها تعود اليهم في الليل . وقال : ليس هنالك شك في أن الصغار الثلاثة هم أولاد الارنب الكبير ولو رأيتهم لنصبت لها فخاً وامسكت بها هذا المساء عندما تعود اليهم .

وفي طريق عودتنا اخبرت من رغبتي في العثور على عش لحبارى فيه بيوضها . فأجاب صالح بأنه يعرف كيف ينصب الفخ للايقاع بالحبارى ، ويبدو ان هذا الطائر يترك آثاراً عندما يتوجه الى عشه ولكنه عندما ينهض عن بيوضه يغادر العش تاركاً آثاراً أقل وضوحاً من الآثار الاولى . فالذي يريد التقاطها يبني حول بيوضها جداراً من الحصى من ثلاث جهات ارتفاعه خمس بوصات وينصب الفخ على المدخل . وهذا الفخ ليس مغطى بالتراب بل بقطعة قماش قـذرة تمنع انكسار أرجل الطائر عندما ينطبق عليها الفخ . وقال صالح ان الذكر منها أحياناً يدور ويدور حول الشجيرات في مكان ليس ببعيد عن العش ويمكن الامساك به بنفس الطريقة . ولسوء الحظ لم نصادف أي أثر للحبارى في طريقنا .

وفي الأول من آذار جاء زوجي «ابو سعود» كما يسميه البدو الى الخيم . وصادف ان كان ذلك اليوم هو اليوم الأربعين لولادة الابن الثاني لصالح المري الذي جاء الى خيمتنا بعد الغداء وجلس الى جانب النار ثم أخذ يشرح لنا بصورة جدية ان العادات الدينية لآل مرة تقضي بأن يربط خيط فيه قطعة من الشيان حول يد الطفل اليمنى . ويقطع هذا الخيط في اليوم الأربعين .

وقال صالح : وهذه المهمة يقوم بها رجل شجاع كريم صالح تقي مستقيم .

ثم أعرب عن رغبته في ان يقوم ابو سعود بهذه المهمة . فبالرغم من وجود عدد كبير من الرجال الذين تنطبق عليهم الأوصاف المطلوبة ، لم يفكر صالح وزوجته بأحد أفضل من ابي سعود لهذه المهمة .

وأبدى زوجي موافقته وارتياحه ثم توجهنا الى خيمة صالح . وكان الطفل نائماً في « مزيع »* ملفوفاً بقطعة قماش مشدودة بحبل من الصوف . وعندما جلسنا أخذته أمه من المهد وفكت الرباط بحيث تمكنت من سحب ذراعه اليمنى . ثم أتى صالح بمقص سلمه لزوجي وقال : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وقص زوجي الخيط متمنياً للطفل باسم الله عمراً طويلاً وحظاً سعيداً متمنياً أن يصبح الطفل فارساً شجاعاً كأبيه . وقد سر الوالدان بذلك فحييت سروراً كبيراً .

وقال صالح :

- لقد احببناه دكسن . ان قبيلة آل مرة تعرف ذلك الآن لأنك أرسلت لهم خيراً .

وقبلك قرر ان يسمي ابنها دكسن ولكننا كنا نعرف انه في الحقيقة لم ان تسميه سالم فاقترح زوجي أن يسمى الطفل سالم دكسن .. فساد السرور الجميع .

وقال صالح :

* - المزيع يعني المهد بلغة آل مرة . هو مصنوع من الجلد الذي يكون تحته مسند عودي خشبي او [illegible] الكتفان ، ويسميه العجمان الجنايه .

— ماجد شروقيا عمره ستة أشهر وعشرة أيام وأدعوكم بهذه المناسبة . وسأدعوكم ان شاء الله يوم الجمعة القادم لتأتوا وتشاركونا في الوليمة .

وقلت له ان الارز علينـــا وستحضر معنا خمسة وعشرين رطلاً من أجل الوليمة .

ابنة قرزه

بقلم فيوليت ديكسون

أنجبت قرزه طفلة في حوالي منتصف شهر تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ . وقد رأيتها في اليوم الثاني فوجدتها طفلة حلوة ذات وجه مدوّر .

وقالت قرزه : لقد سميناها خاتون على اسمك .

وخاتون معناها السيدة وكان يناديني العرب بهذا الاسم .

وفي التاسع من شباط في السنة التالية كتبت عن خاتون ما يلي :

أصبح عمرها الآن حوالي الثلاثة أشهر وهي تنمو كأحسن مما يكون نمو الاطفال في عمرها . وكانت ثلثة بهدوء في مزبجها وقد شدت ملقتها جيداً . ومع ان الطقس كان بارداً لكنها كانت دافئة . واشترتني قرزه سر ذلك بأن اركتي حاوناً نحاسياً كبيراً تدق فيه القهوة وقد امتلأ جمراً . وقفت رابط خاتون وسمح لها ان تلعب فترة قصيرة في حضن والدتها . وعندما بدأت تشعر بالبرد نقلتها قرزه الى جانب النار حيث كانت تقل الغريبة لمشاء ، وممددتها على قطعة قماش جافة فوق بعض الرماد الدافىء الذي أخذته من الفرن ، ثم رشت بعض الرماد على ساقيها وذراعيها والتها بالباش بعد ان مددت لها رجليها وشدت يديها الى صدرها ثم لفتها بقطعة قماش ثانية ربطتها من الأعلى الى الاسفل جيداً . وكانت تبتسم شاعرة بالدفء فأرضعتها امها قليلاً قبل ان تضعها في المهد ثانية .

« وشرحت لي قرزه ان الرماد المأخوذ من براز انثى الجمل له رائحة طيبة . وبهذه الطريقة وبعد تشميع اللفة بدخان البخور تظل الطفلة نظيفة مرتاحة .

وقالت لي : « انظري ما احسن ساقيها كل ذلك لأنني ابقيها دافئة غير مبللة.



اني اقيم لها المائدة كل صباح وكل مساء . انظري الى ابن سالم القزين انـه يحيل بابه رجلاد لا يعرفان القطف، ويقولون أنه انيب حضرية وتقفل له ثيابه داالــــ وبذلك يبقى رطباً بارداً .

« إن نساء آل مرة يعرفن في الحقيقة كيف يعتنين بأطفالهن . وعندما يبلغ طفلهن أربعة أشهر من العمر ستصنع فـ رأسها زناراً دائرياً محشواً بالاعشاب الطبية تربطه حول عنقها . ويقولون ان ذلك يمنع الامراض .

فلك اسماعيل

انتهت الحرب العالمية الثانية ثـم العمليات في شركة نفط الكويت مدير عام أميركي معه جهاز من الموظفين الانكليز والاميركيين . وفي خريف عـام ١٩٤٥ بدأ الحفر والتنقيب من جديد .

وفي تلك الأثناء كنت اقضي مع زوجتي اجازة قصيرة في بلدة شتورا اللبنانية في سهل البقاع على طريق دمشق . وفي حزيران الماضي كانت قد قامت ثورة في دمشق فقصف الفرنسيون المدينة من مواقعهم في الصالحية . كان كل شيء هادئاً الآن بعد ان تم جلاء الجيوش الفرنسية عن سورية . وكانت الفرقة الهندية المسلحة الواحدة والثلاثين تعسكر بالقرب من المدينة فكان ينظر الى البريطانيين بأنهم أصدقاء الجميع . وكان ولدنا سعود في فرقـة هودسون الخيالة التي تشكل جزءاً من الفرقة الهندية ، فلذلك اتيحت لنا الفرصة ان نقابله في دمشق .

كان الكولونيل ستيرلينغ* الذي عاد مؤخراً من لندن بعد ان قضى اجازته هناك يعيش في دمشق وبدوي منطقة الصحراء . وقـد قابلناه صدفة عندما جاء الى الفندق الذي نزلت فيه في شتورا ذات صباح . وقد ذكرت أمامه اننا نود ان نرى « مركب اسماعيل » او « فلك اسماعيل » الخاص بقوم آل رولة في قبيلة

* ... اسمه الكامل جيمس ستيرلينغ وهو رجل مدهش له معرفة لا تضاهى بشؤون الشرق الأوسط . وقد قتل قبل ثمانية اشهر من كتابة هذه السطور اذ دخل خمسة مسلحين الى منزله في دمشق وأطلقوا عليه النار فأصيب في خمسة أماكن من جسمه .

عنيزه . وكان الأمير فواز بن نوري الشعلان شيخ الرولة الذين يقطنون الصحراء المجاورة لدمشق قد عاد من رحلة الى الولايات المتحدة وبريطانيا استغرقت ثلاثة أشهر . وحدث أن التقى به الكولونيل ستيرلينغ في لندن قبل عدة أسابيع فرحب به وأكرمه ودعاه الى الغداء في فندق سافوي . وقال ستيرلينغ انه يمكن ترتيب زيارة للامير في مخيمه الصيفي بمدرا على بعد عشرين ميلاً الى الشمال الشرقي من دمشق .

والمركب عبارة عن هودج كبير خاص بالنساء له إطار خشبي من أغصان شجر استوائي خاص وحلة الاطار مغطى بريش النعام . ويسمى هذا المركب « فلك اسماعيل » تخليداً لأول عربي رحل اسماعيل بن ابراهيم الخليل من زوجته المصرية هاجر .. ويقال ان اسماعيل قد بنى المركب الأصلي . ولا شك في ان المركب قديم العهد وربما كان عمره أكثر من الف ومائتي سنة وقد افتقد خشبه وكل ريش النعام فيه ولكن الرولة يجددونه ويصلحونه حفاظاً على قيمته التاريخية .

وعندما تدخل عنيزه في معركة تركب ابنة الشيخ المركب وتتقدم وسط قوات القبيلة لتحث المقاتلين على القيام بأعمال البطولة . ويقال انه عندما تدور رحى الحرب يكبل اجمل الابل المركب بالسلاسل حتى لا يفرانه . واذا ما اتجهت المعركة ضد عنيزه فيسمح بالتراجع الى حين المركب فقط حيث يتوجب على الجميع القتال حتى الموت دفاعاً عنه وعن السيدة الجالسة داخله .

وقد ابلغني الشيخ أحمد مرة ان هودجاً مماثلاً استخدمه ابن سعود في معركة جراب سنة ١٩١٥ ، وان الشيخ مبارك حاكم الكويت لجأ الى نفس الطريقة سنة ١٩٠١ عندما حدد ابن رشيد بالهجوم على الجهراء بأمر من الاتراك . ووضعت ابنة مبارك في الهودج وهي من أجمل نساء آل الصباح وقد فكت شعرها وحسرت رأسها ورفع الحجاب عن وجهها . ولم يصحب ابن رشيد لتجمع الكويتيون حول السيدة وقاتلوا الى آخر رجل .

ومما لا شك فيه ان هذين المركبين ليسا سوى هودجين حليا بالزينة . والاسم

الحقيقي الذي يطلق على الواحد منها هو « مكسر » اذ انه يشبه سرج الجمل العادي الذي تستخدمه نساء مطير وعجمان وحرب والظفير . وقد اخبرني الشيخ خالد الهذلان (ذيب سهان) سنة ١٩٣٤ ان عجمان لا زالت تستخدم مثل هذا المركب عندما تذهب الى الحرب ، وترفع أجمل سيدات القبيلة في سافرة لحث الرجال بالزغاريد التشجيعية على الاندفاع الى المعركة .. ولكن عجمان تسميه « مكسر » ايضاً . وحسب معرفتي فان الروله هي القبيلة الوحيدة التي تستخدم المركب الحقيقي كشعار قبلية ومما لا شك فيه انه يعود الى اقدم الأزمان .

وبعد عدة أيام عاد الكولونيل ستيرلنغ لزيارتنا بعد ان قابل الامير فواز وقال ان الامير سيقيم مأدبة عشاء في خيمته مساء الأحد عند الغروب واننا سنكون بين المدعوين لهذه المأدبة . وفي الساعة السادسة والربع من مساء يوم الأحد السادس عشر من ايلول وصلت سيارة سيدي زوجتي وانا الى منزل الكولونيل ستيرلنغ حيث التقينا بالمدعوين الآخرين وهم : تريفور ايفانس القنصل البريطاني في الشام وزوجته ، وقائد القوات البريطانية ، والكولونيل موريغان من دائرة الاستخبارات ، واربع أو خمس ضباط آخرين من القيادة العامة .

وتوجهنا جميعاً مع الكولونيل ستيرلنغ عن طريق بغداد الرئيسية الى الغرب من عذرا حيث كان أحد المرشدين في استقبالنا لقيادتنا في طريق فرعي مسافة نصف ميل الى خيمة الامير التي كانت تشع بالكهرباء بعد غياب الشمس حيث انها حجبت جميع خيام القبيلة المحيطة بها . وكان صوت المحرك الذي يولد الكهرباء يأتي من مسافة الى اليمين . وقد اصطف بجانب الخيمة عدد من السيارات وسيارة كبيرة تتسع لخمسة عشر راكباً .

كانت الخيمة التي تتجه مقدمتها الى الجنوب تقوم على أحد عشر عموداً مركزياً . وعند العمود الخامس من جهة الغرب قسمت الى قسمين بقاطع مطرز فخم ارتفاعه اثنا عشر قدماً ويصل الى أعلى الخيمة ويمتد مسافة عشر يردات من واجهتها . اما القسم الغربي فكان مغطى بسجاد فخم عليه طنافس ومساند للضيوف . وأعتقد ان سيدات الأمير كن يشغلن القسم الشرقي من الخيمة .

وفيما نحن نسير لنحتل مقاعدنا في الطرف الشرقي من القسم الغربي من الخيمة رأينا المركب امساء القاطع والى يمينه ويساره عبيد مسلحون يقومون على حراسته . وكان منظره رائعاً اذ يبلغ طوله خمسة عشر قدماً وارتفاعه سبعة اقدام وكان قد أصلح فظهر في حالة جيدة عليه نسيج شماتل من ريش النعام بنية وسوداء اللون وضعت اثنتين اثنتين عند القمة تتأرجح مع النسيم . وكانت جوانبه مغطاة بريش نعام صغير رمادية اللون الصقت بالاطار الخشبي .

وعندما جلسنا في اماكننا على الفرش امام المركب انضم الينا في الخارج الى بعضهم حول الجهات الثلاث المكشوفة في الخيمة مشكلين جداراً حياً صامتاً اذ لم ينبس أحدهم ببنت شفة مع ان عددهم كان يربو على الخمسين رجلاً .

ووقف في وسط الخيمة عبدان معهما بندقيتاهما ويلبسان ثياباً قرمزية موشاة بالذهب على الطراز النجدي ، في مواجهتنا ينتظران الأوامر . وجاء أولاد الأمير الثلاثة – أكبر من أحدهم هي : محمد ومتعب وسلطان – وجلسوا بيننا . وكان متعب الذي يبلغ من العمر اثني عشر عاماً يتكلم الانكليزية جيداً وأخبرنا عن الحياة في الصحراء . وكان في جيبه قلم حبر اشتراه له والده من اميركا ولكنه لم يكن بإمكانه استخدامه لعدم وجود حبر عنده ! ووعدته السيدة البنانى بأن ترسل له زجاجة حبر وآمل ان لا تكون قد نسيت .

وكان الأمير فواز مضيفاً رائعاً فكان ينتقل من ضيف الى ضيف ويتحدث بالعربية او الفرنسية أو عن طريق كاتبه .

واقترب موعد العشاء لأن بساطاً أسود قد مد على طول الخيمة ، كما دلت على ذلك أيضاً تحركات العبيد الذين شغلوا بإحضار الطعام . ثم دخل العبيد يحملون خمس صواني كبيرة من اللحم والأرز ، يبلغ قطر الواحدة منها ستة اقدام على الأقل وضعت وسط البساط الأسود . وهذه الصواني هي من نوع « ابو كرسي » النوع الأكثر انتشاراً بين البدو وهي عبارة عن لوحة مستديرة من النحاس بلون الفضة تقوم على قاعدة منحنية ارتفاعها ثماني بوصات ولها مقابض تحمل بها من الجانبين . ووضعت حول الصواني صحون صغيرة من المرق وأرغفة

من الخبز المرقوق .

وقال مضيفنا « سموا » فلبينا دعوته وبدأنا الأكل . وقـدم لكل ضيف أوروبي صحن إضافي مع سكين وملعقة وشوكة ووضعت على ركبته محرمـة بيضاء جديدة . وكان الأرز على شكل تلة صغيرة مغطاة بقطع اللحم فوقها على كل صينية رأس خروف. ومن عدد الرؤوس الموجودة تبين لي ان خمساً وعشرين خروفاً قد ذبحت لهذه الوليمة .

ولم تؤثر جهودنا التي بذلناها في الأكل على أكوام الطعام الموضوعة أمامنا . ولاحظت ان الأمير الذي كان جالساً الى يميني لم يأكل من الطعام شيئاً بل كان يساعدني ويساعد غيري من الضيوف في انتقـاء قطع اللحم الشهية . وبعد ان انتهينا من الأكل نهضنا عن المائدة وقام الذين أكلوا بأيديهم مثلنا وغسلوا أيديهم عند طرف الخيمة قبل ان يعودوا لاحتلال مقاعدهم .

ثم انصب الشيوخ على الطعام ونهضوا بعـد ان أكلوا كفايتهم تاركين نقصاً ملحوظاً في كمية الطعام . وجلس رفقاء آخرون على المائدة وتناولوا طعامهم قبل ان تنقل الصواني من الخيمة وقد فرغت تقريباً . ولم يبق في الصواني حتى العظام لأن العادة جرت ان يأخذ بعض المدعوين معه قطعة او قطعتين لشخص صغير في خيمته لم يكن له شرف الحضور مع والده . وبعـد أن أزيح الصحن الأخير ونقل البساط الاسود بقيت على قطع السجاد في ارض الخيمة حبوب من الأرز تناثرت هنـا وهناك فهرع أربعة عبيد وأخذوا السجاجيد ونفضوها في الخارج بلمح البصر وأعادوها الى مكانها بالسرعة ذاتها .

وأدار علينا القهوة عبد يحمل عدداً من الفناجين في يده اليمنى وابريق القهوة في يده اليسرى . ثم دارت علينـا كؤوس الشاي وبعدها القدح الكوكولونيل متيرانج أين نعود الى دمشق ولكن الأمير استوقفنا قـائلا : لم تأكلوا الفاكهة بعد .

وطلب الفاكهة فأحضرت على طاولة طويلة اوقفاها قدم واحد وحملا بالعنب الأبيض والأسود والبطيخ الأصفر والأحمر والخوخ ووزعت علينـا الصحون

والفكاكين فيما جلسنا حول الطاولة واستمتعنا كثيراً بتلك الفاكهة الشهية . وأشار الامير الى انه دفع مؤخراً في لندن سبعة جنيهات ثمن كمية من العنب توازي ما بقي في الصحن بعد ان أكلنا جميعنا منه . وبعد ان انتهينا من أكل الفاكهة صب أحد العبيد الماء على أيدينا وعدنا الى الجلوس في أماكننا السابقة . ثم دارت علينا القهوة من جديد .

وبعد برهة استأذنا الامير بالذهاب لنخرج لرفاقنا الى السيارات . وكنا على وشك الذهاب عندما قيل لنا اننا يجب ان نرجع لسماع خطاب أعده شيخ العشيرة .. فعدنا الى حيث كنا نجد شيخ واقفاً وسط الخيمة وفي يده خطاب مكتوب أخذ يلقيه . ورحب الخطاب بنا في خيمته وأعرب عن الأمل في توطيد الصداقة مع الذين أتكلم عن الفرنسيين .

وبالتالي حصلت على معلومات وافية عن المركب من نايف بن نوري الشعلان شقيق الأمير والذي كان موظفاً في الحكومة السعودية بالطائف .

قال لي : ان هذا المركب هو الوحيد من نوعه في العالم الآن . ولكن القبائل الأخرى كانت تملك مثله في غابر الزمن تلك هوامج عادية أصغر بكثير وعليها ريش النعام ويسيرون خلفها في المعركة .. وهي ليست كالتي عندنا .. انها لم نعد نملكه . أما إذا استولى الاعداء على هذا المركب فإن قبيلتنا تنتهي الى كل الأزمان لأننا جميعنا نموت دفاعاً عنه . وإذا أخذ منا لا سمح الله فلن يصنع واحد جديد ليحل محله في قبيلتنا .

وسألته :

– في حالة الحرب مع قبيلة أخرى .. أي الفتيات تركب فيه ؟

فقال : احدى سيدات الشعلان اما ابنة الشيخ او ابنة اخيه واما ابنة أقرب الذكور إليه .

مثال رجل من عجمان

أثناء غيابنا عن الكويت وقع حادث في أوائل ابريل فكان ليس بعيداً عن

آبار حبارية . وتورط في الحادث فيصل بن عبدالعزيز الماجد الدويش الابن الأكبر لصديقتنا فيما شقيقة مشا .

كان الدوشان يمضون اشهر الصيف عند آبار حبابة قرب الصفا وكانوا يعتزمون الانتقال قريباً ولكن الى مكان آخر بحوالي الآبار الى أن تهطل الامطار الاولى . وقرر فيصل ان يذهب مع صديق له من عتيبه الى الاحساء لتصفية أعمال تتعلق بموسم التمر الجديد .

وركبا ذلولين ممتازين وسارا على بركة الله الى أن وصلا بعد مسيرة يومية الى مكان عند الظهر فيه رجلان من قبيلة عجمان يطشبان الى قوم الشيخ عبدالله بن جمعه سبب كلا بعيان حافيا . وترجل فيصل ورفيقه والقيا التحية على الرجلين اللذين ردا بمثلها ، وطلبا وعاء يحلبان فيه احدى النوق لأنها يشعران بالعطش . فسحب الرجلان من قربة ملأى بالحليب قائلا "نها حليناه منذ ساعات قليلة" . ورفض فيصل ان يشرب من القربة وأصر على أن يعطى حليباً طازجاً من احدى النوق فلما هم بذلك أخذ فيصل على أثره الوعاء وتقدم يمسك باحدى النوق ويحلبها بالقوة .

وخشي أحد العجمانيين تطور النزاع فتوجه الى جمل فيصل دون ان يلاحظه أحد وانتزع منه البندقية المشدودة الى السرج وألقاه بين الاعشاب ثم تبع فيصل . وتعارك الرجلان بالأيدي واللكمات ثم تباطحا على الارض . وكان فيصل أعزل من السلاح ولكن العجماني كان يحمل خنجراً على وسطه أمسك به فيصل قبل ان يسلك صاحبه ، وطعن الزاعبي فيه بعمدته . ولم ينتظر ليرى ما اذا كانت جروح الرجل بالغة بل تركه ملقى على الارض وركب ورفيقه جمليهما بسرعة وانطلقا نحو الجنوب الشرقي .

وبعد أن حمد الزاعبي الآخر جروح زميله انطلق بسرعة الى خيام رجال من آل مرة كانوا يخيمون في مكان مجاور ورجع ومعه أحد أولاد العريف الثلاثة الذي تقصص الآثر وقال ان الغريب الذي طعن الرجل العجماني هو من عائلة الدوشان في مطير .

ووضع الجريح على ظهر جمل ونقل الى جاريه عليا حيث أخبر الأمير قصته كاملة قبل أن يفارق الحياة متأثراً بجراحه في اليوم التالي . وأبلغ الأمير الحادث الى الرياض فتلقى تعليمات بأن يرسل فريقاً لمطاردة الرجلين الفارين برئاسة أحد مفتشي الآثار من آل مرة ، وأن يرسل عدداً من رجاله الى آبار حابه ليحضر أحد شيوخ الدوشان كرهينة .

ولحق المطاردون بالرجلين بعد عدة أيام في شواطئ الاحساء فأعادوهما الى جاريه حيث أودعا السجن انتظاراً لصدور حكم العدالة . وقد استاءت قبيلة عجمان كلها من هذه الجريمة النكراء والتقت على ان لا تقبل أي فصل بشأنها بل طالبت برأس فيصل بن عبدالعزيز . وقدم شيوخ الدوشان جميعهم الى جاريه وعلى رأسهم بندر الدويش الشيخ الأعلى في مطير لمراقبة الأحداث عن كثب .

ومر شهر تشرين الأول بكامله وعجمان تصر على رفض قبول المال في تسوية القضية وظل شيوخ عجمان وشيوخ الدوشان مقيمين في جاريه . ولم يسبق ان شهدت الجزيرة العربية بحادث ترهق فيه روح أحد الدوشان مقابل مقتل رجل من عجمان .

وفي تشرين الثاني ، وكنا قد عدنا الى الكويت ، أمر الملك ابن سعود قبيلة عجمان ان تقبل دية قدرها اثنا عشر ألف روبية فضاً للنزاع . ومن مزايا العظمة التي يتمتع بها الملك انه لم يأمر الدوشان ان يدفعوا في الحال . وبدلاً من ذلك أرسل من مكة حيث كان في ذلك الوقت الى ولديه محمد وناصر اللذين كانا في الرياض آنئذ ليدفع كل منهما خمسة آلاف روبية الى عجمان وكان ان يدفع المبلغ الباقي فيصل وصديقه العشي بالتساوي وبعد ان دفع المبلغ اطلق سراح السجينين وعادا الى أهليهما .

ان حكمة هذه التسوية تكمن في أن الشريعة طلبت دفع المال ، ولكن تجنباً لنشوب حرب بين عجمان ومطير افتدى الملك فيصل بنفسه . أما الأموال التي دفعها محمد وناصر فتأتي من أموال الدولة المخصصة لمساعدة الدوشان .

لقد أخبرني هذه القصة عبد المحسن الحيشي ، وشياح الجبلي ، وسالم المزين ،

وزيد الصنا ، وفيما والدة فيصل بن عبدالعزيز .

مقر اجتماع العبيد

بقلم فيوليت ديكسون

نادراً ما يجد المرء عبداً ، أي زنجيا يشترى بالمال ، في مدينة الكويت ، إلا انه يوجد بعض « المولدين » ، اي الذين يخدمون في المنازل ، وقد ولدوا في الأسر من والدين عبدين كانا يعملان عند عائلة واحدة منذ سنين ، في البيوتات الموسرة الكبرى . ويعامل السادة هؤلاء العبيد بالحسنى وكأنهم أولادهم الذين يختلطون معهم على قدم المساواة . والمولد ، سواء كان ذكراً أم أنثى ، يعطى أحيانـاً مركزا فيه الكثير من المسؤولية والثقة .

وبالرغم من انهم مسلمون ظاهريا إلا ان هؤلاء العبيد يمتنشون بعض عاداتهم الافريقية الامر الذي ليس مستحبا لدى الحاكم . يجتمع العبيد مساء كل يوم خميس وفي مناسبات خاصة في « سوبان » وهو الاسم الذي يطلق على مقر الاجتماع . وهنالك اثنان من هذه الاماكن في مدينة الكويت : المقر الرئيسي في حي المرقاب في الجهة الجنوبية – الغربية من المدينة ، ومقر آخر اصغر منه في الحي الشرقي المعروف بالميدان الذي يقطنه في معظمه الايرانيون والبحارنة وهو ليس بعيداً عن منزلنا .

وقد ذهبت الى المقر الأصغر بدعوة من باشته وبصحبة « بارون » فراشنا الايراني في حوالي الساعة التاسعة من ليل الثاني والعشرين من تشرين الأول سنة ١٩٤٥ وهي ليلة اكتمل فيها البدر . وباشته هي عبدة محررة كانت تملكها زوجة فيصل الدويش وقد طارت مع سيدها بالطائرة الى العراق عندما استسلم للبريطانيين سنة ١٩٣٠ .

ويقع المقر وباحته الصغيرة على طريق رئيسية ولا تميزه عن أي منزل عادي سوى سارية ارتفعت على احدى زوايا باحته . وعندما اقتربنا من الباب سمعنـا اصوات الطبـول والموسيقى تتخللها أصوات غريبة مما يدل على ان الرقص

قديماً .

وخيم الصمت عندما توقفت الموسيقى وجلس الراقصون للاستراحة . وقرعنا الباب ففتحه أحد العبيد قليلاً وسألنا ماذا نريد .. فسأله خادمي قائلاً : ــ هل باشته هنا ؟ لقد وعدت ان تقابل الخاتون هنا الليلة .

وأغلق الباب مرة أخرى ثم فتح بعد لحظات ليقول أحدهم ان باشته ليست هناك ولكن تتفضل الخاتون إذا شاءت . فخلعت حذائي ودخلت . كان هنالك عدد من النساء يجلسن في جانب من القاعة وعدد من الرجال يجلسون الى الحائط في الجهة المقابلة . فاقتادوني عبر القاعة الى مكان وضع فيه كرسيان لانهم توقعوا ان يكون زوجي معي . وخلع مُورِن نعليه وجلس مع الرجال قرب الحائط . وكان يخيم على المكان جو ديني لان الرجال والنساء كانوا يتحدثون بأصوات خافتة تشبه الهمس .

ووقفت الى جانبي زنجية طويلة تلبس ثياباً جيدة وأخذت تلوح لي بمروحة من أوراق النخيل . وكان جو الغرفة مشبعاً برائحة البخور الذي كان يحترق في موقد من الطين امام آلة موسيقية ذات أوتار تعرف بالطمبوره يقف أمامها وقفة تأمل رجل كبير في السن أشيب اللحية . وادار هذا الرجل وجهه نحو أحد العبيد ثم هز برأسه عدة مرات . فنهض العبد الى الطمبوره ولكنه قال انه لا يعرف كيف يعزف عليها ؟ فجاء شاب زنجي واحتل المكان . وللطمبوره صوت حنون يشبه صوت الأوتار الوسطى في العود . وبدأت الطبول الثلاثة او الأربعة الموضوعة على الأرض الى جانبها تضرب واستؤنف الغناء . ولم يكن ذلك الغناء يشبه أي غناء سمعته بين العرب او بين العبيد في زوارق صيد اللؤلؤ . لقد كان في الواقع لحناً جيلياً .

ووضعت الى يساري على منضدة واطئة صينية عليها ثلاث شموع مشتعلة ، وثلاث قوارير تحتوي على ماء الورد ، وفي وسطها صحن فيه سبع بيضات نيئة و « المشمع » . وحول هذه الاشياء كان هنالك ثلاثة عشر طبقاً فيها اشياء مختلفة قالت لي باشته فيما بعد انها ما يلي :

سيلب (او مهلبي) .. وهو نوع من الحلوى يصنع من الأرز المدقوق ويسميه العرب مهلبية .

سندله .. نوع من الزيت يستخرج من خشب بنفس الاسم .

معكّد .. نوع من النعناع .

سواقي .. لست متأكدة من معناها انها كلمة زنجية وربما كانت الزبيقية الأصل .

علوك (او علوش) كلمة زنجية لمادة تمضغ .

الشمع .. طحالب طيبة الرائحة .

العرض الأزرق .. خشب أزرق اللون ذو رائحة طيبة . وعندما توضع قطعة منه فوق النار ينبعث منها دخان أبيض يحمل رائحة عطرية قوية .

المعمول .. كلمة زنجية للبخور .

الملح .. ملح الطعام .

الهال .. نوع من التوابل يوضع في القهوة العربية .

القرنفل .. نوع آخر من التوابل .

مستكي .. مثل العلوك ولكن من نوعية أفضل .

وفجأ امتلأ الفناء بين الرجال والنساء ورقصوا رقصات ذهبت الكثير من المتاوي والاغنيات ، وعندما ينتشي أحدهم يمسك ببيضة من فضية ويطبق عليها يده ويرقص بها . وكان أحد الرجال يلبس ازاراً مصنع من أذيال البقر وحلق على خصره بحزام عريض . وعندما كانت يتلاوى مع الموسيقى فتصطدم قطع الازار ببعضها محدثة « الخشيش » الذي سمعناه قبل ان ندخل القاعة .

وعندما انتهت الاغنية توقف الرقص وعاد الجميع الى اماكنهم . ووضع مزيد من الفحم في الموقد ووضع فوقه البخور . وهنا قرع الباب ودخل عبد شاب وتوجه رأساً الى الطمبورة وشبها بيده ثم وضعها على رأسه قبل ان يأخذ مكانه .

وفي كل جانب من جانبي القاعة غرفتان يضع الرجال في احداهما القهوة

وخصصت الأخرى للنساء اللواتي يردن ان يسارحن أو يسخن . ولا يسمح لأية امرأة تحضر الاحتفالات وهي غير نظيفة ، ويقال انها اذا فعلت ذلك ينكر أحد أوتار الطمبورة تلقائياً .

حضرت ثلاث رقصات ولكنني غادرت المكان قبل ان ينفعل الجميع وينطرحوا على الأرض في وقت متأخر من الليل . وكان عبيد الشيخ عبدالله الأحمد لجل الحاج قد عفر وجهه بالتراب نتيجة لذلك ، وكان يضع رزمة من الشمع حول عنقه .

وبعثت بخادمة في وقت متأخر لتقول انها ذهبت الى البيت لأنها متعبة ، وجاءت الي في صباح اليوم التالي لتشرح كل شيء فاعطيتها عشرين روبية لتشتري بها القهوة للنوبان . [illegible]

القسم الرابع

ملاحق

ما دمتم في دارهم دارهم .

الفصل العشرون

الشحنة الأولى من النفط

٣٠ حزيران ١٩٤٦

كتب السيد موتزويل في تقريره يقول :

أجرى سمو شيخ الكويت حفل الافتتاح بأن أدار صماماً على أحد الأنابيب فتدفق النفط الخام من حاول بلاده، الى أسواق العالم . وقد حضر حفل الافتتاح الكولونيل و.ر.هاي المقيم السياسي لحكومة صاحب الجلالة في الخليج الفارسي، والوكيل السياسي البريطاني، والسيد ويليام كارتر بيرديت الابن، نائب القنصل الأميركي في البصرة ، وجميع أعيان الكويت . وقام باستقبال سمو الشيخ السيد س.ا.ب.سوثويل ممثلا المديرين الأميركيين والبريطانيين في شركة نفط الكويت، كما قام السيدان ل.د. سكوت و ت.اي. باويك بإرشاده الى الصمام الرئيسي عبر الممرات بين الأنابيب . وعندما أدار الشيخ الصمام ليفتحه سمع صوت النفط وهو يتدفق إلى الناقلة « بريتيش فوزيلير » . ثم قص سموه شريطاً عند محطة الاشارات إيذانا بمباشرة عمليات النقل .

وألقى سوثويل خطاباً في الاحتفال بالنيابة عن مديري شركة نفط الكويت وموظفيها اعرب فيه عن تقديره العظيم لحضور صاحب السمو وقال :

... ولقد يجمعنا هنا لنحتفل بأول شحنة من نفط الكويت وهو حدث ضخم في تطوير موارد الكويت الطبيعية التي التمست حضرتكم شركتنا تطويرها منذ اثني عشر عاماً. وقد قدرنا تقديراً عظيماً الثقة التي وضعتها حضرتكم في قدرة شركتنا على القيام بهذه المهمة الحيوية لازدهار دولتكم. ويسعدنا اليوم ان نحتفل مع حضرتكم بهذا الحدث الذي يشير الى مرحلة جديدة في التقدم الناجح الذي حققته جهودنا بتشجيع ومساعدة من حضرتكم. ونتمنى ان يكون هذا اليوم منطلقاً للازدهار لسموكم ولدولة الكويت ولشركة نفط الكويت.

« ويعلم حضرتكم ان العمل الذي حققته الشركة أنجز على مراحل متتالية. ففي المرحلة الأولى قام جيولوجيو الشركة بدراسة البلاد لكي يروا إذا كانت هذه الدلائل مجرد آثار سطحية في القمم أو انها عميقة في الارض ولا تزال فيها كميات كبيرة من النفط. وحصلنا على التجارب بواسطة الحفريات التي مكنت الشركة بعد ذلك من ان تتأكد من ان هنالك مخزوناً كبيراً من النفط تحت جزء من تربة الكويت. واخيراً فقد وصلنا الى المرحلة الثالثة من العمليات وهي الانتاج الفعلي ونقله الى أسواق العالم.

« وأظن ان حضرتكم توافقون على ان النتائج الناجحة التي حققتها جهود الشركة وعمالها ليست عملاً بسيطاً لا سيما وان جزءاً كبيراً من العمل قد تم في ظروف صعبة بسبب الحرب لان معظم الآلات خلال الحرب ضرورية وغيرها من التجهيزات قد ارسلت من الخارج ولأن صعوبة الشحن بين أوروبا والكويت فرضت على نشاطنا حواجز جسيمة.

« ان النجاح الكبير الذي توج جهودنا لم يكن ليتحقق لولا الصبر الذي تحلى به حضرتكم وصداقتكم الصادقة وتعاونكم الوثيق ولولا العمل الممتاز الذي قام به موظفو الشركة بفضل مهاراتهم الفنية وموارد الشركة الكبيرة التي أسهمت بها الى حد كبير الصناعة البريطانية والاميركية.

« ولن يكون هنالك ظل من الشك بإذن الله على ان هذه الشحنة التي نحتفل بها اليوم ليست سوى واحدة من شحنات كثيرة ستنقل نفط الكويت الى

أسواق العالم ، ونحن فخورون بأن شركتنا ، وهي الأداة التي اخترتموها سموكم ، قد تمكنت من تحقيق هذا النجاح والتقدم وبالتالي المساهمة في ازدهار دولتكم وشعبكم .

« وتعبيراً عن مشاعرة الشكر لحكم ومعرفتنا بالجميل والصداقة اسمحوا لي أن أقدم لسموكم هذه الهدية المتواضعة التي صنعتها أيادي حرفيين من الغرب لهذه المناسبة السعيدة » .

وهنا قدم السيد سوثويل للشيخ صندوقاً ذهبياً مرصعاً صنعته شركة التدين لصياغة الفضة والذهب ونقشت عليه عبارة تخليد للاحتفال .

ورد الشيخ على خطاب سوثويل بكلمة قال فيها :

ـ « انه ليوم سعيد هذا اليوم الذي نحتفل فيه بتصدير الشحنة الأولى من نفط الكويت . ولا أشك في ان كل شخص من شعبنا وأصدقائنا سيفرح معنا بهذا الحدث السعيد الذي هو بحمد الله بداية لمستقبل زاهر .

« اني اقدر الجهود الجبارة التي بذلتها الشركة لإكمال هذه العمليات قبل وبعد توقف العمل اثناء الحرب . واشكر الله على هذه الفرصة التي ستساعدة على إكمال التحسينات التي نرغب في تحقيقها من أجل سعادة وتقدم دولتنا وشعبنا . واني أخص بالشكر المساعدات الجلى التي قدمتها الشركة لنا اثناء العمليات في دولتنا ، واشكر حكومة صاحب الجلالة البريطانية في إنجاح هذه العمليات ، كما أشكر أصدقائي مديري الشركة البريطانيين والأميركيين . وأقدم شكري كذلك الى سائر موظفي الشركة سواء كانوا من الخارج أم من بلادنا الذين أسهموا بخدمات قيمة في هذا التقدم ، واني اقبل بزيد من الشكر الهدية التذكارية التي قدمتها لي الشركة تخليداً لهذه المناسبة . وآمل ان تستمر علاقاتنا الودية بالشركة وتسودها روح الإخاء والنوايا الحسنة » .

وتلت هذا الاحتفال احتفالات اخرى جرت في المدينة تخللتها رقصات الحرب وألعاب ذوية وأقامت شركة نفط الكويت مأدبة عشاء للشيخ ومرافقي الدولة والاعيان والمقيمين الأجانب في منزل السيد ل. د. سكوت . وقد أقام

عدد من وجهاء الكويت مآدب حافلة بهذه المناسبة . وأقام نادي صغار الموظفين مأدبة عرض بعدها شريط سينمائي قدمه بادر هوايت من البصرة ، وأقيمت حفلة راقصة في نادي كبار الموظفين في مثوى تخللتها مأدب في العراء الطلق على الطريقة الغربية .. وهذه الحفلة أقيمت على شرف العمال والفنيين .

وجهة النظر اللبنانية ١٩٥٠

أجريت في بيروت في ٣١ آب سنة ١٩٥٠ حديثاً مقيداً مع أحد السياسيين اللبنانيين البارزين كنت أعرفه منذ عدة سنوات .

ولهذا السياسي آراء خفية . وقد بدأ النقاش بملاحظة أبديتها وهي أنه من المؤسف ان تكون العلاقات السورية – اللبنانية سيئة الى هذه الدرجة لا سيما وان ضحاياها تجار ابرياء ومسافرون يتظلمون على أعتابهم . وذكرت انه في ٢٩ آب اوقفت سيارتي أربع مرات للتفتيش على الحدود والامتعة بين شتورة ودمشق .

واجابني متمللاً بقوله :

– نعم انني اوافقك .. ولكن هل تعلم خطة من هي ؟

– لا .

– اذن سأخبرك . انها نتيجة مؤامرات أسكبر دولتين ديمقراطيتين – أو هكذا يفترض ان تكونا – في العالم وهما الولايات المتحدة وبريطانيا بسلامك . انهما تتآمران في الليل والنهار لتقسيم الشرق الاوسط بينهما أو على الأقل لإقامة مناطق نفوذ منفصلة لها . فالولايات المتحدة مثلاً تسعى لتجعل لبنان تحت نفوذها . وبريطانيا تدفع العراق للاستيلاء على سورية بعلم الملك عبدالله ملك الأردن . وهذا ما يدفع المملكة العربية السعودية بتأييد من اميركا لأن تدعم سورية فقدمت قرضاً بالدولارات للحكومة الحالية هناك وهي عصمة الأمن. فتنق اسلبياً بين الملك عبدالله والامير عبد الاله ولي عهد العراق لتنسيق نجاح خطة الحكومة البريطانية .

« وامريكا تدعم اسرائيل .. كما ان بريطانيا تدعم الملك عبدالله وأصبحت مصر معادية لطرفين لاعتقادها ان هنالك مناورة مكشوفة من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا لتحطيم الجامعة العربية عن طريق زرع الشقاق بين اعضائها . والنتيجة ان الشعور المعادي للاوروبيين يزداد يوماً بعد يوم في جميع انحاء الشرق الاوسط ولا سيما ضد الولايات المتحدة وبريطانيا اللتين تظنان انهما تستفيدان من التفرقة بين دول الشرق الاوسط .

« والمؤسف في هذا كله ، انه في الوقت الذي لامريكا وبريطانيا فيه رجال أكفاء ومستشارون في شؤون الشرق الاوسط — رجال عاشوا فترات طويلة في هذه المناطق — فإن مشورة هؤلاء الرجال لا تطلب أو لا تؤخذ بعين الاعتبار . وهذا أمر محزن لأنه من شأنه ان يساعد روسيا السوفياتية على كسب ثقة بلدان الشرق الاوسط وخاصة جيل الجديد فيه . وفي الحقيقة ان الاتحاد السوفياتي في مركز مريح ينتظر سعيداً الثمرة التي ستسقط لوحدها في فمه عند نضوجها . والسوفيات عملاؤهم في الشرق الأوسط الذين هم على اتصال وثيق بالسفارات السوفياتية في كل مكان ويبشرون في كل لحظة ان الذنب الكبير المقترف ومصدر الشقاء في الشرق الاوسط هو الولايات المتحدة وبريطانيا التي تعمل في فلكها .

وقفت لحدثي :

— « لا بد للرئيس ترومان والسفير الذي له بصحبة مستشاريين من أهل الخبرة في شؤون الشرق الاوسط ان لم يكن اليوم فغداً .. وعندئــذ تتحسن الأمور قليلاً .

— « لا .. انك مخطىء . ان مستشاري ترومان النافذين اليوم يمثلون كتلة اليهود القوية في نيويورك وهذا الشيء ينطبق على لندن ولكن الى درجة أقل . صدقني اذا قلت لك ان اليهود هم الذين يملون سياسة بلادك في الشرق الأوسط .. وها هي النتائج المحزنة . انهم يحبـــذون فكرة بريطانيا والولايات المتحدة في الاستيلاء على بلدان الشرق الاوسط او تقسيمه الى مناطق نفوذ لأنهم يعتقدون انهم بذلك وبذلك فقط يستطيعون تثبيت اقــدام اسرائيل وتحسين حالتها

الاقتصادية العسكرية العربية . ان اسرائيل دولة مقلقة وتحتاج الى المتاجرة مع الجيران المجاورة . كيف تظن انهم يستطيعون تحقيق ذلك ؟ طبعاً باستخدام شركات النفط الكبرى في الشرق الاوسط .. في السعودية والخليج الفارسي ، ولم يحاولان الآن ... علاقات الحكومات الاوروبية في الشرق الأوسط مع شركات النفط الكبرى لكي توصل المتورطة لديهم والتي كي يعبروا الولايات المتحدة وبريطانيا على حماية مصالحها واتخاذ سياسة أشد تجاه الدول العربية .

ويصف الكورونيل ديكسون نه ليس من قبيل المصادفة ان تطالب الدول العربية في المنطقة بزيادة عائداتها من النفط تحت التهديد بأن شيئاً ما سيحدث اذا لم تنفذ هذه المطالب . ويقضي الخطة اليهودية بالضغط على شركات النفط لحمله الى حكوماتها من اجل مساعدة الدبلوماسية وغيرها في محاولة لبذر الشقاق بين هذه الشركات والدول التي تعمل فيها . اتشعر ان السعودية والبحرين والعراق وايران تطالب بزيادة العائدات ، وحث الاردن وسورية حكومة الدول المذكورة في المقدمة بزيادة اجرة مرور النفط في أراضيها ... وصوله الاخيرة التي حث ان الكويت هي التي بدأت بدورها تطالب بزيادة .

هذه الحوادث كلها هي مثل على كيف يفكر اليهود بقضية فلسطين وهم مستعدون ان يصبروا دائماً ان عرض الحادث لم يتعلق بقضية النفط وسياسة الشرق الاوسط عامة ، وهذا يظهر بصورة خاصة وفوق العلاقات بين بيروت والكويت .

وأضاف دكسن قائلاً :

ـــ ان فرصة بريطانيا الوحيدة هي ان ترفض السير على خطى اميركا . ان بريطانيا صديقة قديمة للعرب ولقوم وفي الدول الاسلامية في الشرق الأوسط اكثر من الاميركيين ، ولذلك يجب ان تتعاون مع العرب لا ان تهددهم ، وللأهم من ذلك يجب على شركات النفط ان تتعاون مع البلدان العربية وحكامها لا ان تلجأ الى حكوماتها لمساعدتها فلساعدة في هذه الخدام . هذه هي غلطة شركة النفط في إيران .. وهنا سيقعون جميعهم في هذا الخطأ . واليهود يعرفون ذلك جيداً

وسائلها السرية التي يجيدون استخدامها ، فيعملون على إفهام الدول العربية بان انكلترا واميركا تتوليان في الفترة الحاضرة السيطرة على بلادهم بحجة الدفاع عن مصالحها النفطية لمهمة بالغة الخطر لأنها لا تستطيع ان تسمح لأحد بأن يهدد هذه المصالح . وهذا ما زاد في شكوك الدول العربية . ولذلك يتوجب على بريطانيا ازالة هذه الشكوك من اذهان العرب . يجب ان تقول لهم : « سيروا شؤونكم بانفسكم ومستعدون اذا ما طلبتم المساعدة منا » .

« ولا تنس يا أنطوني ، ديكين ان السلطات السوفياتية تراقب وضع النفط في الشرق الاوسط كالصقر في عشه الآن وهي على استعداد لبث اية دعاية تزيد من كراهية الولايات المتحدة وبريطانيا في الشرق الأوسط . أما بالنسبة للكويت فنحن في لندن نعرف ان الحكومة البريطانية تحاول فرض مستشار على الشيخ الجديد لكي يتخلص من سكرتيره الفلسطيني المحبوب ، ويعين بريطانياً مكانه أحد الموظفين للانكليز . ولكن الحكومة البريطانية عرفت مدى رعونة هذه الخطوة ويتضح ذلك من عدم اقدامها على تنفيذ خطتها الاساسية » .

عدم ارتياح في المملكة السعودية

قبل ثلاث سنوات من وفاة الملك العظيم عبدالعزيز آل سعود في التاسع من تشرين الثاني سنة ١٩٥٣ ، كتبت ما يلي : —

« ان الذي يرقب الاشياء من جهة الكويت في الجزيرة العربية يعرف ان ابن سعود قد تخلى عن التعاليم الوهابية كوسيلة سياسية للوصول الى غاية معينة . فبعد ان ركز سلطته في الجزيرة العربية أخذ يتطلع الى تطوير علاقاته بالقوى الخارجية ، وتقوية الوسائل التي تمكنه من تشديد قبضته في الداخل . ويبدو انه عاكف على العمل لضمان عرش منيع لورثته وخلفائه في حال موته حتى يتمكنوا من اكمال ما بدأه بدون أن يواجهوا ثورات وانقسامات في المملكة .

و لقد بلغ ابن سعود من العمر عتيا بحيث انه ليعد يقدر على السير على قدميه. وقد اعطى كثيراً من السلطات لأولاده ومستشاريهم السوريين والمصريين الذين لا يقول البدو يجيدون كثلاً بجريات الامور عن حاكمهم المحبوب . وهذا هو أحد الاسباب لتكره المتزايد للنظام السعودي الذي اخذ يبرز ببطء بين القبائل العربية . ويبلغ هذا الشعور حداً يجعل بعض زعماء الاخوان السابقين يعلنونه بانه حاكم جبار — أي طاغية . انهم لا يقصدون بذلك الملك المسن بل الحكم الحاضر الذي أصبح بعد ان آل الى الجيل الجديد من آل سعود ومستشاريهم الاجانب ، اكثر تركيزاً وقسوة وانقساماً عن الشعب وفقد رابطته العاطفية مع الشعب كما كان في القديم . ويقال ان هؤلاء الزعماء مشمئزون من الزيارات المتكررة التي يقوم بها أفراد العائلة المالكة الى اوروبا واميركا حيث في رأيهم يختلطون بالمسيحيين الذين يكثرون من شرب الخمر ، فيكتسبون عادات سيئة ويلبسون ملابسهم أيضاً . والحقيقة ان الانتقال الى الحياة العصرية هو السبب الجوهري لهذه المشاكل . فالبدو يتوقون الى عودة الحكم لتلك شخصيا الذي كان في متناول الجميع بين قبيلة الحضر وعدله ، واكثرهم تواضعا .

« ويقول المتتبعون للاحداث انه إذا حدث مكروه لابن سعود لا سمح الله فلتنشأ مشاكل تستنزف جميع موارد السعودية . اما انا شخصياً فلست اعتقد ان ذلك سيحدث لأن أهل نجد ما زالوا في قلوبهم ينظرون بعبد العزيز آل سعود بطلهم القوي ومليكهم الشجاع بسبب مآثره العظيمة داخل الجزيرة وبسبب مواقفه المشرفة التي وقفها دائماً في وجه النفوذ الاجنبي والمعتدين . انه مثل شاكا ملك الزولو الشديد الذي كان الرجل الابيض يرتجف أمامه ولا يزال شعبه يفتخرون بذلك ولا ينسونه .

« وفيما عدا شعبية ابن سعود الشخصية ، فان شعبه يريد سلطة أقل مركزية لانهم يخشون قدوم مدنية الرجل الأبيض التي هي في نظرهم معادية للدين وشيطان له وعبودية حتمية . وأكثر من ذلك فهم يفضلون العودة كلياً الى النظام القبلي حيث لا سلطة الا لزعماء القبائل . ولكن أحداً من أفراد عائلة آل سعود لا

يفكر أبداً في العودة الى مثل ذلك النظام ، لأن السلطة ، كما يقول العرب ، هي اعز شيء في الدنيا على البيت السعودي والحكم بالنسبة لهم هو اكسير الحياة .

وقد أثبتت الأحداث اللاحقة ان الوريث الممثل للعرش السعودي « الأمير سعود » الذي آلت اليه معظم السلطات عندما مرض والده ، بدأ يتحسس تفكير شعبه فقرر التشدد فيما يتعلق بالدين وبالطقوس الدينية . فقرر مثلاً منع استيراد المشروبات الكحولية التي كان يحصل عليها موظفو شركة النفط . واعتبر حصول اي بدوي من السكان على زجاجة من المشروبات الروحية جريمة كبرى يلقى مرتكبها أشد العقاب .

ولكن هل هذا في وقته ؟

تأثير الغرب .. ١٩٥٣!

وضع صديقي الدكتور هارولد ستورم أحد أعضاء الإرسالية الأميركية في الخليج الفارسي الذي يدير حالياً مستشفى في الهفوف ، كتاباً بعنوان « الجزيرة العربية .. الى اين ؟ » . واذ اكتب هذا التعليق عن موضوع مهم وهو التأثير الغربي في الجزيرة العربية ، لجأت واقتبست من مجمل الوضع كما وصفه الدكتور ستورم بمهارة . واذ أستخدم أفكاراً ليست لي ، فانما افعل ذلك معترفاً بفضل الدكتور ستورم وناشري كتابه .

قلما توجد أماكن في العالم اليوم يسير فيها القديم والحديث جنباً الى جنب كما هي الحال في الجزيرة العربية . ففي أعماق الصحراء يرى المرء نوعاً للحياة كما كانت في زمن ابراهيم الخليل بكل تفاصيلها ووقائعها . وما زال البدو الرحل هم الصورة التي رسمت في التوراة وتفكير البدوي ايضاً ما زال كما كان في زمن أيوب . اما عناده واستقلاله واعتزازه وكفايته الذاتية فقد جسمها الاسلام في حين تقولبت حياته الدينية في نظام جامد من التقاليد والشكليات .

لقد غير التأثير الغربي وجه عدد من المدن الساحلية التي يأتي إليها البدوي الجائع بحثاً عن الطعام والمؤن . وهو يتطلع الى التغييرات حوله باحتقار ويعود

الى صحرائه وهو أشد اقتناعاً بهــا وبالحياة فيها . لكن رحى الحضارة تدور بدون توقف ولا يستطيع أبناء الصحراء الهروب منها .

وربمــا ليس هنالك عامل واحد غيّر تفكير العربي في الصحراء كالسيارة . فالحج إلى مكة الذي كان يستغرق أربعين يوماً على ظهور الجمال أصبح يستغرق مدة أيام فقط . وعندما يسافر حاكم السعودية من عاصمته الداخلية الرياض الى مكة يركب وحاشيته أحدث الطائرات وأفخمها ويضم موكبه بين مائتي سيارة وخمسمائة سيارة يسوقها رجال من الكويت وباكستان ومصر والصومال وسورية وحتى من اندونيسيا . وليس من الصعب التحقق من التأثير الكبير لكل هذه المظاهر لأنه ليست السيارة فقط هي التي تحدث التغيير بين سائقيها أيضاً الذي يجلب معه أفكاراً جديدة وعادات وتقاليد جديدة . ففي الرياض مثلاً نجد المرء السائقين يعيشون في مجتمع خاص خارج أسوار المدينة . وبينما لا تستدعي هذه الفئة انتباه أو تفكير أفراد الطبقة الحاكمة ورجال الدين ، إلا أن الزائرين يتدفقون عليها من المدينة والصحراء . وبذلك تتسرب الأفكار ، الجيدة منها أو الرديئة ، والتي تحمل معها بعض ما في الكويت والقاهرة ودمشق وعدن وكراتشي ، الى البدو الذين يتقبلونها مع مرور الأيام لبساطتهم وسذاجة تفكيرهم .

إن سهولة التنقلات خلقت معها كماليات جعلت وسائل الراحة متوفرة ولكن لهذا العامل تأثير انحلالي . فالشيخ العربي لم يعد يريد ركوب الخيل لأنه أصبح يفضل قيادة السيارات . والصيد بالباز الذي كان في يوم من الأيام الرياضة العربية الأساسية ، تحول الى مذابح لآلاف الحبارى سنوياً لأن ممارسته أصبحت تتم بواسطة السيارات التي أدخلت أيضاً في صيد الغزلان التي أوشكت ، لهذا السبب ، على الانقراض . لقد ضاع الإحساس القديم بالفروسية والرياضة .

والتأثير الملحوظ للسيارة هو التأثير على نفسية العربي . فقد بلغ التنافس أشده على أفضل السيارات وأغلاها ثمناً ، بين الأمراء الأثرياء وتجار المدينة . وعدم القدرة على شراء السيارات يولد مرارة وعدم ارتياح بين أفراد الطبقات

الوسطى والسفلى . ومن جهة ثانية ليست كل التأثيرات سيئة . فقد قصرت المسافات وتقلص استقلال القبائل . وأصبحت الطرق سالكة لمختلف النواحي التي كانت في مضى صعبة المسالك ، كما أصبح نقل القوة من القبائل الثائرة سهلاً (سريعاً) . وبذلك أصبح الاتصال بين الحاكم والشعب وثيقاً .

ولكن التأثير الأشد للسيارة كان على سبب التبدل الواقع . أصبح بالإمكان زيارة أماكن ويمكن بالإمكان مفارقتها من قبل ، وازدياد عدد الزيارات بين عائلات القبيلة الواحدة فأصبح الشبان يعرفون أكثر ويرون أكثر . ورغم أصبحت السيارة في بعد عدداً في التخلص من الحجب مع أن ذلك صعب جداً حسناً في عمق الجزيرة العربية .

ومع أن النساء في الجزيرة العربية لم يتحررن بأي معنى حقيقي للكلمة إلا أن تحسينات كثيرة قد طرأت على حياتهن الخاصة . فلم يعد يكتفين في عالمهن الموسيقي والناس والأماكن والأحداث لم تكن أمهاتهن قد سمعن بها من قبل أو تحسسن بوجودها . لقد وصلت السيارة وآلة الخياطة إلى أقصى المدن والقرى العربية . وربما كانت أعداد كبيرة من الفتيات يقضين ساعات وأياماً في صنع ملابس أهل البيت في السابق أصبح هذا العمل يستغرق ساعات قليلة ، وقد زاد اهتمام هؤلاء النسوة بالعطور والمساحيق والصابون وأدوات التجميل الأخرى .

وبعد انتشار حديث المرأة العربية عن تخفيف آلامهن سواء في الولادة أو في الأمراض العادية . ففي السابق كانت المرأة يلدن بمهمة نساء جاهلات وقابلات لا يعرفن النظافة مطلقاً . أما اليوم فيقف على علاج المرضى أطباء وطبيبات وأطباء كبار وممرضات من الإرساليات وغيرها مما خلق رغبة في الحضور للتطلع للعلم الحديث . وتزايد الاهتمام كذلك بالتغذية والطعام والعناية بالأطفال . وكما هو متوقع ، فقد أحدث ذلك نزاعات خطيرة في كثير من البيوتات العربية . فالجيل الجديد من النساء يرغب في اتباع الأفكار الحديثة في التغذية والعناية بالأطفال فيصطدمن بمعارضة الجيل القديم المتحجر .

ونظرة كثيرين من سعود لجهاز اللاسلكي في طول بلاده وعرضها ، فقد أصبح

هنالك اكثر من عشر محطات في المراكز الكبرى وعدد مماثل من المحطات المتنقلة. وهذه الأخيرة يستخدمها الحاكم السالي وريث العرش والشقاؤه وامير الحجاز وكبار المسؤولين الذين مها ابتعدوا في الصحراء يظلون على اتصال دائم ومباشر مع العاصمة والمدن الأخرى من البلاد . وهكذا فانه يمكن اخماد اية انتفاضة قبل ان تبدأ .

وتتصل اجزاء أخرى من الجزيرة ببعضها بمحطات مختلفة للبرق . ولذلك فان اي تبدل بالاسعار في أسواق بومباي يلاحظ في اليوم ذاته في اسواق البحرين ومسقط والكويت وجدة والرياض . والاذاعات التي تبث برامج باللغة العربية من لندن وبيروت والأردن وبغداد والقاهرة وموسكو ، تجعل الناس على اتصال دائم بالأحداث العالمية . ومن جهة الجهود الرامية الى توحيد التفكير الاسلامي ، تبث دعايات سلامية متنوعة . واذا ما حدث نزاع بين العرب واليهود في فلسطين ، فان العرب يسمعون به ويناقشونه من وجهة نظرهم . وفي الكويت وحدها اليوم هنالك اكثر من ثلاثة جهاز استقبال. كذلك فان الصحف اللبنانية والمصرية والعراقية والهندية تنشر الاحداث الدولية وتنقلها الى كل جزء من الجزيرة والعالم العربي . وكثيراً ما توزع منشورات معادية للمسيحيين الامر الذي يعيق عمل الارساليات بسبب نقل الاخبار على غير حقيقتها . فعندما عزل الفرنسيون سلطان المغرب ونفوه الى جزيرة كورسيكا أحدث ذلك مناقشات حامية في أسواق الكويت ومقاهيها بعد يومين فقط من الحادث .

ان العربي في الصحراء اليوم الذي يلبس على طريقة اجداده ، ويعيش كآبائه ويفكر بنفس مقاييس الماضي ، يجد نفسه مضطراً لمواجهة التقدم والحياة العصرية وقبول تأثيرها على حياته .

ان اكتشاف النفط في البحرين مؤخراً واكتشاف مخزون جديد منه في السعودية والكويت وقطر حمل معه طرقاً عصرية وعادات جديدة وتأثير الحضارة الغربية الى جميع انحاء مناطق الخليج الفارسي . فالدولة العربية الصغيرة ، الكويت ، تحولت من مدينة صغيرة مجهولة الى زهرة زاهية على الخليج

بفضل النفط . وبالرغم من ان بريطانيا اتخذت من البحرين قاعدة بحرية لها في الخليج ، وان تلك الجزيرة هي مقر المقيم السياسي البريطاني في الخليج .

وقد برز عامل آخر اشد خطورة يمكن تسميته المادية الحديثة التي يصعب تقدير نتائجها . ففي الماضي اصطدم الاسلام بديانات عديدة لكنه لم ينهزم أمامها اما اليوم فيبدو انه سيتحول وينتهي في موطنه الأصلي . ومع كل سيارة وصحيفة تدخل البلاد تدخل معها المادية العلمية و «عدم الإيمان» الغربي والرتابة الحديثة التي هي عدو كل معتقد ديني . ولا يستطيع أحد بتكهن بمدى امتداد هذه الرتابة الجديدة ولكن مما لا شك انها آتية كالطوفان . كان تأثيرها الى الأمس القريب محصوراً في فئة قليلة من الوسط التجاري ولكنه امتد اليوم الى أقصى أقاصي الصحراء وتزداد قوته تدريجياً . ولا غرابة اذا كان الذين يخافون الله من العرب والذين يشتهرون بسمعتهم الجلية قد بدأوا يقلقون ويخافون .

ان المادية التي اشتهر بها العصر الحديث قـد احتملت الاسلام بنفس الطريقة التي خلقت نظرية «الخلاص بالمعرفة» على قد المسيحية في القرون الأولى . ويدعي الماديون انهم ليسوا اعداء الدين بل حلفاءه تماماً كما كان يدعي العارفون القدامى . وفي هذا الادعاء تكمن حقيقة خطرة . ان التقدم المادي هو ثروة الدين ، أي دين ، ولكن عندما تصبح حيازة الممتلكات الدنيوية هدف الانسان الأوحد أي القوة الدافعة لحياته ، بدل التفاني في سبيل الحق والصلاح ، يتأثر الدين عندئذ . فالازدهار المادي الذي ليس صالحاً او شريراً بحد ذاته ، يشبه الاشياء التي تتوقف فائدتها او اضرارها على طريقة استخدامها . هذا الازدهار كان من شأنه ان يضعف الاسلام لا ان يعمل على تقويته .

ومع امتداد المادية والحضارة الغربية ، تسربت الى جميع انحاء العربي روح القومية الموجودة في أماكن اخرى من العالم . ولكن انتشار هذه الروح لم يكن متطرفاً كما هي الحال في تركيا او مصر ، بل وجدت تمييزاً شديداً عن نفسها في بلاد العربي لتفسيره . وقد ساهمت قضية فلسطين في تقوية وتركيز هذا البلاء ، كما ان الخطط الحديثة والدعايات الواسعة للوحدة العربية ساعدت على تدعيم

ذلك الولاء .

وفي سنة ١٩٣٤ كما رأينا آنفا ، قام الملك ابن سعود بصد نزاع حاسم قصير الأمد باقتطاب منطقة عسير ثم عقد معاهدة صداقة اسلامية مع الامــام يحيى امام اليمن . وكانت هذه المعــاهدة بشيراً لمعاهدات وتفاهم اوسع بين الدول الاسلامية . فبعد توقيع هذه المعاهدة مباشرة بدأت المفاوضات لإنشاء حلف دفاعي بين تركيا وايران والعراق وافغانستان . وفي الوقت نفسه قرر الإمام يحيى الانضمام الى معاهدة الصداقة والتحالف التي تم توقيعها في الثاني من نيسان سنة ١٩٣٦ بــين حكومتي العراق والمملكة العربية السعودية . وقد عقدت معاهدة ثانية بين السعودية واليمن في الثالث من تشرين الثاني عام ١٩٣٧ ، وبذلك اصبحت أكــبر مملكتين عربيتين مستقلتين في نفس الخط مع تركيا وايران والعراق وافغانستان التي وقعوا المعاهدة فــيما بينهم سنة ١٩٣٧ . والتحالف تقام أفضل مع مصر انهى الملك ابن سعود الخلاف الذي كان قد مضى عليه عشر سنوات مع الحــكومة المصرية التي وافقت ان تستأنف ارسال الكسوة السنوية الى مكة .

ومن الصعب التكهن بالنتائج البعيدة المدى لهذه المعاهدات السياسية ، والله لأمر باعث للدهشة بالنسبة لأصدقاء العرب ان يروا هذا التقارب والتفاهم بين الدول الاسلامية الأمر الذي لم ينتج عنه تحالف حقيقي بين تلك الدول . ولكنه من المستحيل على المرء ان يتكهن فيما اذا كان ذلك سيؤدي الى احياء الحضارة الاسلامية والحس الديني ، او انه سينتج عنه انفصال السلطة السياسية عن الدين .

ان المصالح الأجنبية بريطانيــــة في معظمها ولكن دولاً أخرى بدأت تهتم بالشؤون العربية ، وينطبق هذا القول بصورة خاصة على الولايات المتحدة الاميركية التي تحاول الحصول على نفوذ سياسي في الجزيرة العربية في اعقاب توسع شركة النفط العربية — الاميركية (ارامكو) في الظهران . ولمجاراة مـــع محطات الاذاعة بدأت الاذاعــة البريطانية منذ سنوات في بث برامج باللغة العربية . واتخذت السفن الحربية الاميركية مؤخراً تزور الخليج الفارسي منافسة بذلك

صديقاتها البريطانيات !

وتتتبع الجزيرة العربية باهتمام في هذه الأيام مجرى الاحداث في اوروبا الأمر الذي يدفع الناس في كل مكان لاصدار أحكام اكثر دقة على الشؤون الاوروبية . وليس متوقعاً) ان تلعب الجزيرة العربية تحت الحكم الاسلامي دوراً مهماً في الشؤون الدولية دفعة واحدة مع انها ستبقى محور السياسة الاسلامية ومركز العالم الديني في الاسلام

ان الأحداث الاجتماعية والسياسية التي وقعت في مصر وباكستان وشمال افريقيا وفيتنام وايران بدأت تؤثر في الجزيرة العربية . وهذه الحركات الجديدة لن تفشل في النهاية في فرض التأثير المتزايد على مجرى الاحداث . فقد بدأت القومية تنمو باطراد وذلك من قبيل التحدي للغرب وخاصة بريطانيا . وقد قال لي عربي بارز من الكويت في ٢٥ تشرين الأول ١٩٥٣ ما يلي :

— « انكم لا تستطيعون الاحتفاظ بالملائمة مع العرب لأنهم يريدون تقليد الغرب وادخال بعض الاساليب الغربية كالنقابات لحماية حقوق عمال شركات النفط ؟ في الوقت الذي تتعلم هذه الأشياء يومياً عن طريق الاذاعات الصادرة عن بريطانيا وامريكا . فاذا سمعنا ان سائقي السيارات في لندن قد اعلنوا الاضراب للحصول على زيادة في اجورهم .. فلماذا لا يحق لنا ان نفعل نفس الشيء ؟ »

ان مصدر الخطر في دولة كالكويت هو بدون شك تدفق الفلسطينيين والعراقيين واللبنانيين والايرانيين والمصريين وغيرهم من الأجانب بشكل لم يسبق له مثيل ولم يكن يحلم به أحد . وهذا الشيء ما زال قائماً لاسباب [illegible] عملية البناء والانشاء تسير على قدم وساق . وسواء كان هؤلاء من المشردين الفلسطينيين ، او من العمال اللبنانيين المهرة ، او من العمال العاديين القادمين من العراق وايران ، او صحافيين من الاقطار العربية ، او تجاراً من بيروت ، فانهم جميعهم يغرسون في ذهن الكويتي استمرار التفاؤل « بلاد العرب للعرب والكويت للكويتيين » .

ويتقرب هؤلاء من الكويتيين بطريقة ذكية على أساس ان الكويت امارة عربية مستقلة فلماذا يكون فيها مثل هذا النفوذ السياسي [illegible] للبريطانيين .. وهكذا

يكون فيها وكيل سياسي بريطاني ؟ ويقولون إن الاوضاع يجب ان تصحح ويجب ان يزول نفوذ الوكيل السياسي .. والقادرون على هـذا التصحيح هم الكويتيون أنفسهم . وينتقدون كذلك الامتيازات البريطانية ويدعون الى التخلص منها والى جعل الوكيل السياسي قنصلاً عـادياً أو وزيراً مفوضاً لدى حاكم الكويت . وهم ينصحون أفراد الجيل الجديد من آل الصباح ان يعملوا على اقامة وضع شبيه بالسعودية بقولهم : « ما أحسن شركة أرامكو في الظهران .. وما أحسن معاملـة الاميركيين للعرب هناك وما أروع علاقاتهم بالحكومـة السعودية » . ومن خلال هذه الاخطار يحذر الاميركيين والبريطانيين على السواء حيثما وجدوا ، ان يتذكروا أن العرب الذين لا يكترث الرد هم والذين يحملون آراء متطرفة ، ينمون بافساد العلاقات بينهم .. فقد تعلو اصوات الثورة ايضاً !

وهذه الدعايات الشريرة تقلق بال الكويتيين القدامى الذين يحبون البريطانيين ، ولكنها تجد رنقاً حسناً في نفوس الشباب الكويتيين المتطرفين الذين ليس أحب لديهم من ان يروا الكويت تحت سيطرة العراق السياسية بحجة ان العراق دولة مسلمة تمثل الفضل بكثير من بريطانيـا المسيحية . ولا يخفى ان العراق يشجع هذه الدعايات بشتى الطرق لاسيما عن طريق آلاف العراقيين العاملين في الكويت .

وآخر الطرق العراقية في مغازلة الكويتيين هي التلويح لهم بالفوائد الجمة التي يحتويها من جر مياه شط العرب الى الكويت بواسطة أنبوب قطره ٣٢ بوصة ، الأمر الذي من شأنه ان يحول الأراضي القاحلة بجوار مدينـة الكويت والجهراء الى حدائق غناء ، ويضاعف كميات الشرب المتوفرة في الكويت والتي هي بأمس الحاجة لها . وهم يعرفون انه إذا تم ذلك فإن الفلاحين الذين سيتولون زراعـة الأرض المستصلحة سيأتون من العراق وبذلك يسيطرون على جـزء كبير من الأراضي الكويتية فيطلبون بالتالي حماية دولتهم إذا نشأ أي نزاع بينهم وبين حكومة الكويت حتى ولو كان مفتعلاً . والشبان المتطرفون في الكويت ــ وهم ليسوا قلة ــ يعرفون ذلك حق المعرفة . فهم لا يؤيدون هذه الخطة فحسب بل يدعون لها ليل نهار ويعبرون عن هذه الرغبة في الصحف العراقية واللبنانية .

والمؤسف في ذلك كله ، أنـه في الوقت الذي يتزايد فيه شعور الشبان المتطرفين القوميين ضد الأجانب وضد البريطانيين بصورة خاصة ، فإن عرب الصحراء القدامى وكبار تجار المدينة المتنفذين الذين ما زالوا يحبون ويحترمون الانكليز ، بدأوا يتحولون ببطء ضد الغربيين لأسباب تختلف تماماً . فهؤلاء ، وهم مؤمنون متدينون ، يرون في التأثير الغربي بالمدينة الوهابية خطراً يهدد عاداتهم وأخلاقهم وتقاليدهم وديانتهم بصورة خاصة . لقد بدأوا يرون أولادهم يشبون على العادات السيئة فيشربون الخمر ، ولا يذهبون الى الصلاة ، وينكرون الدين وأخلاقيته ، ويرفضون طاعة والديهم . ولذلك يقولون بينهم وبين أنفسهم ان مرد ذلك الى الغرب وأمواله وعاداته غير الدينية .

ويحافظ من الدفاع عن النفس أخذ الجيل القديم المحافظ يتحول ضد الغرب فأطلقوا صرخة متعصبة جديدة تقول: ان الدين في خطر . ولأنهم يشعرون أن الغرب أصبح يسيطر على بلادهم وعلى أولادهم وبناتهم فإن هـذه الصرخة صوت اليوم « ها أنا والغربيين .. انهم لم يعودوا كما عرفناهم من قبل » . وهكذا نجـد ان العربي المرح الذي ينتمي الى المدرسة القديمة أصبح ضـد « الأجنبي » ضد البريطانيين والأمريكيين ، على الرغم من أن الأسباب الموجبة لهذا الشعور ليست مماثلة للأسباب الدافعة لأبناء الجيل الجديد .

ما هو الجواب لهذا الوضع المؤسف ؟ لئن أتجرأ لأقول انه الآتي :

فليتخلَّ الغرب عـن فرض مذاهبه الحضارية كتحسين مستوى المعيشة ، والأفكار التربويـة الحديثة ، ورفع المستوى ، والأطعمة المشـازة واللباس الفخمة ... الخ . وليبشر بالتطور والبنـاء على صخر بدل البناء على الرمل . وليبشر بأن التقدم الذي لا يتكون وقته يجب أن يأتي عن مهل وليس كالنـار الآكلة كبيتهم . فليبشر الغرب بفضائل بناء الأخلاق ومبادىء الدين والايمان بالله واحد خالق الكل .. وليبشر أيضاً بحالية قدسية الوصايا العشر .

يتوجب على الغرب وعلى كل الرجال ذوي النوايا الحسنة ان يجاوزوا الشرور القادمة مع المدنية ... ويبدوا فضائل الأشياء الحسنة القادمة من الغرب .. لأن



الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية

جانب من المأدبة التي أقامتها شركة نفط الكويت في ... على شرف الملك سعود



مدير شركة نفط الكويت استقبل مورغان لدى وصوله الى الكويت من لندن

دولة ، جيمس ماكفرسون مؤسس ارامكو

الشرور القادمة مع التقدم كالشروبات الروحية والسينما وغيرها تزيد في عددها على النواحي الصالحة .

تقدم شركة نفط الكويت ١٩٥٣

> هذا المقال ملخص لمقال بقلم الآنسة مارغريت كلارك نشر في صحيفة « بتروليوم تايمز » بتاريخ ٣٠ تشرين الأول ١٩٥٣ وهو عرض رائع لتقدم شركة نفط الكويت منذ استئناف عملياتها بعد الحرب العالمية الثانية .

في حزيران سنة ١٩٤٦ صدر اول برميل من نفط الكويت . وقد بلغ الانتاج الاجمالي من خزان النفط العجيب الثاوي تحت رمال الكويت الملتهبة حتى أوائل هذا الشهر ألف مليون برميل . الف مليون برميل في أقل من ثماني سنوات رقم قياسي يعتبر من أهم المنجزات الصناعية في العصر الحديث لم يسبق له مثيل في تاريخ حقول النفط .

ولم يسبق ان طورت حقول للنفط بمثل هذه السرعة . والنجاح الذي يشهد عليه هذا الرقم القياسي مثلاً على التعاون الانكلو - الاميركي في ارقى مستوياته . وحتى بلوغ هذا الرقم لم يكن هنالك سوى ثمانية بلدان سجلت انتاجاً اجمالياً يعادل الف مليون برميل من النفط الخام . وهذه البلدان هي : الولايات المتحدة الاميركية ، المكسيك ، فنزويلا ، رومانيا ، الاتحاد السوفياتي ، ايران ، المملكة العربية السعودية ، واندونيسيا . والآن اصبحت الكويت وهي أصغر دولة في العالم ، تحتل مكانها بين جبابرة النفط . وقد حققت هذا النصر في وقت أقصر من الوقت الذي لزم لسابقيها الثمانية .

ان شركة نفط الكويت التي تملك امتيازاً يشمل حقوق الاستكشاف والاستثمار في جميع الاراضي الكويتية ، مع انها مسجلة بانها شركة بريطانية ، تملكها بالتساوي شركة الخليج وشركة دارسي (الشركة الانكلو - إيرانية)* .

* - المدير العام لشركة نفط الكويت هو المستر ل . ت . جوردان من تكساس ، وهو يحظى بحب واحترام وتقدير جميع العرب في الكويت من الحاكم حتى اصغر بدوي في الصحراء ، وهم يصفونه بانه اكثر الناس استقامة في البلاد .

وقد منح الامتياز سنة ١٩٣٤ ولمدة خمس وسبعين سنة . وفي تشرين الثاني سنة ١٩٥١ وقعت اتفاقية جديدة بين الشركة وحاكم الكويت . وتقضي بأن تخضع الشركة لضريبة دخل حسبت بشكل اصبحت الارباح تقسم بالتساوي بين الشركة والحاكم . وقضى التعديل ايضاً بأن تمتد مدة الامتياز وهي خمس وسبعون سنة من تاريخ الاتفاقية الجديدة .

ويمكن القول ان عمليات الانتاج بدأت في أول حزيران سنة ١٩٤٦ عندما توجه الشيخ أحمد الجابر الصباح الى ميناء الاحمدي وأدار الصمام لتعبئة اول ناقلة « بريتيش فوزيليه » – بشحنة من النفط الخام الى فرابنجموث – وهذا دليل للمستقبل لأن بريطانيا هي المستهلك الرئيسي لنفط الكويت منذ ذلك الوقت .

وقد تمت العمليات في وجه صعوبات عديدة نشأ معظمها من واقع ان المنطقة بعيدة عن النشاط الصناعي أسهم مناخها في خلق تعقيدات غير اعتيادية . وقبل اكتشاف النفط في بلادهم التي تبلغ مساحتها ٦٠٠٠ ميل مربع على رأس الخليج الفارسي ، كان الكويتيون يعتمدون على معيشتهم من الصيد والتجارة وبناء السفن . ولذلك لم تكن هنالك تقاليد صناعية بالمعنى الغربي يمكن ان تقوم عليها صناعة جديدة . فلم تكن هنالك ايد عاملة ماهرة ولا مواد اولية ولا مواصلات . وبالرغم من تخطي هذه المصاعب فانه لم تكن هنالك اسواق ملائمة لامتصاص النفط . ان الشمس والرمال عدوان مقيمان في بلاد لا ماء فيها ولا يزيد هطول الامطار فيها عن خمس بوصات في السنة وتبلغ درجة الحرارة في الظل بين ١١٠ درجات فارنهايت و ١٣٠ درجة وحتى ١٢٨ درجة . هذه الاحوال الصعبة التي على الرجال وعاشوا فيها لا سيما في المراحل الاولى تجعل هذا النجاح خارقاً رائعاً .

وبموجب برنامج لتنمية موارد البلاد النفطية اكمل حتى الآن حفر ١٥٣ بئراً. وهنالك ثلاث آبار على وشك الانتهاء . ان الطبقات الحاملة للنفط في الكويت كلسية متوسطة العمر . وهنالك اربع طبقات رملية النوع ثلاث منها واضحة المعالم . والعمق الأدنى الى قمة الطبقة الأولى يبلغ ٣٥١٥ قدماً ، ويبلغ العمق

الأقصى الى الطبقة الرابعة الخاصة للنفط ٤٧٧٢ قدماً . وأغلب الآبار في حقل الكويت ذات انتاج مزدوج . ان الطبقتين الثالثة والرابعة هما أكبر الطبقات انتاجاً وتحتوي الطبقة الثالثة على النسبة الأكبر من الاحتياطي . ويتراوح الانتاج الفردي بين ٨٠٠ برميل يومياً للآبار في الطبقة الأولى وبين ٦٠٠٠ الى ٩٠٠٠ برميل يومياً للآبار في الطبقة الثالثة . ان انتاج عظيم البئر الواحدة اذا ما قيس بالحقول القديمة العهد بالإنتاج وخاصة تلك الموجودة في اميركا الشمالية .

ومع انه تأكد وجود النفط في الكويت ، وان آبار الكويت هي من أغنى خزانات النفط في العالم ، وبالرغم من انه لا توجد صعوبات في نقله من الآبار الى الشاطىء الذي يبعد ١٤ الى ٢٠ ميلا فقط ، ولكن الواقع شيء آخر . ان كل قطعة من الآليات التي استخدمت في كل مرحلة من مراحل التنقيب والنقل والتعبئة احضرت من بريطانيا أو من اميركا على بعد آلاف الأميال . ان مياه الخليج الفارسي المجاورة ضحلة على مسافة طويلة من الشاطىء وليس هنالك مدخل او خليج صغير يحمي السفن من الرياح الشديدة التي تهب هناك . وحتى في خليج الكويت الى الشمال تضطر السفن الى القاء مراسيها على مسافة أميال من الشاطىء . ولذلك كان من الضروري اعادة نقل التجهيزات بواسطة سفن صغيرة الى الشاطىء ثم عبر الصحراء الى مواقع العمليات . وفي كل مرحلة كان هنالك احتمال تحطم تلك المعدات ، وفي الواقع كانت هذه المشكلة في السنوات الأولى من أهم المشاكل الرئيسية . ومع ذلك ازدادت كمية التجهيزات المستوردة نظراً لاتساع الأعمال .

وفي شهر واحد ، شباط سنة ١٩٤٨ ، انزلت على الشاطىء بهذه الطريقة معدات بلغ وزنها ٢٥ الف طن . وقد بلغ وزن المعدات المستوردة تلك السنة ١٩٠ الف طن وهو رقم قياسي . هذا بالطبع كان احدى المصاعب التي توجب التغلب عليها قبل استمرار العمل وتنميته . وبالاضافة الى ذلك كانت هنالك مشكلة تدريب العمال المحليين على الطرق الغربية في العمل .. وهذه المشكلة

اتخذت اعشار قليلين من الخارج مع مستلزمات عملهم ومعيشتهم في الصحراء . ان الحقائق والارقام الواردة هنا يجب ان لا تحجب ضخامة هذا العمل الجبار .

يجري النفط من الآبار الى قسمة مراكز للتجميع ثم يضخ الى الخزانات في الاحمدي القائمة على سلسلة مرتفعات على بعد خمسة اميال من الشاطئ ، وهذه الخزانات تتسع لاكثر من اربعة ملايين برميل ومنها ينحدر النفط في ستة أنابيب قطر الواحد منها ٢٢و٣٠ بوصة) الى الميناء والمصفاة في ميناء الاحمدي. وهنالك انبوبان قيد البناء احدهما قطره ٣٤ بوصة ويعتقد انه افضل انبوب للنفط في العالم .

البلدان التي أنتجت ألف مليون برميل من النفط الخام مع تاريخ بلوغ هذا الرقم . هذه الاحصاءات مأخوذة من دائرة المناجم الأميركية .

الكويت	١٩٤٦ — ١٩٥٣	٨ سنوات
المملكة العربية السعودية	١٩٣٦ — ١٩٥١	١٦ سنة
فنزويلا	١٩١٧ — ١٩٣٤	١٨ سنة
المكسيك	١٩٠١ — ١٩٢٣	٢٣ سنة
ايران	١٩١٣ — ١٩٤٠	٢٨ سنة
الولايات المتحدة	١٨٥٩ — ١٩٠٠	٤٢ سنة
روسيا	١٨٦٣ — ١٩٠٥	٤٣ سنة
اندونيسيا	١٨٩٣ — ١٩٤١	٤٩ سنة
رومانيا	١٨٥٧ — ١٩٤٣	٨٧ سنة .

وقد جعلت هذه النتائج الباهرة من الممكن ارتفاع معدل الانتاج كما يبدو في اللائحة أدناه :

السنة	عدد البراميل
١٩٤٦ : خمسة أشهر الأخيرة فقط :	٥,٩٢٧,٩٧٦
١٩٤٧	١٦,٢٢٧,٩٠٦
١٩٤٨	٤٦,٥٤٦,٧٩٥

١٩٤٩	٨٩،٩٣٠،٤٤٤
١٩٥٠	١٢٥،٧٢٢،٣٩٦
١٩٥١	٢٠٤،٩٠٩،٦٦٢
١٩٥٢	٢٧٣،٤٣٦،٨٩٥
١٩٥٣ (الأشهر الثمانية الأولى فقط)	٢٠٦،٠٩٥،١٩٢

وخلال الأشهر الستة الأولى من هذه السنة أنتجت الكويت ١٥٢،٠٤٩،٣٩١ برميلاً من النفط فتكون بذلك قد احتلت المرتبة الثالثة بين الدول المنتجة بعد الولايات المتحدة وفنزويلا .

ويتضح ان الوصول الى هذه القدرة في وقت قصير كهذا لم يكن ممكناً لولا وجود نظام دقيق للنقل والتخزين والشحن منذ البداية . وقد اتخذت جميع الاحتياطات للتأكد بأن سير هذه الترتيبات يجب ان يتوسع بسرعة الانتاج .

ففي مطلع سنة ١٩٤٦ مد أول أنبوب من عدة أنابيب قطرها ١٢ بوصة تحت سطح البحر . وبالاضافة الى ذلك وصل هذا الأنبوب بخرطوم لتعبئة الناقلات بسرعة . وبين سنة ١٩٤٦ وسنة ١٩٤٩ مدت عشرة أنابيب مماثلا انتهى كل الى منصب بحري خاص بشحن النفط . وكان عدد هذه المراسي المستخدمة في ذلك الوقت خمسة . وفي نهاية سنة ١٩٤٩ أنشىء أكبر رصيف لناقلات النفط في العالم في ميناء الأحمدي ويمتد هذا الرصيف داخل البحر ٤١٠٠ قدم وعليه طريق عرضه ٢٤ قدماً صب بشكل يستطيع معه حمل أثقل سيارات الشحن بالإضافة الى مد الأنابيب بثمانية خطوط للنفط اتجاه قطر الواحد منها ٢٤ بوصة ، وعدد آخر من الأنابيب الصغيرة لحمل الوقود والماء للسفن ولهواء المضغوط للرافعات .

إن القسم الشمالي من الرصيف الذي يبلغ طوله ٢٨٠٠ قدم وعرضه ١٠٥ أقدام، فيه ستة مراسي يمكن تحميل الناقلات فيها بسرعة ، اما الناحية الجنوبية التي يبلغ طولها ١٠٥٠ قدماً وعرضها ١٠٠ قدم فيقوم بالخدمات المرسيين كانا يستخدمان أصلاً لتفريغ المعدات والتجهيزات ، ولكنها يستخدمان حاليـا

لتحميل النفط . ويمكن للسفن على هــذا الرصيف ان تحمل بمعدل مليون برميل وله قدرة على التحمل في الليل والنهار بصورة متواصلة .

وبالنظر الى هذه التسهيلات المستخدمة فقد نشطت حركة الناقلات وزادت على الوجه التالي :

السنة	عدد الناقلات التي حملت النفط من الكويت
١٩٤٦	٦١
١٩٤٧	١٦٨
١٩٤٨	٤٣٦
١٩٤٩	٨٠٣
١٩٥٠	٩٩٥
١٩٥١	١٧٣٥
١٩٥٢	٢٢٨٠
١٩٥٣ (الاشهر التسعة الاولى)	١٨١٣

وسيصبح من الممكن استقبال مزيــد من الناقلات في السنة القادمة لأن التسهيلات والخدمات في قطاع تحميل النفط تتوسع باستمرار . وهنالك ثلاثة مراسٍ جديدة قيد الانشاء يتصل كل منها بالشاطىء بانبوب للنفط الخام قطره ٢٤ بوصة .

ان سعة مصفاة ميناء الاحمدي تبلغ ٣٠ الف برميل يومياً . وفي سنة ١٩٥٢ كانت تكفي وحدها لسد حاجات السوق المحلية الى الوقود والزيوت ومشتقات النفط الاخرى بما في ذلــك احتياجات الشركة والناقلات والسفن القادمــة الى الكويت . وقد اقيم بالقرب من المصفاة معمل لصنع الاسفلت بــدأ الانتاج في أوائل هذه السنة . وهذا المعمل ينتج من ٢٥ الى ٣٠ طناً من الاسفلت يوميــاً تستخدمها الدولة في تعبيد الطرقات .

وانشأت الشركة في ميناء الاحمدي محطة لتوليد الطاقة الكهربائية قوتهــا ٢٢,٥٠٠ كيلواط ، ومعملاً لتكرير مياه البحر سعته ٦٠٠ الف غالون يومياً ،

ومحطات للضخ ومستودعات للخزن وجهاز ضبط كهربائي يضمن تدفق النفط الى الصفاة والى منشآت التحميل في الميناء . وقد ادخلت على حقل العمليات اجهزة اوتوماتيكية لضبط العمليات بقدر الامكان بعيداً عن الاماكن المركزية مما يضمن مزيداً من الدقة والتكييف السريع والتوفير في الأيدي العاملة .

وهنالك انبوب طوله ٢٧ ميلاً يربط الصفاة بمدينة الكويت الى الشمال ويمد حاجيات المدينة الى المنتجات النفطية . وتنقل هذه المنتجات الى خمس محطات مخصصة من المستودع الرئيسي في المدينة وتوزع على المستهلكين من تلك المحطات . وهنالك ايضاً انبوب يقدر طوله ٣٠ ميلاً وقطره ١٦ انشاً يوصل الغاز من حقول النفط الى المدينة .

وقد نمت الشركة مع تطور انتاج النفط في تحسين احوال عدد كبير من موظفيها ومستخدميها من جميع الجنسيات . والجدير بالتأكيد هنا انه عندما بدأت عمليات الحفر كانت تلك المنطقة صحراء جرداء لا تنمو فيها سوى اعشاب خشنة ولم يكن فيها من الموارد الطبيعية سوى بعض الماء غير الصالح للشرب في آبار شديدة الملوحة .

وقد حلت مكان تلك الكثبان القاحلة مدينة جميلة بنيت منازلها على احدث الطرق الهندسية فيها مراكز للترفيه والمعاينة الطبية والتمريض . وهي تضم مستشفى وعيادة ومدارس وكنائس ومساجد ومصابيح ومصنعاً للثلج ومخبزاً وعدداً من الحوانيت . وقد امنت هذه التسهيلات الضرورية للحياة اليومية في كل مجتمع متمدن للموظفين وعائلاتهم وهو انجاز ضخم لأن هنالك اكثر من ٥٠٠ اميركي وبريطاني يعملون في شركة النفط بالاضافة الى ٣٠٠٠ هندي و ٢٤٠٠ كويتي و ١٨٠٠ من جنسيات عربية اخرى .

وبالإضافة الى ذلك انشئت مدرسة للتدريب المهني تخرج منها كثيرون من عرب الخليج تحرراً من مخاطر الامية ذات التقدم الاقتصادي المحدود بحثاً عن فرص أوسع في خدمة شركة النفط . وستعمد الشركة الى ارسال بعض المرشحين الى الخارج لإكمال دراستهم الفنية والجامعية حتى يتمكن الكويتيون من الحلول

على الاجانب في الوظائف العليا . وهذا العمل لا يعني عن العمليات في حقول النفط لأنها من شأنها ان تكفل تحقيق التوسع في الانتاج .

ولكن نتائج إنماء وتطوير موارد نفط الكويت لا تقف عند هذا الحد . فقد انسع اقتصاد البلاد القومي الامر الذي مكن الحاكم الحــالي من وضع الخطط لإيجاد خدمات بلدية عصرية بما فيها الصحة العامة والماء والكهرباء . وقد اسهم التوظيف الكامل وارتفاع مستوى الاجور في الارتفاع العام الذي شهده مستوى المعيشة . ولكن بما ان حصة الحاكم من عائدات النفط بلغت حوالي ٥٠ مليون جنيه استرليني في السنة الماضية ، وبما ان هذا الدخل في دولة صحراوية صغيرة لا يتجاوز عــدد سكانها ٢٠٠ الف نسمة لا يمكن امتصاصه كلــه مهما بلغت التحسينات والخدمات العامة ، فان استخدام الاموال العائدة من النفط لها أيضاً مشاكل بحد ذاتها . ورأى الحاكم ان تدفق الثروة الفجائيء على بلاده قد يحدث صعوبات كبيرة كتلك الناجمة عن الفقر في بلدان اخرى . ولذلك كرس جهوده ليضمن ان هذا الانتقال الفجائيء من الندرة الى الكثرة سيتم بصورة هادئــة بطيئة . وبادارته الحكيمة الواعية يجرب حالياً استثمار الفائض الكبير للمستقبل.

ان العامل الرئيسي الذي جعل انتاج الكويت من النفط يتضخم بهذه الصورة خلال السنوات الثلاث الماضية هو بدون شك انفتاح الاسواق العالميــة الناجم عن توقف الانتاج في إيران في حزيران سنة ١٩٥١ . ان مقارنة صادرات الكويت في سنة ١٩٥١ و ١٩٥٢ تظهر ليس فقط كيفية ارتفاع الصادرات منذ الازمة الايرانية ، ولكنهــا تظهر ايضاً كيف ان البلدان المختلفة استفادت من الوضع .

إن المكانة المهمة التي يحتلهــا نفط الكويت على الصعيد الدولي ، بعد مضي ثماني سنوات فقط من ارسال اول شحنة من ميناء الاحمدي ، لا تحتــاج الى تأكيد . والمعروف ان البلدان التي هي خارج منطقــة الدولار تستفيد بصورة خاصة من نفط الكويت وقد ساهم في ذلك انقاص كلفته بالدولار بالنسبة للنفط من البلدان المجاورة كالسعودية والبحرين . ولكن منطقة الدولار استفادت هي

ايضاً منه . فالنفط الكويتي بلغ مثلاً ١٥٫٦ بالمئة من المستوردات الاجمالية للولايات المتحدة في النصف الاول من هذه السنة ؛ و ٤٥ بالمئة من مستوردات الولايات المتحدة من الشرق الأوسط في الفترة ذاتها .

شحنات النفط الخام من الكويت

البلدان	١٩٥٢	١٩٥٠
	البراميل	
بريطانيا	٩٧٫٠٤٧٫٩١٧	٢٨٫٠٥٣٫٦٢٣
فرنسا	٥٦٫٨٤٠٫٣١٤	٢٨٫١٦٨٫٨٦٤
هولندا	٣٠٫٥٥٥٫١٤٩	١٧٫٨٤١٫١٥١
الولايات المتحدة الاميركية	٢٧٫٢٢٣٫٠٨٧	٢٦٫٣٦١٫٤٢٨
ايطاليا	١٤٫٧٢١٫٩٦٥	١٠٫٦٣١٫٥٣٢
بلجيكا	١٢٫٥٢٥٫٩٧٨	—
الارجنتين	٩٫٠٧٢٫١٩٤	—
السويد	٤٫٠١٧٫٦٣١	١٫٤٣٢٫١٥١
بلدان أخرى	١٢٫٠٢٤٫٠٤٦	٤٫٢١٦٫٢٥٤
المجموع	٢٦٤٫٠٢٨٫٢٧١	١١٦٫٧٠٥٫٠٠٣

ليست هنالك دولة تقبل الى نفط الكويت كبريطانيا . فبرامج توسيع التصافي في المملكة المتحدة التي كررت ٠٠٠ و ٣٠٦و١٦٤ برميل من النفط الخام في السنة الماضية، تتيح لو تحقق تماما لامكانية الحصول على النفط من الشرق الأوسط والكويت هي اليوم المصدر الرئيسي لبريطانيا .

ففي الأشهر الستة الأولى من سنة ١٩٤٦ قبل الحصول على النفط الخام من الكويت ، كانت مصادر بريطانيا الأساسية هي : الأنتيل الهولندية ٤٤ بالمئة ، فنزويلا ٣٦ بالمئة ، ايران ١٥ بالمئة ، الولايات المتحدة ٤ بالمئة ، بلدان أخرى واحد بالمئة .

ولكن هذه الصورة تغيرت في الأشهر الستة الأولى من سنة ١٩٥٠ فاصبحت مصادر بريطانيا الاساسية هي: الكويت والبحرين ٤٠ بالمئة (الكميات المستوردة من البحرين لا تذكر اذا قيست بالكويت) ايران ٢٥٫١ بالمئة، الانتيل الهولندية ١٢٫٤ بالمئة، المملكة العربية السعودية ١٢٫١ بالمئة، العراق ٤٫٣ بالمئة، فنزويلا ٣٫٩ بالمئة، بلدان اخرى ٢٫٣ بالمئة.

وفي الأشهر الستة الأولى من هذه السنة قفزت الكويت قفزة كبيرة في تصدير النفط الى بريطانيا فاصبحت مستوردات بريطانيا في هذه الفترة كما يلي: الكويت ٥٧٫٨ بالمئة، العراق ٢٨٫٨ بالمئة، البحرين ٥٫٩ بالمئة، الانتيل الهولندية ٣٫٤ بالمئة، فنزويلا ٣٫٣ بالمئة. وتتزايد مساهمة نفط الكويت في بناء الاقتصاد البريطاني يوماً بعد يوم، اذ ان واردات بريطانيا من نفط الكويت ارتفعت خلال الأشهر التسعة الأولى من هذه السنة الى ٥٩٫١ بالمئة من مجموع الواردات النفطية. واذا اخذنا جميع الواردات بعين الاعتبار فتبلغ نسبة نفط الكويت فيها ٤٦٫٩ بالمئة.

فاذا كان هذا البحث تخطى اشياء كثيرة بحيث يعتبره البعض انه أصبح «تاريخاً قديماً» فهو فقط للدلالة على ان أهمية نفط الكويت في الاقتصاد البريطاني ليس مبالغاً فيها. وربما كانت نصف سيارات لندن تسير بواسطة نفط الكويت وهو واقع يعرفه الجميع. ولذلك ليس من المناسب، في بريطانيا خاصة، ان تمر جهود الشركة التي وصلت الى هذه الأهمية بدون ملاحظة. يجب ان يقدر كل العاملين في شركة نفط الكويت الذين ساهمت جهودهم في الوصول الى هذه النتائج الرائعة، وحاكم الكويت ورعاياه الذين بتفهمهم وتعاونهم ساعدوا على ايجاد شراكة بين الشرق والغرب لولاها لما اثمرت هذه المشروعات.

ولكن النجاح الحالي ليس نهاية القصة. فالعمليات تقوم بطريقة تعطي اكبر انتاج ممكن ضمن خطط الصيانة تضمن أطول حياة ممكنة للحقول في الكويت. وتشير التقديرات الى ان الكويت تملك أغنى مخزون للنفط في العالم بحيث ان تاريخ الانتاج الرائع مع انه صغير العمر ليس إلا في بداية الطريق.

فهرست